

المجلد العبري السعوي  
جامع ترمذ القسري

محكمة المكرمة

كَلِمَةُ الدَّعْوَةِ وَأُصُولُ الدِّينِ

د. احمد  
١٧١٤

الأُسُسُ الْعَقْدِيَّةُ لِظَاهِرَةِ

الرحمن

وَمَوْقِفُ الْإِسْلَامِ مِنْهَا

رسالة مقرر من الشيخ الدرر الساتع عبد الله بن محمد بن نبي ورجه الكوناه  
قسم "العقيدة"



اعداد الطالب  
عمرو منيق الداعوق

استدلال

محرم الحرام الحرام الحرام

الأستاذ الدكتور:

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا

وسيئات أفعالنا ، من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله  
خير نبي اصطفا ، ولهداية العالمين أرسله ، فجاء بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله وكفى بالله شهيدا . فكان بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وادعيا  
إلى الله بآذنه وسراجا منيرا ، فهدى بنوره خلقا كثيرا . وفتح ببعثته أمنا عينا  
وآذانا صما وقلوبا غلفا .

أما بعد ، فقد خلق الله عباده كلهم حنفاً منيبن لقبول هدايته ، فذعن  
لأمره وأمره ، وذلك حينما أخذ طيهم العهد في عالم الذر ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ  
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ نَسَبَهُمْ طَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى  
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ) (١) .

إلا أن الشياطين اجتالتهم عن دينهم وحرمت طيهم ما أحل الله لهم وأمرتهم  
أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . (٢)

ولهذا كانت بعثة الأنبياء والمرسل طيهم السلام إيقاظا لأصل الفطرة وإزالة  
ما طغى بها من غشاوة ، وإرشادا للخلق إلى الخالق .

وجاءت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات للعودة بالناس  
إلى الإيمان الصحيح ونمذ الشوك والالحاد بعد تكن الجاهلية من عقول البشرية  
واستفحال أمرها ، وهكذا تكون رسالة السلم خبطة بهذا التكليف الرباني يحطها  
بأمانة وإخلاص نقية جليلة ليلها كنهارها لا يزغ عنها إلا هالك .

والناظر في أهم الأسباب الموجبة لانصراف الناس عن أصل الفطرة السلمية  
يجد في قمتها فئة غير قليلة من شياطين الإنس قد استمرأت جريمة الاجتيال وابتدعت  
حرفة الضلال والاضلال ، فعطت جاهدة ممر تاريخها على الوقوف في وجه الحق  
وعدم وصوله إلى الناس بشتى الوسائل ، حفاظا على مصالحها ومناصبها وابقاء طي  
امتيازاتها ومكاسبها .

١ - الأعراف : ١٧٢

٢ - أصل الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٩٧ ط ١٣٤٩ هـ

ومن يرد حصر هذه الفئة وقوفاً على أهدافها وأعمالها ومقاصدها . يجد طائفة مستترة بالدين . إما لنيل عرض دنوى أو للحصول على منصب ديني يمكنها من بسط نفوذها وجبروتها على الناس . وأكل أموالهم بالباطل وابتزازهم بالاثم والعدوان .

لقد عرف التاريخ السحق فقة من الكهنة والاحبار والرهبان وقد سجل عليهم فضائح مهلكة وجرائم مخزية .

يأتي القرآن الكريم ليلفت الأنظار إلى ظاهرة هذا الابتزاز الأثيم . فيقول الحق جل شأنه : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأُمَّارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ حَسَدًا وَنَفْسًا سَبِيلَ اللَّهِ ) (١)

وارتكاب هذه الجريمة الشنيعة نابع بلا شك من الأسس العقدية المنحرفة التي سوف تلهم التعدى على حرمة الله ، وأتاح لهم الفرصة لنيل ما رغبهم وتحقيق أهدافهم . وفي غياب الوازع الديني والأخلاقي يصبح تنفيذ الجرائم أمراً مائتفاً وملاً شائعاً . ومع الأيام تصبح هذه الظاهرة المخزية جزءاً من مظاهر المجتمع بل سمة أساسية له وقانوناً يتوارثه الخلف عن السلف .

والإشارة القرآنية الصادقة راها الناس سابقاً . ورونها اليوم حقيقة ماثلة أمام العيون . وتتأكد هذه الحقيقة من خلال تجارب كثير من طوائف أهل الكتاب ورجالائهم . كالراهب النصراني " أنسلمو ترييدا " ( ٨٣٢ هـ ) الذي أسلمم وهاجر من إسبانيا إلى تونس وعرف فيما بعد باسم عبد الله الترجمان (٢) . وقد فضح القصص والرهبان بكتابته النفيس " تحفة الارب في الرد على أهل الصليب " حين عقائدهم وأساليبهم مع الناس . وكذلك العالم النصراني الذي أسلم " نصرين يحيى السطبيب السهتي (٣) . أخافة إلى العديد من أشرفت لهم شمس الهداية قد يط وحدثوا فعرّفوا الحق واتبعوه ونهذوا الباطل واجتنبوه .

هذه الاعتبارات وغيرها دفعتني إلى ضرورة البحث في أصل وأصول الرهبنة للوقوف على الآثار العقدية السلبية التي خلفتها . ولم نجم عنها من مطالب خاصة وأن الله تبارك وتعالى قد كشف هذه الحقيقة حينما أشار بانها طريقة مبتدعة . يقول الحق تبارك وتعالى ( ... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ) (٤) بل ان تلبس هؤلاء على الناس جعلهم يتخذون :

١ - التوبة : ٣٤

٢ - انظر ترجمته ص ٣١٧ من هذا البحث .

٣ - له كتاب اسمه " النصيحة الايمانية في فضيحة الطبة النصرانية " بين فيه عور طيوس به النصارى . وقد اهتدى إلى الاسلام بحمد الله تعالى . وحقق كتابه مؤخرافى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٤ - الحديد : ٢٧



٣- ال عمران : ٨٥

إن هذه الدراسة ستكشف أبعاد ظاهرة خطيرة تهدد تكيان الأمم القديمة لما أحدثته من بدمع عقديّة وأنظمة سلوكيّة لا تمت إلى الدين الحق بصلة ، وكانت من أهم أسباب زوال الحضارات القديمة ، كما تهدد الأمم الغربيّة التي عاشت في العصور الوسطى وقادت بها إلى الحروب والدمار خاصة ما حصل في أوروبا أثناء حكم البابوية .

كما أنها تهدد شعوب الهند سابقا وأبقتها إلى اليوم رازحة تحت شدة الفقر والدعة نتيجة للسلبية الغالبة على المجتمع والطبقة المهيمنة على الناس . وتهدد الرهبنة في العصر الحديث أما كثرة ، فمنظمتها ليست ثوباً جديداً وأخذت تنتشر في العالم الغربي نتيجة الخواء الروحي الذي يعاني منه الغرب بصورة خاصة ، فالرهبنة البوذية والهندوسية وإتباع كرشنا وغيرهم تأخذ قسطاً وافراً من اهتمام الضائعين في لجج الحياة المادية . كما تهدد الرهبانية العالم الإسلامي عبر وسائلها الحديثة المتمثلة بالتبشير

الذي يتحرك ضمن خطط موضوعة لأهداف مرسومة من قبل سلطة الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرهما .

وتجلى الصورة الخطيرة في استغلال المؤسسات التبشيرية لحالات الفقر والجوع في العالم الثالث خاصة الهند والباكستان والبنغال والقط الذي أصاب إفريقيا تنفيذ الخطط التنصير .

كذلك يأخذ التفغل النصراني دوره في دول الخليج العربي ومصر وسائر الشام وغيرها من أقطار العالم الإسلامي .

ولا يخفى على أحد أن الإستعمار الغربي بات يستغل هذه المؤسسات في تنفيذ خطته الرامية إلى إخضاع الدول لسيطرته الاقتصادية والعسكرية والثقافية . وحيث إن الرهبنة هي العمود الفقري لحملات التبشير والنفذ الحقيقي لهذه الخطط لذا يجب القاء الضوء عليها وكشف مآثرها وأرائها .

ولما كانت الرهبنة تمثل في رأي البعض سلكاً أخلاقياً ٦ ، لذا فقد أردت بيان قصر هذا الفهم ، وإثبات أن هذا السلك وإن تم عن مبدأ أخلاقي في الظاهر إلا أنه يحل في طياته كثيراً من العقائد ذات الصلة المباشرة بالحياة التي يمشيها الرهبان وإن كثيراً من العقائد المغالية كالطول والاتحاد ووحدة الوجود قد تحولت إلى أسس عقديّة للديانات المختلفة سواء الوضعيّة منها أو تلك التي ينتحلها أهل الكتاب .

وسوف تتضح هذه الحقائق من خلال استعراض أبواب وفصول البحث  
ان شاء الله تعالى ، كما تتجلى أيضا أضرار الابتداع في الدين ومدى الأضرار  
العلمي الذي أحدثته هؤلاء المبتدعون .

وللوقوف على أسباب وجود هذه الظاهرة الخطرة في الشرائع السابقة  
للاسلام ، كان لا بد من دراسة العوامل الموضوعية الموجبة لظهور طبقات رجال  
الدين ، كالكنيسة وغيرهم عبر العصور المختلفة ، وكيفية تكوين هذه الفئة ومدى  
ما أحدثت تطورها من مفاهيم وأراء . . وهذا يقود بدوره الى دراسة المجتمعات  
الاولى التي ظهرت فيها نواة الرهبنة ، كالديانة المصرية القديمة ، وديانة  
الدرافيديين سكان الهند الاصليين ، ومن ثم تتبع هذه الفئة عبر  
التاريخ ، وكيفية انتقالها الى الامم الاخرى .

ووفق ذلك كان من المحتتم دراسة العوامل الذاتية اليومية الى معرفة  
النتائج الفكرية والعقدية لدى تلك الفئات وما تمخض عنها من مبادئ دينية  
اتخذت فيما بعد أصولا وأساسا لتلك المجتمعات .

كما ان دراسة الاثار السلوكية الناجمة عن العقائد السائدة ضرورية لاستكمال  
جوانب البحث ، وهي تأخذ حيزا كبيرا من نشاط الرهبان ، وتمكن بالتالسي  
أثر العقيدة في هذا الجانب .

ودراسة هذه الظاهرة وفق الكيفية التي توغيت نهجها في هذا الموضوع  
ستتيح الفرصة للوقوف على النتائج التي تمكن البحث من بلوغ هدفه .

وعلى العموم فان هذا البحث يعتبر من الوجهة العلمية ، قديما قدم الحضارات  
الهدائية الاولى ، حديثا حداثة الادييرة والكنائس التي لا تزال تشاء الى يومنا. والرهبان  
الذين لا يزالون يمارسون حياتهم وفق منهجهم الذي وضعوه بأيديهم .

فهو والحالة هذه جديسربان يلقى عناية ودراسة مستفيضة لتعلقه بأخطار  
ظاهرة قديمة وسلوكية وجدت في التاريخ ولا تزال الى يومنا هذا تتخرف في جسم البشرية  
وتفت من عهد الشعوب وتطاسكهم .

ولقد واجهتني مصاب وشاكل جمة في امسدا\* الرسسالة .

. وقد تمثلت بمرحلتين هامتين .

الأولى : وهي ضرورة القيام برحلة ميدانية للوقوف على المعارف والمعالسم المتعلقة بالرهينة .

اما الثانية فقد تمثلت بندرة المراجع والمصادر المختصة بهذا الشأن .

ومن اجل الفراغ الاول فقد قمت برحلة علمية الى ربوع الهند مهد الرهينة في الديانات الوضعية ، حيث استطعت الحصول على بعض المصادر الضرورية بمساعدة الأخوة القائمين على الدعوة الاسلامية هناك كمركز الجماعة الاسلامية في دلهي والجامعة السلفية في بنارس . وقد لقيت فيهما كل ترحيب ومساعدة فاقت تصوري . ومن خلال تلك الرحلة استطعت الوقوف على كثر من المعلومات الخاصة بالديانات الثلاث : الهندوسية والجنينية والبوذية . و حاورت عددا من اساتذة الجامعة الهندوسية في بنارس ووضحت لهم عور العقائد والعبادات التي يعكفون عليها . كما أقيمت محاضرة في نفس الجامعة أبرزت فيها فضل الاسلام على بقية الأديان واثره فيها وقد حضرها عدد من أساتذة الجامعتين السلفية والهندوسية وبعض من الرهبان البوذيين .

ومن خلال الجولات الميدانية العديدة لاحظت مدى انطباق الحياة الدينية على ما جاء في مؤلفات الباحثين في مجال مقارنة الأديان . وأشد ما يدهش المرء هناك بقاء العبادات القدرة كما هي لا تغيير فيها ولا تبدل فتايل ( اللينغا ) التي تعبّر عن عبادة الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين لا زالت الى اليوم تعرض في الاسواق بصورة عظيمة دون خجل أو حياء . كما أن عملية إحراق الموتى على ضفاف نهر الغانج والقاء البقايا فيه صورة من تلك الصور التي رأيتها هناك . وأن ممارسة اليوغا على تلك الضفاف لا تزال الى اليوم يمارسها الرهبان الهندوس . كما أن الطقوس والشعائر التي يقوم بها الرهبان البوذيون لا زالت الى يومنا تقام وقد رأيت جانباً منها في سارنات إحدى ضواحي بنارس وخروج بعض الرهبان عرايا دون لباس يوارى السوء . مظهر من المظاهر الموجودة لدى الرهبان الجينييين الآخذين في الزوال . بسبب شدة الممارسات التعبدية .

أما الثانية : فان المراجع والمصادر المختصة كما اسلفت قليلة ونادرة فالحديث عن الرهينة في العالم متناثر ومجتزأ بين طيات بعض الكتب . إلا أنه يندر وجود مؤلفات عربية مستقلة تتحدث عنها كظاهرة دينية لها عقائد ها ومبادئها وأهدافها . اللهم الا بعض المؤلفات التي تحدثت عن الرهبانية المسيحية كحالة منفردة عن البقية . وهو زاد الأمر صعوبة بوجود بعض المخطوطات العربية . التي تتحدث عن الرهبان منها ما يرجع الى كتب تعود الى التراث الاسلامي<sup>(١)</sup> وهي قليلة ولا يعترف مكان وجودها ومنها ما يرجع

١ - من هذه المؤلفات :

- كتاب الرهبان - لبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الخثلي ( ٢٦٠ هـ - ٨٢٤ م ) محدث حافظ زاهد ، بغدادى سكن سرمن رأى وحدث بها . من تصانيفه : الزهد : السحبة الخوف والورع ، الرهبان . . . ترجمته في : سير اعلام النبلاء ٢٩١/٨ مخطوط و : الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢٠/٦ ) معجم المؤلفين ٥١/١ - ٥٢ - عمر رضا كحالة

# (١) الى بعض الرهبان المسيحيين .

ولهذا فقد قدت العزم على التضي والسعي قدماً لـ أجل الحصول على قدر كاف من المصادر التي تمكنني من اتمام البحث على الوجه اللائق . ونتيجة التقصي تكنت بفضل الله تعالى وكرمه من العثور على بعض المصادر الهامة والضرورية في هذا الشأن .

- ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن الحسين البرجلاني ( ٢٣٨ هـ - ٨٥٢ م ) كان متصوفاً ومحدثاً سمع منه ابراهيم بن عبد الله ابن الجنيد وابن ابي الدنيا وتوفي سنة ٢٣٨ له كتاب الكرم والجود وسخا النفوس . ترجم له : ابن التديم في الفهرست / ١٨٥ وتاريخ بغداد ٢٢٣-٢٢٢ / ٢ . وميزان الاعتدال ٤٦ / ٣ ) تاريخ التراث العربي مجلد ١ - الجزء ٤ - فؤاد سزكين ت : د . محمود فهدى حجازى ع ١١١ - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض وانظر كذلك كتاب : الحافظ الخطيب البغدادي واثره في علوم الحديث د . محمود الطحان ص ٢٨٢ تحت كشف باسما\* الكتب التي ورد بها الخطيب البغدادي د شق من روايته واسما\* بعض مصنفها . دار القرآن الكريم بيروت ط ١ - ١٤٠١ هـ - ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد الاسلي : يرويه عن ابي القاسم الذكواني عن ابي محمد بن عثمان عن ابي علي الشعرائي عنه ( التحرير في المعجم الكبير للامام سعد بن الكريم بن محمد السمعاني التميمي . ت : خير ناجي سالم ٨٢ / ٢ طبعة الارشاد بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ )

- ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد أوردته ابن حجر في : المعجم المفهرس ( مخطوط ) ص ٦٨ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية . ميكروفيلم موجود في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ .

- ومنها : كتاب أخبار الرهبان ومواعظهم لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي ( ٣٣٠ - ٤١٤ هـ - ٩٤١ - ١٠٢٣ م ) وهو من محدثي د شق ومن آثاره : فوايد في الحديث وأخبار الرهبان ترجمته في : هدية العارفين للبغدادي ٢٤٥ / ٥ ط ١٩٥١ ، ومعجم المؤلفين ٩٣ / ٣ . ولد ذكر ابن حجر هذا الكتاب في : المعجم المفهرس ( مخطوط ) ص ٦٨ . وانظر كذلك : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ص ١٠٨ . مطبعة الترقى د شق - ١٣٤٩ هـ . عني بنشره القدسي . كما ذكره كوركيس عواد في مقدمته لكتاب الديارات للشايبوشي ع ٤٦ . منشورات مكتبة المتنبي وطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ . كما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٧١ ط مكتبة الكليات الازهرية . القاهرة .

١ - من هذه الكتب : كتاب الامراض العارضة للرهبان لابي الحسن المختار بن الحسن ابن عديون ( ت ١٠٦٣ م ) ذكره لويس شيخو في المخطوطات العربية لمكتبة النصرية المنشورة في مجلة المشرق ٦٢ / ٢٠ تصدر في لبنان . أعيد نشرها في ألمانيا ١٩٨٠ . كما أوردته كوركيس عواد تحت اسم كناش الاديرة والرهبان ( مقدمة كتاب الديارات ص ٤٦ - ٤٧ . كما ذكره عبد السلام هارون في : نوادر المخطوطات . المجموعة الرابعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ط ١٩٧٣ م

- ومنها - بستان الرهبان لصفرنيوس بطريرك اورشليم المكنى بقم السموح ( ت : ٦٣٨ م ) وصح لويس شيخو اسم الكتاب باسم بستان الرهبان أو فردوس الرهبان . وقال : ان هذا الكتاب ليهوحناس ( موسخوس ) المشرق ٣٧٢ / ٢١ . كما ذكره عواد في مقدمة الديارات ص ٤٨ . وقد وجدت نسخة مطبوعة تحت اسم بستان الرهبان لابا\* الكنيسة القبطية طبع بمصر ط ٢ بني سويف المهنسا

- ومنها - كتاب السيرة الرهبانية للخورى بطرس ايكونوس التولى ( ت ١٧٤٥ م ) ( المشرق ٤٨ / ٢٠ ) ومقدمة الديارات ص ٤٨

- ومنها - تعليم الرهبان لمؤلف مجهول توجد منه نسخة في خزانة الاب بولس سباط ( مقدمة الديارات ص ٤٧

- ومنها الرهبان ودياراتهم لمؤلف مجهول ( مقدمة الديارات ص ٤٧ . ومنها كذلك رسالة في ترتيب

الرهبان ليهوحناس السراهب المتسك الروماني ت ( ٤٣٣ م ) ( المشرق ٧٥٢ / ٢١

إضافة الى ذلك هناك كتب مطبوعة بالعربية ، اذكر هنا أهم ما اعتدت عليه  
منها خلال هذا البحث وهي :

كتاب " نمكيات " لاسحق السرياني وهو قد يسم طبع حديثاً في لبنان  
وكذلك كتاب بستان الرهبان لابا\* الكنيسة القبطية طبع في مصر .

اما الكتب الحديثة فهي كثيرة وقد اعتدت على بعضها . منها :

- كتاب المعيشة البهنية في الحياة النسيكية ، للاب افرايم الديبراني احد طبرى

الرهبانية الطسبية الطارونية اللبنانية . سنة ١٨٩٩ م

- والحياة الرهبانية ، لرهينة مار جاورجيوس دير الحرف ، طبع في لبنان ١٩٨٤

- وغلاصة التصوف السبي . لادولف تانكرة طبع في لبنان ١٩٥٧ م .

- و التنظيم الرهباني في الكنيسة الطارونية ، للاب يوسف محفوظ طبع في لبنان  
ط ١٩٧٠ م .

- والعبادة السبيية ، للارشمندريت الياس ، طبع في لبنان سنة ١٩٨١ م

ومجموعها يتحدث عن القوانين الدبرية وطرق العبادة وفلسفتها والطقوس والشعائر  
وغرها .

اما بقية الكتب التي تتحدث عن الاديان الوضعية ومقائدها فليست هناك  
مؤلفات مستفيضة في هذا الشأن لذا فقد اعتدت على الكتب التي تتحدث عن  
العقائد والديانات خاصة ما يتعلق بالهندية والبوذية والجيئية ككتاب " شيرى ايشو  
بانيشاد . أ . س بكطي فيدانتا . مطبوع سنة ١٩٧٤ وكتاب شوسرتي كتاب الهندوس

القدس طبع في بيروت . ولا يغفوتني في هذه المجالة ذكر كتاب العالم والمؤرخ  
السلم أبي الريحان البهروني " تحقيق ما للهند " فقد كان فريدا في ما به وقد اعتدت  
عليه في الجوانب المتعلقة بالعقائد الهندية وطقوسها . الخ .

واني اعترف ان هذا الموضوع الششعب لا يمكن أن يوفى حقه بمؤلف واحد  
لكثرة أبحاثه ومباحثه المتنوعة ولتعلقه بالعقائد والطقوس والشعائر والقوانين الدبرية  
والعادات والتقاليد والاخلاق والمعاملات وما الى ذلك وهذا ما يترتب عليه دراسة  
جميع الكتب التي تتناول هذه المواضيع لدى جميع النحل التي تعتق أصول  
الرهينة في العالم ما يصحب والحالة هذه حصره في كتاب واحد .

لهذا فقد اخترت الجانب العقدي من هذا الموضوع لالتصاقه بالشخص التخصصي  
الذي توخيته وقد حاولت قدر استطاع طس الجوانب المتعلقة به ودراسة آثاره وربطها  
بالقوانين المرصية . وذلك بعد استعراض عوامل النشأة معتدا على المنهج الموضوعي  
التحليلي النقدي والتاريخي . . . . . وقد قست الموضوع الى : مقدمة ، وتبهد وسبعة

ابواب :

١٤ المقدمة : فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وهدفه ، وأسباب اختيارى له .

وقد اشتمل التمهيد على : تحليل للرهينة لغة واصطلاحا ، وأهمية الجانب العقدي في التعرف اصطلاحيا ، وتطرقنا الى عوامل الخوف والرهبة في الحياة البشرية طرا بأهم النظريات الباقية في نشأة الدين وأثره . وبينت رأى الاسلام في هذه القضية .

كما اشتمل الباب الاول على : الرهينة المصرية القديمة وقد قسمته الى ثلاثة فصول : تحدثت في الفصل الاول : عن العقائد المصرية البدائية وتطورها وكيف انتقلت من عبادة الظواهر الطبيعية الى عبادة الحيسوانات وصولا الى تأليه البشر ، والاسباب الكامنة وراء ذلك . وتطرقنا الى عقيدتي اليوم الاخر وتناسخ الارواح عندهم .

١٥ الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن بؤار نشأة الكهان والرهبان وبينت أهمية الكهنة في ذلك المجتمع وبواعث نشأتهم والصور الاولى للتمثيل وديانات الرهينة والظواهر التمهيدية فيها .

١٦ الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن مبادئ الرهبان وطوبهم وطبقاتهم وتطرقنا الى اوصافهم كما اوردتها بعض المخطوطات وتحدثت كذلك عن حصر العلوم وفنون المعرفة بهذه الفئة واستغلالها في تنفيذ الطارب .

وانتقلت للحدث عن طبقات الكهنة وسهامهم والامتيازات والمخصصات التابعة لهم وقارنت بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان ، وبينت ان هذه الرهينة كانت مقدمة لمن جاء بعدها .

١٧ الباب الثاني : فقد تحدثت فيه عن الرهينة الهندوسية وقسمتها الى تمهيد وخمسة فصول .

١٨ الفصل الاول فقد تحدثت فيه عن العقائد الهندوسية المتصلة بالرهينة فتكلمت عن تعدد الالهة والتنظيم والكمالات وتناسخ الارواح والاتحاد والحلول ووحدة الوجود وقت بنقدها وتنفيذ حججها .

١٩ الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن الفرق الدينية والحداد الهندوسية فتعرضت للفرق التي نشأت والكتب التي يقدسونها وقوانين مانو ذات الاهمية في هذا الشأن .

٢٠ الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن نظام الطبقات الذي لا يزال قائما الى يومنا هذا وكيفية نشأته وتقسيماته والفوارق الطبقة فيه وقت بتنفيذها وبان مطالبه وآثاره السيئة وبينت كذلك أثر استغلال الهندوس له في تهريب وجودهم وهينة البراهمة كطبقة طائفة على بقية الطبقات الاخرى .



١٤ الفصل الرابع : فقد تحدث فيه عن نظام الرهينة الهندوسية وما يتخلله من مبادئ وصور وتطورت إلى المراحل التي يمر فيها الفرد أثناء حياته وكيفية تنقله من مبدئ إلى رب أسره ثم إلى مخرج في الرهينة وكيف يحل بعدها إلى ساكن الغابة وهي أطلس مرتبة من سابقاتها .

ثم بينت في الفصل الخامس : النتائج التي آلت إليها الرهينة الهندوسية .

١٥ الباب الثالث : فقد تحدث فيه عن الرهينة الجينية ، وقد مهدت له بذكر اسباب النشأة ومؤسس الحركة الذي استطاع ان يشق الطريق ضد الهندوسية ويتردد عليها ومؤسس ديانة جديدة .

١٦ الفصل الاول : فقد تكلمت فيه عن أهم العقائد الجينية وما يتصل بها بالرهينة فتحدثت عن انكار مهابيرا للالهية وان حركته كانت ردة فعل تجاه الهندوسية الطاغية كما تحدثت عن مبدأ الكارما وتناسخ الارواح والفرق بينها وبين الهندوسية في هذا الشأن والنظرية النسبية وفرضية الطردة الذرية ومبدأ الخلاص وقت بتفنيده تلك العقائد وبينت مبررها .

١٧ الفصل الثاني : فتعرضت فيه للعبادات السهلة للخلاص وبينت فيه أهمية الميوا في الرهينة وقانوناً أهماً والبعث من النساء وتطور وتبدل الأنظمة في الرهينة .

١٨ الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن الفرق الجينية وتطورات الرهينة والانقسام الحاصل من جراء الهجرة التي طرأت على هذه النحلة .

١٩ الفصل الرابع : ففيه الحديث عن النتيجة التي آلت إليها الرهينة الجينية وما وصلت اليه من حالة أدت إلى تخلي الجينيين عن مبادئهم والتزام مبادئ قائمة على امتياز الناس وأكل أموالهم بالباطل .

٢٠ الباب الرابع : فقد تحدث فيه عن الرهينة البوذية وقسمته إلى تمهيد وثلاثة فصول : ١٤ التمهيد فقد تحدث فيه عن المصادر البوذية التي تحدثت عن حياة بوذا وتناولت مبادئه والآراء المختلفة التي دارت حول شخصيته .

١٥ الفصل الاول : فقد تحدثت فيه عن العقائد البوذية وبينت الاسباب الكامنة وراء انكار الالهية كما تناولت موضوع الكارما وتناسخ الارواح والنيرفانا ومبدأ التفسير الدائم وصلته بالفكر اليوناني القديم وكذلك تحدثت عن الميوا وأهميتها عند هم وقت بتفنيدهم ونقد تلك العقائد .

١٦ الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن التطور في البوذية ونشأة الفرق ، والجانب العملي والفكري وترتيب رجال الكهنوت وكيفية دخول النساء في السلك الرهبانسي والمجايح البوذية .



الفصل الثالث : فتحدث فيه عن النتائج ونقد أسس المهرينة اليهودية هيمنت  
المساوي التي تنطوي عليها .

الباب الخامس : فيه الحديث عن الرهينة اليونانية السقديسة وقسته الى  
تسبيد واربعة فصول .

الفصل الاول : تناولت الديانة والعقائد ودور الكهان وهدايات الزهد والرهينة  
هيمنت على انتشارها ،

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العبادات وصورها ودارس الزهد فيها  
والسارسات التعبدية والطقوس والشعائر واثار الرهينة في الدارس الزهدية والفلسفية  
وفي الفصل الثالث : تحدث عن أهم الدارس الزهدية كنحلة ارفيوس وفيثاغورس  
وايزيس وستراس هيمنت صلة الرهينة بها .

الفصل الرابع : هيمنت فيه اثار الرهينة في الفلسفة اليونانية ، وكيفية انتقال  
الفلسفة الى المسيحيين واعجابهم بها واعتاد هم عليها .

الباب السادس : فالحديث فيه عن الرهينة اليهودية

وقسته الى تسبيد وتسعة فصول :

تحدثت في التسبيد عن هدايات الكشف عن فرقة القمرائيين أو " الاسينيين " ،  
وتعرضت للخلاف حول تسميتهم وكذلك الأماكن والآثار والخطوط المكتشفة الخاصة  
بهم ، والمحاولات التي قامت للتعرف على تاريخهم وهويتهم .

الفصل الاول : فيه الحديث عن الحاشين السياسية والدينية في عهد  
اليونان والرومان . واثرها على وضع اليهود .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العقائد اليهودية ونقدها وتعرضت فيه  
لوقوف اليهود من اللاهوتية والانبياء والرسول وعقيدة اليوم الاخر .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن اسفار اليهود المقدسة عند هم ونقد هـا  
وتعرضت لتقسيم التوراة وتاريخ التأليف والتدوين واللغة .

الفصل الرابع : تكلمت عن رجال الدين اليهود من كهنة وكتبة هيمنت دورهم  
في المجتمع اليهودي وأثره

الفصل الخامس : فيه الحديث عن الفرق اليهودية وقد احصيت فيه خمس  
فرق قديمة كانت موجودة اثنا نشأة القمرائيين .

الفصل السادس : تناولت فيه عقائد القمرائيين واختلاف العلماء حول هـذا  
الموضوع هيمنت فيه ان هذا الموضوع لا يزال يكره يحتاج الى مزيد من الوقت للوقوف عليه  
واعطاء الحكم النهائي فيه .

الفصل السابع : فتناولت فيه عاداتهم وبعض طقوسهم -

الفصل الثامن : فيه الحديث عن الانظمة والعبادات والعبادى .

الفصل التاسع : نقدت فيه العبادى والانظمة هيمنت الترابط بين رهينة

القمرائيين والجماعات اليونانية وانها تعتبر صلة وصل  
بين الاديان الوضعية واهل الكتاب .

الم الباب السابع : ففيه الحديث عن الرهبانية المسيحية خاتمة السلسلة -  
وفيه تمهيد وتسعة فصول .

الفصل الاول : فيه الحديث عن العقائد المسيحية ونقد ها وتحدثت عن أسس  
هذه العقائد ومدلولات التثبيث عند النصارى وملابسات حول الابوة والبنوة كما بينت  
خطأ هذه المفاهيم .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية  
فمنها العوامل السدائية التي ادت الى اختلاف النصارى حول المسيح عليه  
السلام ورسالته وكذلك العوامل الخارجية واثار الفلسفات والاديان الوضعية فسي  
النصرانية كما تحدثت عن الجهة المستفيدة من هذا الانحراف وبينت دور الرهبان  
في ذلك .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن الاسس العقدية المتصلة بالرهبانية كالصلب  
والفداء والحلول والاتحاد ، وكيف اتخذت هذه العقائد كستند لتبرير حياتهم  
وقوانينهم الخاصة . ونقدت هذه الاسس .

الفصل الرابع : فيه أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس  
البشرية ، وموقفها من الزواج والمرأة واثربولس في هذا الشأن . وقامت  
بنقد هذه النظرة وبينت موقف الاسلام من هذه القضايا .

الفصل الخامس : فيه أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية وبيان كيفية  
النشأة الاولى ومفهوم اتباع المسيح الاول للشهادة . وكيفية الانحراف عن هذا المفهوم  
فيما بعد .

الفصل السادس : فيه الحديث عن بعض الانظمة والقوانين الديرية وامثلة  
منها ، وتعرضت للتنظيمات الاولى واسباب سرعة انتشار الرهبنة وازدياد عدد  
الرهبان ، وبينت اثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية وكذلك الحديث  
عن الاثار السيئة المترتبة على المغلو في الرهبانية كما ناقشت بدأ النذور الثلاثة  
وهي القاسم المشترك بين انظمة الرهبنة في العالم وقمت بنقدها وبينت الاثار السيئة  
المترتبة عليها .

الم الفصل السابع : ففيه الحديث عن أثر استغلال الكنيسة للرهبانية ، وكيف  
نشأت فكرة الكنيسة وتطورها واداء الكنيسة بالسرهبان واهمية الاسقف عندهم وكيف  
تطور مفهومه الى سبي البابا وبينت كذلك اهم الشخصيات البابوية التي اعتلت  
هذا الكرسي وبينت الطغيان الروحي والديني والطاوى والاجتماعي واثار الصراع  
بين العقل والرهبانية ومدى الطغيان السياسي والاثار الاقتصادية المترتبة عليه .

الفصل الثامن : فيه الحديث عن موقف الكنيسة المعادى للاسلام وبينت  
اثاره السيئة ، فتحدثت عن الحروب الصليبية وكونها دعوة محمومة من قبل اكابر الرهبان  
وكذلك السحت الى التبشير كأكبر اداة للنيل من عقائد المسلمين وما يترتب عليه من  
آثار .

الباب الثامن : تحدث فيه عن اثر الرهينة في البدع الضالة والعرق المغالبي  
المنسوبة للاسلام ، وبينت فيه خطورة هذا التأثير والمشاكل الناجمة عنه .

الباب التاسع : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة  
وقد قسمته الى فصلين :

الفصل الاول : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة في الاديان الوضعية . وأظهرت  
فيه المساوئ الحاصلة من جراء انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الغربي حديثا . وواجب  
الدعاء والعلم المسلمين تجاه هذه القضية .

الفصل الثاني : بينت فيه موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية وحكمه عليها ، وتعرضت  
للآيات الواردة في هذا الشأن والاحاديث النبوية الدالة على معارضة الاسلام لها .  
وكذلك اراء العلماء في هذا الشأن . كما بينت معنى البدعة . . . . وان الرهبانية  
بدعة حقيقية في الدين لم تكن موجودة أصلا في شريعة عيسى عليه السلام .

كما ألمعت الى أهمية مفهوم الاسلام للحياة والمجتمع . وأوضحت المعنى الكبير  
الذي يحمله الجهاد الاسلامي وهو البديل عن المفهوم السلمي الذي تحمله الرهبانية  
وأوردت الاحاديث الشريفة الدالة على ذلك .

اما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا  
الموضوع .

والله أسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . ذبا عن دينه ووفاء  
بحقه . وأن ينفع به مسدد على طريق الحق خطانا ، والله مولانا نعم المولى ونعم  
النصير .

هذا ولا يغوتني ان أذكر بالشكر والعرفان تلك الجهود الحثيثة التي بذلها  
فضيلة الدكتور محبوب أحمد خفاجي تجاه هذا البحث . فقد جاءت تلك اللسان العلمية  
واللغات البهامة نتيجة اشرافه وتوجيهه الدؤوب . كما لم يهمل على بالعلم والوقفت  
وقد أفدت من ذلك كثيرا . وهذا أمد البحث من سائل طيبة سديدة كان لها الاثر  
البالغ في اكتمال عقد هذا الموضوع على النحو الذي توخيته .

فجزاه الله تعالى عني وعن طلبه العلم خير الجزاء ونفع به الامة وأجزل له المثوبة  
والعطاء في الدنيا والاخرة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

كما اقدم شكري وتقديري للقائمين على جامعة ام القرى والى كل من اسهم  
في مساعدتي لانجاز هذا البحث .

محمد . . . . . فاني أتبرأ من حولي وقوتي الى حول الله تعالى وقوته . فمما  
أصبت فيه فمن الله تعالى وتوفيقه . وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان . وهذا  
البحث جهد بشري فمن وجد فيه خلا فليصلحه وله مني جزل الشكر .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والله ولي التوفيق .

التحضير :

أ - الرهينة : لغة ، واصطلاحاً

ب - عوامل الخوف والرهبة

في حياة البشر

## أ - الرهينة في اللغة :

ترتبط الرهينة لغة بالمعاني التالية :  
 الخسوف ، الاضطراب ، الانقطاع ، التعطيل ، والزهد .  
 واصل المادة ، الراء والهاء والباء ، فيقال : ( رهب ) بكسر الهمزة  
 من باب علم<sup>(١)</sup> ، وهو ما فعل لازم فيأتي المضارع منه ( يرهب ) رهبة ورهبا . قال الله  
 تعالى : ( لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ )<sup>(٢)</sup> .

ويأتي متعديا : ( استرهبه ) أي أخافه وأرهبه قال تعالى :  
 ( وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاوُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ )<sup>(٣)</sup> ! واسم الفاعل من رهب : ( الراهب )  
 أي الخائف ، كما يطلق على المترهب في الأماكن الخاصة ، المتخذ طريقة  
 الرهبان ، وعند النصارى من تهبط لله واحترل الناس إلى بعض الأديرة طلبا  
 للمعبادة والموت من ( راهبة )<sup>(٤)</sup> .

ويجمع راهب على رهبان . قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا  
 مِنَ الْأَثَارِ وَالرُّهْبَانِ لَكُنَّ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ... )<sup>(٥)</sup>  
 وقال امرؤ القيس :

أنت حجج بعدى طيها فاصبحت كخط زبور في محاف رهبان<sup>(٦)</sup>

١ - تاج المروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ١٠ / ٢٨٠ - ٢٨١

دار مكتبة الحياة - بيروت ، ط ١٣٠٦ هـ

٢ - سورة الحشر : ١٣

٣ - سورة الاعراف : ١١٦

٤ - محيط المحيط - بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، مكتبة لبنان بيروت ط ١٩٧٧

٥ - سورة التوبة : ٣٤

٦ - ديوان امرؤ القيس - محمد ابو الغضل ابراهيم ص ٨٩ ، دار المعارف

بصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩ .

وتجمع راهبة على راهبات . ويجوز ان يطلق الرهبان على الفرد ايضا قال الشاعر:

لو كنت رهبان دير في القلل      لانحدار الرهبان يسمى فنزل (١)

وتأتي الصفة المشبهة منه على وزن فعْلان (٢) : رهبان ، بفتح الراء ، اى :  
البالغ في الخوف (٣) ، كعطشان والمؤنث منه رهبانة ، وجمعها : راهبات .  
ويجمع رهبان على رهابين ورهابنة (٤)

والفرق بين الراهب والرهبان كالفرق بين اسم الغاط والصفة المشبهة .

والرهبنة : اسم من معنى الراهب : اى اتخاذ طريقة الرهبان (٥)  
وهي من ( فعلنة ، أو فعللة ) على تقدير أفعال النون وزيادة تها (٦) ، وقد تطلق  
على الرهبان انفسهم مجازا ، (٧)

والرهبنة طامة تشمل الاديان الوضعية ( من هندوسية وبوذية وغيرها )  
وكذلك اهل الكتاب من ترهبوا بحد رجون تحت هذا الباب .

والرهبانية : هي طريقة الرهبان من المسيحيين ، وهي منسوبة (٨)  
الى الرهبنة بزيادة الالف ، وأصلها من الرهبة ثم صارت اسما لفعل عن التقدير  
وافرط فيه . (٩)

قال الله تعالى : ( ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا  
مَا كَتَبْنَا هَآءَا عَلَيْهِمْ إِلَّا الْإِتْقَانَ رَضُوا اللَّهَ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رَهَابَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ) (١٠)

١ - لسان العرب ، جمال الدين محمد بن منظور ٤٣٦/١ - ٤٣٨ ، دار  
صادر ، بيروت ١٣٨٨ هـ .

٢ - شرح الكافية الشافية : محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي ٢٢٢٦/٤  
ت : د . عبد المنعم هويدي ، دار الطامون للتراث .

٣ - محيط المحيط : بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، وانظر : نقمة العديان فيما  
جاء على السفعلان لابي الفضل العاظمي ص ٢٢ .

٤ - المفردات في غريب القرآن : ابو القاسم " الراغب الاصفهاني " ص ٢٠٤

٥ - دائرة معارف البستاني - بطرس البستاني ٦٨٧/٨

٦ - لسان العرب ٤٣٦/١ - ٤٣٨

٧ - محيط المحيط ص ٣٥٤

٨ - النهاية في غريب الحديث والاثرا لابن الاثير الجزري ٢٨٠/٢ - ٢٨١

٩ - لسان العرب : ٤٣٦/١ - ٤٣٨ وانظر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام  
د . جواد علي دار العلم للملايين ٦٤٣/٦ ط ١٩٨٠ .

١٠ - الحديد : ٢٧

وفي سند الامام أحمد بروايته عن عروة ( يا هشان ان الرهبانية لم تكتسب

طينا ) ( ١ )

وبلاحظ ان النسخ القرآني يذم اولئك الذين ألزموا انفسهم بما لا تقوى  
على الوفاء به ، فوقعوا فعلا في هذا المحذور وهو عدم رطية ما التزموا به حسب  
الرطية فكأنهم كالمستهزئين .

وما ان زيادة الجنى تدل على زيادة المعنى فقد جاء اللفظ القرآني  
بكلمة ( رهبانية ) ليدل على التكلف والتعنت والمشاق في العبادة التي سسار  
عليها الرهبان المسيحيون .

وطيه تكون الرهينة طامة والرهبانية خاصة .

فكل رهبانية رهينة وليس كل رهينة رهبانية فبينهما عموم وخصوص مطلق  
ان تجتمع الرهينة في رهينة الاديان الوضعية ورهينة اهل الكتاب وتنفرد الرهبانية  
باهل الكتاب فقط ، والله تعالى اعلم .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض العلماء يستعمل كلا اللفظين  
بمعنى واحد ، وذلك للتداخل الحاصل بين الرهينة في الاديان الوضعية  
وبين الرهبانية عند النصارى ، وهذا من باب التجوز .

وفي منهج هذا البحث فغلت اطلاق الرهينة على ما يختص منها بالاديان  
الوضعية وقصرت لفظ الرهبانية على ما اختصت به النصارى ، وهو اللفظ  
الوارد في القرآن الكريم . كما اخترت لفظ ( الرهينة ) في العنوان ليشمل  
كل من التزم بهذا السلك .

---

١ - سند الامام احمد باب النكاح ٢٢٦/٦ ، الكتب الاسلامي .

وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد في قصة هشان بن مظمون رضي الله  
عنه فقال : ( واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ان اخشاكم ) اسندها احمد  
ووصلها البزار برجال ثقات ( انظر مجمع الزوائد وضيع الفوائد للحافظ ابي بكر  
الهيثمي بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ٣٠١/٤ ، دار الكتاب العربي  
بيروت لبنان ط ٣ ، ١٤٠٤-١٩٨٢ )





### أهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي :

لعمل ما يلتفت النظر في حياة الراهب ، ذلك الجو القائم الذي يلف كيان السالك في هذا الطريق ، وذلك نتيجة لطائفه عقيدته عليه ، تلك العقيدة التي أوحى بها صناع الكهانة والرهينة عبر التاريخ ، فالعقيدة هي الأساس الذي يبنى الراهب عليه تحركه وسلوكه ، ولولا هذا الجانب بالذات لما وجدت صور الفلوات التي مارسها الرهبان في ظل حياتهم الخاصة .

وقد شهدت المصور الأولى جاهلية بشرية ، أفضت إلى إهتار الظواهر والقوى الطبيعية التي بثها الله تبارك وتعالى في الكون هي المتصرف في شؤونه وتدبير أمره ، ولهذا فقد تقدم الإنسان نحو هذه القوى بالقرابين والأضاحي والنذور تقرباً إليها وحذراً من بأسها وخطرها عليه . (١)

ولهذا كانت رسالة الرسل عليهم السلام رسالة تبشير وإنذار ، قال تعالى :  
( كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَنَذِيرِينَ ، وَأُنْزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) . (٢)

فكان الانذار لتصحيح ذلك الانحراف الذي هدد جميع الأمم السالفة والسابقة للإسلام ، ( إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) (٣) والانحراف ناجم عن ذلك الاختلاف بسبب الحسد والحرم على الدنيا والذي أفضى إلى البغي والعدوان . وعقب كل رسالة كان هذا الانحراف ظاهرة بارزة فسي تلك الشعوب وكان من وراء ذلك طامع مهم في تبشير هذه الدفة فقد ظهرت طبقات رجال الدين المتشعبة أولاً بالكهنة ، والمنتبهة أخيراً بالرهبان وطس بالاكليروس فيط بعد ، وكانت هذه الفئات تضع ط شامت من عقائد شركية وتشريعات وضعية تمخض عنها مبادى وأنظمة مغلفة بشعار وشعارات وطقوس ، منها ما اختص بالأديان الوضعية ، كالفرعونية والهندوسية والبوذية وغيرها ، ومنها من اختص بأهل الكتاب كاليهودية والمسيحية ، اللتين حرفتا عن أصلهما الصحيح .

ومن خلال تلك التعاليم بدأت الصور البدائية للترهب تظهر على بعض الافراد المتعدين هرباً من هذه الحياة حذراً من الوقوع في المكروه أو من ارتكاب محظور ، وقد أحات حياة الكآبة هذه نفسية هؤلاء الى كابوس مرعب وتركتهم في حيرة واضطراب ، وهكذا اصطنع الإنسان لنفسه شعباً مخيفاً أشاع في نفسه يقسطة وحذراً من أي تصرف مشين لا يليق بحق معبوده ، أيأ كان ذلك المعبود .

١ - راجع " تاريخ الأديان وفلسفتها " طه الهاشمي ص ١٠-١٢ ، ط ١٩٦٣ ،

٢ - البقرة : ٢١٣

٣ - فاطر : ٢٤

٤ - راجع : فتح القدير للشوكاني ١ / ٢١٢ ، ط ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م مصر

وقد افرد منهم ينظر الى المحسوسات نظرة ازدراء واحتقار ، فأصبح يفسر من أدنى شيء يمت الى هذه الحياة بصلة .

وطيه فإن هذا الموقف الحسطنع والحوئل في السلبية أدى بدوره الى انعكاس خطير في السلوك العام نتيجة الضغوط المستمرة من قبل القاضين على هذه الطقوس .  
ما استتبع التقل من أعباء الحياة عن طريق الامتناع عن المتع يشق أنواعها .

فالتعام والشراب والطذات - في عرف الراهب - تثقل الجسم وتدعوه السي الركود والكسل ، وتغريه بالانغماس في الشهوات<sup>(١)</sup> . ما يستتبع تقوية الغريزة الجنسية والتعلق بالنساء كما يقضي الى السعي وراء المادة واكتناز الاموال والتنافس في الحياة ، وهو ما يؤدى الى فساد البشرية ، وهلاكها . ولدرء هذه المخاطر ، لابد من الابتعاد عن جميع هذه المظاهر ، والانعزال في أماكن نائية بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها والاكتفاء بالنذر القليل من المأكول والشرب<sup>(٢)</sup> . مع التحرر من ثقل الثياب وشيئها الى خفيها وبسيتها والاصرار على الرثاء لظهور التقشف والانكسار أمام المعبود والا نقطاع اليه وترك الدنيا ومن عليها .

ومن خلال هذا كله يلاحظ . سرمان الطابع الديني بكل مظاهره العقائدية والفكرية ، ولولم تكن كذلك ما ترتب على الجانب السلوكي أى مظهر من مظاهر الفلـو والانحراف .

وما لاشك فيه أن صرامة الشهج العقدي الذي يخلف الرهبة له من القسوة ما يحيل السلوك الى التطرف والفلو .

فمن استقراء أنماط وصورة الرهبة المغطفة يتاح لنا التعرف على هذه الحقيقة وقد لا يبدو غريبا حرمان النفس من بعض المتع ، والتقل منها ولكن الغرابة تكمن في الفلو الذي يمارسه الرهبان لاداء طقوسهم ، وقد تصل درجة الفلو الى الحد الذي يخرج عن المألوف ، فالنوم في المستنقعات لتعذيب النفس وقهر الجسد ، والتعبس على رجل واحدة وحمل قنطار من الحديد وأكل العشب والكلاء وعدم غسل الرجلين طيلة العمر وربط الجسد بسلسلة في غار كل ذلك من شأنه إعطاء صورة واقعية للحياة الصارمة التي يعيشها الرهبان في ظل مذاهبهم وعتائهم المختكة .

ومن ذلك يمكن الخروج بالتعريف الاصطلاحي للرهبنة :

فهي نزعة عقائدية ودينية تحدد فكر وسلوك الراهب ، وتفرض عليه الاشتغال بخدمة معبوده وتبني على النذور الثلاثة : الفقر ، البتلة ، وطاعة رئيس الدير ، تشمل الرجال والنساء وقد عرفت مسند القدم في مصر الفرعونية ، والهند هند الهندوس والبوذيين وانتقلت الى اليهودية والمسيحية عبر اليونانية وقد رفضها الاسلام .

١ - راجع : مستان الرهبان لآباء الكنيسة ص ١٩١ ، ط ٢

٢ - راجع كتاب : " نسكيات " لاسحاق السرياني ص ٣٣ و ٤١ ط ١٩٨٣ لبنان

٣ - المرجع السابق ص ١٢٠

ب - عوامل الخوف والرغبة في الحياة البشرية :

مهما يكن من أمر فإن صعوبة البحث في تحديد العصور الأولى لنشأة الرهينة تجعل الباحث مرفطاً على التطرق لموضوع الدين وأثره في حياة البشر . لأن عامل الخوف نابع إما من الاخافة الناجمة عن أثر الدين في النفس البشرية ، أو الاخافة الناجمة عن القوى الطبيعية في الكون .

وملا شك فيه أن هناك فرقاً شاسعاً بين الاخافتين ( ... ) فالاخافة الناجمة من القوى الطبيعية تصدر دون تمييز ودون سابق انذار ، وهي بذاتها مجلبة للرعب الفشوم ، أما الاخافة المعبر عنها في الاديان السطوية ، فهي بمثابة تحذير وتنبه من أجل المصلحة الخافية للانسان .

وبالاضافة الى ذلك فإن الاخافة الصادرة من الاديان السطوية هادفة تبتغي تصحيح السلوك أو تجنب الوقوع في الاخطاء وليست كذلك الاخافة الصادرة من القوى الطبيعية ( ١ ) .

وقد ظلت هذه الحقيقة عن كثير من الباحثين خاصة الغربيين الذين تخطبوا في تفسير نشأة الخوف والرغبة في نفوس البشر . في حين أن الاسلام قد اعطى الانسان الاجابة الحقيقية عن كثير من التساؤلات التي طرحها البشر في هذا الصدد .

وفي مجال طم مقارنة الاديان ظهرت كثير من الابحاث المستغنية لاجل بعض الجوانب الخافضة التي اكتنفت الحياة التعمدية البدائية لدى البشر . الا ان بعضها قد انحرف عن السار الصحيح لعدم قياسها على الاسس العلمية الدقيقة ، وذلك نتيجة لسلاهداف السبقة التي توغتها هذه الدراسات والغضبة الى التشكيك بالدين الصحيح ، وضرب مفهوم الالهية في تفكير الناس ، واشتات العبادة الاسطورية .

وباستقراء النظريات التي تسوغل اليها الباحثون في مضمار نشأة الدين وأثره في حياة البشر ، نجد أنها تنقسم الى قسمين :

---

١ - الاسلام بين الاديان ، د . محمد كمال جعفر ، ص ٣١-٣٢ ، مكتبة دارالعلوم مصر . وكذلك راجع له : الانسان بين الاديان : ص ٦٨-٦٩

اولا : النظريات الموهبة (١) ثانيا : النظريات التطورية (٢)

وقد قام النزاع بين أصحاب النظريتين ، وقد م كل خطا دعواه موهبة بالبراهين والحجج التي يملكها .  
وليس من مهام البحث هنا الخوض في أدلة الفرق المتنازعين ، الا ان الواجب في هذا التمهيد ايجاز الفكرة الاسلامية حول هذه القضية ، لانها تشكل مفتاح الحل لكل المشاكل التي اعترضت وتعترض تفسير " نشأة الدين " واثره في الحياة .  
كما أن في تسليط الضوء على هذا الجانب ، سبيلا للولوج الى لب الموضوع والدخول اليه .

١ - النظريات الموهبة :

وهي تذهب الى ( أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، . . . وأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الموثبات ان هسي الا اعراض طارئة أو امراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .  
وهذه نظرية " فطرة التوحيد وأصالة " التي انتصر لها جمهور من طما<sup>١</sup> الاجناس ، وطما<sup>٢</sup> الانسان ، وطما<sup>٣</sup> النفس ، ومن أشهر مشاهيرهم " لانج " . الذي أثبت وجود عقيدة " الاله الاطى " عند القبائل الهسجية في أستراليا ، وافريقيا وأمريكا . ومنهم " شريدر " . الذي أثبتها عند الاجناس الآرية ، وروكلمان . . . . الذي وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولوروا . . وكاترفاج . . عند أقزام أواسط افريقيا الشرقية . وشهدت عند الأقزام . وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية .  
وقد انتهى بحث شيدت الى أن فكرة " الاله الاعظم " توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية ) . : " الدين " د . محمد عبد الله دراز ص ١١٢-١١٣ ، طبعة السعادة ، مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . وكذلك " تاريخ الاديان وفلسفتها " . طه الهاشمي ، ص ٣٩ ، وطبعها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ م . وكذلك " نشأة الدين ، للنشار ص ٣١-٣٢ ط ١٣٦٨-١٩٤٩ م و : الاسلام بين الاديان د . محمد كمال جعفر ص ٤١-٤٨ وله ايضا الانسان بين الاديان ص ٧٩ ، ط ١ ، قطر

٢ - النظريات التطورية : ( وهي تذهب الى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم ان عقيدة " الاله الاحد " عقيدة جد حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي .  
وهذه النظرية نادى بها أنصار ذهب " التطور التقدمي أو التصاعدي " الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان د . من الحلط<sup>١</sup> منهم : سينسر . . وتيلور . . وفريزر . . ودوركايم . . وغيرهم ) : " الدين " ص ١١٢ وكذلك : تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٥٦ وطبعها  
ونشأة الدين ص ٣١-٣٢ وكذلك : علم الاجتماع الديني . د . زيدان عبد الباقي ص ١٤٧ وطبعها ، مكتبة غريب ، القاهرة . وكذلك : الانسان بين الاديان ص ٨٦

فوجهة النظر الاسلامية تؤكد على ان الدين الحق المنزل من عند الله هو  
المصدر الاول لخوف ورهبة البشر ، بل وسعادتهم وخلاصهم في الدارين .

ذلك لان الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق جميعا - وهو اطم باحوالهم -  
لغاية عظمى ، ورسالة عظمى ، وانه جعل للانسان السمع والبصر والنفوس ، واستخلفه  
في الارض ليكون مسوؤلا امامه يوم القيامة عن كل ما قد مت يداه .  
( يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ) (١)

وعلى خلاف المذاهب والاراء الفكرية الداعية الى التشكك والالحاد فان  
النصوص القرآنية تدل على جملة حقائق منها :

اولا : ان الله تبارك وتعالى قد علم الانسان ولم يتركه جاهلا :  
( الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ طَّهُهُ الْبَيَانَ ) (٢)  
فالبيان هو مفتاح العلم ، لانه يعني اللغة بالفاظها ومعانيها .  
ثانيا : ان الناس جميعا - منذ خلقهم الله وهم في عالم الذر - مخطوون  
على التسليم بربوبيته سبحانه :

( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ طَسَى  
أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا قَافِلِينَ ) (٣)

ثالثا : ان لدى الانسان الاول من العبادىء الضرورية للعلم والمعرفة  
ما يمكنه من السير في هذه الحياة وفق تقدير الله تبارك وتعالى :  
( وَطَّمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ  
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِإِلَّا مَا طَعَّمْتَنَا  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنُطِّمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُطِّمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تُكْتُمُونَ . . ) (٤)

رابعا : ان قدرا كبيرا من المعرفة والتمييز بين الخير والشر قد اكتسب  
تلك الحياة الاولى بما يستتبع معه عناصر الخوف والرهبة :  
( وَأَنَّا طَعَّمْنَاهُمْ نَبِيًّا أَنبَى آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِن  
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا قُتْنُكَ قَالَ إِنَّا طَعَّمْنَاهُ اللَّهُ مِمَّن  
الْحَقِّ لَكِنَّ يَسْطَتِ إِلَيَّ يَدُكَ لِيَقْطَنِي مَا أَنَا بِمَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ  
لَا قُتْنُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ) .

١ - النبأ : ٤٠ ٢ - الرحمن : ١-٤ ٣ - الاعراف : ١٧٢

٤ - البقرة : ٣١-٣٢ ٥ - الطه : ٢٧-٢٨

هذه الحقائق القرآنية الناصحة توضح لنا خصائص النشأة البشرية الاولى ،  
وان الالهام والوحي هما من عند الله تعالى ، وان العلم والمعرفة كانتا منذ البداية  
مواكبتين لتلك الحياة التي عاشها الانسان على وجه البسيطة .  
كما توضح هذه الحقائق ايضا ان الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها  
انما هي فطرة الايمان به والخوف منه والتسليم له .  
هذا التسليم الحقرون بالاعتراف الذي أقره الانسان وهو في عالم السذ ر  
يبقى مع الانسان الى آخر حياته مهما كان اعتقاده ومهما اختلفت شأريه ، حتى  
اولئك الذين التزموا مبدأ الالحاد تراهم في ساعات المحنة والشدة مضطربن الى  
اللجوء لما جحدوا به من قبل يستغيثون ويستجدون به ، وهذه طبيعة البشر .  
يقول الحق تعالى ( وَإِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ الْضُّرُّدَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَالُوا فَلَمَّا  
كُشِفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّسَهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )<sup>(١)</sup>  
وقال تعالى ( وَإِذَا سَأَكُمُ الضُّرُّفِي الْبَحْرِفَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ الْفِي  
الْبَحْرِفَعَرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا )<sup>(٢)</sup> وهذا دليل على عجز الانسان وقدره الخالق تعالى .  
فـالخوف اذاً يولد مع البشر ، وليس على وجه الارض كائن بشري لا يخاف  
وليس عليها من ينكر ذلك . وتلك مشيئة الله في الخلق .  
وقد رأينا ان الرسل الكرام جاؤا بدين الله مبشرين ومنذرين كي لا يكون  
للناس على الله حجة يوم القيامة مع ما يحل هذا الانذار من تخوف مصحوب بالتهديد  
والوعيد .  
وهكذا نرى ايضا ان الهدف من ارسال الرسل تجديد الايمان كلما فتت  
همة الناس واهترتهم أمواج الجهل وتفتت فيهم روح الوثنية والالحاد .  
وفي هذه الفترات المظلمة من التاريخ البشري ، البعيدة عن منهج الله  
تبارك وتعالى ينبغي أن نقف قليلا طنا نجد خالتنا المتسلسلة بسمرغور بعض العقائد  
المنحرفة والعبادى الغالية عن الجادة ، لنرى الاسس المعقدية لظاهرة الرهينة .  
وفي ظل الجاهلية الاولى شهد العالم نشوء الاساطير والخرافات ، وقامت  
فئة من البشر لتقيم حاجزا في وجه الايمان ، وادعت أنها هي الواسطة بين الخلق  
والخالق ، فعنها نشأت الانحرافات المعقدية ، وتكونت في ظلها ما يسمى بالكهانة  
والرهينة وما دعى باسم رجال الدين أو الكهروس . وحيكت حولهم هالات براقة  
طمسوا لحقيقتهم الخادعة . ومن أجل ذلك كان لابد من كشف هذه الاقنعة  
راجين المولى عز وجل التوفيق .

٢ - الاسراء : ٦٧

١ - يونس : ١٢

٣ - انظر : " وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس الىه " ، د . محمد الزحيلي ص ٣٨-٣٩  
دار القلم ، ط ١ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م . حول عجز الانسان والفرقة الدينية فيه



## الباب الاول :

● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

## الرهنينة الجريبة القديمة

## الفصل الاول :

### "العقائد وتطورها"

لا بد قبل الخوض في السار الذي خطته الرهينة المصرية القديمة من الاقرار بأن الرهينة عموماً قد مرت باطوار متعددة وصلت بعدها الى المفهوم والمصطلح المتعارف عليه حالياً ، ولم تأخذ بادىء الامر شكلاً معقداً كالذى نراه اليوم ، بل مرت بـ <sup>(١)</sup> ~~مسرحية~~ الكهانة وضروب التنجيم والسحر والشموعة والعرافة وذلك في كثير من الامم الاولى التي انحرفت مبادئها العقديّة عن الحق . .

وقد اخذت الكهانة حيزاً كبيراً من التاريخ البشرى القديم للمبهم التي كانت مناطة بالكاهن . ونستطيع القول : ان الكهانة كانت بداية طبيعياً للرهبنة البدائية . ذلك لان المعارف والعلوم يشتق انواعها كانت تنسب الى الكهنة سدنة المعابد والقائمين على الشؤون الدينية في الامم التي ارتضت لنفسها انتحال العبادات الوثنية . وقد وجد من بين هؤلاء الكهنة من ينمزل وينفرد بمعبداً من الاجواء الدينية ويترهب ، وطيه فان الصلة كانت متداخلة بين الكهانة والرهبنة .

ونظراً لهذا الترابط فانه يحسن التعرف على الكهانة المصرية من خلال الوقوف على معتقداتها الفكرية التي نسجت في العقول قروناً من الزمن .  
اولاً : عبادة الظواهر الطبيعية :

فقد إتجه المصريون القدماء الى تقديس وعبادة جميع الظواهر الطبيعية <sup>(٢)</sup> وتلجوا في هذه العبادات ابتداءً من عبادة الجراد مروراً بعبادة النيات والحيوانات وصولاً الى عبادة وتأليه البشر ، .

- فعبادة الجادات شطت : الكواكب والنجوم والاجرام السماوية كالشمس

وكان يطلق عليها هذه الاسماء منها : رع ، وآمون ، وآتون ، وغيرها على انها

إله أو رمز له تعبد وتقدم اليها القرابين والندور .

وكانت نظرتهم الى الشمس نظرة تقدير على اعتبار انها المصدر الرئيسي

١ - الكهانة : بالفتح وتكهن تكهناً : قضى له بالغيب فهو كاهن . ج : كهنة

وكهان ، وحرفته الكهانة بالكسر ( القاموس المحيط ٢٦٦/٤ .

والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر من الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار ( لسان العرب لابن منظور ٣٦٢/١٣ - مادة كهن .

ولم تخل امة من الامم في القديم من الكهان . . . وقد ابطل الاسلام هذه البدع وانكرها وعاربها ، ( الموسوعة العربية الميسرة ١٤٩١/٢ ) .

٢ - راجع ديانة قدماء المصريين ، استيندرف ، ت : سليم حسن ص ٢٩

٣ - راجع : الانسان في ظل الاديان ، د . طارة نجيب ص ١٤١ مكتبة المعارف الرياض . ١٤٠



للحياة والنط\* ، إضافة الى قيامها بوظائف اخرى كطرد العواصف وابعاد السيول  
والامطار وتحطيم السحب التي تلحق الضرر بهم (١)

- وفي تطور آخر نجد أن قصص الخلق قد استلهمت من النيل (أوزيريس)  
وأن هذه القصص كانت تشير دائماً الى أصل العقيدة عندهم .

لقد كان النيل يمثل في نظرم الإله الذي يهب الخصب والنط\* ويحل طس  
إزد هار الارض الزراعية فيزيد في محاصيلها وغلاليها وقد قيل لأوزيريس :

" انت النيل ، الإله والبشر يحيون من جريانك " (٢)

ومن هنا يتفح (أن الشمس والنيل كانا ظاهرتين أثرتا احق تأثير في سكان  
وادي النيل وأن الالهين اللذين يمكن تهنيتهم في هاتين الظاهرتين سيطرا طس

التطور الديني والعقلي منذ اقدم العصور (٣)

ثانياً : " عبادة الحيوانات "

اما عبادة الحيوانات : ( فقد قدم المصريون آنذاك الحيوانات المختلفة  
واقاموا لها التماثيل واتخذوا منها الرايات والشعارات وادخلوا تماثيلها في معابدهم  
فالعجل آبيس ، والبقرة حتحور ، هما من أقدم المعبودات لديهم . كما  
ان هناك حيوانات اخرى كثيرة عبدت الى جانبهم .

وقد تركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما  
للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الايام (٤)

لقد كانت تمثل هذه الحيوانات بالنسبة لهم رمزاً للقدرة الجنسية الخالقة  
ولم يكن العجل آبيس رمزاً لأوزير بل كان تجسيدا للاله . وكثيراً ما كان أوزير  
يرسم وأعضاؤه التناسلية كبيرة بارزة دلالة على قوته العظمى . (٥)

ويشير البعض الى انهم كانوا يعبدون هذه الحيوانات لانها ترمز الى القوة  
التي هيأت لهم النصر على الاعداء فقد كانوا يرفعون الرايات وفي أعلاها تماثيل صغيرة  
ترمز الى القوى والبطش . (٦)

١- انظر : تطور الفكر والدين في مصر القديمة . جسن هنري برستيد ص ٤٠

٢- تاريخ الحضارات العام ، : اندريه ايطار - جانين اويويه ١٩٢/١ ط ١ ، ١٩٦٤

٣- تطور الفكر والدين ، هنري برستيد ص ٤١-٥١

٤- قصة الحضارة ، ويل ديورانت ١/٢ : ١٥٧-١٥٩ ، ت : محمد بدوان ط ٣ ، ١٩٦١  
وقد طرأ برستيد هذا الرأي وأن هذا الدواب ليست من عبادتهم الاصلية .

راجع : انتصار الحضارة ص ٩٢-٩٣

٥- قصة الحضارة ١/٢ : ٥٥-١٥٦

٦- الديانات القديمة لابي زهرة ص ١٤ ، دار الفكر العربي .

أما عبادة النبسات ، فقد اتخذ المصريون أنواعا كثيرة منها وكانوا يظنون ان كل ما كان متجها نحو الشمس "أمون" فهو مقدس ويستحق قدسيته من المعبود الاطى نفسه ، الى جانب ما كانوا يرون في النبات من اثار تتمثل في الابقا\* على الحياة وسببا في قذا\* البشر ونموهم . ومن ثم تطور هذا المفهوم ليشمل عبادة النباتات ذات الاشكال الهيمندسية والالوان الزاهية النضرة ، كزهرة " اللوتس " . ولقد نبغ هذا التفكير نتيجة اشتغال المصريين بالهندسة المعمارية .

### ثالثا : - تأليه البشر :

ومن ضمن هذه التطورات كانت هناك مرحلة تأليه البشر ، واتخاذهم اربابا من دون الله تعالى ، وهذه الفترة هي اكثر اهمية واطولها عمر تلك العصور . وقد حارب بعض العلماء في الاسباب الدافعة الى تأليه المصريين للبشر . ( ١ ) الا ان البعض ارجع فكره التأليه الى النتائج التي آلت اليها عملية تنظيم الري والاشراف على توزيع المياه للزراعة بعد ازدياد عدد سكان وادي النول والتي قام بها بعض الشرفيين والمهندسين .

وقد اكتسب هؤلاء اهمية خاصة نظرا للدور الذي قاموا به ومع مرور الزمن وجد المصريون ان السيطرة على المياه اصبحت تحت ايدى هؤلاء الشرفيين ، ومع ازدياد امتيازاتهم واهميتهم بالنسبة للزراعة فقد نظر اليهم نظرة محترمة ملبثت ان تحولت الى نوع من التقديس المصحوب بآيات الشكر والتبجيل ، ليتحول فيما بعد الى اطلاق صفات الالهية عليهم . ( ٢ )

ويمكن اضافة امر آخر الى هذا كله ، : فالحروب التي خاضتها الاسر الفرعونية الاولى والانتصارات التي حققتها القت بظلالها على الناس وجعلت من هؤلاء الحكام ابطالا في نظر هذا الشعب الذي خلق عليهم من الالتقاء بالاسماء ما يفيد التأليه .

فقد كانت القوة والبطش رمزين لهؤلاء الفراعنة ، كما كان الطغيان سيطرا على عقولهم . قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام :

( اِنَّ هَبَّ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُلْ هَلْ لَكَ اِلٰى اَنْ تَزْكٰى وَاهْدِيكَ اِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى فَاَرَاهُ الْاَيَةَ الْكُبْرٰى فَكَذَّبَ وَهَوٰى ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعٰى فَحَشَرَ فَنَادٰى فَقَالَ

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (١).

وتجدد الإشارة هنا الى ان المصريين القدماء قد مرت بهم عقيدة التوحيد الخالص ردحا من الزمن وان كانت عقيدة تعدد الالهة هي التي استمرت ولصفت .

وقد ذكر القرآن الكريم ما يفيد ذلك وقد مرت الآية السابقة لتدل على هذا الامر . كما ان يوسف عليه السلام قد تولى مهام خزانة الدولة في مصر وكان أميناً عليها . (٢) كما ان موسى عليه السلام تربى في مصر وخاض صراخا عنيفا مع فرعون .

وهناك نصوص تثبت تحكم تأليه الفراعنة في نفوس المصريين من ذلك ما ورد في احدى النصوص الاثرية :

( لقد تمدح رجال البلاط ومجلس الثلاثين معا بطيبة جلالتهم ، وسجدوا مرات عدة امام هذا الاله الطيب مصلين له . . . ومتعبدين امام وجهه ، وقد مجدوا ارواحه حتى غاب السحاب ) (٣).

وقد راجت عدة اساطير حول تأليه الفراعنة كاسطورة الطفل حوروس بن اوزيريس والذي مثل بالجعمران ، واسطورة تقول ان عند حدوث الكسوف . . . تظهر الهالة الشمسية (و) يكون لها شبه قوى بجناحي الجعل ( الجعمران ) الختشرين . وكان حوروس " شمس الصلاح والبر وفي جناحيه البر " واخيرا " صعد الى السرب واصبح والاب واحدا " (٤) وهو ما يذكرنا الى حد كبير باساطير النصارى حول عيسى عليه السلام . هذا الى جانب العديد من الاساطير الاخرى التي حيكت حول الالهة الثلاثة اوزيريس ، واوزوريس ، وحوروس (٥) وهناك تثليث آخر مؤلف من : توت ، اوزيريس ، واوزوريس (٦).

١ - النازط : ١٦ - ٢٥

٢ - راجع قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف . من الآية ٥٤ وما بعدها .

٣ - هناك العديد من السور القرآنية التي تحدثت عن موسى عليه السلام وما دار مع فرعون راجع : طه والشعراء : ٥٣ والنمل : ١٢ والقصص وغيرها .

٤ - راجع : مصر القديمة ، سليم حسن ص ٦ / ٤٧٩

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٦٩

٦ - راجع بتوسع حول هذه الاساطير في : تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ، ص :

د . نقولا زيادة ، ٨٠ / ١ - ٨١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٧ - راجع : آلهة في الاسواق ، د . رؤف شلمي ص ٢٥٨ دار القلم ط ٢ ١٤٠٣

١٩٨٣ الكويت .

رابعاً :

- عقيدة اليوم الآخر :

حظيت هذه العقيدة باهتمام قدماء المصريين ، فقد كانت من أهم عقائدهم ، . وقد شغلت بدورها أيضاً طوائف الفلسفة والتاريخ ومقارنة الأديان في العصر الحديث ، وذلك لما أولاها المصريون من اهتمام بالحياة بعد الموت .

لقد إعتنى المصريون بدفن موتاهم لاعتقادهم أن الروح سوف تمسود للجسم فيموت بعد وتقدم للحساب فوضعوا للموتى تماثيل تصور شخصياتهم وأقاموا لها أماكن لوضع الطعام والشراب . وقد أرجع بعض العلماء هذه العقيدة إلى أسباب منها ما اشتهر عن تربية مصر ومناخها وهي : ( أنها تحفظ الجسم الانساني بعد الموت من الهلي إلى درجة لا تتوفر في أي بقعة أخرى من بقاع العالم ) ( ١ )

إلا أن هذا الرأي لا يمكن التمسك به ، ذلك لأن عقيدة اليوم الآخر لا يمكن لها أن تقوم في أية أمة من الأمم ما لم تأت عن طريق أصل صحيح مستند إلى وحي من رب العالمين ولا بد أن هذا الأصل قد حرف فيما بعد على يد كهنة الفراعنة ليصبح على النمط الذي اعتقده المصريون . وطيه فهي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل . ( ٢ )

والقرآن الكريم يوضح لنا في سورة طه ما جاء على لسان موسى من آل فرعون

ما يفيد ذلك :

( وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ وَجْهَكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ وَجْهَكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ وَجْهَكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ )

إلى قوله تعالى ( وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ وَجْهَكُمْ فَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ ) ( ٢ )

١ - فجر الضمير . جيمس هنري برستيد . ت : سليم حسن ص ٦٢

٢ - راجع : الهبة في الأسواق ، د . روف شليبي ص ٢٧٧ ،  
٣ - طاهر : ٢٧ و ٣٠-٣٣

### خامساً :

#### - تناسخ الارواح :

يحاول بعض العلماء اثبات ايمان المصريين القدماء بعقيدة تناسخ الارواح ، مستندين الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ ق م . والذي يقول " قبل الولادة هذا الطفل وليس الموت نهايته ، الحياة تجيب " وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد . ( ١ )

ويستند نفس المصدر الى ورقة بردى تدعى " انانا " ( ANANA ) والتي ترجع الى عام ١٣٢٠ ق م والتي تقول:

( الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ولا يمكنه ان يحدد زمان هذه الحادثة او مكانها لكنه يعلم فحسب انها حادثة مألوفة عنده ، وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة ) . ( ٢ )

وليس من المستبعد ان تكون الامم التي دانت بهذه العقيدة قد اخذتها من هذا الاصل الفرعوني ، كما يذهب البعض الى احتمال انتقال هذه العقيدة الى اليونان . ( ٣ )

#### - بوادر نشأة الكهانة وصورها البدائية :

ان تطور الفكر الديني المصري وما رافقه من ممارسات وطقوس تعبدية لم يكن ليرى النور او ينمول ولم تسكن وراءه قوة تحركه وتخذي مبادئه وتقوى اسمه .

وقد لعبت طبقة الكهنة هذا الدور بكل اتقان واستطاعت هذه القوى ان تسيطر سيطرة تامة على جل الحياة الدينية ، ولم يكشف الكهنة بهذا السدور بل تعدى نشاطهم الى الحياة الدنيوية ، حتى غدا المصريون يعتقدون ان كسلا الناحيتين ( هما نتيجة وحي مقدس وتوحيان لخدمة الالهة فهما في الواقع متمتان - احدهما الاخرى ) ( ٤ )

---

١ - العودة للتجسد . د . روف عبيد ص ١ دار الفكر العربي القاهرة

٢ - المصدر السابق

٣ - راجع بتوسع ديانة قدماء المصريين . استيفدوف الالطاني . ت . سليم حسن

٤ - ص ٩٥ طيبة في عهد اخنوتب الثالث ، اليزابيث رايفشتال ص ٢٤٢ / ٢٤٣ ت : ابراهيم

رزق ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٧ .

وفي رأى بعض العلماء\* فان النظرة التحريمية الى بعض الموجودات سواء كانت جامدة او حية اسهمت في تكوين الكهانة والسحر كذلك .  
(ان كان الناس ) ينشئون تقاليد مشتركة من المحظورات تشمل الاشياء المحرمة والاشياء النجسة وتظهر الى جانب فكرة النجاسة فكرة التطهر وإزالة اللعنات وتتم عملية التطهر بإرشاد الحكماء\* من السمنين او المعاجز المحنكات وفي مثل هذا التطهر تكونت بذور الكهانة والسحر في أقدم عهودها . . . وإزالة الشرور وتثبيت الانسان وتنظيم شأنه كان لا بد له من أن يفعل أشياء ذات قوة مؤس ، وهل فسي الوجود شيء أقوى من القتل ومن اراقة الدماء ؟ من هنا جاء الارتباط الوثيق بين نظام الكهانة وتقديم الضحايا والقرايين )<sup>١</sup> .

وهذه العقيدة لعبت دورا هاما في الديانة المصرية سواء بتقديم شمين ذي قيمة أو بتقديم النفس البشرية ذاتها ، فالقوى الطبيعية التي كانت تهيئ الرعب والهلع في نفوس المصريين جعلتهم يلتصقون استغلالها بالتضرع اليها وتقديم القرايين لها انتقاء لشرها (٢) ثم لما لبث هذا الامران تحول الى الزام للنفس بالعكوف على هذا المعبود واعتزال الناس للقيام بالفرائض التي املاها التعبد على نفسه .

- 
- ١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ / ١١٦-١١٩
  - ٢ - كما اشرنا في السابق ، فان الفترة السالفة مثلت مرحلة من مراحل انحراف العقيدة وميلها عن جادة الحق .
- فبعد ان كانت القرايين تقدم لله تعالى علامة على الشكر والعرفان لما انعم الباري على الانسان وتغفل به عليه ، اتخذت هذه الشعيرة سارا آخر على يد الكهنة للتجارة والكسب الحرام ، فاتجه تقديم القرايين الى القوى الطبيعية والبشرية ، وهكذا يسم القوم أمصارهم نحو السبب وصرفوا أمصارهم عن السبب
- وقد اخبرنا الحق تبارك وتعالى عن القرايين التي تقدم عنوانا على الشكر والانعام في قصة ابني آدم عليه السلام وذلك في سورة الطائفة : ٢٧-٢٨ .







تقوم في المعبد وهي متوجهة بوصفها ملكة السموات وهي تحمل طفلها حورس بين ذراعيها والشموع تخفق وتذوب أمامها، وتماثل أجزاء الجسم الشمعية تتدلى حول المقصورة وكان على الكاهن المستجد تتيم مرحلة اعداد وتلحذ طهيلة ذات تفاصيل محكمة ويقسم الايمان على العزوة ، وعند ها يلقي مبادئ الاسرار ويتشبهت  
وكسنت تحلق رأسه ويلبس ثوبا من الكتان (١) .

- ولا نستطيع هنا القول بان درجة شيوع الرهبنة كانت شاملة لكل قطاعات الكهنة ، إذ أن ديورانت يورد ما يفيد بأن ( منصب الكاهن كان ينتقل في الواقع - ان لم يكن بحكم القانون - من الاب الى الابن ) (٢) .

، وهذا ما يؤكد وجود طبقات عدة بين الكهنة تتنوع وظائفها بحسب ميلها ، واتجاهاتها .

رابعاً : المظاهر التعبدية للرهبنة المصرية :

-----

ان الترهيب الفردي الذي مارسه اوايلي الكهنة ارتدى طابعاً جدياً باديء الامر ، فجميع العبادات والممارسات التنسكية اقيمت على مبادئ مستوحاة من النظام الديني الوثني الذي عرف آنذاك .

وقد شهد هذا التعبد صوراً من ألوان التقشف والتبتل للمعبودات العقامة والموضوعة رسمياً وتبعاً لكل إقليم . ومع تطور هذا النظام وتكوين طبقات الكهنة أصبحت الممارسات التعبدية تقام جماعياً وقد تستمر طيلة ساعات اليوم (٣) . وما لبثت أن تحولت الى طقوس تقام لنيل اغراض بعيدة عن روح العبادة المتعارف عليها سابقاً ، فمنها ما هو لكسب مادي أو حبا في المناصب أو السلطة أو الشهرة . وظلت هذه الطبقة تطامس ألواناً من التلاعب إلا أنها تسكت بالطقوس الدينية أحقاباً كثيرة حفاظاً على الكاسب التي جمعتها والامتيازات التي حصلت عليها .

وتجدر الإشارة الى أن الجو الفكري الهادي أسهم في اشاعة الحماس الديني لدى الكهنة باديء الامر، فقد ساعد هم على اداء الممارسات التعبدية الخاصة .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ : ٤٦٤-٤٦٩

٢ - قصة الحضارة ، ١/٢ : ١٦١ وانظر طيبة في عهد امحوتب ص ٢٤٧

٣ - طيبة في عهد امحوتب ص ٢٤١

كما أسهم في تفرغهم للتأليف والكتابة المصنوعة بالتراتيل والانساشيسد الدينية . وأضاف هذا الجونوط من الروح عند بعض الكهنة المتبطلين حتى قيل فيهم ( كان البعض منهم يمارس الإتحاد الروحي مع الاله عند ما يسمح لهم \* بشاهدة الاله في السحراب \* . (١)

لقد مكن هذا الجو كذلك من بزوغ كثير من العقائد المتعلقة بالآلهة ، ومكن الكهنة بالتالي من إضفاء هالة كبيرة من القداسة عليهم ، نظرا للغموض الذي أشاعوه بين الناس وإيهام الشعب بوجود الأسرار المتعلقة بالالهة .

فمن الممارسات التعبدية التي أحيطت بالأسرار ما كان مختصا بعبادة الآلهة تلك المراسم التي كان يقوم بها أحد كبار الكهنة المعين رسميا من قبل الفرعون شخصيا لشقة هذا الأخير به (٢) (ودلت هذه العبادة على الاعتقاد الثابت بان الاله يشعر بما يشعر به اى انسان) (٣) فالمعبد هو سكنه الذي تدخل اليه الحياة والحركة ولا يحتاج إلا لرفعهم مقام ولوج الحجرة الخاصة حيث يقيم الاله تحت اعراض تمثاله وهو كالانسان بحاجة الى الكثير من العناية والملاطفة والترفيه والبذخ والطعام والمشرب والراحة والنوم واللهو والأعياد ايضا . وكل هذا كان ضمنونا باسم الطك الذي يجزل الهيئات السخية والذي يتولى الخدمة الكهنوتية بنفسه اذا سمحت له ظروفه بسذلك بحكم كونه قانسونا الكاهن الكاهن . وكانت تقام كل صباح وفي كل المعابد مراسم متطابقة : حركات طقسية وسجدة وصلوات وأناشيد وأحراق بخور . كان الكاهن يفتح الحجرة الالهية " يوقظ " الاله ويقدم له قبل أى شئ \* آخر \* حين حورس التي فقد ها في صراعه ضد شيت ثم عثر عليها وقد لها لابه أوزيريس . ويقدم له بعد ذلك تمثالا صغيرا " لهاها " ابنة " رع " ثم يغسله ويلبسه ثيابه ويزينه ويصحه بالطيبوب ويغضبه ويقدم له اخيرا ما لذ وطاب من انواع الطعام والشراب على سطاو حصير امام التمثال وفي ساطات معينة من النهار تفتح الحجرة مجددا لكي تقدم له وجبة اخرى وعند حلول المساء يرتدى ثياب الراحة ويستسلم للنوم بعد ان يقلل المكان المقدس ) . ٤

١ - طيبة في عهد امحبوب ٢٤٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - تاريخ العالم لهامرت ١/٣٦٩ حول نشأة هذه الفكرة .

٤ - تاريخ الحضارات العام ١/١٠٦



والكبت الذي أنهك قوى الرهبان ما لبث أن حول اليهود الى فوضى  
والرزانة الى تهور . ( فقد كان في الهيكل . . بالكرك طائفة كبيرة من النساء  
يتخذن سرارى لآمون في الظاهر وليستتبع بهن الكهنة في الحقيقة . ) ( ١ )

هذه الحركة الخفية التي مارسها الكهان سرا عن أعين الناس كانت مظهرا  
للعهر والخنا فيما بينهم . وما لبث هذا الانحدار أن تحول الى ظاهرة عنفية  
أسهمت الى حد كبير في فساد المجتمع وانهاره .  
اذ سرطان ما تغشت بقية الامراض الخلقية الأخرى بين افراد هذه الطبقة  
وأصبح جمع الثروات واكتناز الأموال هو الشغل الشاغل للكهنة .

والنتيجة الحتمية التي آلت اليها هذه الظاهرة هي ( نسيان ) الناس طي  
مر الزمن ما بين الدين والاخلاق من صلات ، فلم تكن الحياة الصالحة هي السبيل  
الى السعادة الأبدية بل كانت السبيل اليها هي السحر والطقوس واكرام الكهنة ( ٢ )

---

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ١٦٨

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ١٦٤

## ثانيا :

- المعارف والعلوم :

-----

لم تكن الحياة الدينية التي مارسها الكهان والرهبان لتصرفهم عن الاهتمامات الاخرى المتعلقة بالمجتمع المصري . وكما اشرنا من قبل فان طبقة الكهان كانت مسيطرة على ( ١ ) زمام الحياة الدينية والدنيوية والسبب الرئيس في ذلك يرجع الى كونهم هم الطبقة المثقفة بين طامة الشعب وقد اُمدوه بمختلف العلوم والفنون المشهورة آنذاك . ( ٢ )

لقد اُختص الكهنة بتدريس أبناء الأسر الغنية فضلا عن الأسر المالكة ، كما قاموا بتخريج كتبة الدولة ، إلا أن هذا النشاط الثقافي لم يكن خاليا من الأساطير والخرافات الكثيرة التي ملأت أدمغة القوم .

لقد اعتقدوا أن ( العلوم قد اخترعها - من ١٨٠٠ سنة - قبل الميلاد " تحوت " إله الحكمة المصري في خلال حكمه على الارض والبالغ ثلاثة آلاف من الاعوام - وأن أقدم الكتب في كل طم من العلوم كانت بين العشرين ألف مجلد ( هي ) التي وضعها هذا الإله العالم ) ( ٤ )

وقد أطلق على المكان المخصص للتعليم " بيت الحياة " . يلقى فيه مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالتاريخ والطب والرياضيات وكما فعل الرهبان الذين عاشوا في أديرة العصور الوسطى كذلك كانوا أحيانا يكتبون الحكايات والأغاني الغرامية تنويعا وظهنا لحياتهم اليومية الرتيبة ( ٥ ) .

ومن أشهر العلوم التي اشتهرت عندهم :

- علم الفلك - علم الطب - ٣ - السحر والتنجيم - الرياضيات - الهندسة . وغيرها من العلوم الأخرى وقد توسع العلم في ذلك - تفاصيل هذه العلوم وكيفية التوصل اليها ( ٦ )

---

١ - راجع في هذا الصدد : ديانة قدماء المصريين ص ٢٨

٢ - معالم تاريخ الانسانية ١/ ٢٠٨-٢٠٩

٣ - ديانة قدماء المصريين ص ٣٦ - ٣٧

٤ - قصة الحضارة ١/ ٢ : ١١٨-١١٩

٥ - طبية في عهد امحوتب ص ٢٤٨-٢٤٩

٦ - راجع في هذا الصدد : قصة الحضارة ١/ ٢ : ١١٨ و تاريخ الحضارات العام

١/ ١٣٠ ، وطبية في عهد امحوتب ٢٥٢/ ٢ وصر القديمة ٤٥٧/ ٦

## ثالثا :

### طبقات الكهنة ومهنتهم :

-----

نظرا للمعارف والعلوم التي أَلَمَّ بها الكهنة ، فقد أتاح لهم هذه الخبرات تكوين سلطة واسعة من النفوذ والسيطرة . وقد استعملوا وسائل أخرى لتثبيت قواهم ، وغالبا ما كانت هذه الوسائل تتم عن خبث ودهاء ، مستغلين في ذلك سذاجة الشعب وساطته ( ولقد استمر موقف عامة الناس الذين يفلحون الأرض ويرعون الانعام حيال المعبد موقف السذج الذين يسارعون الى تعديس كل ما يقال لهم عنه ، فهناك يعيش الاله الذي لا يراه الناس الا نادرا والذي يرفعه خيالهم الى أعلى طيين والذي كان رضاء سمع النجاح ، وقضبه أصل الشقاء وكان من اليسور استرضاؤه بالهدايا الصغار والاستعانة بخدمه في مخطف الاغراض وهو سمع المعجب والد هشة وله من عظم السلطان والمعرفة ما لا يصح معه للانسان أن يقلل من إحترامه له ولو في د خيلة نفسه ) ( ١ )

طما بأن رئيس الكهنة هو الذي يتولى عرش الطك ( ٢ )

إن هذه القوى استطاعت القيام بدورها خلال معظم الإسر الفرعونية التي قاربت الثلاثين . وقد لاحظنا أهمية الكهنة بالنسبة للمعرش الفرعوني ، وحتى بالنسبة للمجتمع المصري ، الذي لم يستطع ان يؤمى شعائره بدون كهنة . ولذلك كان لابد من التعرف على طبقات الكهنة المؤثرة ، ومدى نفوذها .

ويمكن حصرها بالاتي :

اولا : طبقة كبار الكهنة :

وكانت تختار من قبل الطك شخصا، ولا بد لها من الحصول على ثقتالامة كما أطلق اسم الانبياء على كبار كهان هذه الطبقة ، وكانت تتألف من أربعة يرؤسها أكبرهم وقد نهطت به المهام التالية :

- ١ - المحافظة على النظام الديني وأمور العبادة ٢ - تدبير الشؤون الادارية للمعبد
- ٣ - مسؤولية أملاك المعبد ٤ - الإشراف على المعابد وكهنتها .

أما الثلاثة الباقون فإنسهم معنيون بمساعد الرئيس في المهام الروحية ، والادارية يعاونهم عدد كبير من المدنيين الذين عملوا كمراقبين . . . ( ٣ )

١ - معالم تاريخ الانسانية ١/ ٢٠٢-٢٠٦

٢ - ديانة قدماء المصريين ٨٢

٣ - طبية في عهد امنحوتب ص ٢٤٩- ٢٥٠









- مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان :

لطبقة الكهان والرهبان في مصر اهداف ، ككل فكر يرمي السس تحقيق  
النتائج التي يصبو اليها .

فالخطة التي رسمها اواطل الكهنة لم تكن على درجة من التعقيد ، كما  
ظهرت فيما بعد ، بل غلب عليها نوع من البساطة والسذاجة . فقد انحصرت اهداف  
الكهنة في بدايتها في ارتقا\* شر من يضر بحياتهم حسب ظنهم ، وذلك عن طريق  
تقديم القرابين له واستمالته بالتضرع والخشوع . كما تبع ذلك ظهور الرهينة والتبذل  
ولأن منهج الكهانة العقدي منهج ارضي وضعي في الدرجة الاولى ، فقد  
تطور ليصبح في النهاية عدة اهداف بعيدة كل البعد عما كان في السابق .  
فقد اصبح الكاهن مع مرور الوقت يهدف من حياته النسكية وطقوسه  
المخترة الى الامور التالية :

- ١ - حب الشهرة ، والتفاخر بالالقب الصحوة بالتبجيل مثل لقب : الكاهن  
الاكبر للالهة ، والكاهن الاول ، واعظم الرائيين (١) ، والنبي الاول (٢)
- ٢ - الارتقا\* في المناصب الكبيرة في الدولة ، كالوزارة ، وغيرها .
- ٣ - اكتناز الاموال ، وتخزينها ، والوصول اليها باى طريق .
- ٤ - الاستمتاع بالشهوات ، وارتكاب المحرمات ، وممارسة الزنا في الهياكل  
والمعابد .

و هكذا نرى ان ظاهرة الرهينة بدأت باد\* الحرام والترف عن الشهوات  
وانتهت بالانغماس في حمايتها .

وبما ان النتائج تبيل تبعا للاهداف الموضوعة ، فان اعتداد الكهنة  
في منهج حياتهم الفكرية والدينية على أسس عقديّة واهية مستندة الى اساطير وهدع  
وخرافات من شأنه ان يجرحهم الى طآرق لا حصر لها ، وقد رأينا مدى الطغيان الذي  
مارسه الكهنة والرهبان في حق الناس ، ومدى التسلط الذي تبثوه خدمة لاغراضهم  
الدنيئة . وهكذا كل منهج ارضي لا يستند الى رسالة سطوية منزلة من عند الله  
تبارك وتعالى ، مع ان رسل الله عز وجل قد جاءت الى هؤلاء\* ولكن الطغيان أعصى  
قلوبهم وابصارهم فاضلوا واخلوا .

١ - هناك العديد من الالقاب الاخرى راجع بتوسع : مصر القديمة ٦ / ٢٢٢

٢ - طبية في عهد امنحتب ص ٢٤٩

٣ - مصر القديمة ٦ / ٥٨٤

وتبعاً لسنن الله تبارك وتعالى في الخلق والكون . فان سنة الله الجارية  
قد سرت في هذه الامة فأحالت نهارها ليلاً ، وقلبت موازينها ، وحطمت طغيانها .  
فالثورة التي قامت ضد الكهان والرهبان في عهد إخناتون اعتبرت من قبيل الإصلاح  
الديني<sup>(١)</sup> ، لان هذا الأخير قضى على طغيان هذه الطبقة ومزقها شر مزق .

وسوف نرى صوراً مشابهة لمثل هذه النتائج وذلك في الـابواب  
القادمة بان الله تعالى .

---

١- مصر القديمة : ٤٧٥/٦ <sup>انظر</sup>

الباب الثاني :

الاسم القديمة  
للرهينة الهندوسية  
والرد عليها

## التمهيد :

### أ - سكان الهند الاصليون :

يجمع العلماء والمؤرخون على وجود قبائل قديمة عاشت واستوطنت الأقاليم الهندية ، وقد أطلق على هؤلاء اسم " الدرافيديين " <sup>(١)</sup> وتؤكد المصادر التاريخية أن هذه الشعوب كانت لها مدنية عرفت بالمدنية السندية ولها من الآثار ما يرجع الى ٥٠٠٠ ق م بل يذهب بعض العلماء الى ( ان المدنية الهندية القديمة تقع ما بين الالف الرابعة والالف الثالثة ق م وتغرق ما كان ساقدا في العصر نفسه في بابل ومصر <sup>(٢)</sup> ) وأن أبرز آثارها لغة البراهموي <sup>(٤)</sup> وكثير من الآثار العينية الأخرى التي لازالت الى يومنا هذا .

وقد أتيح لتلك المدنية أن تكون محطة هامة لجميع الشعوب التي غزت الهند أو التي هاجرت من أقاليم وقارات مختلفة كما أن ديانتها شكلت نواة للديانة التي استقرت عليها الهند فيما بعد .

ومن خلال الآثار الباقية لهذه المدنية استطاع العلماء اكتشاف البذور الأولى

١ - تاريخ الحضارات العام ٥٥٧:١ ، راجع: قصة الحضارة ١/٢ : ١٩ - موهنجودارو .  
إحسان حقي الى ذلك قوله ( غير أن الاكتشافات الأثرية التي ظهرت في وادي السند في مطلع هذا القرن أثبتت بأن الدراويديين لم يكونوا أهل الهند الاصليين بل كانوا قبل الأريين دغلاء على البلاد اقتحموها من شطليها واستولوا عليها ففر أهل البلاد أماسهم الى الجنوب . . . وتدل التحقيقات العلمية بأن أهل الهند الأصليين يرجعون في أصلهم الى أصول سكان سوماطرة وأستراليا وسيلان ) : مأساة كشير السلعة . د. إحسان حقي ص ٢١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٢ - تاريخ البشرية ، أرنولد تونبي ١: ١٤٥ ت : د . نقولا زيادة ، الأهلية للنشر

والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٣ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦

وأهم المدن التي أسفرت عليها الحفر والتنقيب عن اكتشافها هي : " موهنجودارو "

و " شانجودارو " . راجع الهند ، حضاراتها ودياناتها ، للتدوي ص ٢ .  
وراجع كذلك : العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ،

محمد يوسف النجرامي ص ١٥ ، دار الفكر بيروت ط ١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤ - راجع : تاريخ الحضارات العام ٥٥١/١

لهذه الديانة والتي تنوعت تنوعا كبيرا وكان لها الفضل الاكبر في ايجاد العقائد الهندية الوثنية .

### معالم الديانة الهندية القديمة :

لقد دلت الآثار على (وجود عبادات وطقوس دينية تمثلت بعبادة القوى والظواهر الطبيعية ، كما وجدت معبودات عدة في كل قبيلة كان بعضها تماثلا مع بعض هذه الظواهر ، بينما كان بعضها الاخر على ما يظهر هم بعض الاجداد الموهبين او بعض الابطال الوطنيين . (١)

وقد كانت النار من ضمن المعبودات التي قدمت إليها القرابين " من خشب وأعشاب وخمر" (٢) وأقيمت لها الاحتفالات ، كما عُدت الشمس ، كذلك عُدت بقية الكواكب . ، وإضافة الى ذلك (٣) تماثيل نسائية غير متقنة وهي طرية تماما لا تلبس الا بعض اواني الزينة ، وهي على الأرجح تماثيل للآلهة الأم التي كانت مرتبطة بعقائد الاخصاب (٤) .

وهذه العبادة كانت (تعنى عناية كبرى بعبادة عضو التناسل وعلى طقوس مسن انواع مختلفة من أجل الاخصاب ) (٥)

كما عُدت ( حيوانات مخيفة كتنين مفع أو وحش هائل وكانوا يعتقدون أن هناك طالما آخر وهو عالم الأموات ، وأن الأحيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصرفه وتدبيره بمجرد مغادرتهم الاجسام وقد استمرت تلك الديانة هي السائدة في الهند حتى جاءت ديانة الفاتحين (٥) .

١ - شجرة الحضارة : رالف لانتون ١٨٣ / ٣ . ت : د . احمد فخري مطبعة مصر ١٩٦١

٢ - الديانات القديمة ، ابوزهرة ، ٢٢ - ٢٣ دار الفكر العربي .

٣ - شجرة الحضارة ١٤٥/٣ - ١٤٧

٤ - المصدر السابق . وانظر : " ماذا حدث في التاريخ " ، جوردن شايلد . ت . جورج جواد ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بمصر ، ١٩٤٢ م

وقد تلقى الآريون هذه الديانة عن الدرافيديين وكان يرمز بفرج الذكر والاثني لانهما علامة الحياة والخصوبة وفق عقيدتهم وطلقا الناس بالرضا . . . ولا تزال هذه السعقيدة قائمة حتى الان ) : الهند حضاراتها ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوي ص ٤٦

٥ - الديانات القديمة ، ابوزهرة ص ٢٢ - ٢٣

كما كان الشعبان من ضمن تلك المعبودات التي حظيت باهتمامهم. وكذلك كل الحيوانات الموقدة ، كما تفتت فيهم عبادة جن الهواء (١)

لقد خفيت هذه المعبودات على كثير من علماء العصر الحديث ، إذ وجدوا في بداية الأمر صعوبة في التوصل إلى إكتشافها وحل رموزها وسبر غورها ، ويعتبر البعض منهم بأن المعلومات الدينية كانت محدودة جدا (٢)

وعلى الرغم من الاكتشافات الاثرية التي عثر عليها العلماء والتي استطاعت اجلاء بعض الفموض الذي اكتنف هذه الديانة ، الا انه من المتعذر الكشف عن كيفية اقامة الطقوس التعبدية والنسكية التي مارسها الافراد بشكل خاص وبالتالي فإنه من الصعب التوصل الى معرفة ما إذا كانت الرهينة شائعة إبان تلك العصور وعلى النحو الذي ظهر فيما بعد .

(٣)  
الا ان بعض العلماء رغم ذلك يشير الى وجود نوع من حالات الترهيب والتتسك وقد تتطلب من الفرد في ذلك الوقت ( القيام باعمال قاسية شديدة ، يحل في ثنائيا التحدي ضد القوى التي فوق الطبيعة ، وكان الناسك يصوم في الواقع تحديا للمعبودات لان ذلك يزيد من قواه الروحانية ، وفي اسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته وعند ما تقدمت الاراء الخاصة بوحدة الوجود أي وحدة الله في الكائنات تضالمت هذه الفكرة (٤) .

١ - راجع : حضارات السهند ، غوستاف ليهون ، ص ٦١٥

٢ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ٥٥٧/١ ، . وتجدر الاشارة الى ان (تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق م ) كان مجعولا تماما حتى اوائل القرن العشرين الميلادي ثم بدأت الحفريات في السند على شواطئ نهر الهند في عام ١٩٢٢ م :-  
الهند ، حضاراتها ، وديانتها ، ص ٢١

٣ - من الآثار المكتشفة في المدن الثلاث ما يتعلق بالرهينة الهندية القديمة وهو وجود تمثال لاله الهنود الدرافيديين " سيفا " الذي عبد من قبل الاربيين أيضا وله ثلاثة وجوه ويوصف بأنه إله وحوش الغابات وأخير النساك والرهيبان ( : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ٥٤

٤ - : شجرة الحضارة ١٧٥/٣ - ١٧٦

وطيه فانه لم يكن امام العلماء\* المزيد من المعلومات للكشف عن نوعية الرهينة القديمة ، ولهذا نرى أن التوسع في هذا الشأن لا فائدة منه .

وهكذا تكمن الصعوبة في التعرف على خفايا الديانة الدرافيدية التي اعتنقها السكان الأصليون قبيل الغزو الأري<sup>(١)</sup> للهند ، إلا أن البحث معني بهذا الغزو وما رافقه من تطور في الديانة الهندية التي تبناها هؤلاء\* وأضافوا اليها معارفهم وطومهم الدينية ، وسوف نرى كذلك كيف تطورت الرهينة على أيديهم .

ب - الغزاة الأريون ، وآثارهم في الهند :

يختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً حول هوية الأريين فمنسبهم من نسبهم الى بلاد التركستان ، والبعض ذكر أنهم هبطوا الهند من السهوب الأوراسية<sup>(٣)</sup> ، والآخر ذكر أنهم جاؤوا من روسيا<sup>(٤)</sup> .

وهوكد البعض أن هؤلاء\* القوم هم ابنا\* عم الأوربيين وقد أسهب المؤرخون في وصف هؤلاء\* الغزاة ، فتعرضوا لأحوالهم وأسمائهم ولغاتهم وعقائدهم ومعبوداتهم ووصفوا لسلطانة الكثيرة والآلام التي تعرض لها السكان الاصليون ( اى الدرافيديين ) على أيدي هؤلاء\* الغزاة ، ومدى التثكيل الذي لحق بهم .

---

١ - معنى الأري : سميت الامة الهندية الأوروبية بعد نزوحها الى الهند بالامة الارية ، فكلمة آري : ( ARYAN ) تطلق على الشرقا\* . . . وهذا يدل على أنهم اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم الى هذه المناطق الاسيوية بالشرقا\* والسكان الاصليين فيها بالاراذل وعلى هذا الاصل اشتق اسم ايران . . . وهذا يكون الأريون قد اعتبروا انفسهم سادة البلاد والآخرين خدام وعبيدا ) . : الهند ، حضاراتها وديانتها ص ٦٣

٢ - اديان الهندى الكبرى ، د . أحمد شلبي ص ٢٢-٢٣ ، مكتبة النهضة المصرية ط ٤ ، ١٩٧٦ ، وانظر: الديانات القديمة لآبي زهرة ص ٢١-٢٢

٣ - تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ١٤٧/١

٤ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٠/١

٥ - قصة الحضارة : ١/٣ : ١٥ .



والذى يعنى البحث من هذا كله هو أن الشعوب الهندية القديمة قد (اند مجت  
في الشعوب الغازية الجديدة ، والتي لم تكن تعرف من المدنية شيئا بل كانت قبائل  
بربرية . (١)

#### المعبودات الارية

لقد حمل الآريون معهم بعض المعبودات وطقوس العبادات الخاصة بهم  
والتي مارسوها قبل غزوهم للهند إلا أن الأمر الذى يبعث على التعجب هو انحسار تلك  
العبادات بعد مدة من الغزولتبرز من جديد عبادات الدرافيديين المغلوبين على أمرهم ،  
وسرطان ما تشكلت من كلتا الديانتين ديانة جديدة منبعثة من أصول العقائد الارية  
ومن التعاليم الدرافيدية .

وطى الرغم من هذا الا ندماج العقدي بين الفئتين إلا أن الأمر إخطف  
اختلافاً كبيراً على الصعيد الإجتماعي ، إذ ما لبث أن تحول الغزاة الآريون إلى وحوش  
كاسرة في وجه السكان الأصليين وعطوا على إبادتهم ونكلوأبهم ، تما كما فعل الغرب  
الاوربي بالهنود الحمر في أمريكا إبان العصر الحديث .

وحيث إن أعداد السكان الأصليين كانت تفوق أعداد الغزاة فقد كان من الصعب  
إستئصال تلك الشعوب من جذورها . (٢) ولكي يحافظ الآريون على جذورهم وجنسهم  
من الاختلاط بغيرهم فقد فرضوا نظاماً قاسياً تمثل بمجتمع الطبقات الذى - بفلسفه -  
استمرت سيطرة الآريين على مقدرات البلاد واخضاع العباد لاقسى انواع القهر والظلم  
والاستبداد . (٤)

#### ١ - تاريخ البشرية : ١٤٦/١

٢ - راجع : البيانات القديمة لابي زهرة ص ٢٢-٢٣ ، والهند ، حضاراتها ودياناتها  
ص ٦٥

٣ - لم يكن الآريون الوحيدون الذين قدموا الى الهند فقد دخلها من الشرق شعوب  
صغراء سموها بالتورانيين الذين دخلوا أفواجا منذ الاف السنين " وبالتقاء الآريين  
والتورانيين ( أو : التورانيين ) مع السكان الأصليين بدأت الطبقات في الهند تصبح ذات  
أهمية كبرى في تاريخ هذه البلاد فمن الآريين كانت طبقة رجال الدين البراهمسة  
(BRAHMAN) وطبقة المحاربين ( كشتاريا KASTARIA ) ومن التورانيين تكونت طبقة  
التجار والصناع ( و VAI SUYA ) أما الهنود الذين اتصلوا بالتورانيين فلم يدخلوا  
التقسيم في اول الامر ولكن الحضارة الارية امتدت الى بعضهم بمرور الزمن فوجد  
الآريون منهم الطبقة الرابعة وجعلوها طبقة الخدم والعبيد ( شودرا Sudra )  
أما السكان الأصليون لانهم انعزلوا عن الفاتحين فقد بقوا بمعبددين عن التقسيم وظلوا  
طريدي المجتمع أو منبوذين ( outcastes ) : اديان الهند الكبرى ص ٢٥

٤ - راجع : شجرة الحضارة ٣ : ١٥٢/١

وطى الرغم من هذا كله ، فقد تسك الشعب بمعتقداته واستطاع ان ينفذ بها الى عقول مغتصبيه وفزاته رغم العنت الذى لاقاه على ايديهم .

وقد عرفت اللغة السنسكريتية بانها لغة الفزاة والتي تألفت منها كتسب الفيدا فيط بعد<sup>(٢)</sup> . وليس هناك تحديد دقيق لتاريخ قدوم الاربيين لغزو الهند انما هناك مؤشرات تدل على انهم دخلوا مقاطعاتها الشمالية الغربية بين عامي ١٠٦٠٠ و ٨٠٠٠ ق م<sup>(٣)</sup> . بينما يرى البعض<sup>(٤)</sup> انه تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وقد استطاع الاربيون توحيد قبا ظلمهم في منطقة البنجاب وكونوا احزابا ثم اتحدوا واسسوا ممالك<sup>(٥)</sup> لهم .

واضاف الاربيون الى عقائد هم المكتسبة من غيرهم كثيرا من الجادى الدينية وسها ( تحولوا من الحرب الى التصوف الديني ، وأحدثوا تلك المجموعات من الالهة وتلك النظريات التي قامت عليها جميع نظم الفلسفة الهندية التي ظهرت فيط بعد كما تطور مفهوم الرهينة لديهم تطورا كبيرا . ، ومن مجموع نظمهم أصبحوا اسلافا لاظم المجموعات الثلاث ( اى الطبقات الاولى ) التي تحتل ارفع مكانة في هذا التقسيم الطبقي كما انتشرت لغتهم في معظم انحاء الهند<sup>(٦)</sup> )

١ - " اللغة السنسكريتية هي اللغة الاصلية للاربيين والتي تكلموا بها قبل غزؤهم للهند وبعد هو هي من اللغات الأوروبية التي سميت بمجموعة " سنتوم ( Centum ) التي تنسب اليها اللاتينية الافريقية والكيلتية ( CECElee ) والتيتوتونية ( teutonia ) والالمانية والسلافونية ( Slavenin ) انظر الهند حضاراتها ودياناتها ص ٦٣ اما غوستاف لوبون فانه يذهب الى ان ذلك كان فيط مضى اما الان فان السنسكريتية واللغات الاخرى هي اخوات اشتقت من لغة مشتركة ضائعة في الوقت الحاضر . حضارات الهند ص ٤٧٨ .

٢ - تاريخ البشرية : ١٤٧/١

٣ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٧/١

٤ - الاسفار المقدسة قبل الاسلام . طى عبد الواحد وافي ص ١٥١ ط ١٩٧١

٥ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٣/١ ٦ - شجرة الحضارة ١٥٢/٣

و يرى الشهرستاني ان بعض علوم الهند الدينية مشتقة من تعاليم الفلاسفة اليونان وكان لفيثاغورس أثر في هذه العلوم ( المل والنحل للشهرستاني ١٩٩/٥ - ٢٠٠ )

لقد ساعد التراث الهندي العلماء في الكشف عن غايات العقائد الهندية ،  
الا ان المعضلة التي كانت تحق عقبة كأداء في طريقهم هي تحديد زمن كتابة هذا  
التراث فضلا عن مؤلفي الكتب الدينية التي اعتبروها مقدسة .

وتجدر الإشارة إلى أن كتب الآريين التي جاؤوا بها إلى الهند أضيف  
إليها كثير من العقائد الدرافيدية القديمة .

وبالانتقال إلى مضمون هذه العقائد نرى كثيراً من أوجه الشبه بين معتقدات  
الطرفين ، فهناك عبادة الظواهر الطبيعية ، والافلاك ، والنجوم<sup>(١)</sup> . كما قدست أنواع كثيرة  
من الحيوانات كالبقرة التي لا زالت تعبد إلى اليوم .

( كما كانت هناك عبادات طوطمية وهي عبادة روحانية لارواح كثيرة تسكن  
الصخور ، والحيوان ، والأشجار ، ومجاري الماء ، والجبال ، والنجوم ، وكانت الشعاب  
والافاعي مقدسات إذ كانت الهة تعبد ومثلاً طمياً تتشد في قواها الجنسية العارسة<sup>(٢)</sup> .  
وقد تعددت الهة الآريين تعدداً يفوق كل وصف فكل ما هو قريب من  
الإنسان ، وكل ما يخشى منه أو يحب إليه يصبح آلهة بخشي الزمن حتى أن عدد هذه  
الالهة وصل إلى ثلاثين مليوناً<sup>(٣)</sup> .

---

١ - راجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي ، د . عبد الله ميسر الطرازي  
٣١٨/١ - ٣١٩ و ١٦٠/٣ - ١٦٣ ، عالم المعرفة ، جدة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م  
وتاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ، ص ٢٦-٢٧ ، دار العهد الجديد للطباعة  
مصر ، ط ١ ، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م .

٢ - قصة الحضارة : ١/٣ : ٣٠ .

٣ - المصدر السابق ١/٣ : ٢٠٧ وهذا ما جعل غوستاف لوبون يقول ( ... وعلى  
الباحث ألا يجهد نفسه في البحث عن هندوسى يفترض أنهم استطاعوا ممارسة دين  
بلا آلهة . فكيف تجد هندوسياً لا يعبد آلهة والعالم عندنا آخر بها ، فالهندوسى يصلى للنمر  
الذى يفترس العامة وجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الاوروبى ، والاوروبى نفسه عند  
الاقتضا<sup>(٤)</sup> ) حضارات الهند ص ٣٦٨

(١)  
وقد أطلق على الديانة الآرية فيما بعد اسم " البرهمية " ثم أطلق عليها اسم  
" الهندوسية " . (٢)

- ١ - نسبة إلى " البرهمن " و " البراهما " ولهما مدلولات خاصة في اللغة الآرية الأولى . إذ أطلقت كلمة " برهمن " على العبادة والصلاة في البداية ، ثم على كهنوت معين ، وأخيرا على سيد الالهة ، والطبق ( واسمه البراهمانان ) على كتب الفيدا الأربعة ، وأخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس ) . : الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ٨٩ .
- ويرى البعض أن : ( هذا الاسم أطلق ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما ( BRAHMA ) وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة ، حسب اعتقادهم ، والتي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وأنشاد الاناشيد وتقديس القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة " البراهمة " لتكون طم على رجال الديسن الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الالهي . وهم لهذا كانوا كهنة الأمة لا تجوز الذباح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم ) راجع : أديان الهند الكبرى ص ٣٩ ، يرى الشهرستاني أن " البراهمة " انتسبوا إلى رجل منهم يقال له " برهسام " قد شهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول ( راجع : الطل والنحل ١٧٥/٥ . وقد استدرك الدكتور وافي على الشهرستاني ذلك وقال : وهي منسوبة للاله " براهما " ( BRAHMA ) وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للاله الخالق ولاصحة لما ذكره الشهرستاني في الطل والنحل من أنها تنسب إلى رجل عظيم منهم يقال له برهام ( . . ) الاسفار المقدسة قبل الاسلام ، ص ١٥١
- وفي رأيي أنه لا تعارض بين الشهرستاني والدكتور وافي لان الديانات الوضعية ومنها الهندوسية قد اتخذت الهتها وأصنامها ومعبوداتها اتباعا لتقليد الآباء والأجداد الذين وجدوا في صلحهم وزعمهم ومرشديهم قدوة ومثالا يحتذى ومع تطاول العهود عليهم اتخذوا لهؤلاء اصناما تعبد من دون الله ، وطيه فان ط ذهب اليه الشهرستاني صحيح من وجه فالبيروني حينئذ تحدث عن عبادة الاصنام وكيفية اتخان المنصوبات قال : فمن وقتئذ تعمل الاصنام بعضها ذوات اربع ايد كط وصفنا وبعضها ذوات يدين بحسب القصة والصفة بحسب صاحب الصورة وأخبروا أيضا بأن لبراهم ابن يسي " نارذ " لم تكن له همة غير رؤية الرب وكان من رسمه في ترده اسماك مما معه ( . . . . ) تحقيق ط للهند ص ٨٨ طم بأنه قد بدأ حديثه عن كيفية اتخان عبادة الاصنام عبر المعصور عند الامم السالفة كالروم واليهود والنصارى وما كان يعتقد الهندوس في هذا الصدد انظر ص ٨٤ ) من المرجع السابق .
- ٢ - أطلقت هذه الكلمة على الديانة " البرهمية " الجديدة . وأول ط ظهرت هذه التسمية في القرون الأولى بعد المسيح ( . : حضارات الهند ص ٦٠٠

## الفصل الأول

### العقائد الهندوسية ذات الصلة بالرهينة ونقد ها :

(١) بالرجوع الى عقائد الديانة الهندوسية ، نجد انها تتسم بالآبهاام وشدة الفخوض ، كما يرى الباحث فيها عجا من كثرة التعدد كما أسلفنا سابقا . وقد ظل بعض العلماء هذه الظاهرة بان لدى الهندي اعتقاداً بان الحواس البشرية ( لا ترى من الحوادث التي ندركها سوى ظواهرها ، ويعتقد أن وراء هذه الظواهر كائنات روحية لا حصر لعدد ها ، يمكن ادراكها بالعقل لا بالحواس . . . . . ويسعد ادى تسامح البراهمة ذو السحرة الفلسفية الى الزيادة من ذخيرة آلهتهم حتى ازدادت كثرة طس كثرة ، ذلك أن الآلهة المحليين والهة القبائل المختطفة قد صادفت عند الهندي سهلا ومرحباً فتقبلها وفسرها بأنها جميعاً تصور جوانب من الالهة الاصلية (٢) .

اولا : تعدد الالهة - والتثنيث :

أن تعدد الآلهة الباطل ، أربك البراهمة وأوقعهم في حيرة وذلك نتيجة التخطي في معرفة الحقيقة والتوجه نحوها . ولهذا نرى بضئ الأزمنة أن العقل الهندي بدأ يشعر بالطل من هذه الكثرة ، وقد أخذ تدريجيا يتحول عنها ويحصرها في ثلاثة :

١- : براهما -

وقد اعتبر " الاله الخالق ، مانح الحياة ، والقوى ، الذي صدرت منه جميع الاشياء ، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الاحياء ، وينسبوا اليه الشئ التي بها يكون الدف ، وانتعاش الاجسام وتجرى الحياة في الحيوان والنبات ، ومن الأساطير التي حيكت حوله ( أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكون كثيرا ، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته ( نظرية وحدة الوجود ) وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الاله المدمر ، وهو الاله سيفا الموكل بالخراب والفناء ، فلا يسذر من شئ أتى عليه الا جعله كالرميم ، ولو ترك هذا الاله وشانه لفنيت السطوات والارض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجدد وهو الاله فيشنو (٣) (Vichnou)

١ - راجع حضارات الهند ، ص ٢٨٠

٢ - قصة الحضارة : ١ / ٣ : ٢٠٩

٣ - الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام ١٨٥-١٨٦

وللمزيد يراجع : مجلة ثقافة الهند المجلد الرابع مارس سنة ١٩٥٣ العدد الاول

## ٢ : سيفا

وهو عند هم الإله المخرب الغني الذي تصفر به الاوراق الخضراء، ويأتي بالهرم بعد الشباب . . . وينسبون إليه النار لأنها عنصر طر من مخرب إن تأجج لا يبقى ولا يذر .

ولسيفنا هذا عبادات خاصة به ان يقوم الشيوافيون ( نسبة اليه ) باقذر عبادة عرفها البشر ، ( فقد اخترع بيسوا لهولا في القرن الثاني عشر هذه العبادة ومفادها أن هو لا زينوا معابد هم بتماثيل أعضاء التناسل للذكر والانثى حتى أنهم حطوا صورا من ذهب وفضة تمثلهما فيقبلونهما بين حين وحين هليلن لهما ، وقد سميت هذه العبادة باسم زوجة سيفا وهي " كالي " ، ولا تجد عبادة أدت إلى مناظر مخالفة للذوق والأدب كعبادة كالي الهائلة . . . وفي سبيل تمجيد هذه الالهة امتزجت الدعارة بالقسوة فأريقت على مذابح معابد هاما الضحايا البشرية . . . وقد ابطلت هذه الضحايا في الزمن الأخير إلى الأبد لدى الأهالي البراهمة ولا يزال يرى في معابد هاما من الفحشاء والمنكر من الدعارة ما يستحيل وصفه . . . (١) .

كما تسمى هذه العبادة باسم " اللنجا " يقول غاندي عنها ( جانا اضيفنا الغربيون اخر الا مرفتحون اعيننا لجوانب الفحش التي في طقوسنا بعد ان كننا نارسها حتى عهد هم ممارسة برهة ، لقد عرفت لأول مرة أن " سيفا لجام " ( نسبة إلى سيفا ) ترمز إلى الفاحشة من كتاب لبشر سيحي (٢) . . .

وتباع إلى الآن تماثيل صغيرة ترمز إلى عضوى التناسل عند الرجل والمرأة ، وفي الاسواق الهندية ، دون أى وازع من أدب أو أخلاق .

## ٣ : فيشنو

يعتقد الهندوس ان هذا الأخير (حل في المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام) (٣)

ويرى البعض ان فيشنو هو الهه الدرافيديين الذين استطاعوا ادخاله ضمن المعبودات الآرية وان نظرية التجسد في هذا الاله ترجع اليهم وعن طريقهم دخلت هذه العقيدة . . . وانتقلت فيط بعد إلى اليونان عبر الثقافات الحضارتيسن في عهد الاسكندر ومنهم إلى الرومان ومن ثم إلى المسيحيين (٤) .

١ - حضارات الهند ، ص ٦٠٣-٦٠٥ وقارن مع قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٢

٢ - المصدر السابق ١/٣ : ٢٢٤ وقارن مع المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٨

٣ - الديانات القديمة : ٢٧ - ٢٨

٤ - الهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٩٣

والى جانب هذه الالهة هناك الهة صغرى ، وقد اختلفت عن بعضها وتعددت (١) وتكونت منها درجات .

وسط هذا التعدد هناك ازمة مرت على الهند شهدت خلالها ميلا الى التوحيد (٢) ، الا ان هذا التوحيد مشوب بالتثليث ، فقد زعم البراهمة ان الالهة الثلاثة براهما وسيفا وفيشنو هي اقانيم ثلاثة لاله واحد ، والاله للواحد هو الروح الاعظم واسمه بلغتهم ( آتما ) (٣) .

ولا بد من القول : ان هذه العقولة قد فتحت بابا امام المسيحيين ، فيما يسمى بـ " تثليث في وحدة ووحدة في تثليث " (٤) .

وهنا ينبغي التنويه بأن مبدأ التوحيد الهندوسي مخالف تماما لمقيدة التوحيد الاسلامية ، لان التوحيد الكامل هو التوحيد (في العبادة والخلق والاعتقاد . وهو ما يعبر عنه بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد الالهية . فتوحيد الربوبية : هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه ، وانه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار . . . اما توحيد الاسماء والصفات ، فهو الاقرار بان الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وانه الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم ، له الشيعة النافذة والحكمة البالغة . . .

اما توحيد الالهية : فهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والدعاء لله وحده ومبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له . (٥)

١ - تاريخ الحضارات العام : ٥٧٠ / ١ والديانات القديمة : ٢٨

٢ - اديان الهند الكبرى : ٤٧

٣ - الديانات القديمة : ٢٨

٤ - اديان الهند الكبرى : ٤٨

٥ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن

محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ ، المكتب الاسلامي

بيروت .

فالتوحيد الاسلامي بعيد كل البعد عما يدعيه البراهمة وذلك لان الديانة الهندوسية متقلبة ومتطورة في عقائدها فمن هذا التطوران هذه الديانة رغم احتوائها على مبدأ التثليث فقد اكتشف العلماء وجود عقيدة الحلول والصلب والغدا\* ، فقد ادعوا ان احدى الهتهم قد حلت في رجل يدعى كرشنا ، والعجيب ان اساطير كرشنا التي تتحدث عن ولادته العجيبة وسيرة حياته وقدراته الهائلة مثالة تماما لدعوة المسيحية في المسيح ( عليه السلام ) ويرى بعض العلماء تطابقا يكاد يكون تاما بين ما جاءت به الكتب الهندوسية عن كرشنا وما قد متته المسيحية من كتب عن المسيح (١) .

والأمر المتعلق بموضوع الرهينة ينحصر باله الخراب والدمار عند هم اي " سيفنا " والذي وصف بأنه أمير النساك والرهبان ، مما يعطي انطباعا اكيدا بان الرهبان والنساك هم الذين اخترعوا هذه العقائد ، واحاطوها بالاساطير والخرافات التي ظلت الى يومنا هذا .

---

١ - راجع : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ص ٣٦ وما

بعدها ١٨ / ربيع الثاني / ١٣٣٠ هـ بيروت .

وقارن مع : البيانات القديمة ص ٢٨ - ٢٩



## ثانيا : الكارما

من ضمن العقائد المتصلة بالرهينة الهندوسية ما يسمى بـ ( قانون الجزاء ) ( يطلق عليه اسم ( الكارما ) وهو يندرج تحت سلسلة الآراء المعقدة التي تكتنف الديانة الهندوسية .

وهذا القانون ينادى بأن ( الانسان يحصل ما يبذر ) (٢) فللفرد - حسب اعتقادهم - (في تاريخه الروحي حرمة الداخلية الكاملة) (٣) . فما ( يحصله الانسان الآن يجلب ما سيحصله في المستقبل ) وما سيحصله في ذلك المستقبل سيخلق المستقبل الذي يليه وهكذا باستمرار (٤) . وطى ذلك فقد نص الهندوس على أن هذا الجزاء يكون في الدنيا (٥) .

( فالحياة لا يمكن فهمها الا على افتراض ان كل مرحلة من مراحل وجود النفس تعاني العذاب او تتمتع بالثواب جزاء وفقا لواقع من النفس في حياة ماضية - من رذيلة أو فضيلة اذ يستحيل على فعل صغير أو كبير خيرا ( كان ) أو شرا أن يمضي بغير أثر ، إن كل شيء لا بد له من أثر يظهر ذات يوم ) (٦) .

إلا أن الهندوس لما وقعوا في حيرة من أمرهم نتيجة تمسكهم بهذه الفكرة التي لم توجد لهم حلا لبعض الاسئلة التي اعترضتهم ومنها ما لاحظوه ( من واقع الحياة ) ( حيث ) إن الجزاء قد لا يقع ، فالظالم قد ينتهي دون ان يقتل من نفسه والمحسن قد ينتهي دون أن يحسن اليه ، ولذلك لجأوا الى القول بتناسخ الارواح (٧) .

وطى فان الكارما ( ترتبط ارتباطا مباشرا بالتناسخ الذي لا يمكن فهمه دونها ) (٨)

ولهذا القانون شق آخر . . ( فالروح ) بعد ( موت جسد ها يجوز أن ترسل الى الجنة لتتعمم بجزاء سريح غير فضيلة بذاتها ، لكن يستحيل على روح أن تقيم في الجحيم ، وتقبل من الارواح هي التي يسمح لها بالاقامة في الجنة الى الأبد ذلك لأن الروح لا بد لها بعد فترة تقضيها في الجنة أو الجحيم أن تعود الى الأرض من جديد تنفذ بحياة جديدة - ما يقضي به طيها - كارما ) (٩) .

- 
- ١ - انظر حول هذا التعقيد : تاريخ الحضارات العام ١/٥٦٨ الفكر الفلسفي الهندي : د . سرفالي رادا كرشنا ص ١٢ - ت : ندرة البازجي ، دار البقطة العربية .
  - ٢ - : أدیان العالم : حبيب سعيد ص ٧٩ ، دار التأليف والنشر ، القاهرة
  - ٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣ .
  - ٤ - الفلسفات الهندية . د . علي زيعور ص ١٣٢ دار الاندلس ، ط ١ ، ١٩٨٠
  - ٥ - أدیان الهند الكبرى ص ٦٢ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦
  - ٦ - أدیان الهند الكبرى ص ٦٢ - الفلسفات الهندية ص ١٣٢
  - ٧ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦

نقد قانون " الكارما " :

ان هذا القانون فضلا عن كونه من صنع الكهنة والرهبان الهنـد وسـ لا يستند الى أي نص شرعي مؤيد برسالة من عند الله ، بل وضع تكريسا لنظام الطبقات وقسـد أريد من ورائه ( تقييد الكائن الحي بعمله ) (١) فعلى كل فرد من الطبقات الدنيا البقاء ضمن دائرته التي وضعت له والا عوقب .

وهذا القانون مفروض على كل انسان يدين بالمرهية . وله آثار خطيرة ، ولم يلجأ الهندوس اليه الا بعد شعورهم بحرج الاسطة الموجهة اليهم ، وعليه فان هذا الهدأ كان مشوشا في عقول أصحابه ، لذا فقد التمسوا الحلول من عقائد أخرى .  
وفكرة الجزاء والعقاب ضرورية للانسان . ولكن لا على النحو الذي ذهبت اليه الهندوسية ، التي قصرت على الحياة الدنيا ، ورقعت بفكرة التناسخ خروجا من التورط .  
وفي المقابل فان أسس تفسير واقعي وعلمي لقانون الجزاء والعقاب نجد في مساهمة الاسلام الحنيف الذي كفل للبشرية اقامة نظام متكامل قائم على الحق والعدل ، لا يضيع فيه جزاء فرد ، ولا تهدر فيه كرامة مجتمع . فمن الركائز الأساسية لهذا الهدأ ما جاء في قوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) الزلزلة : ٧-٨ وقوله تعالى ( من عمل صالحا فلنفسه ومن أسا فعليها وما يرك بهظلام للعبيد ) فصلت : ٦٤ وقوله ( من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيفة فلا يجزى الذين عطوا السيئات الا ما كانوا يعملون ) القصص : ٨٤ ، وهذه هي القاعدة التي تحكم قانون الجزاء والعقاب في الشريعة الاسلامية ، وعليه فان الجزاء فضلا عن كونه أمرا واقعا في الآخرة فهو في الدنيا أيضا حياة طيبة جزاء من الله تعالى للمعبود الصالح لقا تقواه وخشيته من ربه فمن ذلك : التوسعة عليه في الرزق ، وإصلاح الذرية ، وإطالة العمر ، والحفظ من الاخطار .  
أما أثره في المجتمع : فيكون بالنصر على العدو وتارة ، أو التقدم والترقي في نظم الحضارة ، وذلك وفق سنن الله تعالى في الخلق والكون .

أما الجزاء الآخروي : ففيه النعيم المقيم . حيث : ( ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) (٣) وفي ذلك يقول تعالى ( سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ) الحديد : ٢١  
أما العقوبة فهي منصوص عليها في كتب الفقه الاسلامي تحت باب الحدود ، وفق ما قرره الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، . هذا في الدنيا . أما في الآخرة فان الله تعالى يحاسب الناس جزاء ما اقترفته أيديهم ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) الشعراء : ٨٨ ، فالكافرون لهم عذاب شديد يوم القيامة ( يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافري يا ليتني كنت ترابا ) النبا : ٤٠ - ( وأما من أتى كتابه وراظهره فسوف يدعوه ثيسورا وحلى سميرا ) الانشاق : ١٠-١٢ . وهكذا يعيش الانسان في الاسلام واقعا لموسسا بعيدا عن جنوح الخيال ، واختراع الوسائل للسيطرة على بني البشر .

١ - راجع : شري ايشوانيشاد ص ٢٠ ٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣  
٣ - صحيح البخاري ٨٦/٤ ط ، استانبول ٤ - للمزيد راجع : بحث " نظرية العقوبة في الاسلام " لابي زهرة ، كتاب المؤتمر الرابع " بحوث في الفقه والمجتمع ص ١٣٦ ، القاهرة ١٣٨٨هـ - وكذلك دستور الاخلاق في القرآن . د . محمد عبد الله دراز ص ٢٤٣ وما بعدها ط ١ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ت : د . عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة ، دارالبحوث العلمية .

### ثالثا : تناسخ الارواح

- التناسخ هو عبارة عن ( تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بسند ن  
اخر من غير تخلل زمان بين المتعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد ) (١)  
وهذا البسند متصل اتصالا مباشرا بما قبله ، وقد اعتبره بعض العلماء  
هو والكارما سواء (٢)  
فالكارما هو جزاء النفس على ما قدمت عبر الولادات المتكررة وهي التي  
تتحكم بصير الانسان ، كما اسلفنا .

اما التناسخ فانه تكرر الولادات وتعاقبها وانتقال النفس من جسد  
الى اخر " سواء " اكان من الانسان ام من الحيوان " .  
( " وسبب التناسخ او تكرار المولد هو :

اولا : ان الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها اهواء وشهوات مرتبطة بالعالم  
المادى لم تتحقق بعد .

ثانيا : انها خرجت من الجسم وطهرها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا يسد  
من ادائها فلا ماضى اذا من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى وأن تنفذ الروح  
شأناً عملها التي قامت بها في حياتها السابقة (٣)

إن الأصل الذى بنيت عليه عقيدة تناسخ الأرواح يستند الى كتب الهندوس  
القدسة والتي يرجعها الفلاسفة الهنود (الى عصر الملاحم وقد اشتقت هذه الفكرة  
من القصصتين الحساسيتين " رامينا ، وسهابارثا " .

وقد تضمنت هذه الأخيرة طحمة ( بها جفاد جيتا ) التي اعتبرت مؤلفا  
دينيا اكثر مما هي مقالة فلسفية ، ولم يكتبها نفر أو مدرسة مفكرين كمنهج فلسفي بسل  
كاسطورة تنبعث من حياة الانسان الدينية (٤)

ويذهب بعض العلماء الى ابعاد من ذلك موضحا ان هذا البسند كان (ثمرة  
لجهود البراهمة حتى لا يخسروا معركة النفوذ والسلطة ازاء العامة ... فقالوا : ان  
النجاة لا تكون بالاضاحي وحدها ولا بالرياضات وحدها بل باندماج الروح الاصفى  
بروح المخلوقات " بالروح الاعظم " وهذا الاندماج لا يتم الا بالتناسخ (٥)

١ - التعريفات لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني ، طادة التناسخ ،  
الدار التونسية للنشر .

٢ - انظر الاضمار القدسية في الاديان السابقة للإسلام ص ١٥٨

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٣ . وراجع مجلة ثقافة الهند العدد ٢ ، ١٩٥٠ ص ٤٢

٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٥١

٥ - مسأسة كشف السلسلة ص ٣٠-٣١

ولهذا فان البراهمة ارادوا وضع صيغ وطقوس بل واساطير من اجل ترسيخ هذه الافكار في عقول الناس عن طريق القصص الخرافية .

وقد اورد الشهرستاني اسطورة يستند اليها البراهمة في هذا الصدد فمن ذلك قوله ( اما تناسخية الهند فأشدد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبداً كذلك فيبيض ويغرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بسنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويصل منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مفارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق ( اي خلق ) من هذا الدهن طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبداً كذلك ، قالوا : فما مثل الدنيا وأهلها في الابد وار والاكوار الا كذلك ( ١ )

ويوضح ابو الريحان البيروني أهمية هذه العقيدة لديهم فيقول ( كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين والتطهات علامة النصرانية والاسباب علامة اليهودية كذلك التناسخ طم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها ) ( ٢ )

ويربط الرهبان الهندوس هذه العقيدة بمبدأ الخلاص ، الذي ليس مفهوم خاطير لديهم ، وقد يؤدى الى الموت بعد تعذيب مريع للجسد ، فالإنسان عند هم يجب ان ( يكتل روحيا واخلاقيا قبل ان يحقق الخلاص ) ( وكما ان ) العدالة هي قانون الحياة الاخلاقية تما كما ان العلة والمعلول هما قانون العالم الطبيعي وما يزرعه الانسان اياه يحمده . وما ان العدالة والكمال الاخلاقي والروحي لا تتحقق في حياة واحدة لذلك تؤمن هذه العقائد بالولادة الثانية حتى تعطى فرصة للإنسان لكي يتقدم اخلاقيا ولكي ينال الكمال . . . . ) ( ٣ )

ومن النصوص التي يستند اليها الهندوس في هذا الشأن ما يلي :

- ( وما ان الروح تعرف في هذا الجسد في الطفولة والشباب والشيخوخة هكذا تأخذ جسداً آخر ، ولا يضطرب الحكيم لهذا . . .

- ( اطم ان كل ما يعلم في الاشياء لا يفنى ولا يدرك . . . .

- ( من يعتقد ان هذا يذبح ومن يعتقد ان ذاك مذبح ، كلاهما يفتلان فسي ادراك الحقيقة ، هذا لا يذبح وذلك لا يذبح .

- ( لا يولد ابداً ولا يموت ابداً ، وعند ما يوجد لا يتوقف عن الوجود انه غير مولود ابدى ، وازلى ، لا يذبح عند ما يذبح الجسد .

- ( كما يلقي الانسان بثيابه الممزقة بعيدا ويلبس ثيابا جديدة ، هكذا تلقي الروح المتسجدة الاجساد وتلبس اجسادا جديدة ) ( ٤ )

١ - الطل والنحل ١٨١/٥ - ١٨٢ - تحقيق ما للهند من مقولة في العقل

مقبولة او منقولة لابي الريحان البيروني ص ٣٨ دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٧٢ - ١٩٥٨ م

٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٩ - ٢٠ - المصدر السابق ص ١٦٤

(١) وقد انتقلت هذه العقائد الى بعض من انتسبوا الى الاسلام ، وقد ظهر ذلك في فرق غلاة الشيعة (٢) ، وقد رد الامام ابن حزم على تلك الدعاوى ، وفند مزاعمهم ، وهي في معظمها لا تخرج عن الاراء الهندوسية .

وهو ابن الجوزي عن ابن نظيف (ان شيخ الامة يعرف بابي بكر ابن الفلاس فحدثنا انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بهذا هسب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور اسود وهو يسحبها ويحك بين هنيئها ورأيتها وهنيئها تد مع كل جرت طاة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلط مستحبتها ، هذه أمي لا شك ، وانما تبكي من رؤيتها إلي حيرة . قال : واخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له : فهي تفهم منك ما تخاطبها به فقال : نعم . . فقلت : أتفهم انت صاحبها قال : لا . قلت فأنت المنسوخ وهي الانسان (٤)

١ - لاحظ انتقال هذه العقيدة بين الامم في : دراسات في الفرق والعقائد

الاسلامية ، د . عرفان عبد الحميد هاشمي ٨١ مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ ط١  
وانظر كذلك كتاب : الاسلام ، سعيد حوى ١٢٧/٤ ، مؤسسة الرسالة  
بيروت ط١ ١٣٩٠ - ١٩٧٠

٢ - راجع في هذا العدد : الطل والنحل ، للشهرستاني ١١٧/٢ وما بعدها

مطبوعة ومكتبة محمد طي صبيح ، القاهرة وكذلك : الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ص ٢٥٣ وما بعدها ، دار الافاق الجديدة بيروت ط٤ ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م

٣ - راجع ردود الامام ابن حزم في : الفصل ١ / ٧١ وما بعدها .

٤ - هذه الرواية أسندها ابن الجوزي الى ابي الحسن طي بن نظيف

المتكلم برواية عن محمد بن ابي طاهر البزار عن طي بن الحسن عن ابيه . .

وقد حكى ابن الجوزي ، مقالة الفراهنة عن التناسخ ، ثم تعرض لشرح مقولته

الهندوس عنها . راجع : تطبيع ابليس ص ٨٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

### - نقصد عقيدة التناسخ :

وجسه الدكتور محمد ضياء الرحمن الاعظمي نقدا عليها الى هذه العقيدة باعتباره متخصصا ، في هذا المجال ، وذلك عندما ناقش الادلة العقلية التي اقامها العلماء الهنود للدلالة على صحة ما يعتقدون ، فاجاب على اربعة ادلة وناقشها ورد شبهها ، وسنورد دليلين كمثال على ذلك .

(الدليل الاول : ان طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ ، فالشمس والقمر والكواكب كل منها تطلع وتغرب ، تظهر وتختفي ، تكون الكواكب مرة في هذا البرج ومرة في ذلك ، فكذا الارواح المتحركة .

الجواب : لم تكن الشمس يوم من الايام قمرا ولا القمر شمساً ولا الكواكب بحرا ، بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق ، بخلاف ارواحكم ايها الهنود ، فهي مرة تكون في جسم الانسان ، ومرة في جسم الكلب ، ومرة في جسم الخنزير ، وهكذا ، فقارنوا بين طبيعة الكون وطبيعة الارواح . . . . .

ومن جملة الادلة ايضا

الدليل الثالث : يقولون ان القول بعدم التناسخ يومى الى تعطيل الارواح مع أنها أزلية .

الجواب : هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو أزلية الروح والمادة لأنه يومى الى احتياج الخالق الى الروح والطادة عند الخلق ، وهو فني عن كسل شىء وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهنود وس "سروشكتي مان" اى القادر المطلق (١) .

وما يمكن توجيهه من نقد لهذه العقيدة ايضا :

- ان هذه العقيدة تجعل الانسان يدور في حلقة مفرقة لا يعرف مبدئها من منتهاها ، وهو ما يومى الى الضياع .

- ان استمرار اوار التناسخ والتقضى يومى الى القول بأزلية الآجال والنفوس ، وهو ما يناهى الشرع والعقل .

- ان في هذه العقيدة اقلالاً من فرص التوبة امام السميثين للرجوع عن اخطائهم ، لانها تنادى بحتمية الارتكان للنتائج ، فهي عطية جبرية تطلب حسن الانسان حريته واداته .

- انها دعوة لتثبيط الهنم وامانة روح التقدم . (٢)

ولهذا كله نرى التأخر في الهند يطفئ على مقومات الحياة .

(مجلة الجامعة الحلفية ، مقال بعنوان ، عقيدة

التناسخ او جولان الروح ، المجلد الرابع عشر العدد الاول ، يناير ١٩٨٢ ، ربيع الاول ١٤٠٢ ص ٦ وما بعدها . الهند ، بنارس

٢- اظر : - الاسلام ، سعيد حوى ٤/١٢٨ - ١٣١

## رابعاً : الاتحاد - أو الانطلاق

يرتبط هذا السبداً ايضاً بطريقه ، فالكارما وتناسخ الارواح عقيدتان لازمتان للوصول الى الاتحاد . فالمرتقي في العبادة المتكشف عن الطغرات الحسية يعطي لنفسه في هذه الحالة مجالا للاتحاد والامتزاج ببراهما كما يدعون .

وذلك لان معنى ( اكتمال السيول والشهوات هو توقفها ، وتغلب الانسان على نفسه بحيث لا يبقى له شهوات ولا ميلا بل يقتنع بما حصل عليه ولا يتطلب مزيداً ، فاذا تم ذلك مع انقطاع عن الاعمال وعن علائق الدنيا وما فيها من ملان وعصيان تلك الشهوات التي تستلزم تكرار المولد اذا تم ذلك نجا من تكرار المولد وامتزج ببراهما ( ١ ) .

ومن النصوص التي يستند اليها الرهبان الهنديون للدلالة على هذه العقيدة ما يلي :

( من يعرف المغزى الحقيقي للفيهدا ، مهما كان نوع نظامه ، يصبح ملاكماً لان يتحد مع براهما ، ولو كان في هذا العالم .

- من يعرف الروح من خلال الروح في كل الكائنات المخلوقة يصبح بمسقية واحدة نحوها كلها ويدخل الحالة العليا ( براهمان ) .

- الانسان المولود ثانية من بطون الكتب المقدسة التي اليها " مانو " يكون فاضلاً ويصل الى الحالة التي يريدها ( ٢ ) .

وفي المرحلة الرابعة من المراحل التي يقسمها الهندوس لحياة الناس وهي مرحلة الشيخوخة ، تصبح غاية الانسان الوحيدة هي الحصول ( على ذلك القدر من الحكمة ومن الروحانية ، الذي يمكنه في نهاية الامر من الاتحاد بالروحية العليا ) ( ٣ ) .

الا ان هناك نوعاً من انواع السارسة التعبدية التي تعتبر بلا شك اشد حالات التطرف النسكي في حياة الرهبنة الهندوسية .

اذ ان اليوغا تمثل قمة النشاط الديني الهندي من حيث الاتحاد ببراهما - عندهم ولا مجال لشرح الاعمال الطقسية المتنوعة التي يمارسها اليوغي لهذا الاتحاد الا ان الطابع العام لهذه الطقوس يتسم بالمغالاة التي تصل الى حد تعذيب الجسد والنفس تعذيباً شديداً تكون نتيجته الحتمية في النهاية لفظ الروح دون تردد .

ولم يقتصر التطرف على الناحية العلية في ممارسة اليوغا بل تعدى الى القول بسانه ليس من مهمة الروح المعذبة على يد ممارس اليوغا ان يتحد مع براهما وكفى بل تصبح ( هي ) نفسه اذ ان براهما ليس الا ذلك الاساس الروحي الخبيء ذلك الروح اللامادي الذي لا يتفرد بنفس والذي يبقى بعد ان تطرد بالرياضة كل علائق الحواس ( ٤ ) .

١ - اديان الهند الكبرى ص ٦١ وكذلك راجع ثقافة الهند العدد الثاني ص ٤٦ سنة ١٩٥٠ وكتاب محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة . د . محمد جلال شرف . مكتبة كريدية اخوان ص ٣٥ واديان العالم . حبيب سعيد ص ٨١

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٧٣ ٣ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٩

٤ - يرجع ظهور اليوغا الى عام ٨٠٠ ق م ( الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٥

ومن نصوصهم الدالة على اليوفا

( قال الرب المبارك : ( من يعرف مجدى وقد رتبى هذه يتحد فى باليوفا التى لا تخطى ولا شك فى هذا ) و ( الذين يعبدوننى ويتحدون فى باستمرار أنصحهم قدرة الفهم التى يأتون بها إلى ) ( ١ )

ابطال مقولة الاتحاد :

لقد أعطى الهندوس ذريعة كبرى لمن جاء بعدهم فى توسيع مفهوم الاتحاد ، وكان أبرز من تسك بهذه المقولة وعلى بها هم النصارى الذين اختلعت أقوالهم فيها اختلافا كبيرا . وقد تولى العلماء المسلمون الرد على مقولة الاتحاد وابطالها بطرق عديدة ومتنوعة فمن ذلك ما أورده الإمام ابن تيمية بقوله :

( . . الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد . وان كانا استحالا السى شىء ثالث كمسا يتحد الطاء واللبن والنار والحديد . . . . . لزم من ذلك ان يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ، فانه لا بد ان يستحيل وهذا متنع على الله تعالى ينزه عنه . لان الاستحالة تقتضى عدم ما كان موجودا . والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شىء من ذلك ، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال ، فعدم شىء منها نقص يتعالى الله عنه . ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضى ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب ، وذلك متنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلزمه القدم والغنى والعزة وهو سبحانه - قد يم غنى عزيز يستحيل عليه نقىض ذلك ، فاتحاد احدهما بالآخر : يقتضى ان يكون الرب متصفا بنقيض صفاته : من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتى والعز الذاتى وكل ذلك متنع ) ( ٢ )

ويرد الإمام الغزالي على دعوى الاتحاد بأدلة عديدة منها :

( . . . ان الاله اذا كان خالقا للناسوت ثم ظهر فيه متحدا به ، فقد حدث له صفة بعد خلقه وهو اتحاد به ، وظهوره فيه » فنقول : اذا هذه الصفة ان كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث وان كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف البارى بها لان صفات البارى كلها واجبة الوجود لان كل ما لزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود ، وصفات الاله يلزم من عدم وجودها محال بيسن ) ( ٣ )

كما انفسرى حديثا بعض العلماء للرد على هذه المقولة ومن بين تلك الردود

ما يلي :

١ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٢٠٠ - ٢٠١

٢ - م. فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢/ ٣٣٩ وكذلك يراجع الجواب الصحيح ٢/ ١٦١

٣ - الرد الجليل للإمام الغزالي ص ٢٢٠ ، ت هـ العزيم عبد الحق حلمسى

الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤



( . . من طرق البرهنة على فساد الاعتقاد بالاتحاد ، ايراد هذه الاحتمالات :

١ - اما ان تظل كل ذات من الذاتين موجودة .

٢ - واما ان تغنى احدهما وتبقى الاخرى .

٣ - واما ان تغنيا معا .

وفي الحالة الاولى لا يكون هناك اتحاد ،

وفي الثانية :

كيف يمكن الزعم بان هناك اتحادا بين موجود ومعدوم؟

وفي الثالثة :

لا يكون هناك محل للحديث عن الاتحاد ، بل الاولى ان نتكلم

عن الانعدام . والمتناقض واضح في جميع هذه الاحتمالات . ( ١ )

---

١ - الموسوعة على الاسلام ، انور الجندي ص ٦١ - دارالاعتصام

وكذلك عقيدة الدروز ص ٢٠٣

### خامسا : الحلول "أو التجسد"

هذه العقيدة انتقلت الى الهندوس عبر الدراوديين ، الذين استطاعوا ادخال عقائدهم في ديانة الفزاة ، وهم يقصدون من هذا القول : بان الذات العليا السامية قد حلت في الانسان .

( وكان أبرز هذه الالهة تتمثل بفشنو الذي يترافيه الدراوديون انه يحل في الابطال الاسطوريين القداسي ) (١)

لقد استطاعت هذه العقيدة ان تشق طريقها الى الهندوسية كرد فعل للتسلط البرهمني الاري ، وقد أصبح فشنو فيما بعد منافسا قويا لبرهما وكرشنا ومسح مرور الزمن حل فشنو وسكن في كرشنا (٢) .

ومن شروح الهندوس لهذه العقيدة قولهم ( تعتبر الجيتا ( كتاب مقدس عندهم ) ان كرشنا هو تجسد ( افارتارانا ) او حلول القدس في الشكل الانساني واذا بدا الله اللانهايي في الوجود النهائي خلال الازمان فان بهانه يكون في لحظة معينة ويتخذ طبيعة انسانية واحدة بواسطة الشخص القدس وحرد ذاته المركبة التي بها يحقق الكمال القدس ذاته كما يحل الى ان يكون متناهما . ان نظرية افارتا هي تعبير عن قانون العالم الروحي واذا نظر الى الله انه مخلص الانسان فانه يلزم ان يثبت نفسه وبيئتها عند ما تهدد قوى الشر وتعمل على تهديم القسم الانسانية . عالم الجيتا هو مشهد لصراع نشيط بين الخير والشر يهتم به الله كثيرا ويقدم كل محبته لكي يساعد الانسان ليقاوم كل ما يسبب له الخوف او الشر او البشاعة (٣)

فكرشنا على هذا الرأي يكون قد حل في الانسان ليخلصه ، فهو بمثابة اله شخصي يهتم بالعالم وقد هبط الى الارض لهذا الغرض ومن الصفات التي يضيفونها اليه ( انه محبة ، وسب ذلك تجسده .

ان الكائن الاطى متسامح ، يتقبل جميع انواع الايمان والاعتقادات لا يتمصب لشكل واحد ومعين من التعبد ، اوليلوغ الاشراق يكفي الاخلاص وحرارة الايمان : ليس هو لها غيورا ولا فضحا ولا محتكرا انه يتقبل كل حمل تقي مهما كانت طبيعته ، وذاك الكائن الاطى موجود في كل شئ (٤) وله عندهم اوصاف كثيرة اقتبس منها النصاري ما اطلقوه على عيسى عليه السلام (٥)

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠-١١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - الفكر الفلسفي الهندي . د . راد اكرشنا ص ١٥٦

٤ - الفلسفات الهندية . د . طي زيعور ص ١٦٨

٥ - راجع في هذا ما صدر " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " للتنبير ص ١٣٠- ط ١٣٣٠ هـ .

وقد نالت هذه العقيدة شهرة كبيرة في الهند بسبب ترويج الرهبان لها . . . وفيه د . الندوى  
ان هذه العقيدة قد انتقلت الى اليونان بعد غزو الاسكندر للهند وقد تمثلت بالاله هليود وروس  
وجوبيتر كما انتقلت الى الرومان ومن ثم الى ايران بعد زرادشت ثم انتقلت الى المسيحية التي  
نادت بحلول الاله بالمسيح كما انتقلت الى القراطة والاساطيلية والبابية والبهائية فيما بعد .  
— ابطال عقيدة الحلول : —

هناك العديد من الانتقادات الموجهة الى هذه العقيدة فمن ذلك ما اشار اليه الفخر الرازي  
حيث يقول ( ان المعقول من حلول الشيء في غيره كون هذا الحال تبعاً لذلك المحل  
في أمر من الأمور وواجب الوجود لذاته يستتبع أن يكون تبعاً لغيره ، فوجب أن يستتبع عليه الحلول<sup>(٢)</sup>  
ومن ذلك ايضا ( انه تعالى لا يجوز ان يحل في غيره ) وذلك لان الحلول هو الحصول  
على سبيل التبعية وانه ينفي الوجوب الذاتي ( وايضا لو استغنى عن المحل لذاته لم يحل فيه )  
ان لا يحد في الحلول من حاجة يستحيل ان يعرض للنفى بالذات ما يحوجه الى المحل ، لان  
ما بالذات لا يزول بالغير ( والا احتاج اليه ) : اي الى المحل ( لذاته ) فان الاستغناء  
هدم الاحتياج ولا واسطة بينهما ( ولزم ) حينئذ مع حاجة الواجب ( قدم المحل ) ، فيلزم  
محالات معا ( وايضا ) اذا حل في شيء ( فان السحل : : إن قبل الانقسام لزم انقسامه  
وتركيبه واحتياجه الى أجزائه ) وهو باطل ( والا ) اي وان لم يقبل الانقسام : كالجوهر الفريد  
( كان الواجب احقر الاشياء ) لحلوله فيه .

وايضا فلسو حل في جسم فذاته قابلة للحلول في الجسم والاجسام متساوية في القبول  
لتركيبها من الجواهر الافراد المتماثلة ( وانما التخصيص ) ببعض الاجسام دون بعض ( للفاصل  
المختار : فلا يمكن الجزم بعدم حلوله في البقعة والنواة وانه ضروري البطلان والخضم معترف به )<sup>(٣)</sup>  
ومن المعلوم ان الله تعالى يجب في حقه جميع صفات الكمال كما يجب تنزيهه عن صفات  
النقص وشابهة الحوادث ( فتجسيد الله مستحيل لمسايبته للحوادث ، لان الجسم لا ينفك  
عن الحركة والسكون وهما محدثان ، وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث ولا ن كل جسم متناه  
في المقدار ، وكل ما كان متناهيا في المقدار فهو محدث ولا ن كل جسم ألف من أجزاء وكسل  
ما كان كذلك افتقر الى من يركبه وهو لافيه وكل ما كان كذلك فهو محدث<sup>(٤)</sup> ،

والحلول ( محال لا يمكن تصويره بين هذين فكيف يمكن تصويره بين العبد وربه ) .<sup>(٥)</sup>  
والحلول محال لاسباب كثيرة ( ذلك لان القديم يختلف عن الحوادث لا اختلاف الطاهية في كل  
منها وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحوادث .

كما ان الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفي الحلول لانه في حالة حدوثه يصبح الحال  
تابعاً لما حل فيه كما يصبح معلولاً لهذا المحل ومتاثراً به بل انه ليصبح في غير الامكان تصور  
الحال الا بتصور المحل ، اذن ينتفي الحلول في هذه المرة كما استحالة في الاولى<sup>(٦)</sup> .

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٣-١١٤  
٢ - اصول الدين : فخر الدين الرازي ت : طه عبد الرؤوف سعد ص ٤٨-٤٩ دار الكتاب  
العربي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤ وقد رد الرازي ايضا على هذه العقيدة في : التفسير الكبير  
٢١٠/٢١ وما بعدها دار الكتب العلمية ط ٢ طهران .

٣ - شرح المواقف للجرجاني ت : د . احمد المهدى ص ٤٨-٤٩ مكتبة الازهر ،  
٤ - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم . د . محمد جمعة عبد الله ص ٨٢ ط ١  
٥ - المؤامرة على الاسلام انور الجندي ص ٦١ ٦٢ - عقيدة الدرر ص ٢٠٣

## ١ - أساس : وحدة الوجود

قبل الحديث عن هذه العقيدة ، تجدر الإشارة الى ان هذه الفكرة لم تكن لترى النور بين الهندوس لولا قيام فريق كبير من الرهبان بأول ثورة على الاساليب والطقوس البرهمية ، رافضين مبدأ سيطرة طبقة البراهمة التي انقضت كاهل الناس ، وقد اراد هؤلاء الرهبان ازالة الفوارق الطبقية من بينهم ، وتشمل رفضهم في الانعزال في الكهوف واتخاذ الجبال والغابات اماكن لتأملاتهم الفكرية واستغراقهم للوصول الى المعرفة الحقيقية لهذا الوجود وصلته بالخالق . . . . . وقد قادهم هذا التفكير الى مبدأ وحدة الوجود ، وتعتبر " الايشان (١) " غير معبر عن ارائهم وفلسفتهم (٢) .

اما عن هذه العقيدة ، فلها اتصال بالمبادئ السابقة ، فالفكر الهندي حاول ربط عناصر الكون بالآلهة التي عبدها كما حاول تفسير جميع ما يتعلق بها وربطها باحواله النفسية والذاتية . وبمبدأ فكرة وحدة الوجود لسم تستقر في عقول الرهبان الا بعد عدة مراحل :

(في المرحلة الاولى : آمن الهندوسي بوجود تقديم القرابين والعبادات للآلهة ، وفي المرحلة الثانية لم تعد القرابين المادية ضرورية ، بل حل محلها مراقبات طقس ظواهر كونية تخيلها الناس ضحايا ، وذلك كالشمس والنار والهوا . .

وفي الثالثة : راقب الانسان نفسه وتصورها قربانا يصل الى براهما ، وفي الرابعة تجردت المراقبات عن تصور القرابين وصار الناس يراقبون انفسهم على انهم القوة الكامنة العالمية المؤثرة ثم وصلوا من التمثل الى العينية واذعنوا ان النفس الشخصية هي (٣) القوة الحيوية العالمية او البراهما فصار المفكر والموضوع الخارجي شيئاً واحداً (٤) .

وهذه بعض الملامح الى ان فكرة وحدة الوجود الهندية قد اعتمدت على اساسين : ١ - الوجود ٢ - العدم

وفسر الهندوس الوجود بأنه الكامل وحاد والخير وحاد والدائم وحاد ، والقديم الأزلي ، وعبروا عنه ببراهما ، وفي مقابلة العدم وهو الناقص كل نقص والشر كل الشر وعبروا عنه بالعالم بما فيه من كائنات حية وغيرها (٤)

١ - احد كتب الرهبان الهندوس المقدسة ، ومعناه : الجلوس في صحبه الاساتذة

راجع : الهند حضاراتها ودياناتها للندوي ص ١٠٦ - ١٠٨

٢ - المرجع السابق

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٦-٦٧

٤ - راجع : الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . د . محمد البهي ص ٣٢١-٣٢٢

دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧

وترى البرهمية أيضا (ان الوجود الكاى حل في العدم الناقص او بمعنى آخر الوجود حال في العدم والكمال حال في النقص والدائم حال في اللادائم ، فالبراهما مركب من شيئين متقابلين تمام المقابلة والانسان كجزء من هذا العالم مركب من خير وشر وكمال ونقص ودوام ولا دوام فمهمة البرهمي تتحضر في امرين : التقرب من براهما والابتعاد عن مطالب الجسم وهي الشهوات وذلك بالمبالغة في الزهد ، وكما بالبح في الزهد كان وفيما لمبته ، ان في هذه المبالغة يتوقف خلاصه كما يتوقف عليها الى حد كبير ابتعاد براهما ، فرأى البرهمية في الوجود يوصل الى الوحدة فيه ثم يجعل هذا الوجود الواحد حالا في مقابله وهو العدم او هذا العالم (١).

ومن هذه المقولة ما جاء في "أمانيشاد برهاداراتياكا" في فصل "استمرار وصف برهمن بأنه صدر العالم ، ما يلي :

- جارجيا قال : ( اى يقول جيارجيا وهو صاحب رؤى )

( الشخص الذى يوجد هناك بعيداً في الشمس ... في القمر ... في البرق ... يوجد هنا في الفراغ في الريح ... في النار ... وفي الماء ... في المرأة الصوت هنا هو الذى يستمر بعد أن يذهب الواحد ... فالشخص الذى هو في كل انحاء الارض ... الذى يشمل الظل ... الذى يوجد في الجسد ... هو مسن ابد ... هو براهمن .

- ان لبراهمن شكلان : له شكل ولا شكل له . الغاني والغالد ،

(٢) الثابت والمتحرك ، القريب والبعيد ) .

كما ان ملحمة " بها جفاد جيتا " تذكر في الفصل الحادى عشر كيفية

تجلي الاله لارجونا فتقول في الفقرة ١٣

( هناك شاهد ارجونا الوجود بكامله باجزائه العديدة المتجمعة في واحد

في جسد اله الالهة ) (٣).

وفي فصل خلق العالم المتنوع من الروح الواحدة تذكر الايمانيشاد برهادار

انيكا قصصا خرافية واساطير عن هذا الموضوع (٤).

١ - الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٣١٥-٣٢٠

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص : ١٢٩

٣ - المصدر السابق ص ٢٠٥

٤ - المصدر السابق ص ١٢٢ ، وقد طلق ديورانت في قصة الحضارة على هذه

الخرافات انظر ١/٣ : ٣٤

وقد قارن البيروني بين ما ذهب اليه الفكر اليوناني القديم وبين عقيدة الرهبان الهنود في هذه العقيدة : (١)

### - ابطال عقيدة وحدة الوجود :

هناك العديد من الردود على هذه العقيدة. أوجز هنا بعضها. فمن ذلك :  
ان من سخف العقول الساذجة بهذه العقيدة جعل الخالق تبارك وتعالى والمخلوق سواء وهو محال ، لانه تعالى لا يشابهه شيء ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (٢) ( وهو قائم بنفسه ومعناه : انه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه وعن محل يحله ، وعن مكان يقفه قال تعالى ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) (٣) مبالغه عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه أو موجد يوجده أو مكان يحله (٤) .

وفي معرض رده على القائلين بان : الوجود واحد بمعنى ان الموجودات اشتركت في سبي الوجود يقول الامام ابن تيمية ( ... فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركة في سبي الواحد لا يكون وجود هذا عين وجود هذا ، بل الاشتراك في الاسم العام الكلي . فالاشتراك في الأسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام . فالاشتراك في هذه الأسماء : هو مستلزم لتباين الايمان وكون احد المشتركين ليس هو الآخر ، وهذا ما يعلم به أن وجود الحق ما بين لوجود المخلوقات فانه أعظم من ماينة هذا الموجود لهذا الوجود . فاذا كان وجود الفلك ماينا مخالفا لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى اعظم ماينة لوجود كل مخلوق ، فإن الوحدة العينية الشخصية تنع في الشئيين المتعديين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل واحد كما أن اسم الجسم والإنسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل انسان . وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك . (٥)

ويقول ( ولهذا اتفق ائمة المسلمين على ان الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من . مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد ( إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وهداهم عدداً وكنهم آتية يوم القيامة فرداً ) (٦) (٧) .

- ١ - انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٠ . يعتبره . الندوى ان هذه الاراء تعتبر تحولا كبيرا نتيجة لما أحدثه الرهبان الهنود ضد البراهمة ان ( شكلوا نقمة تجاه هذه الطبقة وبالتالي لاقت رواجاً بين الناس الا ان البراهمة استطاعوا عن طريق السوارة والخداع امتصاص الثورة والقضا عليها عبر استمالة الرهبان ) الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٠٦-١٠٨
- ٢ - الشورى / ١١ ٣ - آل عمران / ٢ ٤ - التيسير في الدين ، لابي المظفر الاسفراييني ص ١٥٦ طالم الكتب ٧ ط ١ ١٤٠٣ هـ
- ٥ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٥١-٣٥٠ ٦ - مريم / ٩٥
- ٧ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٤٠

وطيبه فان الله تبارك وتعالى منزه عن شابهة الخلق لقوله تعالى :  
( ليس كمثله شيء \* وهو السميع البصير )

و ( لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان ماثلا لها ، ولو كان ماثلا لهما  
لكان حادثا ، كيف وقد ثبت قدمه ( . . . . ) <sup>(١)</sup> قاله سبحانه وتعالى هو الحقيقة  
الوحيدة وراء هذا العالم حقيقة لا نهائية سرمدية ( فهو ) لا يندمج في العالم ، ولا  
يندمج العالم فيه ولا يندمج في المادة .

ولذلك فان قول اصحاب مذهب وحدة الوجود بان الله والمادة  
وحدة لا تتجزأ ( مخالف للاسلام الحنيف ) <sup>(٢)</sup> . . . الذي يدعوا الى ان جميع  
هذه الكائنات لا بد لها من خالق . والخالق هو الله تبارك وتعالى .

---

١ - شرح جوهرة التوحيد ص ٥٢

٢ - الموازنة على الاسلام ص ٥٩

## الفصل الثاني

### الفرق الدينية في الهندوسية ومصادرها :

#### اولا : الفرق الدينية

تعددت فرق الهندوس الدينية تعددا كبيرا ، وقد علب عليها طابع الفلسفة ومنها ما هو متأثر بالسحر ، كما أن للتشفي والرهينة نصيبا من هذه الفرق وقد أحصى الشهرستاني رحمه الله - سبعة عشر فرقة من فرقهم : وقد أكلتها السبعون من مصادرها أخرى كما لخصت أرا كل فرقة بقدر الاستطاعة فجاءت على النحو التالي :

- ١ - أصحاب البددة : من أهم مبادئهم ، عبادة البد ، ومعناه : عند هم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . وقد اختلفوا في وصفه اختلافا كبيرا ، وقالت كل طائفة منهم برأى يخالف الآخر ، ومن آرائهم المحافظة على عشر خصال : من بينها الامتناع والتخلي عن الدنيا والاعراض عن شهواتها
- ٢ - أصحاب الفكرة : من مبادئهم . تجسيد الفكر والعقل وهم يقومون بأنواع كثيرة من الرياضات المجردة للوصول الى التجلي : ويسمون أيضا اليكرنتينية ، وهم يعتقدون أجسادهم من أواسطهم الى صدورهم لثلاث تنشق بطونهم من كثرة العلم وعطية الفكر (٢) .
- ٣ - أصحاب التناسخ : وهم أصحاب أسطورة الطير ، وقد مر ذكرها أثناء الحديث عن التناسخ (٣) .
- ٤ - أصحاب الروحانيات : ومن مبادئهم ، الايمان بمتوسطات روحانية تأتتهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب .
- ٥ - الباسنوية : كأصحاب الروحانيات بالنسبة للرسول ومن مبادئهم تعظيم النار والنهي عن القتل والذبح ، وإباحة الزنا واتخاذ الأصنام ، لعبادة متوسطات روحانية .
- ٦ - الباهودية : ومن مبادئهم عبادة الاصنام وجعل عظام الناس قلائد وأكبالايسل ورفض الدنيا ، ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة .
- ٧ - الكايلية : أتباع ملك روحاني يقال له شب .
- ٨ - البهادونية : وهم أتباع بهادون وهم أصحاب خرافات كثيرة .
- ٩ - عبدة الكواكب : يسير هؤلاء على مذهب الصابئة .
- ١٠ - عبدة الشمس : يعبدون الشمس ويسمون أيضا الدينيكية ، ومن سنتهم اتخاذ صنم لهم بصورة الشمس ويستقربون اليه بالقرابين (٤) .

١ - راجع الطل والنحل للشهرستاني ١٢٨/٥

٢ - الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧ ط : دار المعرفة

٣ - راجع ص ( ٤٨ ) من هذا البحث .

٤ - راجع الطل والنحل ١٢٨/٥



١١ - (عدة القمر : زعموا ان القمر طك من الحلافة ، يستحق التعظيم والعبادة وهم يصومون من كل شهر النصف ، ولا يفطروا حتى يطلع القمر ، يحتفلون في تلك الليلة ويطلق عليهم ايضا " الجندريه كنية " (١)

١٢ - عدة الاصنام : جعلوا لمعبوداتهم اصناما لتقربهم الى الله زلفى ، وقد تأثر بهم اصحاب الروحانيات والكواكب .

١٣ - السهاكالية : هم اتباع صنم يدعى سهاكال ، يزعمون انه غريت من الشياطين يستحق العبادة ، وانهم يتقربون اليه ثلاث مرات كل يوم ويسجدون له ويظفون بـه وسألونه حاجاتهم .

١٤ - البركسيكية : هم من عدة الاصنام ، وطريقة عبادتهم هي : وضع الصنم المعبود في شجرة باسقة ويظفون حوله ويسجدون له .

١٥ - السده كينية : يتخذون صنما على شكل امرأة ويتقربون اليه بضرب اعناق الغنم ولهم طريقة سيئة جدا في احتفالاتهم الدينية حيث يهجمون على الناس وهم يركبون الفيلة فيقتلون كل من كان امامهم .

١٦ - الجلهكية : هؤلاء يعبدون الما\* وتتم عبادتهم بالتجرد من الثياب وستمر العورة ثم بالدخول في الما\* حتى يصل الى الحلق . ويقيمون على هذه الحال ساعة او ساعتين مع التسبيح والقراءة . فاذا اراد احد هم الانصراف حرك الما\* بيد ، ثم اخذ منه شيئا ، فيقطر به راسه وسائر جسده خارجا ثم سجد وانصرف .

١٧ - الاكنواطرية : هم من عدة النار ، يزعمون ان النار اعظم العناصر ، وتقوم عبادتهم على القا\* القرايين النفيسة في اخدود شتعل بالنار ، ويجلسون حولها صائمين يسدون انفاسهم حتى لا يصل اليها من أنفاسهم نفس صدره من صدر مجرم .

١٨ - الكناكباترة : من سنتهم ان الانسان اذا اذنب ذنبا ان يشخص من بعد اقرب حتى يغتسل في نهر الكيف فيظهر بذلك .

١٩ - الراهرنية : وهم شيعة الطوك ومن سنتهم في دينهم معونة الطوك ، قالوا : الله الخالق تبارك وتعالى ملكهم ، وان قتلنا في طاعتهم ضينا الى الجنة .

٢٠ - ومن هؤلاء فرقة تدعو الى تطويل الشعر وعدم شرب الخمر ، والحج الى جبل يقال له حورغن ، يحجون اليه ، فاذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فسي طريقهم اذا انصرفوا وان رأوا امرأة هربوا منها ولهم في الجبل بيت عظيم فيه صورة (٢) .

١ - الفهرست ص ٤٨٨ ، وما فصله الشهرستاني عن هذه الفرق ١٢٨/٥ وما بعدها وما اوضحه الدكتور سليمان دنيا في تحقيق لكتاب " التفرقة بين الاسلام والزندقة "

للغزالي ، ص ١٣٤ - ١٥٨ ط ١٣٨١ - ١٩٦٦ م . دار احيا\* الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . وما نقله د . محمد جلال شرف في محاضرات لفلسفة القديمة " عن

هذا الموضوع ص ٤٤ - ٤٧

٢ - راجع الفهرست ص ٤٨٩ - ٤٩٠

ثانيًا :

== " الكتب المقدسة عند الهندوس "

ظلت الكتب الهندوسية المقدسة "مجهولة" لدى العلماء الغربيين قرونا طويلة في حين أن العلماء المسلمين لم تغيب عنهم هذه المعرفة ، وذلك لاتصالهم بالهند وفتحهم لها .

وأشهر هؤلاء العلماء هو أبو الريحان البيروني ( ٣٦٢-٤٤٠ ) . الذي نزل الهند واضطلع على عاداتها وتقاليدها ودرس عقائدها ونحلها وخرج الى العالم بمؤلفه النفيس " تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مردولة " الذي يعتبر (٢) أول مرجع تاريخي اسلامي عن الهند .

كما أن هناك العديد من العلماء المسلمين الذين أسهموا بالدراسات والابحاث عن الهند واحوالها ، ونخص من بينهم القاضي ابا القسم صاعد بن أحمد الاندلسي (٣) ( ٤٦٢ هـ ) كذلك قام الرحالة محمد بن ابراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة ( ٧٠٤-٧٢٩ هـ ) ( ١٣٠٣-١٣٧٧ م ) برحلات كثيرة الى بلدان هندية وضمها الهند التي التقى فيها بكثير من نساكها ورهبانها وسحرتها وتكلم عنهم (٤) ويختلف العلماء والحوارخون حول تاريخ تدوين كتب الهندوس ، وخاصة كتابهم المشهور باسم " القيدا " الذي يعتبر بالنسبة للهندوس السجل الديني (٥) (٦)

١ - قال عنه العلامة الانجليزي " سخاوي " : ( إنه أعظم عظمة عرفها التاريخ ) ، ، ، والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند وآثارهم في العلوم وقد صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس ( انظر بتوسع : من منابع الفكر الاسلامي ، أنور السجندى ، ص ١٠٨ ، دار التحرير للطبع ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ) .

٢ - ألفه حوالي سنة ٣٩٠-٣٩١ هـ ، راجع : الاسفار المقدسة ص ١٥٤

٣ - انظر كتاب طبقات الامم له ، ص ١٧-١٨ ، مطبعة السعادة بمصر .

٤ - راجع كتاب : رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤٣ ، دار صادر بيروت ١٣٧٩-١٩٦٠ م

٥ - يذهب . الندوى الى ان القيدا تعتبر تاريخ الفكر الآري منذ عام ١٨٠٠ ق م ولكن هذا الكتاب لم يدون إلا منذ سنة ١٠٠٠ ق م . ( يعتقد الباحثون ان التدوين الفني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة ٦٠٠ ق م ) . : الهند حضاراتها

ودياناتها ص ٩٨ ، وللمزيد راجع ايضا : الفلسفات الهندية ص ١٤٧

٦ - يطلق البيروني لفظ " بيد " على " القيدا " وربما تكون هذه التسمية متداولة في عصره أو أن الفاء في قيدا تنطق باء بالفارسية . ومعنى القيدا كما أورده البيروني : العلم بما ليس بمعلوم . وقد شرح رحمه الله - أساطير كتب القيدا ومحتواها

وألق ما دار حولها من خرافات واساطير . انظر : تحقيق ما للهند ص ٩٦ وما بعدها .

والتاريخي والاجتماعي ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة أقسام ، دونت فيه جميع الآراء المعقدية والأناشيد المختلفة في مدح آلهتهم المتعددة ، كما دونت العادات والتقاليد الاجتماعية والسياسية وأحوالهم المعيشية وكل ما يمت إلى الأريين بصلة .

( ١ )  
ولا يعرف على وجه التحقيق أسما واضع هذا الكتاب ، ولكن من الثابت انه نتاج تعاون مجموعة من كهنة ورهبان وطما المراهمة .

ويعتبر الهندوس ان هذه الكتب المقدسة عند هم يوحى بها من الهتهم ويرجع تقدسهم للشمس الى الاتجاه الروحاني لدى الفكر الهندي والموافق على تأليفه او تقدس اى كتاب دون الحاجة الى اهداء الاسباب ( ٢ ) .

---

١ - بندهد . وافى الى ان واضع القيدا هو : قيدافياسا ، اى جامع القيدا .  
انظر ، الاسفار المقدسة ص ١٥٢ .

وربما يكون هذا أول هندي كتب كتابا دينيا هندوسيا ثم توالى بعد ذلك كتابة القيدا ، لانه من غير المعقول كتابة مؤلفات ضخمة من قبل مؤلف واحد ، وعبر قرون متعددة ، وقد أشار فوستاف ليهون إلى أن " القيدا " كتب من قبل عدد من اللاهوتيين وأن إهداءها كان في عدد من القرون ( حضارات الهند

ص ٢٥٨ .

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٧٦

## أ - أقسام " الفيدا "

لاتصال هذا الموضوع بالرهينة ، من حيث كونه نتاج الفكر الديني عندهم ، لابد من إعطاء تلخيص بسيط لأقسام الفيدا وما يحتويه كل قسم . وتتوزع كتب الفيدا على أربعة أقسام (١) .

### أولاً : رج فيدا (٢)

أي معرفة ترانيم التنا ، وهي مجموعة أناشيد وصلوات ، تتلى في العبادة وعند تقديم الاضاحي (٣) ، وخلال القيام بالواجبات والطقوس الدينية . (٤) وفيه صور واضحة للالهة القديمة التي جلبها الاريسون من موطنهم الاصيل . وهي تحتوي على ١١٠٧ انشودة وتنقسم الى عشرة كتب تمثل الحقبة الاولى لتطور الادراك الديني (٥) .

### ثانياً : ياجور فيدا :

معناها الفيدا الهوائية ، أي النسبوية للهواء (٦) . وتشتمل على العبادات النثرية التي يطوها الرهبان عند تقديم القرابين (٧) .

### ثالثاً : ساما فيدا

أي الفيدا المنسوبة للشمس ، وتشمل الاغاني التي ينشدونها السنشدون اثناء اقامة الصلوات وتلاوة الادعية (٨) وفيها بعض التعليقات الفلسفية والتأملات (٩) (١٠) .

١ - هذا التقسيم قام به " فياسا ضيفا " . . . ثم اؤكل امرها الى تلاميذه المختلفين انظر : " شري ايشوانيشان " . أ. س. بكطي فيداناسواي براهيواس ، الا شاريما المؤسس للمجتمع العالي لوفي كريشنا ( ص ٨ دار كتب بهكطي فيدانانتا ، لسوس انجلوس ، لندن ، هومباي ١٩٧٤ .

٢ - كلمة رج : تطلق على الاشعار ، والفيدا : على المعرفة ويقصد بكلمتا الكلمتين أناشيد المعارف الروحية ( ) ر : الهند حضاراتها ودياناتها للندوى ص ٩٩ وراجع في هذا المصدا الاسفار المقدسة ص ١٥٢

٣ - راجع : الفلسفات الهندية ص ١٤٧ .

٤ - راجع الهند حضاراتها ص ٩٩ ٥ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦

٦ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٥٢ ٧ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢

٨ - الاسفار المقدسة ص ١٥٢ واديان الهند ٤٢

٩ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢ ١٠ - الفلسفات الهندية ص ١٤٧

#### رابعاً : آثاراً قيّمة

(١) تشل مقالات في السحر والرقى والتوهّمات الخرافية والسحرية وتبلغ حوالي ١٨٠٠ انشودة فيها حكم وقصص شعبية ووسائل لحماية النفس من الشياطين والاعداء\* والنفوس الغبيثة ، كما يعتقدون .

(٢) هذه الكتب الاربعة تنقسم بدورها الى اربعة فروع وهي :

##### ١ - سامهيتا :

وهي مجموعة من الأناشيد ، والملاحات ، وقواعد الاضاحي ، وأناشيد جماعية ، كان آخرها في بداية الفلسفة الهندية ، وتطورت فيها العبادة ، من التعدد الى التوحيد .

##### ٢ - البراهماناس :

هي كتابات نثرية تبحث في مغزى الشعائر والطقوس والاحتفالات التي لها علاقة بالاضاحي والذبائح وهي من على الكهنة وفيها توجيهات لكبار السن ( الذين في سن الشيخوخة ) .

##### ٣ - الاريناكس :

نصوص دينية لساكني الغابة من المتعبدين ، وهي مخطوطات تبحث في المسائل الفلسفية وتشجع على التأمل ، وغالباً ما تكون لمن بلغوا آخر درجة في السلم الديني ، وهي حالة الترهّب .

##### ٤ - الاوانيشاد (٤) :

وهي مخطوطات دينية هامة من خلاصة للبراهماناس وفيها احتجاج فلسفي ضد ديانة البراهماناس وفيها ميل نحو توحيد عبادة الاشخاص . وهذه كما قلنا في السابق من وضع الرهبان الهنود والذين وقفوا ضد سيطرة البراهمة .

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٤٣

٢ - راجع الفلسفات الهندية ص ١٤٧ وكذلك : الفلسفة في الشرق ، بول ماسون اورسيل . ت : محمد يوسف موسى ص ١٠٩ ، دار المعارف بمصر .

٣ - عدت الى تلخيص هذه الفروع الاربعة من : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦ واديان الهند الكبرى ص ٤٣ ، راجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي

د . عبد الله ميسر الطرازي ٣١٩/١

٤ - تطلق على (الذهب الغامض الطغز الذي كان يسره المعلم الى خيرة تلاميذ ، واحبهم اليه ، وهذه الاسفار مليئة بالسخرافات والمتناقضات ) قصة الحضارة

١/٣ : ٤٣-٤٤ ، راجع ما جاء عنها في : حكمة الاديان الحية ، جوزف كاير ص ١١٢

كما ان هناك مجموعات اخرى من الكتب المقدسة لدى الهندوس والتي يرجع تاريخ تأليفها الى القرن السادس والسابع ق.م. وأهمها :<sup>(١)</sup>

١ - رامايانا : وهي تتحدث عن الافكار السياسية والدستورية للحكومة الهندية ، وطرق اختيار الملوك وولاية العمود ، ومغامرات<sup>(٢)</sup> الاله فشنو ، وتبلغ ٢٤ الف مقطوعة .<sup>(٣)</sup>

٢ - مهابهاراتا : وتعتبر طحمة الهند الكبرى وتشبه الالياذ ، والاذيسة<sup>(٤)</sup> عند اليونان .

وهي عبارة عن كتب اهتمت بالقصائد الفلسفية في ادب غير منظم ، وتشمل ٢٠٥٠٠٠ بيتاً من الشعر ، وتقصى هذه الطحمة وقائع تجسد اخر للاله فشنو الذي جاء هذه المرة بصفة " كرشنا " الذي نشأ راهيا للبقر ، واسهم في عدد من الوقائع والمآثر قبل ان يقتل خطأ من قبل<sup>(٥)</sup> صياد ، ويمنح الى بحر اللبن شواء السطوى . وقد اخذت ثلاثة نصوص فلسفية من المهابهاراتا سميت " البهاغافاد غيتا " وكلاهما مشوب بالاساطير .<sup>(٦)</sup>

٣ - داراماستراس<sup>(٧)</sup>

وهي مقالات في الاخلاق والفلسفة الاجتماعية ومقالات تتحدث عن سلوك الاربين في حياتهم وتمف تنظيمهم الاجتماعي واعمالهم . الخ .

١ - راجع الفكر الفلسفي الهند ص ٩

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٩٣

٣ - حكمة الاديان الحية ، جوزيف كايوت : حسين الكيلاني ص ١١٥

٤ - اديان الهند الكبرى ص ٧٧

٥ - انظر حضارات الهند ص ٤٥٣

٦ - حكمة الاديان الحية ص ١١٥

٧ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٩

٨ - حضارات الهند ص ٢٩٣

٩ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٩

(١)  
٤ - وهناك ايضا مجموعة كتابات وأبحاث مختلفة سميت "بالصوترا" أو "شتر"  
ويعود تاريخها الى القرن الاول الميلادي وقد جمعت جميع الطوائف الهندية  
فيها معلوماتها الفلسفية . وقد اخذت طابع الساهج ووصفت عقائد كل منهج على  
صورة اقوال منظمة يعترضها الغموض بعض الاحيان (٢)

٥ - ثم جاءت فترة كتبت فيها التعليقات على الصوترا من اجل توضيحها  
كما كتبت تعليقات حول هذه التعليقات (٣) واهم هذه التعليقات : تعليق  
شنكاريا وتعليق رامونا جاشاريا وتعليق فاشيناشاريا (٤)

٦ - يوجا واسيستها :

منظوم يحتوى على اربعة وستين الفا من الابيات وموضوعها يختص  
بالفلسفة واللاهوت . (٥)

وفي هذه المجالة جدير بان تشير الى ما اورد بهيرون من كتب الهندوس  
التي طالجت مواضع الفقه والزهد وطلب الخلاص من الدنيا ولم يذكرها غيره ممن  
المؤلفين وذلك في كتابه تحقيق ما للهند ، والذي قال فيه عن هذا الموضوع :  
( ولهم كتب في فقه ملتهم وفي الكلام وفي الزهد والتأله وطلب الخلاص من الدنيا  
مثل كتاب عطه "كور" الزاهد وعرف باسمه ومثل "سانك" عطه "كهل" فسي  
الامور الالهية ومثل "ياتنجل" في طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقلها ومثل  
"تابيهاسي" لكهل في "بيد" وتفسيره . وانه مخلوق وتتميز الفرائض فيمنه  
من السنن ومثل "ميانس" عطه جيمس في هذا المعنى ومثل لوكايت عطه المشتري  
في الاخذ بالحسن وحده في المباحث ومثل "اكست ميت" عطه سهيل في العمل  
بالحسن والخير معا ) الى غير ذلك من الكتب الاخرى . (٦)

- ١ - انظر كتاب "منوسموتي" كتاب الهندوس المقدس . ترجمة : احسان حقي ص  
( هـ ) ، دار البقطة العربية .
- ٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
- ٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
- ٤ - راجع : شري ايوانشاد ص ٩
- ٥ - اديان الهند الكبرى ص ٨٩-٩٠
- ٦ - راجع بتوسع : تحقيق ما للهند ص ١٠٢

يتضح من خلال استعراض أهم الكتب الهندوسية ، ان هذه الكثرة تدل دلالة واضحة على كثرة الكهنة والفلاسفة والرهبان الذين وضعوا هذه المؤلفات ودونها على مدى قرون بعسيدة .

وقد اوردت بعض الابحاث الحديثة اسما \* عدد من فلاسفة وكهنيسة الهندوس والذين يرجح ان يكونوا من بين كتبة هذه الاسفار ، والتي يرجع تاريخها من القرن الاول الميلادي الى القرن السابع عشر منه .  
ومن بين هؤلاء ( ١ )

- سامكارا	- كرمارها	- شريدهارا
- رامانوجا	- فاكساتي	- امانا
- ياسكارا	- جامانتا	فيجنيا نيبكو ( ٢ )
- راجوناتا	- ياجانا فالكيا	- جارجي ( وهي امرأة )

وعلى الرغم من كثرة الكتب الهندوسية الدينية وتعدد ها واختلاف نصوصها وتعارضها مع بعضها البعض الا ان نظرة الهندوس الى هذه الكتب هي نظرة احترام وتقدير وهذا المفهوم مأخوذ من مبدأ تقدير تراث الاباء والاجداد او ما يسمى بالمحافظة على النزعة والتراث القوي ، وهذا يدل دلالة واضحة على تفشي عبادة التقليد الاصح ، وان كان هذا التقليد لا يستند الى اصول وجذور صحيحة ، وقد لسنا بعضا مما تحتمه هذه الكتب من خرافات ، واساطير .

١ - راجع عن هذه الاسماء في : الفكر الفلسفي الهندي ص ١١ وكذلك ص ٢٢ فيها المزيد من مؤلفي الكتب الهندوسية .

٢ - راجع قصة الحضارة ١ / ٣ : ٤٤ .



## ب - قوانين مانو

نفرد الحديث في هذه الزاوية عن هذا الكتاب لانه يعتبر من أهم الكتب الهندوسية ، ان انه تلخيص وتعميد للاحكام والقوانين والتشريعات التي احتوتها الفيدا<sup>(١)</sup> . وكان الهدف من وراء هذه القوانين ، ضبط السلوك في المجتمع الهندي مع تحديد الطقوس والعبادات وتفصيل الواجبات والغروض وتوضيح الجادى<sup>(٢)</sup> الاخلاقية والاجتماعية التي يقوم عليها الفكر الهندوسي<sup>(٣)</sup> .

وليس هناك تاريخ قطعي لتحديد زمن كتابة هذه القوانين ، ولكن العلماء رجحوا بانه كتب في نحو المائة السادسة قبل الميلاد ، وان كاتبه أو واضعه هو الاله براهما وانه طمعه الاله ( مانو ) وهذا بدوره طمعه الى بهركو . هذا ما يزعمه الهندوس في وضع الكتاب .

وتحتوى هذه القوانين اثنتى عشر بابا تضم ٢٦٨٥ بيتا او فقرة تنص على التشريعات الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

وقد اهتم العلماء الغربيون بهذا الكتاب واقاموا حوله دراسات موسعة لاستخلاص المعارف والنتائج منه ، واستطاعوا بهذا العمل اعطاء صورة واضحة عن تكوين المجتمع الهندي الارى القديم من حيث الديانة والمجتمع والفرد والحكم .

والسر الكامن وراء اهتمام الهندوس بهذا السفر بالذات وتعلق البراهمة به على وجه الخصوص يتضح من خلال نتائج تعاليمه وتوصياته التي استطاعت ان تعيد لخدمة الهندوس الى ما كانت عليه وان تقف بوجه المد البوذى والجيني ربحا من الزمن والذي كان يهدد الكيان الكهنوتي للبراهمة . فجاء الكتاب د رطا واقيا لسلطتهم وتسلطهم وتكريسا لامتيازاتهم على سائر الطبقات الاخرى .

ومن الملاحظ في هذا السفر هو اشتغاله على قوانين وانظمة لم تكن موجودة في الكتب السابقة التي اهتمت كثيرا بشؤون الالهة وصفاتها ومدحها الخ . . . فجاءت هذه القوانين وعالجت ما يهم الشعب من شعائر وطقوس لتقديم القرابين ومعنى اخر اهتمت هذه القوانين بالدين الشعبي اكثر من اهتمامها بالالهة فقط . وهذه العطية استطاعت طبقة البراهمة الهندوس تضيق الخناق على البوذية والجينية والحد من نشاطهم<sup>(٧)</sup> .

١ - الاسفار القدسة ص ١٥٥

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٤٩

٣ - انظر مقدمة كتاب " موسرتي " ، كتاب الهندوس المقدس ، ت : احسان حقي ص (هـ)

٤ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٣ ، ، وانظر ١/٣ : ١٦٤ حول التطور التشريعي لهذا السفر

٥ - راجع ما قام به غوستاف لوبون من دراسات حول هذا الموضوع في " حضارات الهند " ص ٢٩٣

٦ - هناك ايضا كتب اخرى كان لها اثر كبير في هذا المجال ويطلق عليها سوتراس ومعناها الخيوط انظر ، الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٨٦

٧ - راجع في هذا الصدد : حضارات الهند ، ص ٣٣١-٣٣٩ ، واديان الهند الكبرى ص ٩٨

- نظام الطبقات الهندوسي ونقده -

من الغريب ان يتجرأ الناس لا اختيار فئة تقوم بمن تشريعات وقوانين مختلفة ، لكن الأغرب ان تحقق هذه الفئة مستمرة في طغيانها ، تسنن التشريعات الدينية والنظم الاجتماعية ، وتقسّم من خلالها الناس الى طبقات متفاوتة في الرتبة متباعدة في الاختلاف مختلفة في الحقوق والواجبات ، وان تحدد لكل طبقة قوانينها الخاصة بها ، لا يمكن ان تتعدى لغيرها .

لقد استطاع كهنة البراهمة و رهبانهم المحافظة على نفوذهم ومكاسبهم طيلة قرون عديدة يرجعها البعض الى ٢٥٠٠ ط م<sup>(١)</sup> ، وقد مارسوا خلالها حكماً طاغياً ، وعلى نطاق واسع . فاذلوا الناس واستعبدوهم وحرموهم من ممارسة حقوقهم تحت ستار القداسة والانتفاء للعنصر الالهي ، ورغم التطور الذي شهدته الهند في العصر الحديث الا ان نظام الطبقات لا يزال معولاً به حتى يومنا هذا رغم المحاولات الكثيرة لتغييره . ( ٢ )

وصحيح ان دور الكهنة بدأ يتقلص الى حد ما نتيجة الانفتاح الذي شهدته الهند في هذا العصر الا ان نظام الطبقات لا يزال يعيش في مغليسة الهندوس ، وحياتهم الاجتماعية ، وقد قابلت اثناً زيارتي للهند احد الطلبة الذين يدرسون في الجامعة السلفية في بنارس وقد اسلم وترك الهند وسية طمسا بانه كان من طبقة المنبوذين .

اولا : كيف نشأ نظام الطبقات :

لقد أتى على أم كثيرة حين من الدهر طرست فيه أنظمة عرقية معتدة على نظام الطبقات فكانت فئة من الناس تتغلب على أخرى وتمارس ضد ها التمييز العنصري . الا أن كثيرا من هذه الأمم استطاعت تغيير أساليب وقواعد انظمتها الاجتماعية الكثيرة تبعاً للتطور العام الذي يرافق الحياة البشرية ونظراً للفاهيم الاجتماعية الكثيرة والفلسفات التي تتوصل اليها الأمم اما عن طريق تفكيرها الذاتي أو عن طريق الاكتساب من الأمم الاخرى عبر الالتقاء الحضاري بين الشعوب ، وقد يأتي التغيير نتيجة رسالة سماوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى على رسول أو تصحيح انحراف عبر نبي من انبياء الله صلوات الله عليهم .

١ - انظر في هذا الصدد : قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٩

٢ - انظر : اديان الهند الكبرى ص ٦٠

٣ - انظر : الهند و حضاراتها ، ودياناتها ص ١٨٧

اما بالنسبة للهند فان هذا التغيير لم يروجه النور الا في العصور الاسلامية الزاهرة التي استطاعت كسر قاعدة احتكار الهندوس ، والقضاء على طغيان البراهمة والتقدم بالهند خطوات واسعة نحو الحضارة والازدهار<sup>(١)</sup>.

لقد كان المجتمع الارى في الهند كما أسلفنا - يهرى الطباع ، وثني الديانة هيجي النشأة ، وكانت مفاهيمه الدينية بسيطة وساذجة الا أن التقاء الاربيين بالرافيديين وفيرهم ، مكنهم من تطوير حياتهم الدينية والاجتماعية رغم الهجمات الوحشية التي تعرض بها الفتح الارى للهند ، وخلال هذه الفترات المبكرة كان المجتمع الارى يتطلب افرادا يقومون برعاية الطقوس وتقديم القرابين والاضاحي وانشاد الترانيم لالهتهم الخاصة ، وهوؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم الكهنة ، . لقد كانت الطقوس تستلزم أربعة من الكهنة ومن بينهم ( البراهمة ) ذلك الذي ارتفع شأنه فيما بعد<sup>(٢)</sup> ولم يكن هؤلاء الكهنة ( حتى ذلك الوقت قد أصبحوا طبقة تخطف عن الطبقات الاخرى اختلافا واضحا ، كان رئيس كل طائفة يقوم بدور الكاهن عند تقديم القرابين التي كانوا يكثرون في تقديمها طبقا لما تطلبه الديانة الفيدية<sup>(٣)</sup> ) .

١ - لم تستطع أي قوة أن تخضع الهند تحت سيطرتها مدة طويلة ، إلا أن هذه القاعدة لم تنطبق على قوة الفتح الاسلامي ، الذي أزال كل العقبات من طريقه ومحا الفروق الطبقية والعرقية وأعاد العباد الى عبادة رب العباد ، وبنى حضارة عربية شامخة ، لازالت معالمها الى الآن تشهد على التقدم . ولولا التدخل الاجنبي وخاصة الانكليزي بالتعاون مع الهندوس الوثنيين ، دسا ، وخداعا ، لما قامت لهؤلاء قائمة .

٢ - يوضح تونبي أن بداية تطور المجتمع الارى كان إثر المحاولة التي قام بها الاربيون للمحافظة على هويتهم والتي قامت على أساس اللون في البداية وكان هذا الاجراء ضد السكان الاصليين ، وما لبث الاربيون أن انقسموا ( كما حدث لشعوب أخرى في أماكن مختلفة متعددة في أجزاء العالم الى ثلاث طبقات هي : السماريون ، والكهنة والعامة ، وقد كانت هذه الطبقات وراثية عند الاربيين كما أصبح الانقسام الطبقي الداخلي عندهم لا يقل صرامة عن الفصل بين الاربيين وأهل البلاد ، وقد انتزع البراهمة مع الوقت من السماريين ( الكشاتريين ) ما كانوا يتمتعون به من كونهم أرفع الطبقات ) راجع : تاريخ البشرية ١٤٦/١ - ١٤٧ وكذلك : يراجع في هذا الصدد : معالم تاريخ الانسانية ٢٣٤/١

٣ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ٩٥

٤ - شجرة الحضارة ١٥٧/٣

بعد عملية الغزو الأري جاءت عملية الاستقرار والتوسع في القرى والمدن وهي الفرصة التي أتاحت للأريين الوقوف على كثير من المعارف الدرافيدية والتي أهلتهم لمزيد من التقدم العمراني والتجاري والصناعي وحتى الديني الذي رافقه أنواع كثيرة من التسلط والشموذة من قبل الكهنة ، أضف الى ذلك المعارف المستقاة من أم أخرى .

ومع هذا التوسع والانفتاح الجديد اقتضى الأمر وجود عدد كبير من الكهنة الذين ازدادوا مع مرور الزمن وأصبحت لهم بعد ذلك قواهم وامتيازات كثيرة تطورت ونمت وقد توج هذا النمو بتسليمهم الأمر بعد أن تمكنوا من إدارة البلاد حسب أهوائهم ، تماما كما فعلت الكهانة المصرية القديمة من قبل .

وكان لتأليف الكتب الدينية الهندوسية أكبر الأثر في تدعيم سلطة الكهنوت البرهمني والذي لاقى مع الزمن رواجا بين الناس بسبب استغلالهم لبساطة الشعب ، بادخال القرابين والانظمة والعقائد التي يريدها .

كان لهذه العوامل الفضل الأكبر في نشوء طبقة البراهمة الذين اكتسبوا مع الزمن في نظر الهندوس صفة التقديس والخلو حتى اعتبروا عنصرا فريدا مهيذا عن بقية افراد الشعب مع الايمان بوجود عرق إلهي فيهم بل وإدخال الألوهية ايضا (٢) .

---

١ - في هذه الفترات ( كان البراهمة يعلنون في كبرياء ان الكاهن يستطيع بهرأته ادارة الحفلة الدينية أو اقامة شعائرها أن يحصل على البركات التي يصبو اليها وليه ، أو أن يسوق اليه الهلاك المحقق لو شاء ، ولم يكن القران في نظر الكاهن مجرد محاولة لاسترقاء انتباه الاله الذي قد يكون مشغولا في مكان آخر أو السذى يكون قد تزلف اليه هابد آخر منافس بل أصبح هذا القران أداة نفسية من أدوات السحر تقيد الآلهة وتضمن الحصول على البخية أو على الأقل تضمن الحصول عليها إذا لم تتدخل موثرات معادية ونفس هذه المؤثرات يمكن التغلب عليها إذا (تمودنا) السخاء مع الكهنة فهم كما يزعمون في كبرياء الآلهة على الارض ) .

: تاريخ العالم ٢٧/٢ هـ

٢ - المصدر السابق .

وضمانا لهذه السلطة ، واحتفاظا بهذا النفوذ ، سن البراهمة لانفسهم قوانين تحمي هذه المكتسبات ، وتمنع غيرهم من الاشتراك فيها ، أو الاقتراب منها ولم يكتفوا بذلك بل قننوا أنظمة عنصرية وعرقية لغيرهم وقسموا المجتمع الى طبقات وفتات متفاوتة من حيث الرتبة والمنزلة ، وطى أساس هرمي ، موزعة أعمالها ونشاطاتها الدينية بحسب ما تختص به كل فئة ، على أن يكون الولا<sup>(١)</sup> والانقياد للطبقة الأولى أى طبقة البراهمة ، وما عداها محكوم عليه بخدمة منها والقيام بواجبات السمع والطاعة لها .

وقد حاك البراهمة مبررات لتقسم هذه الطبقات وما غوها بنصوص مقدسة وقوالسب دينية لاضفاء صفة الشرعية وطرح لباس القداسة طيها ، وهي في حقيقة أمرها أباطيل مستندة الى اساطير وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع هذا كله فان في المجتمع الهندي الى الان من يتقبل هذا بسرور .

## ثانيا :

### تقسيم الطبقات

تستند قوانين مانو الى اسطورة خرافية لتقسيم الطبقات في الهند

فمن ذلك ما جاء في باب خلق العالم مادة ٣١ منها ، ما يلي :

( ولسعادة العالم ، خلق برهما البراهمة من وجهه ، والكشتريين

من ذراعيه ، واليهش من فخذيه ، والشودر من قدميه ) .<sup>(١)</sup>

وطى اساس هذا القانون جرى توزيع مهام الطبقات كالآتي :

#### الطبقة الاولى : البراهمة

وترمز الى طبقة الازكيا<sup>(٢)</sup> من الرجال الذين يعون براهمن اي الروح الكليسة

المجردة<sup>(٢)</sup> ، وهو<sup>(٣)</sup> لا هم الطبقة السميذة التي لا تخضع لغيرها من الطبقات ، ولها من الصفات ما يجعلها محترمة بل ومقدسة في نظر الطبقات السفلى .

ومن وظائف هذه الطبقة : اقامة الشعائر وتقديم القرابين والذبايح ، وترتيل

الأناشيد . وتجدر الإشارة الى أن هو<sup>(٤)</sup> البراهمة استطاعوا تدعيم هذه الطبقة

باستغلال نفوذهم لدى الناس على اعتبار أنهم الأكثر ثقافة بين الشعب وهم

معلموه وكهننته الذين لا تقام العبادات الا بواسطتهم " وهم وحدهم الذين لهم

الحق في الاعطاء والمنع والقبول والرفض " .<sup>(٤)</sup>

١ - : موسمري ص ١٩ ، وقد شرح البيروني هذا التقسيم وقارنه بنظام الطبقات

الفارسي : راجع : تحقيق ما للهند ص ٢٥-٢٦ ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١

٣ - راجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٢٣٤ ٤ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٦٧

- واليك بعض النماذج من القوانين المتعلقة بأفراد هذه الطبقة والتي يلاحظ من خلالها مدى الطغيان والتحكم والتسلط الذي يمارسه البراهمة
- جاء في قوانين مانو من الباب التاسع فصل منزلة البرهمني ما يلي :
- ٣١٤ - على الطك ألا يغضب البرهمن حتى ولا في أوقات الحائض لأنه إن فعل ذلك فإنه يببده مع جيشه ومراكبه .
- ١٨ ٣١٨ - إن البرهمن خليق بكل إحترام سواء أكان عالماً أم جاهلاً شأنه شأن النار سواء أكانت ... أم لم تكن .
- ٣٢٠ - يجب تعظيم البرهمن على كل حال ، ولو مارس كل الاعمال لأن كل واحد من البراهمة إله .
- ٣٢١ - على البراهمة أن يوقفوا الكشترين عند حد هم إذا أرادوا أن يعملوا عليهم لأن الكشترين خلقوا من البراهمة (١) .

#### الطبقة الثانية : الكشاتريسا ( الجنود )

- هي طبقة علي البراهمة في الذكاء (٢) وتتكون من الاشراف المماريين ( يتعاطون الادارة والسياسة ويسهمون في المعارك ويكونون عادة طبقة الملاكين المعاريين في البلاد ، وينتمي الطك الى هذه الفئة ومنها ينتخب نسبة لحقوقه الاربية والعائلية ... وتنحصر مهمة الطك الاولى في الدفاع عن افراد الامة ، والقيام بأود طغمة من رجال الكهنوت (٣) )
- وهناك بعض النصوص التي تتعلق بهذه الطائفة منها :
- ٢ - كستاريا : الذي تقبل السر القديس المنصوص عنه في الفيدا حسب القانون عليه ان يحيي هذا العالم كله .
- ٣٥ - خلق الطك ليحيي الطبقات والانظمة ، كل واحدة حسب رتبها ، والتي تقوم بواجباتها المختلفة (٤) .
- ( ولا يجوز للاكشترى ان يشغل بغير الجندية . والاكشترى يعيش جندياً حتى في وقت السلم ) (٥) .

- 
- ١ - : موسرتي ص ٥٧٣-٥٧٤
  - ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١
  - ٣ - : تاريخ الحضارات العام ٥٦١/١ وقارن مع فلسفات الهند ص ١٥٠
  - ٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٦ - ٢٦٧
  - ٥ - : أدیان الهند الكبرى ص ٥٩

### الطبقة الثالثة : الفيشيا

أي التجار ، وأصحاب الأموال والمرايين<sup>(١)</sup> ، ومهنتهم القيام بأعمال التجارة والصناعة والزراعة وجميع أعمال السبوع والعقود<sup>(٢)</sup> وتسهيان جميع أنواع الحرف وان توصل بعض منهم الى جمع ثروة طائلة فانهم يبقون مع هذا عضة للضرائب والتسخير .<sup>(٣)</sup>

وقد حددت مهام هذه الطبقة في كتاب طنوسمري ، نختصر منها بعض هذه الفقرات :

جا\* في فصل واجبات الهش . . . ( الفيشيا )

( ٣٢٨ - لان إله المخلوقات ، كما عهد بالمخلوقات حين خلقها الى البرهمن والكشترى ، فكذلك عهد بالماشية وتربيتها الى الهش .

٣٣٠ - على الهش أن يكون طالم بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبههارات .

٣٣١ - كما يجب عليه أن يكون طالم بكيفية بذور البذر ومصلاح الأرض وفسادها والمقاييس والمكاييل .

٣٣٣ - و عليه أن يكون طالم جد العلم بواجبات العمال والخدم كما يجب عليه أن يكون طالم ببضغ لغات وطرق التجارة وأساليبها وأصول البيع والشرأ<sup>(٤)</sup> . . .

### الطبقة الرابعة الشودرا ( أو المنبوذين )

يختلف العلم\* حول هذه الطبقة ، فمنهم من إعتبر الشودرا طبقة منفصلة عن المنبوذين و عليه فإن الشودرا هي الطبقة الرابعة في تقسيم المجتمع الهندوسي . أما المنبوذون فإنهم لم يدرجوا في هذا التقسيم واعتبروا فئة بعيدة كل البعد عن الطبقات الأخرى ، وقد وصفوا بأحط الصفات الذمومة والقبیحة وأعطوا المهن المستقرة . وهناك من اعتبر الشودرا والمنبوذين طبقة واحدة ، وان صفة المنبوذين تطلق على الشودرا أنفسهم وبذلك يكون التقسيم الى أربع طبقات فقط . وهذا الرأي هو أقرب الى الصواب .

١ - انظر : حضارات الهند ، ٢٩٥

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٥٠

٣ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٢٦١

٤ - منوسمري ص ٥٧٧

٥ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٥٦

٦ - انظر : منوسمري ص ٥٨٣ والاسفار المقدسة ص ١٦٦ / ١٦٧ وحضارات الهند ٢٩٥

وما جاء في بعض قوانين مانو عن هذه الطبقة وذلك في فصل واجبات  
الهنود والشودرا ما يلي :

( ٣٣٥ - ان اعظم عمل يقود الشودرا الى الخير والفلاح هو أن يخدم البراهمة  
الصلحاء طاعة الهدى ( الفيدا ) الذين هم في الدور الثاني من الحياة .

٣٣٦ - ان الشودرا الطاهر الذي يقوم بخدمة بكل امانة واخلاص ويتحلى  
بعضوية البهتان ويتبعد عن الفحش ويتجنب باستمرار الى البرهمن ينال في العالم  
الثاني فرصة ارفع من فرقته ( ١ )

ومن هذه النصوص تعلم مدى استئثار البراهمة في المناصب وحرمان  
الطبقات الاخرى منها ، كما يتضح معاناة المنبوذين من هذا التسلط .

وجدير هنا ان نشير الى الصراع الدائم الذي ظل دائرا بين  
الهندوس والمنبوذين ، كان نتيجة للتعسف الذي لاقاه هؤلاء من الطغاة  
وفي بحث قيم قام عبد العزيز الشعالبي بشرح قضية المنبوذين  
في الهند ، وآثارها السيئة ، والجهود التي قامت من أجل ضم هؤلاء الى  
الاسلام والعمل على ترك الديانة الهندوسية ، وهو يشير الى اللجنة التي  
ألقت لبحث قضايا المنبوذين هـم الأزهري في مصر ، وذلك بعد ان لفتت جريدة  
البلاغ المصرية انظار المسلمين عام ١٩٣٦ الى هذه المسألة ( ٢ )

وقد أشار الشيخ عبد المنعم النمر الى هذه اللجنة وما قامت به  
من جهود في هذا السبيل ، الا ان هذا السعي لم يسفر عن نتيجة ايجابية  
وكان العائق الاكبر امام البعثة هو وجود هوة سحيقة بين المسلمين والمنبوذين  
ما اسهم في بعد هؤلاء عن الاسلام مع انه كان بالامكان استغلال الحالة المتدهورة  
بين المنبوذين والهندوس لاقامة جسر بين المسلمين والمنبوذين ( ٣ )

الا ان العامل الاكبر في فشل محاولات المسلمين في هذا السبيل  
تلك المواقف التي يحكمها الهندوس كلما لاحت في الافق فرصة للتقارب بين  
المسلمين والمنبوذين وقد كان غاندي الزعيم الهندي الراحل وراء اغلب هذه  
المواقف ( ٤ )

١ - مؤسستني ص ٥٧٧-٥٧٨ ٢-راجع هذا البحث القيم في كتاب  
مسألة المنبوذين في الهند ، عبد العزيز الشعالبي ، دار الغرب الاسلامي  
بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٣٠ - راجع الحذر السابق ص ٥  
٤- راجع تاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ص ٢٣ ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م  
٥ - راجع مسألة المنبوذين في الهند ص ٦٥ وما بعدها .



من خلال استعراض نظام الطبقات رأينا التباين الكبير الذي يباعد بين أفراد المجتمع الهندوسي، واستكمالا لهذا الموضوع تجدر الإشارة إلى أن هذه الفوارق الطبقة قد شلت جميع مرافق الحياة في المجتمع ولم تنحصر في أمر واحد . ومن خلال النصوص التي اخترتها نرى هذا التباين الذي يدل دلالة واضحة على الظلم والقهر والتعنت في معاملة الناس كما يدل كذلك على انتقاء مبدأ الأخلاق السيئ يتغنى به الهندوس ويهدر بالتالي أسس الحكمة المزهومة ، فكيف تجتمع العبادة والحكم الرفيعة والأخلاق العالية مع قوانين مجحفة تهضم حقوق البشر وتذلهم .  
واليك بعضا من هذه النصوص :

بالنسبة للعبادات :

( ١ - أ ) كشرافاته يقرأ " بهند " ( القيدا ) ويتعلمه ولا يعلمه .

- وكل على يخص البرهمن من التماييح وقراءة بهند وقرايين النار فبهو محظور عليه ( أي على شودر ) حتى انه ( هو ) وبيش ( أي الفيشيا ) ان صح طيبها انها قرأ بهند رفعتهم البراهمة الى الوالي فقطع لسانها ( ١ )  
- على الطك : بعد أن يستيقظ مكررا ، ان يعبد بكل أدب البرهمن العالم بالهد الثلاثة حق العلم وأن يتبع نصائحه .

- و عليه أن يعبد يوما : برهمنيا سنا ، طالم بالهد طاهرا لان من يعبد الرجل السن يكون معظما وموقرا ( ٢ )

- و عليه ان يقوم بالعبادات الكطالية وان يعطي البراهمة كل ما يحتاجون اليه من أسباب السرات ومن الأموال ليضاعف بذلك حسناته ( ٣ ) .  
- ان جزاء التقدة التي تقدم الى غير البرهمن يكون بسيطا وجزاء التقدة التي تقدم الى رجل يقول عن نفسه انه برهمن طالم بالهد ( والآنك )  
فجزاؤه غير محدود ( ٤ )

وفي مجال التشريع الحقوقي والجزائي :

- لا حرج على الطك ان يستعين على قضا حوائجه ببرهمن ولو كان برهمنيا اسما او ببرهمن مشتبه في حبه ونسبه ولكنه يدعي انه برهمن وليتجنب استخدام الشودر البتة ( ٥ )

١ - انظر : تحقيق ط للهند ص ٤٥٧

٢ - نوسمري ص ٣٥٣-٣٥٤ ٣ - المصدر السابق ص ٣٦٢

٤ - المصدر السابق ص ٣٦٤ ٥ - المصدر السابق ص ٤٠٢

(١) - ان المصلحة التي يكون فيها ميزان الاحكام بيد الشؤر والطك ينظر عن كسب فان مصلحته تنقرض وتتلاشى كما تغور البقرة في الوحل (١)

(٢) - ان المصلحة التي يكثر فيها الشؤر والطحدون تهلك سريعاً بقط أو ما (٢)

### وفي فصل الشهادة

- طى القاضي ان يجعل البرهمن يقسم بصدقه والكشترى بمركبته او بدايته او سلاحه والهش ببقرته او بحميه او بذهبه والشؤر باخذ آثام كل الذنوب (٣)

### وفي فصل عقاب الشهادة الكاذبة :

- طى السك العادل : ان يعاقب الكشترى والهش والشؤر وينفيهم من الارض ان شهدوا كاذبين واما البراهمن فيعاقبه بالنفي فقط .

- لقد صرح ( منوجي ) "اي مانو" برهماجي : بجواز معاقبة الفرق الثلاث : الكشترى والهش والشؤر بانزال العقاب عليهم في عشر اشياء من عضومات وأعضاء البراهمة فينفون في الارض فقط من غير أن يؤخذوا .

- وهذه العشرة هي : عضواتناسل ، البطن ، اللسان ، اليدان ، القدمان العينان ، الأنف ، الأذنان ، كل الجسم ، المال والمعار . (٤)

### وجاء في الاحكام العامة :

- ان الشؤر لا يتحرر ولا يعفى من الخدمة ولو حرره مولاة واعفاء لانه لا يستطيع احد تحريره الا الذي قيده (٥) .

- ان استنكاف الهش والشؤر عن القيام باعمالهم يجعل هذا العالم كله بارتباك واضطراب ولذلك يجب طى الطك ان يجبرهما قهراً طى القيام باعمالهم الخاصة بهما . (٦)

- اما بالنسبة للغوارق في تقسيم الارث :

- يقسم الارث بين الاولاد ان كانوا من اربع نساء من الفرق الاربع حسب

البيان التالي :

١ - : ضوسموتي ص ٤٠٢

٢ - المرجع السابق ٤٠٣

٣ - // ٤٢٥

٤ - // ٤٢٨-٤٢٩

٥ - // ٤٩٩

٦ - // ٥٠٠

(- ياخذ ابن البرهسية الارقا\* العارفين بالحرث والزرع ، كما يأخذ الشور

اللقاح والمركبة والحلية وماخذ الدار حصة استثنائية وماخذ حصة حسنة غير ذلك

من الارث .

- وماخذ فوق ذلك ثلاثة أسهم ما تبقى يأخذ ابن الكشترية سهمين

وابن الهشية سهم ونصف السهم وابن الشورية سهم واحد . ( ١ )

- ليس للشودران يتزوج من فرقة غير فرقته ، فكل اولادهم يقتسمون الارث فيما

بينهم بالتساوي ولو كانوا ثمة ولد ( ٢ )

- اما في احكام الميراث :

- طى الطكان يعاقب القمار والمراهن والشودر الذي يستشبه بالمولودين

ثانية يعاقب بدني ( ٣ )

- وفي القصاص والرشوة

- اذا تعذر طى الكشترى والهيش والشودر اذا ما يحكم عليهم بمسه من

غرامة مالية فللملك ان يستوفي المبلغ ، باستخداهم لديه ويستوفي الغرامة في مثل

هذه الحالة من المراهمن تقسيطا ( ٤ )

هذه بعض الامثلة والنماذج من النصوص الهندوسية التي فرقت

بين الناس واقامت حاجزا بين وصولهم الى الحق والعدل . ( ٥ ) .

ولا مجال هنا لمقارنة هذه القوانين المجحفة بالاحكام والتشريعات

الاسلامية التي ساوت بين الناس في الحقوق والواجبات فأعطت كل ذي حق حقه

واجرت العدل والانصاف في كل القضايا التي تهم البشر ، وعطت طى ازالة

الفوارق الطبقيية بين الناس ، ومحت قوانين الرق ، وافسحت للناس العيش بسلام .

١ - : موسمري ص ٥٣٨

٢ - المرجع السابق ص ٥٣٩

٣ - // ص ٥٥٤

٤ - // ص ٥٥٦

٥ - ولعن اراد معرفة المزيد عن هذا الاجحاف تحيل القارى\* طى : موسوعة التاريخ

الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد الهند والبنجاب ص ٣٢١/١ وكذلك كتاب :

تاريخ الاسلام في الهند ص ٢٨-٢٩

ويحسن بنا استعراض بعض الآيات القرآنية الدالة على المساواة

ومحو الفوارق بين الناس .

يقول الله تبارك وتعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ( ١ ) .  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) ( ٢ )

هذه الدعوة العامة شاملة لجميع الخلق ، وهي توجيه للناس كافة

لا لفئة دون أخرى . ولا شعب دون آخر أو قبيلة دون أخرى . وهذه هيزة الاسلام التي وحدت الناس لعبادة رب الناس . واخراجهم من عبادة بعضهم بعضا واتخاذهم اربابا من دون الله .

ويقول الحق تبارك وتعالى ( مَنْ عَلَى صَالِحٍ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ( ٣ )  
ويقول جل ذكره ( إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَنَهْيِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ) ( ٤ )

ويقول الهادي البشير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

( لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَبِيٍّ وَلَا لَأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى ) ( ٥ )

ويقول ايضا ( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ) ( ٦ )

١ - الحجرات : ١٣

٢ - البقرة : ٢١

٣ - النحل : ٩٧

٤ - النحل : ٩٠

٥ - سند الاطام أحمد بن حنبل ، ٤١١/٥ ، المكتب الاسلامي ، بيروت

٦ - صحيح الاطام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢١٩٨-٢١٩٩

دار احياء التراث العربي ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٢ م

## الفصل الرابع :

نظام الرهينة الهندوسي ،

المبادئ ، والصور والمراحل .

اولا : المبادئ

بعد الاطلاع على أهم العقائد الهندوسية ، والتعرف على مبادئها التسي صاغها الرهبان والكهنة واستعراض فرقهم وكتبهم التي قدسوها ، و طبقاتهم التي اخترعوها .

يأتي الجانب المعطي في الفكر الهندوسي الذي يعتبر خلاصة ونتيجة لما قرره هذه العقائد الوثنية .

وهذا الجانب يعتبر أخطر موضوع في هذا البحث لما ينطوي عليه من أهمية بالغة ، حيث تتمثل فيه الصور التعبدية التي يمارسها الهندوس على أيدي رهبانهم والتي هي نتاج أفكارهم ومبادئهم التي صاغوها ، ووضعوا أسسها واخترعوا اسماءها وسمياتها .

كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال تأشيرته الكبير في الأمم التي اتخذت لنفسها سلك الرهينة والتزمت به .

وتاريخ (الرهنينة الهندوسي يبدأ من أواخر العهد الفيدى حيث كان النساك يتواجدون على شكل افراد ( يتجنبون الاتصال بالمجتمع العادي ، ولا يزاولون اى نشاط ، ووجدوا لهم مكانا يحقق لهم وحدتهم في الغابة وهناك كانوا يعطون الارشادات لأولئك الذين كانوا ينشدون الوصول الى معرفة طبيعة الكون وطبيعة الانسان . . . . وكان القرويون المحليون يعولون النساك عن طيب خاطر إذ كان يسعد أولئك القرويين ان يجدوا النساك بالطعام والشيء القليل الذي يساهم يحتاجون اليه من مستلزمات الراحة في مناخ كمناخ الهند وذلك مقابل الفوائد السحرية التي تحل على تلك الجماعة بسبب وجود ذلك النساك على مقربة منهم ، بل لقد وصل بهم الأمر الى الاعتقاد بأن مجرد لمس يده عند ما يدها لاخذ هدية منهم كان يغدق جزأ من قوته الروحية على مقدم الهدية ) (١).

ولم تتضح معالم الممارسات التعبدية الهندية ولم تقعد أسسها ومبادئها الا عبر فترات طويلة من الزمن ونتيجة جهود كبيرة من جانب الرهبان الهندوس

الذين تهيأت لهم الظروف المناسبة لسن هذه القوانين ونشرها بين اتباعهم واتخاذها كجادة ثابتة لا محيد عنها لكل من التزم بهذا السلك وعلى به .

ولا حظ المتبع لهذه القوانين مدى صرامتها وتطرفها . . . ولا غرابة في ذلك لاننا رأينا اثنا الحديث عن المعتقدات الهندوسية خطورة الاتجاه الفكري للرهينة الهندوسية والذي تمخض عنه القول بالاتحاد ببرهما . وكذلك القول بوحدة الوجود ، وغيرها من العقائد ذات الصلة الوثيقة بهاتين العقيدتين . فالقول بالاتحاد يبرز الصلة بين القوانين النظرية والممارسات التعبدية للرهينة . .

لقد كان الاتجاه في هذه العقائد يمثل قمة التفكير الفلسفي والرهباني للهندوس ، فالتبتل والانقطاع وحرمان النفس وقهر الجسد وتعذيبه حتى الموت من أجل الاتصال والاتحاد ببرهما هو الهدف الاساسي والغاية المنشودة للراهب الهندوسي . ( ١ )

وقد مر أن ممارسات اليوغا تمثل رأس هذا التطرف والغلو ، وقبل الخوض في الحديث عن الصور التعبدية المغالية يجدر بنا الوقوف عند أهم القواعد والاسس التي بنى عليها الرهبان هذه الممارسات .

وكما مر معنا في السابق فقد قسم الهندوس الناس الى طبقات وهي فئات تتحدد بالوظيفة . وهي الكاهن المعلم ( براهمن ) . الطك او القائد السياسي الحربي ( كشتاريا ) . التاجر ( فايشيا ) والعامل ( سودرا ) يطلق على الثلاث المولودين مرتين ، دون طبقة الشودرا . فسنرى فيما بعد : كيف تشمل حياة المولودين مرتين المراحل الاربعة التالية والخاصة بالرهينة :

- ١ - مرحلة الطالب ( براهما سارين )
- ٢ - مرحلة رب البيت ( غراستا )
- ٣ - مرحلة ساكن الغابة ( نانابراشا )
- ٤ - مرحلة الراهب المتجول ( سانياسين ) ( ٢ )

١ - والخطورة الناجمة عن ذلك تتمثل بمحاولة الراهب التحرر من قيود الحياة وسجنها للاتحاد ببرهما عبر ممارسة شاقة موعمية في النهاية الى ازهاق الجسد .

٢ - راجع هذه المراتب الاربع في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٠

## ثانيا : المراحل الاربعة

### ١ :- مرحلة الطالب

يكون المبتدئ\* في هذه المرحلة شابا وظيفه ان يتبع التعليمات التي يصدرها الرهبان وكبار الكهنة والتي من شأنها أن تدربه على أمور الطاعة وكيفية العزلة والبعد عما يشير الشهوة ودراسته الكتب المقدسة وتقديم القرابين للقسوس وكيفية الاستحمام واحترام الهتهم . الخ .

( ١ )

وسوف نلاحظ مدى صرامة هذه القوانين وشدتها بالنسبة للطالب المبتدئ\* فقد وضعت قواعد تحظر عليه الامتناع عن أكل اللحم وعدم لبس الاحذية ، وأمره بالنوم لوحده ، دائما والتسول والالتزام بقواعد النذر ( ٢ ) التي تفرض عليه . إضافة الى دراسة القيدا مدة ستة وثلاثين سنة . كما ان هذه القواعد السلوكية للطالب المبتدئ\* من شأنها تدريسه لتقبل المراحل الثلاث الاخرى وان طول هذه المدة كفيل بتحقيق اهداف الرهبنة الهندوسية ( ٣ )

---

١ - يراجع في هذا الصدد بالفلسفات الهندية ص ١١٤

وكذلك : تحقيق ما للهند ، للبيروني ص ٤٥٧-٤٥٨

وكذلك : قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٨-٢٢٩ والذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٤٥

٢ - تطرأ نظم الرهبنة على اختلاف انواعها وهذا هيبا بعبدا النذر المتضمن لمعنسى القسم والحنف والزام النفس بالقسم عليه . ويشمل النذر عند هذه الذاهب : الطاعات ، والعبادات مثل نذر العفة ، ونذر الطاعة ، والتبطل والانقطاع .

ومرنا اثنا\* الحديث عن الرهبنة المصرية شيى من هذه النذور ، وللمزيد يراجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٤٦٤ - ٤٦٩ ، كما سنلاحظ وجود شيى من هذا القبيل عند اليونان ، وستهم الرهبانية المسيحية بهذا المبدأ وستطبقه على اوسع نطاق ، وسيمر معنا هذا الموضوع اثنا\* الحديث عن النذور الرهبانية عند المسيحية .

٣ - لقد حفل الباب الثاني من كتاب منوسمري بجميع احكام المراحل الاربعة راجع ص ٤٧ - ١١٧ منه .

من القوانين الواردة في شأن هذه المرحلة ما يلي :

- يجب على الأري أن يدرس الفيدا بكاملها مع الأومانيشاد وأن يقوم بأعمال الزهد ، وأن يقدم نذورا مختلفة تنص عليها قواعد الفيدا . ( ١ )

- يجب على من يريد أن يصبح براهمن أن يشرع في السنة الثانية بعد الحمل ( يعني بها الولادة ) وعلى من يريد أن يصبح كستاريا أن يشرع في السنة الحادية عشرة بعد الحمل وفي السنة الثانية عشرة لمن يريد أن يصبح فايسيا .  
- وعند ما يتم ( طقس ) الشروع ، يجب أن يرشد المعلم التلميذ إلى قواعد تنقية الشخصية ، وقواعد السلوك وتقديم التضحية بالنار وعبادات الصباح والمساء .  
- على الأري الذي يشرع ( يكرس ) أن يقدم المحروقات إلى النار القدسة ويعمل ما هو صالح لمعلمه . . .

- يجب أن يرشد الطالب الذي كرس إلى اتمام النذور وأعمال النظام وأن يتعلم الفيدا تدريجيا وأن يطبق القواعد المنصوصة .  
- يستحم كل يوم ليظهر جسده ويقدم تقدمات النساء إلى الإلهة وإلى الحكما والكهنة ويعبد الإلهة .

- ليمتنع عن اللحم والعطور والقلائد ليتجنب النساء واذا المخلوقات .  
- ليمتنع عن دهن جسده وتكحيل هيونه وعن لبس الأحذية وعن الرغبة الحسية والغضب والعلاقة الجنسية والرقص والغناء .  
- ليتسول يوميا لكي يحصل على طعامه

- على من يحقق نذر ( التلمذة ) أن يعيش دوما على الاستعطاء كما يجب أن لا يستعطي من بيت واحد على الدوام . أن استعطاء الطالب لطعامه يعادل الصوم في القيمة .

- إذا طعن بمعلمه أو صغفه فانه سيصبح حطارا في الولادة الثانية وإذا شهر به يصبح كلبا ، من يحسد معلمه يصبح حشرة .

- أن نذر دراسة الفيدا الثلاثة تحت إرشاد معلم يجب أن يتم لمدة ستة وثلاثين سنة ، أول نصف هذا الزمان أول ربعه أو حتى يتم التلميد تعلمها على كمالها .

---

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ، ص ٢٥٥-٢٥٨



### المرحلة الثانية : مرحلة رب الاسرة

هذه المرحلة تعتبر فرصة للفرد كي يزاوّل نشاطه العادي كأي فرد من أفراد المجتمع ، فيحق له ان يترك العزلة ، وتبدأ هذه المرحلة من الربع الثاني من حياته فيعمل ويكسب ويتزوج وينجب . ورغم هذا التوسع الذي تفرضه هذه المرحلة الا ان على الفرد متابعة بدأه في الفترة السابقة من قراءة تعاليم الفيدا .

ومن القواعد التي تفرض عليه ، ما يلي :

(- الطميد الذي درس الفيدا الثلاثة في نظام صحيح ، دون ان يكسر قواعد

الطهارة يدخل طبقة رب البيت .

- ان يتم طقوس عودته الى المنزل هذا الذي ولد مرتين يتزوج امرأة من طبقة

موهبة بعلامات حسن الطابع .

- ليقم كل انسان في الطبقة الثانية بتلاوة الفيدا يوميا وتقديم الاضاحي الى

الالهة لان التأثير على تقديم الاضاحي يستند الخليفة المتحركة الساكنة .

- ولكي يكسب القوت الضروري لمعيشته عليه أن يجمع الثروة باتباع الوظائف

اللائقة المنصوص عليها لطبقته دون ان يهلك جسده .

الى غير ذلك من القواعد الاخرى (٢)

### المرحلة الثالثة : مرحلة ساكن الغابة

وتأتي هذه المرحلة في حياة الهندوسي اشد من المراحل السالفة من حيث ممارسة الشعائر والعبادات .

يكون الفرد في هذه المرحلة قد تجاوز سن الاربعين فعليه حينئذ

ان يسهر ما اعتاد عليه في المرحلة السابقة فيترك زوجته وأولاده متجها الى الغابة

فيطلق عليه اسم "ساكن الغابة" وفيها يزاوّل التعبدات وينقطع عن العالم فيصبح

ناسكا زاهدا . اما القواعد التي يجب عليه الالتزام بها فهي كالتالي :

١ - الطالب الذي ولد مرتين ، الذي طاش حسب القانون في نظام ارباب البيوت

يمكنه ان يتخذ قرارا ثابتا ، ويضع اعضاءه ، ويحيى في الغابة ، ويطبق القواعد المعطاة .

١ - يختلف نظام الرهينة الهندوسي عن النظام الرهيني للكنيسة المسيحية في هذه الناحية ، وان كانا يتفقان في بعض الجوانب الاخرى على اسم واحدة تابعة من مفاهيم مشتركة ، . وسنرى عند الحديث عن الرهبانية المسيحية تلك القواسم .

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٥٨-٢٦٠ ، وراجع

في هذا الصدد : الفلسفات الهندية ص ١١٤ ، وقارن مع تحقيق ط للهند ص ٤٥٧

٢ - عندما يرى رب البيت ان جلده قد تجعد وشعره قد ابيض ويرى اولاد اولاده عندئذ يمكنه ان يلتجئ الى الغابة .

٣ - ان يهجر طعامه الذي يحصل عليه بالزراعة ، وكل ممتلكاته ، يمكنه ان يرحل الى الغابة ، كما يمكنه ان يترك زوجته واولاده أو أن يأخذها معه .

٤ - وان يأخذ معه النار المقدسة والادوات اللازمة للتضحية يمكنه ان ينطلق الى الغابة وان يسكن هناك ، يضبط حواسه تماما .

٥ - طيه ان يقدم التضحيات وان يعيش على انواع الطعام المهيأة للزاهد كالأشباب والجذور والثمار .

٢٦ - ( طيه ) ان يجتهد لكي يحصل على الاشياء التي تسبب الغبطة ، وان يكون نقيا ، وطيه ان ينأى عن الارض المعارية . وان لا يهتم بطبأ وان يقتات من جذور الاشجار وثمارها .

٢٧ - ليتقبل العطاء من البراهمانيين الذين يعيشون كزهاد وليأخذ ما يمكنه ان يقيم حياته وليتقبل العطاء من ارباب البيوت المولودين ثانية والذين يعيشون في الغابة .  
٢٨ - على الناسك الذي يعيش في الغابة ان يحضر الطعام من القرية ، يمكنه ان يتناول ثلثي لقمات .

٢٩ - هذه الملاحظات وغيرها ، يجب ان يطرسها البراهمين الذي يعيش في الغابة ولكي يحقق وحدة تامة مع الذات السامية ، طيه ان يدرس النصوص المقدسة المختفية المتضمنة في الاوانيشاد ( ١ )

ومعروف ان الاوانيشاد هي خلاصة التجارب للرهبان الهنودوس .

#### المرحلة الرابعة : مرحلة الزاهد المتجول

هذه المرحلة تعتبر اشد المراحل عنفا وقسوة من سابقتها ، ان المبالغة في مجاهدة النفس والجسد سمة خاصة بهذه المرحلة . ، والى جانب اعتنادها على الناحية العقلية ، هناك الاعتناء كذلك على الناحية الفكرية ، ان يلتزم افراد هذه المرحلة بالتأمل والتفكير واخضاع الحواس وقهر الجسد والنفس وجعلهم حساسا اكثر طواعية للعقل وذلك من اجل الغاية المنشودة عندهم وهي الاتحاد ببرهما .  
ان هذه المرحلة تعتبر في عرف الرهبان مرحلة تحرر من قيود الحياة وسجنها ان ان النفس بحسب اعتقادهم تنطلق بعد القضاء على الشهوات نحو هدفها المرسوم وهو الاتحاد بالمعبود .

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٠-٢٦٢

وكما سبق القول فان ممارسة اليوغا امر مطلوب هنا ، وعند ما يبرد هذا الاسم  
فالمعنى الوحيد الذى يجب ان يتبادر الى الازهان هو الموت .  
ومن قواعد هذه المرحلة الامور التالية :

٣٣ - بعد ان ينتهي الانسان من القسم الثالث من حياته في الغاية يمكنه  
ان يحيا كزاهد خلال القسم الرابع من وجوده ، وبعد ان يكون قد هجر كل قلق  
بالمواضيع الدنيوية .  
٣٤ - ومن ينتقل من نظام الى نظام ، وبعد ان يخضع حواسه بكسب الغبطة  
بعد الموت .

٤١ - عليه ان يتجول صامتا ، وهو مسلح بواسطة الطهارة ولا يهتم بالمتع التي  
يمكن ان تقدم له .

٤٢ - عليه ان يتجول لوحده وبدون رفيق حتى يحقق التحرر النهائي ، وعند ما  
يفهم ان المنعزل لا يخذل ولا يخذل ، يريح هدفه .

٤٩ - يبتهج بكل ما يدل على الروح ، ويجلس جلسة اليوجي ، ويستغني عن كل  
مؤنة خارجية ويستمتع عن المتع الحسية يحيا في هذا العالم ، ولكنه يتوق الى الغبطة  
والتحرر النهائي .

٨١ - من يهمل كل تعلقاته تدريجيا ويتحرر من الثنائية ( التناقض ) يرتاح  
في برهمن وحده .

الى جانب قواعد اخرى تختص بهذه المرحلة ( ١ )

هذه المراحل الاربعة هي الحياة التي يحياها الهندوس ، وهي كما  
رأينا مدعاة ، لكل تأخر ، وترك لكل تقدم ممكن ان يسهم الانسان فيه ، لعمارة  
الارض ، وافادة البشرية من وجوده في مجتمعه ، والغمول الذي رافق الحياة الهندية  
لم يكن سوى نتيجة حتمية لتلك الحياة التي نادى بها الرهبان الهندوس وعطوا كل  
ما في وسعهم لانجاحها .

ثالثا :

العبادات في الرهينة الهندوسية  
بعض صورها

هناك العديد من العبادات في الديانة الهندوسية التي شرعها الهندوس وهي في مجملها تتسم بالقسوة والعنف وجميعها قائم على أساطير وخرافات ، يتخللها حركات وانفعالات لا حكمة من ورائها ولا يفهم مقصودها ، وتتراوح هذه العبادات بين الصلاة ، والصوم ، وزيارة الأماكن المقدسة ، وتقديم القرابين والاضاحي ، السن غير ذلك مما افاد العلماء الذين عاينوا بتتبع هذه العبادات وأفرادوا لها أبحاثا مطولة وفصلوا أفعالها ومناسك كل شعيرة منها<sup>(١)</sup> . وهي في مجملها تخص طائفة الهندوس .

أما ما يهم البحث منها خاصة بالنسبة لموضوع الرهينة ، فينحصر في ممارسة اليوغا ، والحج ، والصوم ، وسأذكر بعضا من صور هذه الممارسات للدلالة على مدى القسوة والعنف في عبادات الرهبان .

صور من عبادة اليوغا

تعتبر اليوغا من أشد صور الممارسات التعبدية عنفا وقسوة ، لارتباطها بمعتقدتي وحدة الوجود والاتحاد ، وكما رأينا في السابق أهمية هذه العقائد بالنسبة للرهبان ، فسوف أستعرض الصور المخطفة لهذه الشعيرة عندهم والتي فيها ————— المبالغات ما يخرج عن الحد المألوف ، وقد وصف لنا ديورانت ببراعة ما يقوم به هؤلاء من أفعال فكانت على النحو التالي :

( على سلم المستحمين ، نرى القديسين جالسين هنا وهناك ، يحيط بهم هندو ينظرون اليهم نظرة الاجلال ، وسلمون ينظرون في عدم اكتراث وسافهمون يحدقون بهم بالابصار وهي هؤلاء القديسون " باليوجيين " وهم بمثابة المعبر عن الديانة والفلسفة الهندية تعبيرا ليس بعد وضوح وغرابته وضوح او غرابة ، ثم نراهم كذلك في عدد اقل ، في الغابات وعلى جنبات الطرق لا يتحركون ، ويستغرقون في تفكيرهم فمنهم الكهول ومنهم الشباب ، منهم من يلبس خرقة بالية على كتفيه ومنهم من يضع قمشا على ردفه ومنهم من لا يستتره الا تراب الرماد ينثره على جسده وخلال شمعته للزركش تراهم جالسين القرفصاء وقد لغوا ساقا على ساق ويركزون ابصارهم في

١ - راجع تلك العبادات في : تحقيق ما للهند ص ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

واديان الهند الكبرى ص ٥١ وحضارات الهند ص ٦٢٩



## هذه العبادات ( ١ )

### زيارة الأماكن المقدسة

يقوم الهندوس بالحج الى هذه الأماكن يعتبرونها مقدسة ، وهي اما لزيارة شجر ، اوصنم ، اونهـر ، كنهر الغانج مثلا .  
ففي هذا النهر (تدوى اصوات الصائحين حوله رافعين اذ رفعتهم الى السماء ويصيحون في نغمة الصابرين ( أوم ، أوم ، أوم )<sup>(٢)</sup> وهذه الكلمة ( غالبا ما ترد على السنة اليوفيين وتطلق عند ساعة الموت وهي الشكل الموجز للتسرد الصوتي التجاوزي اذا استطاع اليوفي ترديد هذا الصور ونفس الوقت يذكر كرشنا اوفيشنو فانه يحرز اسي هدف ) ( ٣ ) .

وتجدر الاشارة الى ان هذا النهر اصبح يشكل خطورة على البيئة في الهند ، وذلك نتيجة استحطام الاف الهندوس في هذه النهر على مدار السنة ، اضافة الى صيب مجارى المياه غير المعالجة التي تضخ يوميا وكذلك نتيجة القاء بعض الهندوس بانفسهم في النهر لاعتقادهم بان ارواحهم تتحرر اذا ماتوا فيه وكذلك القاء اجساد الموتى المحترقة في هذا النهر ومن لم يستطع احراق جسد الميت من الفقراء فانه يربط جثة الميت بحبل معلق بحجر ويرس في النهر وهذه العملية تتكرر باستمرار .  
كل ذلك ادى الى تغير كبير في مكونات هذا النهر ، ومحت على انتشار الوبئة والامراض . ( ٤ ) .

---

١ - راجع : تحقيق ط للهند ص ٤٨٣-٤٨٤

٢ - حضارات الهند : ص ٦٢٠-٦٢١

٣ - شري ايشوانيشاد ص ٢٤

كما ذكر البيروني الأماكن الكثيرة التي يحج اليها الهندوس راجع : تحقيق

ط للهند ص ٤٦١

- راجع التقرير الذي نشرته جريد الرياض في عدد ١١/٣/١٤٠٥

الموافق ٣/ ديسمبر ١٩٨٣ م عدد ٦٠٠٧ ص ٧ السنة ٢١ حول تلوث نهر الغانج .

وقد اخبرني احد الزملاء وهو من مسلمي الهند بان الحكومة الهندية قد اوقفت

عمليات القاء الجثث في هذا النهر مؤخرا . نتيجة لهذا التطور .

وقد عاينت بعضا من هذه المشاهد اثنا رحلتي الى الهند .

من خلال استعراض صور العبادات الخاصة بالرهبان يستطيع  
الباحث استنتاج النقاط التالية :

اولا : صرامة التعاليم الدينية وقسوتها ، اضافة الى التعقيدات الكثيرة  
التي لا يمكن تحطيمها من قبل الناس العاديين ، مما يشكل عبئا يضاف الى الـاعـمـاسـا\*  
الناجمة عن النواحي العقدية والفكرية .

ثانيا : ارتباط هذه العبادات بالخرافات والاساطير والسحر والشعوذة  
وهذا بدوره يورث الى خداع الناس والتدجيل عليهم باسم الدين .  
ثالثا : ارتباطها بمصالح شخصية راجعة اساسا الى طبقة رجال الكهنوت  
البراهمة ، وكبار الرهبان الواقفين على التشريع وسن القوانين .

رابعا : صعوبة تطبيق جل هذه التعاليم مما يفسسومى الى نفسور  
الناس واحجامهم عن مثل هذه الممارسات ، الا ان الجهل المطبق - الذى يعيش  
في ظله الهندوس - يبقى هذه العبادات فوق رؤوسهم كالسيف المسلط .

### الفصل الخامس :

#### النتائج التي آلت اليها الرهينة الهندوسية

وقفت في الباب الاول على النتائج التي وصلت اليها الرهينة الهندوسية وتبين الغش الذي منيت به ، و ان سنة الله تبارك وتعالى قد ضمت في هذه الامة نتيجة التسلط والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى . ولهذا اصبحت اثرا بعد عين . فالبعد عن هذا المنهج والانحراف عن الصراط المستقيم هما الركنان الاساسيان في اضمحلال اى امة من الامم مهبط طت ، ومهبط تغطرست .

والرهينة الهندوسية لها من النتائج الخطيرة ما يصب في هذا الباب فسمات التأخر والتقهقر في الهند بادية على مجمل الحياة التي يعيشها الهندوس في هذا العصر ، رغم التفوق العسكري ، على جيرانها ، ورغم التسابق في البلدان النموى مع الآخرين ، فان الروح الدينية تشد الناس الى الدعة والكسل ، وما نراه اليوم من صنائع ، ومعامل ، ونتاج ، طهو الا ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية التي تعلمها الهندوس على ايدى المسلمين ، فلما عرفوا قيمتها ، اخذوا في تقليد المسلمين في جميع الميادين ، فضلا عن احتكاك العالم الغربي بهم ونقل بعض التقدم العلمي و التقني الى الهندوس ما اتاح لهم الفرصة لتسلم زمام الامر ونزعه من ايدى المسلمين .

فلا فضل للرهينة الهندوسية في ذلك بل هي بعيدة كل البعد عن الحضارة والتقدم ، الا ان الجوانب المهمة في هذه الموضوع تنحصر فسي تقييم الاسس العقدية للرهينة الهندوسية وما آلت اليه من نتائج .

فمن النتائج الحتمية التي وصلت اليها الرهينة هي اختلاط مفاهيمها بمفاهيم الكهانة وهذا بدوره اعطى الكهنة امتيازات كثيرة ، ولا يختلف الباحثون في ان الرهينة هي بنت الكهانة وورثتها ، ففي احضانها وكنفسها عاشت ونشأت وما العقائد والاراء والاثار الشفهية والمكتوبة او المدونة الا ثمرة من ثمارها ، وقصد استطاعت الكهانة استغلال الرهينة كستار لاعمالها الدنيئة ، فاستطاعت الرهبان لتمرير مشاريعها واستثمار طغيانها ، ولم يحرك الرهبان ساكنا الا حينما اشتد الطغيان على رقابهم وذلك عبر نظام الطبقات الهندوسي الذي فرضه البراهمة على الناس ، لهذا جاء كتاب الاومانيشار كرد فعل على هذا التسلط ، الا ان دها الكهنة منع من اخفائ جهودهم في ابقاء سيطرتهم على الناس وذلك عبر تبنيتهم لسبادى وعقائد الرهبان .



فحينما نتحدث عن السلبيات في هذه الاسس ، فمعنى ذلك اننا  
نشل بذلك اعمال الكهان والرهبان على السواء لانها من نتائج افكارهم ، ولكونها  
يتبنيان مبادئ بعضها البعض .  
ففي ظل الهيمنة الكهنوتية ارتقت هذه الطغمة سلم الاستبداد  
وحولت حياة الناس الى جحيم لا يطاق ، بفضل انظمتها وقوانينها ، اضاف الى ذلك  
ما شاع فيهم من انحلال خلقي وصل الى قمة التدهور ( ١ )

١ - وصف ديورانت الاوضاع التي كانت سائدة في معابد الكهنة البراهمة وما كان يدور  
فيها من مجون وارتكاب للفحشا دون خجل او وجل ، وفي ذلك يقول :  
( وفي كل معبد ( تامل ) مجموعة من النساء القدسات اللاتي يستخدمن  
المعبد اول الامر في الرقص والغناء امام الاوثان ثم من الجائز ان يستخدمن  
بعد ذلك في امتاع الكهنة البراهمة وبعض هؤلاء النسوة - فيما يظهر - قد قصرن  
حياتهن على عزلة المعابد وكهانها ، وبعضهن الاخر قد وسع من نطاق خدماته  
بحيث يشغل كل من يدفع اجرا لمتعته على شريطة ان يدفعن لرجال الدين جزءا من  
كسبهن عن هذا الطريق وكان كثير من زانيات المعابد او فتيات الرقص يقمن  
بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة .

ويحدثنا نص مقدسانه في سنة ١٠٠٤ ميلادية كان في معبد الطوك الكولبي  
( راجا واجا ) في تانجور ارمطة امرأة من خادومات الله ، واكسب الزمان هذه  
العادة صفة الجلال فلم يرف فيها احد ما يتنافى مع الاخلاق حتى ان السيدات  
المحترمات كن آنا بعد آن يهيئن ابنة الى مهنة العهر في المعابد بنفس السروح  
التي يهيئ بها الابن الى الكهنوت .

وصف ( ديورا ) في أول القرن التاسع عشر معابد الجنوب بانها في بعض  
الحالات كانت تتحول الى بيوت للدعارة ولا شيء غير هذا . وكانت عامة الناس تطلق  
على خادومات الله بغض النظر من مهنتهن في بداية الامر - الزانيات -  
( وكانت ) واجباتهن الرسمية تتألف من الرقص والغناء داخل المعابد مرتين كل  
يوم . . . ( وكان ) الرقص يثير الشهوة وليس في اشاراتهن شيء من الوقار وما غناؤهن  
فيكاد كله يتألف من أشعار فاحشة تصف ما مر في تاريخ الهتهم من حوادث الاباحية  
الجنسية ( قصة الحضارة : ١ / ٣ : ١٧٤-١٧٥ )

ولا يفوتنا ان نتعرض للأسباب الكامنة وراء هذا الانحدار لنظام  
الرهبنة ، والكهنة بشكل عام .

فالى جانب انخراطهم في الرذائل والتسلط والقهر، تظهر انشـواع  
كثيرة من الطفـيان ، ومن امثلة ذلك :  
- الابتزاز المالي -

وقد اشتهر الكهنة به ، وذلك لقـا\* اعمال الشعـوزة وضروب الاحتيال  
وممارسة فنون السحر والدجل . ولم يكن ليستمر هذا الابتزاز لولا تفشي الجهل بين  
العامة ، واستغلال الجهل من قبل الكهنة باعتـبر جريمة اجتماعية واخلاقية .  
- التعصب العنصري:

ان احتقار البراهمة للناس وانزالهم منزلة العبيد كان له اكثر الاثر في  
تعميق الشقة بين الناس ، كما أسهم في ايجاد المناخ المناسب لابقاء\* التمييز  
العنصري متشـيا عبر نظام الطبقات .

- ادعاء\* البراهمة للالوهية  
ان هذا الادعاء\* يظهر التلاعب الذى يمارسه البراهمة في عقول  
الناس ، كما يتضح لنا مدى سخافة العقول التي تتقبل هذه العقائد وتنتسب  
اليها ، و تجدر الاشارة الى ان هذه الدعوى لم تنطل على بعض العقول ،  
التي نادت بالغاء\* مثل هذه العقيدة ونبذها ، مما حدا بالبراهمة الى رمي  
الداعين الى التحرر بالكفر والالحاد ( ١ ) . وصحيح انهم دعوا الى الالحاد

---

١- يصف ديورانت الموجة التي اعترضت على ادعاء\* البراهمة بالانتساب الى العنصر  
الالهـي ، وقد اطلق على هذه الطائفة " المشككون " ، فقد نادت هذه الطائفة  
منذ ( ٦٠٠ ق م ) بجـادى\* لمناهضة طفـيان الكهنة ومن بينها :  
١ - انه ليس هناك عودة للروح الى تجسد جديد ولا اله ولا جنة ولا نـسار  
ولا عالم .

٢ - ان كل الكتب الدينية التقليدية من تأليف جماعة من الحقى والمغرورين .  
٣ - وان "ايحكم الاشياء" كلها هو ( الطبيعة ) التي تبـدع والزمان الذى يهدم  
وهـا لا يأبـهان بفضيلة او برذيلة ( بل يقسمـان ) بين الناس انصبتهم  
من السعادة والشقا\* .

٤ - وان الناس تخدعهم خلاوة الكلام فيعتنقون الاعتقاد في الالهة والمعابد  
والكهنة مع انه في الواقع لا فرق بين فشنسو وكب ( . انظر قصة الحضارة  
١/٣ : ٢٢٩-٢٣٠ ) وهكذا نرى ان من نتائج الكهانة والرهبنة تحول الناس نحو  
الالحاد والشك في الدين ، تماما كما هو الحال الذى آلت اليه اوربا في عهد  
الكنيسة المسيحية خلال العصور الوسطى والذى أدى فيما بعد الى بروز الشيوعية .  
وسيتعرض البحث لهذه النقطة اثنا\* الحديث عن الطفـيان الكنسي والبابوى .

الا ان ذلك كان نتيجة حتمية للطغيان الديني والسياسي والاجتماعي الذي مارسه البراهمة .

- ان السقيوط التي يفرضها الرهبان على أنفسهم ، وطقوس العبادات التي يشرعونها للناس ، هي من باب التكليف بما لا يطاق ، مما ينتج عنه اضرار للارواح ، وضياح للاوقات ، وافقار للناس .

- ان دعوى التسك بالاخلاق الفاضلة ونذر العفة والطهر ، واطمئنان التبتل والابتعاد عن الدنيا وما فيها ، لا تثبت امام المناظرة ، لقيامها على اساس عقدي سستند الى خرافات واساطير . فضلا عن كونها تعطيل للفتنة البشرية ، ومنع وظائف الجسد من اتمام مهامها على الوجه المطلوب ، فالدعوة التي نهذ الحياة كنية وطرح الطبييات جانبا والعمل على نشر الاستمطاء ، كل ذلك يؤدى الى خلل في بنية المجتمع الفكرية والاقتصادية ، والعلمية ، ولهذا فان الهند تعتبر من أكثر البلدان فقرا في العالم ، وهذا راجع الى تعطيل دور العمل في الحياة والركون الى الطامسات التعبدية التي لا طائل تحتها والتي تنهك الجسد اكثر مما تحميه ، كما ان الالتجاء الى التفكير في اوهام غير مجدية ، لا نفع فيه بل هو توقف لحركة العقل وربطه باحزمة من الخيال والضياع .

لكل ذلك نرى ان فقدان المصدر التشريعي الصحيح ، المحدث على اصل سماوى منزل وموحى به من الخالق تبارك وتعالى من غير تحريف ولا تبديل هو شرط اساسي من شروط الدين الحق ، لان الخالق اطم بما يصلح شؤون الناس ، وما يناسبهم في سرهم وسرهم .

اما الاعتماد على تشريع وضعي من صنع البشر ، فهو بمثابة وضع الامر في غير نصابه ، بل تعد على حقوق الله تبارك وتعالى اذ له اخص خصائص الالهيهية وهي الحاكمية التي تعبد الناس بها وانزل تشريعه ليرجعوا اليها في جميع امورهم . اما التشريعات الوضعية فانها غير مؤهلة لتصرف شؤون العباد وتقنينها ،

فالمنهج الرياني هو الكفيل بتحقيق ذلك ، لانه دين الله المتكامل القويم الذي لا زيف فيه ولا نقصان ، صالح للغرب والمجتمع ، في كل زمان ومكان .

وط دامت امة متسكة بهذا المنهج ، تحترم قداسته ، وتلتزم بمبادئه واهدافه ومثله ، وتتأفح عنه ، فهي بخير ، ولا يضرها من خالفها .

وان تخلت عنه ونبتذته ورائها فان الفساد حال بها لا محالة ، والويل واقع بها لا غرابة . وما طميتها الا انتظار العذاب من الله تبارك وتعالى ، فهو يمهل ولا يهمل .

وبناءً على هذه القاعدة فان اى مجتمع يرضى لنفسه الحكم بانظمة وضعية أو قوانين بشرية لا بد له من ان يتخبط قبل ان يندثر وينهار ، وذلك من سنن الله تبارك وتعالى ولان المذاهب والقوانين البشرية تعترضها امور عدة من بينها :

١ - الاهواء الشخصية والمصالح الفردية الانانية ، فوجود هذه الامراض فان المصالح العامة تتعرض للتعطيل ، وبالتالي تقل استفادة المجتمع من هذه القوانين فضلاً عن الصدام الحتمي بين فئات الناس الذى ينشأ نتيجة استئثار البعض بهذه المصالح ، وتفضيل الانانية على المصالح العامة .

٢ - قصور هذه القوانين وعدم ملاءمتها لمختلف الأزمنة والامكنة ، وهذا راجع الى ضيق افق العقل البشرى تجاه القضايا الانسانية الكبرى وشاكلها العالمية التي لا سبيل الى حلها عن طريق حلول بشرية قاصرة ، بل لا بد من تدخل العناية الالهية لتسهيل وتيسير سبلها .

٣ - اعتماد هذه القوانين على عناصر القومية والعرقية الضيقة دون مراعاة مبدأ أصل النشأة البشرية وجعلها كاساس للتعارف بين بني البشر .

٤ - اعتمادها على التمييز المنعصرى وتغليب فئة على أخرى حسب اللون والجنس والشكل .

لهذا كله ولا موار أخرى غيرها نستطيع ان نقول : ان قوانين الرهينة من هذا الضطور وعقائدها لا يمكن للعقول النيرة القبول بها مطلقاً ، ورفضها هو السبيل الوحيد للنجاة من العذاب والهلاك .

والنتيجة التي آلت اليها الرهينة الهندوسية ، هي فشلها في تحقيق الامن والامان للناس ما نشأ عنه بروز الرهينة الجينية ، والبوذية كرد فعل لهذه الظاهرة والتي سوف نعالجها ان شاء الله في السطور القادمة .

## المسألة الثالثة

الاسس العقديّة  
" للرهننة الجينية "  
والرد عليها

## (١) الرهينة الجينية : نشأتها وتطورها

### التمهيد

#### أ - اسباب النشأة :

لعمل من أبرز النتائج التي تمخضت عنها الرهينة الهندوسية عبر

سيرتها الطويلة هو نشوء عدد من الفرق الهندوسية التي انفصلت عن الهندوسية تماماً ووقفت في وجه التعاليم البرهمية ، وأنكرت جملة من عقائد ها الهامة ، واقتبست منها البعض الآخر ، كما تميزت عنها بوضوح معالم الرهينة فيها .

وللحديث عن اسباب نشأة الرهينة الجينية ارتباط وثيق بالحالتين الاجتماعيتين والدينية في الهند التي شهدت على مدى قرون طهيلة حالات من القهر والتسلط البرهمني ، و التي أشاعت في الأجواء نوطاً من القلق الدائم والخوف المستحكم في نفوس الطبقات الدنيا التي رزحت تحت نير التعاليم الدينية ردحا من الزمن .

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في الفصول السابقة ، إلا ان ما يعني البحث هنا ، هو : كيفية تقبل النفوس لعقائد جديدة بعيدة عن نطاق التعاليم الموروثة .

فقد شهد القرن السادس ق . م حركات جديدة بهدف التخلص من هيمنة البراهمة<sup>(٢)</sup> وكان الجو حينئذ يبعج بالاراء والعقائد المختلفة ، وكانت النفوس مهيبه ومستعدة لقبول اى فكرة معارضة لمبادئ الطبقة الاولى مهبطاً كان لونها . وحرى أن تأتي هذه المعارضة من قبل تلك الفئات المحرومة والطحونة برحى الطفياان البرهمني ، وقد رأت هذه الفئات في الدعوات التي قامت تسلكا جديداً لعبور النفق الظلم الذي أحال حياتها الى كابوس مرعب .

### (٣)

لقد جاءت حركة التغيير من قبل طبقة الكشترية وهي الفئة التي أسندت اليها مقاليد الحكم ، وهي أشبه بالمنصب الغفري ، وذلك لضمان سكوتها ، ولأن القرارات لا تصدر إلا من البراهمة وأن التنفيذ كان لزاماً على طبقة الكشترية .

١ - هذا الاسم نسبة الى كلمة " جينا " ، ومعناه : " القاهر " راجع : قصة

الحضارة ١/٣ : ٥٨

٢ - راجع : الموسوعة البريطانية : ٨/١٠ مادة " الجينية " - *Encyclopaedia Britannica* . V:10 . P.8 - 1974

( ) موسوعة تاريخ العالم ، وليم لانجر ، ٩٧/١

٣ - راجع اديان الهند الكبرى ص ١٠٧ . ، وذهب بول ماسون الى ان الجينية

قد تأسست تحت تأثير الاصلاح الايراني الذي وضعه زرادشت ) : الفلسفة

في الشرق " بول ماسون اوريسيل " ت : محمد يوسف موسى ص ١١٧ ، دار المعارف ،

ب - مؤسس الحركة :

برز مهافيرا ، أو " مهافيرا " من هذه الطبقة ، كأحد أبناء الامراء في بلدة ( ٢ ) ( ٣ ) من منطقة بيهار . وذلك في القرن السادس ( ٤ ) ( ٥ ) ٥٩٩ - ٥٢٢ ) . ق م . وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها بوذا . وتجمع المصادر على انه كان باعكانه تصدر أمور الحكم كابيه أو أخيه ( ٦ ) ، إلا أن سببا رئيسيا حال دون ذلك الأمر . فالصدمة الأليمة التي أصطت به إثر موت والديه معا جوعا عقب صوم طويل ، وقهر للنفس اتباعا لقواعد دينية صارمة ومطرفة ( ٨ ) ، ولعلهما كانا ممن يمارسون عبادة اليوغا -

هذه الصدمة قلبت حياة مهافيرا العادية ، وجعلت نفسه ومقلته تاترين حائرين ، وكانت نقطة تحول في سار حياته ، فقد هانت عليه الدنيا ، ورغعت النفس ، فهام على وجهه تائها هاربا من مجتمعه نزلا بنفسه أقسى أنواع الزهد والتكشف ( ٩ ) .

١ - معنى هذا الاسم : " البطل العظيم " . وقد يطلق عليه أيضا إسم " فاراد مانا " راجع : حكمة الاديان الحية ص ١٤١ .

٢ - راجع : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وكذلك راجع : *MAN'S RELIGIONS* , John. B. NOSS. P. 95. Macmillan Publishing CO. INC. NEW YORK. 1980  
٣ - راجع موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ٢٢٤ / ١  
٤ - يختلف العلماء حول تعيين سنة ميلاده ووفاته ، فمضافة لما ذكر ، هناك من يذهب الى انه ولد سنة ٥٤٠ ق م . انظر : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وهناك اقوال اخرى حول هذا التاريخ ، الا انه لا يوجد تاريخ متفق عليه بهمن العلماء .

٥ - راجع : مجلة ثقافة الهند : عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١  
ويعتبر فوستاف ليهون ان الجينية والبوذية هما شئ واحد لتشابه النشأة ، والسيرة والاراء . والحقيقة انهط مختلفتان في كثرة من النواحي ، وليس صحيحا ما ذكره ليهون ، بدليل انه تعرض لذكر معابد الجينية ووصف الجينوات ، وهذا غير موجود عند البوذية لعدم ايمانهم بهذا المبدأ . راجع مقالته في : حضارات الهند ص ٦٢١-٦٢٣ . كما ان العديد من العلماء لم يذهبوا الى ما ذهب اليه ليهون .

٦ - راجع : اديان الهند الكبرى ، ١١١ . ٧ - الديانات والعقائد في مختلف العصور : أحمد عبد الغفور عطار : ١٠٧ / ١ مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠١ - ١٩٨١

٨ - ثقافة الهند ، عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١ .  
٩ - طم بان مهافيرا قد عاصر عددا كبيرا من الرهبان الذين أشرفوا على كثير من الاديرة التي اتبعت نظام بلوسفانانا في تعاليمها وهذا النظام كان من مهامه تخريج الرهبان ومن بين هذه الاديرة مدرسة ديوبالاسا ، التي لم ترق له فهجها ، انظر :

— *EARLY INDIAN RELIGIONS*. P. 147. RePrinted 1975  
P. BANERJEE , New Delhi. INDIA

وربما اراد ان يضع حدا لحياته باتباعه لهذه الطريقة كما حصل لوالديه  
الا ان الامور لم تجري كما يشاء ، ثم ما لبث ان انضم لجماعة الشكانيين ، ونذر الايتكم  
اثنتي عشر ط ( ١ )

والامر المفاجئ حقا ، هو انقلاب هذا الزهد الى نوع جديد من الرفض للعقائد  
والمبادئ البرهمنية ( ٢ ) . ان كان في البداية مارسا لتلك الرياضات الروحية  
على الطريقة التي رسمها الرهبان البرهميون .

وهنا يبرز سؤال عن سبب تغير الوجهة التي كان عليها ، وتحول هذه الوجهة  
الى دين جديد ( ٣ ) .

وما لا شك فيه ان مهافيرا استطاع خلال رياضته القاسية التعرف على دقائق  
وتفاصيل الممارسات التعبدية السائدة ايامه ، ومن ثم بانته له عن كتب الاساليب  
الطولية التي يتبعها الرهبان والكهنة الهندوس في تحرير عقائدهم وشراعتهم ، ومنها  
بين الناس بطرق غير اخلاقية ولا تطبق بالزاهدين . كما بان له زيفها وخداها .  
كما استطاع تبين الاسباب الرئيسية لحرمان القهر والتسلط الممارس من قبل  
البراهمة على غيرهم من الطبقات الاخرى .

ولهذا كله فقد أبى عقله تقبل مثل هذه الترهات سيما وأنه وصل الى مرتبة  
عالية تسمى ( المرشد : تيرثانكارا Tirthankar ) ( ٤ ) .

لقد وازن مهافيرا بمنهجه العقلي الصرف امور العقائد الهندوسية  
واصطدم بالواقع العقلي الممارس ، فوجد هوة سحيقة بين ما تدعيه البرهمنية الهندوسية  
من زهد وتشف وبن ما تمارسه من قهر وتسلط . وخرج بنتيجة موحداها الشك والالحاد  
بكرى العقائد الهندوسية الا وهي عقيدة تعدد الالهة .

وهي ردة فعل طبيعية معاكسة للتطرف المغالي للفكر الديني الوثني . وقد  
اعتبرت هذه النزعة بمثابة حركة اصلاحية ضد الديانة التقليدية ، كما اعتبر مؤسس  
الجينية مصلحا في العصر الذي نشأ فيه ، والذي نصادي اضافة الى نبذ الالهة :  
بازالة نظام الطبقات ( ٦ ) ، وهدم الاعتراف بالكتب المقدسة ( الفيدا ) ( ٧ ) .

١ - حكمة الاديان الحية ، ص ١٤٢ ٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

وانظر كذلك : موسوعة تاريخ العالم ١٧/١

٣ - الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - تفيد بعض المصادر ان الجينيين يعتبرون مهافيرا احد كبار المعلمين الذين تعاقبوا  
واحدا تلو الاخر والبالغ عددهم ٢٤ جينا وهي تعني " المصلح " انظر : EARLY Indian  
RELIGIONS. P. Bamer &c P. 147 - Reprinted 1975 NEW Delhi.

٥ - قصة الحضارة ١/٣ : ٥٩ ، ومجلة ثقافة الهند ، عدد ٣ ، ص ١٠٢ ، سنة ١٩٥١  
وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٦ - الفلسفات الهندية ص ٣١٧ ، وانظر كذلك : حضارات الهند ص ٦٢٢-٦٢٣

٧ - انظر : الفكر الفلسفي الهند ص ٣٢٥ وموسوعة تاريخ العالم ١٧/١-٩٨



وهناك حافظ اخر شجع مهافيمرا على الاستمرار في دعوته وهو ضاحرة امسرا  
المقاطعات والاسر الحاكمة من الكشتاريين لدعوته وتأبيد هم له . ومن اهم هذه الاسر:  
" فيديها " و " مفاداثا " و " واتغا " . . . وكانت مقاطعة بههار وما جاورها  
من المدن والقرى والبلدان محور نشاطه . . . كما ان بعض رجال الدين والرهبان  
قد انضم الى هذه الدعوة . ( ١ )

## الفصل الاول :

### اهم العقائد الجينية ونقدها

اولا : اهم العقائد

انكر مهابيرا جطة من العقائد الهندوسية كما أسلفنا وفي طبيعتها تعدد

الالهة .

فلم يعترف بضرورة وجود اله لهذا الكون مبرا ذلك بأنه في حال اتخاذ الالهة فان ذلك من شأنه العودة الى نظام الطبقات وهو الامر الذي يرفضه وينكره ( ١ ) .  
لقد ربط مهابيرا بين هاتين السألتين لكون البراهمة سؤلين من ايجاد هذا الحشد الهائل من الالهة المزعومة ، والتي أثقلت العقل الهندي بالاراء المتناقضة وكملت الحياة الدينية وعقدتها فضلا عن الحيرة والاضطراب اللذين لازما الناس أزمنة طويلة .

ومن هنا برز السبب الرئيسي الذي حدا بمهابيرا لانكار الالهية ، ولكسي يصرف أنظار أتباعه عن هذه القضايا دما الى الاتجاه نحو الاعتناء بالنفس عن طريق تهذيبها وإزالة ما يعلق بها من أدران حتى تصل الى مرحلة النجاة ، حيث يستخلص التام .

وقد فلسف الجينيون هذه العقيدة بقولهم :

( ٢ ) انه ليس من الضروري أن نفرض وجود خالق أو سبب أول ، فكل طفل يستطيع أن يخلق مثل هذا الفرض بقوله : إن الخالق الذي لم يخلق أو السبب الذي لم يسبقه سبب ، لا يقل صعوبة على الفهم من افتراض عالم لم يسبقه أسباب ، ولم يخلقه خالق ، وأنه لا قرب الى المنطق السليم أن نعتقد أن الكون كان موجودا منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لانهاية لها ترجع الى قوى كائنة في الطبيعة ، من أن نتمزق هذا كله الى ( ٣ ) (اله)

١ - وان كان هذا السبدا قد خرق فيط بعد طي يد اتباعه الذين جعلوا من مهابيرا الهيا يضاف الى سلسلة الهة الهندوس . وهنا نجد له عدة اسما منها " الوقور

( ARhat ) والملح او الفاتح ( JINA ) راجع في هذا الصدد

مجلة ثقافة الهند مجلد ٢ عدد ٣ ص ٢ ١٩٥١

٢ - قصة الحضارة ١/٣ ٥٩ .

وخير معبر عن هذه العقيدة هو كتاب ( الستوراكرت انكا ) الذي اوضح هذه العقيدة المستندة الى مقولة الطبيعيين بقوله ( العالم أبدى لا حد له وهو كائن ليخلد ولن يفنى ) : حكمة الاديان الحية ص ١٤٦ وراجع كذلك حضارات الهند

Mam's Religions P. 99

ص ٦٢٢ وكذلك )

ويستتبع هذا الاتحاد نهد فكرة الروح الكلية المسيطرة ( أتمان *Atman* ) التي تقول بأن  
أرواح البشر وأرواح الالهة متحدة بهذه الروح الكلية .  
الا أن مهابيرا لم يستطع انكار الروح في الانسان فأقر أن لكل فرد روحه الخاصة  
التي ينفرد بها عن بقية الأرواح .

وطى هذا الأساس فقد اهتم مهابيرا بهذه الروح ودعا اتباعه لتنفيتها . كما  
رفض مبدأ البراهمة القائل ( باتصال الروح بالجسد على الدوام ودوران انتقالها وفق مفروضات  
قرونها لصالحهم وتحقيق مآربهم . وقد حاول ابطال مزاعم الكهنة قائلًا :  
( ان الروح لم تدمت محبوسة وقيدة باغلال الجسد وسلاسله لن تصبح في فسحة  
ولن تتحرر لتنتقل الى آفاق غير محدودة ولن يتسع سلطانها ، ولن تظهر حقيرتها ولن  
يتحقق نبوغها ) (٢)

وبدلاً عن ذلك فقد نادى بأن الطريق ( لخلاص الجسد كامن في قهر  
النفس وانكار الذات وهذا ما عرفه في وصايا الخمس التي أوصيها وأولها هي ( ال ) (أهتسا)  
( *Ahimsa* ) أو عدم الايذاء لكل ذي حياة ولأن لكل حي روحاً (٣) وصحيح أن  
الدعوة الى قهر الجسد وتعذيب النفس ليست جديدة على الفكر الهندي . . . الا أن الأمر  
الجديد هو الدعوة الى عدم ازهاق أي كائن ذي روح (٤)

وبالنتيجة فإن هذا الاتحاد قد بني على أساس من سوء فهم لسألة الايمان  
بالله تعالى . إذ أن هذه الفكرة كانت مشوشة في أذهان الجينيين وهذا يعود الى ربط  
التقديس بالالوهية التي يدعيها البراهمة وأن الالهة عند هم لها من الصفات ما يجعلها  
تتشرك مع الصفات البشرية بأمر كثيرة فهي تأكل وتشرب وتجويع وتعطش وتتأمل . . . وهذا ما  
عكر فكر الجينيين مما استدعى انكارهم لوجود الالهة .

وطيه فقد قاست الجينية مبدأ الالوهية عند الهندوس وقارنته من وجهة نظر بشرية  
محضة دون الرجوع الى مقومات النظرة الفكرية المجردة عن كل هوى أو ردة فعل لأي مشكلة  
عقدية من هذا النوع . فاثبات الالوهية لا يتم عن طريق قياس الغالب على الشاهد بل باتباع  
الأصول العلمية والأسس المنهجية ، ودراسة البراهين القاطعة الدالة على وجود الخالق  
عز وجل وما أكثرها ، فمنها ما هو فطري مستودع في النفس البشرية ، ومنها ما هو نظري  
ثم ما كان عقلياً أو فكرياً .

والاسلام حينما يعالج هذه القضايا فإنه لا يعالجها وفق الخيال والأوهام بل  
نراء يدعو العقل البشري للتدبر والتفكير في هذا الكون الفسيح وما فيه من خلوقات والتبصر في  
النفس البشرية وما انطوت عليه من غفيا وأسرار معجزة لا يمكن التوصل الى سرورها عن  
طريق المعرفة البشرية القاصرة وكذلك بقية المخلوقات الأخرى . فإذا ما تجرد العقل عن الهوى  
والزيف والتخمين . وربط الأمور وفق ما يقتضيه المنطق السليم ، وأرجع الأسباب الى سببها  
ومسبها وخالفها بما ربه فلا بد والحالة هذه من أن يقر بوجود الله تبارك وتعالى .  
( قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُخْفِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) (٥)  
( وَقُلْ السَّعْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) (٦)  
( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٧) . . . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . . (٨)

وهكذا فإن العقل إذا ما سار وفق هذا النهج فسيصل الى الحقيقة اليقينية الكبرى  
التي لا ينكرها إلا هالك .

١ - راجع : مجلة ثقافة الهند ص ٢ عدد ٣ مجلد ٢ سنة ١٩٥١

٢ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٤٢

٣ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٣ ٤ - ط بان الجيني يسمح لنفسه بازهاق روحه  
حتى شاء صرطته للرياضة الروحية ( اليوغا ) .

٥ - يونس : ١٠١ ٦ - النمل : ٩٣ ٧ - العنكبوت : ٢٠

٨ - الذاريات : ٢١

## ثانيا : الكارما وتناسخ الارواح :

يجمع العديد من العلماء على ان اصحاب الديانة الجينية يؤمنون ببدأ الكارما وتناسخ الارواح ، وليس صحيحا ما ذكره صاحب كتاب " الفلسفات الهندية من ان " مؤسس الجينية لم يقل بعقيدة التناسخ (١) .

وقد سبق لنا التعرف على هاتين العقيدتين من خلال دراستنا للفكر الديني الهندي وسي ، وبان لنا أهميتهما في تلك الديانة .

والفكر الجيني يوافق هاتين العقولتين مع اختلاف طفيف لا يؤدى الى كبير

فرق ، وهو يدور حول محور الكارما من حيث كونها " مادية " أم " اعتبارية " .

فقد آمن الجينيون ببدأ الكارما على اساس انها قانون الجزاء وانها تتحكم في كل حياة فيكافأ الانسان او يجازى على كل ما يأتي به او يجترحه من صالح او طالح ( في الحياة التالية ) . ( ٣ ) . وان النفس تنقسم جسدها الجديد اذا ما نالت من الجزاء حقها الموفور ( ٤ ) .

والفرق بين النظرة الجينية والهندوسية الى الكارما يتعلق بجوهرها .

ففي حين يرى الهندوس انها اعتبارية . يذهب الجينيون الى ان الكارما هي كائن مادي ( يخالط الروح كانه يحسك بتلابيبها ، أو يحيط بها كما تحيط الشرنقة بالفراشة ) ( ٥ ) .

وعلى هذا الأساس فقد قسم الجينيون الأرواح الى أربعة أقسام وذلك حسب التالي :

١ - الأرواح ذات الحواس الخمس : مثل الآلهة ، الإنسان ، الحيوانات ، والكائنات النارية .

٢ - الأرواح ذات الحواس الأربعة :

مثل : الحشرات الكبيرة ، النمل ، النحل ، الذباب ، والفراشات .

١ - راجع : الفلسفات الهندية : د . علي زيمور ، ص ٣١٢

٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨ / ١٠

وكذلك : *MAM'S Religions* . P. 98

٣ - حكمسة الاديان الحية ص ١٤٢ ، والفكر الفلسفي الهندي .

٤ - انظر قصة الحضارة ٦٠ : ١ / ٣

٥ - : اديان الهند الكبرى : ص ١١٦

٦ - كما سبق القول فإن أتباع مهابيرا حوروا مذهبه من الإلحاد إلى الاعتقاد بوجود الالهة ، فقد أثبتت الحفريات في مقاطعة كاليكتا وجود تماثيل للمصلحين الجينيين وكان ذلك في حدود القرن الرابع ق . م ( وغالبا ما كانت هذه التماثيل تعبد بعد مهابيرا ) انظر بتوسع (

- *EARLY INDIAN Religions* . P. 177

٣ - الارواح ذات الحاستين : وهي التي تتمتع باللمس والذوق فقط كالديدان ، والحيوانات الصغيرة ذات الاهداف .  
٤ - ذات الحاسة الواحدة :

مثل النباتات ، الاشجار ، الجذور ، والاجسام النباتية الطافية ... الخ . ( ١ )

### ثالثا : النظرية النسبية

المعرفة في نظر الجينيين نسبية ( وللحقيقة ) ( عندهم ) معالم عديدة لا واحدة ، ، وهي تختلف مع السنطرة الهندوسية ، فهي تقول ان النظر الى ماهية الحقيقة شيء نسبي تختلف باختلاف الناظر وهي مهبط كانت تعبر عن ذاتها باشكال عديدة مع العلم اننا لا نصل الى إثبات المطلق ( ٢ ) . وهذه النظرية تلحظ مثلا : ( أن هذا الشيء قد يكون حاراً بالنسبة الى شخص ما ، وبارداً بالنسبة الى شخص آخر . حاراً بالنسبة الى الشخص المعين ، وبارداً فيما بعد بالنسبة اليه ايضا ، وذلك بنوع من التقريب أو أن شخصا بالذات هو ابن وأب وعم ... الخ بالنسبة الى أقاربه الآخرين ( ٣ ) .

وقد نفى البعض أن يكون هذا الامر شك ظنهم الجينية به ، موضحا أنه قد ( ظن بعض المؤلفين المحدثين أن في هذا المبدأ فلسفة شككية يهبط هو في الحقيقة مبدأ نسبي ، وقد استخلص منه العديد من التطبيقات العظيمة والاخلاقية بشكل خاص وعلى هذا فط هو أمنا في العالم الحسي ليس حقيقة ثابتة بل هو تد اخل علاقات مرتبط بوضعنا وأحوالنا أمام تلك الحقيقة ، فالعالم الحسي لا يستحق منا الهالة والاهتمام فبالعكس ينبغي علينا نفيه والانعكاف على بنا داخلنا ، وقطع كل ميل نحو الواقع ، من هنا تتبع عقيدة اللاعنف ( أهسا ) والسلوك المتشطف والتألي . ( ٤ )

ومهما كان الدفاع عن هذه العقيدة فان السلبية هي الطابع المميز فيها . والدفاع الذي تقدم آنفا لا يثبت عند البرهان ، فهذه العقيدة يعق تعتبر هروما من الواقع وعدم الاحساس بالسوءولية الطاقة على عائق الانسان والتي تتعلق بأمر رسالته كبشر مكلف بالامانة ، وعطارة الارض . وهذا الهروب يعتبر مرضا نفسيا ناجما عن النظرة التعيسة للحياة فبدلا من ايجاد الحلول لمعضلات البشر وشاكله

١ - راجع : *Man's Religions* p. 99 والفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٢  
٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٤١ ٣ - فلسفات الهند ، جان فليوزات . ت : طي  
مقلد ص ٣٢ - ٣٣ ، المنشورات العربية ، جونبة لبنان ، وكذلك راجع موسوعة الدين  
والاخلاق ٤٦٨/٧ ٤ - الفلسفات الهندية ص ٣١٨

تفضل الجينية الانعتاق من هذه السوءولية والركون الى التأمل العقلي الذي لا يتعلق  
الا بالذات والنفس واجداد الوسائل لتعذيبها وشقاها .

فأي فكر ثاقب ياترى سينتج عن نفس كئيبة حزينة ؟ أليس سوى مبادئ مرسضة  
وأهداف قيمة لاتسمن ولا تغني من جوع ؟

وتجدد الإشارة الى أن هذه النظرية كانت بداية لنظرية أكبر ، ونعني بها ما  
طوره الفلاسفة اليونان على يد " هيراقليطس " ( ٤٧٥-٤٠٠ ) ق م . الذي وجد في  
هذه النظرية بابا لفرضيته القاطنة بأن ( الأشياء في تغير متصل ) وقوله ( أنت لا تنزل  
النهر الواحد مرتين . فان مياهها جديدة تجري من حولك اهدا ) ( ١ )

فالتغير عند ( قانون الوجود وأن الاستقرار موت وهم ، فاذا كان كل  
وجود يتغير باستمرار امتنع وصفه بخصائص ثابتة وامتنع العلم أيها لأنه يتألف من قضايا  
ضرورية والواقع أن هيراقليطس كان لا يقصد الى هذه النتيجة لكن جطاعة من السوفسطائيين  
هم الذين استخرجوها من نظريته هذه غير ملتفتين الى أن الوجود قد يتغير بالمعروض  
ويبقى هو ، هو من حيث الجوهر والماهية ولما كان هيراقليطس لم يفتن الى هذه التفرقة  
فقد اعتبر الجدل الأعلى للشك في الفلسفة اليونانية ) ( ٢ )

كما أن هذه النظرية قد تطورت في العصر الحديث على أيدي دالة الوجودية  
وعلى رأسهم الميهودي جان بول سارتر الذي طورها لمصطلح بها الى الكفر والاحسان  
واستتبع ذلك نظريات اباحية من ذلك قوله : ( انك تستطيع أن تفعل ما تريد وليس ثمة  
من له الحق في توجيه النصح إليك وليس في نظرك شر وغير إلا اذا خلقتك ) ( ٣ )

### رابعا : فرضية المادة الذرية

تو من الجينية ( بأن المادة ذرية في تركيبها وأنها لا تفنى وأن الزمن  
لا يفنى ، وانما يمر في دورات لا يدر كها العقل طولاً ، وكل دورة منها ترتفع رويداً الى  
ذروة من الخير ثم تنحدر فتدخل في فلك آخر يتردى باستمرار في الشر حتى يبلغ أحد  
أهراق الفساد قبل أن يأخذ دوره في فلك جديد للخير وتستغرق هذه الدورات المتلاحقة  
ملايين ملايين القرون ، والانسان الذي لا تزيد حياته عن طرفة عين في دهر ، كيف  
يتسنى له أن يعيش ليدرك السلام لروحه وأن يتخلص من آلام الدنيا ) ( ٤ )  
وهكذا يظهر التناقض بين مبدأ التغير وهذه الفرضية ، وعلى أي حال  
فان مقولة عدم فنا المادة الذرية فتحت الباب واسعاً أمام الفلاسفة والملاحدة للسؤال  
بقدم العالم ، فنجد الفلسفة اليونانية القديمة تتبنى هذه النظرية وتدافع عنها بأدلة  
لاتستند الى براهين طيبة بل الى تخمينات وتخييلات عقلية لا أساس لها من الصحة

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٧

٢ - انظر : محاضرات في نقد الفلسفة ، أقيمت على طلبة كلية الشريعة للدكتور محمود خفاجي  
١٣٩٨-١٣٩٩ هـ - جامعة أم القرى .

٣ - انظر : محاضرات في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني  
فصل الوجودية في الفلسفة ، - محاضرات أقيمت على طلبة الدراسات العليا فرع العقيدة  
١٤٠٠ هـ - ١٤٠١ هـ - جامعة أم القرى .

٤ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ وراجع كذلك : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٧

(١)

وقد تناول العلماء المسلمون الرد على هؤلاء وأثبتوا بالدلائل العقلية والنقلية حدوث العالم وأبطلوا الزعم بقدمه . وقد اعتمدوا في نقدهم على ما يثبت حدوث الجواهر والأعراض المسمثة في هذا الكون صرهنوا على أن التغير ملازم لها وما أن التغير انتقال من حال إلى حال فمن المحال القول بقدمها . وفي ذلك يقول الباقلاني :

( و يجب أن يعلم أن العالم حادث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه : تغيره من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة ، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا ، وقد بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن بدء هذا الأمر ؟ فقال :

( نَعَمْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ كَمَ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَأُثِّبَتْ أَنْ كُلَّ موجود سواء محدث مخلوق وكذلك الخليل عليه السلام ، انما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة لأنه لما رأى الكوكب قال : هذا ربي إلى آخر الآيات (٦-٧٦-٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت ( على أنها محدثة ) ، وسفطورة مخلوقة ، وأن لها خالقا فقال عند ذلك ( وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) . (٦-٧٩) .

ولا شك أن هذه الفرضية التي تذهب إليها الجينية ما هي إلا سعي من أجل الخلاص الذي تتأذى به ، ولهذا كان لا بد لها من اختراع نظريات جنية على الظن والتخمين لا من مسلم نافذ وحقين . وذلك امعاناً في الدعوة إلى ترك الدنيا والالتفات إلى المقررات التي ينشعها الرهبان الجينيون . والتي من بينها عقيدة الخلاص التي سيكون الحديث عنها خلال السطور القادمة .

#### خاتمة : الخلاص

تتشرك الجينية مع غيرها من أديان الهند بفكرة الخلاص من دورات الحياة والولادة الثانية كما أنها لم تخطف عن البقية في : أن الشدة والقسوة في ممارسة الرياضة النفسية والدينية هي طريق الخلاص والنجاة من هذه الحياة ، فالنجاة عندهم ( حالة يبطل فيها نشاط الأعمال السالفة في الحياة السابقة فالروح مع غلوطها لا تعود تتقمص الاجساد الأخرى وتتخلص من الحياة الطادية إلى الأبد ) (٣) . أما ما تخطف به عن الهندوسية فينحصر في تحديد الهدف الأساسي من هذه الممارسات .

فقد لوحظ في الهندوسية أن الاتحاد ببرهمن هو الهدف الذي من أجله تمارس العبادات والشعائر وتعذيب الاجساد وازهاق الأرواح .

أما في الجينية فان الغاية من هذه الممارسات هو بلوغ حالة انعدام الخلقة في هدوء و خلود يطلق على هذه الحالة اسم ( النيرفانا ) (٤) .

١ - راجع في ذلك : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٢ / ٢١٤ وما بعدها وأصول الدين لأبي منصور البغدادي ص ٥٩

٢ - راجع : الانصاف للباقلاني ص ٣٠ مؤسسة الخانجي ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣

٣ - مجلة ثقافة الهند ص ٣ المجلد ٢ العدد ٣ سنة ١٩٥١

٤ - حكمة الأديان الحية ص ٢٤٢ وكذلك :

- Man's Religions . P. 98

- ENCYCL. BRIT. V: 10. P. 8

وطيه فان فكرة الخلاص أو النجاة في الفكر الجيني تعتبر طوراً ( من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية وهي الفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ولا هم ) (١)

ومعنى ذلك أن هذا الفكر ينادى بخلود الروح وهو الأمر الذي أقرته الهندوسية من قبل .

ولكي نقرأ الجينية من قضية الاتحاد التي نادى بها الهندوسية حاولت أن تنسج الخلاص فقالت : بأن الشخص إذا وصل إلى هذه المرتبة فإنه ( ليس يذى جسم مادي وليس بطويل ولا قصير ، ولا لون يحيط بكل شيء ، مطلق من جميع القيود ، يكون دائماً في سرور ، وطأنينة واستقرار ونعيم مقيم ، مكانه فوق الخلود الكوني ) (٢) وهذا هو الفرق بين نظرة البوذيين إلى الغرافانا ونظرة الجينيين إلى فكرة الخلاص ( التي هي عندهم جنة حقيقية أو سعادة تحظى بها روح الإنسان لا فناً ) (٣)

ولا شك أن الجينية وجدت في هذه النظرة فرصة لترغب الناس بدنياً الجديد فالجزء على الطاعات يأخذ حيزاً واهتماماً كبيراً من الفكر المسمى . وكان لابد للجينية أن تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار لسائرة عقول العامة وترغبهم بهذا الثواب المزعوم . ولهذا فقد أوجت بهذه العقيدة كبدل عن فكرة الاتحاد وذلك للتخلص من عبودية المبراهمة وبالتالي لتجذب الناس إلى هذه الآمال المستقبلية الخيالية .

أما في الاسلام فان مفهوم النجاة يختلف عما قرره الأديان الوضعية ومنها الجينية إذ يرتبط بمدى التزام العبد بأوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه وفسق ما جاء به القرآن الكريم والسنة الطاهرة ، هذا الالتزام والانقياد هو المعنى الحقيقي الذي يحمله الاسلام بين طياته وطيه فإن الأمانة والاحسان في الدار الآخرة لا يرتبطان بأي تضحية بشرية أو قرابين أو ازهاق الأرواح أو فداء للبشرية ، بل يكونان في الجنة حيث وعد الحقون .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَدَّ السَّكَوْنُ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ) (٤) . ولا يمان باليوم الآخر جزء من الايمان بمعالم الغيب الذي تعبدنا الله تعالى به . ولا فلا معنى للعبودية دون الالتزام بما افترضه الله تعالى على عباده ، وهذا الامر الغيبي ليس من باب المستحيل . فالقادر الحكيم والخالق الكريم الذي خلق السموات والأرض بالحق بيده كل شيء وهو المتصرف في هذا الكون وثوابه من باب التفضل على الخلق . ( والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ) (٥)

١ - أديان الهند الكبرى ص ١١٨

٢ - المصدر السابق وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٣ - حضارات الهند ص ٦٢٢ وانظرا أيضاً :

- MAN'S Religions . P. 99

٤ - محمد : ١٥

٥ - البقرة : ٢٦٨



## الفصل الثاني

### العبادات الموصلة للخلاص :

ترسم الجينية مبادئ\* عدة للوصول الى الخلاص ، وذلك عبر  
تعاليم متعددة تشكل في مجموعها اطارا للسير في هذا الطريق الصعب ، الذي  
لا يمكن لأي فرد اجتازه دون تحمل الأعباء الجسام والآلام ، والإرهاق المستمر  
في سبيل الامل المنشود .

هذه الممارسات لا تعتبر في نظر الجينيين الا وائل طقوسا وعبادات  
وذلك لان مهاغيرا رفض العبادات انسجاما مع مبدأ الاتحاد الذي رسمه لاتباعه  
مع ان هذه المبادئ\* سرعان ما تغيرت عبر الاجيال لتصبح بالفعل ممارسات تعبدية  
حقيقية كطقس التي يمارسها الهندوس تطا .

وبالرجوع الى الرجل الاول الذي تربي على أيدي مؤسس هذه الديانة  
نجد أن هذا الجيل قد كتب عليه الالتزام بمبادئ\* الرهينة الجينية والحفاظ عليها  
والتقيد بمبادئها ، دون ان يشعر ان ما يقوم به هو من قبيل العبادات .  
وربما تكون مبادئ\* الرهينة الجينية من أقسى درجات الرهينة في العالم  
وذلك لاعتقادها على مبادئ\* خطرة على النفس البشرية الموجهة الى الهلاك .  
وقبل الوصول الى درجة الخطورة هناك مبادئ\* اولية تجب مراعاتها  
ومن ذلك :

- ١ - الاعتقاد الصحيح      ٢ - المعرفة الصحيحة      ٣ - السلوك الصحيح  
وتسمى هذه المبادئ\* " الجواهر الثلاثة " ( ١ )

ولكن من هذه المبادئ\* خصائص ، وينود وذلك على النحو التالي :

اولا : الاعتقاد الصحيح :

ويندرج تحته أمور

- الاعتقاد بالاشياء المؤكدة كما هي ، هو اعتقاد صحيح .
- انك تصل الى هذا الاعتقاد بالحدس والفهم .
- يستقي الفهم من المصادر الخارجية ، اي الكتب المقدسة .
- والوصايا ، وتصل اليه بالمعرفة الصحيحة ، وبالمعرفة الجزئية .
- تصل الى الفهم بوصفه ، بفطريته ، بعلمته ، بمكانه ، بدعوته ، وتصنيفه .
- وتصل اليه ايضا بوجوده وعدده ومكانه واستداره وزمانه وكيفه وكمه ( ٢ )

١ - راجع حكمة الاديان الحية ص ١٤٢

٢ - هذه النصوص موجودة في كتاب " تانغارشاد هيچت سوترا ، وقد ذكرها صاحب

كتاب : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨

ثانيها :

المعرفة الصحيحة :

المعرفة عندهم خمسة انواع :

- المعرفة العادية - معرفة الكتب المقدسة - المعرفة فوق العادية
- المعرفة العقلية - المعرفة الكامنة . ( ١ )

ثالثا :

السلوك الصحيح

ربط يكون هذا الهدأ هو أهم الهادي\* التي تنطوى عليها الديانة  
الجسدية لتعلقه بالجانب المعنوي وهو الأساس الذي بنيت عليه الرهبنة عند مهافيرا .

يتعلق هذا الهدأ بفكرة الخلاص الذي لا يمكن بلوغه ( بالصلاة ولا بتقريب  
القرابين ولا بعبادة الهة متعددة بواسطة الروحانيين وانما بمصالح الاعمال التي يأتينا  
الانسان عن فهم وعقيدة فحسب ، وقد طمهم مهافيرا ان خلاص كل منكم يكمن في نفسه ( ٢ )

كما يرتبط السلوك الصحيح بهدأ النذر ، وهذا النذر يجب أن يكون  
مجردا عن خمسة أمور :

- ١ - عن الأذى ٢ - عن الكذب ٣ - عن السرقة
- ٤ - عن عدم العفة ٥ - عن التعلق بالدنيوى . ( ٣ )

هذه النذور الخمسة يندرج تحتها تعاليم جزئية او تفصيلية ولكل من  
هذه النذور تأملات خمسة :

( أ - التأملات الخمسة للنذر ضد الأيذاء هي

- ١ - الحذر في الكلام ٢ - الاعتناء بالمقل ( اى التأمل العقلي )
- ٣ - الحذر في السير ٤ - الحذر في رفع الاشياء وانزالها
- ٥ - الحذر في تناول الطعام ، والشراب ( حذرا من قتل الكائنات  
الحية في طعامه وشرابه ) .

ب - التأملات الخمسة : ( للنذر ضد الكذب ) وهي :

- ١ - تجنب الغضب ٢ - وتجنب الطمع ٣ - تجنب الجبن
  - ٤ - تجنب الطيش ٥ - التحدث حسب الوصايا المقدسة
- ( اى التي افصى بها مهافيرا واتباعه ) .

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨

٢ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ - ١٤٣

٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٦

ج - التأملات الخمسة ( للنذر ضد العرقه :

- السكن في مكان منعزل
- السكن في مكان مهجور
- السكن في مكان لا يدخل فيه أحد
- نقاء العطاء .
- عدم الجدال مع من يؤمن منك .

د - التأملات الخمسة ( للنذر ضد هدم العفة ) ومنها :

- رفض الاستماع إلى أحاديث الاتصال بالنساء
- رفض رؤيتها اجسادهن
- رفض تذكر المتع مع النساء في الماضي
- رفض تجهيل الجسد .

التأملات الخمسة ( للنذر ضد التعلق الدنيوي ومنها :

- التنكر للمحبة
- التنكر للحقد
- اللذة
- لعدم اللذة .
- لمواضع الاحساس ( ١ )

ومن مجمل هذه النذور نستطيع ان نستخرج بعض الاحكام التي يحرم على الجيني القيام بها :

( فالزراعة حرام . . . لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان ، والجيني الصالح يرفض أكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية أن يقتل ما عساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء أحياء طالقة فيقتلها ، ويحيط بمباحه بستان حتى يقي الحشرات لذع النار ، ويكنس الارض اطامه وهو يشي خوفا من ان تدوس قسده الحافية على كائن حي فترويه ولا يجسـوزله ابدأ أن يذبح حيوانا أو يضحى به ) . ( ٢ )

ومن الواجبات المفروضة على الراهب :

- الاستجداء : فعليه القيام به لتأمين الطعام والشراب والكساء .
- حمل العصا والحكمة لتنظيف الارض التي يحشي طيها حرصا منه على عدم إيذاء الحشرات .

وهذه الاعمال تلتزم بها النساء الداخلات في سلك الرهبنة ايضا لدى فرقة السفاتمارا الا ان فرقة الدياغبارا لا تسمح لهن بالدخول في الرهبنة ( ٣ )

١ - راجع جميع هذه البنود في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٦

٢ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٠-٦١ وكذلك الفلسفات الهندية ٣١٨  
( و ) MAN'S Religions. P. 100

٣ - راجع بتوسع : موسوعة الدين والاخلاق ٤٧٢/٧ ) ENCYCL. of Religion, and Ethics. v. 7. P. 472

اولا :

### أهمية اليوغا في الرهينة الجينية

سبق الحديث عن إهتمام الرهينة الهندوسية بممارسة اليوغا ، ورأينا من خلال ذلك الصور المتعددة لهذه الرياضة الشاقة .  
والجينية تدین بهذه الطريقة أيضا للوصول الى النجاة أو الخلاص كما تراه . ومن الممكن الاستشهاد بنصين من كتب الجينيين للتأكد من أهميتها عندهم ومن ذلك ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيمجاماسوترا " في الفصل السادس قوله :

- اليوجا هي نشاط الجسد والكلام والعقل .  
- اليوجا هي السيلان الداخلي لطادة كارما الى الروح ( ١ ) .  
ومهما قيل عن فوائد اليوغا فانها في النهاية لا تبعد عن ان تكون طريقة تهدر فيها الطاقات والافات دون طائل ، والانسان موثمن على جسده لا يحق له التصرف به وفق أهوائه ونزواته كما أنه مسؤول عن وقته وعمله فلا ينبغي اضاعته فيما لا فائدة منه والا أصبح عرضة للضياع والتأخر والكسل ، وهي النتيجة المحتمة التي آلت اليها حياة الرهبان .  
اضافة الى ما تقدم فان الديانة الجينية وضعت عدة مبادئ عظيمة تلزم الأتباع بوجوب تطبيقها تطبيقا تاما وهي مبادئ متنوعة وفي مجالات عدة .  
أهم هذه المبادئ ما يتعلق بقانون اهسا ( ٢ ) او هدم الايذا ، وكذلك ما يتعلق منها برفض معاشرة النساء والابتعاد عن الشهوات واللذة ومنها ما يتعلق بنذر الصمت .

### ثانيا : قانون أهتسا : والنقد الموجه اليه

من النصوص الدالة على أهمية هذا القانون ما جاء في ( السوترا - كريت انكا ) وهو كتاب جيني ما يلي :  
- جميع الاحياء تكره الالم . . . وعلى هذا لا تؤذيها ولا تقتلها . هذا هو روح الحكمة ، : " لا تقتل حيا " .  
- اذا ما اعتكفت على سعادتك الروحية فلا تقتل أي حي بنفسك ولا باوامرك ولا بموافقتك .  
- من يقتل او يؤذي من أجل راحته سيفوق في نهاية حياته في حمأة من العذاب ( ٣ )

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٥

٢ - راجع بتوسع عن هذا المبدأ في كسل من ( الموسوعة البريطانية ١٠ / ١٠ )

وكذلك راجع عن هذا الموضوع في : ( *Man's Religions* . P. 101 )

٣ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠

### النقد الموجه الى هذا القانون :

يلاحظ في هذه السجادة\* التزم والتطلع الزائد عن حدود المعقول ولا يمكن ان يعيش الانسان بهما حياة عادية .

انه لأمر محمود أن تدعو هذه النحلة الى وجوب التسك بعد م الايذا\* ولكن من المستهجن حقاً أن تمنع عن بني آدم ما أحله الله له من الطيبات ، وتغرض عليه قيوداً ما أنزل الله بها من سلطان كتصفية المياه وكتمس الارض ووضع المنديل على الأنف حتى لا تتأثر الجراثيم الصغير وتتعرض للغنا\* .

ان الحرج الذي تضعه الجينية أمام الخلق يدل دلالة واضحة على عظم المشقة التي ترهق كاهل الانسان اذا تسك يبدأ بمنعه من أدنى حقوقه المعيشية البسيطة ، وهذا ظلم ما بعده ظلم ينهج أساساً من عدم التفقه والتبصر في معنى الحياة . . .

فمن الدلالة على سخف العقلية التي وضعت هذا السبدأ : هي مساواة حياة الانسان وروحه بروح الدواب والطيور والهوام والحجر والشجر . وهنا تقع الجينية في تناقض كبير حينما تبيح لاتباعها تطبيق الممارسات العظيمة كالرياضة القاسية لازهاق الروح وصولاً الى ما تدعيه بالخلاص ، في حين تنكر عليهم قتل بعوضه او ذبابة مضرة بالصحة .

ولأستاذ العطار رأي في هذا الموضوع نستأنس به حيث يقول :  
( . . . ولكن لي رأياً في أساس الجينية ، فمؤسسها ماها فيرا حاقداً على الحياة والمجتمع والناس لأن والديه فارقا الحياة بواسطة الانتحار جوطا حتى الموت فامتلات نفسه المفجوعة ألباً وحقدأ وكراهية وخفأ\* للحياة فانعكس ما في نفسه على مذهب انتقاماً من الحياة بتسخير افرادها ليلقوا مصير والديه ومن لا يلقاه يفقد الطذن بالحياة وهو موت الدافع الى الحياة الطيبة بالاطياب والطبذات الحلال .

انه دين انبعث من مريض مضطرب النفس ولكن لاغربة في ان يجد اتباعاً لان الهند تتسع لاي دين مهما كان مناقضاً لقوانين الاخلاق واداب السلوك والمجتمع وللحياة والوجود نفسيهما (١) .

ومن نقاط الضعف التي تسجل على هذا القانون وتشكل طعنا فيه ، هو ما يتعلق بالموقف السلبي الذي يتخذه الجينيون ازاء التعرض للحيوانات والحشرات .

فالانسان معرض للاخطار الناجمة عن مهاجمة الحيوانات المفترسة او الحشرات المؤذية ، والقاطنة .

فما موقف الرهبان من مهاجمة تلك الحيوانات وتعريضها حياة الانسان للخطر ان لم نقل للموت الزوام ؟ .

ان دعوى المسالمة لا تنفع في مثل هذه الحالات ، ان ان العقل يأبى الاستسلام لهذه العقولة لما فيها من استكانة وخنوع بل وسخف عقلي لا يبرر لوجوده فبعض الحيوانات لا يمكن ابعاد اذها الا بالقتل كالضواري ، وبعض الحشرات لا يمكن اتقاؤها الا بالابادة ، كالزواحف السامة وغيرها .

ولا شك ان ابقاء الحشرات يزيد من انتشار الامراض والامهنة ويسبب في افقار البلاد ، وقتل المواسم الزراعية ، والحواشي .

الى غير ذلك من الاسباب التي تدعو الى نبذ هذا الهدأ .

ثالثا - :

البعد عن النساء :

ان النصوص الجينية تدعوا الى الابتعاد عن النساء ، واعتزالهن .  
ومن ذلك قولهم :

( - من لا تخضعهم اللذات يعلمون بان التأمل واجبهم .

- الأفاضل يعتبرون اللذات كالأفراط .

- النساء للرجل الحق اغراء تصعب مقاومته .

- من ينفق وقتا طويلا مع النساء يعرض عن ممارسة التأمل .

- في قلب النساء رجل واحد ، وفي كلماتهن آخر وفي أحضانهن آخر .

- كما أن الرعود أعلى الأصوات ، والقمر أبهى الأجرام السماوية ، والصندل

أفضل العطور ، كذلك الذي نبذ جميع الشهوات

- المحمول على غارب الشهوة لن يبلغ مدى ( ١ )

إن الدعوة الى البعد عن الشهوات واللذات أمر يتفق مع السلوك السوي لبني  
البشر لأن الإفراط فيها باب عريض اذا فتح تصبح النفس هالكة على صاحبها وتجتر  
المجتمع نحو الهلاك والهلاك .

والجينية اذا ارادت الالتزام بالتخفيف والتقليل من الشهوات فلا أحد  
يعترض سبيلها ، فالتوسط في جميع الأمور هو الحل المطلوب في هذه الحياة كي  
تستقيم ، ويصبح لها معنى له مغزى وقيمة .

الا أن الجينية تأبى هذا التوسط أو الدعوة الى التقليل من الشهوات ، بل  
فرضت على النفس البشرية كبتا مطبقا لاي نشاط جنسي أو عاطفي ، فألزمت أتباعها  
بوجوب الابتعاد عن النساء وعدم الاقتراب منهن والتخلي عن اي ارتباط بهن  
الى حد انها ازاحت من قاموس تعاليمها مجرد كلمة حب أو ود فمن تعاليمها :

( يحيا الحكيم حياة بعيدة عن الحب بعدد ما عن البغضاء ) ( ٢ )

وهكذا تكون حياة الراهب الجيني خسطلية من أي هدف في هذه  
الحياة ، ان يلاحظ في هذه الدعوة عدم لآمال الانسان وتطلعاته . واطفاً لاشراقه  
الروح النقية . وإيقاف عمل الفطرة التي فطر الله الناس عليها وإغلاق لمدارك العقل  
الذي منحه الله لبني البشر .

١ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠

٢ - المصدر السابق

كما ان الدعوة الى الابتعاد عن الحياة الزوجية فيها اهدار لعطية التناسل التي هي اساس في عمارة الارض وانشاء المجتمع الامثل .

ولا يخفى على عاقل ما في هذا القانون من اناية خبطة فهو يبيح للفرد ان يعيش حياته كما قررت الرهينة الجينية ويفرض ان يدع المجال لغيره في العيش كما اراد الخالق سبحانه وتعالى .

ان تعطيل وظيفة الجنس في الكيان البشري خطر كبير يهدد الداعين اليه ، وذلك لما لهذه الطاقة المزروعة في كيان البشر من قوة هائلة تدفع النفس الانسانية الى افاق واسعة ، فان روعيت بدقة وانتظام عادت بالنفع والا من والسعادة على صاحبها وان اوقفت ومنعت من اداء مهنتها اضرحت شرا قاتلا يهدد كيان الفرد ، في اي لحظة من حياته بالدمار .

ولا ادل على فشل هذا المبدأ في الرهينة الجينية من تلك الحياة الخاصة التي كان يحياها الزعيم الهندي "غاندي" الذي اخذت عليه والدته اليهود الجينية الثلاثة وهي التي تمارى بآجتاب : الخمر واللحم والنساء . ( ١ )

فالامر الغريب في تلك الحياة ما كان يشاع في العلن عن بطولته وشدة ورعه وتشفه حتى انزلته المؤلفات والمعاجم منزلة القدسين والانبياء .

ومشاه المولى عز وجل ان يفضح هذه السيرة وذلك عند ما نشر كتاب "الحياة الجنسية لشاهير الناس" الذي تعرض مؤلفوه الى حياة المهاتما غاندي الخاصة والذي يظهر فيه هذا الزاهد على حقيقته ، فهذا الكتاب يصف مغامرات هذا الزعيم مع النساء واساليبه الكثيرة في اختيارهن ، فمن فصول هذا الكتاب ما يذكره المؤلفون عن تلك العلاقات قولهم :

( بقيت هناك بعض الجوانب الاخرى وان كانت تفصيلية فتقاليد الهندوس من

هذا الجانب الذي انغمس فيه غاندي تغترض على الرجل ان يتجنب الجنس الاخر كلية ولكن غاندي امضى بقية حياته في مزالق صعبة هي مزالق الاغراء . فقد كسان على الرغم من كل ذلك عاشقا يحب النساء ، اللواتي كن مفيدات جدا لحركته السياسية وقد بدأ قصصه معهن في جنوب افريقيا اثنا عمله هناك ، عندما التقى بفتاة مراهقة في السابعة عشرة من عمرها اسمها "صونيا اسلشن" . . . وكانت صونيا بدايسة

---

١ - راجع في هذا الصدد كتاب : مهاتما غاندي ، رومن رولان ص ٧ ، ترجمة

عمر فاخوري ، مطبعة طيارة بيروت .

٢ - غاندي هو هندوسي ، ولا يعني ذلك الا يلتزم باي مبدأ اخر ، فطبيعة الهندوسي مبالغة الى كل تغيير مهما كان نوعه وهو على استعداد ليمشط عقائده باي عقيدة تروق له .



سلسلة من الفتيات المراهقات . . . اللواتي كن يتهاقن عليه كتهافت الفراش على النار ، فالشيء الثابت ان غاندى كان يتمتع ليس بحيوية جنسية دافقة وحسب ، وانما بجاذب جنسي غريب لم تكن شهرته وحدها هي السبب في ذلك ، ولكن هو لا المراهقات يعطن كسكرتيرات اثنا الصباح ، وكذلك في فترات الغدا\* وعند العصر ، فاذا ما جاء الليل ، انسلت احدهن الى فراش الرجل الذي كان يكتفي من الثياب بقطعة قماش بيضا\* اثنا العمل ، ولا شيء\* مطلقا في الفراش .

وكان غاندى يفضل الليلة بعد عطية ساج تتناول كل شيء\* ، حتى انه كان يستعمل نوطا خاصا من العطر والبخور ، وخاصة في الحمام بعد الساعة العاشرة مساء\* ، حتى ليقال ان غاندى كان مولعا بالطقوس .

ومن الغريب ان هذه الطقوس كانت جنسية الى حد بعيد ، لقد كانت النساء ياتينه من اماكن نائية وغير متوقعة ، ومع ذلك فقد كتب يقول : " ان النضال من اجل البقاء نقيبا جنسيا هو كالسير على حد السيف " .

ولكن الغريب ان غاندى حاول الابقاء على هذه العلاقات الجنسية بعيدا عن كل فضول الى ان افتضح امر الفتيات المراهقات اللواتي كن ينمن معه عاريات ، وكانت حجته : ان الرجل الذي يقرب نحو الستين يحتاج الى الدفء\* . ( ١ )

- ان هذا التناقض الذي يلف حياة هؤلاء لا وجود له في حياة الفرد المسلم ان الاسلام يحيط هذا الفرد بالرعاية التامة فيوضح له الطريق الذي يجب ان يسلكه منذ ان يشب عن الطوق وذلك وفق منهج متكامل ومتوازن في آن معا لا تغفل فيه وظيفة الروح على الجسد أو العقل طهيها وكذلك العكس . وبذلك فلا يمنع الاسلام من ممارسة الوظيفة الجنسية بل يحضر طهيها باسلوب لا تعقيد فيه ولا غموض ودون كبت أو حرمان بل يضع الضوابط الكفيلة باسعاد الانسان وتنمية روح الخير والمحبة فيه للجنس الآخر كشريك له في هذه الحياة لا على أنه من سقط الساع أو أنه رهيب للشيطان . يقول تعالى ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) ( ٢ )

ووفق هذا المفهوم فالسلم لا يحتاج الى اتخاذ الخطلات أو المعظيات سراً لأن الاسلام قد أتاح له أن يعيش حياته الخاصة وفق وسيلة نظيفة ولغاية شريفة .

١ - راجع هذه التفاصيل ، وأمور أخرى في الترجمة التي أوردتها مجلة الحوارات :

العدد ١٣٠٥ سنة ١٩٨١ ، الجمعة / تشرين الثاني / نوفمبر / ص ٩٧ .

وذلك تحت عنوان ( غاندى بشر بفلسفة الجنس في خدمة . . . الهند ) وهو

ترجمة لفصل من كتاب ( The intimate sex lives of Famous people .

لعدد من الكتاب الغربيين .

٢ - الروم : ٢١

## رابعاً

تطور وتبدل الانظمة :

ربما وجدت الجينية نفسها محرجة امام التعاليم والممارسات الروحية الصعبة التي نادت بها . وكما رأينا سابقا مدى صرامة الهادى\* التي ياخذ الجيني بها نفسه ، فهذه القوانين وجدت صعوبة في التنفيذ ، كما تركت اثارا سلبية على اتباع الهاديين ( ١ ) . ان التكليف بما لا يطاق لا يتلاءم مع الفطرة البشرية . ولا سباب كثيرة رجعت الجينية الى نفسها قليلا ، حينما وجدت تقاعسا شديدا من قبل اولئك المتعبددين المتعبدين .

واذا\* هذا الوضع كان لابد من تغيير في نصوص القوانين والانظمة المتبعة ، وتقسيم الممارسات بحيث تتلاءم وطبيعة افراد هذه النطة . وهكذا اصبح هناك الجيني الهادى ، والراهب المنتظم .

وقد جاءت النصوص الجينية المعدلة لتراعي هذا الهادى ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب " تانفارشا هيجاماسوترا " :

- نذ ور رب البيت اقل من نذ ور الزاهد

- يجب ان يحدد رب البيت نشاطه في مكان ثابت ، ويحدد نذوره بوقت

اقصر ، ولا يقترب خطيئة عن عمد أو لاعد . وطيه ان يتأمل في الروح وان يصوم وان ياكل بعد ان يأكل الضيوف .

- رب البيت هو من يراقب موته الهادى\* في اللحظات الاخيرة من حياته ( ٢ )

وهكذا نرى كيف غيرت الجينية نطق القوانين فبدل الصرامة والشدة المتمثلة في التعاليم الاولى نجد التخفيف الذى شرع لفقه من العامة .

فلفظ رب البيت قد استعمل من قبل عند الهندوس ، وربما استعمله

الجينيون كذلك لهذا الغرض ان البراهمة يطلقون هذا الاسم على الهندوسى الذى يمر بالمرحلة الثانية من المراحل الاربع عندهم والتي تنبج له فرصة الزواج والانجاب وممارسة الحياة العادية .

ورغم ذلك فقد ارادت الجينية وضع بعض القيود على " رب البيت " أو

على الجيني الهادى حتى يبقى ضمن الاطار المرسوم له في تلك الديانة .

فمن الامور التي فرضت عليه ما يلي :

- (١) - اجتناب الخمر ٢ - اجتناب قتل الكائنات الحية مع تحريم الذبح
  - ٣ - اجتناب السرقة ٤ - اجتناب الزنى
  - ٥ - اجتناب الطمع ٦ - الابتعاد عن المعاصي
  - ٧ - التقليل من اعباء الحياة ومتطلباتها ٨ - الحرص على الابتعاد عن  
الساوى .
  - ٩ - تحديد المناسبات الدينية باوقات معينة
  - ١٠ - تحديد مدة النذور
  - ١١ - تحديد ايام معيشة لممارسة حياة الرهبان
  - ١٢ - يجب التصديق على الفقراء والساكنين دائما ( ١ )
- ويضاف الى هذه العبادات ايضا
- ( - اجتناب اكل اللحم - اجتناب الفواكه - اجتناب اكل العسل .
  - اجتناب اكل الجذور - عدم الاكل ليلا ( ٢ )

### الفصل الثالث : الفرق الجينية وتطورات الرهبنة

أولا : الفرق :  
لم تثبت الجينية بعد موت مهافيرا طويلا حتى حل الانشقاق بين اتباعها والرهبان المنتهين اليها ، فانقسمت هذه الديانة الى عدة فرق .  
فقد اكد العلماء على وجود انقسامات عديدة في الجينية ، فالسي جانب وجود فرقتين كبيرتين هناك فرقة اخرى اسمها احد اقارب مهافيرا ويدعى جمالي الذي انضم اليه . . . راهب .  
الا انه لم يعرف صير هذه الفرقة ، ولعلها ذابت في الفرقتين الكبيرتين فيما بعد . ( ١ )

اما الفرقتان الكبيرتان اللتان استقطبتا الرهبان والاتباع فهما :

- ١ - الدياغبارا ( اصحاب الرداء الازرق
- ٢ - والسفاتسبارا ( اصحاب الرداء الابيض

وقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا حول تاريخ الانشقاق الحاصل بين الفقتين كما اختلفوا في اسباب النزاع .

فبالنسبة للتاريخ فهناك من يرجع الانشقاق الى سنة ٨٣ ق م . وهناك من يذهب الى انه حصل في سنة ٨٠ ق م . وهناك عدة آراء اخرى ( ٢ ) .

اما بالنسبة لسبب النزاع والشقاق فهناك من يقول بان ( سيفابهوتي كان في خدمة الطك راتها فيهارا وان هذا الاخير قد اهداه لحافا اود ثارا هدية تكريما له على دخوله في الجينية الا ان الناس قد مزقوا الهدية في غياب سيفابهوتي فحسزن وفضب وانحرف ليقيم طائفة الدياغبارا ) ( ٣ ) .

وهناك من يقول بان الفرقة والشقاق قد حدثا ( حينما هاجر راهب جيني واسمه بهاد رابا هو بفتة من طائفته جنوا الى اقليم الكرنات فرارا من مجاعة ظلت اثنتي عشرة سنة بهلال البنغال ، وعلى اثر عودة هذه الفئة اتخذ الرهبان الذين فضلوا الاقامة على المهاجرة قرارا في مجلسهم الديني ان يجمعوا الكتب الجينية لكنهم لم يستطيعوا

---

١ - انظر : EARLY, INDIAN. P. 173-174

٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨٢١ .

٣ - راجع : EARLY, INDIAN. P. 175

تسجيل بعض نصوص البروات ( اى الكتب الدينية ) القديمة ، ولهذا السبب جاء قانون سفاتمارا ( اى الفرقة التي بقيت ) ناقصا وهو القانون الذى تست كتابته في صورته الحالية في مجلس فالامهى ( القرن الخامس أو أوائل السادس الميلادى ) .  
واتبع الرهبان العائدون طريقة أشد صرامة وتجنبوا المجلس واطلقوا على أنفسهم اسم طائفة الدياغمارا وقالوا ان القانون الحقيقي قد ضاع ( ١ ) .

وهناك هناك رَأى أخرى تذكر أن سبب الخلاف يعود الى اللباس أو الرداء الذى يجب على الراهب الجيني أن يلبسه  
فرأت فرقة أن تضع الرداء الأبيض ، وأطلقت على نفسها اسم السفاتمارا واطلقت الثانية على نفسها اسم : الدياغمارا ( ٢ )  
وكانت هذه الاخيرة أكثر تشدداً إذ رأت أن على الراهبان عدم ارتداء أي لباس يوارى الجسد وأن بقا الراهب طاريا هو المطلوب حتى لا ينشغل عن التفكير والتأمل لأن اللباس يوصى الى الإحساس بوجود المادة وهو الأمر الذى يجب أن يمحى من النفس وان يبقى الراهب بعيداً عنه . ( ٣ )

ومن فلسفتهم في هذا المعنى قولهم : ( ان الشعور بالحياة يتضمن تصور الإثم ، فلولا لم يكن الإثم في الحياة لما كان الحيا . فترك اللباس هو ترك للاثم وتصوره . وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الاثم أن يعيش طاريا ويتخذ من الهواء والسما لباسا له ) ( ٤ ) .

وللرداء عندهم تعلق بالنجاة فمن قولهم ايضا : ( طامام المرء يرى في العرى ما نراه نحن ، لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاة طامام يتذكر انه طار ، طيه أن ينسى ذلك بتاتا لمتمكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، وذلك لان المرء طالما يتذكر انه طار أو أن هناك خير أو شر حسن أو قبيح فمعناه أنه لا يزال متعلقا بالدنيا وما فيها فلا يفوز به ( موكشا ) اى النجاة ) ( ٥ )

- ١ - : موسوعة تاريخ العالم ص ٩٩ وكذلك EARLY. INDIAN. P. 173
- ٢ - راجع وقد ترأس فرقة السفاتمارا راهب اسمه ستهولا بهادر ، كما ترأس فرقة الدياغمارا راهب واسمه بهادر باباهو انظر EARLY. INDIAN. P. 174
- ٣ - راجع بتوسع الموسوعة البريطانية ٨ / ١٠
- ٤ - : تاريخ الاسلام في الهند ص ٥٠
- ٥ - مجلة ثقافة الهند ص ١٣ المجلد ٢ عدد ٣ سنة ١٩٥٠

## ثانيا : اثر التطورات في مبادئ الزهنة :

هناك هذه تطورات طرأت على الفكر الرهيني الجيني كان من شأنها تحول المد الديني الى تراجع وانكماش بعد انتشار وذيوع كاد يهدد الاراء والمعتقدات السابقة والتقليدية في الهند . وهذا الفشل ادى بالتالي الى تهديد الرهينة الجينية نفسها بالانقراض . وهذا العصر خير شاهد على ذلك .

اذ اصبح الجينيون في الهند يمثلون اقلية ( ١ ) دون ان ننسى ان تفوقهم المادى الان راجع الى تخطيهم عن مبادئ الزهنة التي نادوا بها من قبل .

ونستطيع ان نلخص مجمل التطورات التي رافقت الجينية وذلك على

النحو التالي :

### ١ - في مجال العقائد :

تم التحول من الالحاد وانكار الالهة الى عبادة الانسان والعودة الى تعدد الالهة وفق الطريقة الهندوسية .

وقد راينا في الفصول الماضية كيف دأب مهافيرا الى الالحاد الذي بناء على قاعدة مؤسساها انه لا يجوز الاعتقاد بوجود اله حتى لا يعود نظام الطبقات الى الوجود . وبعد وفاته لم تستطع الجينية الصمود امام مغربات وتحديات الهندوس وغيرها من الاراء المحلية ، كما انها من ناحية اخرى فشلت في صرف انظار العامة عن فكرة وجود الخالق ، وازاء هذا الفشل لم يجد الجينيون بدا من الرجوع الى اقامة التماثيل لصلحيهم الاربعة والعشرين . الذين قسدهم سوهم واتخذوهم اربابا من دون الله وكان اول هؤلاء وافضلهم على حد زعمهم ريشابها ( Rishabha )

والثلاثة الاخرون وعلى راسهم ( Rishabamemi - PARSVOMATHA -  
VAROLHAMANA - MAHAVIRA )

( ٢ )

وقد اقيمت التماثيل في القصور التي شيدت من اجل ال ٢٤ جينا او ما يطلق عليهم ( الشيرثانكاراس ) في معظم الاماكن التي تواجد فيها الجينيون . وقد اعتبرت هذه القصور والتماثيل من افخم الاعمال التي قامت في الهند نظرا للبدخ والترف اللذين حظيت بهما هذه الاماكن . ( ٣ )

١ - يبلغ عدد الجينيين حسب احصاء ١٩٠١ / ١٠٣٣٤١٤٠ / مليون وثلاثمائة واربع وثلاثين الفا ومائة واربعين نسمة وهذه النسبة اقل من نصف بالمئة من سكان الهند . راجع موسوعة الدين والاخلاق : ٤٧٢ / ٧

٢ - موسوعة الدين والاخلاق ٤٦٥ / ٧

والذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٠

٣ - Mom's Religions . P. 101

٢ - احترام الجينيين للبراهمة بعد كراهيتهم لهم :

على الرغم من ان الجينية تعتبر ثورة على الهندوسية الا انها لم تستطع السير قدما للتحرر من ربة البراهمة .  
وما لا شك فيه ان سطوة البراهمة لم تترك مجالا للجينيين بالتحرك ضد ها  
واخذ المبادرة على نطاق واسع ، ولهذا نرى الجينية قد اعترفت ضمنا بهذه القوة  
ومع مرور الزمن تحول هذا الاعتراف الى احترام للبراهمة ولحماهم<sup>(١)</sup> والسدوة السي  
عدم المساس بهم او التعرض لهم بالاذى مما كان الامر .  
وقد وجد الجينيون ذريعة لهذا التغيير استنادا الى مدتهم العام المسمى  
بقانون اهسا الداعي الى عدم الايذا .  
وهكذا جاء هذا القانون لتشيط الهم وترسيخا للدعة والكسل ، مما اسهم  
في ابقاء الجينية بعيدا عن الرئاسة والزعامة في الهند وابسقاطها تحت سيطرة البراهمة .  
٣ - اثر الانشاق في الرهينة الجينية :

راينا في السابق كيف انقسمت الجينية الى فرقتين رئيسيتين هما :  
الدياغبارا والسفاتبارا .  
وقد كان هذا الانشاق ماز كتابات كثير من العلماء والمؤرخين . ذلك  
لانسه كان السبب الرئيسي في زعزة التماسك في الرهينة الجينية ، فقد اورثها عبثا  
ثقيلا لم تستطع تحمله عبر تاريخها وقد تعطل في الجدل القائم بين الفئتين حول عدة امور  
منها :

- ١ - الرسائل التي خلفها مهافيرا
  - ٢ - مبدأ العري
  - ٣ - مبدأ دخول النساء في الحلك الرهيني .
- ان هذه الامور رسخت الشقاق بين اتباع الجينية وعلى الرغم من عدم  
قيام نزاع دوى بينهما الا ان هذه الخلافات اسهمت الى حد بعيد في زيادة الهوة  
بين الطرفين . .

---

١ - راجع حضارات الهند ص ٦٢٣

٢ - راجع تفاصيل النزاع في : الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - وضع القوانين والانظمة الديرية :

بعد رحيل مهافيرا احتدم النقاش بين السفاتبارا والدياغبارا حول القوانين التي ألفها مهافيرا بنفسه .

فقد أنكرت الدياغبارا هذه القوانين واعتبرتها في حكم الضائعة بينما أقرت طائفة السفاتبارا هذه القوانين .

وقد وجدت فيما بعد قوانين لعبادات جديدة أهمها :  
قوانين عبادة نياغياشا . وقد اكتشفت في عهد ماتورا ( ١ ) كما  
تغيرت عدة قوانين علمية تتعلق بالدعوة والارشاد والتي أطلقوا عليها اسم :  
" ايساريا " وربما تكون هذه الطريقة قد أخذت عن البوذيين والتي تسمى :  
" البيهاراس " . ( ٢ )

٥ - ادخال النساء في السلك الرهيني :

لم تكن هذه المسألة قد أشيرت في حياة مهافيرا ، إلا أنها ما لبثت أن  
برزت بشكل حاد لتحدث خلافا في آراء الجينية وليلة بين افرادها .

فالدياغبارا ترى عدم وجوب ادخال النساء في سلك الرهبنة  
لانهن غير قادرات على صوم قانون النجاة أو الخلاص وعليه فانهم يحرمون دخول  
النساء ( ٣ ) .

اما السفاتبارا : فقد رأوا ان ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة  
وانها تستطيع ان تمارس جميع المهام الموكلة الى الراهب دون تعب مع اجبارها  
على لبس الثياب .

وقد اعتبرت السفاتبارا فئة غير مرغوب فيها من قبل الدياغبارا واطلقوا  
عليها اسم ( هيريتكس ) . ( ٤ )  
كما ان المعرى كان سببا في ازدياد الفرقة بين الطائفتين . ( ٥ )

EARLY Religions. P. 182

- ١

Encycl. of Religion and Ethics.

- ٢

V: 7. P. 472

- EARLY Religions. 175

- ٣

// P. 174

- ٤

٥ - راجع ثقافة الهند ص ١٣ عدد ٣ المجلد ٢ سنة ١٩٥١



: النتيجة التي آلت اليها الرهينة الجينية :

كان من الطبيعي جدا ان تتغير مفاهيم الرهبان الجينيين ، الذين احسوا بضرورة ايجاد مخرج للمأزق الذي أوجدوا أنفسهم فيه ، هذا المأزق نتج عن التعاليم الصارمة في الحياة ، ومحاربة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد . وهنا برز التطور في ادخال بعض التغييرات على النصوص الدينية فبدل أن تكون العبادي\* والاحكام متجهة نحو ارشاد الرهبان فقط تحولت هذه النصوص لتخاطب الافراد العاديين وتضع لهم المناهج للسير طيها في حياتهم الخاصة . فأتاحت لهم الزواج والانجاب وسمحت بتكوين البيت والأسرة إلا أنها لم تترك وضع قيود أخرى اعتبرتها ضرورية للبقاء\* على الصيغة الجينية . . وظالما ما تكون هذه القيود متصفة بالقسوة والاحجاف رغم ادعائهم بانها من باب التخفيف .

وقد كان للعوامل السالفة الذكر اثر كبير في نشوء مرحلة جديدة ومغايرة كل التغاير عما كان عليه الوضع القديم .

فعلى اثر اهراق الكواهل بالقيود وانزال الناس منازل القهر والفقير والتسول وخاصة المعدمين من الجينيين كان لابد من البحث عن ثغرة للخروج من النفق المظلم الذي يستحيل العيش في كنفه .

فقد ضاق الناس بكثرة القوانين وقيودها ، فالزراعة حرام والفلاحة كذلك واكل اللحوم وشرب العسل كلها من باب المحرمات ، وحينما يصبح التحريم والتحليل سلعة بيد الرهبان فان المقاييس سوف تختلف وكذلك الموازين ستقلب . ولهذا فمهما حاول هؤلاء\* الشرعون من ترقيع لقوانينهم المبتوتة فان الخرق سيتم على الراقع .

وهنا استطاع الجينيون استغلال بعض النصوص الدينية وتحويلها الى تشريع جديد يتيح لهم فرصة ارغد للعيش .

فقد تحول اتجاههم للتجارة التي فتحت عليهم بابا للثراء\* ، الذي لم يخلق الى الان ، وقد أدى هذا الإجراء\* الى إضلال سريع لتعاليم الرهينة . لقد أكد المؤرخون والعلماء\* على تحول الجينيين الى التجسسارة بشتى أنواعها حتى إنشأ\* البنوك الربوية التي أوقعت الديون بالناس وأسهمت في شحن النفوس بالبغضا\* ضد هم ( ١ )

ولهذا كله فقد بات من المؤكد الاعتراف باخفاق الرهينة الجينية وفشلها في ايجاد المجتمع الا مثل وذلك للنتائج التي آلت اليها .

## الباب الرابع

الاسس العقدية  
" للرهنسة البوذنية "  
والرد عليها

### التمهيد :

بعد الوقوف على الاسس العقدية للرهبنة الجينية والتطور الذي رافقها،  
ينقلنا البحث الى فصل آخر من فصول الرهبنة التي شهدتها الهند إبان القرن  
السادس ق.م ، حوالي ٦٠٠ ق.م .

فقد عرفت الهند كما سبق القول ، ثورتين كبيرتين ضد الهندوسية  
وعقائدها ومبادئها التسلطية التي أرهقت النفوس في سبيل تربع طائفة البراهمة على  
عرش النفوذ، والتحكم بنظام الطبقات وفقاً للمصالح ، وكسبا للاستيازات العرقية والعنصرية.  
(١) وقد اعتبر العلماء الحركة الجينية أولى هاتين الثورتين واعتبرا  
البوذية هي الثورة الثانية بعدها .

(٢) وهناك من اعتبر البوذية حركة سلمية اصلاحية ضد الهندوسية ، بسبب  
فلسفتها الخلاقية ترمي الى التدرج في رفع مقومات النفس الانسانية وطوها ، وعلى العموم  
فقد اعتبر هذا العصر بالذات عصر الانتقال من الطغوس الى التأمل والفكر (٣).

ورغم ذلك فهناك من يذهب الى ان هذا العصر يعتبر عصر الانتكاس  
الشديد والتشاؤم (٤) ولا شك أن مرد ذلك الى النظام الرهيني الذي أشاعه  
بوذا ودعاه بآرائه وتعاليمه .

ولا يهم البحث هنا الدخول في مآهات العلماء حول هذا الخلاف  
بقدر ما يهمه الإطلاع أولاً على مبادئ وأسس الرهبنة البوذية ، من حيث العقائد  
والأفكار ومن ثم متابعة التطورات والتغييرات التي واكبتها ، وكذلك التوقف للحكم  
عليها من خلال النتائج التي وصلت اليها والدور الكبير الذي قدمته لتنظيم الرهبنة  
التي لحقت بها وسارت على منهجها فيما بعد .

- 
- ١ - نسبة الى بوذا مؤسسة الديانة البوذية ولكلمة بوذا عدة معان منها : العالم  
والحكيم ، والمنازل . راجع في ذلك : دائرة معارف بطرس البستاني ، مادة بوذا .
  - ٢ - راجع : البوذية ، هنري أرقون . ت : هنري زغيب ص ١٧ ، المنشورات العربية  
الطبعة البولسية ، جونبة لبنان ، ١٩٧٥
  - ٣ - تاريخ البشرية ، أرنولد توينبي ٢٢٣/١ ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية  
للنشر، بيروت ، ١٩٨١
  - ٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١

## أ - مصادر الفكر البوذي :

يرجع العلماء مصادر البحث عن العقائد البوذية وما يختص منها بالرهينة ،  
وتعاليمها ، الى الكتب التي قدسها البوذيون ، اضافة الى الآثار التاريخية التي  
اكتسبت اهمية لدى الباحثين لما فيها من نقوش وكتابات قديمة توضح بعض المراحل  
التي مرت بها هذه الديانة ، مظهره التطورات التي حدثت داخلها .  
وهوكد بعض الباحثين على أهمية تلك الآثار لكونها تزيح الستار  
عن الغوامض التي اكتنفت البوذية بشكل عام . و التي لم يكن بالامكان التوصل الي  
حل رموزها إلا من خلال الوقوف على تلك الآثار خاصة تلك النقوش المحفورة داخل  
المعابد والقصور ، إضافة الى الكتابات المنحوتة على صناديق الذخائر الدينية ، والنصب  
والجرار التي زعم أنها حوت رفاة بوذا والتي ترجع الى حوالي عام ٤٥٠ ق م . ( ٢ )  
أما بالنسبة للكتب التي قدسها البوذيون ، فهي مؤلفة باللغة  
البالية ( اللغة المقدسة التي كتبت بها الشريعة البوذية ) . وقد توصل العلماء  
الى حقيقة مفادها ان بوذا لم يترك سوى بعض التعاليم التي من شأنها ارشاد أتباعه  
الرهبان الى طريقته التي وقف عندها من خلال تجاربه العديدة التي مر بها ، مع  
تأكيدهم على انه لم يترك كتابا مستقلا يوضح فيه مبادئه وتعاليمه ، وقد وجد فيما بعد  
ما يسمى ( بانجيل بوذا ) وهو موجود ومطبوع وصُرجم الى اللغة العربية ، ويدعي  
البوذيون انه من تأليف بوذا ، الا ان الواقع لا يتفق مع هذه المقولة لاسباب عديدة ( ٥ )

١ - راجع : تاريخ حضارات الهند ، فوستاف ليهون ص ٣٦٥

٢ - راجع : البوذية ص ٢٤-٢٥

٣ - انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ ، دار نهضة لبنان ،

وكذلك دائرة معارف البستاني ٦٦٢-٦٦٣/٥

٤ - : معالم تاريخ الانسانية ، هـ. ولز ، ٤٧٣/٢

٥ - من اهم الاسباب الداعية الى رفض نسبة انجيل بوذا الى صاحبه :

ان ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عقائدية لا تتفق مع جملة الامور التي كان ينادي بها  
بوذا نفسه ، فنصوص هذا الانجيل تفيد بان بوذا كان يؤمن بوجود الاله فمن ذلك  
مثلا قوله للبرهيين : ( ان اعلم ان ( تتفان ) يسعرف الطريق السوي الذي يوصل  
الى الاتحاد " ببرهما " وهو وحده يعرف ذلك ولا احد سواه لانه في عالم براهما ، وفيه  
ولد فهو في وانا فيه وكلانا واحد " انجيل بوذا ص ١٥٧ ، ت : عيسى سابا ،  
مكتبة صادر ، بيروت ط ١٩٥٣ ) مع ان العلماء قد بحثوا هذه القضية مطولا وشاروا  
الى ان بوذا لم يكن يتعرض لهذه القضية كما انه كان يصرف اتباعه عنها ويدعوهم الى عدم  
الخوض فيها بل وانكر وجود الله الخالق ( راجع : الموسوعة الفلسفية م . روزنتال ، ي  
يودين ، ت : سمير كرم ص ٩١-٩٢ مادة بوذا ، دار الطليعة بيروت ط ١٩٨٠ )

أما بقية المصادر الدينية الأخرى فقد وجدت صر تآليف كبار طائفة البوذية ورهبانها وأهم هذه الكتب . :

- طريق الطهارة ( ١ )

- زهرة الشريعة المستقيمة

- القانون المنسكوتي

- وصف مسهب للبلاد المعيدة ( ٢ )

ولم يخف على العلماء ما في هذه الكتب من روايات سقيمة ، وضعها أهل الغلو تعظيماً لشان صاحب هذه النحلة ( ٣ ) .

---

- كما أنه في تعاليمه لم يشر من قريب أو بعيد إلى وجود هذا الانجيل خلال إرشاده لتلاميذه ، كما أن حركة المعربة الصفري ، وهي فرقة من الفرق البوذية - لم تشر إلى هذا الانجيل بينما كل الأصابع تتجه إلى فرقة أخرى تدعى " المعربة الكبرى " طس أن هذا الكتاب من تآليف مؤسسيها وطائها .

ويقول د . محمد اسماعيل الندوي ( كما لا نملك دليلاً قاطعاً على تأليفه ( أي بوذا ) كتاباً واحداً من بين عشرات من الكتب المنسوبة إليه ) .

الهند ، حضاراتها ، ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوي ص ١٤٩  
وراجع كذلك : فلسفات الهند ، جان فيليوزات ص ٣٣

١ - هذا الكتاب ينسب إلى " بوذاغوزا " .

وهو أحد كتب فرقة " المعربة الصفري " انظر : البوذية ص ٦٠

٢ - هذه الكتب هي للمعربة الكبرى : انظر : البوذية ، ص ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ،

٣ - انظر في هذا الصدد : دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي

٣٨٤ / ٢ ط ٣ مادة بوذا دار المعرفة بيروت ١٩٧١ .

ب - حياة بوذا :

حفظت مؤلفات المؤرخين الغربيين وغيرهم بقصص وروايات عن حياة بوذا ( ٥٦٠ - ٤٨٠ ق م ) وقد استمدت هذه المؤلفات مادتها من كتب البوذيين أنفسهم . وليس هناك أدنى شك أن ما تناقلته هذه الكتب من روايات لا يمت إلى الحقيقة بملة نظرا لكثرة الأساطير والخرافات والأوهام التي نسجتها العقليّة الهندية المغالبة (١) . ويعترف ليهون بهذا الواقع حيث يعبر عنه قائلا : ( . . فالحق أن معظم تاريخ بده ( بوذا ) هو كما أشار سيوسينار مقتبس من الأساطير القديمة (٢) ) كما أنه من العسير جدا التمييز بين الحقيقة التاريخية وبين الأسطورة فيما يتعلق ببوذا وحواريه ، زد على ذلك أن العالم لم يلم ( الطام صحيحا بحياة غوتاما ( بوذا ) وأراه الحقيقية إلا في نصف القرن الأخير وذلك نتيجة الاهتمام بدراسة اللغة البالية (٤) .

وبالرجوع إلى تلك الأساطير التي سردت حياة بوذا يلاحظ وصفها لحياة أسرته ومركزها المرموق في المجتمع الهندي وعن نسبتها إلى طبقة الكشترية وكيفية ولادته وما رافقها من عجائب وفرايب تخرج في مجلداتها عن حدود الواقع المألوف (٥) . وقد تشابهت هذه القصص إلى حد كبير مع القصص التي يوردها المسيحيون عن حادثة ولادة السيد المسيح عليه السلام ، وقد قارن العديد من العلماء هذه القصص بعضها البعض فوجدوا تطابقا في معظمها . ولن نعد إلى ما تناقلته الكتب المتعلقة بهذا الموضوع بل إن التعرف على أهم السراجل التي رافقت ذلك الأمير الشاب هو ما يخدم البحث .

- ١ - معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٤٧٣ ، وقد اختطفت أراء العلماء حول تحديد سنة ميلاده ووفاته ، راجع تلك الاختلافات في : الديانات والمعتقدات ١١٦/١ وكذلك في : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١ .
- ٢ - حضارات الهند ص ٣٤٤
- ٣ - : الإسلام بين الأديان د محمد كمال جعفر ص ٢٥٠
- ٤ - معالم تاريخ الإنسانية ٢/ ٤٧٣
- ٥ - راجع هذه الخرافات في كل من ( انجيل بوذا ص ١٧ وما بعدها ، وكذلك في : حياة بوذا ، أ . فارديناك هارولد ، ت : فليب عطا الله ص ١٤ ، دار الروائع الجديدة ط ١٩٧٥ ، وكذلك : البوذية ص ١٦ ، ودائرة معارف البستاني ٦٥٩/٥

ولدت غوتاما بوذا<sup>(١)</sup> في مقاطعة كابيلافاستو والتي سميت فيما بعد باسم بنارس ، وهي إحدى المقاطعات الهندية ، وقد رعاة والده وهياً له جميع وسائل الرفاهية ثم ما لبث ان زوجه من إحدى الاميرات ، التي انجبت له ولدا سماء راهولا<sup>(٢)</sup> ، الا ان مدة شاهد موثقة قد اوقفت هذا الامير للتفكر والتدبر واعادة النظر في هذه الحياة ، كما ان تلك الحوادث حالت بعد ذلك دون تحقيق رغبة والده في تسليمه مقاليد الحكم من بعده .<sup>(٣)</sup>

لقد كان لتلك المشاهد اثر كبير في حياته ان قلبت مفاهيمه راسا على عقب ، فقد توقف اثنا سيره مع مرافقه ( شانا )<sup>(٤)</sup> امام عجوز هرم احد ودب ظهره وكنت رجلاه من حمله كما شاهد بعدها مريضا طحنه الالم وأهله حوله عاجزين عن تقديم العون له ، كما مر على جثة مهترقة يأكلها الديدان ، ثم شاهد راهبا يتعبد ، وفي كل مرة كان يطرح سوالا على خادمه فلا يلقى سوى جواب واحد قائلا : ( هكذا نهج الحياة ولا مفر لنا من هذا المعبر )<sup>(٥)</sup> .

لقد لعبت هذه الصور في مخيلته وأثرت في نفسه وهاهنا يطرح الاسئلة دون ان يحظى باجابة مقنعة ما حدا به في نهاية المطاف الى العدول عن حياته السابقة والالتزام بحدأ الرهينة الهندوسية التقليدية طه يصل عبرها الى اكتشاف اسرار هذه الحياة ، وكان عمره في هذه الاثناء يقارب التاسعة و العشرين<sup>(٦)</sup> .

١ - لقد سمي عند ولادته ( سيزارتا ) اي الذي حقق غايته ، ومنها اسم العائلة كما اطلق عليه اسم ساكيا موني نسبة الى القبيلة ، ولكن الاسم الذي طب عليه هو بوذا ومن معانيه : الطهم ، والشرق طيه ، او المشرق . : البوذية ص ٢٦

٢ - حضارات الهند : ٣٤٥

٣ - : انجيل بوذا ص ٢٢

٤ - انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ وحياة بوذا ص ٣٩-٤٠

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٤/٢ وحياة بوذا ص ٣٩-٤٠

٦ - : معالم تاريخ الانسانية ٤٧٤/٢

٧ - حضارات الهند ص ٣٤٧

٨ - الديانات والمعتقدات ١١٨/١

وطيه فقد قرر في د خيلة نفسه ضرورة الانتصار على الشيخوخة والمرض والموت (١) . وللوصول الى مبتغاه ، فقد غير مجرى حياته السابقة وهجر الاهل والولد (٢) ، وأرتدى سلايس الرهينة والتص طريق الغاية وحده حيث ظفر بخسة رهبان فاستانس بهم وقاسمهم حياة الرهينة وتال اعجابهم حينما فاقهم تعبدا وتبتلا وانقطاعا حتى غدا لهم مرجعا وقدوة (٣) .

ولم يشف سلك الرهينة الهندوسية ظته ، ان هذا الطريق لم يوصله الى مبتغاه الاساسي كما كان يرجو ، سيما وأنه مارس الوانا وصورا قاسية من العبادات الهندوسية حتى لم يعد هناك من مزيد . ومن خلال هذه الوقائع نستطيع تلخيص ما توصل اليه عبر ممارسته للرهنسة الهندوسية :

- عدم جدوى الممارسات التعبدية المقررة من قبل الرهبان الهندوس . تلك التي وضعت في الاساس للوصول بالفرد الى طبقة البراهمة لان بوذا كان من طبقة الكشتارية ولم تشفع له هذه الممارسات في بلوغ تلك المرتبة لاقتصارها على العنصر البرهمي فقط . - عدم وضعية الاراء العقديّة للرهنسة الهندوسية وذلك لعدم تمكنها من تحقيق اهدافه . وتطلعاته او الاجابة على اسئلته الطحة فضلا عن اقتناعه بعدم امكانه الوصول الى نتيجة مشرفة لرياضته ان لم ينل منها سوى ازهاق النفس واُرهاق الجسد . دون طائل .

- تأكد من ان الاسباب الكامنة وراء الظلم والقهر المخيمين على العامة انما مردء الى الهيمنة البرهمية ولهذا نراه في تعاليمه يشدد على ضرورة ازالة الظلم والجهل . وهكذا ادرك بوذا ان البرهمية طاجزة عن حل لغز الوجود ومشكلة الحياة .

هنا طيه فقد أحس بأنه أخفق في سعيه ، فعاد أد راجه وقرر العدول عن التبتل مؤكدا ان الوصول الى ما يريد لا يكون الا بعقل تغذى وجسم سليم (٤) . بعيدا عن حياة الرهينة الهندوسية الرتيبة ، وطاد الى الاكل والشرب ، مما أثار حفيظة رفاقه الرهبان الخسة وجعلهم يبتعدون عنه (٥) .

١ - حياة بوذا : ٤٩-٥٧

٢ - انجيل بوذا ص ٢٩

٣ - حياة بوذا ص ٩٩ وراجع كذلك : الديانات والعقائد ١١٩/١

٤ - اديان الهند الكبرى ١٤٢

٥ - المصدر السابق



وتصف الحاد ركيف استطاع بوذا مقاومة الشيطان ( مارا ) واعوانه وانتصاره عليهم ( ١ ) وهي في حد ذاتها شبيهة بما يورده النصراني ايضا عن السيد المسيح عليه السلام .

وفي هذه الاثناء وبينما كان مستلقيا تحت ظل شجرة ( البو<sup>(٢)</sup> ) ان سمع صوتا من داخله يدعو الى مجاهدة نفسه للوصول الى الحق ، عندها قرر عدم مبارحة المكان حتى ولو تشقق جلده وتقطعت عروقه وانفصلت عظامه . . . الخ<sup>(٣)</sup> .  
لقد احس تحت هذه الشجرة بالسعادة والطمأنينة تملأ ان نفسه ، حسب ما يذكره البوذيون ، وشعر بعدها بالهدوء وقد تكشفت له اسرار الحياة وتم له التعرف على كيفية الانتصار على الهيم والمرض والموت ، وهو الامر الذي اطلق عليه اسم النيرفانا او الاستتارة .<sup>(٤)</sup>

اخذ . بوذا يبشر بالدعوة الجديدة ( مجادها ) والتي دعيت فيما بعد باسم " بهيار " ولما لبثت تعاليمه ان انتشرت في اصقاع جديدة في الهند ، فكثير اتباعه<sup>(٥)</sup> ومريده ولقي حظوة في امين الرهبان الذين تجندوا للتبشير بدعوته و تعاليمه ، وقد اسهم في انتشارها بعض الملوك والامراء الذين اعتنقوا هذه الديانة وصلوا على نشرها مثل اسوكا ( ٢٦٤-٢٣٢ ق م ) .<sup>(٦)</sup>

تلك هي اهم مراحل حياة بوذا كما تناقلتها الكتب المخططة ، طما يسان الكثير ما ورد في تلك القصص بكتفه التغيير والتبديل تبعا لاختلاف الكتاب والمؤلفين حول الكثير من هذه القصص ، اضافة الى عدم ثبوت اى منها ثبوتا قطعيا .  
كما لا يمكن القول بوجود اتفاق تام بين الذين كتبوا سيرة بوذا وذلك لان الذين نقلوها كانوا يعتمدون على الكتب الدينية الطيبة بالاساطير والخرافات التي حكمت حول حياته .

\*\*\*\*\*

- ١ - حضارات الهند : ص ٣٤٩ وانجيل بوذا : ص ٤٤-٤٥
- ٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٠/٢
- ٣ - اديان الهند الكبرى ١٤٢
- ٤ - الديانات والعقائد ١٢١/١
- ٥ - المرجع السابق ١٢٢/١
- ٦ - معالم تاريخ الانسانية ٤٩٢-٤٩٣ وكذلك اديان الهند الكبرى ١٨٠-١٨١ وقصة الاديان ، د . رفيق زاهر ص ١٢٠-١٢١ ط ١ دار المطبوعات الدولية  
هر ١٩٨٠، ١٤٠٠ .

وتجدر الإشارة الى ان مجلة اليونيسكو قد مت تقريراً صورياً عن : "شاندو بوروبودور" وهو من أكهر السعابد البوذية في أندونيسيا ، أوضحت فيه صورا عديدة للنقوش والزخارف التي تمثل حياة بوذا وتعاليمه ، وقد توقف التقرير عند كل نقش على حدة وبين فيه مراحل عدة من حياة بوذا وكذلك القصص الخرافية التي رافقت تلك الحياة . (١)

#### ج - أراء حول شخصية بوذا :

هناك من يرى أن بوذا يعتبر فيلسوفاً . وأن ما جاء به ليس ديناً بل هو فلسفة حياة . (٢) كما يذهب البعض الى إمكانية اعتباره نبياً من الانبياء لان ما جاء به من حكمة وموعظة واخلاق انما يمثل وينطبق على ما دعت اليه الاديان السطوية . وقد استدلل القائلون بنبوة بوذا بقوله تعالى ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك ... ) (٣)

وهذا الرأي بعيد . وذلك : لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدون بوحى من عند الله تبارك وتعالى والوحى الالهى له اعراض . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتره : احمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوحي عما حوله الى تلك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس المبرد وأن العرق ليتقاطر غزيراً من جبينه وأن جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتل من شدة الوحي ، حتى تكاد فخذ ترض فخذ زبدونها ، وحتى تثقل ناقتة فتترك على الارض . وتزخر أذناه بأصوات حادة ، كصلصلة الجرس ، يجد الصحابة لها دوا كدوى النحل . (٤)

وقد رد الاستاذ العطار على القائلين بنبوة بوذا والذين استدلوا بقوله تعالى ( والتين والزيتون وطور سنين ) زاعمين بان التين هي شجرة التين التي استظل تحتها بوذا ونزل عليه الوحي . وفي ذلك يقول ( فليس لدينا أي دليل يثبت نبوة بوذا ورسالته وما بين أيدينا من سيرته يجعله بعيداً عن محسى . ولا لقاء بين ديانتيهما ، لان ملكوت بوذا خال من إله . ومحسى جاء بديانة التوحيد الحق وملكوته لدى المسيحيين مشغول بثلاثمائة

١ - راجع : رسالة اليونيسكو العدد ٢٦١ ، ص ١٣ ، سنة ١٩٨٣ ، القاهرة .

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٧٩ و ٢٢٣

٣ - الآية ٧٨ من سورة غافر .

٤ - الوحي لغة : الإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقته الى غيرك ( انظر : لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، ط ١٣٥٦ هـ وكذلك : القاموس المحيط للفيروز آبادي - ط ١٣٥٦ هـ ) ( وحي ) الطبعة الحسينية ط ١٣٣٠ هـ والنهاية في غريب الحديث والاشهر لابن الاثير . ( باب وحا ) دار احياء الكتب العربية وفي الاصطلاح : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء ، قال تعالى ( ذلك من انباء الغيب

نوحيه اليك ) والايحاء هنا : الارسال الى النبي صلى الله عليه وسلم والوحي يكون الهام وايحاء وغير ذلك ( انظر الجامع لاحكام القرآن . للقرطبي ٨٥/٤ ط ١٣٧٦ هـ وكذلك : التفسير الكبير للفيروز الرازي ١٠٨/١١ ط ٢ . طهران . وكذلك : تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٥٦ فصل ( وح ) طبعة الامم . مصر .

٥ - انظر : وحي الله . د . حسن ضياء الدين عتر ص ٥٠/٤٩ ط ١٤٠٤ هـ مطبعة رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة .

الاب ، والابن والروح القدس (١) .

كما ان انكار يوحنا للذات الالهية أمر مستهجن بكل منكر وكفر والعماد ، فان الانبياء عليهم السلام آمنوا على الرسالة والوحي ، وهم معصومون : ومكفونون بتبليغ شرع الله تعالى ، فلا يجوز في حقهم انكار الذات العلية ، كما لا نستطيع القول بنبوته من لحيصه الله تعالى صراحة في كتابه العزيز ، أولم تشر اليه السنة بدليل شرعي .

ولكنه الاختلافات حول شخصية يوحنا فقد اضطربت عبارات العلماء في تحديد الحالة التي وصل اليها في تجربته . فمن ذلك ما حصل له " ولسر " . فتارة يصف هذه الحالة بالالهام ، وذلك حينما قال ( والعقل عند ما يضطر مع مسألة جليسة معقدة يخطو خطوات ويتثبت من مواطن قد فيه ، خطوة خطوة ، وهو لا يدرك المغامرات التي غنمها الا اذا راها يسيرا حتى يفوز بالنصر بفتة في شيء من الالهام غير منتظر الذي ينير له الطريق وهذا كما يخيل اليها هو ما حدث لجوتا (٢) ) .

وتارة يصف هذه الحالة بأنها وهي حينما قال ( فانه جلس يتناول طعامه تحت دوحه عظيمة الى جوار نهر عند ما جاءه ذلك الشعور بالروية الصافية والبصيرة النافذة ان خيل اليه انه يرى الحياة صافية نقية . ويقال انه جلس طيلة ليله ونهاره مستغرقا في فكر عميق ثم نهض يذيع على العالم رؤياه وما هبط عليه من وحي (٣) ) . ولا شك أن هذه الحالة ليست بالالهام ولا بالوحي . وانما هي من قبيل الحدس الذي يأتي بالحلول التي تومض وتطرا على فكر العالم أو المفكر فجأة دون أن يكون قد تعدت تكوينها ، وذلك نتيجة عطية دس وتسحيص لمعالجة قضية استعصت عليه ولم يجد اجابة لها .

وهذا ما يسهم الى حد كبير في اجهاد الفكر واتعابه خاصة اذا كانت هذه المسائل تسر قضايا الانسان ، وتعني بكل مشاكله . وان كان يوحنا قد توصل الى حل بعض ما يراه مشكلة فلا يعني ذلك أنه أصبح نبيا وأن الوحي قد نزل عليه . ومن الادلة على ذلك ما جاء على لسانه :

( لقد اكتشفت حقيقة عهدة كان من الصعب رؤيتها لذا سيكون من الصعب فهمها فالحكماء وحدهم سيتمكنون منها ، ان الناس منغمسون في طمذات العالم وهم مع ذلك فرحون ، فكيف سيفهمون النتائج والسببات ... ) (٤) . وهذا يدل على انه كان يبحث عن شيء ثم وجد .

١ - الديانات والعقائد ١٣٢/١ - ١٣٨

٢ - الالهام : ما يلقي في الروح بطريق الغيظ ، وقيل الالهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحاجة عند العلماء ( الا عند الصوفيين ) راجع : التعريفات للجرجاني مادة : الالهام .

٣ - معالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٧٨ - المصدر السابق .

٥ - حياة يوحنا ص ٩٣ وكذلك انجيل يوحنا ص ٥٣

بعد عنا\* ، يمكننا بعد ذلك من خلال دراسة منهج بوذا وتعاليمه ان نقرر  
امرا مطابقا لواقعته بالنسبة لهذه القضية بالذات فقد كان يحل دراسة فلسفية  
وكان غرضه منها التحرر من ريقه التعاليم الدينية وطقوس الطبقة الحاكمة لكسر  
نفوذها ، فلم يجد سوى النظر في القضايا الفلسفية التي تتعلق بالانسان ومسا  
يعتريه من مشاكل . وقد اتسمت هذه الفلسفة بطابع الرهينة ، لما فيها من  
قوانين وانظمة تدعو الى الترهيب ، وقد أسهمت هذه الدراسة في انظمة  
الرهينة في العالم بكثير من الجادى\* والاراء\* .

وقبل التعرف على تعاليم الرهينة البوذية ، ينبغي الوقوف على اهم  
العقائد التي تنادى بها .

## الفصل الاول : العقائد البوذية ، ونقد ها

هناك مرحلتان هامتان في تاريخ الفكر الديني والفلسفي البوذي .

المرحلة الاولى : تتمثل في بداية عهد البوذية ، وفي هذه الفترة يتكلم العلما عن سيرة بوذا وحياته وآرائه التي كان يمشيها بين أتباعه ، وذلك من خلال خطبه ومواعظه . وقد وصف البعض هذه الفترة بأنها مثلت في مبادئها جانب البساطة كما دعت الى الكثير من البحث داخل كل نفس (١) .

اما المرحلة الثانية : فهي فترة ما بعد بوذا . وهي التي تم فيها تغيير الكثير من المعالم في هذه النحلة ، وفيها تم ادخال العقائد الهندوسية (٢) . اضافة الى الطقوس والتقاليد الوافدة من المذاهب الهندية المختلفة والتي أسهمت في تغيير وجهة المرحلة الاولى .

وقد تمثلت العقيدة في المرحلة الاولى ببعض الآراء التي كان ينادي بها بوذا ومن ذلك : أولا : - انكار الالهية (٣) .

برزت هذه الحقيقة حينما تجاهل بوذا وجود الاله ، وهذا الأمر لم يكن في حد ذاته جديدا على الفكر الهندى ، اذ رأينا سابقا كيف أنكر مهابيرا صاحب الجينية الايمان بوجود الاله ، وهاجم آلهة الهندوس .

ومرد هذا الانكار راجع الى ارتباط المفاهيم العقيدية بالواقع المرقى الذى كان يحيز الطبقات الشعبية من بعضها . بأسلوب يتسم بالعنصرية .

فمهابيرا هوذا كانا ينتحيان السى " الكشتارية " التي كانت تكوى بظلم الكهنوت البرهمني ، ولهذا لا نجد كبير هنا في التوصل الى الاسباب الراضة لكل ما يست الى الهندوسية برأى أو فكر .

وهناك أمر آخر يمكن أن يساعد في تأكيد هذه النظرية : وهو موقف بوذا نفسه من قواعد الرهبنة الهندوسية وما انطوت عليه من تعاليم ، اذ انه لم يستطع أن يجسد فيها ما يرضي رغباته وجيب عن أسئلته : صحق طموحه في الوصول الى المعرفة . فلقد وجد في هذه الرهبنة ضيقا للوقت دون طائل ، وهدرا للطاقة والفكر وتشبثا للذهن دون فائدة .

لهذا قررا عزال ما كان عليه والالتفات الى طريق آخر ، يمكن ربط هذا الاستنتاج بما توصل اليه " مهابيرا " الجيني أيضا أثناء قيامه بالرياضات والممارسات وفقا لتقاليد الرهبنة الهندوسية وما وجد فيها من تناقضات . فالواقع الذى

١ - : شجرة الحفارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٢ - راجع : البوذية ص ٧٣ ، وشجرة الحفارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٣ - هناك من يرى : أن بوذا ( كان ينفذ سائل العقيدة لسببين ) أولهما : أنها تتناول مسائل فوق مداركنا . وثانيهما : أن معرفتها لا تسوئ الى الخلاص . والجرح يطلب العلاج والتفريد . ولا يعنيه من أجل ذلك أن يعرف طبيعة السلاح الذى جرح

( ٤ ) : تاريخ العالم ٥٣١/٢

بمعيشة البراهمة يختلف على يروجونه ، وكأنهم يجعلون من هذه التعاليم ستارا يخفون به حقيقةهم المخزية وصولا الى الهيمنة والسيطرة .

فلا غرابة اذاً أن يصرف بوذا جُلَّ وقته في ابعاد أتباعه عن الغوض نفسي السائل العقديّة الخاصة بالألوهية وما وراء الطبيعة<sup>(١)</sup> .

وقد حار العلط<sup>(٢)</sup> كثيرا في هذه القضية واختلفت آراؤهم حول ما اذا كان بوذا يقر بوجود أو نفسي الايمان بالاله<sup>(٣)</sup> . وطى الرغم من تأييد البعض لفكرة ايمان بوذا باله الا أن الواقع يقول عكس ذلك . فقد ترجم د . روف شلي كتاب ( داماداد ) السي العربية واستطاع التوصل الى هذه حقائق منها :

- ان ( لا اله في البوذية ولا تاريخ لذات بوذا ولا تعاليم معددة متقنة فكل ما في البوذية سلمي . . . انها دعوة الى الهروب من الحياة دون مقابل<sup>(٤)</sup> . وهذا الرأي قد ذهب اليه من قبل عدد من علماء الغرب<sup>(٥)</sup> .

وهذا ما أراه مناسباً في تقرير حالة بوذا والبوذية الاولى تجاه هذه القضية . ط بان هناك من يرى : أن ضيق بوذا كان ( لا أدرياً خالصاً ) في مسائل ما وراء الطبيعة ، وكان يرفض ان يبحث مع أتباعه في السائل الخاصة بالطلق وعلاقة الروح بالطلق ، وسأله " لا نهاية الزمان والسكان - أو نهايتها " بل وصل به السي انكار الرغبة المتأججة عند الكثيرين لمعرفة ما اذا كان صير جسم الرجل الذي وصل الى الاستنارة الكاملة ( النيرفانا ) هو الفناء التام بعد الموت ، أو أن صيره نـوع من الحياة الخالدة<sup>(٦)</sup> .

١ - يذهب الشيخ ابو زهرة رحمه الله الى ان بوذا " لم يتعرض لسألة الا لوهية بسلب او ايجاب ، وأنه كان حائرا مضطربا و " أن الذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند هذه الحالة بل الذهب ما يستقر عليه الشخص ويتجه اليه ويدعو الناس الى اعتناقه . ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءا من مذهبه وآرائه ، وما الناس اليه بل أن منتحلي نحلته كانوا جميعا يؤمنون بقوة سيطرة على العالم ولم يضعهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه ، وإذا كان من متبعيه من نحلّه أوصاف الاله ، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من داهيته انكار الاله ) الديانات القديمة ص ٧٠

٢ - لاحظ في ذلك : الاسلام بين الأديان ص ٢٥٧ وما بعدها .

٣ - راجع : آلهة في الاسواق ص ٢٣٥

٤ - مثل : قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢ وكذلك شجرة الحضارة ٢/ ٦ - ١٩٦ - ١٩٧ ومعاليم تاريخ الانسانية ٤٨٤/٢

٥ - دراسة طيسية قامت عقب موت الاسكندر وانحطاط الحالة السياسية والاجتماعية بعده في اليونان ولم تأخذ هذه الدراسة جانب التحكم في الشك كالحالة التي وجدت عند السوفسطائين ولكن الشاك - كما يقول ( كرم ) - رجل مغلوب على أمره فقد الايمان بالحق والخير في بيئة تهللت فيها الافكار وفسدت الاخلاق الى حد بعيد فانهزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي وانط يقول : لا أدري ) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣٤ ، وقد اشتهر " بهرون الالميسي " كأحد ابرز اعلام هذه الدراسة ( ) : الوجود الالمهي ص ٥٠

٦ - تاريخ العالم ٥٣١/٢

### ١٤ المرحلة الثانية من البوذية :

فهي تعتبر في عرف العلط\* فترة التوسع والانتشار ، ليس فقط داخل الهند بل الى آفاق اخرى كالصين واليابان ودولة جنوب شرق آسيا بصفة عامة . وفي هذه الفترة بالذات يمكن تسمية البوذية ونعتها بالدين الوضعي بعد أن كانت تمثل جزءاً من الفلسفة الهندية . ففي هذه الاثناء\* تم ادخال كثير من العقائد الهندوسية والمسيحية ضمن العقائد والتقاليد والشعائر البوذية . وهذا هو السبب الذي قوض دعام البوذية في الهند ، بعد أن كان الفكر البوذي في تضاد<sup>(١)</sup> .

يضاف الى ذلك ضياع الاصول البوذية في حطّة المرحلة التي تولت فهمها<sup>(٢)</sup> العربة الكبرى " سوءولة الدعوة<sup>(٣)</sup> . فقد ألقت في هذه الفترة أكثر الكتب التي قدسها البوذيون واعتبروها من تراثهم الديني . ططأ بان بوذا لم يترك كتاباً من تأليفه .

وقد اعتبر العلط\* أن التوسع الكبير في العقائد البوذية كان نتيجة الانفتاح الذي طرسته العربة الكبرى أو " الطهايانا " تجاه العقائد الاخرى . (٤)

---

١ - وقد أسهب " ليهون " في وصف أصباب تضاد وانتشار البوذية الموقت ، وارجع بعضها الى تحكم الهندوسية وصرامة الدين الذي لا يعرف الرحمة بط يمثل من قساوة حيث لا رأفة فيه ولا محبة في حين ان تعاليم بوذا تعارب هذه الهيمنة وذاك التسلط . راجع هذا المفهوم في : حضارات الهند ص ٣٥٧

٢ - ولها عدة تسميات اخرى منها ( العجلة العظمى ) ، وهي الفرقة الثانية التي نشأت عقب التبدل الذي طرأ على البوذية وهجرة هذه النحلة خارج الهند مما ادى الى الانشقاق . وقد سميت بذلك تمييزاً لها عن العربة الصغرى أو ما يسمى بالهينايانا . وقد سميت بالصغرى طى وجه الاختهان ، لعدم انفتاحها ومقائها طى الصور الاولى للبوذية : انظر : حكمة الاديان الحية ص ١٨-١٩ وكذلك فلسفات الهند ص ٤١ .

٣ - البوذية ص ٧٣

٤ - المرجع السابق ص ٦٧

## ثانيها : الكارما :

كان العقل الهندي مليئا بفكرة التكرار الدوراني اذ كان يزعم ان كل شيء لا بد ان يدور فيعود .

وعقيدة الكارما هي من جطة العقائد التي قبلتها البوذية . وقد تعرضت سابقا لهذه الفكرة عند الهندوس ، وقد بان أثرها على العقيدة ككل . ولا تختلف الكارما عند البوذيين عما هي عليه عند الهندوس اختلافا كبيرا . . . . . فالبوذية تضيف الى هذا القانون مضمونا آخر يتعلق بالثمة .

وقد رفض العلط مناقشة هذه العقيدة لانها تنتمي الى عالم فكري آخذ نسي الزوال ، وما قاله " ولسز " في هذا الصدد : ( انه لا توجد أية ضرورة تدعونا لفرض أية حياة فردية معينة تستأنف . . . ( وانه ) لا وجود لشيء من هذا التكرار أو التعاقب المضبوط . . . فان كل يوم يكرر سابقه بقدر امتلاء في الصفر ، وط من جيل يكرر سابقه تكرارا دقيقا مضبوطا والتاريخ لا يحميد نفسه أبدا ، اننا نعلم الآن طم اليقين ان ألوان التغيير التي طحقة لثنتهني ولا يكاد يدركها حصر ، فكل شيء جديد جدة أبدية لا نهائية ( ١ ) .

كما ان هذا القول يؤكد لنا تعارض فكرة الكارما مع العلم والواقع ، وقد أكد القرآن الكريم على أنه لا يوجد شيء أبدي ولا نهائي على صعيد هذه الحياة ، فآله وحده هو الحي الباقي قال تعالى ( يَوْمَ تَدُلُّ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّاءَاتِ هَزَزُوا لِلسَّيِّئِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ) ( ٢ ) وقال ( كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَجَهَ رُكَّ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) ( ٣ )

١ ط الجانب الجديد في قانون " كارما " البوذي ، فهو يتعلق بالثمة ، فهسي لا تمنع صدور السلول عن العلة ، وانها لا تكفر الذنوب ( هري بودا ان التوبة مقصودة كانت أو غير مقصودة لا تستطيع أن تمنع صدور السلول عن العلة ولا العلى عن نتاجه ) ( ٤ ) .

وبالتالي فان هذا القانون ينسجم مع موقف بودا الالهادي ، فمن آرائه ما جاء في قوله ( ان ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كيف يشاء ، بل ذلك الناموس بذاته نافذ بنفسه لا يتأثر بموثر بشري أو الهسي أبد ) ( ٥ )

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٨٥

وكذلك : الفلسفات الهندية ص ٢٧٣

٢ - ابراهيم : ٤٨ - الرحمن : ٢٦-٢٧

٤ - حضارات الهند ص ٣٥٦

٥ - اديان الهندى الكبرى : ص ١٥٢



ولا يخفى ما لهذا المفهوم من اثر سمي " على الناس ، فمعنى عدم قبول التوبة من العاصي يحط به ما لا يطيق . وهاهنا شعر البوذيون بهذه المساوي فاضطروا الى اضافة قانون اخر فاختروها مبدأ " الاعتراف امام الكاهن <sup>(١)</sup> للتوبة والمغفرة ، وهذا ما قدمته البوذية بدورها الى من جاء بعدها .

### ثالثا : التناسخ :

من جملة العقائد التي قبلها البوذيون عقيدة تناسخ الارواح ، وهذا المبدأ سبق الكلام عنه في اثنا " عرض العقائد الهندوسية ، ويري العلماء ان اصحاب بوذا قد تأثروا الى حد بعيد بكتب الاوانيشاس الهندوسية ( ٢ ) . التي نادت به . الا ان مفهوم التناسخ هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأ العام الذي وضعه بوذا وهو عدم الاقرار بوجود الاله وفي هذه النقطة يختلف البوذيون مع الهندوس .

فالبوذية توسعت فيه واخذت تدي ارحب بها عليه الهندوسية التي ارادت من وراء ارقام الطبقات الدنيا على الرضوخ لها وذلك عبر اجتياز العديد من التقصات قبل التوصل الى طبقة الكهان ، كما ارادت من اقرار مبدأ الروح الكلية ( آتمان ) والانداماج فيه حصر هذا الاتحاد بطبقة البراهمة فقط .

ولقد كشفت البوذية التناقض الحاصل بين مبدأ التناسخ ومبدأ السروح الكلية ( آتمان ) عند الهندوس ، وبينت ان التوافق بين هذين المبدأين عقيم ( فالاتحاد بالروح الخالدة هو على صعيد نظري مباشر وسجرد من كل سببية ، فيما التناسخ على العكس يخضع لسلسلة قاسية من الأسباب والنتائج <sup>(٣)</sup> ) .

ومن هنا استطاعت البوذية توجيه السطمن بمبدأ وحدة الوجود لدى الهندوس الذي يتعارض مع مبدأ التناسخ لعدم قدرة أصحابه على تفسير تعدد الوجودات . .

وقع البوذيون في التناقض حينما ينكرون وجود النفس ، ومنعنا لهذا الحرج فقد قالوا بان انتقال الرغبة من جسم الى آخر .

١ - راجع في هذا الصدد : انجيل بوذا ص ١١٤-١١٥

٢ - راجع : فلسفات الهند ص ٣٦

٣ - البوذية ص ٢٢

والبوذية في هذه المسألة تريد الفرار من الاعتراف بوجود النفس تشبهاً مع اللاحاد الذي اكتنف تعاليم بوذا ، فكما انه ( اقترح لاهوتا بغير اله فكذلك يقدم لنا علم نفس بغير نفس فهو يرفض الروحانية في شتى صورها حتى في حالة الانسان ) (١) .

وطى الرغم من القول بانتقال الرغبة من جسم الى آخر فان الاعتراض يبقى قائماً فالتحليل العلمي يقول ان هذه الرغبة اما ان تكون خاصة بالجسم او شي غير الجسم ( فان كانت شيئاً غير الجسم ، فهي النفس ، سواء أسوها رغبة أم نفساً ) وذلك يعود على أصلهم بالنقض ، هو مسمى كلامهم الى نقض ما يدعون ، يهدون بيد ما يبنون به باليد الاخرى .

وان كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولازمة من لوازمه فكيف تنتقل الى جسم آخر وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضي أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به لانه من غير المعقول ان يوجد اللازم من غير لمزمه والخاصة من غير المختص بها . لهذا كله نقول : ان انكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابت نسبتهم اليهم والتوفيق بينهم يومى الى أمور لا يقبلها العقل . أو هو دى الى عدم أحد الامرين - : اعتقاد التناسخ أو انكار النفس . (٢)

(٣)  
والجد يسر بالذكر ان بعض الملطاء قد أنكروا ان يكون بوذا قد اعترف بسد التناسخ . الا أن مرد ذلك يعود الى الالتباس والخوض اللذين سادا تعاليم بوذا ، جعل د . الندوى ذلك بقوله :

( والسبب في ذلك ان تعاليمه كانت تتناقلها الالسن اعتماداً على الذاكرة قرابة اربعة قرون . وفي خلال هذه المدة الطويلة اضيفت الى عقيدته وتعاليمه اضافات كثيرة ونسبت اليه أمور عدة ( كما ) نسبت اليه عشرات من الكتب ، وقد ثبت فعلاً ثبوتاً طلياً وجود الخلط والتحريف في كثير ما يروى عنه وينسب اليه ) (٤) .

هذا ولا جدال بين الملطاء أن البوذية الحالية تدعى بهذا المذهب حسب الذي يعتبر أحد د طام عقيدتها .

١ - قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢

٢ - الديانات القديمة ص ٧٠-٧١

٣ - الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ١٤٨-١٤٩

٤ - المرجع السابق .

### رأسماء النيرفانا :

يدعي البوذيون ان "بوذا" استطاع التوصل الى معرفة اسرار الحياة عن طريق "النيرفانا" التي تعني في عرفهم : الغيبة ، أو الانطفاء . وقد شبهت هذه الحالة بالشعلة التي تنطفئ عند انتهاء مادة الاحتراق (هكذا ينطفئ الفرد الذي يتوقف عن اذكا\* نيران عواطفه فلا تعود حياته تولد مرة ثانية تماما كالصباح الذي اذا ما انطفأ مرة لا يقوى بعدها على اذكا\* شعلت نفسه (١) .

الا ان البعض يفسر حالة بوذا في النيرفانا قائلا ( هي صفو الروح وسكينته ذلك ان النيرفانا ليست معناها الفناء كما يعتقد الكثيرون من الناس خطأ وانما معناها فناء\* الاغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة\* نيئة او ذليلة و مروعة ) . (٢)

وكان صاحب هذا القول يريد الرد على من احتار في امر النيرفانا خاصة فيما يتعلق بصير الانسان بعد هذه العطية . (٣)

واذا كان بوذا يريد من وراء فكرته هذه الايحاء\* لاتباعه ان من اتبع هذا الطريق فانا يكون بذلك قد توصل الى الخلاص او النجاة فانا نستطيع القول بان فكرة الخلاص او النجاة في الفلسفة الهندية واحدة لدى معظم نحل الهند وان مرعنها باساليب متعددة .

والتأمل في حقيقة مبدأ النيرفانا يكتشف ان بوذا اراد من هذه الفكرة بالذات الخلاص من تكرار الولادات التي تسببت عن طريق مبدأ التناسخ .

وعلى الرغم من تحرر بوذا من بعض قيود المفاهيم البرهمنية بشكل عام الا انه لم يستطع مطلقا التخلص من هذا المبدأ وهذا يفسر لنا مدى سطوة التعاليم البرهمنية على البوذية .

وفي ميزان بوذا فان النيرفانا تعتبر خشية خلاص له ولهذا نراه يفسر اتباعه بضرورة اللجوء اليها رغم الاعتراضات وكثرة الاسئلة التي انتهالت عليه لمعرفة كنه حقيقة النيرفانا التي ظلت غامضة بالنسبة للكثير من تلاميذه وهذه حادثة تدل على ذلك : ( سأل مالتوكيايوتا معلمه عن النيرفانا وما اذا كان من بلغ الكمال يستطيع

١ - البوذية : ص ٤٠ وقارن مع البيانات والمعاهد ١٢٨/١

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٢/٢

٣ - راجع تاريخ العالم ٥٣٢:٢ وما اثاره من شكوك حول هذا الموضوع .

الاستمرار في حياته بالنيرفانا ؟ أم يبتلعها العدم ؟ . فما كان من بوذا إلا ان ضرب مثلاً لرجل ( اصابه سهم سموم . هل ينتظر كي يتداوى ليعرف ما اذا كان الذي اصابه راهبا براهمنيا ام نهيلاً شريفاً أو فلاحاً أم خادماً من الشعب ؟ ما يكون نتيجة هذا الانتظار ؟ موت الجريح طبعاً . . . هكذا حال الذي يريد الشفاء من حالات التناسخ ( ١ ) .

ورغم ذلك فان هذه العقيدة لم تختبر في عقول البوذيين ، تبعاً للغموض الذي يكتنفها . لهذا نجد تطوراً هاماً يطرأ على هذه العقيدة بعد موت بوذا ان سرعان ما تأثرت البوذية بعدد بالاراء الهندوسية والجينية ، فاخذت الرموز والاصطلاحات الغربية تحتل قسماً وافراً من تفسير قانون النيرفانا فعبّر عن تارة ( بانه ) ( تحرير الفرد من عودته الى الحياة ) أو ( انعدام شعور الفرد بفرديته . أو ( اتحاد الفرد بالله ) أو هي ( فردوس حسن السعادة بعد الموت ) . ( ٢ )

ومن التحليلات التي وجدت بعد بوذا ولم تكن من قبل ما تدعيه البوذية من ان بوذا قال ( ايها السيدون ( النيرفانا ) هي طور لا ارض فيه ولا ما ، لا نور ولا هوا ، لا فيه مكان غير متناه ، ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلا ، مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللاادراك ، ليس هو هذا العالم ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر ( ٣ ) ووفقاً لهذا الاطار فقد وضع البوذيون مقومات للوصول الى النيرفانا منها :

- ١ - السيطرة على النفس
- ٢ - البحث عن الحقيقة
- ٣ - النشاط
- ٤ - الهدوء
- ٥ - الغبطة
- ٦ - التركيز

وهناك ما يبنى بالحقائق النبيلة الاربع التي تضع القدم على طريق

النيرفانا ( ٤ ) .

- 
- ١ - : البوذية : ص ٤٢
  - ٢ - راجع هذه المصطلحات في : قصة الحضارة ٣ / ٨٤ : ٠
  - ٣ - : ثقافة الهند ص ٤٤٣ سنة ١٩٥٣
  - ٤ - الحقائق النبيلة الاربع جميعها ذات صبغة تشاوية ، راجع : انجيل بوذا ص ٤٨-٤٩

ويضاف الى ذلك بعض الامور التي تشدد البوذية على اتباعها للوصول الى النيرفانا منها ما يتعلق بالغا\* التفكير الكلي ما يحيط بالفرد والانتقاص التام من حراك ، والتدرج الطويل في هذا السبيل مرغوب بل مطلوب وقد يمتد الى حيوات بعيدة .

يعلق احد الشراح على هذه النقطة قائلاً ( هذه السكينة طالما انها سكينة العالم الطبيعية ، تسمى الغيبة ، وسكينة التعدد هي ايضا الغيبة وذلك بسبب توقف الكلام وتوقف الفكر ) (١)

واذا\* هذا الموقف السلمي لم يخف البعض تهكمه على بوذا الداعي الى إيقاف الفكر حيث يقول ( اذا كان شرطه ( اي بوذا ) الوحيد هو خنق كل تفكير وكل احساس فمن الطغافى ان يبلغها جميع الصم والعميان والاعرجاء ) .

ومن جملة النقد الموجه الى مبدأ النيرفانا ما افاد به الاستاذ المعطار من ان ( النيرفانا في البوذية ليس طالما ديا ولكن ميتافيزيقي انه وراء\* الحس . اذن انتهت البوذية الى اثبات ما انكره بوذا وهو السجهول ، فاذا كانت النيرفانا حالة شعورية تقوم على الوهم فأين موقع النيرفانا في الوجود ؟ انه الموجود نفى فيه الموجودات عند ما يتحقق له الصفاء\* والخلوص من الألم والعذاب ، ولكن أين يقع هذا الوجود ؟ ان النيرفانا حالة وهم تنتهي اليها الأرواح بعد التطهر من العناء\* الذي فرضه عليها الوجود في حالة الحياة وعندئذ تتساوى أرواح الناس بالالهة وتعود للسجهول الذي أنكره بوذا ) (٢)

وهكذا يكون التناقض قد أحاط بهذا المفهوم فضلا عن أن النيرفانا في حقيقتها لا تستند الى أساس علمي صحيح بل الى تجربة شخصية فردية طانت من الضياع والتمزق العرقي فلم تجد أمامها سوى اللجوء الى التخيلات والأوهام تنسى النفس بها طمها تنسيها الواقع المرير الذي تعيشه وتبحث فيها الأمل بالخلاص من رقة القيود المفروضة عليها من قبل الطغيان البرهي .

ولا نجد في الاسلام ما يدعو الى هذا التششت الذهني أو الإغراق في الخيال والوهم وذلك للضوابط التي يضعها الاسلام في عطية تربية العقل البشري وتوجيهه الوجهة السليمة . فالقضايا النفسية يوليها الاسلام أهمية بالغة ، ولكنه لا يترك فيها العقل البشري يتخبط في تفسيرها وفق الخيال والوهم بل وفق السمعية التي جاءت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة بما يتناسب والفكر البشري أما المشاكل الفردية والاجتماعية التي تأخذ حيزا مهما من حياة الفرد فان الاسلام قد بسط الاحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية المستندة الى الكتاب والسنة أو تلك الاحكام التي توصل اليها العلم وفق عطية الاجتهاد السنية على الدقة والدراسة المستفيضة . وذلك لتذليل الصعاب أمام الناس .

وبالنتيجة فان الاسلام لا يترك مجالا لاغراق الفكر في قضايا لا طمسائل تحتها ووفق هذا المفهوم فان تصور الاسلام للسعادة البشرية ينطلق من مبدأ الجزاء والعقاب فالسعادة المنشودة تكمن فيما وعد الله تبارك وتعالى عباده المتقين ذلك بالظفر بجنت النعيم . ولن يكون ذلك الا بالعمل الصالح واتباع أوامر الله تعالى والانتهاز عما نهى عنه .

١ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٤٣٧

٢ - البوذية ص ٤٣

٣ - الديانات والمعائد ١٢٩ / ١

وقارن مع : الفلسفات الهندية ص ٢٧٤

### خامساً : جداً التفسير الدائم :

توهم من البوذية ايظاًنا كبيراً بهذا الجداً ، وهو يشغل حياة الفرد وكذلك العالم بأسره . . وهو يشبهه الى حد ما النظرية النسبية التي يعتنقها الجينيون ، وقد رأينا سابقاً كيف ان هذه النظرية اتخذت قاهة لكثير من الاحكام التي بنت عليها الجينية اراءها الفكرية . كقانون أهسا مثلاً .

وسرمان هذا التغير في حياة الفرد يوضحه بوذا لاحد البراهمة حينما قال ( ان ذاتك المتحدة بك هي عرضة للتغير ، لقد كنت منذ زمن طفلاً ثم تدرجت الى سن الحداثة ، فالشباب ، فالرجولة ، فهل من فرق بين هذه الادوار ؟ وهل بينها مطابقة ؟ اليس مثلها مثل النور الاول والثاني والثالث ، يتناقص الزيت كلما اندلعت السن اللهب ؟ فهل هذه واحدة في الاسوط قبله اليوم ؟ (١) وهكذا فالحياة في نظر البوذيين ليست مستقرة ، كما يفسر ذلك ايضاً

الرامبوري موضحاً راي البوذية حيث يقول ( ليس في حياتنا الشاعرة شيء قائم مستقر يعبر عنه بالذات او النفس او الروح سوى تطورات متعاقبة متوالية وتقلبات متتالية مستمرة من الديديهيات ، ان الجسد يبقى طافة سنة ويزداد عليه ولكن الامر الذي يقال له الذهن والادراك والشعور لا يزال يجري يفضي نهاراً وليلاً ، يفتني شيء وينبعث موضعه اخر . . فالحياة الشخصية حياة دون حي وشخصية من دون شخص ونفسية من دون نفس ، وروحية من دون روح وفكر ولا مفكر وشعور ولا شاعر . (٢)

فالوجود الشخصي في عرف البوذيين يمثل دائماً بالحرية ( التي تجرأ الخيل ، هذه الحرية - في حقيقة امرها - ليست الا مجموعة من الاخشاب ، والسامير وبعض المعادن ركبت بطريقة معينة ثم اعطيت هذا الاسم : " الحرية " - دون ان يعني ذلك وجود جوهر متميز مستقل لهذا المفهوم من هذا اللفظ ) (٣)

وكذلك الشخص مثله كمثل الحرية فط هي الا اجزاء فقط اجتمعت يقال لها " الحرية " (٤) .

١ - : انجيل بوذا ص ١٢٦

٢ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

٣ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

هنا\* على ذلك فالمصطلحات : ( "شخص" او "فرد" ، شخصية ، نفس ، هوية ذاتية ، وما الى ذلك ليست الا اسط\* منوحة لما هو في حقيقة امره سلسلة معقدة من الحوادث والخطرات نجت عن تداخل وتشابك عدد لا يحصى من العوامل ، ان تتابع مراحل الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة يجعل من الاستحيل اعتبار الشخصية ذات كيان مستقل متميز وثابت ولهذا ترى البوذية انفسه ليس هناك سرر للاعتقاد بثبات الهوية او الذاتية من الطفولة الى الرجولة (١) .

هذه الفلسفة التي تنادي بها البوذية تريد ان تصل الى نتيجة مؤداها ان هذه الحياة ليس فيها سوى اليوس والشقاء ، ومادامت الحياة نفسي تغير مستمر فالأجدد تركها والابتعاد عنها ، وهذا الطرح يرتبط ارتباطا وثيقا بما قرره البوذية من احكام تتعلق بالاسباب المؤدية الى الحزن واليوس .

فقد نصت الروابط الاثنا عشرة على انه :

( بسبب الكيان الذاتي يكون الوجود الدنيوي . . . بسبب الوجود الدنيوي يكون الموت والفناء ، وهكذا تقوم سلسلة الغم والحزن واليأس . . . ) (٢) وكما حدد بوذا نظريته نحو الكيان الفردي ، فانه حدد ايضا فكره

بالنسبة لهذا العالم ، حيث يقول عنه :

( كل ما في العالم باطل ، وكل شيء زائل ، وافراح الحياة في حلم عابر ، الناس في العالم اشباح ، ورجاؤهم سراب ) . (٣)

وعلى هذا الاساس فان هذا العالم ( ليس فيه شيء ثابت مستقر ، وما الكائنات الا تكونات وتصرفات يأتي حال ويذهب حال ، يوجد طور وينقضي طور في كل آن يتكون جديد ويغنى قديم ، لا قرار لهذا ولا لذاك ) (٤) .

١ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٢ - حكمة الاديان الحية : ص ٢١

٣ - انجيل بوذا ص ١٣٦

٤ - فلسفة الهند القديمة ، مقالة لمحمد عبد السلام الراحمي ، ثقافة الهند ،

العدد ٤ ص ١٢٦ ، سنة ١٩٥٣

واستنادا الى ما تقدم فان هذا العالم ( يحمل ثلاث خصائص بارزة

وسمات واضحة : ١ - انه تعس حزين ، طمس " بالام والاحزان ٢ - انه عابر متنقل ،

خادع لا يدوم ٣ ، انه خال من اية روح او اى معنى .

انسنا نولد في احزان ونموت في احزان وتتناوشنا الاحزان فيما بين ذلك ،

ويبدو ان السبب الرئيس لهذه الاحزان يكمن فيما تشير اليه الخصيصة الثانية للعالم

وهي انه عابر متنقل لا قرار له فلا شئ " يبقى طى حاله ، واذن فليس الكون (العالم)

الا نوعا من الفيض المستمر ( FLUX ) للحوادث المتتابعة كشرط سينما فسي

لا يكف عن الدوران ونحن لا نستطيع التصرف الا في ضوء الاعتقاد ( الكاذب ) فسي

الدوام والثبات والاستقرار ولذا نجد انفسنا متسكين بالاشياء التي نصادفها محاولين

ادامة الاحتفاظ بها مع انها بطبيعتها عابرة زائلة وهكذا نصدم في احلامنا وامانينا

حتى ابان تملكنا لهذه الاشياء يعزونا الخوف من فقدانها ثم يضطرنا الواقع المر السى

فقدنا فعلا فننألم ونحزن واذن لا مخلص من الالم والحزن ، اننا لا نستطيع ان نضمن

لمنعنا الخلود ولذا كنا - ولين نزال تعسسا " ( ١ )

ان هذه النظرة القاتمة التي تصورها لنا البوذية عن الكيان الفردى

والعالم انما ترهد من وراءه اد خال عنصر الشك الى هاتين القضيتين . وعدم التسليم

لحقيقتها ونفي امكانية التعرف طى جوهرها ، فاذا تم لها ذلك بالفعل وامكن

صرف النظر عنها تماما اصبح من السهل في نظرها الالتفات نحو ط هو اجسدر

واسلم ، الا وهو " النيرفانا " اذ ان الشئ " الوحيد الذى قد تسلم البوذية بسلامته

من التغير والصيرورة هو " النيرفانا " ( ٢ ) .

وطيه فان الهدف واضح ، وهو يشابه الى حد بعيد ط سعت اليه

النظرية النسبية في الجينية ، التي ارادت من وراء قانونها صرف النظر عن هذا العالم

تسهيذا للوصول الى طريق الخلاص المزعوم . وهكذا تتشابه النظريتان من حيث

الضمون والمفهوم . وصحيح ان هذه الفلسفة استطاعت ان تصف بعض جوانب التغير الظاهر

في هذه الحياة الا ان حكمها لم يصب كبد الحقيقة فالتغير الشاهد لا يتم وفق مخطط هشوائي

بل بمقتضى ارادة ربانية خالقة مدبرة حكيمة ( اِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ

كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ . . ) القمر : ٤٩ ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ) الفرقان : ٢

( كَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى . . ) ( ٣ ) فكل يجرى لط خلق

له ولغاية يعلمها الله تعالى ويبنى طى ذلك حكم شرعى يتعلق بالايمان بعالم الغيب

والبعث والحساب . وكل ذلك وفق طم الله تعالى وتقديره . ط دعوى التغير في المفهوم

الوضعي فالمراد منه التشكيك بكل ما يتصل بالدين من مفاهيم وقيم وعقائد .

١ - الاسلام بين الاديان ٢٥٤

٢ - المرجع السابق ٢٥٦

٣ - الاحقاف : ٣



## سادسا : اليوغا

رأينا من خلال دراستنا للهندوسية والجنينية ان مبدأ اليوغا يعتبر دأمة  
أكيدة لمعتقدهم . وفيه فان هذا المبدأ يضاف الى سلسلة الاراء المستعارة التي  
استقتها البوذية من غيرها .

وقد لوحظ في السابق مدى القسوة والعنف الممارسين لتلك الممارسة والتي  
في الغالب كانت تؤدي الى ازهاق الروح للخلاص من هذه الحياة .  
واعتراف البوذية بهذا المبدأ ليس امرا شاذا ان يعتبر من الامور الشائعة  
لدى قطاعات كبيرة من الطوائف الهندية .

الا ان البوذية تضيف بعدا آخر الى هذا المفهوم ان ( تروى التقاليد  
المسطقة . . . كيف مربوذا نفسه بالدرجات التأطية الاربع قبل توصله الى الاشراق . .  
وهذه الدرجات الاربع التي توازي الحقائق القدسية ( عندهم ) تثبت تصاعدي اليوغا  
البوذية فمع الدرجة الاولى تتم السيطرة على مراقبة الحواس ، ومع الثانية تطويع المخيلة  
ومع الثالثة محو الاحساس ومع الرابعة والاخيرة قطف ثمرة التحقيق الروحي الناجز )<sup>(١)</sup>

وهكذا نرى ان اليوغا تعتبر مادة خصبة للرهينة البوذية فهي عنصر مهم في  
تحقيق اهداف الرهبان وتطلعاتهم .

وفي الرغم من اخفاق الهندوسية والجنينية في هذا المضمار . فقد كان الاجدر  
بالبوذية الا تهبط الى هذا الدرك وهي التي تدعى محافظتها على الفلسفة والحكمة .  
فأي حكمة في ضياع الوقت دون طائل ؟ وأي فلسفة تدعو الى توقف العقل عن  
العمل ؟ والخلود الى السكون والصمت دون حراك ؟

ولن نجد في الاسلام ذلك الخيال الفارغ لان المسلم يحرس على وقته وجسده  
وعقله وقد جاءت مقاصد الشريعة الاسلامية للمحافظة على ما يهم الانسان في هذه الحياة  
وما يعقبها فهي تحافظ على الدين ، والعرض ، والمال ، والنفس ، والعقل . وفيه  
فان الاحكام الشرعية تدور حول هذه الامور وتضع لها المبادئ الكفيلة بحماية الانسان  
ما يهدده من اخطار . وبذلك تنتفي السلبية المفرطة التي تنادي بها الرهينة  
هبراليوغا وبدلا عنها نرى الاسلام يدعو الى العمل والنشاط والى ما فيه خير وصلاح  
المشريعة . . . ( وَقُلْ اَعْلَمُوا فَسَمِعَ اللّٰهُ عَطَاكُمْ وَّرَسُولُهُ وَالْمُسْلِمُونَ . . )<sup>(٢)</sup> ومن  
العمل استعمار الارض ( هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . )<sup>(٣)</sup> فعطارة الارض تتناقض  
مع مبدأ اليوغا الداعي الى الكسل والدعة .

١ - البوذية - : ٤٤-٤٥

٢ - التوبة : ١٠٥

٣ - هود : ٦١

## الفصل الثاني :

### أثر التطور في الفكر الديني ونشأة الفرق البوذية :

حينما استطاع بوذا نشر دعوته الجديدة ومبادئه التي رآها قيمته باصلاح مجتمعه ، كان قوام هذه الدعوة يستند الى مجموعة من الرهبان الذين اعجبوا بشخصية معلمهم ، وعن طريقهم استطاع بوذا ادخال مجموعات اخرى في دعوته .

وبذ هب البعض الى ان بوذا لم يكن مهتماً باقامة كهنوت من رجال الدين ، ولم يكن يدعو الى انشاء الاديرة والمعابد ، بل كان جل همه اكتساب الاتباع من الرهبان الجدد لضمهم الى عشيرته ، وقد سميت البوذية في هذه الفترة " بالبوذية البدائية " والتي يصفها "لُز" بقوله ( هذه البوذية البدائية تختلف من اوجه اخرى معينة عن اى دين من الاديان التي بحثناها حتى الان ، فهي قبل كل شيء ديانة خلق وسلوك لا ديانة طقوس وقرايين ، ولم تكن لها معايير ولما لم يكن لها قرايين لم يكن لها هيئة مقدسة من الكهان وكذلك لم يقم لا هوت ، وقد وقفت موقفاً محايداً من الالهة الهند التي كان يعبد ها الناس في ذلك الزمان فلا هي اكدتها ولا هي اعترفت بها ولا هي انكرتها بل غضت الطرف عنها جميعاً )<sup>(١)</sup>.

واذاً هذا الوضع فقد استطاعت البوذية البدائية التأثير على بعض العلماء الذين اخذوا يبحثون عن الجوانب الخلقية التي احتوتها تعاليم بوذا فيها هو أ. هارتمن يقول ( فما هي الهداية الاخلاقية التي تقدمها لنا مثل هذه العقيدة ؟ انها تستطيع ان تاخذنا بان نعيش حياة الرهبان افرابا لا نعتزل الناس تلك المعزلة الطالوفة بل نعيش معها في جماعات فطرية نتبادل التشجيع والتعاون ، حياة تأمل هادى ونهد للرغبة . )<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان ينظر الى البوذية الاولى ، ولا شك ان هذه الهادى كانت جديدة على الفكر الهندى الذى ذاق الامرين من الكابوس الهندوسى ، ولهذا كان التعاطف مع الفكر الجديد الذى نسى على نهج مؤقت . لم يدوم طويلاً .

اذ ان الاقدار لم تدع الحلم البوذى يطول ، فلم تستطع الرهبنسة البوذية مواكبة التطور الذى طرأ على المجتمع الهندى بعد موت بوذا ، خاصة اذا لاحظنا بدقة الالتفاف الهندوسى على البوذية ومحاصرته لها بمقائد المتنوعة

١ - : معالم تاريخ الانسانية : ٤٨٦/٢

٢ - تاريخ العالم : ٥٣٢/٢

اضافة الى عنصر اساسي ركز عليه بعض العلماء الذين اشاروا الى ان تعاليم بودا لم تكن تروق الشخص العادي (١) لاقتضاها على طبقة الرهبان فقط .

لذلك نجد هذه التعاليم تتعرض للتغييرات والتطورات العديدة والتي شملت العقائد والهادي والطقوس والتقاليد التي غير ذلك .

ففي الجانب العقدي :

تم ادخال عبادة الالهة الى العقائد البوذية بعد ان كانت تنادي بتجنب الخوض في هذه المسائل ، واصبح بودا " الصلح " يمثل احدى هذه الالهة فبعد موته " استبدل التمجيل البسيط لذكرى المعلم بتاليه بودا وصار خلاص الانسان يتوقف على فضل الالهة الذي يمكن السعي اليه عن طريق ترداد السوترا والاسفار المقدسة . (٢)

فما ورد على لسان مثل بوذية " الهايانا " ساتفيدفا ( القرن السابع الميلادي ) قوله ( انني مشبع بالفكرة التي تدعوني الى بذل جهدي وانا اولد ولادات متكررة لاحصر لها لاكتساب الفضائل التي ستتيح لي بمعون الالهة بودا بالصلاة ان اصبح بلسا لالام جميع الكائنات ) . (٣)

ولم يقتصر على هذا الامر بل ( قام مجمع للارهاب ذو تسلسل وطبقات فطاد بودا الا في المرتبة الثانية ، وتتخصص بوذية المركبة الكبرى في الفقرة التالية : ( ثمة بودا اولى موجود غير مخلوق ، عنه صدر العالم وكان من تفكره نشوء خمس شخصيات التفكير البوذي " صدر عنها بدورها " خمس شخصيات التفكير البوذي الحقيقي " بعد ها صدر على الارض " الخمس شخصيات البوذية البشرية " منبثقة عن شخصيات التفكير البوذي ، ورابع تلك الشخصيات " ساكياموني " يليه طاتيريا خامس واخر بودا في هذه الحلقة من التطور ) . (٤)

١ - انظر : شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٢ - الموسوعة الفلسفية ، ص ٩١-٩٢

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٩

٤ - البوذية ص ٦٦ وقارن مع : الفلسفة في الشرق ص ١٣١ .

وفصل ليهون هذه السألة حيث يقول : ( ان بودهة ( بودا ) شاكيه موني وحده لم يكن رسول الحق في العالم ، فسيظهر بودهة ثان وثالث حاملين انوارا جديدة وقوى جديدة مرشدين الى اقصر طريق لبلوغ الكمال ، بيد انه لا بد من مرور احقاب لا تحصى بين ظهور بودهة ودهة لبط يتطلبه تكوين بودهة من زمن طويل ) (١).

وهكذا نرى انتقال الفكر الجيني الى البوذية ، فالجينية لديها هذه النظرية ، وقد استقت البوذية منها هذا السبدأ .

ومن الامور التي لحقها التطور في الفكر البوذي ايضا ، قضية النيرفانا التي كانت تشكل العمود الفقري للبوذية الاولى ، ومع ذلك فان هذا السبدأ لم ينج من براثن هذا التطور . الذي ادى الى بروز منحنى جديد .

فلم يعد الهدف الرسمي ( للنيرفانا ) الفرار من الدورة الجحيمية للولادات المتتالية وهو طموح انانسي بل صار العمل على مساعدة الاخرين للوصول الى هذا الخلاص ، والمثال الاعلى لسلم يعد المعتكف التقي . . . بل صار البوذي العالم وهو يوشك الدخول في النيرفانا على رفض هذا الدخول رهشا يخلص من تخلفوا وما زالوا يتخبطون في شرك الاضاليل والاهام . (٢).

وقد اصبح السبدأ العام لهذا التطور ينادى :

( انه اذا كان للمرء ان يقتدى ببودا نفسه فان عليه ان يسعى الى تحقيق خلاص الاخرين لا الى خلاصه هو ) ( وهكذا ) حلت صورة " البوذيساتفا " - اي الشخص الذي يبلغ حالة التنور - محل فكرة النيرفانا (٣) .

اولا : التطور في الجانب المعلي والفكري في الرهينة .

أما من هذه الناحية فان نصوص الكتب الدينية في البوذية لم تعد تخاطب الرهبان لوحدهم ، بل كما فعلت من قبلها الجينية بل تعدت الى طامة الناس وذلك تكون البوذية الجديدة اكثر انفتاحا لتقبل التقاليد والنظم الاخرى من غيرها . ففي مجال السعبادات هناك الصلاة وادعيتها عندهم ، وقصد اصبح بودا محور صلاتهم ومن ذلك قولهم ( انا التجي " الى " بودا " ، انا التجي " الى " الذارط " انا التجي " الى " السانغا " تكرر ميكانيكيا مرات لا تحصى على سبعة

١ - حضارات الهند ص ٣٦٠

٢ - البوذية ص ٦٣ - ٦٤ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤  
ويذهب اورسيل الى ان فكرة الدعوة الى خلاص المخلوقات مردها الى تاثير الفكر الايراني على الفكر البوذي ، راجع الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ١٣ سنة ١٩٨٣ القاهرة .

وتحريك الشفتين فقط ، كاف لجعلها فعالة ، ثم جعلت الآلات للصوت مؤلفة من  
اسطوانة مجوفة تدور على محور تجعل فيها الصلاة مكتوبة على دوج كثيرة وتدور (١).

وقد لاحظت انطاطا من هذه الآلات الموسيقية انشا زيارتي للهند  
وشاهدت الرهبان البوذيين وهم يضرعون عليها بالعصي ، ويرتلون على انغامها  
صلاتهم وانشيدهم . وكان ذلك في "سارنات" القريبة من بنارس ، تلك المدينة  
التي ولد فيها بوذا .

- ومن التطور الديني في البوذية انشا "مبدأ غفران الذنوب"  
ومن ذلك ما جاء في انجيل بوذا ( ولبي الزهاد رغبة الواحد المبارك فكانوا  
يجتمعون في "فيهارا" أي الدير يقيمون الصلاة بحضور الشعب الذي كان يأتي  
لسماع "دهارما" ولكن الشعب لم يكن يرضى عن سكوت الزهاد ، لانهم ما كانوا  
ينطقون ببنت شفة كانهم يكم لا يتكلمون .

واتصل الخبر "بالواحد المبارك" فامر الزهاد ان يقرأوا كلمة  
"براتيوشكا" وفيها اطمئنان عبادة . وان يدعو الناس الى الاعتراف بخطاياهم  
لينالوا مغفرة . وطى الذنوب ان يتقدم الى الزاهد الذي يرى فيه صلاحا فيعترف  
له بخطاياهم فيغفرها له . (٢).

وهنا نرى كيف كانت هذه المقدمة بداية لطبى بالكهنوت ، وإذا  
كانت البوذية في بداية عهدها انكرت على الهندوس هذا التنظيم ودعت الى ازالة  
الطبقات ، فان اعترافها بهذا المبدأ يعتبر نكسة خطيرة وتراجعا عن المسار  
التي وضعها بوذا .

والاعتراف بالذنوب امام الكاهن سوف يكون له شأن خطير في المسيحية  
التي اقتبست هذا المبدأ عن البوذيين وسوف نرى الاثار السيئة لهذا العرف  
في الفصول القادمة ان شاء الله .

---

١ - دائرة معارف البستاني ٦٧١/٥

وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٢ - انجيل بوذا : ١١٤-١١٥

## ثانيا : ترتيب الكهنوت :

ان من اهم التطورات العلية التي لحقت بالرهنة البوذية ما يسمى بقوانين " الفينايا " والتي تطلق على ترتيب الكهنة وتقسيماتهم ، ولا شك ان هذه القوانين قد شئت على ايدى رهبان المعربة الكبرى . وهي من الناحية التنظيمية تعتبر من اوائل التنظيمات في الرهنة على مستوى العالم ، وهي بالتالي تعتبر الام بالنسبة للتنظيمات التي جاءت بعدها ، وتستفيد الرهبانية المسيحية كثيرا من هذه التقسيمات وسنرى ذلك اثنا الحديث عن الاديرة والانظمة الرهبانية عند النصارى .

### - التنظيم الرهبني البوذي -

هناك اقسام عدة ابتدعت من بينها قسم يدعى " سيلا " وهو خاص بادب العوام .

وقسم اخر يدعى " السرامانه " اى مذهب الحواس ، يلزمهم ان يحفظوا ٢٥٠ وصية ، من بين هذه الوصايا ( لا تقتل ، لا تسرق ، كن عفيفا ، لا تكسذب ، لا تسكر ، لا تأكل بعد الظهر ، لا تغني ولا ترقص ، تجنب ملابس الزينة ، لا تستعمل فراشا كبيرا ، لا تقبل معادن كريمة ( ١ )

ومن الصفات الضرورية للدخول الى سلك الرهنة :

( تقديم الاحترام لبوذا والشرعية والكهنوت والسيرة الجيدة ، والصحة الجيدة والعلم القليل . ومن الاوامر : ان لا يأكل الراهب الا من فضلات اطعمة العوام وان يلبس ردا من الخرق ملطخا ، وان يسكن بالقرب من اصول الاشجار وان يستعمل بول البقر وادوا وان لا يفتخر بقوى فوق القوى البشرية ) ( ٢ )

هذه وصايا طاعة للراهب من الضروري عندهم التحلي بها ، ثم تأتي بعدها الى مراحل السيامة وهي التي يتخرج الراهب منها بعد اتمام التعاليم والفرائض المقررة ، فهناك مرحلتان :

السيامة الاولى : وهي للخروج من الحياة الزمنية ، فتكسر عزم البتدي على التخلي عن عالم الملطانيين والانصراف بعدها الى عقيدة بوذا ، ولا تحقق هذه السيامة الاولى الا لمن اتم السادسة عشرة ، و يكون " للاكهيريكي الجديد " ( المختظم ) - يرافقه معلمه المرشد - ان يبقى على ثيابه الملطانية ، انما ان يهبط على يديه الطرحات الصفراء التي للرهبان المتسولين ، ويتقدم من جمعية الرهبان فيستمرحهم انهم بقبوله في درجة الابتداء ، واعداء بالتخلي الا عن المراجع الثلاثة قائلا انهم

( في بوذا ، أ جعل ثقتي ، وفي قوانينه ، ومذهبه ) (١) .

بعد أن يعدد المفاهيم التي يجب أن يلتزم بها ، (يتشع بالطرقات الصفراء ، وهي ثوبين داخليين وآخر خارجي و ما يغطي الجسد كله الا الكتف اليمنى ، وحاملاً قصعة الرهبان المتسولين ، . ( يكون ) للمبتدئ ان يشارك معلمه السيرة . فمن شروق الشمس حتى انقضاء النهار ، يتسول قوته ومقتات ، وبعد الظهر ، يلجأ الى الحدائق او المرايد او الصوامع التي وضعها مسورون طمانيسون يتصرف اتباع بوذا ، او الى حق الغابات ، وينصرف الى سماع توجيهات معلمه ومطابقة التأمل ) (٢) .

( ١ ) السيامة الثانية ، وهي اقتبال سر الكهنوت ، فتأتي بعد مرحلة تتراوح مدتها بين قصيرة أو مديدة ، انما لا تحق الا لمن أتم العشرين ، عندها يكون للمختص الجديد المحتفى به يرافقه كميلان احدهما معلمه المرشد ، ان يخضع لامتحان يثبت موافقته لاقبال سر الكهنوت . كل هذا بعد التحقق من المواصفات التالية : خلوه من مرض معد ، او طاعة ، تمتعه بكامل حريته نفسي التصرف ( فلا يكون عبدا او مدينا او قاصرا او جنديا ) حصوله على اذن من اهله بلوفه العشرين ، حيازة الاثواب الثلاثة وقصعة التسول . (٣) .

وهكذا نرى كيف تتشابه الغرافض البوذية وتتمدد بعد ان كانت بسيطة ، ساذجة . ولا بد من الاعتراف بان قوانين وتعاليم بوذا البدائية لم تكن قابلة لهذا التطور وقبول المفاهيم الغريبة لما حدث اي جديد طمس مفاهيم هذه النحلة . وهكذا دأب الاديان الوضعية .

وهناك داخل التنظيمات طبقات للرهبان :

فمن ذلك ما يسمى (طبقة الارية : وهم معلمو الالهيات ، ومعنى الارية هنا اي المحترمين الذين يعرفون الحقائق الاربعة .

وهناك طبقة الاشار : الذين وصلوا الى النهر الذي يوصلهم الى النيرفانا ، وطبقة اخرى سترجع الى الحياة . واخرون لا يرجعون .

ومنها طبقة الارشاة : اي العباد ، وهم في عرف البوذيين ( اتقياء معصومون لهم قوة اجتراح العجائب ويرون النيرفانا ) (٤) .

١ - : البوذية ص ٤٨

٢ - المرجع السابق ص ٤٩

٣ - المرجع السابق ص ٤٩

٤ - : دائرة معارف البستاني ٦٦٩ / ٥

وهناك طبقات ارفع من السابقة :

وهي تشمل انواعا من القديسين اسمى من تقدم بحسب المجازات  
الثلاثة وهم الذين يعيشون لانهم كانوا تلاميذ لسقيا موتي ( بودا ) .  
والبودات والبراتياكة او المخلصون انفسهم وهم اعلى من الارشساثه  
بطيون من المرات يدركون كل الحوادث . . . والبوديستفه وهم نوع من البيسودات  
( ١ ) .  
الاصليين ( )

ومن المبادئ السلوكية التي استقاها البوذيون من الجينية ما يلي :  
- لا يجوز للمراهب المتسول ان ياتي بهوت الخلاعة ولا بهوت الاشراف  
ولا الارامل والكفار .

- يجب قبول الصدقات او الهدايا .

- لا يجوز للمتسول ان يقبل اكثر مما يحتاج اليه لئلا كل مرة واحدة

- ولا يجوز اكل اللحم ولا البقول ما دامت فيها قوة النمو ( ٢ ) .

والجدير بالذكر ان المصادر التي تنسب الى العربة الكبرى تورده

نصوصا عن اباحة بودا بعد الاستنارة " النيرفانا " لكثير من المأكولات ( ٣ ) .

---

١ - دافرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

٢ - المرجع السابق

٣ - لاحظ ما قد كتبت " اناندا " الى بودا وذلك في انجيل بودا ص ٢٤

وما قدمه احد الشباب له : في ص ٥٢ وما اكله هو في اخر حياته و ذلك في كتاب

حياة بودا ص ٢٢٨-٢٢٩



### ثالثا : دخول النساء سلك الرهينة :

ركزت البوذية الجديدة على فتوى كان بوذا قد أصدرها بحق ادخال النساء في السلك الرهيني على مضي ، فمن ذلك ما جاء في انجيل بوذا :

( سألت " ياشود هارا " بوذا ثلاث مرات ان يقبلها في سنانغسا - اى الدير - فلم يجيبها الى رغبته ، وجاءته حاضنته " براجاباتي " مصحوبة " بياشود هارا " وغيرها من النساء راجيات من " تنغا بوذا " ان يعلن امامه نذورهن فيقبلهن طهيدات لـ " بوذا " . ولم رأى المبارك غيرتهن وشوقهن الى الحقيقة لم يرد بمنعه عن قبولهن طهيدات ) ( ١ )

وهكذا انتهى الامر بقبول النساء في الرهينة طم بان كتاب " حياة

بوذا " يورد ما يفيد ندم بوذا على هذا الامر ومن ذلك قوله ( ولكن جاء يوم قال المعلم فيه لا تاندا : لو لم تقبل النساء في الرهينة يا آناندا لبقيت العفة صانة ولا ستمرت الشريعة الحقيقية عاقبة قوية لا يعكسها معكرو لدة الف سنة اما وقد دخلتها النساء فالعفة سوف تتعرض للخطر ، والشريعة الحقيقية لن تعيش كما سئل قوتها اكثر من خمسمائة سنة . ) ( ٢ )

وهكذا نرى أثر الجينية ينتقل الى البوذية في هذه السألة ، وإلى جانب ذلك فقد وضعت لهم عدة فرائض من بينها ( حلق الرؤوس ، والجلوس للتسول للا ديرة ) ( ٣ ) ومن الشروط كذلك ( بعد مضي مئة سنة على ترهبها ) ( اى الراهبة ) ان تقف امام راهب في نفس اليوم الذى يصبح فيه راهبا ، وتقدم له اعق دلائل الاحترام ، وعلى الراهبات ان يتوجهن الى الرهبان ويعترفن لهن جهارا بخطاياهن ويتعلمن منهم الكلام المقدس . .

وكل راهبة تقترف ذنبا كبيرا تخضع لعقاب مدته خمسة عشر يوما ، تقوم بتنفيذ امام الرهبان والراهبات كافة ، وكى تقبل الراهبات في الرهينة طيهن ان يبرهن

١ - انجيل بوذا ص ١٠٢

٢ - حياة بوذا ص ١٧٤

٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

لمدة سنتين عن فضيلتهن ورباطة جأشهن ، ويحرم على الراهبات إطلاقاً ان يوجهن  
(١)  
النصح والارشاد للرهبان ، اما الرهبان فيحق لهم ذلك ، (٢) .

### بعض العبادات والطقوس البوذية :

تهتم البوذية الجديدة (بسياسة الرهبان ، وغالباً ما تكون هذه  
في ايام الاعياد الكبيرة عندهم ، مصحوبة باحتفالات كثيرة ) (٢)  
اما النذور في الرهبنة البوذية فانها لا تلزم صاحبها بها مدة  
حياته كلها ، اما طبوس الكهنة فهو مؤلف من صديعة تحتية وكساء يصل السرى  
الركبتين ويشد بمنطقة ورداء يجعل على الكتف اليسرى ، وجميعها صفراء اللون  
تلبس دافئ حتى في الليل ، وبحسب فقد ها كفقد صفة كهنوتية ، والجميع يحلقون  
لحاهم في اول القمروتامة الا ( الرسل ) يحافظون على نظافة اظافرهم واستنابهم .  
- ومن الامور الضرورية للمتسول :

- قدح كبير ضيق الفم لا عروة له ، يقبل فيه الصدقات .
- منخل او مصفاة لتصفية الماء ، وعصا او شمسية .
- سبعة ذات ١٠٨ حبات ، وموس وابرة . (٣)

وفي بداية البوذية لم يكن هناك اماكن معينة للانعزال عن الناس ، اوللوحدة  
أوللتسول ، والجولان . ثم جعل لها بعد ذلك بقليل اديرة ذات غرف تسع  
كل منها راهبا واحدا .

وبلاحظ هنا تشابها كبيرا بين هذه النظم وبين نظم الرهبانية

السيحية وهي تظهر بجلاء في نظام الاديرة على وجه الخصوص ، اما بقية الامور  
فتظهر في العبادات التالية :

- القيام بالاحتفالات حول الهياكل والمزارات وذلك بحمل الزخائر والقرايين .
- اعتراف العوام - المعمودية
- لبس الحلل لرجال الكهنوت كحلل اساقفة النصارى
- الهياكل والمذابح
- تماثيل القديسين - الخدمة الدينية بايقاد الشموع - الترتيل وقرع النواقيس

١ - حياة بوذا ص ١٧٣-١٧٤

٢ - البوذية ص ٤٩

٣ - راجع : دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

وما اضيف الى العبادات البوذية ما سموه بالحج الى الديسار

التي شهدت اهم الاحداث في حياة بوذا :

(١)  
مثل : مدينة كيبلافتو وبود هغايا ثم مدينة بنارس ، وكوسينارا  
وفي بنارس بالذات توجد اهم المعابد عند البوذيين ، والمبها يحج الالف الناس  
حسب المواسم عندهم . ففي " سارنات " وهي ضاحية من ضواحيها يقصد البوذيون  
من جميع اقطار العالم هذه المنطقة لوجود اكبر صنم لبوذا هناك . وحول جدار  
المعبد طقت صورته منذ ولادته حتى نهايته .

(٢)  
كما اضيفت (عبادة بقايا بوذا كشعره وسننه وما لم يحرق منه )

---

١ - انظر الظلمات الهندية ص ٢٩٠

٢ - المرجع السابق ص ٢٩١

### رابعاً : المجمع البوذية :

هناك عدة مجامع بوذية عقدتها اتباع بوذا للنظر في التطورات الحاصلة في سيمسرة الدعوة البوذية ، وفي نهاية كل مجمع كانت تقرر بعض التوصيات ففي :  
المجمع الاول

عقد هذا المجمع ( كاسياپا ) وهو أهم تلاميذ سقيموني ( بوذا ) وكان مؤلفاً من ٥٠٠ كاهن في "رجه غريها" وقد قرر فيه الترتيب المؤسسي على امالي بوذا ومواعظه (١) .

وقد جاء هذا المجمع لوضع تعاليم المعلم الراحل التي تتعلق بالعقيدة وبالحياة الرهبانية ، ومعتبر هذا المجمع محاولة أولى لوضع القانون في مجموعة شرائعه الذهبية ، وقام "اناند" المقرب من بوذا بصياغة خطب المعلم "وامالي" بنص قواعد السلوك الرهباني "وكاسياپا" بأعداد موجز واضح لجوانب العقيدة (٢) .

### المجمع الثاني :

جاء هذا المجمع بعد وقوع خلل في دير مدينة فيسالي وكان ذلك بعد موت بوذا بنحو ١٠٠ سنة (٣) . وكان الهدف من وراءه ابطال "هرطقة" مذهب شايهي المركبة الكبرى ومنفذ كان الانشقاق ، اذ ان هؤلاء لم يرضوا بما قرره اولئك المحافظون العتاق (٤) .

### المجمع الثالث :

عقد هذا المجمع بامر بيهاداسي في باتاليهوترا ، وقد اجتمع فيه الف من الكهنة حاولوا اصلاح الخلل العظيم الذي احدثه في السياسة قوم من المشاقين الرهبان الكذبة الفاسدين (٥) .

---

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

٢ - البوذية ص ٥٨-٦٠

٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

٤ - البوذية ص ٥٨-٦٠

٥ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

كان ذلك عام ٢٤٥ ق م . وهذا وضع النص النهائي للقانون الذي سن الشرائع المذهبية القديمة .

وذلك القانون ينقسم الى ثلاثة مواضيع كبرى :

(أولها : يتعلق بمسألة السلوك ، اى يسرد سير الرهبان ، وهو

بدوره ينقسم الى عدة التزامات : الاعتراف العلني بالخطايا

- تسجيل الاعمال اليومية - نقد الخطايا ، التبشير الديني

ثانيها : يتعلق بمواظب بوذا وينقسم الى خمسة عشر مقطعا موجزا

لحكم بوذا وامثاله .

ثالثها : يتعلق بمعرض العقيدة البوذية وهي مجموعة من سبعة

ابواب في الطوائف ، أشهرها وأهمها الباب الثالث

(١) لانه يعدد الاقوال المتناقضة لمختلف نحل المركبة الصغرى).

#### المجموع الرابع :

وقد صدر عنه قانون كتب باللغة السنسكريتية ( وربط كان هذا القانون

هو نفس القانون السابق ولكن ترجم من البالية الى السنسكريتية .

وعقب هذا تم ارسال دعاة الى البلدان الاجنبية لرد نعلية

التانجة ( اى عدة الافاعي ) الى البوذية وقبائل اخرى وثنية من كشير (٢) .

#### المجموع الخامس :

عقد في مندالاى ( بيمانيا )

(٣)

حيث حفرت فيه نصوص التعاليم على ٧٢٩ قطعة رخامية

---

١ - : البوذية ص ٥٨-١-٦٠

٢ - دائرة معارف بطرس البستاني ٦٦١/٥

٣ - راجع : البوذية ص ١١٣

### المجمع السادس :

عقد في رانغون ( بirmانيا ) ومعه اقيم احتفال سنة ١٩٥٦ بالذكرى  
٢٥٠٠ لسوادة بوذا . واتفق على العمل على توحيد الكلمة الدينية بين البلدان  
البوذية وتنظيم حملة تيشيرية جديدة لعقيدة بوذا في الهند (١).

وهكذا تكون المجمع البوذية قد اسهمت كثيرا في تدعيم  
خطط الرهبان ، وعملت على احتواء التناقضات الموجودة داخل هذه النحلة  
وان كانت هذه التناقضات لم تسفر عن توحيد تام بين البوذيين وذلك  
لوجود الخلافات العميقة بين المذاهب المختلفة والتي تمخض عنها  
بروز : الفرق البوذية

والتي سيكون الحديث عنها ان شاء الله في الصفحات التالية

## خامسا : الفرق البوذية

كسنت البوذية في حياة معلمها تعيش تعاليم بسيطة ولكن (ضمن نظام معقد ، ثم اخذت تنمو وتتشعب فصارت لكل قرن بوذية تختلف قليلا عن بوذية سابقة وبوذية لاحقة ، وطفقت تتطرق فيها مسائل من الالهيات مجردة قد نهى عنها مؤسسها وحذر منها مرديه واتباعه وزجرهم عن البحث عنها ، فبحثوا فيها حتى ادرجوها في التعليم نفسه وجعلوها كبارى<sup>١</sup> للاعتقاد . . . . . وبدأ التعارض . . . . . وانعقدت مجالس ونشأت المباحث وفشا الاختلاف واختلفت التعبيرات حتى صارت مذها فكريا وميلا عقليا ، وحدت مدارس فلسفية كل منها يحشول عن البوذية ويدعي انه هو البوذية الخاصة المنتقلة عن بانيتها . . . . . )<sup>(١)</sup>

والرجوع الى التاريخ البوذي القديم نجد انه ليس من الغريب ان يحدث الانشقاق والنزاع بين البوذيين ، فمن المجمع طيه بين الروايات ان الخلافات كانت تقع في عهد بودا نفسه وكان يجتمع بالرهبان ويحل هذه النزاعات . واولى هذه النزاعات حدثا ثانيا<sup>٢</sup> تمرد بعض الرهبان في مدينة كوشامبي على بودا نفسه وامر حينها با نزال العقوبة بالراهب المتمرد طسى اوامره ما اثار حفيظة رفاقه الرهبان الذين وقفوا الى جانبه ضد معلمهم بودا الا انه استطاع في النهاية السيطرة على هذا التمرد<sup>(٢)</sup>

يمكن القول ان هذه النزاعات الاولى كانت نتيجة خلافات شخصية ومنافسات محدودة ط لبشت ان مولجت في وقتها .

الا انه بعد لبعضي ١٠٠ عام تقريبا على وفاة بودا لم تستطع البوذية المحافظة على وقامها وتساكها امام التيارات الهندوسية وغيرها . ولذلك فقد ادب النزاع والشقاق بين الاتباع خاصة بعد انعقاد المجمع البوذي الثاني الذي عقد في مدينة فاييالي بعد وفاة بودا بقرن من الزمان<sup>(٣)</sup>

١ - ثقافة الهند ، مقالة للرامبوري العدد ٤ ص ٩٤ سنة ١٩٥٣ م

٢ - راجع : حياة بودا ص ١٩٣ وانجيل بودا ص ١١٦ حول هذا الموضوع ويذهب اورسيل الى ان النزاع جاء "بتأثير الفكر اليوناني والايرواني على البوذية"

٣ - الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - موسوعة تاريخ العالم : وليم لانجر ١/٩٨

ويعزو بعض العلماء هذا النزاع الى اثر التطور الحاصل داخل الكيان  
البوذي وذلك لانتشار البوذية ودخولها اقطارا كثيرة ، فان اتباعها هنا وهناك  
اكثرها فيها القياس والتأويل حسب عقولهم وثقافتهم حتى بعدت عن اصلها  
الساكن البسيط ، ( ١ )

كما ان بروز المشاحنات بين اعضاء المذهب الواحد ادى بالتالي الى  
تأسيس عدة طوائف وفرق ( ٢ ) .

وقد عدد العلماء الفرق البوذية وأصلوها الى خمس فرق ، . الا  
انها تعتبر فرقا كلامية اكثر من كونها فرقا لها كيانها المستقل عن بعضها ، ( ٣ )  
اما الفرق التي لها مميزات خاصة ، والتي حافظت على كيانها ومبادئها  
السلوكية وممارساتها فهي تلك التي انشقت عن النحلة الام مكنة ذهبها له طقوسه  
ومعتقداته وكان لها الاثر الكبير على مجريات التطور الفكري البوذي .

وقد احصى العلماء ثلاث فرق مهمة منها اثنتان رئيسيتان هما :  
الاولى : المركبة الصغرى  
الثانية : المركبة الكبرى ( ٤ )  
الثالثة : المركبة التانتريكية .

- فرقة المركبة الصغرى ( الهينايانا ) :

وفي هذا التشبيه بعض احتقار اسبقه شايعو المركبة الكبرى طمس  
الذين يتسكون بحرفية العقيدة البوذية غير محاولين توسيع افاقها الى ديانة  
منتشرة تعبق بالتقوى والخلقية ( ٥ ) .

وهذا المذهب البوذي ( ان المركبة الصغرى تمثل تعاليم بوذا بكاملها وتدعو  
الى الاهتمام بهدي شاربها وكنها هي التي دعا اليها بوذا نفسه واتباعها مرهوه  
واتباعه السلازمون له ) ( ٦ ) .

وتقتصر هذه الفرقة على الرهبان والراهبات فقط ( ٧ )

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٢ - شجرة الحضارة ص ١٨٦/٣ - ١٨٧

٣ - اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٥ - البوذية ص ٥٦

٦ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٧ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤



وتراث هذه المركبة كتب باللغة البالية ، ويحتوى على الناموس

البوذى الذى يتألف من ثلاث ( مجموعات ) تسمى " تريبيتاكا " وهي :

اولا : الناموس الراهبى او الديرى / فينايا

ثانيا : الخطب ( شسوترا ) : وهي مجموعة مواظ تدعى سوتابيتاكا

ومدونة في القرن الثالث والرابع ق . م - بحسب ما يدعون-

ثالثا - العقيدة المجردة ( ابهيدارما )

وهناك كتب اخرى تضم نصوص اوجه الراهب البوذى ناضينا عن

اسئلة الأمير اليوناني ميناندر ، يكثر فيها الاساطير والمخفقات الى جانب ذلك

هناك كتب اخرى مثل ياتاكا وهي مخصصة للتبسيط ولا فهم العامة ( ١ )

## ثانيا : الماهايانا المركبة الكبرى :

كانت بدايتها في مطلع القرن الميلادى الاول ، ودعت بالمركبة

الكبرى تميزها عن المركبة الصغرى ذات الوجهة الضيقة والمحصورة لشرح

العقيدة البوذية ( ٢ ) .

وقد يشر بهذا الفرقة راهب بوذى اسمه " نجارجانا " ( ٣ ) وكانت

تعاليمها مخططة باراء في الكون ، وافكار مجردة عن الحياة والنجا ، مؤسسة على

نظريات فلسفية وقياسات عقلية ، قد سمحت بها قرائح المتأخرين من الشراح والزعماء

والغالب عليها صبغة الفلسفة ( ٤ ) .

ونظرا للتطور المشار اليه فقد طغى التغيير على جميع ماضي الفكر

البوذى (وهي است البوذية ديانة شعبية ) وتخلت ( عن صفتها الطحدة . نفسي

العقيدة الأولى لم يكن من مجال لخالق العالم ، مزود باراد مستقلة يمكنه الحكم

على الاسباب والنتائج كما لم تكن اية نعمة الهية تتدخل في حركة التناسخ المتواترة

المع المركبة الكبرى فانفتح المجال لارادة طيا وصارحتما ان تتأله شخصية بوذا ( ٥ ) .

١ - راجع : الفلسفات الهندية ص ٢٦٢

٢ - البوذية ص ٦٠

٣ - شجرة الحضارة ١٨٦/٣-١٩٧

٤ - ثقافة المسند عدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٥ - البوذية ص ٦٥ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وبذلك فتحت العربية الكبرى المجال للام التي انتسبت الى مسلك

الرهينة فيما بعد وذلك بادخال عقيدة التثليث الى المبادئ البوذية (١)

فهذا الواقع الجديد تجسده عقيدة الاجساد الثلاثة للبوذا الى

لمفاهيم الثلاثة ، بشريا ، والسميا ، وكونيا ، هكذا صار للبوذا جسد

الخلق ، طالما يجول على الارض ويمارس فيها نشاطا بشريا ثم جسد النعمة

لدى دخوله العوالم الغوي-ارضية ( اي الغوي ارضية ) واخيرا جسد الشريعة (٢)

لدى تجرده من اي تمثيل ، وتسجد ذوهان في المطلق الذي هو اساس كل شئ (٣)

وهنا يبدو وتأثير الفكر الهندوسي على البوذي الذي قبل

وربط تحت ضغوط كثيرة هذه العقيدة ، وقد رأينا عبادة تعدد الالهة عند

الهندوس وخاصة فكرة التثليث ، ( براهم ، سيفا ، وفشنو ) فليس من المستغرب

اذا ان تنتقل هذه العقيدة الى البوذيين ، وسنرى كيف انتقل التثليث ايضا

الى الفكر المسيحي فيما بعد .

ولشدة ذوهان البوذية في الديانة الهندوسية فقد لاحظ ليهون

هذا الاختلاط في ماني انغكور الشهيرة ، فالرموز الموجودة فيه تتشابه الى

حد كبير بين ما هو لدى الهندوسية وما لدى البوذيين في هذا الجانب (٤)

وقد كان لفلاسفة وطما المركبة الكبرى اثر كبير في تطور هذا المذهب

فعلى ايدى هؤلاء الرهبان تمت كتابة الكثير من الكتب المنسوبة الى البوذية ومن اشهر

هؤلاء : - امثيا - فايروكانا - اتالوكيتسفارا .

وما لبثت هذه الشخصيات ان تحولت الى الالهة فيما بعد (٥)

كما انتقل هذا التغيير ايضا الى خارج الدائرة الهندية ليشمل بلادا

جديدة استطاعت البوذية نشر دعوتها فيها مثل اندونيسيا وغيرها من بلدان

جنوب شرق اسيا . وقد اكتسبت الماهيانا عبادات جديدة كعبادة الاسلاف ،

ويعتبر معبد بورهودور في اندونيسيا من اكبر المعابد البوذية في الشرق ، وترجع

اهيته بالنسبة للبوذيين الى انه مشاهد خصيها لسطرة . طقوس الرهينة ، بشتى

اشكالها ان تتوفر في هذا المعبد الضخم الاماكن والخلوات والساطب اللولبية ذات

المراحل المتعددة والتي من شأنها تمكين الرهبان من ممارسة شعائرهم وطقوسهم

المختلفة وعبارة طويلة (٥)

١ - الديانات والعقائد ١ : ١٤٠ ٢ - البوذية ص ٦٥

٣ - حضارات الهند ص ٣٧٠ وراجع كذلك : دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥  
وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ٦٤

٤ - البوذية ص ٦٧

٥ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ٨-١٥ سنة ١٩٨٣

### المركبة التانترية :

قامت هذه النقطة على يد (بهكشو استغا في القرن السادس للميلاد .  
وهو الذي ابتدع بدعة تسمى يوغانشارا او توترا ، وهي ضرب من مذهب سيبوا  
( سيفا ) السرى ) . ( ١ )

وهي قائمة على مبادئ السحر الممزوجة بتماليم اليوفا . ( ٢ )  
واهم المناطق التي انتشرت فيها هذه النقطة : منغوليا والتبت ( ٣ ) .  
وهذه الفرقة ليست ذات اهمية بالنسبة لما قبلها .  
ومن بين الفرق التي استطاعت ان تغير في العقائد البوذية :  
- الشاكتية :

وتعني عبادة الالهة الانثوية  
وكان بوذا كما مر شديد الحذر من ادخال العنصر النسائي في دعوته  
حتى ادخل في مذهب النساء على مضض وعلى اساس قاس من الانصياع والاذلال .  
ولما جاء اناندا التلميذ الفضل يسأل معلمه عن سبب هذه القسوة اجابه :  
( لانهن يا اناندا لعينات حسودات حقودات وحقاوات ) .  
ولكن تحت ضغط الايمان الشعبي الجارف من منبع . . غير اري لاقت  
نشأة العبادة الانثوية قبولاً كبيراً وخاصة في صفوف الرجال  
وتبرز ( الشاكتية ) هذه الجمعية العنصر الاصلية والقوة ( بصورة النزوة  
الجنسية التي تربط الرجل بالمرأة . كذلك البوذية التانترية تزود جميع البوذيين  
الحقيقيين بحد انثوى عليهم الالتحام به لملسوغ الوحدة الخالدة ) . ( ٤ )

---

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥

٢ - البوذية ص ٧٤

٣ - الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٤ - البوذية ص ٧٤-٧٦

### الفصل الثالث

النتائج التي وصلت اليها الرهبنة البوذية ونقد ها .

حينئذ قيل " لا يأْس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس " كانت مقولة صادقة تنطبق على الواقع الذي تعيشه البوذية بأفكارها وأطروحاتها المعقدية والسلوكية . فهي من هذا الجانب تغلق باب الامل في وجه الانسان وتقطع ينبوع الرجا الذي اجراه الباري عز وجل لعباده .

وهي بهذه السمة انما تعنسر عن قنوط وأْس وتشاؤم يدفع صاحبه الى مآهات نفسية لاحد لها ، واذا كانت البوذية التي ارسى دعائمها بوذا تدعي انها تريد وضع الحلول لمآعب البشرية وكشف الظلم والقهر عن الشعوب والانتصار على الالام والاحزان والموت ، فقد جانب الصواب واخطأت الهدف ، ومرد ذلك يعود الى الاخفاق في ايجاد الدوا الناجع لتلك المشاكل ، نتيجة النظرة الضيقة الى الامور ، والاعتماد على اسس واهية لا تضمن ولا تغني من جوع .

فالبحث عن الحلول الاجتماعية والانسانية والمعقدية لا يتأتى عن طريق وضع قيد مكان اخر ، ولا بوضع معضلة مكان اخرى . وصحيح ان البوذية حاولت تفسير بعض الظواهر الاجتماعية التي يعاني من مشاكلها كثير من الناس ، الا انها لم توجد حلولاً جذرية لها ، وجل ما قامت به هو وضع حلول مؤقتة لأمراض مزمنة كالدواء المسكن يخدر صاحبه ولا يبرئه .

وظننت بهذا ان جادتها وتعاليمها تستطيع ان تمحو القهر والظلم عن المجتمع وترفع الضيم والغبين عن الناس ونسيت في غمرة نشوتها وانتصارها المؤقت ان ما حققته لم يكن الا ردة فعل عاطفية لجيل من الرهبان الذين اغتروا بالمعبارات الطنانة التي اطلقها بوذا والتي ظفها باظفة جذابة وادعى فيها خلاص البشرية . وسرطان ما ظهرت على حقيقتها عند اول حركة دفاعة من قبل الهندوسية التي تمكنت من اخذ زمام المبادرة فيما بعد واحتوت الموقف كله ، فالقت بقفازها في وجهه دها الجديد الذي سرطان ما ترنح وتهددت قواه ، ووطى هاربا بميسدا عن بلد يبعث عن ركن اخر لنشر دعوته . وهكذا طادت تعاليم الهندوسية تملك المخيلة البوذية وتاخذ بالبابها ، وتلاشت سريعا من الهند بعد قرابة الالف عام . ومن هنا يتضح لنا السمة الهشة التي حملتها البوذية في معركتها الفكرية والنسكية .

ويحق القول هنا بان الاديان الوضعية ينهش بسعضها بعضا ويفترس

القوى منها الضعيف فيغدو المنتصر مهيننا ويبقى الشهزم فيها ذليلا خائرا .

ومن ناحية اخرى فان البوذية وان لاسست في بعض الاحيان مشاعر

الانسان وعواطفه بعباراتھا الداعية الى تهذيب النفس وسمو الاخلاق . ، الا انها

لم تستطع ان تهيب لهذا الانسان سبل الكمال النفسي والخلقي ، وهذا ما غاب عن

تعاليمها ومبادئها لبعدها عن المنهج الرباني القويم الذي يصون هذه التعاليم

ويحفظ استمراريتها .

كما وانها وان حاولت تنهني غاھيم خاصة بتحرر العباد من عبادة

العباد بادي الامر الا انها لم تستطع بتعاليمها الانعطاف نحو عبادة العقيدة

الدينية السليمة لبعدها عن الحق وانكارها لبدیع السموات والارض ، وتجاهلها

للخالق جل وهز . وحتى هذا الالحاد الذي صبغت نفسها به لم تستطع ان تحافظ

عليه لهشاشته وضعفه امام التيار الشعبي الهندي وسي فعات الى تأليه البشر واتخذت

فيما بعد من بوذا الهها يعبد .

وهي في تعاليمها ايضا انما تاخذ من هذا الحياة الجانب المولم

ولم تلتفت الى الجانب المضي كما اتخذت منها الجانب المحزن المبكي وتناسست

الجانب السعيد المفضي الى الحب والوفاء .

وطى العكس من ذلك نرى الاسلام يفتح امام البشر جميع الوسائل المتاحة

للسعادة في هذه الدنيا والاخذ منها بقدر الحاجة دون جشع او طمع .

قال تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ

الرِّزْقِ ) ( ١٠ ) ( ١ )

وقوله ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ هُنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) ( ٢ ) ( ٢ ) ولقد كررنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) ( ٣ )

هذه الايات المشرقة ينشرح صدر الانسان لها وتتفتح مداركه لاستقبال

الامر الالهي دون كبت او قنوط . وهذه الحياة التي يريد لها الاسلام من الانسان

هي وسط لا افراط فيها ولا تفريط ، فهذه الوسطية تكفل للانسان العيش البهائسي

الرضي في ظل رحمة الله تبارك وتعالى ، وذلك في الدنيا وله في الآخرة النعيم

الحقيم ان احسن واتقى .

١ - الاعراف : ٣٢

٢ - الاعراف : ٣١

٣ - الاسراء : ٧٠

واذا تناسى هذه السلطات فقد عاشت البوذية وحدها في عالمها المنعزل في دنيا رهبانها وكهنتها الامر الذي ادى الى تفكك الروابط الاجتماعية ولم تستطع التوسع والخروج من النفق المظلم الا بعد رحيل بوذا الذي اسهم موته في تغيير وجهة سيرها كثيرا واستطاعت ضم اتباع من طامة الناس بدل الاقتصار على الرهبان .

وربما يخدع البعض بالشعارات الداهية الى التعقل والتدبر واعمال الفكر . الا ان العقل السليم يدرك تماما التناقض الحاصل في تلك الشعارات والتي وقع في شراكها كثير من العلماء خاصة الغربيين .

فقد ادعت البوذية انها تتردد من الانسان ان يعمل فكره ولبه لغاية نبيلة ، الا ان الواقع يفيد ان هذا الغاية اصبحت بعد البحث والدرس مجهولة وليس لها اى بعد فكري سليم ، بل ولا تساعد الفكر على التحرك والتدبر ، بل تعمل على تقييده باوهام وترهات لا تقبل عقول الصبية بها .

واذا افترضنا جدلا ان مبدأ النيرفانا هو الغاية المنشودة ، فان البوذية بهذا لم تستطع مطلقا حل المعضلات التي تواجه البشرية ، ان الطابع السلبي يصيب هذه الحالة بطابع كسول ، ومهبط ادعت البوذية ان النيرفانا تحقق للفرد الاشرار والاستنارة والانتصار على الالم والظلم والموت ، فان الواقع يكذب هذه العقولة . واذا كان ما تدعيه صادقا فلماذا لم تحاول البوذية حل مشاكلها مع الهندوسية او غيرها من الديانات الوضعية على اقل افتراض .

ثم هل يمكن للانسان ان يعمل في ظل النيرفانا اذا كان هذا المبدأ يدعو في مرحلة لاحقة الى الفناء احساسه وشاعره وفكره وكل ما يحيط به ؟ ؟

وكيف يمكن بعد هذا الفناء حل المشاكل الانسانية ؟ .

وكيف يمكن التوصل الى ردة المارقين والمجرمين والذنبيين ؟

هل النيرفانا كفيلة في احقاق الحق وارساء قواعد العدل والسلام ؟

بين الناس ؟ واذا افترضنا ان البعض يصلون الى النيرفانا فهل يتأتى لجميع الخلق الوصول اليها ؟

واذا كانت الاجابة بالسلب فم الفائدة المرجوة من النيرفانا اذا واي

هدف يجنى من ورائها ؟ .

ان الغاية الوحيدة التي يمكن الوصول اليها هي : الضياع ولا شئ

غيره ، وان البوذية اتعبت نفسها واشغلت كاهل البشر بمساردها التعسفية دون طائل وجدير بهذه النحلة ان تندثر ولا يسمع بها الا في كتب التاريخ لاخذ العبرة والعظة .

وطا احسن ما قيل في الحكم على البوذية بعد استعراض اراءها :  
(انها فلسفة اخلاقية موجهة للمعزة ، للطاعين في العمر ، ثم انها قاتمة متشائمة ، هي فلسفة شخص قطه سوء الظن والخيبة والفشل الدائم والرهبة ولذلك نجد به يشر بالابتعاد والانقطاع والانفراد بنفسه بلا معين حتى ولا مع اله<sup>(١)</sup> .

ومن جملة التعقيدات التي تضيفها البوذية الى فكرها ذلك التعنت في اغلاق باب التوبة امام المذنبين والمعاصاة ، فلم تتح لهم المجال لمتراجعوا عن غيبيهم ومرتدوا عن معاصيهم ، بل اقلت باب الندم ، وهي بذلك بدل ان تسهم في ارساء الامن والسلام للمجتمع ان بها تزيد زعزعة وتهدد استقراره لوقوعها في التناقض ، وهي وان لم تكن تدعو الى الرذيلة ، الا انها ساعدت عليها بطريق غير مباشر . وهي تدعي انها تريد تعليم البشر بالقيم الاخلاقية وتنسى ان هذا الامر لا يتحقق بمجرد وضع نظريات عقلية خالية من معالجة لب القضايا من اساسها .

فكيف تنتفي السرقة وابواب الرحمة موصدة دون اللصوص ، وكيف يمكن دعوة المذنب الى الخلاص دون فتح باب الرجاء والامل له ؟

انها اسئلة تتزاحم لتضع الفكر الديني البوذي في حيرة واضطراب .

(ومن التناقضات التي تقع فيها البوذية تلك الدعوة البشرة بالمحبة والفضيلة والصدقة مع الناس ، وقد جعلت ذلك متوقفا على محبة الانسان لنفسه حتى يمكن التسليم بانتقال المحبة الى الغير ، مقتضى التعاليم البوذية التخلص من هذه النفس وخصائصها . فماذا يحب الانسان ؟ يحب اطلاقا ما ؟ من المحب ومن المحبوب ؟ بل ان مقتضى محبتي لغيري ان اخلصه من بدنه او من نفسه فهل اقطه ليربح ويستريح<sup>(٢)</sup> .

وان كانت البوذية تدعو الى هذه المبادئ حرصا منها على الاخلاق فسيما قيل عن دعوى التسلك بالاخلاق ومهبط نالت من اعجاب البعض فالحق يقال ان ما جاء به الاسلام من اخلاق لا يمكن ان يوازن بين ما تدعيه البوذية او اى دين وضعي اخر .

١ - الفلسفات الهندية ص ٢٨٤

٢ - الاسلام بين الاديان ص ٢٧٤

وذلك لان الانسان مهبط حاول وضع ضوابط لسلوكه وآدابه فانها ستظل قاصرة ما دامت تابعة من شاعره واحاسيسه الشخصية ، وما دامت هذه الاحاسيس فردية فحكمها على الامور غالبا ما يكون قاصرا عن الشمول والاحاطة ، وطيه فلا يمكن تطبيق السبادة الموضوعية لها على بقية البشر لا خلافا المزجة والنزعات المختلفة بين العباد .

ولهذا فقد تكون الضوابط في بعض الاحيان قاصرة عن اعطاء علاج شاف لكثير من الامراض ولعلم الانسان المحدود ولقصور خصائصه فانه لا يمد من تعثره اذا ما يضع لنفسه من مبادئ دون استناد الى قانون عام شامل لمعالجة احتياجات البشر جميعا ، كالسبدي صدر من لدن حكيم خبير . ولا ننكر ما لدعوة بعض المصلحين السابقين عبر التاريخ من اثر في نشر المبادئ الخلقية بين البشر .

الا انه اذا ذلك يجب الاعتراف ان المبادئ الخلقية هذه لم تكتل ولم تتم الا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتم مكارم الاخلاق . . . وقد اثبت الاسلام بتعاليمه الشاملة وقواعده الراسخة انه دين الفطرة وانه دين الاخلاق والاداب والسلوك وان بقية الدعات الاخرى لا يمكن ان تقارن به لانه دين الله القويم . . .

والبوذية وان وضعت قوانين اخلاقية ، فانما تضع هذه المبادئ لفئة دون اخرى وهم رهبانها وكهنتها ، فما جدوى هذه المبادئ على بقية الناس ، ان لم تلبي احتياجاتهم ومتطلباتهم في التربية ؟ ووضع هذه المبادئ لفئة الرهبان من لدن رهبان سابقين نتيجة الخبرة والمعرفة الخاصة غير مضمونة النتائج لافتقارها الى اصل مساوي ونص شرعي قويم .

وخلاصة القول ان المبادئ الخلقية الموجودة في الاديان الوضعية

اما ان تكون مستقاة من اصل مساوي ثم حرفت عقائدها الدينية ، واما ان تكون تابعة من المعرفة والخبرة الخاصة بالانسان .

فان كانت الاولى فيجب الرجوع اليها واتمها ، بالمعقبات الصحيحة والتمسك بها ومسح اثار التعريف والتزييف عنها والاقرار بواضع هذه القوانين سبحانه وتعالى ، والاسلام كفيل بهذه الغاية . وان كانت الثانية فيجب تصحيحها والعودة بها الى ينبوع الاصلي ، ولقد وجد الاسلام لاجل هذه الغاية فأنعم به واكرم .



وقبل الختام لابد من الاشارة الى التقرير الذى وضعه د . شلبي  
عن جولته في بعض البلدان التي تنتشر فيها البوذية .

ففي هذا التقرير نلحس صرخة مدوية لاستنهاض الهمم واستدراك  
التقصير اللاحق بكثير من البلدان التي تنتشر فيها البوذية انتشارا كبيرا ، طمأ  
بان الجيل الجديد من البوذيين لم يعد يقتنع بالعقائد والهادى\* البسوزية  
مما اتاح الفرصة امام المبشرين المسيحيين لوضع الخطط تلوا اخرى لنشر العقيدة  
المسيحية بين اتباع البوذية ، وقد استطاعت فرق التبشير ومسهولة وضع هذه الخطط  
موضع التنفيذ مستغلين خلوا الشباب البوذى وتركه للهادى\* الوثنية التي لم تعد  
تلب الشاهر والا حاسيس الانسانية فضلا عن الخوا\* الروحي الذى يزرع تحته .

وهذا التقرير يدعوا الى توجيه الدعاة المسلمين وطى اطلى درجة  
من التخصص للاطلاع و حمل امانة الدعوة الاسلامية الى ربوع تلك البلدان ، ان ان  
الارضية صالحة الى درجة كبيرة لبث العقيدة الاسلامية السمحة بين القوم (١)

---

١ - راجع بتمعن هذا التقرير في : اديان الهند الكبرى ص ١٨٦-١٩٢

## الباب الخامس

### الرهبنة اليونانية

### التمهيد :

من الميسر جدا على الباحث التغلغل في كنف التاريخ القديم للعشور على بدايات وصور العبادات الاولى ، وخاصة بالنسبة للتاريخ الديني لليونان .

فقد ساد الغموض تلك الحقب الاولى ، والعائدة للحياة الدينية البدائية فغابت بذلك معرفة دقائق الطقوس والعبادات التي كان عليها اباؤ اليونان الاول . ولعل السبب يعود في المرتبة الاولى الى ( الاضطراب والاختلاف الناتج عن التنوع الذي لا حد له للصور وافكار الدينية ، كذلك المراكز المتنوعة للحياة الاجتماعية التي كانت تتمركز في أعلى درجة من الممارسات الدينية ) (١) .

الا ان دراسة القرن الثامن قبل الميلاد ، قد اعطت الباحثين بصيصا من الامل للوقوف على بعض المعارف والمعالم الدينية التي سادت آنذاك . ومع هذا فان تلك المعالم لم تكن لتعطي الصورة الواضحة والمرجوة التي ينشد ها الباحثون . . (٢) .

وعلى الرغم من تلك الصعوبة ، فاننا سنجد في وسط الصور التعبدية القديمة والمتنوعة ، نوطا من الوحدة والتشابه في السيكولوجية الدينية ، هذا الجانب يودي الى وحدة وتشابه في الممارسة والتطبيق وذلك يمكننا العيشور على نقاط عامة تشمل الجميع . . (٣) وهذا ايضا نستطيع لسبب دور الرهبنة .  
- الاصول المرقية :

ان من الملتقى عليه بين الباحثين ان الاربعين هم الاجداد الاصليون للشعب اليوناني القديم - فقد كانوا جماعات وقبائل متناحرة متفرقة ، وتكاد الحياة الدينية تكون بسيطة وساذجة الى أبعد الحدود . إن ( لم يكن

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٢٩٢/٦

٢ - تاريخ الحضارات العام : ٢٧٩/١ - ٢٨٩

٣ - موسوعة الدين والاخلاق : ٢٩٢/٦

لهؤلاء الاربيين من كهنة سوى سدنة المقاصير والاماكن القدسة ومن رؤساء العائلات وكان ( هناك من ) يقوم كذلك بتقديم القرابين ولكن لا بيد وان ديانتهم تنطوى على خفايا كبيرة وشعور بأسرار قدسة ، فعند ما يخرج الاغريق للقتال يلتزم من هؤلاء الرؤساء والاكابر مجلس ، ينصبون عليهم فيه طكا يتمتع بسلطات فضفاضة وليس لديهم قوانين بل لديهم العرف وحده دون اى معايير مضبوطة للسلك والاخلاق . ( ١ ) .

وعلى هذا فان البربرية الاغريقية القديمة كانت سائدة إبان تلك العصور ولكن من العجيب حقاً بل والغريب ايضاً أن نشاهد الدنية الاغريقية تنمو نمواً سريعاً وتقطع شوطاً بعيداً ، ذلك لان ( رعاة الاغريق المتبررين شقوا طريقهم جنوباً مسافرين على عالم كانت مدنيته قد أصبحت قصة طال بها العهد . إذ كانت الملاحة والزراعة واقامة المدن السورقوالكتابة أموراً معروفة من قبل ، فلم ينشأ الاغريق مدنية خاصة بهم بل حطمو مدنية واقاموا من انقاضها وعلى اطلالها مدنية اخرى . وذلك هو السبب الذى يرجع اليه عدم وجود دولة معبد في سجل الاغريق ولا مرحلة الطوك الكهنة بل وصل الاغريق مباشرة الى نظام المدينة التي لم تنبت في الشرق الا حول المعبد ، فعرفوا من الشرق فكرة ارتباط المعبد بالمدينة وتسلموها ساقفة . . . وحرور الايام أصبح الاغريق أكثر تدبناً وأشد اعتقاداً فـي الخرافات . ( ٢ ) .

لقد استقى طمس التاريخ والاثار المعلومات عن تاريخ الديانة من مصادر مختلفة أهمها ذلك التراث الباقي والسطل بالأدب اليوناني القديم من شعر ونثر وخطابة . ( ٣ ) وعن هذا الطريق تست معرفة الأنشطة الدينية وكانت تتضمن هذه الأعمال الموضوعات المتعلقة بالعبادات أو باللاهوت أو بالنظم الاسطورية للمجتمعات .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ٢٠ / ٣٢٠

٢ - المصدر السابق ١ / ٣٣٠ - ٣٣١

٣ - توجهت أعمال خطباء ذلك العصر إلى أغراض معينة وذلك لانهم كانوا يحالين الى ان يركزوا على الموضوعات الدينية. ولجؤوا غالباً الى الاثار استغلين في كسب السامعين وجذبهم اليهم باعتبار ان الدين يمتزج في هذه المجتمعات بالسياسة والحياة الاجتماعية ويعتمد على هذه الخطب أكثر من اعتماد على الشعراء او الفلاسفة باعتبار ان كلمات الخطيب كانت توجه الى الانسان العادى . . . انظر موسوعة الدين والاخلاق ٣٠٣ / ٦ .

## الفصل الاول : الديانة والمعابد :

تشابهت الديانات القديمة خاصة الوثنية منها - في عبادتها الاولى -  
تشابها كبيرا ، وذلك يعود الى الالتقاء الذي كان يتم بين الشعوب ، واخذ  
بعضها من بعض .

وكما رأينا قدما المصريين وغيرهم يتد رجون من عبادة الى اخرى  
كذلك فعل اليونان من بعد . . . فالتنوع الديني والتقلب في العبادات كان سمة  
تضاف الى سمات العصر اليوناني القديم .

- وقد قسم بعض العلماء انواع الالهة التي عدها اليونان ، فمن ذلك :  
- الالهة السماوية ، والالهة الارضية ، والالهة الخصب ، والالهة الحيوانية ، والالهة  
تحت الارض ، والالهة الاسلاف والابطال ، والالهة الالهية .  
واما اسماؤها فما يشق على الإنسان ذكرها كما يقول " هزود " (١) .

الى جانب ذلك فقد اُلِّه اليونان بعض الخصال في البشر : كالحكمة ،  
والفصاحة والبيان ، كما اُلِّهوا مواهب التشيل والموسيقى ، وبعض الرموز كالحب  
والجمال . مثل افروديت وغيرها . (٢)

كما اتخذ اليونان من مظاهر الخصب عبادة لهم ، وقد تشلت باتخاذ عضوي  
الذكر والانثى للرجل والمرأة ( ولهذا كان قضيبة الرجل وهورمز الانتاج يظهر في  
طقوس ديونيسوس وهرمس )<sup>٣</sup> . ولعل هذه العبادة مأخوذة عن الهندوسية  
فعبادة " اللنجا " لا تزال السبى يومنا هذا موجودة في الهند .

ويأتي تأليه البشر وتقديسه في اُطى مقام ، وكان يتوزع على طائفت مختلفة  
من الشعب ( وقد تم كل هذا العمل في الوقت نفسه الذي تكون فيه الشعب اليوناني  
وقد اكتمل في اواخر القرن الثامن ( ق م ) حيث انتصر تشبيه الالهة بالانسان . . .  
ولم يبق للاصنام والحيوانات الى جانب الالهة سوى قيمة الرمز او الخاصيات ) (٤)

١ - قصة الحضارة : ج ١ مجلد ٢ ص ٣٢١ ط ١٩٥٩ م  
٢ - سوسيولوجية الحضارة القديمة . د . صلاح فوال ، ص ٩٨ د ار الفكر العربي ،  
القاهرة ١٩٨٢ .

٣ - قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ، ص ٣٢٣

٤ - تاريخ الحضارات العام ، ١ / ٣٩٤ ، وراجع كذلك : دراسات فلسفية واخلاقية ،  
د . محمد كمال جعفر ، ١١١ - ١١٢ ، مطبعة حسان ، ١٩٧٧ م وموسوعة  
الدين والاخلاق ٦ / ٤٠٠

وإضافة الى كون هذه العبادات تعتبر شجرة الالتقاء الفكرى بينهم وبين الشعوب الاخرى إلا أن هناك اسباباً تدعو للإهتمام، وهي بروز الشخصيات المحاربة التي كانت تقود الشعب نحو النصر في الغزوات المتعددة والتي انبثق عنهما ما يسمى بابطال الحروب . (فالحروب المتعددة اوجدت كثيراً من المستوطنات خارج اليونان ) وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى ابطال يعبدون فيها ويدقنون في أضرحة للعبادة (١) .

وطى الرغم من وجود هذه الآلهة البشرية والتوجه اليها بالعبادة إلا أنها كانت تعال ( في غير كثير خوف او رهبة ولكن كان يتمسكوا بالهة الغزاة الا حرام آلهة اخرى للشعوب المقهورة ( التي تجد من يتبعها ) خلصة بين الارقاء والنساء ولم يكن منتظرا من الالهة الاربعة الأصلية ان تأتي بالمعجزات أو أن تتصرف فسي حياة الناس ) . (٢)

ولم يمنع اليونانيون أن تتصف هذه الالهة حتى بالصفات الذميمة للبشر . (٣)  
فاباطال الحروب هو لا وصلوا الى ما وصلوا اليه بعد ان نعموا ( بشرة وفيرة ) وقد كان تلك الارض عنوان الثروة الوحيدة تقريبا ومن بين هذه الطبقات نشأت طبقة الاشراف . اما المجتمع اليوناني القديم فقد كان موزعاً توزيعاً على اساس الثروة والقوة اضافة الى توزيع على أساس الأصل والانتساب ، فكانت القبيلة ثم الاخصية ثم الجينوس الذي يأتي مباشرة فوق الاسرة وهو القبيلة المحدودة والاسرة الكبيرة ، فقد طاب للافنيا التباهي بنسبهم البطولي وحتى الالهي (٤) .

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم - سيد احمد طي الناصري ، ١٣٧-١٣٨ ، دار النهضة العربية .

٢ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ، ٣٣٢/١

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية . د . محمد كمال جعفر ، ١١١-١١٢

( فالالهة اليونانية كانت في رأيهم تحيا حياة بشرية كاملة فالاله ما هو الا كائن حي بكل مشاعره وحاسيسه وقواه الجسمية والنفسية والعقلية . . . ومطاطه في الرغبات والفردات حتى السبي منها ولكن الاله كان دوما انسانا مكتمل الرجولة أو امرأة رائعة الجمال ، . . . وما دام للالهة صفات البشر فهم يلدون ويولدون ، ولهم تاريخ ميلاد . . . لكنهم أبدا خالدون . . . والاولاد والاغوات والاقرباء قد يكونون اربابا او انصاف ارباب . . . المهم أن لهم من الالهية نصيب . . . ) : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩ وقارن مع : دراسات في العصر الهلنستي ، لطفي عبد الوهاب يحيى ص ٤٤

٤ - تاريخ الحضارات العام ، ١ : ٢٧٩-٢٨٩

وقد لعب الاشراف دورا كبيرا في تاريخ اليونان القديم وتقلبت هذه الطبقة في مجالات الحكم والدولة ، ورغم التطور الذي رافق الحياة اليونانية ابتداءً من تسلط طبقة الاشراف مروراً بالطبقة الديكتاتورية وصولاً الى الديمقراطية ، الا ان نمط العبادة لم يكن يتغير خلال تعاقب أنظمة الحكم هذه .  
ذلك لان الشعب نفسه لم يكن في ديانته ، سوى مقلد للام التي جاورته او التي غزاها وانتصر عليها ، وان شهدت البلاد في بعض الاحيان تيارا دينيا قويا الا ان هذه الظاهرة لم تكن هي السمة الاساسية .

### اولا : الكهانة اليونانية :

في ظل التقلبات السياسية والعسكرية كان المعبد يقوم بنشاط بين طائفة الشعب ، ولا شك ان طبقة من الكهنة كانت تمارس دورها في معابد اليونان . وربما تكونت هذه الطبقة من ساعدى ومستشارى طبقة الاشراف الاول والذين ادعوا الالهية ، اذ ليست هناك إلا بعض المصادر الضعيلة عن هذه الطبقة ونشاطها وممارساتها وصور عبادتها . كما ان الغموض كان سيطرا على سجل الحياة الدينية وخاصة فيما يتعلق برجال هذه الطبقة . فكان لا بد من الوقوف على الانشطة الدينية لمعرفة درجة شيوخ الكهانة والرهبة على حد سواء .  
أثر الديانة الشرقية في اليونان :

واذاً هذا الوضع الصعب ، فانه لا مناص من البحث عن جذور المعرفة اليونانية ومنبع تراثها الديني الفاعل للوقوف على بعض المعالم ، فإضافة للتراث الادبي والشعري المعتبر من أهم المصادر التاريخية لليونان هناك مصدر اساسي لهذه الديانة والذي يعتبر عند الملطاء من أهم المصادر التي استقى منها اليونان معرفتهم وطوهم الدينية .

فاللقاء الحضارى الذى تم في منتصف القرن الثامن ( ق . م ) بين اليونان والشرق بصورة صامة قد أثمر تطورا هاما في هذا المضمار ، ذلك لان اليونان بحكم طبيعتها الجغرافية ، وخصب اراضيها ووفرة مواردها دعت الناس الى التثبيث بالحياة والتمتع بظواهرها المختلفة . ونظرا لحبارة اليونانيين في امر البحار وكثرة تنقلهم واختلاطهم بغيرهم من الامم وغزوهم لبلاد الشرق وخاصة مصر فان هذا اللقاء كان كفيلا بنقل مفاتيح العلوم والمعرفة وسخف الغنم اليهم .

هو "كده العلم" انه ( لم يعد من الشكوك ان يكون اليونانيون قد استمدوا  
بذور دينهم - الميثولوجيا اليونانية - من مصر وبنقيا والهند<sup>(١)</sup> والصين والكسند ان  
وايران ( فارس ) فميتولوجيتهم شرقية الاصل وان بدت في ثوب من الشعر والخيال  
يناسب المزاج اليوناني الذي اوحاه جوبلادهم ، وطيها فان البعثات العلمية التي  
انجزتها اليونان الى مصر لتستقي من المعارف والعلوم وتلقي عن حكماها فمسرور  
الحكمة ومعرفة الاسرار كانت متتالية ، ولا شك ان اليونانيين نقلوا من مصر الشيمس  
الكثير الذي يتصل بفروع العلم مثل علم الفلك وافي الرياضيات والطب وما وراء الطبيعة  
الى جانب نقلهم الحكمة عن الكهنة المصريين )<sup>(٢)</sup>

ومن هنا نعلم اهمية الشرق بالنسبة للديانة اليونانية وخاصة مصر . وقد  
فرض هذا التقارب نوعا من التشابه والوحدة وان اختلفت الصور والاشكال التعبدية  
وتبدلت الاسماء من بلد لاخر .

ثانيا :  
بدايات الزهد :

وبانتقال المعرفة الى اليونان يمكن حصر مدى ذبوع الفكر الديني ، وبالتالي  
يمكن القول بان الزهد الشرقي على الاخص قد استطاع ان يؤثر تأثيرا كبيرا في حياة  
بعض اليونانيين الذين وجدوا فيه موقلا وملذا من الحياة الصاخبة التي كانت  
قائمة . وقد أسهت هذه القلة على خآلتها في ايجاد السبل الى الزهد والترهب  
في الحياة اليونانية وكان هذا الاتجاه ممثلا في صورة فردية أولا ، ومقصورا طمس  
الذين اكثروا من التأمل والنظر واقتبسوا من معين تلك المعتقدات الدينية الاجنبية .

١ - يرى بعض الباحثين ان اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الاسكندر على  
الهند وتوطدت العلاقات بين البلدين في شتى المجالات ( اخذت فكرة التشجسد  
( اى حلول الالهة في الطل ) السائدة في الهند آنذاك تدخل في العقيدة  
اليونانية فانقل الاله فشنوعدها لينال نفس التقدير والاعجاب وكذلك أصبح الاله  
هليودوروس ( HELIODORUS ) رمز التجسد كما انتقلت كذلك هذه النظرية  
الى ايران بعد زرادشت ) : الهند حضاراتها ودياناتها . د . د . محمد

اسماعيل الندوى ، ص ١١٢ ، دار الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ . قارن مع :  
٢ - : دراسات فلسفية واخلاقية . ص ١١١ - ١١٢ ، وكذلك : تاريخ الحضارات  
العام ١ / ٢٧٩ - ٢٨٩ . وقد وجدت اولى الاشارات الدالة على بداية الزهد  
والاستشفاء ورد في كتابات هوميروس ( هوميروس ) من ضرورة اخذ العهد والحيثاق على  
المتعبدين ، وقد جاء ذلك في العقائد عن اله اليونان " زيوس " . موسوعة  
الدين والاخلاق ٣٩٧/٦



كما وجدت اشارات تفيد وتوضح أول صورة للتطهير الذي أوحى به الكهنة اليونانيون الأول لفئات الشعب وذلك ( بضرورة تطهير نفسها من البلاء بطرح مياه التطهير في البحر وهذا كان طقساً دينياً معروفاً منذ القدم وكان من بين القوانين التي يذكرها هزيبود :

" الانسان العائد من جنازة مشؤومة ، سيفنى ما لم يجتهد في ان ينجب طفلاً في ذلك اليوم " ( ١ )

ثالثاً :

بدايات الرهينة :

وهناك ظواهر أخرى تدل على وجود نوع من الترهيب والتبيل ، وان كان هذا النوع خالياً من القوانين والأنظمة كما هو الحال في الرهينة الهندوسية والسيحية . ، وكان الجانب الفكري الذي اتخذ هذا التيار يتسل بالشمسور ( باله سيطر على كل نفس ، ومعنى هذا أنه أتاح وجود علاقة شخصية بين كل شخص وبين المعبد بصورة خاصة ، ومن هنا وجد الاجتهاد والاختلاف بين افراد العابدين واتخذت القرابين شكلاً آخر فبدلاً من ان تتخذ من الاشياء الملوكة أصبحت تقدم من أفعال الانسان أو ذاته وذلك بتكريس حياته كخدمة لهذا الاله . . . . فوجد التبيل والانقطاع للعبادة ( أى الترهيب بالمعنى الحلي ) وهذا بدوره ساعد على ازدهار وتقدم مذهب التجسيم والتشبيه . . . وفي حالات معينة كان يقدم الاطفال باعتبارهم حصاد مزرعه الاباء حتى تنال البركة الاجيال المستقبلية . . . واخذ الأيمان كان يسبق العبادة مع المواثيق والمعهود على المواظبة في جميع هذه الحالات ( ٢ )

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٣٩٥/٦

وربط تفيد هذه الظاهرة : انها اول شاهد على التحريم او ما يسمى الغرب ( بالتامسو ) .

٢ - المصدر السابق : ٤٠٤/٦

## الفصل الثاني : العبادات وصورها وأثر الرهينة في مدارس الزهد والفلسفة

### أولا : - الممارسات التعبدية

- لقد قام نوع من الهيمنة على عقائد السلطة والحكم في اليونان من قبل طبقة الكهنة ، تماما كما كان الحال في مصر ، والهند .  
الا ان هذه الهيمنة تختطف من حيث المدة والصلاحية ، ومن حيث اللون الثقافي والعلمي . فقد تميزت الكهنة المصرية بطول مدة هيمنتها على الحياة الدينية بعكس اليونان ، كما ان اللون الثقافي المصري كان أوسع وأعمق مما للكهنة اليونان الذين لم يكن لديهم هذا البعد ولم يكن اهتمامهم منصبا الا على الخرافات والاساطير التي برعوا وتفننوا في اذاعتها ونشرها .

وبالعودة للحديث عن التيار الزهدي الذي وجد في اليونان بعد الالتقاء مع الشرق نستطيع القول بأن هذه الفئة قد تأثرت بالروح الصوفية الشرقية ( ويبدو ان هذا التيار التصوفي الذي دفع بالتصوفين الى الانخراط احيانا قد كان غير معوان لنجاح هتافات الغيب <sup>(١)</sup> ) .

لقد شهدت بعض المدن اليونانية كدينية كلاوس ودلفي وعلى الاخص هذه الاخيرة كثرة مميزة من طبقة الكهنة ، وقد ذاع أمرهم بين الافراد حتى بين الحكام والبلوك ، ذلك لان الكهنة اليونانية قد اكتسبت نوعا من التأيد الشعبي بسبب الاساليب التي اتبعتها . كما ساد نوع من الممارسات التعبدية خالطها كثير من ألوان الشعوذة ، وأطلق على هذه الأنشطة الدينية " مهابط الوحي " او " هتافات الغيب " .

هاتان التسميتان اطلقتا في الهياكل والمعابد التي أقام بها الكهنة السعراون ، وبصر هذه الوسائل استطاع الكهنة اذاعة الاساطير والخرافات واداء المعتقدات الدينية المزعومة بكثير من الحيوية والنشاط ، وغالبا ما توجهت هذه العبادات نحو تأليه البشر والجديس بالذكر ان هذه الاساطير والممارسات <sup>(٢)</sup> لسم تنطل على طامة الشعب فقط بل امتدت لتشمل طوك البلاد واستقطبت حكاما من خارج اليونان أيضا <sup>(٣)</sup> ما أكسب هذه المعابد أهمية كبرى في نفوس العالم وأدى الى ازدهارها وذبوع صيت البلدان التي اقيمت فيها وخاصة مدينة دلفي كما اسلفنا .

١ - تاريخ الحضارات العام ٢٩٨/١

٢ - راجع هذه الاساطير بتوسع في : الاغريق تاريخهم وحضارتهم ص ١١-١١٢

٣ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ٢٩٨/١

ثانيًا :

الطقوس والشعائر :

في جو الحرب والمنازعات الطاحنة ، تفتقد الشعوب كثيرا من طاقاتها وتنزف دماؤها بغزارة ما يؤول الى اسس الكوارث المادية والوجدانية والعاطفية . فلا تجد الشعوب وسيلة سوى المعابد الدينية تلوذ بها وتوكل اليها لتغطي الجانب المفقود من شاعرها .

وامام هذه الوقائع الطاسية التي عاشها الناس ايمان العصور القديمة ، فان الشعب اليوناني المخامر كان يعود بعد حروبه الطويلة مشغنا بالجراح او مثقلا بالعوارض النفسية والالهام التي تنتابه .

وفي ظل هذه الاوساط الكريمة استطاع الكهنة استغلال هذه الاحداث لاجتذاب الهاربين من هلات الحروب الى معابد هم واديرتهم ، مارسين امامهم صنوفا والوانا من المهرج والممارسات التي اتقنوها وسيطروا بها على شاعر واحاسيس الناس .

لقد اطلق الكهنة ما يسمى بالعرافة على المرأة التي تتحدث عن الغيب فمثلا ( كانت العرافة " بيتا " عادة امرأة في الخصينات من عمرها ثلثا باردية غريبة وتجلس فوق قائم ذي ثلاث ارجل وعند ما يتقدم طالب الشورى يقدم الاضاحي والقرايين ويثلو الصلوات للرب ثم يقوده الكهنة الى حجرة الانتظار وفي الوقت المناسب يدعس للمثول امام كاهنة " ابوللو " التي لا تكاد تذبو من ابخرة مياه العين الساخنة ويضع طالب الشورى سواده او اسلته امامها وتسهذي الكاهنة وهي تضع اوراق الفاروتنهيل من غاز غريب يتصاعد من شقوق الصخر ، وتحثسي الحياه الكبريتية وتتعم بكلمات غريبة يترجمها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسي الموزون ويعطيهما للسائل وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أي ظرف بحيث تد والكاهنة صادقة في كل ما تقول ، وكانت الشورات تتنوع من اسئلة شخصية الى اسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات او اعلان الحروب .

ولقد اكتسبت دلفي مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار واحسن الكهنة بمدى مسؤوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند اعطاء اي شورة ) .

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم : ١١١-١١٢

وراجع كذلك قصة الحضارة ج ١ ص ٢٠٩

بهذا الأسلوب وبغيره كان الكهنة يمارسون نوعاً من الهيمنة النفسية على العامة بحيث يعتقد هؤلاء أن كل ما يصدر عن الكاهن إنما هو الحق وعليه يجب اتساعه في تعاليمه وكل ما يصدر عنه من قرارات .

ومذلك أيضاً نعلم مدى الخطورة التي تمثلها هذه الناحية لما تنطوي عليه من إصدار التشريعات للبشر ، وإنشاء القوانين وفق أهواء ونزعات الكهنة والرهبان .  
إلا أن هذا التيار الذي شهدته اليونان لم يستمر طويلاً ، فمما لبث أن رُ  
انكشفت الحجب عن تلك الممارسات ومات الشعب يعرف جيداً الأساليب المخادعة وقد ساد شعور ( بأن هتافات الغيب انتهazy أو أنه يستنشق الريح أو يخضع لتأثيرات يصعب الاعتراف بها دون من الشرف فقد اتهم بالرشوة وبالخضوع للعظماء ) ( ٢ )

ولا يفوتنا هنا ذكر اعتقاد الكهنة على السحر فقد وجدت صور تعبدية مرسومة خلالها صور من ألوان السحر الأسود كما يسميه العلماء .  
ولا ( جدال أن هذه الصور كانت مبنية على أساس السحر ( إذ ) كان هناك اهتمام بفن السحر الأسود وفيه صيغ قريبة للإيمان والتأمل . وتظهر بوضوح العقلية الهيلينية وكأنها مغطاة بسحب وهذه الصيغ هي التي كان يمارسها الرهبان بطرق معينة وخطوات محفوظة يتدرجون على أثرها في مناصبهم ودرجاتهم ) .  
وقد كانت لديهم قوانين تشبه القوانين الدورية التي أوجدتها المسيحيون فيما بعد كما تشابهت مع نظام القسس إلا أن نقطة الخلاف بينهما تظهر في ( عدم

---

١ - لاحظ أساليب الكهنة في : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩  
٢ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٣٦٢ / ٣٦٣ وما بعدها  
٣ - موسوعة الدين والأخلاق ٦ / ٣٠٩ وما بعدها  
وكثيراً ما كان السحر يسخر لأغراض شخصية وكان بعضه يتعلق بالخنازير بصورة خاصة وكانت تؤخذ القطع المتعفنة منها حيث تتخذ أداة للسحر . . . ثم تنشر في الأماكن التي يراود حصول السحر بها ، وقد يرمز هذا إلى طرح الذنوب القذرة عن الإنسان والتخلص منها نهائياً بإعادتها إلى مكانها الطبيعي وهو الأرض وتتخلص المساء منها . وقد كان هناك سحرة راسيون لهم القاب معينة ) . المصدر السابق ٤٠١ / ٦

- محاولة فرض "أبولون" كإله أعلى على الدول الهيلينية وكانت ممارساتهم تتراوح بين الدوام على الصلاة ، والأدعية والترانيم مع الاحساس بالانتماء الوطني .  
وتنص بعض قوانينهم على الآتي :  
أولا : تقديم القرابين وقبولها من الشعب .  
ثانيا : بذل النشاط التعبدى في نظام يومي مقسم على اوقات مختلفة  
قد تطول بطسريقة مذهبة .  
ثالثا : الاحداث لاهداث الامور الخارقة او ما يشبه المعجزات ( الشعوزة والسحر ) .  
رابعا : تقديم المعلومات المتعلقة بالمركز الرئيسى الدينى الذى يمثل اقوى الروابط والوحدة الروحية في العالم الهيلينى .

وهذه هي نقطة الالتقاء بين السياسة والدين آنذاك ما كان يفرض طسسى الراهب التأكد بين آونة وأخرى من ولا \* العباد لاوطانهم ودولهم .  
وكان يتعهد بأخذ العهد على الراهب نفسه أن يظل مخلصا للنظام وأن يتبع الانصاف المتبادل بين أخوته وقصاد معبد . وهذا حصلت خطوة تقدمية فسي نطاق الدين بايجاد تشريعات للمعابد تتضمن الطهارة الضرورية في كل ما يشين ، وأولها اراقة الدماء ولا لم يكن لها الحق الدينى في أن تبلغ رسالة او تقوم بمهمة . ( ١ ) .

ومن نتائج تعاملهم الكهان والرهبان اليونان ظهرت على السطح عدة مظاهر تعبدية ، منظومة على اساطير ، ومرتكزة على خرافات ، وقد اجمع العلماء على ان هذه العبادات ظلت تعاليمها سرا احقابا طويلة ولم تعمرف تفصيلها على الوجه الاكمل ، الا انهم استطاعوا تحليل مراميها وتعليل الاشارات الخاصة بها ، فمن هذه العبادات ، ظهر ما يسمى باسرار "الفسيس" ، أو ( الوسيس ) . فقد ظهرت هذه (وقسمدت الى تجاوز حدود المدينة ، ودعوة الناس جميعا حتى الاجانب والارقاء الى حياة روحية أسمى وأقوى ، ذلك أن فريقا من اليونان لاحظوا الفارق بين سيرة الانسان وما يعتقد من مظهر أعلى في الاخلاق واستوقف نظريهم التعارض البارز بين شقاء الانسان وسعادة الآلهة ، فبداهم أنه قد يكون بالإمكان إيجاد علاقة بالآلهة عبر علاقة العبد بالسيد ، علاقة تقارب

فاتعمد تكفل للانسان المشاركة في السعادة الالهية ، ووجدوا عند الشرقيين  
غذاء لهذه النزعة ، فنشأت " اسرار " أو نحل سرية تعد مريديها بالنجاة من  
هائب هذه الحياة والسعادة في الآخرة . فيأمنون شر المرض والغسرق والخراب  
والحرب وما إليها ، ويؤمنون لانفسهم النجاح والتوفيق ، وبعد الموت النجاة  
من " الحماة " والحق بالالهة فيخلصون من الكابوس الذي كان جاثما على الصدور  
والذي يلخص هذه العبارة :

( ان حياة الانسان ظل زائل ، ووجوده بعد الموت ظل الظل ) . . .  
( ان ) نحلة ألويسيس ( كانت ) تعبد " ديتر " التي كانت الهة الحرب عند  
هوميروس ، فصارت عند ها الهة العمل ( ١ ) .

والملاحظ ايضا انتشار عبادة " كورا " الى جانب عبادة " ديتر " كذلك  
عبادة ( ديونيسيسوس ) ( وكان ذلك عاملا هاما من عوامل نجاح هذه الاسرار . . .  
ما يحطنا على الاعتقاد بانها قد انطوت على تفسير رمزي عن طريق عرض غير مباشر  
وتشيل مختصر ، غير أن ذلك كله كان يستدعي فكرة الموت ، وهدر قلق الانسان الدائم  
وكان المشترك في هذه الاسرار يغادر المعبد مطحنا الى الحير الذي سيكون بعد  
الاجل المحتوم ، فقد كتب " سوفوكليس " وعلى غرار كثيرين :  
" طوبى ثم طوبى لاولئك البشر الذين سينهون بعد مشاهدة هسيده  
الاسرار لحاقلة " هاديس " اما الآخرون فكل شي " سيكون لهم هذاها " . ( ٢ )

وقد حققت هذه الاسرار انتصارا وذيوطا كبيرا بحلول القرن الخامس ( ق م )  
حتى حازت على ثقة اليونانيين واصبحت المعابد مزارا لهم واقامت لهذه الغاية  
الاحتفالات الضخمة ( وتقوم العبادة في هذه النحلة على اسطورة غامضة وتعسا لهم  
ظلت سرا مكتوما مدى ألف عام . وكان المريدون يحثون قصة شيطانية لكي يبعثوا  
في نفسهم المواطن التي إنفعل بها الإله أو الآلهة ويثبون عبارات مبهمه  
ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة لكي يحققوا حالة الجذب أو الاتحاد  
باللهة ) ( ٣ ) .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٦٥ - ٦٦ ، دار القلم ، بيروت

٢ - تاريخ الحضارات العام ١ / ٣٦٤

٣ - ان هذا السر كان معروفا على أي انسان ان ييوح به ( ولا تعرض للقتل

. . . وكان الاحتفال عبارة عن ( سرحة رمزية لها أثر في حياة ديونيسيس

ولعل بعض أسباب ازدهار هذه العبادة وشيوعها خلال هذه الفترة يعود الى الافكار التي انطوت عليها والتي ترجع الى اهتمام واضعيها بالحياة الزراعية التي كان يعيش عليها اقلية الشعب ، فاستغل الكهنة هذه الناحية فكان لهم اكبر الأثر في الاستقطاب الشعبي .

إضافة الى توجيهها نحو الفرد بمعينه دون تمييز طبقي او عنصري ومخاطبتها ( بعيدا عن كل نظام او قانون ومن كل اثر عاطفي او مدني ... الى الفرد وحده كما سيكون يوم موته ) (!!).

ومن اهم العبادات التي تخص البحث تلك العبادة التي انتقلت الى اليونان عبر مدرسة الاسكندرية واسمها " عبادة السرابيس " أو " السيرايبوم " فقد عرفنا شيئا عن هذه العبادة التي كانت على عهد ايزيس وكيف كان الزهاد والنساك المصريون يقومون بالشعائر التعبدية في حضرتها .

وقد استقى الاستاذ العقاد معلومات عن " فيلون " ليهودي اثنا! الحديث عن اثر العبادات المصرية في اليونان . فادها ان نحلة قوية خرجت من مصر " على قلة عدد المنتمين اليها ، وهي نحلة المتنطسين ( the RAPEUTS ) التي ذكرها الحكيم الاسكندري اليهودي فيلون ، وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية وممارسة السروح والجسد واسمهم اليوناني معناه " الاساة " أو " المتنطسون " وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مربوط القديمة ( ٢.١ ) .

= واكبر الظن ان موضوعها كان اختطاف بلوتو برفسفوني وتجوال د متر الحزينة وعودة الفتاة العذراء الى الارض والكشف عن اسرار الزراعة وكانت خلاصة الاحتفال هي زواج خفي بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل د متر وكان هذا الزواج الرمزي يشر شرتيه بسرهة سحرية عجيبه فقد كان يعقبه بعد قليل على ما ينقله لنا المؤرخون اعلان صريح بان " سيدتنا قد وضعت غلاما مقدسا " . ( راجع قصة الحضارة ٢/١ : ٢٤٣ )

١ - تاريخ الحضارات العام : ٣٦٤/١

٢ - : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد ، ٢٦٦/١١ المجموعة الكاملة

دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١ ١٩٧٨

وقد ركز ولز على كيفية انتقال كثير من العبادات المصرية الى غيرها من الامم

ومن بينها عبادة سرايبس : راجع معالم تاريخ الانسانية ٢/٦٤-٦٩

ان هذه الجوانب العقيدية والتعبدية ، تكشف بصورة واضحة التماثل والتشابه الذى يعتبر القاسم المشترك بين الديانات الوضعية الوثنية وبين العقائد والاسرار المسيحية التي اقتبسها كهنة الكنائس ، ورهبان الاديعة ، فالس الآن لا تزال المسيحية تفرق بتعاليم الاسرار ، لتوهم الناس بوجود غفيا لا يعلمها الا الرهبان . تماما كما كانت الرهبنة اليونانية وكهننتها يمارسون هذا الدور .

وبالعودة للحديث عن الحياة الخاصة التي كان يعيشها الكهنة اليونان والمبسادى<sup>١</sup> التي كانوا يدبنون بها كالاظمة والقوانين التي تضبط اوضاعهم ففسد قل حديث العلماء عنها ، . (فيران نوطا من المراسيم والتزام التطهير الجسدى كان مفروضا عليهم . كما ان هناك نوطا من التعاليم الاخلاقية والشعارات التي كان يطلقها الكهنة أثناء اداء المناسك التعبدية في هياكل العبادة اوصفت باحترام الحكمة واليمين وتأدية واجبات الضيافة ) . (١)



### ثالثاً : أثر الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفية :

بعد الاطلاع على بعض صور الرهبنة اليونانية ، وما انطوت عليه من ترهب وتبتل متم بالبساطة ، يجد ربنا الوقوف على الاثر الذي أحدثته في المدارس الزهدية والفلسفية .

وسنرى هنا مدى تأثير أصحاب هذه المدارس "كالأورفيين" والفيثاغوريين" ببعض العقائد التي صاغها الرهبان ، كذلك الامر بالنسبة لبعض الفلاسفة كسقراط وأرسطو وأفلاطون .

وسنرى أن هذه التأثيرات غالباً ما اصطفت بالنساجية الفكرية والتأطية أما الجانب السلوكي فقد شهد نوعاً فائراً من الترهّب ، ويمكن أن نسميه نوعاً من الزهد . إذ لم تكتمل في هذه الاتناء صورة الترهّب على النحو الأوسع ، فلن نرى فيه قوانين وضوابط ، ولا أدبرة وصوامع ، ولا تنظيمات رسمية وكهنوت هيرمسي . بل سنرى فيه نوعاً من الترف الفكري الذي ينطوي على قضايا نفسه تتعلق بالفلسفة والاخلاق .

أما الناحية المهمة في هذا الجانب فتظهر جلية في أثر الفلسفة اليونانية في العقائد النصرانية ، كمقيدة الخطيئة الاولى ، والتضحية ، وضرورة تعذيب الجسد لخلاص الروح ، وغيرها . وسوف نشاهد هذه الملامح من خلال عرض مذاهب الأورفيين والفيثاغوريين ومقيدة الفلاسفة .

#### الفصل الثالث :

##### أهم المدارس الزهدية في اليونان :

##### أولاً : الأورفية

قد يكون الحديث عن الأورفية أكثر إثارة وأقرب الى مواضيع البحث صلة من حيث نوعية التعاليم والنسك . فقد ذاع في القرن السادس ق . م . نوع من الزهد الصوفي اليوناني المتأثر بالروح الشرقية .

هذا التيار تمثل بنحلة "أورفيوس"<sup>(١)</sup> والتي دعيت فيط بعد بالاورفيسية

---

١ - يشكك العلماء بوجود هذه الشخصية الخيالية لكثرة الاساطيرة التي هيكت

حولها ، الا ان ديورانت يقر بانسه كان شخصاً حقيقياً .

انظر : قصة الحضارة ، ج ١ ص ٢٤٤

وتقوم تعاليم هذه النحلة على العديد من الآراء العقلية وما تدعى أنه مبادئ أخلاقية . إذ اعتدت اعتقاداً مباشراً على القصص والأساطير التي زينت بهسلاً عقائدها ، وذلك لتقبلها العامة ، كما إعتدت في أواخر عهد ها على السحر والشموعة . ونظراً لبعض آرائها التشفية فقد أعتبرت الاورفية بانها تمثل تياراً زهدياً فلسفياً وقف في وجه التيار الالهي الرياضي الذي نشأ متمسكاً بحب الجسد والدعوة الى نعيم الحياة ومتعتها .

الجانب العقدي لهذه النحلة تمثل في عبادتها لديونيسوس فقد عسده الاورفيون وأقاموا حوله الاساطير (١) التي جذبت اليها الكثير من العامة . وفي الجانب النفسي : ألحت الاورفية ( على فصل النفس من حيث هي عنصر روحي عن الجسد من حيث هو عنصر مادي ) . فالنفس يمكنها ان تكون قد مرت بتجسّدات سابقة ويمكن أن يكون لها تجسّدات أخرى في المستقبل كما أن بعض الشرور التي تنزل بحياة خاصة يمكن أن يكون سببها إقتراف خطيئة سابقة على هذه الولادة ويمكن للنفس فيما بين تجسّدات مختلفة ان تقيم في الجحيم ( ٢ ) .

( وكانت الترانيم والطبوس الاورفية ترشد المؤمنين الى ما يجب أن يتبعوه في هذا الحساب النهائي الشامل ، شأنها في هذا شأن كتاب الموتى عند قدماء المصريين ) ( ٣ ) .

- 
- ١- تقول احدى هذه الاساطير : ان " تزوس " وهب قلبه " ديونيسيسوس " السلطان على العالم فخارت منه " هيرا " زوجة " تزوس " وألبت عليه طاغية من الالهة الاشداء هم " الطيطان " فكان " ديونيسيسوس " يستحيل ضحواً مختلفة ويرد هم عنه الى أن انقلب ثوراً فقتلوه وقطعوه وأكلوه . غير أن الالهة " بلاس " ( مينيرفا ) استطاعت أن تخطف قلبه ، فتبعث من هذا القلب " ديونيسيسوس الجديد " . : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وتاريخ الحضارات العام ٢٩٧/١-٢٩٨ ، وهذه الاسطورة تتشابه مع مضمون اسطورة ايزيس وايزوريس وحوروس المصرية
  - ٢ - : المذاهب الكبرى في التاريخ . البيان ج . ويدجيرى ٨١-٨٢ ترجمة : ذوقان قرقوط ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٩

لقيت هذه الآراء اصداء واسعة في اليونان بصورة عامة ، وعلى الاخص ظهر هذا التأثير في " الفيثاغورية " التي امتزجت تعاليمها بتعاليم الالوفية ، ففقدت انتقلت إليها عقيدة انتقال الروح من جسد لاخر (١)

وإن من الجدير بالذكر أن الهادى هذه وافكار التي انطوت عليها الالوفية كانت بمثابة النواة الاولى للفلسفة فيث بعد ، وقد ارجع العلماء هذه الآراء الى النتيجة التي آلت اليها اسطورة " ديونيسيوس " التي حاكتها مخيلة الالوفية وموهها : " ان الانسان ركب من عنصرين متعارضين : من العنصر "الطيطاني" وهو مبدأ الشر ومن "ديونيسيوس" وهو مبدأ الخير ، فالجسد بمثابة القبر للنفس وهو دها اللسدود يجرى معها على خصام دائم " . (٢)

كما تظهر الروح الشرقية الصوفية في تعاليم الالوفية والشعائر التي كانوا يقيمونها ، وتتضح أكثر في الممارسات العطية التي اعتدت . فهناك ضرورة التطهر من الشر ، ويكون بالاستحمام باللبن ، أو بالماء وتضاف إليه مادة تلوته بلون اللبن . كذلك بالنسبة للقرايين غير الدمية ، وتمثيل قصة "ديونيسيوس" في ذلك تقطيع ثور وأكل لحمه نيئاً وتلاوة صلوات كالتى وردت في كتاب الموتى المعروف عند المصريين فقد اكتشفت صفاق ذهية عليها إرشادات للنفس عما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق وتطو من صلوات فكانت هذه الصفاق دليلاً قاطعاً على انهم عرفوا كتاب الموتى وأخذوا عنه (٣)

وقرب لنا ديورانت صورة التشابه والتماثل ، بين عقائد الالوفية وما نادى به المسيحية فيث بعد ، خاصة فيث يتعلق بعقيدة " الابن المقدس " و " الخطيئة الاولى " و " العشاء الرباني " . فهو يقول عن ذلك :  
( ان هذه العقيدة كانت في جوهرها تأكيداً لعذاب " ديونيسيوس زجرهوس " الابن المقدس وموته وبعثه كما كانت تأكيداً ايضاً أن الناس جميعاً سوف يبعثون فسي حياة مستقبلية يشابهون فيها على أعاليهم أو يعاقبون عليها ، وإذا كان الاعتقاد السائد

١ - دراسات فلسفية وأخلاقية : ١٢١ ، والمذاهب الكبرى في التاريخ ٨١-٨٢

وقصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وسنرى فيث بعد أثر ذلك على كل من سقراط وأفلاطون .

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

ان الجبابرة الذين قتلوا " ديونيسيس " هم الذين تتسلل منهم الاله ميون فقد كانت البشرية كلها ملوثة بشئ " من الخطيئة الاولى ، وكان عقابها على هذه الخطيئة ان الروح تسجن في الجسم كأنها في سجن أو قبر ، ولكن في وسع بنى الانسان أن يعزوا انفسهم بأن يعرفوا أن الجبابرة قد أكلوا ديونيسيس وأن كل إنسان ينطوى لهذا السبب فسيروحه على جزء من الالهية الخالدة وكان عباد أرفيوس يتناولون في " عشا " رباني " جماعي لحم ثور نيئاً ويحفل في اعتقادهم ديونيسيس إحياءاً " لذكرى قتل الاله وأكل لحمه واتصافاً للجوهر المقدس من جديد " ( ١ ) .

هذا ويرجح أن الاورفية كانت في الأصل على صلة وثيقة بالاسرار ولا يبعد ان تكون أغلب عناصرها مستمدة من الكهنوت المصري ( ٢ ) .

وقد اعتبر العلماء ان هذه الممارسات والتعاليم تتألف في اطراف نوع من الزهد غريب جداً على الموقف اليوناني المتسم بالاعتدال والانسجام في الحياة النفسية ( ٣ ) . ( الإغريقية )

وكما أخذ الاورفيون عن كتاب الموتى المصري ، كذلك أخذوا فكرة (الولادات المتعاقبة عن الهنود مباشرة أو بواسطة الفرس ، وكانوا يقولون ان الارض للبشر كال حظيرة للماشية ، فلا يحق للنفس أن تهرب من هذه الحظيرة ، وانط واجبها ان تنظر السبي الاجل المحدد من الالهة ، فالانتحار كفر ، إنه عدول عن الامتحان ومن شئت عن الثواب وسيأتي اليوم الذي تنسجوف فيه النفس الصالحة من " دلاب الولادات " وتستعيد طبيعتها الالهية فتحيى حياة روحية في العالم غير المنظور ومن مبادئهم ايضاً احترام الحياة حيثما وجدت في الانسان والحيوان والنبات ( ٤ ) .

١ - قصة الحضارة ج ٢ م ١ ص ٢٤٥

٢ - دراسات فلسفية وأخلاقية : ١٢١

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨١-٨٢

٤ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨ ، راجع في هذا الصدد أيضاً قصة

الحضارة ٢/١ : ٣٤٥

وتؤكد بعض المصادر ان عقيدة تناسخ الارواح ( قد انتقلت الى الاغريق  
عن طريق "فيريكيدس" *Pherekydes* وتلميذه فيثاغورس الذي كان معاصرا  
لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية . ) (١)

ويذكر البعض ان معوثين بوذيين من بلاط الطك اسوكا البوذي قد حضروا  
الى الاسكندرية زمن اليونان ، وأن جالية هندية كانت تتواجد هناك (٢).

وتذكرنا بعض المطامير اليونانية ببعض المبادئ الرهبانية في النصرانية  
( ان ان بعضها يفرض "تجارب حساسية واخلاقية صارمة تتضمن الاما وتقسفا مريرا  
وجلدا طوفا في الليل على ضوء الشاطل ولباسا خاصا ) (٣)

وهذا ما دعنا ديورانت الى القول ( ان الاورفية كان فيها . . اتجاهات  
مثالية هي التي ادت الى الفلسفة الاخلاقية والرهبنة في المسيحية ) (٤)

وكما كان الحال بالنسبة للجماعات الدينية اليونانية التي سبقت الاورفية  
والتي اندثرت وانسحت . كذلك كان نصيب الاورفية ، فلما كان الدجل والخسداع  
طالين مهين في انحطاط الدعوات السابقة ، كذلك تسرب الخبث الى نحلة  
اورفيوس إن ( لا ريب في ان الاورفيوسيين قد جمعوا في صفوفهم دجالين وهرافين  
يجوز الاشتباه بهم ولا ريب ايضا ان السحر كان له مكانة في كتبهم القدسة ) (٥)

١ - : العودة للتجسد ص ١٩

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢ : ٤٦٤ وانظر كذلك : الهند حضاراتها ودياناتها

محمد اساميل الندوي ص ١١٢

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية ص ١٢١

٤ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٤٦

٥ - تاريخ الحضارات العام : ٢٩٧ / ١ - ٢٩٨

ثانيها :  
- نحلة فيثاغورس

ألمعنا الى أن نحلة أورفيوس كان لها بعض التأثيرات على الفكر الفيثاغوري .  
الا ان الفيثاغورية ، قد أضافت الى تعاليمها نطا من التقشف في الممارسة ، فمن  
مبادئها ما يحتم على (الافراد العيش عيشة العفة والبساطة بموجب قانون ينص على  
الطبخ والمأكول والصلاة والترتيل والدرية والرياضة البدنية ) ( ١ ) .

كما أنها نادت بتحريم أكل لحم الحيوان وبعض الثبات ومارست السرية في  
تعاليمها الدينية والدنيوية وفرضت على أتباعها الكتان ، وقد أوصلت عقوبة افشاء  
سر هندس الى الابد ( ٢ ) .

ثالثا :

- نحلة إيزيس ومثرا :

واقترنت نحلة " إيزيس " المصرية بنحلة " مثرا " (الفارسية في غزو بلاد الرومان  
والهونان فسطاها اليونان ديمترو . نطوها صفتها المصرية وهي صفة الأئمة الكبرى  
أو صفة الطبيعة الأم ، وكان عبادها يوحدون بينها وبين القمر ، ويعتبرونها من ثم  
ربة البحر والملاحة ، ويرسمون لها صورة جميلة تنم عن الطهارة والحنان وفي حضنها  
طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزا للأئمة والبر والبرائة ، وكان كهانها يحلقسون  
رؤوسهم في الغرب محاكاة للكهنة المصريين وكان لها بينهم طابون وهابيات يسمونها  
حامية البيت والأسرة ، ومن ثم شيوخ عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد  
الأسرة ويتقدس حقوق الاباء ولا شك أن المراسم السرية التي تلازم نحلة إيزيس كان لها  
أثرها في تشويق الناس . . . ) ( ٣ )

أليس في هذا الوصف ما يشابه الى حد كبير تلك الصور التي يتخذها  
المسيحيون للعذراء وطفلها يسوع بين ذراعيها ، وما يطلقون عليها من ألقاب  
التقدس ما يفيد انها حامية للبلد الفلاني او القرية الفلانية . ٢٢ .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٢٠

٢ - المصدر السابق

٣ - حياة المسيح ، العقاد : ٢٦٥-٢٦٦

## الفصل الرابع : اثر الرهينة في الفلسفة اليونانية :

اخذت الفلسفة اليونانية حيزا كبيرا من كتابات العلماء وأبحاثهم، ذلك لان جاذبية الفلسفة اليونانية طغت على هذه الكتابات مما أثر على الابحاث المتعلقة بالدين .

فقد اتسعت آفاق الفلسفة وامتدت أفكارها لتشمل جل المعارف المتعلقة بالفكر ، والعقيدة ، والأخلاق ، وما وراء الطبيعة ، وقد أسست على أثره المدارس المختلفة .

وهنا في هذا الصدد أن نعرف عن هذه الفلسفة ما يتعلق بموضوعنا الاساسي ومدى علاقة الرهينة اليونانية والزهد بها .

وقبل ذلك لا بد من الرجوع قليلا الى الوراء لكشف بذور هذه الفلسفة وجذورها .

فقد مر بنا في السابق ان اللقاء الحضاري بين اليونان والشرق القديم وعلى الخصوص " مصر " قد اسفر عن نتائج هامة بالنسبة للمعرفة والثقافة اليونانية. وما يجب التنبيه إليه أيضا أن ما أخذ اليونانيون عن مصر ( لم يقتصر على ما كان يدون في الكتب ، بل هناك تعاليم شفوية يفضي بها الكهنة الى خلائقهم بعد أخذ الميثاق عليهم بعدم إفشائها لأنها من الأسرار الصونة التي لا يليق بالعامه أن يعلموها . ومن الحكماء اليونانيين الذين زاروا مصر طلابا : فيثاغورس وديمقراطيس ، وانكسندر ، وفريسنس ، وافلاطون ، أولئك تربوا في معابد المصريين ونهلوا من حكمتهم ثم كتب لهم أن يسموا بالفلاسفة فيما بعد ) (١)

وطيه فيمكن القول بان الشرق له أثر فعال في الشعراء والفكرين بل يمكن القول أيضا ان التعاليم الشرقية هي التي ( وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على ايدى فيثاغورس وسقراط وافلاطون . وسنجد عند هم عقائدها وتعاليمها كأصول يحاولون ترجمتها الى قضايا عقلية ثم البرهنة عليها . ولما اشتد اختلاس اليونان بالشرقيين شعر فلاسفتهم بالحاجة الى دين فعادوا الى " الاسرار " يشرحون اقوالها بل يصطنعون شعائرها وينسجون على منوالها ) (٢)

١ - دراسات فلسفية وأخلاقية : ١١٢-١١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

هذه المبادئ والتعاليم اصبحت فيط بعد محور الفلسفة وروحها .  
لقد قعد الفلاسفة هذه المبادئ ووضعوا لها الأطر والقوالب المناسبة  
للتغيير الاجتماعي والسياسي ، وللتطور الذي رافق الحياة اليونانية آنذاك .  
وفي اقوال الفلاسفة الأول ما يشهد على ذلك فسقراط " الاب الاول " للفلسفة  
اليونانية انصبت معظم توجيهاته وتعاليمه حول النفس البشرية ومعالجتها .  
ولقد لجأ الى القواعد المنطقية المستندة الى الدين والأخلاق اليونانية ضد  
التيارات المعارضة والمهادفة الى التشكيك في القيم والمبادئ ، وهو ما قام به  
السوفسطائيون وغيرهم ، فحاول أن يوقف هذا التدهور الخلقي الذي وصل اليه  
الشباب اليوناني .

ولهذا كانت توجيهاته وتعاليمه تهتم بالنفس والسلوك .  
وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق ، باعتبارها أهم ما يفيد الانسان  
" فمن مبادئه " ( أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة  
صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها  
الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهي  
وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله اذى في هذه الدنيا ولكنه ما غود  
بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة ، والانسان يريد الخير دائما ، ويهرب  
من الشر بالضرورة فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان اراده حقا ، امسا  
الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل انه يرتكب الشر عداً ، وعلى ذلك فالفضيلة  
علم والبرذيلة جهل . ( ١ )

ولهذا كان غرض سقراط تنبيه الناس الى وجوب التحلي بالقواعد الخلقية  
لمجابهة خصومه ، ولنبذ الخرافات والشعوذة التي كان الكهنة يمارسونها أمام أهين  
الشعب . وربط تكون هذه التعاليم هي احدى اسباب الحكم عليه بالموت .  
فمثلا ( لما سمع عن نبوءة كاهن دلفي وأنه " أحكم الناس " . . . تسائل مستكرا :  
كيف يمكن أن يكون حكيما وهذه صفة موقوفة على الآلهة ؟ ) ( ٢ )  
وصحيح أن سقراط لم ينفخ في حمة الاهداف الكهنوتية إلا أن المسحة  
التقشفية التي التزم بها الرهبان تبرز عنده من خلال فلسفته المتعلقة بالنفس  
البشرية ، خاصة حينما اعتبر أن الحياة مسرح مليء بالآلام لا يتخلص منه الانسان  
الا بالموت فقد خاطب صديقه " كريتسو " عند موته قائلا :

١ - سقراط ( ٤٦٩ - ٣٩٩ ق . م ) فيلسوف يوناني شهير وجه البحث الفلسفي الى  
الانسان ، وكان قبله موجه الى العالم والاعمال السطحية ، ولذلك قيل انه استنزل  
الفلسفة من السماء الى الارض ، وبعد سقراط مؤسس علم الاخلاق لأنه أول من حاول  
ان يبين معاملات الناس على اساس علمي ( مبادئ الفلسفة ، ا . س . رابويرت

ت : احمد امين ص ٢١٧ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٩ م

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣



"يا كريستو إن طي ديناً وهو ( ديك ) لاسلكيوس فلاتنس أن ترد  
عني هذا الدين " . ويقول البعض إن اسلكيوس المقصود هنا هو رب الشفاء  
( المعادل لمانحوتب عند المصريين وبالتالي فإن مقعد سقراط هو أن يقدم  
قربانا لرب الشفاء . لأنه شفاء من الآم الحياة ) . ( ١ )

هأتني وصف سقراط على لسان تلميذه واكبر مردييه . . . أفلاطون موضحاً  
هذه أستاذة واعراضه عن الطذات فيقول :-  
( . . . كان طول حياته معرضاً عن متاع الدنيا ، هائماً بالجمال الآسدياً  
إليه وكان يشتد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يحكث  
واقفاً بلا حراك ساعات متوالية بل يوماً بليلاً ، ثم أنظر إليه في سجنه وقد دنا أجله ،  
ليس يكفي القول في وصف حاله انه لا يخشى الموت أو انه ينتظره بشجاعة فهو مغتبط  
به أشد اغتباط ، هو يعلم أننا ملك الالهة وأن الانتحار انتقاص على ارادتهم ولكنسه  
يرحب بالموت يأتي على يد غيره ، لان الفيلسوف يحس الشوق الى الإلهيات ويحس ثقل  
الجسم يعوقه عن اللحاق بها ، فالموت خلاص النفس ، وبداية حياة جديدة مع الالهة  
والفيلسوف الحق يجتهد ساعة فساعة أن يعيش هذه الدنيا العيشة الروحية التي  
يشتهيها وأن يتعجل الحياة الأخرى بممارسة العفة بمعناها الاسمي وهو الرغبة عن  
اللذة والتجرد عن الجسم والمران على الموت فيلبي جسمه ويصفيه من المادة بقسدر  
الاستطاعة ، لانه يعلم ان سعادته في التشبه بالله . )

هذه الاشارات كفيلاً باجتذاب المتأدبين بالسلك الرهباني ، وصحيح  
ان سقراط لم يؤسس تنظيم رهبانيا الا ان آراءه الفلسفية وممارات تلميذه  
عنه توحى بأن نمطا من الحياة الستقشفية كان يلزم سقراط في عيشته ، كما يذكرنا  
وصف افلاطون لاستاذة بأحوال التقشف والزهد الرهباني الذي مارسه الرهبان  
المسيحيون ، بل يمكن اعتبار هذا المنحى هو من المبادئ الاساسية لنظرياتهم  
وقواعدهم التأطية والفكرية ، والتي سنشهد طرقاً منها في أبواب قادمة إن شاء  
الله تعالى .

غير أن هذه الآراء كان لها أكبر الأثر في تلاميذه من بعده ونعني به  
على وجه الخصوص " افلاطون " الذي اعتبر أمينا على الإرث الفلسفي الذي تركه  
سقراط . . .

## ١ - آراء افلاطون (١)

تعددت آراء افلاطون الفلسفية ، فشلت ، الدين ، والسياسة ، والاخلاق  
ويمكن اعتبار ما كتبه في محاوراته والسمة " بالجمهورية " خلاصة آرائه حول  
الامور السابقة .

ففي كتابه هذا يوضح افكاره السياسية ، وقد عالج فيه تصويره لما ينبغي ان تكون  
عليه الدولة مرتبه وفق نظام هرمي وقد خرج بنظرية المدينة الفاضلة او السعيدة بعد  
تحليل لعناصر الدولة المنشودة . وقد بناها على الفكرة الدينية التي هي قوام الاخلاق  
( واساس التنظيم الاجتماعي ولولاها لما كان للحياة نظام ولا كان للعقاب والثواب معنى  
( على حسب ما يذهب اليه ) ، ان الفكرة الدينية أساس النظام في المدينة السعيدة  
وهي الهدف الاسمي الذي يرمي اليه افلاطون في كتابه الجمهورية لذلك نجد ، يقول  
للشبان : ان الامة لا تكون قوية الا اذا آمنت بالله يعزى القلوب الجريئة يشجع العزائم  
الخائرة . وان تقسيم الدولة بين الفلاسفة والحاربين والحامل أمر مقدّر من الله ( ٢ ) .  
كما عالج القضايا المتعلقة بالنفس البشرية من خلال نظريتي الكهف والعربة ( ٣ ) ( ٤ )

- ١ - ولد حوالي ( ٤٢٧-٣٤٧ ق م ) الفيلسوف المعروف ، ابن اريستون وبركتيوني  
ولد في اثينا وعاش فيها معظم سني حياته التي بلغت الثمانين ، ومع انه اشتهر بالسياسة  
في البدء ، بفضل أسرته واهتماماته معا ، فقد كرس معظم حياته في التّوحيّ للدرس والتعليم  
( ١ ) : الوجود الالهي ، ، في تاريخ المذاهب الفلسفية ، سانتلانا .  
تحقيق د . همام الدين محمد طي ، هامش ص ٢٨ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ط ١  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢ - : من افلاطون الى ابن سينا : د . جميل صليبا ص ٣٣ ، دار الاندلس ١٤٠١  
- ١٩٨١ م - بيروت .
- ٣ - ( لقد شبه افلاطون حياة الناس في هذا العالم بحياة سجناء كهف ظلم ألفوا  
ظلامه ، وقنعوا بالضوء الخافت الذي يتسرب من كوة صغيرة ، ماكسا ظلالة متحركة ، يحسها  
السجناء أشخاصا أو كائنات ، وشتان بين هؤلاء وبين من ينطلق في الفضاء الفسيح ،  
حيث الشمس المشرقة وحيث الحقائق السافرة ، ان الفيلسوف وحده هو الانسان الذي  
استطاع ان يخرج من كهفه . وان يبصر الاشياء كما هي ، ولذا كانت اسطورة الكهف تعبيرا  
فنيا رمزيا عن المعرفة الحقّة في نظر افلاطون ) . . . : دراسات فلسفية واخلاقية  
ص ١٤٥ وانظر كذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧٤
- ٤ - هذه النظرية في رأيه تعبير عن الفضائل الثلاثة التي تدبر ( قوى النفس الثلاث :  
الحكمة فضيلة العقل - تكلمه بالحق - والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الا هو  
فتترك النفس هادئة والعقل هرا - ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة  
الفضية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الألم ) تاريخ  
الفلسفة اليونانية ص ٩٥

وقد ركز افلاطون فلسفته على الجمال واتخذ من هذه الدراسات وسيلة للوصول الى نظرية المثل ( ) . ( ١ )

ومن خلال النظريات الثلاث نستطيع ادراك أهمية الزهد والتعشق بالنسبة له . فنظرية الكهف ترمز للسجن العام الذي يفرضه البدن على النفس كلما كانت خاضعة لـ رغباته وميوله . فلماذا لم تحررت وارتقت عن الرغبات والسيول استطاعت أن تتخلص من البدن نهائيا واستطاعت أن تُحصِّل المعرفة اليقينية . وهذه هي النقطة التي نلمس فيها نوحا من الزهد والرهينة ، وذلك لقهر البدن والصمود أمام رغباته .

أما نظرية العربة فتظهر فيها عطية التوازن ، والتي يعطي فيها القيادة للعقل الذي يوازن بين القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، فلو تُركت النفس تحت رحمة القسوة الشهوانية لَدُمَّت النفس بخضوعها التام للبدن - ولو خضعت للقوة الغضبية لدُمَّت النفس ايضا ولو أعطيت القيادة للعقل لنجت النفس واستقامت وصلح امرها لان العقل هو الذي يعطي التوازن والانسجام بين القوتين الاخيرتين .

والنظريتان : أدتا الى بذور الزهد وقهر البدن والتخفف من مطالبه وشهواته وهذه من المبادئ الأولى التي تبنتها الرهبانية المسيحية .

وتتضح آراء افلاطون في فلسفة النفس والعلم من خلال ما يراه بالنسبة لمعرفة النفس ، فيذهب الى ( أن النفس لا تطلع على المعرفة بواسطة الاحساس بل تتذكر طعما الأبدى الذي كان لها قبل أن تتصل بالجسد ، لقد كانت النفس في السماء تسيطر مع الآلهة وراء مركبة جوهر ، إن العالم العقلي وظيفتها الحقيقية ، إنها لسبب ما أخرجت من تأمل المعقولات فأضاعت أجنحتها وهبطت إلى الأرض وجاورت خراب الجسد ونسيت ما كانت تعلمه من حقائق الأشياء يوم كانت في السماء فالعلم إذن هو تذكر النفس لما نسيت من الحقائق أو هو صعود من العالم المحسوس الى العالم المعقول ولا يستطيع المرء أن يرتقي من الحوادث إلى طلبها أو من الإحساس الى الصورة إلا إذا كان مؤهبا

١ - هي نظرية عقلية تذهب الى : وجود عالم مواز لوجود هذا العلم كنتيجة منطقية للمبدأ القائل : الخير والحق والجمال لا يخرج منها الا نظائرها وامثالها أي : الخير والحق والجمال . فهو يقول مثلا : ( ما من شيء في هذا العالم ، إلا وله في العالم العقلي معنى يقابله ، هو عطاء وجوده ومنبع حياته ، وأصل حركته ، وموضوع طمنا به .

فالإنسان مثلا ، والحيوان والنبات وكل ما ثبت نوعه واستقر وجوده بخلاف الامور الطارئة ، له في العالم العلوى مثال بسيط جرد عن القشور المادية والطوارئ الحسية . . . )

الوجود الالهي . . . في تاريخ المذاهب الفلسفية ( سانتلانا ) ص ٦٨

النفس بشدة الصفا . ان ادراك الحقائق الخالدة ليس بالامر السهل لان الناس تعودوا في كهف الحياة ان يذكروا الظلال ويعرضوا عن أسبابها الحقيقية ( ١ )

ويركز افلاطون اهتمامه على النفس من حيث هي قوة هائلة ينبغي الانتباه الي وظائفها ، ويحذر من ان قد يسبب في ابطال هذه الوظيفة : ( إن الجسد سجن للنفس لذلك فانه يجب على جميع الجهود أن تكون بعيدة عن السعي الى الارتفاع بواسطة العالم المحسوس أن تتجه الى التخلي عن هذا العالم ) ( ٢ )

هذا ما استطاع افلاطون أن يقدمه من آراء الى الزهاد والنسك فيما بعد والذين نهلوا هذه السبيل ووضعوها نصب أعينهم .  
الا ان الاخطاء الأكثر اثاره تلك التي تتعلق بمسألة شيوعية المال والنساء على اعتبار أن نظام الاسرة يغذي الانانية في نظره وأن الحل الوحيد لكسب ولا الناس جميعا للوطن هو تخريج جيل من الاطفال لا ينتسبون الى أب وأم معينة وانما ينتسبون الى الدولة التي تربيهم وتحدد تخصصهم وكذلك المال ملك مشاع بين الناس جميعا يمكن لاي انسان ان ياخذ منه ما يريد . وهذا بلا شك يورث الى عكس ما اراده افلاطون وهو انهيار المجتمع وشل الفوضى .

وليس في نهاية المطاف من القول إن مقولات افلاطون الفلسفية وآراءه المنطقية لم تأت من فراغ ، فالى جانب تأثيرات استاذ سقراط جاكوب الجانجب المصري الذي أضفى طمس هذه المعارف صبغة شرقية بلون صوفي . فالمعلوم والمعارف الكهنوتية المصرية أثرت الى حد بعيد في أفكار افلاطون ، فمن خلال تجواله وترحاله في طلب المعرفة ( سافر الى مصر وهو يذكرها في غير ما موضع من كتبه ولا سيما ( الجمهورية ) و ( القوانين ) ذكر من عرفها معرفة شخصية وانتهاز الفرصة فذهب الى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ودرسته هناك الى مصر ف قضى زمنا في عين شمس واتصل بـ بد رستها الكهنوتية واخذ بنصيب من الفلك ولا بد ان يكون استفاد ايضا بملاحظة الديانة والحكم والاخلاق والتقاليد فان في مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك ( ٣ )

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٢٦-٢٧

٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨٨

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٦٣ . ويلاحظ ان هذه الفلسفة التي ظهرت على يديه قد صبغت الفلسفة ( عامة ) بطابعها الخاص ووضعت لها النظام والمنهج المنطقي حتى بدت على ما هي عليه الآن ثم طادت مصر تنتفع بها في مدارس الاسكندرية وان كانت قد مزجت بالدين في صورة ما يسمى بالافلاطونية المحدثة مثلا ( دراسات فلسفية واخلاقية ص ١١٣ وقصة الحضارة ١/٣ : ٢٤٦ ط ٢ ١٩٥٧ م

واذا هذا الحشد ، فانه لا مندوحة من القول : ان ما تبناه افلاطون من مبادئ فلسفية واخلاقية ونظريات فكرية كانت مثار اعجاب الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ورجال الدين المسيحي وعلى الخصوص الذين بهرتهم الفلسفة اليونانية ، خاصة ما تعلق منها بالجانب النفسي والتأملي .

ومن أعجب بذهب افلاطون وسار عليه ، أحد ابرز رجالات هذه الوسط المسيحي وهو " اوغسطين " ، اضافة الى العديد من اباء الكنيسة (١) فقد الف اوغسطين ( كتابا اسماه مدينة الله مستوحيا منه فلسفة افلاطون . ( ٢ )

وسيتضح فيما بعد مدى الاثر الذي تركته الفلسفة اليونانية على الفكر الديني المسيحي ، وسنرى مدى التزام الرهبانية بهذا الفكر ، وتطبيقها العملي له .

---

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٣١

٢ - : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية . لويس غريديه . ج . قنواتي

ت : د . الشيخ صبحي الصالح والأب فريد جبر ، دار العلم للملايين ، بيروت

ط ٢ ، ١٩٧٨ .

المسألة السادسة :

الاسم المقدس  
الرهينة اليهودية  
والسر طيه

### التمهيد :

شغلت الاساط العلمية المختصة بالاثار والتاريخ في اواسط هذا القرن بثلاثة اساط لفرقة يهودية تهنت مبدأ الرهينة في نظامها وهذه الاساط هي : الاسينيون - الحسيديون - جماعة وادي قمران .

ومن الغريب حقا أن تقوم في الوسط اليهودي الديني فرقة تتنادى بالرهينة و تلتزم التزاما كاملا بالعبادى\* التقشفية والنسكية ، كاي نحلة سابقة عليها مارست الزهد والتبتل . والغريبة تكمن في كيفية اكتشاف هذه الفرقة والملابسات التي رافقت هذا الكشف ، اضافة الى تلك التطورات التي اصبحت عليها البحث والتنقيب ، وما نجم عنها من اراء متباينة بين طام\* التاريخ والاثار ومقارنة الاديان .

ومن خلال الفصول القادمة سوف نستعرض جميع هذه التطورات لنصل الى الاسس العقدية لهذه الفرقة والعبادى\* التي نادى بها وهبطت من اجلها .

### بدايات الكشف :

يتفق العلط\* والمؤرخون على وجود فرقة يهودية قديمة مارست عبادى\* الرهينة والتقشف في نظام حياتها ، ثم ما لبثت ان انقرضت فبط بحد ، ومع هذا الاتفاق هناك خلاف حول تحديد تاريخ نشأة هذه الفرقة والعصر الذى وجدت فيه ، الى جانب الخلاف حول تحديد اسم هذه الفرقة على وجه القطع . ولهذا نجد هذه التسميات الثلاث تتروك في ابحاث العلط\* كل حسب اجتهاده . ولا بد من الاعتراف بان هذه الفرقة لم تكن محط انظار العلماء على الاقل قبل عام ١٩٤٧ م ، لان هذا الكشف يعتبر بالنسبة اليهم اهم اكتشاف في مجال مقارنة الاديان في العصر الحديث ، حيث تم التعرف على بعض خبايا التاريخ القديم والذي يعود الى ما قبل الميلاد بحوالي قرن أو قرنين على خلاف بين العلط\* .

ويرجع إلهتلم العلماء بهذا الاكتشاف الى تلك المخطوطات التي  
عثر عليها عام ١٩٤٧م - ١٣٦٦هـ قرب البحر الميت جنوبي أريحا في وادي قمران  
حيث توالت الفرق العلمية والاثريّة للبحث والتنقيب عن اثار تلك المنطقة القديمة .  
وتعود القصة إلى أن شابا ( في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة  
عرب التعاونية واسمه ( محمد الذهب ) قد اشتهر اسمه بعد مرور عامين من عثوره  
على المخطوطات عندما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وهنا طلى كلامه تبين  
انه وجد المخطوطات في شهر شباط عام ١٩٤٧ م ( فبينما كان ) يرمي قطيعا  
من الاغنام في الصفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب  
ولما افتقد احدي معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت  
داخل كهف فرماها بحجر ليردها ولكنه سمع تكسيرا وانى فخارية فانار هذا  
الصوت فضله ونادى رفيقا له فهبطا الى الكهف حيث وجدا المخطوطات هناك ( ١ )

وقد تعددت الروايات المتناظرة حول وصول هذه المخطوطات الى علماء  
الاثار ، ولى اثر ما تم اكتشافه قامت بعثات وهيئات علمية ودولية بالبحث والتنقيب  
حول تلك المسافرات ومن ثم امتدت الاكتشافات الى خربة قمران والتي كانت  
في السابق معسكرا للقمرانيين اصحاب هذه المخطوطات ( ٢ ) .

ولم تغل هذه الروايات من روح الاثارة والتشويق لكثرة ما رافقها  
من عطيات فحصى وتتبع وعرض من قبل العلماء لتحديد تأريخها والتعرف على محتوياتها  
كما لم تغل من جرائم السرقة الفردية التي تعرضت لها تلك المخطوطات خاصة  
على يد المطران صوفيل ( ٣ ) وما تبعها من جرائم اغتصاب على يد سلطات  
الاحتلال الصهيوني بعد دخولها القدس عام ١٩٦٧ م .

ومتوالي الاكتشافات اخذت المراجع العلمية الغربية تكثف ابحاثها  
في تلك المنطقة وتكشف في كل مرة كهوفا ومغارات تحتوى ادراجا نحاسية وجرارا  
خزفية تتضمن اعدادا كبيرة من المخطوطات باللغة العبرية والتي اختلف العلماء  
بداية في تحديد زمن تأريخها ( ٤ ) .

١ - مخطوطات البحر الميت ، محمود العايدى ص ٥٤ ، جمعية عمال المطابع  
التعاونية ، عمان ، ١٩٦٢ ، راجع في هذا الصدد : التوراة بين الوثنية والتوحيد  
سهيل ديب ، ص ٨٥ دار النفائس ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢ - راجع الفصل الاول من "مخطوطات البحر الميت" ، للعايدى .

٣ - المرجع السابق ص ٣٣٢ - ٣٥٢ وانظر ايضا : مخطوطات البحر الميت ،  
حسين عمر حطّادة ص ١١١ ، دار منارات للنشر ط ١ ، ١٩٨٢ ، عمان الاردن .

وقد اصدر هذا المطران كتابا سماه " كنز قمران ، ادراج البحر الميت " شرح  
فيه قصة تلك الادراج ، ودافع فيه عن أصله التي قام بها .

٤ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدى ص ٥٥ - ٧٠



وتكمن قيمة هذه المخطوطات لدى العلماء تبعاً لما تحتويه من أسفار للعهد القديم باللغة العبرية إلى جانب عدد كبير من المؤلفات التي كتبها جماعة وادى قرآن ، وعقب هذا الحدث اختفت أراء العلماء حول الأثر الذي يمكن أن يحدثه فيما بعد على أكثر من صعيد .

فلقد أثارت تلك المخطوطات العديد من الدوائر العلمية التي أبدى كتابها كثيراً من الآراء والتعليقات حتى بلغت الكتابة حولها آلاف المقالات ونشرت عنها عشرات الكتب ، ( ١ ) كما طرحت هذه النصوص الكثير من التساؤلات حول الضامين العلمية التي تتطوى عليها هذه المخطوطات ، ويمكن إجمالها بالآتي :

( ٢ ) - اعتبر البعض أن هذه المخطوطات مزيفة ولا تتضمن أي قيمة علمية

بينما ذهب فريق إلى أنها أصلية وتعود إلى طائفة القمانيين التي حاولت إظهار زيف الفرق اليهودية ، كالصدوقيين والغريسيين ، وكشف حقيقتهم . وأن هذه الفرق الضالة قد حرقت التوراة الأصلية ، وأن جماعة قرآن تؤمن برسول آخر الزمان الذي سيأتي وتكون علامات النبوة في جسمه ( ٣ ) .

كما اعتبر البعض أن هذه الاكتشافات ما هي إلا حل مضخم يهدف إلى النيل من الحقوق الإسلامية انطلاقاً من استغلال اليهود لهذه النصوص لصالحهم الخاصة ولا ثبات أحقيتهم بفلسطين كما يزعمون ( ٤ ) .

كما يذهب البعض الآخر إلى أن هذه المخطوطات سوف تعيد النظر في كثير من العقائد المسيحية التي يدعمها النصارى حالياً وأنها ستكون ضربة موجبة إلى أصول النصرانية الوثنية ( ٥ ) .

وهكذا البعض أنه لن يكون هناك أثر كبير في تغيير نصوص العهد القديم الحالية لشابهة تلك المخطوطات للنصوص الموجودة الآن ( ٦ ) .

١ - الموسوعة الأثرية العالمية لمجموعة من العلماء بإشراف ، ليونارد كوتيريل ، :

ت : د . محمد عبد القادر محمد ، ود . زكي أسكندر ص ٢٥٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م القاهرة ، وراجع في هذه الصدد : مخطوطات

البحر الميت ، حسين حمادة ص ٧ ، وحياة المسيح للعقاد ٢١٣/١١ ،

٢ - الموسوعة الأثرية العالمية ص ٢٥٨

٣ - محاضرة عن " مخطوطات البحر الميت ، والبحث في أصول النصرانية الأولى " القاها د . فاروق عبد الله بتاريخ ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ في جامعة الطوك عبد العزيز بجدة ، كلية الآداب والدراسات الإنسانية .

٤ - مخطوطات البحر الميت " حمادة ص ١٣٠

٥ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .

٦ - الموسوعة الأثرية العالمية ص ٢٦٠

وفي غياب غالبية النصوص المكتشفة ، ونعدها عن ايدي العلماء المسلمين المتخصصين في هذا المجال ، فان الاسئلة لا تكاد تنقطع حول هذه المخطوطات ، وملابعاتها ، خاصة اذا طعننا ان قسطا كبيرا منها لا يزال رازحا تحت الاحتلال اليهودي في القدس ، . حيث تعكف دائرة يهودية مختصة ، على دراسة محتوى المخطوطات منذ ما يزيد على ثلاثين سنة دون ان تخرج للناس الا النذر القليل من المعلومات ، ولهذا اطلق على هذه اللجنة اسم " الدائرة المسحورة " <sup>(١)</sup> وتوجد مخطوطات في الاردن هي جزء من تلك الاجزاء المكتشفة .

وحيث ان هذا الاكتشاف يعتبر بركا فانه من المؤكد مضي وقت طويل حتى يتم التوصل الى معرفة ما خفي حتى الان من امر هذه المخطوطات ومضامينها ، وما الابحاث التي سنتناولها في هذا الموضوع سوى خلاصة لما توصل اليه العلماء حتى الان ، ولا بد من الاشارة الى ان المواضيع التي سيتطرق اليها البحث لا تتعلق الا بما يهم ويتصل بالرهينة اليهودية موضوع الدراسة .

#### أ : الخلاف حول التسمية :

هناك خلاف واضح بين العلماء حول تسمية اصحاب المخطوطات المكتشفة في وادي قمران ، ويرد الخلاف يعود الى ان (المخطوطات لم تذكر اي اسم لتلك الجماعة) <sup>(٢)</sup> ولهذا يطلق البعض عليهم اسم ( القمرانيين ) ، نسبة الى الوادي الذي نزلوا فيه ، ويطلق اخرون اسم " الاسينيون " على هذه الفرقة ، لان يوسفوس <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>

- ١ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .
- ٢ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧١ ، وراجع ما جاء في هذا الخلاف في ص ٢٨٢ وما بعدها ، في نفس المصدر السابق .
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧٢
- ٤ - (لا يعلم أحد بالضبط المعنى الحقيقي لكلمة ( أسيني ) فقد تضاربت فسي شرحها الأراء ولكنها تستند الى حقيقة تاريخية أو صفة أدبية كانت تلازم جماعة الاسينيين ) راجع : " كنز قمران ، مدارج البحر الميت ، المطران اثنا سيوس يشوع صموئيل ص ٢٠٨
- ٥ : القس الفونس شوريز ، نشر تاوفيلوس جورج صليبيا ، ١٩٨٥ ، لبنان . وقد عد هذا المصدر المعاني التي يمكن ان يكون هذا الاسم قد اشتق منها . ولكنها جميعها تخمينية .
- ٥ - مؤرخ يهودي ولد سنة ٢٧ او ٣٨ م وكانت أسرته من كبار الكهنة وقد اتبع مذاهب الغربيين وسافر الى روما ، وقد كتب عن الفرق اليهودية الثلاثة ومن بينهم الاسينيون راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٤٧-٤٨ وكنز قمران ص ٢١١

المؤرخ اليهودي أرخ لفرقة يهودية وسماهم "بالاسينيين" ، وربما تكون هذه التسمية طارقة على نحلة جماعة قمران من فرقة يونانية الاصل كانت تسمى بنفس الاسم ، وانها كانت تطارس حياة الرهينة ابان العهد البطلمي <sup>(١)</sup> ، وقد اطلق على هذه الزمرة اليونانية اسم اخر هو "المتطسوسون" اى الاطباء .  
 وهنا عليه فقد اعتبر الاستاذ العقاد ان هؤلاء المتطسوسين ربما كانوا اساتذة لجماعة وادي قمران <sup>(٢)</sup> وقد استند في ذلك الى اليهودي فيل<sup>(٣)</sup>ون الذي قال : ( ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويفرقون بعد ذلك فسي الصوامع للتأمل والد راسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه الاساة أو المتطسوسون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مرسوط القديمة . <sup>(٤)</sup> .  
 والى جانب ذلك هناك من يذهب الى تسميتهم بـ "الحسيديين" <sup>(٥)</sup> اى : الاتقياء <sup>(٦)</sup> او المستحقين . وقد اعتبر البعض جماعة قمران جزءا من الحسيديين وهي فرقة محاربة كانت كبيرة العدد متشعبة الفروع <sup>(٨)</sup> ومنها اخذت تعاليمها <sup>(٩)</sup> .

- 
- ١ - راجع : اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ، د . مصطفى كمال عبد العليم ص ٢٨٨ ط ١ مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ م ومخطوطات البحر الميت "لحمادة" ص ٤١-٤٢
  - ٢ - راجع : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد المجموعة الكاملة ٢١٦/١١ دار الكتاب اللبنانية بيروت ط ١ ، ١٩٧٨ .
  - ٣ - فيلون ( ٢٠ ق م - ٦٠ م ) فيلسوف يوناني من اصل يهودي . ولد في الاسكندرية ، اطا فلسفته المستزجة بفلسفة افلاطون والتوراة فقد اشرت على الاداب المسيحية ( : كنز قمران ص ٢١٠
  - ٤ - راجع حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٦٦/١١
  - ٥ - الاسفار المقدسة السابقة للاسلام . د . طي عبد الواحد وافي ص ٥٨ وكذلك راجع : الديانات والمعتقد ، للمطار ٣٧٣/٢
  - ٦ - داهرة المعارف ، فؤاد افرام البستاني ٣٧٢/١٢
  - ٧ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤
  - ٨ - مخطوطات البحر الميت "للعابدي" ص ٢٧٢
  - ٩ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويؤكد البعض ان هذه الفرقة هي جزء من الغريسيين التي تقف في الوسط بين اليحيين اليهودي المتمثل بالمد وقيمين وبين اليسار المتمثل باصحاب يهوذا الجليلي (١)

الا انه من غير الجائز اطلاق اى من هذه التسميات على وجه السقطط وذلك لعدم توفر الادلة الاكيدة على صحة ثبوت اى اسم من التسميات السابقة ، وان الوقت لا يزال مبكرا لمعرفة الاسم الحقيقي لهذه الفرقة على الوجه العلمي الصحيح . ولكن الامر الذى يسرتاح له اطلاق لفظ جماعة وادى قمران ، وذلك لثبوت وجودهم في ذلك المكان ، او القمرانيين . كحل يبدئي (٢) واذ استعملت لفظة "الاسينيين" في هذا البحث ، فذلك وفقا لما تعارف عليه العلماء حتى الان لاطى الوجه القطعي انط من باب التجوز .

#### ب - الاماكن والاثار المكتشفة :

ظلت الاكتشافات والتنقيبات تتوالى في وادى قمران وط جاوره مدة طويلة كان ختامها عام ١٩٥٦ (٣) حيث تم اكتشاف المغارة الحادية عشرة ، والاخيرى والى جانب الاحد عشر كهفا التي اكتشفت محتوياتها تم الكشف ايضا عن كهف السربعات التي تبعد ١٥ كلم عن الاماكن المكتشفة الاولى وكذلك امكن التعرف على خربة قمران (٥) وهي التي كانت في السابق معسكرا للقمرانيين ، مارسوا فيها حياة العزلة والرهينة بعيدا عن المجتمعات اليهودية الاخرى ، كما امكن التعرف على خربة المرد (٦) ووادى الدالية (٧) .

- ١ - راجع : مخطوطات البحر الميت " للمعابدى ص ٢٨٧
- ويرى البعض ان رئيس هذه الفرقة والذي اطلق عليه اسم "استاذ الحق" انه هو السيد المسيح عليه السلام . راجع : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩٧
- الا ان صاحب هذا المرجع يذهب الى ان ذلك من باب الافتراض فقط دون الجزم وذلك لاختلاف التاريخ بين "استاذ الحق" وبين المسيح عليه السلام . راجع ص ٩٠ منه
- ٢ - وقد ذهب الى هذا الراى د . فاروق عمر عبد الله في محاضراته عن هذا الموضوع
- ٣ - انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٨٦
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للمعابدى " ص ١١١
- ٥ - المرجع السابق ص ١٢٥
- ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٠
- ٧ - مخطوطات البحر الميت " لحطاة " ص ٢٢

وجميع هذه الاكثة عشر فيها على اثار عمينة تراوحت بين جرار خزفية كانت تحتوى على تلك المخطوطات المشار اليها ، والى جانب ذلك عشر على قطع نقدية معدنية بلغت حوالي ٥٠٠ قطعة أدت الباحثين ببعض التواريخ التي يمكن ان تعود اليها أزمنة تلك المخطوطات أو زمن وجود جماعة وادى قمران ، وهذه القطع لها تتابع زمني متصل تقريبا لحوالي ٢٠٠ سنة ويصل تاريخ ثلاث منها الى عهد الملك هيرودس (٢)

### ج - المخطوطات المكتشفة :

المخطوطات المكتشفة هي بلغات متعددة منها العبرية القديمة المعروفة باسم ( Paleo HEBREW ) وعبرية أحدث واليونانية والارامية والنبطية . (٣)

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

- قسم يختص بأسفار العهد القديم

- وقسم يختص بكتب جماعة وادى قمران نفسها ألغها طائفتهم وروماؤهم أما القسم الاول :

- فقد إشتل على الاسفار التالية : سفر اشعيا ، وضم اكبر وا قدم مخطوط بها في ذلك الجزء الموجود في الجامعة العبرية (٤)
- سفر تثنية الاشرع - نص لسفر ايوب بالارامية (٦)
- مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة . (٧)
- تفسير لسفر حبقوق والتعليق عليه . (٨)
- سفر لا ملك - كتاب ( أو سفر ) اللاويين (١١)
- ومن هذه الاسفار ايضا " ميخا ، ونحوم ، ودانيال وطاموس والخروج وصوفيل ، وهذه الاربعة الاخيرة هي مقاطع منسوخة فقط . (١٢)

- ١ - انظر : العرب واليهود في التاريخ . د . أحمد سوسة ص ٢٧٧ ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، ١٩٧٥ .
- ٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨ ، الا أن البستاني يوصل هذه القطع الى خمسمائة وخمسين قطعة ، سكتها مدينة صور الفينيقية في منتصف القرن الثاني فالقرن الاول قبل الميلاد وكانت قد دغست في جرار ثلاث بعضها من البرونز يحمل اسم يوحنا هركانس الاول ابن سمعان واسم ابنه الاسكندر ابن يوناثان والقليل جا باسم هركانس الثاني وهيرودس الاكبر وقد ابرز المصدر نفسه بعض الصور لهذه النقود راجع : دائرة فؤاد البستاني ٢٧٨/١٢
- ٣ - التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديسب . ص ٨٢
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٧١
- ٥ - الموسوعة الاثرية العالمية ٢٥٩ ٦ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧
- ٧ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدي ص ٧١ ٨ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢
- ٩ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٧١ ١٠ - المرجع السابق ص ٨٠
- ١١ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧ ١٢ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢

ويذهب البعض الى القول انه بالاستطاعة جمع /توراة كاطلة من مخلفات هذه الكهوف باستتاء سفر استير وميزتها انها وردت بلغتها الاصلية مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا وانها اقدم منها بالف سنة (١) .

كما ان هذه الكتب تحيد القراءة السبعينية اكثر من القراءة الطسورية (٢) ( MASSORITIC ) (٣)

ولا شك ان هناك مهالفة في هذا الموضوع ، طم بان هذه السائل بحاجة الى وقت " ان لا تزال اطم الباحثون كمية هائلة من العمل لوصول القطع بعضها ببعض وترجمة نصوصها الصعبة (٤) وهذه العملية بحاجة الى جهود كبيرة اضافة الى الامكانيات الضخمة . (٥) .

اما القسم الاخر من هذه المخطوطات فهو يشتمل على كتب خاصة بجماعة وادي قمران واهمها :

- قانون الجماعة (٦) او كتاب النظام - الشواهد (٧)
- وثيقة دمشق (٨) - التقويم (٩)
- قانون الاخلاق (١٠) - الابراج (١١)
- الترانيم (١٢) - كتب التفسير (١٣)
- الطحمة او " قانون الحرب او حرب ابنا النور وابنا الظلام (١٤)
- جدول الكنوز . (١٥)

- 
- ١ - مخطوطات المعابد ص ١٣٦ والموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
  - ٢ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩ والقراءة السبعينية قد اشتهرت "بالترجمة السبعينية" ( VERSION de SEPTANTE ) وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢-٢٨٣ ق م على أيدي اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر بأم بطليموس فيلادلف . راجع الاسفار المقدسة ، د . الوافي ص ١٨ وراجع كذلك : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٣
  - ٣ - نصوص الاسفار السورة ( او الطسورية ) اي المخطوطة بالشكل العبري المعروف راجع ، مخطوطات البحر الميت " لمطبعة " ص ٣٦ ، وللمزيد يراجع : مخطوطات البحر الميت " للمعابد ص ٧٠ و ٢٢٠ وطبعها .
  - ٤ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
  - ٥ - طم بان كثيراً من القطع هذه ليس من السهل وصلها ، وربط بحاجة الى الاتفاضة لهذا العمل .
  - ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١ ومخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٧١
  - ٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١
  - ٨ - // المرجع السابق . ٩ - المرجع السابق
  - ١٠ - المرجع السابق ١١ - المرجع السابق
  - ١٢ - المرجع السابق ١٣ - المرجع السابق ومخطوطات " للمعابد ص ٧١
  - ١٤ - المرجع السابق ومخطوطات " للمعابد ص ٧١
  - ١٥ - المرجع السابق ٣٧٠/١٢ - ٣٧١

د - محاولات للتعرف على تاريخ القمranيين وهويتهم :

حاول العديد من طما<sup>١</sup> مقارنة الاديان استقرا<sup>٢</sup> تاريخ فلسطين القديم ومراجعة النصوص الواردة في المخطوطات التابعة للقمranيين وذلك لمقابلتها بالاحداث التي جرت ايان تلك الحقب ، ومن ثم البحث عن ابرز الشخصيات التي دارت حولها تلك النصوص ، تمهيدا للتعرف على الزمن الحقيقي لنشأة هذه الفرقة وأسباب وجودها بين اليهود .

ويلاحظ أن كتابات الباحثين في هذا الصدد قد أصيبت بالحييرة والاضطراب لصعوبة الخوض في هذا الموضوع الشائك ، وتكمن الحييرة في الالتباس الحاصل في تحديد الفترة الزمنية لوجود هذه الجماعة ، إذ أن الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ما فتئت تتواصل إبان تلك العصور ، وقد انعكست سلبا على أوضاع القمranيين ، مما تسبب في ضياع الكثير من أخبارهم وتواريخهم الخاصة بهم .

يضاف إلى ذلك أن النصوص لم توضح تاريخ الأحداث التي مربها<sup>٣</sup> القمranيون ، كما ظلت اسما<sup>٤</sup> الشخصيات البارزة فيهم والتي تصدرت الرئاسة أو الرئاسة .

وقد ازدادت الحييرة حينما أوردت هذه النصوص عبارات وإشارات عامة غير محددة من الممكن جداً إلحاقها بأي عصر من العصور التي وجد فيها اليهود في الماضي ، كما أن الشخصيات الواردة ذكرها توافق العديد من أوصاف كثير من الحكام الذين تولوا زمام السلطة في فلسطين القديمة قبل الميلاد .

وكما هو معروف فإن الحكام اليونانيين والرومانيين قد تتابعوا على حكم هذه المنطقة ، وأنهم كانوا ينسبون عنهم حكما وكهانا محليين لإدارة شئون النفوذ .

ومن أمثلة ما أوردته نصوص المخطوطات من اسما<sup>٥</sup> ، مثلا : اسم

" معلم الصدق " أو " معلم العدل " وكذلك اسم " معلم الكذب "

أو " الكاهن الكاذب " أو " الكاهن الراسع "

لقد حاول بعض العلماء اطلاق الصفات الخاصة بمعلم الكذب على الكاهن اليهودي "يشوع طوبيا" الذي سمي نفسه "ياسون" (٢) وقد عين من قبل خليفة الاسكندر انتيوخس (٣) الذي جرت في عهده مذابح واضطرابات عنيفة خلفت وراءها الاف القتلى من اليهود ، وكان ذلك في سنة ١٧٠ ق م . (٤)

وهذا الرأي يستند الى ما جاء في المخطوط السامي بشرح حيقوق حيث ورد فيه بعض صفات هذا الكاهن وذلك على النحو التالي ( لقد امتلاء بالفضيحة بدل المجد - ) اي ان كاهن الشر لم يظهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفئ ظمأه ... وفي نص اخر: ( يمتص دم المدينة ) (٥) ...

وهناك من يرى ان كاهن الشر كان يعيش حياة فاسقة ويغفك على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية ( وكأس يمين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغمس مجد هم ) (٦) . ويورد هذا المصدر ما يفيد ان الاوصاف والاشارات هذه تتشابه الى حد كبير مع عهد آخر وشخصيات مختلفة . ومن ذلك ان الكاهن الشرير يمكن الاستدلال عليه من اوصاف سيحس الذي عين كاهنا على اليهود من قبل انتيوخس الخامس ولد انتيوخس الاول وان سيحس هذا انقلب على الحسيب المتسكين بالدين واضطهدهم وقتل ستين رجلا منهم وسلب كنوز الهيكل ولم يبال باصوات الاستنكار اليهودي لانه كان مدعوما من القائد السوري بكداش ، وظهر هنا ان بيت طوبيا قد انتقموا من الحسيب الذين انسحبوا من الثورة السكابية فجاء بكداش القائد الى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدم واسكنها رعية بالباطل . وهنا

١ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ، ص ١٨٢

٢ - هو كاهن يهودي وهو ابن سيمان الثاني ( ١٧٥-١٧١ ق م ) استغل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود ( ٢ طوك ٤: ٢٦-٢٧ ) ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٥ .

٣ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ، ص ١٨٢-١٨٣

٤ - راجع مختصر تاريخ سوريا ، الطران يوسف الدبس ١٤٢/١-١٤٣ ط ٢ ١٩٨٤ بيروت .

٥ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ، ص ١٨٠

٦ - المصدر السابق .



قال بعض العلماء ان سيمس هو الكاهن الشرير وان بكداش هو داعية (١)  
الكذب (٢). كما يذهب نفس المصدر أن الكاهن الشرير تنطبق أوصافه أيضا على اسكندر  
هركانوس الحكابي لأن هذا الأخير قد أذاق شعبه الهلات (٣). وعلى هذا السؤال  
يعرض نفس المصدر عدة شخصيات من نهاية العصر اليوناني الى بداية العصر الروماني  
مرشحة ومؤهلة لقبول أوصاف الكاهن الشرير ، ولكن دون الاستطاعة من تحديد زمن  
أو اسم هذه الشخصية على وجه القطع للتشابه الحاصل (٤).

وفي المقابل فإن أوصاف معلم الحق أو معلم العدل أيضا عامة لا يمكن  
القطع بأي من الشخصيات هي صاحبة الزطمة او الرئاسة بين القمرانيين ، طط بان هناك  
من يذهب الى القول بان هذه الصفات تنطبق على المسيح عليه السلام (٥) ، والذي يسميه  
الابيونيون (نبي الحق) (٦). ولهذا فان غير ما يقال في هذه الصدور (ان كل ما  
بأيدينا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومان قليل غير موثوق به حتى يمكن  
ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به) (٧).

وعلى الرغم من وضوح العبارة وط ترس اليه من صعوبة الا ان بعض  
الباحثين حشد جميع جهود العلمية والتاريخية والدينية لاثبات ان صفات الكاهن  
الشرير او كما اسماه (الكاهن الرابع) أي الكاذب تتحقق في شخصية يونان افسوس  
(١٦٠-١٤٢) (٨) ويحاول باحث اخر تحديد عهده بسنة ٥٠٠ ق.م (٩).  
(١٠)

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ١٨٠
- ٢ - المرجع السابق ، وراجع اعمال القائد بكداش في مختصر تاريخ سوريا ، للدهس  
١٥١/١ الذي اورد به باسم بكديس .
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ١٨٣
- ٤ - لاحظ الصفحات ١٨٤-١٨٥ من المصدر السابق .
- ٥ - المصدر السابق ص ١٨٦
- ٦ - المصدر السابق
- ٧ - المصدر السابق
- ٨ - راجع دائرة فو ١٢ البستاني ٢٧٥/١٢
- ٩ - راجع ترجمته في قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٥
- ١٠ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٣ دار الطليعة بيروت  
ط ١٩٧٩ م .

ويستند البستاني الى عبارات من النصوص المكتشفة والتابعة للقرانيين خاصة ما جاء في تفسير حيقوق ووثيقة دمشق حيث ورد فيه ما يلي : هو الذي عرف نسي اول عهد ، بالاطانة والوفاء ولكنه ان حكم اسرائيل زاغ قلبه وتكبر وترك الرب ، وعصى الناموس بسبب امواله ، فقد نهب وجمع اموال ذوي العنف الذين تمردوا على الرب كما استولى ايضا على اموال الشعب (١) .

وما جاء في التفسير ايضا ( الكفر والجشع والتسلط تلك هي وجه الرئيسة انما يفوقها الكذب فهو الذي يقطر كذبا ، الذي افسد جمعا كثيرا ، ان بنى بالدم مدينة الباطل واقام جماعة بالكذب (٢) .

وكذلك قوله ( وما انه جاء على معلم الصدق واتباعه اسلمه الرب في ايدي اعدائه فاذلوه وأوقعوه في انواع الشقاء ، حتى أنهى حياته مريه النفس لانه عامل بالشر أوليا الله ) (٣) .

ويستدل البستاني على معلم الصدق بالاصاف التالية والاشارات التي وردت منسوبة الى المعلم نفسه ( حيث جاء في كتاب الترانيم المخطوط : ( اقسمت الا ارتكب خطيئة في وجهك ولا اقترف اثما امامك ، وهكذا ادخلت في لغة اعضاء جعاعي ) (٤) .

وما جاء ايضا ( اشكرك يا رب لانك آثرتني واظهرت لي عهدك . . . لقد انرت بواسطتي الكثيرين واظهرت قوتك التي لا قياس لها ، وعرفتني الى اسرارك التي لا نفاذ لها واردت ان تتمجد بي في تدابيرك التي لا ادراك لها ) (٥) .

ومنا على ما تقدم قام البستاني بتقسيم المراحل التي مرت بالقرانيين وارجع الحوادث الى تواريخها وشخصياتها التي لعبت على مسرح الاحداث وفسق تفاسيره الخاصة واستنتاجاته (٦) .

١ - من تفسير حيقوق ٨/٨-١٣ ، راجع دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٧٤

٢ - // ١٣-٩/١٠ // //

٣ - // ١٢-٩/٩ // //

٤ - الترانيم ١٤-١٧/١٩ // //

٥ - // ٥٧-٣٠-٢٧/٤ // //

٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٧٤

وإزاء هذا الاختلاف بين العلق حول تحديد الأزمنة والشخصيات التي وجدت في عهد القمريين ، هناك في المقابل رأى قابل للاخذ والرد والمتشكك بطرح جديد لم يسبق صاحبه اليه من قبل .

فقد كشفت محاضرة د . فاروق عمر عبد الله \* أن هذه الجماعة أسست معسكرها في وادي قمران فيما يبدو من دراسة الآثار ما بين سنة ١٤٠ إلى سنة ١٢٥ ق م . واستمرت الجماعة فيه حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الاول ، أي حوالي سنة ٦٨ الميلادية بمعنى قبل تدوير الهيكل الثاني بعنتين ، ولعل بقية منهم أو من غيرهم عادت اليه واقامت فيه حتى سنة ١٣٥ ميلادية أيام ثورة اليهود الأخيرة على الحكم الرومان الوثنيين التي كانت عاقبتها القتل التام واجلاء بقية اليهود من القدس وفلسطين وطمس آثار اليهودية فيها واعادت تسمية القدس من قبل الرومان الوثنيين الى ايليا كابيتولينا ، التسمية التي بقيت معها حتى الفتح الاسلامي العظيم وهو المذكور ايضا اي ايليا في كتب التفسير .

ويبدو ان الرومان هدموا المعسكر وأحرقوه ، وتدل على ذلك علامات الحريق الكبير على بعض آثار الساني ووجود بعض نعال سهام الرومان في انقاض المعسكر .

وقد زعم بعض الباحثين بان جماعة النصارى الاولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب المعدل ويطرس ويوحنا والتي انضم اليها غيرهم من الحواريين منذ رفع المسيح الى حوالي سنة ٦٤ م . اي ست سنوات قبل تدوير الهيكل الثاني ، كانوا هم ايضا على صلة قوية بجماعة وادي قمران والتشابه بينهما كبير والنظام الجماعي فيما يبدو نفس النظام والاسماء والاصطلاحات المستخدمة نفسها .

وأشار بعض الباحثين الى التشابه بين يعقوب المعدل نفسه امام النصارى الاول بعد رفع المسيح حسب ما يقول المؤلفون المسيحيون القدماء والمعلم أو الهادى المعدل المذكور في المخطوطات فان يعقوب المعدل ( كان ايضا من طوائف بني اسرائيل معروفا بعدالته وتسكبه بالشرع وامنته على التفسير والفتوى واخلاصه في القول والعمل واجتهاداته بالعبادات وتسمى كذلك بالمعدل .

وان المؤرخ النصراني القديم هيفيسوبيوس يصف يعقوب المعدل ببعض السمات في اللباس والعادات التي اتصفت بها طائفة الاساوة والاسانيين الكتابية التي يزعم معظم الباحثين انهم الطائفة التي كانت في وادي قمران . ( ١ ) .

---

١ - هذا ما اشارت اليه المحاضرة ، طط بانها سجلت على شرائط تسجيل صوتي . ولم تنشر الى الان .

وطيه فان الحصيله التي يمكن الخروج منها بعد استعراض الاراء مجتمعة هي ان علماء مقارنة الاديان لم يتفقوا اتفاقا تاما على زمن نشوء هذه الفرقة وانتشارها (١) وان الراى الذى يرتاح له حول تاريخ النشوء هو ما ذهب اليه د. فاروق عمر عبد الله الموافق الى حد ما ما ذهب اليه البستاني في دافتره .

---

١ - علماء بان المعلومات الواردة في محاضراته قد استقاها من ثلاثة مصادر

غريبه هي :

- the DEAD SEE SCROLLS. theodor. GASTER.
- the DEAD SEE SCROLLS. in. ENGLISH. VERMES.
- the CRICIBLE OF CHRI'shianity - Ed. Toymbes.

## الفصل الاول

الحاليتين السياسية والدينية في عهد اليونان والرومان

قبل التعرف على الاسس الدينية والمقدنية لرهينة جماعة وادي قمران  
يحسن ايجاز الكلام عن الحالة السياسية والدينية التي رافقت نشأة تلك الفرقة ، للوقوف  
على بعض الظروف التي اسهمت الى حد كبير في بزوغ هذه النحلة .

### اولا : في عهد اليونان

لم يعرف اليهود في فلسطين حياة الاستقرار والهدوء لكثرة الفتن  
الداخلية من جهة فيما بينهم ، والحروب الخارجية التي اجتاحت الاقاليم الخاضعة  
للفنود اليوناني ، اضافة للنزاع الحاد الذي قام بين خلفاء الاسكندر المقدوني ( ٣٣٢  
ق م ) الذي نشب بسبب اطاع كل فريق بما لدى الاخر من تركة هذا الاخير ( ١ )

وقد انعكس هذا الصراع سلبا على اوضاع اليهود السياسية والدينية  
والاقتصادية على السواء ، وقد كانت فلسطين من ضمن المناطق التي حكمها اليونان  
وكانت مطسقة بسوريا .

والدارس لهذه الحقبة من التاريخ يرى اليهود متأرجحين بين سندان  
السلوقيين حكام سوريا وبين مطرقة البطالمة حكام مصر ( ٢ )

كما ان احلك الاوضاع السياسية وغيرها بالنسبة لليهود كانت على عهد  
انطيوخوس الرابع السلوقي ( ١٧٥-١٦٤ ق م ) . ان ضغط هذا الاخير على اليهود  
ليتركوا تقاليدهم وآدابهم وانذركل من يخالف امره باشد العقوبة ، ووضع لهم حكما  
عرفوا بشدة بغضهم لليهود فادى ذلك الى ثورتهم بقيادة العاطلة المكابية عام ١٦٧ ق م .

وقبل اندلاع الثورة بقليل كان اليونان قد تمكنوا من جذب زعما وكهانا  
يهود الى صفوفهم ، فتم لهم بواسطتهم تأسيس حزب ليوقف في صفهم ، وقد اقام هؤلاء  
الزعما ( مدرسة وثنية في المدينة المقدسة ( القدس ) ( مكابيين ) فهددوا ( ١٢ ) .  
وتزلفوا الى انطيوخوس ( انطيوخوس ) ترويجا لطامعهم وكان من هؤلاء رجل اسمه  
يشوع فبدله بياسون وهو أخو أونيا رئيس الاحبار سولت له نفسه ان يأخذ الرياسة من أخيه  
فوه انطيوخوس ببلع جسيم من المال فقلده الرقاصة ( ٤ )

- ١ - بلادنا فلسطين ، مصطفى مراد الدباغ ، ص ٥٩٥/١ - ٥٩٦ منشورات دار الطليعة  
بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م وانظر : الشخصية الاسرائيلية ، د . حسن ظا  
ص ٦٧ . دار القلم دمشق ط ١ - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م
- ٢ - الموسوعة الفلسطينية ، العميد عبد الرزاق محمد الاسود ١٣-١٤ ، دار العربية  
للموسوعات ط ١٩٧٨ ٣ - بلادنا فلسطين ٥٩٩/١
- ٤ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

وفي هذه الفترة نرى صراعا عنيفا يدور بين زعماء اليهود وكهانههم للوصول الى رئاسة الكهنوت وهو المنصب الديني الذي يخول صاحبه التحكم في رقاب الناس ، وقد استعمل هؤلاء الكهنة شتى اساليب السرقة والنهب والرشوة للوصول الى مناصبهم .

وقد تمكن ياسون المذكور انفا في نهاية المطاف من مهاجمة " اورشليم " القدس بالف رجل . . . واخذ يذبح اهل وطنه بلاشفقة ولكن تقوى طيه الجمهور فزحف السي اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م ( مكاف ٤ عدد ٧ ) .<sup>(١)</sup>

كما قامت بعدها عدة حوادث عنف ذهب خلالها الكثير من اليهود ، والتي تبعها ثورة اليهود بقيادة متياس الحشموني ( او متتيا المكابي ) سنة ١٦٦ ق م . الذي استطاع شن حملات ناجحة ضد اليونان وتمكن من هزيمتهم وقد وقع المكابيون معاهدة سلام مع اليونانيين عام ١٤٣ ق م .<sup>(٢)</sup>

تولى الحكم في عام ( ١٦٠-١٤٢ ق م ) يونانان الذي يعتقد بعض العلماء انه هو المقصود ( بالكاهن التاسع الكاذب ) الذي هذب معلم الحق او معلم الصدق في عهد يونانان تسم اضطهاد جماعة وادي قمران وعلى يد هذا الكاهن . فقد كان ( صاحب ثروة طائلة جمعها من اسلاب الحرب ومصادرة الارزاق ، والاموال . . وقد اغتته الغزوات في مدينتها والبقاع وعدد من المقاطعات واسلاب اليهود المتمردين ، وخصه الطك ( ديمتريوس ببعض الامتيازات . . . ولما ظهر الاسكندر بالاس في بطلطيس ( هكا ) سنة ١٥٣ ق م . بناوى ديمتريوس استمال يونانان ونصبه رئيس كهنة سنة ١٥٢ ق م ثم اقامه حاكما عسكريا واداريا على اليهودية وبعد وفاة بالاس نشط قائده تريفون واطن طكا انطيوخوس السادس بن بالاس ( ١٤٥-١٤٢ ق م ، فزايست هذا الاخير وعين يونانان حاكما على سورية ، ليستعدى المكابيين على منافسة هرش انطاكية ، وهو ديمتريوس الثاني ١٤٥-١٣٨ ق م .<sup>(٣)</sup>

هذه المراحل جعلت يونانان يتحول من زعيم الى متزلف لارباب السلطة السلوقية المتداعية ، لايهمه منها سوى الحفاظ على مركز مرموق فيها ، مما اثار نقمته بعض الكهنة " وابناء التقى " فتحولوا عنه ، ملتحقين بمعلم الصدق الذي نادى بقطع علاقاته مع الجاحدين والطارقين وخونة القضاة . . . . . منعزلين في قمران وربما في بر الشام " مدشنيين " منذ تلك الايام نوط من العصيان المدني وتنبه يونانان

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

٢ - موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية د . عبد الوهاب محمد السيرى ص ٣٧ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ١٩٧٤ م مصر .

٣ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٧٥

الى مغبة تلك المقاومة السلبية ، فزار قمران محاولا التخفيف من ضغط الجعاعة ، وتوخيا استمالتهم الى موقفه فلم يفلح ، اذ " ان الرب " حفظ اولياؤه المختارين ومعلمهم ودفع عدوهم الى يد تريغون ، الذي طمع بدوره بالطوك ، فاغتال صنيعته انطيوخوس السادس واحتال على يوناتان فقص عليه في عكا وعاد به الى انطاكية ، حيث أذاقه مر العذاب ، أملاً في إرغام أخيه سمعان طسي ( ١٤٣-١٣٤ م ق م ) على الانضمام الى معسكره وكان سمعان قد انتقل الى مساعدة ديمتريوس الثاني واذ فشلت خطة تريغون أروى نغمته فأهدم أسيره يوناتان سنة ١٤٢ ق م ( ١ ) .

وتعتبر الفترة الممتدة ما بين ١٠٠ م ق م ( ١٤٣ ق م ) الى ٨٦ م ق م من اسوأ الفترات التي شهدتها فلسطين ، وقد حدد المؤرخون المثلث الكبيرة التي اتصفت بها هذه الفترة خاصة في عهد هركانوس الخامس ( ١٣٥-١٠٤ ق م ) الذي اجبر الاديبيين سكان جنوبي الكرمل على التهود بالبطش والقهر .

كما ان ارسطوبولس الاول بن هركانوس ( ١٠٤-١٠٣ ق م ) على الرغم من قصر طوكه الا انه كان مطوياً بالجرائم الكبيرة فترك أمه تموت جوعاً في السجن ومن حسده قتل احب اخوته اليه ، وسجن الآخرين ، وافطع جرائمه ارغامه هو واخوه اسكندر من بعده سكان الجليل العرب ( الايطوريين ) . بعد ان ضم بلادهم الى طوكه على التهود واعتناق اليهودية بعد السيف .

قال المؤرخ ( توينبي ) *toymbe* " إن أقدم حداث تاريخي معروف من حوادث التعصب الديني هو قيام اليهود المكابيين بقيادة اسكندر جينوس باكراء سكان الجليل من غير اليهود على اعتناق اليهودية وذلك في الربع الاول من القرن الاول قبل الميلاد ( ٢ ) .

ومن المثلث ايضا في حكم المكابيين ما نقله الطرمان يوسف الديس عن يوسيفوس المؤرخ قوله ( ان الشعب مقت الطوك اسكندر ودخل الهيكل في عيد المظال ) فآخذوا برشقونه بشمار الليمون على راسه ويقذفونه بالشتائم فخرج عليهم بحرسه فقتل منهم ستة الاف رجل وآخذ لنفسه حرساً من الاجانب سنة ٩٥ وطمأ أخذ ثورة

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٥/١٢

٢ - " بلادنا فلسطين ، للدباغ ٦٠٠/١ "

٣ - بالعبرية عيد " السوكوت " ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرى اليهودي ( أكتوبر ) ومدته سبعة ايام ومناسبتة " التاريخية " هي احيا ذكرى خيمة الشعب التي آوت ابنا اسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بايام التيه .

، : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٧

اليهود اقبل على محاربة الا جانب فانتصر على جنود ملك العرب وذلل المؤابيين وغيرهم وافترض الجزية عليهم وكمن له اعداؤه في مضيق وزحمة قطار من الابل فلم ينج الا بشق النفس وقتل كثيرون من رجاله وجراً صابه العرب والمؤابيين على محاربتهم فحاربوه ست سنين وقتل من الفريقين نحو خمسين الفا وفتح مدينة كان العصاة تحصنوا بها وقبض على ثلثي مائة رجل اتى بهم الى اورشليم فسقطهم سنة ٨٦ ق م ولدى تشاغل ملوك سورية بالحرب بعضهم مع البعض افتتح مدنا اخرى وطرد الى اورشليم وعكف على الملان ومعاقرة الخمر فاصيب بحمى الربيع ومات سنة ٧٩ (١)

وهكذا تمثل هذه الفترة التي حكم فيها اليهود المكابيون صورة دمية وحالة من الفوضى السياسية التي خلقت الكثير من الآسي والويلات في فلسطين . كما تعطي انطباعات واقعية عن الفطرسية اليهودية التي اتسم بها اولئك الحكام اليهود الذين تذرعوا بالكهنوت ليحكموا بالحديد والنار ، كما بينت لنا هذه الحقبة ايضا مدى تكالب هؤلاء الزعماء على السلطة وعدم تورعهم عن ارتكاب الجرائم الخلقية والسياسية للوصول الى اطماعهم .

ولهذا لا نستغرب مطلقا سرعة زوال هذا الحكم الذي دام ٢٩ سنة (٢) وهذه النزاعات التي عصفت بالمجتمع الداخلي كان لها اكبر الاثر في تقويض الاستقلال المزعوم الذي تمكن المكابيون من انتزاعه لفترة جد قصيرة ، ورغم ذلك فانه لم يمدد طويلا لقلة عددهم وضعفهم الداخلي الناشئ عن انشقاتهم وانقساماتهم ، وخصوصا بعد ان شرع الرومان في توسيع سلطتهم وسط ظلهم على البلاد والاقطار فكان ذلك ملاما على زوال الاستقلال المزعوم . (٣)

وهكذا نرى ايضا كيف كانت حالة القمانيين ابان تلك العهد ومن غير الممكن ان تستقر اى فرقة طرقت تعيش في وسط هذه اللجج المستعرة .

---

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٧٢/١-١٧٣

٢ - الموسوعة الفلسطينية ، عبد الرزاق الاسود ، ١٣-١٤

٣ - بلادنا فلسطين ، الدباغ ، ١/٦٠٠



## ثانيا - في عهد الرومان

ظهرت روما على المسرح الدولي كأقوى منازع للامبراطورية اليونانية المتداعية ، التي سرعان ما تقوضت دعائمها امام الزحف الروماني الذي كلف حروبا طاحنة مكنت الرومان من التغلب على النفوذ اليوناني بشكل تام .

وفي الشرق استطاع الرومان التغلب على السلوقيين في سوريا وأصبحت فلسطين تحت حكمهم . ففي سنة ٦٤ ق م . احتل القائد الروماني ( بومبي ) سوريا وضمها الى روم وفي السنة التالية ( ٦٣ ) ق م دخل اورشليم واخضعها لحاكم سوريا الروماني .

ولم يكن اليهود في هذا العهد احسن حالا مما كانوا عليه في عهد الافريق وكانوا بين مد وجزر على قدر حدة الصراعات التي تنشب بين الزعماء الرومان على الحكم .

ففي عهد الامبراطور ( قيصر ) تمتع اليهود بحرية اقامة الشعائر الدينية وحكم ذاتي ( ٤٣-٤٩ ق م ) و لم اغتيل قيصر سنة ٤٤ ق م حكم ( اوكتافيان ) ( وانطونيوس ) اورشليم وهنا حاكم على ( يهوذا ) والجليل المدعو ( هيرودس ) (١) وذلك سنة ٣٩ ق م وهو الذي قضى على المكابيين وازال حكمهم (٢) وفي عهد امهد بناء الهيكل الا ان اليهود كانوا يحقونه لقسوته وشدة تعصبه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وبناء المعابد للاصنام (٣)

ولم نشب الخلاف والقتال بين ( اوكتافيان ) و ( انطونيوس ) سنة ٣٠ ق م . انتصر ( اوكتافيان ) وتولى الحكم بصفته أول امبراطور روماني وسى نفسه اغسطس . (٤)

وبعد مقتل انتباتر والد هيرودس وانتحار اكبر ( اخوته ) غلى العرش لهيرودس ( وفي سنة ٣٧ ق م . دخل القدس فاتحا بمعونة الرومان ) وقد تزوج هيرودس عشر نساء وكان له ابنا كثيرون واشتد التنافس فيما بينهم على وراثة العرش وكان القصر مسرح عشرات المؤامرات والفتن واشتركت زوجات الطك وقاريهن في تلك المؤامرات . هذا الى جانب الضغائن التي حاكها هيرودس ضد اعدائه من يهود

١ - هو الابن الثاني لانتباتر الادوي الاصل وكانت أمه آدومية ايضا لذلك لم يكن يهوديا من ناحية الجنس مع ان الادوميين كانوا قد رضخوا للذهب اليهودي بالقوة سنة ١٢٥ ق م . وكان قيصر قد عين انتباتر حاكما على اليهودية سنة ٤٧ ق م وقسم مدن فلسطين بين ابناؤه الخمسة وكان نصيب هيرودس في الجليل ) : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨

٢ - بلادنا فلسطين ٦٢٢/١ ٣ - الموسوعة الفلسطينية ١٣-١٤

٤ - المصدر السابق ٥ - راجع موسوعة المقاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٤٢٥ ، وقد أحب الرومان هيرودس حبا جما لانه ساعد هم على توطيد حكمهم في البلاد واجتهد في نشر ادابهم وتقاليدهم ومد نيتهم فرضي عنه الامبراطور

اغسطس حتي قيل انه لم يفضل احدا عليه سوى وزيره الاول ( بلادنا فلسطين ٦٢٣/١ )

البلاد ، وضد خصومه من حكام الرومان . ( ١ )

فقد كان الطك المذكور قاضي القلب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر ، ولم يكن يهتم للحقيقة ولا يهتم بصراخ المظلومين واشتهر بكثرة الحيل وقتل عدة زوجات وابناء واقارب خوفا من مؤامراتهم ، غير انسه بنى اماكن كثيرة في فلسطين . ( ٢ )

هذه النظرة القاتمة التي سادت عهد هذا الحاكم مرهونة بعدة اعتبارات منها :  
ان هذا الاخير لم يكن يهوديا بحسب المفهوم اليهودي لانه من ام آدومية اى هريسة الاصل وهو ما يتعارض مع الشروط التي يضعها اليهود لقبول اى شخص في ديانتهم ولهذا نرى السخط الذي يحمله اليهود على هذا الحاكم ووصفه بأبشع الصفات .  
كما تورد روايات اهل المكتاب ان هذا الحاكم قد امر بقتل جميع الاطفال في بيت لحم زمن مولد المسيح عليه السلام ( ٣ ) وذلك حتى لا ينجوا ابن داود ولا يملك على اليهود ويترفع على عرشه ( ٤ ) . ولهذا ايضا كان سكروها من المسيحيين ، يقول " الدبس " : ( ونجا يسوع بارشاد الطك ليوسف ان يهرب به الى مصر ) متى فصل ٢ عدد ١ ) وقد قضى هذا السفاك غراما سوف عليه ان اصيب بحصى محرقة وتقصر الامعاء وقد ذكر يوسيفوس ك ١٧ ف ٨ اعراض مرضه مفصلا وقد ملك في اليهودية سبعاً وثلاثين سنة على ما روى اكثر المؤرخين ( ٥ ) .

( تقاسم ابنا هيرودس بعد وفاته الحكم حسب وصيته ورضيت روم بتعيينهم ولاية فقط لا حكاما على الاقاليم التي عينتها لهم في سوريا وفلسطين إلا أن هؤلاء الولاة سرعان ما تقلص نفوذهم بسبب كثرة المشاكل التي أحدثوها هم أنفسهم أو بسبب القلاقل التي أحدثها اليهود بثوراتهم وتقلباتهم وقد كانت الفوضى والفتن من أهم سمات هذا العهد فمثلا قام أرخيلاوس خطيبا في الشعب بعد أن انقضت أيام الحداد على والده هيرودوس وهدد برفع المظالم التي أحدثها والده فلم يكتف الشعب بالوعد بل سأله الحط من الخراج ونسخ الضرائب المفروضة على البيع والشراء وتبدل رئيس الاحبار الى غير ذلك فسوّفهم باجرائه وتألّبوا عليه فساق جنود اليهم فقتل يومئذ من اليهود ثلاثة الاف رجل ) ( ٦ )

١ - وقد أخ الدبس نقلا عن يوسيفوس لهذه الفترة وبين تلك المنازعات الحادة : راجع مختصر تاريخ سوريا ١٨٢/ ١ - ١٨٣

٢ - قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ ، وقتله لزوجاته وابنائيه مذكور في كتب المؤرخين المسيحيين لاحظ : مختصر تاريخ سوريا ١٨٤/ ١ - ١٨٥ وما بعدها

٣ - انظر : انجيل متى الاصحاح الثاني .

٤ - انظر : انجيل متى ١/ ٢ - ٥ - مختصر تاريخ سوريا ١٨٦/ ١ - ١٨٧

٦ - بلادنا فلسطين ٦٢٩/ ١ - ٦٣٠

ولهذا كانت نهاية حكمه سريعة ان علت روط على وضع بيلاطس البنطي مكانه وفي عهد هذا الاخير حصلت حوادث عدة من بينها ، ما جرى لسيدنا عيسى عليه السلام مع قومه . ( ١ )

اما هيروودوس انيتيباس ( ٢٤ ق م - ٢٩ م )

فقد ارتكب هذا الحاكم عدة جرائم اهمها :

زواجه ب ( هيروديا ) ابنة اخيه ارسطوبولس البارعة الجمال والطاعة ، وكانت هيروديا قبلا تزوجت عسها هيروودوس قليميس ) ثم تركته اثنا حياتها والقت بنفسها فسي احضان عم اخر هو انتباس هذا ( ٢ ) .

وينقل اهل الكتاب ان يحيى عليه السلام ( يوحنا المعمدان ) قد قطع راسه في عهد هذا الحاكم ، و ذلك لانه اعترض على زواج انتباس من ابنة اخيه . . . وقد كان ذلك عقب حفلة اقامها هيروودوس انتباس وفيها أرسلت هيروديا ابنتها الجميلة سالومة لتؤانس ضيوف الطك وسط المجون والخلاعة ورنين الكؤوس وان يبهروودوس الشل ينتشي برقصها المثير فيقسم امام ضيوفه بان يعطيها ما تطلب فتطلبت حسب رغبة امها راس يوحنا على طبق ، وبعد لحظات هوى الجلاذ بسيفه على عنق الرجل العظيم ( ٣ ) .

ويعتقد البعض ان ( يوحنا المعمدان ) كان من جماعة وادي قمران ( ٤ ) .

١ - راجع : بلادنا فلسطين ٦٣٠ / ١ وسوف نتعرض لهذا الحديث اثنا الكلام عن الحالة الدينية ان شاء الله تعالى .

٢ - بلادنا فلسطين ٦٣٢ / ١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨ وقد ذكرت قصته في انجيل متى ١٤ : ٣ - ١٢ ويعتبر يحيى عليه السلام احد الانبياء في نظر الاسلام وقد ورد ذكره في العديد من السور والايات في القرآن الكريم ومنها في سورة آل عمران .

وقد أول المسيحيون اقوال يحيى عليه السلام وما ورد على لسانه في اناجيلهم ليواظوا اعتقادتهم بالوهية المسيح عليه السلام ونوته . راجع في ذلك ( يوحنا

١ : ١٥ - ٢٩ - ٣٦

٤ - راجع : دائرة فؤاد البستاني ٣٧٦ / ١٢

ويعتبر " يحيى عليه السلام - في الاسلام - نبيا من انبياء الله تعالى ، وقد وردت في حقه ايات كثيرة في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى ( . . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . . ) مريم : ٧ وقوله تعالى ( يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . . ) مريم : ١٢

وفي عهد اغريباس الثاني قامت ثورة اليهود عام ٦٦ م ضد هذا  
الوالي لمطأته الرومان وتودده الى ولاتهم (١) وقد كتب يوسيفوس عن هذه الثورة  
سبعة كتب . وفي سنة ٧٠ تم تدوير الهيكل بمرته واحرق كل ما كان في المدينة بيد  
الرومانيين (٢) وقد نقل عن يوسيفوس ان عدد القتلى في الحصار بلغ مليوناً ومائة  
الف نسمة (٣) . ويذهب البعض الى ان جماعة وادي قمران قد تلاشت واضمحلت  
عقب استيلاء الرومان على بيت المقدس وحرق الهيكل ومهاجمة معازل اليهود في  
فلسطين وان جماعة قمران قد نالها ما نالها وهذا ما دفعها الى دفن كتبها ولغائها  
في مغارات المنطقة عند ما احست ان الخطرات يهددها (٤) .

ولا يغوتنا ذكر الثورة الثانية التي قادها " باركوكبا " وذلك انه بعد (تراخي  
الاسام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس وبينون فيها ما يشبه او كرا الارانب  
واعشاش الطيور ، حتى اذا مرت ستون سنة من خرابها ظهر من ابناؤها باركوكبا  
" سمعان ابن الكوكب " الذي ادعى انه المسيح الذي يخلص امته من استعباد الرومان  
فتبعه عدد كبير ازيج بهم حكومة روما واطلقها ثلاث سنين الى ان ارسل الامبراطور  
هدريان قائده ففضى على الثورة سنة ١٣٥ م وصاح اسم اورشليم من الوجود ونفى  
على انقاضها مدينة رومانية خاصة اسماها " ايليا كابيتولينا " وحرم على اليهود الاقتراب  
منها ونفى في موضع الهيكل معبدا لجهنم وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات<sup>(٥)</sup> .

ونخرج بنتيجة من هذا التاريخ القائم مفادها ان اليهود رغم تمكنهم  
في بعض الاحيان من تكوين مجتمعات لهم في فلسطين في العصور القديمة الا انهم  
افتقدوا عنصر الثبات والتكثيف في الارض خاصة ابان الفترة موضوع البحث ، كما انهم  
لم يكن لديهم ما يدعوهم لاقامة دولة مبنية على اساس ومرتكزات راسخة بل اثبتت القرائن  
انهم كانوا عصابات هجيرة همها الوصول الى السلطة باي ثمن ، ولم يكن هدفها  
التطلع نحو ارض الله تبارك وتعالى ، او النظر الى مستقبل الشعب والامة بقدر ما  
كانت اهدافها تنحصر في نزوة الحكم وحب السيطرة مستترة وراء الدين والكهنوت ولهذا  
كانت فترات الحكم قصيرة ، وان يسر لها وكثرت روحا من الزمن فهذا يرجع الى حبيل  
من الناس ، وذلك عبر التزلف لليونان تارة والتودد للرومان طورا . وهذا هو دأبهم  
ايضا كانوا وحيث حلوا ، وما أشبه اليوم بالاس .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩-٩٠ ٢ - كانت قيادة الحملة لتيطس ، راجع  
في هذا الصدد ، مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة د . محمد أحمد محمود حسن  
ص ٨٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م - ويذهب البعض الى انه في هذه الواقعة  
نال الاسينيون نصيبهم فسقضى عليهم نهائيا الجيش الروماني في صيف ٦٨ م وقد اوفدت  
مفرزة الى قمران فهدمت واحرقت من طالته من سكانها ولان من اظلت بالفرار وضربت هامة  
عسكرية مخيمها على انقاض المدينة لعشرات السنوات حتى اخر القرن الاول ( انظر دائرة  
فوائد البستاني ٨٠/١٢ ٣ - مختصر تاريخ سوريا ٢٠١/١

٤ - دائرة فوائد البستاني ٣٨٠/١٢ ٥ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٢٧-٢٨  
وقارن مع : تاريخ فلسطين القديم : ظفر الاسلام خان ، ص ٩٢-٩٣ دار النفائس بيروت ١٤٠٤/٤

### الحالة الدينية

ربط تكون الحالة السياسية سببا مهما في توسيع دائرة الخلافات الدينية بين اليهود ، وهذه الخلافات كانت على الدوام سببا للشقاق الحاصل بين فرقهم ومجتمعاتهم ولا بد من التعرض للحالة الدينية لمعرفة الجواز الذي عاش اليهود فيه ، وهذا يعطينا بالتالي صورة لسجل الحياة الدينية في العصرين اليوناني والروماني .

ومن خلال استعراض صور العبادات الوثنية والنحل اليونانية المتعددة والتي مرت في الباب السابق ، رأينا مدى تأثير العقائد الدينية المصرية القديمة والديانات الشرقية الوضعية على الوضع الديني اليوناني بشكل عام .

ولم ينحصر هذا الجو على اليونان فقط بل خيم شبح هذه الديانات المرقعة على شعوب المستعمرات القديمة ، ومع انهزام الإمبراطورية اليونانية واضمحلالها ورث الرومان هذه التركيبة السقيمة وأصبحت روما ومستعمراتها مسرحا لمزيج من الأديان الوضعية الوثنية المختلفة .

وقد ظلت روما تحافظ عليها كما طورت بعضها واخترعت لها أسماء<sup>١</sup> وكفى جديدة لم تكن في السابق وأبقت على البعض الآخر كما هو بكامل طقوسه وتقاليده من مصادره الأم .

وكان الأثر الكبير الذي تلقته روما ناتجا عن العقائد الشرقية التي أدت نحلها بشتى أنواع العقائد . وقد عمل الإباطرة الرومان على اكتساب ود الشعوب المستعمرة وذلك بالابقاء على عباداتها السطحية دون فرض طقوس معينة وكانوا يسترضون الكهنة بشتى أنواع الهبات مما أسهم في ازدياد ثروتهم ونفوذهم . ( ١ ) .

وتعتبر بيانات شعوب البحر المتوسط في تلك المصور من أهم مصادره الفكر الديني الروماني فمن سوريا مثلا كانت عبادة أودونيس وهداد وأثرجاتس . ( ٢ ) ومن مصر القديمة كانت عبادة إيزيس اله القمر وأوزوريس وحـوروس<sup>(٣)</sup> وميراميس . ( ٤ ) ومن فارس كانت عبادة شراسين أهرامزدا اله النور . ( ٥ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦

٢ - المرجع السابق

٣ - سوسيلوجية الحضارات القديمة . ١٣

وراجع كذلك ما كتبه العقاد عن هذا الموضوع ٢٦٥/١١ من المجموعة الكاملة

٤ - سوسيلوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦ راجع المجموعة الكاملة للعقاد ٢٦٥/١١

ومن العبادات الموروثة عن الغرب :

عبادة "ديونيسيس" اليونانية التي اقتبست منها فيلبي بعد عبادة جوبيتر الروماني  
إله السماء . وهناك عبادة مارس إله الحرب وهركوليس إله الشجاعة ( ١ ) .  
أما معبوداتهم الخاصة التي نسجوها فكانت عبادة "سبييل" وعبادة  
"أتيس" .

كما دأب الرومان على تأليه قيصر والباطرة وأنطونيوس وكثير من العظماء  
المحليين في حينما وعد ملاتهم وأخذت هذه الآلهة تمتزج بعضها ببعض بتأثير  
التجارة والحرب فيزداد عدد ما ومعظم شأنها في كل مكان ، وتقام الصلوات باللف  
لغة لألف إله أملا في النعيم والنجاة فلم تكن الوثنية والحالة هذه ديناً واحداً  
بل كانت أجمة من العقائد المتشابكة المتناقضة المتنافسة وكثيرا ما كان يتدخل  
بعضها في بعض وتخطط اختلاطاً متعدداً مختاراً ( ٢ ) .

ولم يقتصر هذا التعدد على ما ذكرنا بل انتقل التأليه إلى كل مظاهر  
الحياة ( فهناك إله لكل ملكة ولكل حاسة ولكل جزء من أجزاء جسم الإنسان بل والأكثر  
من هذا إن الطفل عند ما يذهب إلى المدرسة تخصص له أربعة أرباب إثنان منهما  
مختصان بالذهاب وإثنان آخران مهتبطان بعودته به سالم إلى والديه ( ٣ ) .  
هذه الحالة أدت إلى صرخة صاحت بها إحدى النساء قائلة ( إن بلادنا  
غاصة بالأرباب بحيث يسهل على المرء أن يلقى فيها ربا من أن يصادف رجلاً ( ٤ ) .

بعض صور العبادات القائمة :

تنوعت صور العبادات الرومانية تنوعاً لا يختلف كثيراً عن المضمون الذي  
رافق الحياة الوثنية اليونانية القديمة .

من هذه الصور ما جاء عن عبادة سبييل ( التي ثبتت في كل من "ليديا"  
وفريجيا " وإيطاليا وأفريقية وغيرها من الأقاليم وظل كهنتها يغيصون أنفسهم كما  
فعل حبيبها "أتيس" فإذا قبل عيدها الربيعي صام عباده ، وصلوا وحزنوا لموت

١ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧

٣ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٤ - المرجع السابق

"أتيس" ، وجرح كهنتها سواحد هم وشربوا دماءهم وحمل الآله الشاب إلى قبره باحتفال مهيب فإذا كان اليوم الثاني ضجت الشوارع بأصوات الفرح الصادرة عن الأهلين المحتفلين ببعث أتيس وعودة الحياة إلى الأرض من جديد وعلا صوت الكهنة ينادى أولئك العباد ( قووا قلوبكم أيها العباد المتصوفون لقد نجا الآله وستكون النجاة حظكم جميعا ) . ( ١ )

هذه الصورة ليست هي الوحيدة التي كانت ذائعة إيمان عند الرومانيين فالى جانب ذلك ( كانت إيزيس الآلهة المصرية والام الحزينة والمواسية والمحبة وحاملة هبة الحياة الخالدة تلقى من التكريم أكثر مما تلقاه سيبيلا وكانت شعوب البحر الأبيض المتوسط تعرف كيف طأت زوجها وكيف قام بعد ذلك من بين الموتى وكان يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة وكان عباد السجتهجون ينادون ( لقد وجدنا أوزيريس من جديد ) وكانوا يرمزون إلى إيزيس بصور وتماثيل تحمل بين ذراعيها حورس ابنها الإلهي ويسمونها في الأوراد والادعية ملكة السماء . . . واما الآله ( وكانت ) هذه الطقوس أقرب العبادات الوثنية إلى المسيحية ) . ( ٢ )

وكان انتشار دين إيزيس من مصر إلى بلاد اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد ثم انتشر إلى صقلية في القرن الثالث وإلى إيطاليا في القرن الثاني ثم انتشر بعد ذلك في جميع أجزاء الإمبراطورية . ( ٣ )

ومن الصور الخاصة بالعبادات والطقوس الفارسية التي انتقلت إلى تلك الأجواء ، عبادة " ميثراس " ( إذ كانت القرابين تقرب إليه . . . كما كان عباد يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنبيذ ، وكانت الإشارة التي يختتم بها عيد هسي دقات ناقوس وكان يحتفظ على الدوام بنار ( موقدة ) أمام القبو الذي يمثل فيه الآله الشاب يطعن الثور بخنجره . . . ويقول كهنته ان الناس كلهم سيحشرون لا محالة أمام ميثراس ليحكم بينهم ) ( ٤ )

وقد انتشرت هذه الأساطير التي تبحث في نفس أصحابها الأمل والقوة في القرنين الثاني والثالث من التاريخ الميلادي في غربي آسيا وانتقلت منه إلى أوروبا . وروى الأباطرة المسيحيين ما وجدوه من أوجه الشبه بين دينهم وبين الميثراسية وقالوا : ان الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية وأنها في الميثراسية حيل مضللة احتال بها طيهم الشيطان . . . وليس من السهل ان نعرف أي الدينين أخذ عن الآخر ولعل الاثنين قد تسربت إليهما أفكار كانت وقتئذ منتشرة في جوبلا الشرق ) . ( ٥ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧ - المصدر السابق وراجع مجموعة العقاد ١١/٢٦٥

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٨ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٤٩-١٥٠

٥ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٥١

ومن صور العبادات التي اخذت عن اليونانية ايضا ما كان يمثل طقوس  
الاورفيين الخاصة بشرب ( دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذي يكفر عن خطاياهم  
ويوحدون بينه وبين هذا المنقذ وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب  
المقدس من المظاهر الكثيرة في اديان البحر الابيض المتوسط وكثيرا ما كان اهل  
هذه الاديان يعتقدون ان هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الاله  
ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية الى المشتركين في تناوله ( ١ ) .

وقد توجت هذه العبادات بصورة هي اقرب الى الواقع المعبر عن الحالة  
الدينية التي سادت العصر الذي يستند ور الحديث عنه .

اذ ان هذا العالم كان غنيا بمن فيه من السحرة ومدعي صنع المعجزات  
والمستبشرين والمنجمين والزهاد والقديسين ومفسري الاحلام العلميين ، وكانت كل  
حادثة غير عادية تتخذ نذيراً ، إلى هيأط سيقع من الحوادث في المستقبل . واصبح  
لفظ " اسكيسيز " ( *ASKESIS* ) الذي كان معناه عند اليونان  
تدريب الجسم تدريبا رياضيا يقصد به وقتئذ اخضاع الجسم لسلطان الروح فكان الناس  
يضربون انفسهم بالسياط ويبترون اعضاءهم ويجمعون انفسهم او يقيدون اجسامهم  
بالسلاسل في مكان واحد ، ومنهم من كانوا يموتون نتيجة لهذا التعذيب او الحرمان  
الذاتي ( ٢ ) .

وهنا يجب التوقف عند هذه النقطة السهام التي ستفتح المجال للبحث  
في صلب موضوع الرهينة اليهودية ، رهينة جماعة وادي قمران .

يقول ديورانت معقبا على كلامه السابق الموصول الى هذه النقطة :  
( ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا ونساء الى الصحراء المصرية  
القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين في صوامع ومعبد ، ويحرمون على  
انفسهم جميع العلاقات الجنسية ، ويجمعون في يوم السبت للصلاة الجماعة ويسمون  
انفسهم معالجي النفوس ( *therapeutae* ) ( ٣ ) )

هذه النقطة هي محور الرهينة اليهودية ومنها انبثقت جماعة وادي قمران  
موضوع هذا الباب . والتي طاشت وسط هذه الاجواء الدينية ،

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق ، وراجع كذلك معالم تاريخ الانسانية ٣/٢٣٠ ، "السيخ" للعقاد



وما لا شك فيه ان هذا الجو الديني الوثني الكفهر اشاع لونا من الوان  
التقلب الفكرى والديني على السواء في منطقة حوض البحر المتوسط . كما انعكس  
على عقائد اليهود .

فعلى الرغم من الادعاء بان الفكر اليهودى كان مناوئا للفكر الديني الوثني  
وانه كان خصما له ، الا ان هذا الخصم لم يكن جادا في دعوته للخلاص من الوثنية  
ولم يكن يهدف في الاصل الى التغيير من وضع العزري والا لط تسرب اليه شي منها .

فالواقع يشهد ان اليهود كانوا في عقيدتهم مشوشين ومضطربين وانهم  
في أحقاب كثيرة كانوا يدخلون العقائد الوثنية في دينهم .

والقرآن الكريم يفضح اليهود ويؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقول الحق  
تبارك وتعالى ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ (١)  
وقوله تعالى ( قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ) ( ٢ ) .

وقد اكد هذه الحقيقة لهون حينما اورد العبادات الوثنية التي اقتبسها اليهود  
عن جاورهم من الامم ، من ذلك عبادة تموز ابن عشتار الذى دعي فيط بعد أدونيس  
الاغريقي كما ظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم سائدة فيهم . وكانت عبادة الشمس  
تختلط آنذ بعبادة الحيوانات وذلك لما كان من تصوير القوم على جدران معبد يهوه  
صور الزخافات والبهايم والاشياء الكريهة وجميع الهة ال اسرائيل ( ٣ )

ومن معبوداتهم ايضا مولى اله النار ، وكان الفينيقيون على الخصوص  
يعبدون بعلا فاد خلته ايزابيل الصيد ونية على الخصوص الى العبريين ( ٤ ) .

١ - البقرة : ٥٤

٢ - الاعراف : ١٣٨ ٣ - لاحظ : اليهود في تاريخ الحضارات ص ٦٥ ، ط : عيسى البابي

٤ - اضافة الى ذلك فان التفاعل بين اليهودية والوثنية ظل مستمر فمن جهة كان من  
الوثنيين من يخلصون ( العلي ) اله اليهود بعبادة الى جانب عبادتهم لالهتهم  
وكان اخرون يعتنقون عقائد اليهودية ويختلفون الى معابد هم واخرون يدخلون فسي  
الطة اليهودية ومن جهة اخرى كان اليهود يتأثرون بالفلسفة اليونانية اعلاهم شائسا  
واعظمهم نفوذا في اخوانهم يهود الاسكندرية وكانوا يولفون جالية غنية زاهرة اخذت  
بعظ كبير من الثقافة اليونانية حتى انهم لم يكونوا يقرأون التوراة الا في الترجمة  
اليونانية المعروفة بالسبعينية وكانوا يضيفون اليها مثل ما للاصل من كرامة وعصمة  
ولكن كان منهم الكفار اضلثهم السفسة اليونانية فاعرضوا عن الله وشريعته وكان اخرون  
يدعون بدنيهم ويتحللون من قيود الشريعة بالتأويل المجازي ( تاريخ الفلسفة  
اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢٤٧

الجدير بالملاحظة ان اليهود ربطوا مسالمين للفكر الوثني فيما لو اتيحت لهم فرصة العيش دون فرض المكوس عليهم من المستعمرون الزامهم بالضرائب للسدولة الغازية . ولولا الناحية المالية والطادية لما قامت ثورات اليهود على اليونان والرومان والتي على اثرها انمحق اثر اليهود من ارض فلسطين .

ويضاف الى تلبد الجوالوثني ما اشاعه اليهود أنفسهم من فرقسية بين أحزابهم وجميعياتهم الحصرية والعلنية والتي وصلت علاقاتها قبط بينها الى حد القطيعة ان ان المنافسة بين هذه الفئات ما فتئت تتفاطل وتتضاعف الى درجة الخطورة ، وحينئذ وقع الصدام استصرخ المتناحرون منهم بالقياصرة تارة وبالباطرة تارة اخرى للقضاء على ابناء جلدتهم كل يريد الخلاص من خصمه بعد ان بلغ الامر ذروته .

ولم يكن عالم النزاع والشقاق ليستمر بين الفرق اليهودية المتناحرة لولا وجود بوادر مشجعة أسهمت في تاجيج نار الخلاف .

كما لم يكن لهذا النزاع ان يستمر بين اليهود والامبراطوريات المستعمرة لولم تكن هناك جذور قابلة لبث سموم الفرقة بين هذا الشعب المتمرد والشعوب الاخرى .

هذه البوادر وطك الجذور هي نتيجة حتمية لروح العقيدة اليهودية المتقلبة والقابلة للتشردم والانقسام كغلايا الديدان التكاثرة والمتشعبة على الدوام تشعب خيوط العنكبوت .

واذا ما استقرأنا نفسية اليهود المضطربة الحائرة المتمردة لادر كنا اسباب اعراضها عن خالقها ، وابائها الخضوع لأمراءه ، فتحرف كتيه ، وتقتل رسله ، وتغتال انبياءه وتطحق برهبها من الصفات ما لا يليق به تبارك وتعالى .

ومن هذا نصل الى تشخيص مرض هذه الامة ، فهي : امة تريد العيش والبقاء على ما الاخرين ، كالحشرات والطفيليات التي تمتص دماء البشر ، ولهذا تخترع كل يوم اساليب خبيثة لهذا الغرض ، ومن هذا السنطلق تتعامل مع الشعوب بشمارها الدائم ( الغاية تبرر الوسيلة ) .

ذلك هي ابرز سمات الفكر اليهودي الذي يرجع في اساسه الى تلك العقيدة المعرفة التي غمرت مفهوماً اللاهوية واخرجت صفات البارئ تعالى من حدود الكمال الى النقص ومن التنزيه الى التشبيه والتعطيل والتجسيم كما ان الانبياء لم ينجوا من سنتهم وحرابهم وسوف نتعرض باذن الله لهذا الانحراف العقدي قبل استعراض اهم الفرق اليهودية واهم ارائها ومبادئها والتي ستوصلنا الى بيت القصيد وهو الحديث من رهبان جماعة قمران والتعرف على منهجهم وعقائدهم وطدار من خلاف حولهم .

وسوف نرى كيف ستكون هذه الفرقة حلقة من حلقات الوصل بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية اهل الكتاب .

## الفصل الثاني : العقائد اليهودية ونقد ها

اولا : موقفهم من الالهية :  
 بعث الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله الى بني اسرائيل ليهديهم وارشادهم الى الطريق المستقيم ، وأنزل معهم الكتب والصحف هدى ونورا ليحكموا بها بين الناس ، الا أن اليهود انحرفوا وكفروا فاستحقوا لعنة الله تعالى وفضيحه ، ومرد ذلك يعود الى هذه مواقف اتخذوها من عقيدة التوحيد التي أمروا بها .  
 وطيه فان تاريخ اليهود زاخر بالهزلات والنكبات التي حلت بهم عقابا لهم لمخرجهم عن طاعة الله تعالى وضرهم الكتاب بعضه ببعض واختلفهم على انبيائهم وهاهي كتبهم المحرفة شاهدة طمسهم . ولا أدل على ذلك من الزيف في العقيدة حيث شبهوا الله وجسوه ووصفوه بما لا يليق به سبحانه .

فمن ذلك ما جاء في العهد القديم ( فأكلت السموات والارض وكل جند ها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل يبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا ) ( ١ )

ومن ذلك ايضا ما جاء في قصة آدم وحواء :  
 ( وسما صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاغتبا آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم . وقال له : أين أنت ، فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاغتبت . فقال : من أطعمك ألك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت ) ( ٢ )

ولقد وصل بهم الأمر الى أبعد من التشبيه والتجسيم حيث حرفوا في سفر التكوين بما يوهم القول بتعدد الالهة ( وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا طارفا الخير والشر ، والآن لعله يد يد . وأخذ من شجرة الحياة أيضا وأكل وحبها الى الأبد ، فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليمهل الأرض التي أخذ منها فطسرد الانسان وأقام شرقي جنة عدن الكرم وطبيب سيف مطلب لحراسة طريق شجرة الحياة ) ( ٣ )  
 كما أن من اليهود أيضا إمعانا كبيرا في التشبيه والتجسيم بل ان كل نقص استحال في حق الله تعالى لم يخلوا من ايراد ذكره حتى غدت كل نصوص التوراة واسفارها المقدسة تصف الله بصفات المخلوقات دون تنزيهه أو مراعاة للكامل الواجب له سبحانه .

١ - سفر التكوين : ١/٢ - ٣

٢ - التكوين : ٣/٨ - ١٣

٣ - التكوين : ٣/٢٢ - ٢٤

وزيادة على ما سبق اليك بعضا مما جاء في العهد القديم من صفات لا تطيق بذات الله تعالى ولا بمفاته :

من ذلك ما أوردوه من قصص خرافية توحسي بظهور الله تعالى ظهورا هائلا فمن ذلك ما جاء في سفر التكوين ( وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض ) . ( ١ )

ومن الصفات ايضا :

( ٢ ) - لقاء موسى عليه السلام وارادة قتله . - الاجتياز والخروج في وسط مصر .  
- الخروج والمصعد والوقوف ( ٤ ) والنوم والاستيقاظ ( ٥ ) - التعب ( ٦ )  
- الحنق ( ٧ ) - الحزن ( ٨ ) - العشق ( ٩ ) - الندم ( ١٠ ) - الدعا بالهول على نفسه ( ١١ )  
- الزمجرة والصراخ والبهتان ( ١٢ ) - التخمسة ( ١٣ ) - الوجود في الزو بمعة ( ١٤ )  
- التشبيه بالمخلوقات ( ١٥ ) -

كما أنهم نسبوا لله تعالى الأوبة . من ذلك قولهم :  
( هو يهني لي بيتا وأنا اثبت كرسية الى الابد ، انا اكون له ابا وهو يكون لسي  
ابنا ولا انزع رحمتي عنه كما نزعها من الذي قبلك ) ( ١٦ )

كما نسبوا المسخرة لله تعالى وسوا أنفسهم أبنا لله :  
( ان أبنا لله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ) ( ١٧ )

- ١ - راجع التكوين ١٢: ٧ وكذلك ١٧: ١ راجع ظهوره لكل من : سارة في تكوين ١٨: ١٠-١٥ ولهاجر تكوين ١٦: ٧-١٤ ولاسحاق ٢٦: ٢ وليعقوب ٢٨: ١٦-١٧ ولوسى سفر الخروج ٣: ٦ وسليمان ، الملوك الاول ٣: ٥ ولاشعيا ، اشعيا ٦: ١-٥ ولارما ، أرميا ٣: ٣١ ولحزقيال ، حزقيال ١: ٢٦-٢٨
- ٢ - راجع سفر الخروج ٤: ٢٤-٢٦ ٣ - الخروج ١١: ٤-٥
- ٤ - مزامير ٦٨: ١٨ وكذلك حزقيال ٩: ٣ و ١٠: ١٨-٢٠ و زكريا ١٤: ٣-٤ والقضاة ٥: ٤
- ٥ - أرميا ٢٣: ٣١ ومزامير ٧٨: ٦٥-٦٦ و زكريا ٢: ١٣ ومزامير ٤٤: ٢٣
- ٦ - ملاخي ١: ١٧ ٧ - اشعيا ٦٦: ١٤ ٨ - أرميا ١٨: ٨ و ٢١: ٨
- ٩ - أيوب ١١: ٧-٩ ١٠ - هناك العديد من النصوص انظر مثلا : خروج ١٢: ١٢-١٤ صموئيل الاول ١٥: ١٠-١١ صموئيل الثاني ٢٤: ١٦ مزامير ١٠٦: ٤٤-٤٥
- أرميا ٢٦: ١٣ طومس ٧: ٣-٨ يونا ٣: ١٠
- ١١ - أرميا ١٠: ١٨-٢٠ ١٢ - أرميا ٢٥: ٣٠ ١٣ - اشعيا ١: ١١ ١٤ - ناحوم ١: ٣
- ١٥ - اشعيا ٤٢: ١٣ و ٤٠: ٢٢
- ١٦ - الايام الاول ١٢: ١٣-١٢ وملاخي ١: ٦ وصموئيل الثاني ٧: ١٤
- ١٧ - تكوين ٦: ٢ وانظر ايضا ايوب ٢: ١ ومزامير ٢: ٧ ومزامير ١١: ١٢ و ٢٩: ١

ولم يقتصر الامر على ما ذكر ، بل تجاوزوا الحدود باتخاذهم الاصنام والاوثان

ومن الادلة على اثبات عكوف بني اسرائيل على عبادة الاصنام ما جاء

في اسفارهم من فضائح ولم يكن اتخاذ الاوثان مقتصرًا على عصر موسى عليه السلام بل ان في عهدى يشوع والقضاة نصوصا تدل على ارتكاب مثل هذا الكفر البواح من قبلهم<sup>(١)</sup>.

وقد تعقب الامام ابن حزم مراحل ارتداد بني اسرائيل عن الايمان

وعادتهم للاوثان في عهد القضاة واورد اسطر الولاة الذين تم في عهدهم هذا

الارتداد ، وقد بلغت حسب تتبعه رحمه الله سبع ردات ( ٢ ) .

كما تتبع د . عبد الشكور محمد امان هذه المراحل وفصلها وارجعها

الى عهودها وفق ما هو مذكور في نسخ العهد القديم المتداول حديثا والتي جاءت على النحو التالي :

١ - من النصوص التوراتية التي تثبت عبادتهم للاوثان ما يلي :

- سفر التثنية ٤ : ٣-٤

- سفر العدد ٢٤ : ١-٣

- مزامير ١٠٦ : ١٩-١٠٠

- هوشع ١٠ : ٩

ومن النصوص الاخرى :

في - يشوع ٢٤ : ٢٣

- قضاة ٢ : ١٩

- // ٢ : ١٠-١٣

- // ٣ : ٥-١٧

وتجدد الاشارة الى ان التفصيل الذي اورد د . عبد الشكور محمد امان عن

عقائد بني اسرائيل ما يغني القارىء ان انه يجد بيانا وافيا لهذه العقائد الضالة

والانحرافات الشاذة راجع بتوسع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

د . عبد الشكور محمد امان العروسي ١/٢٤٢-٤٠٧ ، رسالة دكتوراه ، جامعة

ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ .

٢ - راجع الفصل لابن حزم ١/١٤٩

المرحلة (١)	- عدد اعوام الارتداد -	اسم السفر
الاولى	٨	القضاة ٨: ٣
الثانية	١٨	// ١٤: ٣
الثالثة	٢٠	// ٣-١: ٤
الرابعة	٧	// ١: ١٦
الخامسة	٣	// ٣٤-٣٣-٢٧: ٨
السادسة	١٨	// ٨-٦: ١٠
السابعة	٤٠	// ١: ١٣

اما في عهد الملوك فقد بلغ عدد ملوك مملكة يهوذا عشرين ملكا توارثوا عبادة الاوثان لم يستقم منهم سوى خمسة فقط (٢)

وقد ذكر ابن حزم رحمه الله ان اليهود قد اتخذوا لها اخر من دون الله اطلقوا عليه اسم صندلفون ويقول في هذا الصدد :  
( واطموا انهم افراد وا عشرة ايام من أول أكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله عزوجل ، فحصلوا على الشرك المجرد ، واطموا ان الرب الصغير الذي افرادوا له الايام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزوجل هو عندهم صندلفون الطك خادم التساج الذي في راس معبودهم وهذا اعظم من شرك النصارى . (٣)

١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، د . عبد الشكور محمد امان ، ٣٩٣/١

٢ - يراجع في هذا الصدد الاسفار التالية :

١ - سفر الملوك الثاني ٨ : ١٨

٢ - اخبار الايام الثاني ٢١ : ١١ و ١٠ - ١١

٢ - اخبار الايام الثاني ٣٦ : ١١ - ٢١

٣ - في مملكة اسرائيل ظلت عبادة الاصنام منتشرة فيهم راجع :

سفر الملوك الثاني ١٧ : ٧ - ٢٤

وراجع في هذا الصدد ما كتبه ابن حزم عن ذلك في الفصل ١ : ١٥٠ ،

ومطالعات د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية " :

٣٩٩-٣٩٥ / ١

٣ - الفصل ١٨ / ٢ وتعقيبات كل من د . طي عبد الواحد وافي في كتاب

الاسفار المقدسة ص ٢٩ د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

لقد فضح القرآن الكريم في كثير من السور والآيات تلك المراحل التي انحرف فيها المستفكير العقدي لدى اليهود ونية الى الجرائم التسي ارتكبوها بكفرهم وفسقهم بحق الله تبارك وتعالى ، وقد أشار الى هذا الانحراف من خلال توراتهم المحرفة التي دسوا فيها ما شاؤوا من أباطيل وخرافات وأساطير ،

ففي طلبهم من موسى رؤية الله يقول الحق تبارك وتعالى :  
( وَأَنْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) (١)

وقد بينت الآية الكريمة ضيق أفق هؤلاء القوم واهتزاز أيمانهم بعالم الغيب كما يدل طلبهم هذا على سوء الأدب لاعتقادهم على الابتزاز أسلوباً وطريقاً وكان قضية الأيمان تدخل في باب المساومة كالبيع والشراء . ولهذا طلبوا من موسى عليه السلام ما طلبوا . وفيه دليل على سوء طويتهم .

وفي مرحلة لاحقة قالوا لموسى عليه السلام :  
( يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ بِمَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . ) (٢)

وقد أوضحت الآية هنا مدى تورطهم في التقليد الأعمى الهني على محاكاة العقائد الوثنية ، إذ مر هؤلاء الجبهة على قوم يعبدون أصناماً على صور البقر ( فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك ) (٣)  
كما يدل على أن هؤلاء ارتبط أيمانهم بالمحسوس فقط بضاهة للوثنيين الذين طصروهم .

ولم يكتفوا بمجرد الميل الى الهوى وطلب الاشراك بالله فقط بل لم يشعروا ان اتخذوا العجل الهاء بمجرد غياب موسى عليه السلام لمهمات ربه .  
( وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ ) (٤)

١ - البقرة : ٥٥-٥٦

٢ - الاعراف : ١٣٨-١٤٠

٣ - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٢/٢٤٢-٢٤٣ ، ط : المكتبة الشعبية

٤ - الاعراف : ١٤٨

وهذه الآية لها ارتباط بسبق \* ان يخبر الله تبارك وتعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم المجل الذي اتخذهم لهم السامري من حلي القبط الذين كانوا استعاروا منهم فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسدا له خوار ، والخوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لحيقات ربه تعالى فأطعمه الله تعالى بذلك ( ١ ) .

وطى هذه الشاكلة كانت نفوس القوم تتأرجح ، فكلوا وجدا وفرصة للفرار من عقيدة التوحيد تسكوا بها حتى اذا جاءهم العقاب عدلوا عن غيرهم والتزموا أمر ربهم ولكنهم لم يلبثون حتى يعودوا لما نهوه عنه فازدادوا ضلالا وارتكاسا .

وقد رد القرآن عليهم حينما نسبوا لله تعالى الولد :  
فمن ذلك قوله تعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاطِبُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) ( ٢ ) .  
وهذه الشبهة التي وقعوا فيها تعود الى اعجابهم بالعزير نتيجة كتابته للتوراة دون الرجوع الى نصوص مكتوبة في أسفار ( ٣ ) .

وفي مجال الرد طى صفات النقص التي ألحقوها بالبارى تعالى بقول سبحانه :  
( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا يَدَايَ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ فِيهِمْ مَا أَزَلَّ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ) ( ٤ ) .

وفي جانب آخر يرد القرآن عليهم في نسبة الفقر الى الله تعالى مما يقولون طوبا كبيرا ( لَقَدْ سَبَّحَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) ( ٥ ) .

١ - تفسير ابن كثير : ٢٤٧/٢

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢

٤ - الطه : ٦٤

٥ - آل عمران : ١٨١



وقد تعقب كثير من العلماء المسلمين افتراءات اليهود على الله تعالى فمن ذلك ما أورده الامام ابن حزم في الفصل ردا على ما جاء في توراتهم المحرفة

من أن الله تعالى قال ( هذا آدم قد صار كواحد منا ) ان هذا يعتبر ( مصيبة من حائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث الفخري كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذي خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعصر الخمر والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار لها من جنة الالهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحق ( ١ ) .

أما ما ألصقوه من صفة التعبد والنصب لله تعالى فهو افتراء وهتان . قاله تعالى قادر على كل شيء لا يمجزة شيء في الأرض ولا في السماء وهو القائل ( ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما سنا نحن لغوب ) ( ٢ ) .

وهذا رد عليهم في ما أورده في كتبهم المحرفة . ( ٣ )

وطيه فان كل شبهاتهم وافتراءاتهم تدور حول تشبيه الله تعالى بخلقه وهذا باطل لان الله تعالى ( منزّه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات : لا أجساد الآدميين ، ولا أرواحهم ولا غير ذلك من المخلوقات ، فانه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته للزم أن يجوز على كل منبهط ما يجوز على الآخر وجب له ما يجب له . يستنع طيه ما يستنع طيه وهذا متنع : لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه غير قديم واجب الوجود بنفسه ، وأن يكون المخلوق الذي يستنع فناء يستنع افئاده الى الخالق ، وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفو أو مثل أو وسي أو ند . ) ( ٤ ) .

١ - : الفصل في السبل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهري ١/٥٥

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة .

٢ - ق : ٣٨

٣ - انظر في سبب نزول هذا الرد : " أسباب نزول القرآن " لابي الحسن علي بن الواحد  
ت : السيد احمد صقر ص ٤٢٠ - ٤٢١ ط ٢ - ١٤٠٤ هـ

٤ - : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢١٧ ط ١ ١٣٩٨ هـ

ثانيًا : موقفهم من الانبياء والرسل طيهم السلام .

إذا كانت السنة اليهود السليطة وكتبهم المحرفة قد تعرضت للذات العلوية بصفات النقص وشابهة الحوادث فليس من المستبعد بعد ها ان يكون مقام الانبياء والرسل هدفًا لبسهم القدح والشتم من قبل اليهود بل والضرب والقتل والنشر لانبيائهم .

وطيه فان ( الموقف الاجمالي من أنبياء الله تعالى الذي وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به طيهم أسفارهم ، انهم لا يراعون لانبياء الله حرمة ولا يعتقدون فيهم العصاة ، بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويروونهم بعظام الامور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريح بل اعتدوا على عدد كبير من انبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه ) ( ١ )

ونتيجة لعدم اعتراف اليهود بعصاة الانبياء فقد جوزوا في حقهم ارتكاب الكفائر والآثام والمحرمات فمن ذلك :

- ١ - اتسهم آدم بعدم الاستغفار من ذنبه ( ٢ )
- ب - اتهم نوح طيه السلام بشرب الخمر ( ٣ )
- ج - اتهم لوط طيه السلام بالزنى بامنته ( ٤ )
- د - اتهم ابراهيم طيه السلام بالكذب وتسليم زوجته سارة دون مقاطعة . ( ٥ )
- هـ - اتهم اسحق طيه السلام بالكذب ( ٦ )
- و - اتهم يعقوب طيه السلام بالكذب ( ٧ )
- ز - اتهم داود بالزنى ( ٨ )
- ح - اتهم سليمان بالارتداد عن الدين . ( ٩ )

هذا فخير من فيض ما تطفح به تلك الاسفار المحرفة من وصف للانبياء والرسل بما

هم يسمون منه . فالانبياء والرسل ازكى الناس واطهرهم وافضلهم . ومثل هذه

الذنوب التي نسبها اليهود السهم لا يمكن ان تقع من احد منهم بحال من الاحوال وهذه الاتهامات الشنيعة هي في حقيقتها تدخل في باب التعدي على حرمة

الله تبارك وتعالى فهي محاولة دنيئة من قبل حاخامات اليهود للنيل من ديسن الله القويم وصراطه المستقيم وذلك اتباعا لهوى النفس وتبريرا لجرائمهم واثامهم التي يقتربونها على الدوام واعطاء الفرصة للاجيال القادمة لاستباحة حرمة الله تحت ستار الاقتداء بالانبياء والرسل .

- ١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢٢٦/٢
- ٢ - تكون ١: ٢٤ - ٣ - تكون ١٨: ١ - ٤ - تكون ١٩: ٣ - ٥ - تكون ١٢:
- ٣-١ - ٦ - تكون ٢٦: ١ - ٧ - ٧ - تكون ٢٧: ١ - ٨ - صموئيل ٢: ٢١
- ٩ - السلوك الاول ١١: ٢ - ٢١ وانظر في مجال رد الطمعون : اظهر الحق ص ٥٧٠

ولهذا فان جرائم اليهود في العصور السالفة والحالية تمثل انعكاسا واضحا لتعاليم التوراة المعروفة بالصراحة وفق مخططات اليهود واطماعهم ، وما أضافوه من تعاليم الظنود ، وغيرها من الكتب السرية والعلنية تحقيقا لأهدافهم الدينية وهذه الصورة الواقعية توضح اختلال مفهوم النبوة والرسالة عند هم فحالة فقدان أسس وقواعد الدين القيم كقيلة يجعل هذا المجتمع متكفك الا واصر متفرق الاهداف فضلا عن الكفر والضلال .

والاضطراب في مفهوم النبوة والرسالة كان سببا من أسباب كثرة الانبياء في بني اسرائيل فمنهم من كان مرسلا من عند الله تبارك وتعالى مؤيدا بالوحي والحق . الى جانب ذلك وجد بين بني اسرائيل ملحدون ، فأطلق اليهود عليهم اسم النبوة ، كما وجد بينهم من ادعاه زورا وهبتانا ووجود هؤلاء الكذبة كان بمثابة رد فعل للنظام الطبقي الذي انتشر بين اليهود والتسلط بسيطرة قطاع كبير من الاثرياء على مقاليد النفوذ على أشاع جوا من الحقد والضغينة وأسهم في ابراز هؤلاء المتنبيين ( الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس ) كذبا ) وطمعهم وخيرونهم باستغلالهم حسيما يتقاضون منهم من أجور ومنهم متعصبون متوسون يستشيرون مشاهيرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة أو الشرهات القصية أو الرقص الشبيه برقص الدراميش وينطقون بعبارات يراها أصحابهم وحيا أوحي اليهم أي تشبها فيهم روح غير روحهم ) . ( ١ )

وهذا ما برع فيه الكهنة الذين استطاعوا الوصول الى مناصب مرموقة في المجتمع اليهودي وسيأتي الكلام عنهم بعد الحديث عن موقفهم من عقيدة البعث والحساب ( اليوم الآخر ) ان شاء الله تعالى .

اما موقف الاسلام المشرف من الانبياء والرسل عليهم السلام فهو موقف يليق بتكريمهم واحترامهم والذب عنهم وهو مبني على أساس أنهم مختارون ومصطفون من الله تبارك وتعالى بتبليغ رسالته الى البشر ، مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولهذا نقول أكثر العلماء منعقد على وجوب كسوف الانبياء معصومين من الكبائر ون الصفاة يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : السقول بان الانبياء معصومون من الكبائر ون الصفاة هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر " ابو الحسن الامدي " ان هذا قول أكثر الاشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والائمة والمصابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول ( ٢ )

- ١ - : قصة الحضارة ٣ / ٣ : ٣٤٩ وقارن مع : اليهودية د . شلبي ص ١٦١-١٦٢
- ٢ - : فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣١٩ / ٤

و مجمل القول فان الانبياء معصومون من الكبائر بعد البعثة عدا وسهوا وكذا من الصفائر عدا واذا وقعت منهم صغيرة سهوا بعد ها فانهم ينهبون على ذلك واما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصفائر اللهم الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم في رسالاتهم .

وللعصبة متعلقات اهمها : العصبة من الكفر ٢ - العصبة من المعاصي ٣ - العصبة من الخطأ في التبليغ (٢)

وللعصبة صفات منها : الصدق ، والتبليغ والامانة والفسطانة وهذه من الواجبات في حقهم طيبهم السلام .

١ ما يستحيل في حقهم فهو : الخيانة والكذب والغفلة والكتمان ١ . (٣) ما امروا بتبليغه .

وقد ايد الله سبحانه وتعالى انبياءه ورسله الكرام بالمعجزات تصديقا لكل ما يبلغونه منه وكانت مقرونة بالتحدي لمواجهة انحراف المنكرين والزام الجاحدين

١ - والعصبة في اللغة : النسخ وأيضا الحفظ : وفي الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه . . . ) أو هي ( لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويحجزه عن الشر مع بقاء الاختيار للاقتلا والاختيار ) : مختار الصحاح للرازي مادة عصم وتحفة السريد شرح جوهرة التوحيد للبيهجوري ص ١٣٤ والفقه الاكبر للسلاطي القاري ص ٩٤ دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م بيروت ، لبنان .

٢ - راجع : المواقف للابجي ص ٣٥٨ - ٣٥٩

٣ - راجع في موضوع العصبة ومتعلقاتها " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢/٤١٦ - ٤١٧

وقد اورد الرازي في اثبات وجوب العصبة ثلاثة أوجه :  
أحدها : أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ونعمة الله تعالى على الانبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع صاة الأمة وهذا باطل فذاك باطل .

الثاني : أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته لقوله تعالى ( ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) وإذا لم تقبل شهادته في هذه الاشياء فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى وهذا باطل فذاك باطل .  
الثالث : أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم ( فاتبعوه لعلمكم تفلحون ) وقال تعالى ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) فلو أتى بالعصبة لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعتهم في فعل ذلك الذنب وهذا باطل فذاك باطل ، وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فاما ان تحمل على ترك الأفضل أو أن تثبت كونه معصية لا محالة فذلك انط وقع قبل النبوة ( معالم أصول الدين ، فخر الدين الرازي ص ١٠٨

١٠٩ - طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربي بيروت . وراجع في ذلك : أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ١٦٧ - ١٦٩ دار الكتب العلمية ط ٢ ١٤٠٠ - بيروت

والقرآن الكريم يورد في كثير من السور والآيات قصص الانبياء والمرسل  
عليهم السلام مع قوسهم .

كما يشير بوضوح الى معارضة بني اسرائيل لهم والاعتداء عليهم بالقتل  
من ذلك قوله تعالى :

( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا هَارُونَ  
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ) (١)

ويقول الحق سبحانه :

( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ  
مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِخَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) (٢)

وهكذا يكون موقف الاسلام من الانبياء لا نقا بهم كاشفا جرائم اليهوسود  
اعداء الحق والدين .

١ - البقرة : ٨٧

٢ - آل عمران : ١٨١

ثالثا : عقيدة اليوم الآخر :

ان الطائفة التي صبغت الفكر اليهودي كان لها من الاثار الطامسة  
ما أخرج اليهود من دائرة المؤمنين بالبعث والحساب ، وهذا يمثل ارتكاسا كبيراً  
وجوهرياً لعقيدة اليوم الآخر والتي جاءت بها شريعة موسى عليه السلام ككل الاديان  
السلطوية والتي اعتقد بها بنو اسرائيل في بداية الدعوة ثم حرقوها بعد ذلك . فالله  
تعالى ارسل رسله وانبياءه لهداية الخلق وانزل كتبه بالحق ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا  
هُدًى وَنُورٌ ) (١) و " الكتب السلطوية من ركائزها الدعوة الى التوحيد والايمان  
باليوم الآخر فاذا ما غلبت التوراة من هذه الركائز أو احداها فهي ليست توراة الله  
بل هي ألحوية المحرفين (٢) .

وانكار اليهود لعقيدة البعث والحساب لا يشكل مفاعلة لدارسي النفسانية  
اليهودية (٣) . وما انطوت عليه اخلاقيهم من مقاسد فردية واجتياحية ، أهمها : الحرص  
على متاع الدنيا ، وكثرة الجدال ، والعنصرية في التفكير ، وقسوة في القلوب وتهور  
في الطباع والسلوك (٤) .

والتبديل والتغيير والتحريف في التوراة من الأسباب الرئيسية فسي  
ايمان القوم من أصول عقائد هم وعليه فقد باتت الفرق اليهودية تتضارب في عقيدة  
البعث والنشور ، وتضع تصوراتها ضيق وفق أهوائها ، وقد غلبت التوراة من ذكرها  
تاما . وفي ذلك يقول ديورانت : ( على أن اليهود ظلم كانوا يشيرون الى حياة  
أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء من الخلود .  
وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدرك فكرة البعث فسي  
خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض . .  
ولعلهم أخذوا هذه الفكرة من الفرس أو لعلهم أخذوا شيئاً منها من

١ - الطائفة : ٤٤

٢ - الاديان في القرآن ، د . محمود بن الشريف ، ص ١٠٣ ط ٣ سنة ١٩٧٩ م دار  
عكاظ للطباعة والنشر .

٣ - راجع في هذا الموضع كتاب " دلائل النفسية اليهودية " د . محمد علي الزهبي  
ط . بيروت .

٤ - لقد فضح القرآن الكريم هذه الصفات الذميمة في كثير من آياته فمن ذلك قوله تعالى :  
( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ يُعْرِضُونَ عَنْكَ آلُفَ سَنَةٍ وَلَا  
هُوَ بِمَرْحُومٍ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعْزِرُ وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْلَمُونَ ) البقرة : ٩٦  
وفي حب الجدال ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا  
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُنَا رَبَّكَ بِمِثْلِ مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكْرَهُونَ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُنَا رَبَّكَ  
بِمِثْلِ مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْبِرُ النَّاطِرِينَ . قَالُوا ادْعُنَا  
رَبَّكَ بِمِثْلِ مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَابَهَ طِينًا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا  
بَقَرَةٌ لَا ذَلِيلَ تَشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ سَلْسَلَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ  
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ) البقرة : ٦٧-٧١

و عن قسوة القلوب ( ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ  
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ  
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) البقرة : ٧٤ .

و راجع في هذا الموضوع : " قصة الاديان " رफी زاهر ص ١٩٧-٢٠٢ مكتبة النهضة .

وهذا النص يفسره هكذا لنا ما ذهب اليه د. السيرى من : ان العهد القديم ليس فيه اشارة واحدة الى البحث أو اليوم الآخر وأن فكرة الاعتقاد بالبحث بدأت تظهر في الكتابات اليهودية لتخدم فكرة العودة للأرض ولعل هذا من الأسباب الكامنة في عدم تقبل الفرق اليهودية لفكرة البحث والحساب .

والايمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الايمان في الاسلام وقد

شدّد القرآن الكريم النكير على الكافرين لانكارهم البحث ، وقد طالبت الايات الحكيمه هذه الناحية بصورة خاصة لان البيئة الجاهلية كانت لا تعتقد بهذه العقيدة .

فالله تعالى هو المحيي والمميت وهو القادر على بحث الاجساد وهو أهون عليه ، قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) (٣) .  
( أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدَأُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) (٤) .

واثبات هذه العقيدة لا يتم وفق النظريات والقوانين التجريبية لتعلقها بالايمان بعالم الغيب ، فالفطر السليمة التي وضعها الله تعالى في النفس البشرية هي القدرة على ادراك هذه الحقائق وأن ذوى الأبصار وأولى الالباب هم المتكسبون من النظر في الآيات الكونية السبوة في هذا الوجود والاستدلال على امكانية البحث والنشور. وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك، ودعا الخلق الى التفكير والتدبر ، يقول سبحانه في ذلك ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٥) .

ويقول ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ طِفْلاً فَخَلَقْنَا الْمَلَأَةَ كُفَّةً فَخَلَقْنَا الْكُفَّةَ عِظَامًا فَكُسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِعِندِ ذَلِكَ لَمَبْتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْحَثُونَ ) (٦) .

ويقول سبحانه ( وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ) (٧) .

( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٨) .

وهكذا تأتي الآيات القرآنية لتجيب على أسئلة الحيارى التائهين في لجسج الحياة مذكرة لها هم بأن البحث حقيقة لا ريب فيها .

١ - قصة الحفارة ١/٢ : ٣٤٥ ، ان كان قصد ديورانت بالتوراة المعرفة فهذا صحيح ولا فان الكتب الخزلة من عند الله تعالى جميعها تقر بهذه العقيدة .

٢ - راجع : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٠١-١٠٢ .

٣ - الروم : ٢٧ ٤ - العنكبوت ١٩ ٥ - العنكبوت ٢٠

٦ - المؤمنون : ١٣-١٦ ٧ - قاطر : ٩ ٨ - فصلت : ٣٩

## اسفار اليهود المقدسة ( التوراة )

### أو العهد القديم - ونقدها

لم يطلق على أسفار اليهود اسم العهد القديم في العهد اليهودي التي وافقت نشأة جماعة وادي قمران ، لان هذه التسمية لاحقة على وجود الجماعة ، إذ أن أول من أطلق وقرر هذه التسمية هم المسيحيون تمييزاً لها عن الاناجيل التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد . (١)

وقد تعددت الآراء حول معنى كلمة ( التوراة ) فذهب البعض الى انها مشتقة من كلمة ( تارا ) بمعنى : يلقي بالقرعة لمعرفة شئ الله ، والكلمة لم تكن ذات معنى محدد ان كانت تستخدم بمعنى ( وصايا ) أو ( شريعة ) أو ( علم ) أو ( أوامر ) ولكنها في القرن السادس ق.م. حارت تعنى الشريعة بشكل عام ثم أصبحت تشير الى البنتاتوخ ( أو البنتاتوك )<sup>(٢)</sup> . أو شريعة في مقابل أسفار الانبياء وكتب الحكمة والأناشيد ، وذهب البعض الى انها من كلمة تورة بالعبرية اي الهدى والرشاد . وينسب أهل الكتاب الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام على أساس انها موحى بها من الله ، أما بقية أسفار العهد القديم فهي ... أسفار تاريخية مختلفة تحكى التقلبات التي مر بها اليهود . . . أما بقية أسفار الانبياء فقد سمي كل سفر بحسب اسم صاحبه كما يعتقدون .

وجميع هذه الاسفار في نظر أهل الكتاب مقدسة ما عدا بعضها التي اُختُصِفَ في قدسيته ، فبعضُ الاخبار يضيفون اسفاراً لا يقبلها اخبار آخرون<sup>(٣)</sup> .

أما بالنسبة لفهم الاسلام حول التوراة فهو يختلف عما يذهب اليه اليهود فالسلمون يؤمنون بان الله تبارك وتعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام

١ - راجع : كتاب : " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ، خير الله طلفاح ، ١٥٦/٧ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م . وكذلك راجع في هذا المصدا بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، ١٧/١

٢ - اي الكتاب ذو الاسفار الخمسة ، راجع " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٣ - موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٤٣ وهناك تسميات أخرى منها ( الناموس ) راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨ ، ومنها التعاليم ، راجع : اليهودية ، د شلبي ، ص ٢٣

٤ - راجع : " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٥ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠



هَدَى وَنُورًا ، قَالَ تَعَالَى ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّهَابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَالْأَخْشَاءَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) (١)

ولكن : هل بقيت التوراة كما أرادها الله لبني اسرائيل ، أم غشيت هديل ؟ ، وهل حافظ عليها هؤلاء أم حرفوها وزوروها ؟

ولا هُمية هذا البحث وتعلقه بجماعة وادى قمران وكتبها وبولفاتها التي تخالف بقية اليهود بحسب اراء بعض العلما \* يحسن ايراد بعض النقاط حول ما هية التوراة المتداولة حاليا بين أيدي أهل الكتاب ، وتاريخ تدوينها ومصادرها للانتقال الى التحريفات التي أدخلها القوم عليها .

#### اولاً : نظرة عامة :

اهتم نقاد النصوص الدينية بأسفار العهد القديم وتمكنت أبحاثهم الكثيرة عقب حقبة طويلة من التوصل إلى حقيقة خاطئة أن أسفار التوراة دونت في أزمنة مختلفة وليس في زمن واحد ، وأن هذه الأزمنة متباعدة جداً فيما بينها وتصل إلى قرون عديدة ، ما يوحي باستحالة نسبتها إلى موسى عليه السلام من جهة ، كما أن المفاهيم والمعلومات والأحداث التاريخية التي وردت في هذه النصوص لا تتفق مع نظريات وقوانين العلم الحديث (٢) فضلاً عن التناقضات الكثيرة الواردة في هذه الاسفار ولهذا اعتبرت من قبيل الاساطير والخرافات القديمة التي نسجتها مخيلة الكهنة الامر الذي يستحيل معه قسوس العقل السليم بمثل هذه الترهات ، وما رافقها من تضخيم وتضخيم لشعب شئت محتر ، ظن صلفاً انه شعب مختار تشيها مع تقوله على الله تبارك وتعالى ومكابرة على الحق ، واتباطا لخطط الكهنة ابتغاء جمع اليهود بعد التيه والتشرذم .

١ - المائدة : ٤٤

٢ - يراجع في هذا الصدد ما كتبه " موريس بوكاي " حول الاخطاء التاريخية الواردة في التوراة المحرفة المتداولة ، وكذلك المناقضات العلمية التي لا يسلم بها العلم الحديث وذلك في كتابه " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " ، ص ٣٩ - ٤٧ ، دار المعارف بمصر

## ثانيا : تقسيم التوراة :

===

يقسم اهل الكتاب اسفار العهد القديم كل بحسب ترتيبه الخاص ، وما يذهب اليه كل فريق . فاليهود لهم تقسيم رتبوا فيه اسفارهم بحسب تواريخهم ولم يسلم هذا التقسيم من خلافات بين الفرق اليهودية .  
فاذا جئنا الى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة اسفار عن النسخة البروتستانتية ( ١ ) .

وما يهم البحث هنا هو التقسيم الذي ارتضاه اليهود للعهد القديم والذي يبلغ مجموع اسفارهم ٣٩ سفرا وهي طي النحو التالي :

القسم الاول : اسفار موسى الخمسة ، وتسمى ايضا الناموس ( ٢ ) .  
وهي :

١ - التكوين ، : وهي بذلك لانه يصف الخليقة وهدى العالم والشعب المختار بنوع خاص ( ٣ ) .

٢ - الخروج : واسمه في الاصل العبري ( واهل شيموت ) يتحدث عن بني اسرائيل وخروجهم من مصر ، وقد دونت فيه احكام شريعتهم بحسب ما يرونها ومن ضمنها الوصايا العشر في الاصحاح العشرين ( ٤ ) .

٣ - اللاويين : ويحتوي على طقوس الكهنة ابنا لاوي ( ٥ ) ويبين واجباتهم وحقوقهم والذبايح وفروضها ( ٦ ) .

٤ - العدد : تضمن احصاءات عن الشعب المختار ، وقصة الشبه ( ٧ ) .

٥ - تثنية الاشتراع : وهو تكرار وتتمة لشريعة موسى بحسب ما يزعمون ، واسم السفر بالعبرية ( اله هو ياريم ) ( ٨ ) ( ٩ ) .

١ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

٢ - قاموس الكتاب ص ٧٦٤

٣ - " كنتم غيراة " ... طلفاح ص ١٥٧/٧

٤ - قاموس الكتاب ص ٣٣٩ ، ( و " كنتم غيراة " ، طلفاح ، ١٥٧/٧

٥ - " كنتم غيراة " ١٥٨/٧ وقاموس الكتاب

٦ - قاموس الكتاب ص ٨٠٩ .

٧ - " كنتم غيراة " . طلفاح ، ١٥٨/٧

٨ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٩ و " كنتم غيراة " ص ١٥٨/٧

٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٥

### القسم الثاني : يسمى الانبياء ، وكذلك الاسفار التاريخية

وهو اثنا عشر سفرا وسأعدد لها فقط واحيل القارىء الى المصادر والتي تحدث عنها ، والتي توسعت في مباحثها .

- ١ - يشوع
- ٢ - القضاة
- ٣ - راعوث
- ٤ - صموئيل الاول
- ٥ - صموئيل الثاني
- ٦ - الملوك الاول
- ٧ - الملوك الثاني
- ٨ - اخبار الايام الاول
- ٩ - اخبار الايام الثاني
- ١٠ - عزرا
- ١١ - نحميا
- ١٢ - استير

وتتحدث اخبار هذه الاسفار عن كل ما مر باليهود حسب زعمهم من احداث خلال عهود الانبياء اصحاب هذه الاسفار ، وما حدث لكل واحد منهم ( ١ )

### القسم الثالث : اسفار الاناشيد

وسأعدد لها خمسة

- ١ - ايوب
- ٢ - مزالمير داود
- ٣ - امثال سليمان
- ٤ - الجامعة
- ٥ - نشيد الاناشيد

وتتحدث هذه الاسفار عن امور مختلفة منها قصص ابيوب وابتهلاه ، وادعية متعددة نسبت اليه والى سليمان وداود . وغيرهم .

### القسم الرابع : اسفار الانبياء ( الصغار ) ويسمى نبينهم

وهي سبعة عشر سفرا

- ١ - اشعيا
- ٢ - ارميا
- ٣ - مراثي ارميا
- ٤ - حزقيال
- ٥ - دانيال
- ٦ - هوشع
- ٧ - يوشيا
- ٨ - يرميا
- ٩ - يرميا
- ١٠ - يونس ويونان
- ١١ - ميخا
- ١٢ - ناحوم
- ١٣ - حبقوق
- ١٤ - صفنيا
- ١٥ - حجي
- ١٦ - زكريا
- ١٧ - ملاخي او ملاحي

وهي أسفار تتحدث عن كل ما جرى لهؤلاء المذكورين اعلاه مع قومهم

١ - ومن اهم المصادر والمراجع التي بحثت في تفاصيل هذه الاسفار وفسرت الاحداث التي صارت بانبياء بني اسرائيل : اليهودية ، د . شليبي ، والاسفار المقدسة ، للدكتور وافي ، وكتاب قاموس الكتاب المقدس ، وهو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء للدكتور عبد الشكور محمد أمان ، وكنتم خيرامة ، لطفاح وغيرهم .

ثالث : لغات الاسفار وتاريخها تأليفها وتدوينها :  
=====

دونت اكثر اسفار العهد القديم بالعبرية ، وان كانت التراكيب والاساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الاسفار وتنتم عن العصور التي ألف فيها كل سفر منها ولا يستثنى من ذلك الا بعض أجزاء <sup>(٢)</sup> مسيرة الفت من اول الامر باللغة الارامية وهي بعض اجزاء من سفر عزرا ( ESDRAS ) ودانيال وفترة واحد من سفر ارميا .....  
وكستان اثنتان من سفر التكوين وردتا باللغة الارامية عن قصد ويرجح الباحثون ان ط الف بالارامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه الى حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وان ط الف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة لاحقة لهذا التاريخ . (٣)

وان اقدم ترجمة للتوراة ( هي الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية وهي المنقولة من العبرانية الى اليونانية وقد نقلت هذه الترجمة الى الاسكندرية بحرفي حوالي سنة ٢٥٠ ق م تلبية لرغبة بطليموس فلاذلفوس ( ٢٨٠ - ٢٤٧ ق م ) ثم ترجمت الى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد ويرى المؤرخون المحققون ان المقصود بالتوراة هنا هو الاسفار الخمسة الاول من الكتاب المقدس المنسوب لموسى عليه السلام كما يدعي اهل الكتاب .

( وليس في الوصف تحديد تاريخ قاطع للتوراة ولكن الأرجح ان معظمها كان موجودا ومعترفا بقداسته لدى اليهود منذ عهد الاسكندر الاكبر ( عام ٣٣٠ ق م ) وقد اتفق معظم شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها التوراة وأهمها نسخة ألوهيم ونسخة يهوه ونسخة الكهنة او السجولين والذائع ان بعض هذه النسخ كتب حوالي القرن العاشر ق م على ايام السلطنة الاسراقيلية وبعضها الاخر كتب في القرن السادس ق م . اثنا عشر نسخة السبي البابلي وبعضها كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون .

وايضا كان الامرفان اقدمها عهدا يروى احداثا تعزى الى زها الف سنة مضت قبل تسجيلها كما انها في جلستها تتناول تاريخا بينها وبينه عدة قرون وهذا ينطوي ضمنا على ان تدوين التوراة تعرض لتعديلات كثيرة حتى تكون اكثر مطابقة للاغراض التي دعت الى كتابتها وفي راي ولزان التوراة قد انتهت الى صيغتها الراهنة حوالي سنة ١٠٠ ق م (٥)

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ٢ - المرجع السابق
- ٣ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ١٢ ٤ - " كنتم خيرامة " طلفاح ١٢٠/٧
- ٥ - التراث اليهودي الصهيوني ، صبري جرجس ص ٢٢ ط ١٩٢٠ عالم الكتب ، القاهرة

وهذه موريس بوكاي الى ان : ما اشار اليه " اد موند جاكوب " من انه لم يكن هناك نص واحد فقط بل هناك ( تعدد في النصوص ، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا كان هناك على الاقل ثلاث وثلاثون للنص العبري للتوراة ، وكان هناك النص المحقق ( الطسوري ) والنص الذي استخدم جزئيا على الاقل في الترجمة اليونانية والنص المعروف بالسامري واسفار موسى الخمسة ثم بعد ذلك في القرن الاول قبل الميلاد اتجه الى تدوين نص واحد ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم الا في القرن الاول بعد الميلاد . ( ١ )

وهوكد بعض العلق على ( ان النسخة الوحيدة من التوراة التي كانت محفوظة بالهيكل ضاعت باحراقه لأول مرة على ايدي البابليين ) ( ٢ )

ومن ثم فقد قام احبار اليهود اثنا عشر الهابلي بتأليف توراة جديدة اعتدوا فيها على الذاكرة واضعين امامهم هدفا واحدا هو اجتماع اليهود مرة اخرى عند الهيكل بمسند اعادة بنائه من جديد ولا يمنع هذا بطبيعة الحال من ادخال التعديلات عليها حتى اصبحت بنصها الحالي ( ٣ )

وهناك اسفار كثيرة لم يعرف مؤلفوها . ( ٤ )

وتجدر الاشارة الى ان اخر الابحاث التي انتشرت في الغرب اكدت على بشرية التوراة المكتوبة حاليا : ان جاء في مقدمة دراسة صادرة عن الهيئة العبرية

١ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ، ص ١٨ . وهوكد ايضا ( انه لو كانت هذه المدونات الثلاثة موجودة الان لا يمكن اقامة المقارنات للوصول الى رأي مما كان عليه النص الاصيل ولكن يشاء " سوء الحظ " الا تكون لدينا اقل فكرة عنه ان اقدم نص عبري للتوراة يرجع عهد الى القرن التاسع بعد الميلاد هذا اذا وضعنا جانبا اسطوانات مغارة قمران التي ترجع الى ما قبل العصر المسيحي بقليل ويرد على الوصايا التي تختلف طفيفا عن النص الكلاسيكي ، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع الى القرن الخامس بعد الميلاد . . . )

٢ - التراث اليهودي الصهيوني ، ص ٢٢

٣ - المرجع السابق

٤ - راجع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ، ٨٢/١ - ٨٩ وقد أسهب د . عبد الشكور أمان في اعطاء نماذج كثيرة لهذه الاسفار .

الامريكية والتي اوضحت ( ان هذه الدراسة تنبع من فرضية ان سفر التكوين كما هو الحال في الاسفار الاربعة المكونة للتوراة هي كتاب بشري من وضع البشر (١) .

كل ذلك يدعو الى الشك في هذه الاسفار ، بل والاعتقاد بانها من وضع احرار اليهود ، وانها ليست من وحي الله لها فيها من دس وتحريف وتزييف .

يمكننا ان الحق تبارك وتعالى قد كشف جرائم اليهود في تحريفهم للتوراة والكتب المنزلة على انبيائهم ، يقول الله تعالى :

( أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشِرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَهُمْ أُمَمٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًى وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخُنُّونَ ، قَوْلَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلَ لَهُمْ مَا كُنْتُمْ أَتَيْدِيهِمْ وَقَوْلَ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ ) (٢) .

ويقول ايضا ( فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاقْفُضْ عَنْهُمْ قُلُوبَهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنْفِقُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ) (٣) .

ويقول ( مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرُ سَمْعٍ وَرَاحَنَا لَبًّا بِالسِّنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَنَظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) (٤) .

١ - مقالة بقلم " محمد جلال كشك " تحت عنوان " ملاحظات اسلامية عن التوراة

والانجيل " ، مجلة الباطنة ، عدد ٢٢٠٨٠٤ شعبان ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٩ ، السعودية .

٢ - البقرة : ٧٥-٧٩

٣ - البقرة : ١٣-١٤

٤ - النساء : ٤٦

### النقد الموجه الى تلك الاسفار

من الاسباب الهامة التي تدعو الباحثين للشك في صحة الاسفار المقدسة وعدم نسبتها الى موسى عليه السلام : كثرة الفتن والاضطرابات التي رافقت التاريخ اليهودي ، ولا ادل على ذلك من تعدد حملات السبي المتكررة التي قام بها الاشوريون على امتداد حقب طويلة كان اولها سبي الاسباط العشرة او ملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٤٦-٧٢٨ ق م حتى سقوط السامرة بيد سرجون عام ٧٢٢ ق م . ثم سبي السكان الى بابل بين النهرين .

اما السبي الثاني فهوسي يهوذا وتم على يد نبوخذ نصر في اربع مراحل اى في الاعوام ٦٠٥ ق م و ٥٩٧ ق م و ٥٨٧ ق م و ٥٨٢ ق م (١) . ولا يخفى على احد ما يرافق عادة عمليات السبي من بطش وقتل وخراب وحرق مما يجعل من المؤكد فقدان وطف ما بحوزة القوم من اعيان . وكتب ، وما الى ذلك . زد على ذلك ان الصراع كان دينيا في اغلب الاحيان .

وعلى هذا الاساس فان هذه الاسفار لا يمكن ان تبقى على حالها من حيث الصحة والنقل واتصال السند فضلا عن التواتر بها قيل من حجج توهي في الظاهر انها كانت محفوظة في الصدور ثم تداولت فيما بعد او انها كانت مكتوبة في مجلدات . وقد اكد الشيخ رحمة الله الهندي انقطاع سند الاسفار وعدم تواترها بقوله ( ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون والنسخة التي وجدت بعد ثلثي عشرة سنة من جلوسه على سهر السلطنة لا اعتداد طيها يقينا ، ومع كونها غير معتدلة ضاعت هذه النسخة ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد المعتبر عن صفحة العالم رأسا ) (٢) .

على ان العلة يوردون اسبابا اخرى تجعلهم في شك من امر هذه الاسفار وتقدم لهم ادلة قاطعة على انها من صنع كتبة وحاخامات اليهود ولا يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام .

فمن ذلك ما اورد د ديورانت حول سفر التكوين من ( ان العلة مجمعون

---

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٨ - لمجموعة من علماء اللاهوت .

٢ - اظهر الحق ، الشيخ رحمة الله الهندي ص ٨٤

على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان التشابهيان المنفصلتان هما  
عن الأخرى في سفر التكوين تتحدثا عن الخالق باسم ( يهوه ) على حين  
تتحدث الأخرى عنه باسم ( الوهيم ) ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة  
بـيهوه كتبت في يهوذا وأن القصص الخاصة بالوهيم كتبت في افرايم وأن هذه وتلك  
امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . ( ١ )

أما بالنسبة لسفر تثنية الاشتراع فيقول عنه ديورانت :

( وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه  
أو كتابه غير كتاب الاسفار السالفة الذكر وشخص رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة  
فيما بعد والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذي  
أدناه عزرا<sup>(٢)</sup> وبعد وأن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام  
٣٠٠ ق م .

يفرق ديورانت بين ما وجد في عهد يوشيا وما تلاه عزرا على الشعب ولهذا  
فالحاجة ماسة للمودة إلى هاتين الحادتين للتعرف على ما قرره ديورانت .

- يعترف أهل الكتاب أن معظم الاسفار المقدسة قد اُتلفت أو فقدت في مصر  
الارتداد عن الله وهذا ما صرح به قاموس الكتاب المقدس مستشهدا بالأصحاح ٢١ من  
سفر الملوك الذي أخبر عن الأحداث التي طارت<sup>مضى</sup> وقد جاء فيه ( من أجل أن مضى  
ملك يهوذا قد حل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذي حله الأموريون الذين قبله  
وجعل أيضا يهوذا يخطئ بأصنامة لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل هأنذا جالس  
شراً على اورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه وأعد على اورشليم محيط  
السامرة ومطارب بيت أخاب وأمسح اورشليم كما يمسح واحد الصحن يمسحه ويقلبه طيسبي  
وجبه وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم<sup>(٣)</sup> )

بعد هذه الكارثة تولى يوشيا الحكم وفي عهده وجد "حلفاً" فصولاً من سفر تثنية  
الاشتراع . ، وقد أكد الدبس أن ما وجد فقط أربعة فصول من سفر التثنية . ( ٤ )

فالمعثور على أجزاء من سفر لا يعني أن جميع أجزاء التوراة التي فقدت  
أو أُلُفَّت أو سحبت قد عثر عليها كلها ، هذا إذا كانت حادثة المعثور حادثة صحيحة  
ولم تكن الأجزاء المعثور عليها من تأليف شافان الكاتب بالتواطؤ مع حلفاء الكاهن

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٦٧

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ٣٦٧-٣٦٨

٣ - سفر الملوك الأول ٢١ : ١١-١٤

٤ - مختصر تاريخ سوريا ، ص ٩٧



فهنا اللذان عثرا على تلك الاجزاء ( ١ )

وهو كديورانت أن ما عثر عليه من الاسفار على عهد يوشيا " قري " على اليهود مرتين في يوم واحد " . ( ٢ )

ثم تأتي الحادثة الثانية وهي حادثة عزرا والتي تحدث عنها ديسورانت قائلا ( في سنة ٤٤٤ ق م دعا عزرا وهو كاهن وعالم اليهود الى اجتماع طام خطير وشرع يفسر عليهم من مطلق النهار الى منتصفه ( سفر شريعة موسى ) وظل هو وزملاؤه اللاهوت سبعة أيام كاملة يقرؤون عليهم ما تحتويه لمغات هذا السفر ولط فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ومبادئ خلقية يسلمون على هديها ويطيعونها الى أبد الابدين ( ٣ ) .

ثم يوهك أن ما نل في عهد يوشيا هو غيره ما نل في عهد عزرا .  
بعد أن يورد تأثيرات الأمم الأجنبية على اليهود يقرر حقيقة هامة فادها ( ان الاسفار التي نلت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين الموسوية التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد . ) .

وقد طق الشيخ رحمه الله الهندي على ذلك بقوله ( ولط كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسختها واكثر نقولها في حادثة انتيوكس ( انتيوخوس ) .  
وحادثة انتيوخوس هذه تعتبر من أهم الكوارث التي حلت باليهود وراثهم الديني وقد تحدث عنها الديس قائلا ( . . . وطاسون من مكره وهاجم أورشلهم بالف رجل فهرب متلاوس الى القلعة وأخذ ياسون يذبح أهل وطنه بلا شفقه ولكن تقوى عليه الجمهور فطردوه وطاف فيها في حصر ، وبلغ انتيوكس خبر ثورته فزحف السس اورشلهم فاهلك من أهلها ثمانين الفا في ثلاثة أيام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م ) . ( ٦ )

١ - راجع : قاموس الكتاب المقدس حول حادثة المشرق هذه في ص ١١٢٠

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٦٦

٣ - المرجع السابق ، ومعقب على ذلك قائلا ( . . . على حين ان قراءة الكتاب الاخر ( عزرا ) قد احتاجت الى اسبوع .

٤ - المرجع السابق ١/٢ : ٢٧٠ ه - اظهر الحق ص ٨٤

٦ - مختصر تاريخ سوريا ص ٩٧ - مستشهدا به ( مكاف ٤ عدد ٧٠ )

## الفصل الرابع : رجال الدين اليهود ،

ان التطور الذى رافق العقيدة اليهودية والذى اشار اليه العلماء ، راجع دون شك الى وجود طبقة في المجتمع الديني اليهودي ، اذ عتدوا على تعريف التوراة الاصلية ، وهذه الطبقة تطلت " بالكهنة " والكتبة " ، والتي سنرى طرفا منها اثنا الاشارة اليها بشكل موجز لنعرف حقيقتها وما تمثله من ضغط في المجتمع اليهودي .

### أ - الكهنة :

تطلق هذه الكلمة في عرف اهل الكتاب على خدام الدين وفي اصطلاح الكتاب المقدس عند هم تأتي من كلمة ( كاهن - أو كهنوت " أى الشخص المخصص لتقديم الذبائح " . (١)

وكان الكهنة يتولون الى جانب ذلك التشفع لدى الله من أجل الشعب (٢) . ومن هنا تبرز أهمية دور هؤلاء في المجتمع كطبقة تستغل تدبير الناس بامتناعها الوساطة ما بين الخلق والخالق .

والاعتقاد السائد بين اليهود ( أنهم أمة من الكهنة والقديسين والانبياء اختارهم الله ليكونوا بمثابة الكهنة لكل الازمان ، ولكن شعب الكهنة كان مع هذا له كهنته المقصورون عليه ) (٣) .

والى جانب واجبات تقديم الذبائح اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية اضيفت الى مهامهم الخدمة في ( الاحتفالات والتطهير ) وكانوا يعتنون بالانبيسة المقدسة والنار المقدسة والسارة الذهبية واللائث المقدس . وكانوا يطلقون الصوت في الابواق المقدسة ويحيطون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغير ويقدررون المال للافتدائهم وينظرون في شأن البرص ويفسرون الناموس للشعب ويقومون باستشارة الله بواسطة الاوريم والتيميم (٤) .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩١

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم . مراد كامل ص ٢٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ م .

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٣١٧

٤ - كلمتان عبريتان معناهما ( انوار وكلمات ) . ويرجح انهما كانا شيئين صغيرين او ربط حجرين وكانا يحفظان في صورة رئيس الكهنة يستخدم الاوريم والتيميم في معرفة ارادة الله في الامور الكهنوتية او السياسة القومية ( قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٦ ) ومن خلال وصفه فان قول صاحب القاموس انف الذكر ( ويقومون باستشارة الله ) يفيد ان حوارا قائم يدور بين الكهنة وبين الله بواسطة هذين الحجرين ، وهذا محال وتدلّس على الناس وافتراء على الله كما لا يصح وصف هذه الطريقة بالاستشارة كما جاء في قول صاحب ( موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ) من انهم كانوا يفصلون في الامور

وكان رئيس الكهنة اعظم الاشراف بين الاسرائيليين . . . . وكانت وظيفته ميراثا في آل هارون وكان البكر ، اذا خلا من العيوب الجسدية هو الذي يتولّى هذا المنصب وكانوا يعينون<sup>(١)</sup> في حفل كبير ) ويقوم بتقديم الذبيحة يوميا ، وكان يلبس الملابس الفاخرة ولا سيط في يوم الكفارة ، وكان يضع في هذا اليوم صورة مرصعة بالجواهر وقد نقش على الجواهر اسما\* اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر ، وذلك يرمز الى ان رئيس الكهنة يحمل مسئولية كل الشعب ، وهذه الرتبة هي تذكرا للشعب امام الله كما يدعون<sup>(٢)</sup> .

---

=القضائية عن طريق استخاره الله ، راجع : ص ٣١٢ من المرجع السابق . فهذه لا يمكن تسميتها استخاره ، لمخالفة الشكل والمضمون ، بل هي اقرب الى طريقة عرب الجاهلية في الاستقسام بالازلام او عادة التطير عند هم .  
اما الاستخارة فهي عند المسلمين : دعا\* بعد صلاة غير فريضة يقصد منها ( طلب الخير ) مختار الصحاح لابي بكر الرازي ص ١٩٥ ط ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن : يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل :  
اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام السفيوب ، اللهم فان كنت تعلم ان هذا الامر ، ثم يسميه بعينه - خير لي في عاجل امري واجله وفي ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجله واجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به )  
ر : صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ١٠ ، المكتب الاسلامي ، محمد اوزدمير ،

اسطنبول - تركيا ١٩٧٩ م

١ - قارن هذه الاحتفالات بما في قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٣

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٠

وهكذا نرى هو<sup>١</sup> الكهنة كيف يلعبون دورا مهما في حياة اليهود واليهودية<sup>٢</sup> فقد وضعوا انفسهم بين الناس والله فلم تكن تقبل توبة ولا قرايين الا اذا باركها الكاهن لان مفتاح السما<sup>٣</sup> كان في يده ( ١ ) . ( حسب ما يدعون ) كما لم يكن احد غير الكهنة يستطيع ان يقرب القرايين بالطريقة الصحيحة او يفسر الطقوس او الاسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ وكان هو<sup>٤</sup> طبقة مغلقة ولا يستطيع احد ان ينتمي اليها إلا الأبناء لبني ، ولم يكن من حقهم ان يرثوا مالا ولكنهم كانوا معفيين من الضرائب وفرضة الروس وسائر الاتاوات على اختلاف انواعها وكانوا ياخذون العشور على نتاج الضان ، وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرايين التي لم تستفد هـا الالهة<sup>(٢)</sup> ( حسب زعمهم ) .

ولا شك ان هذه العطية تد ر عليهم اموالا طائلة كما تبرز هذه الظاهرة مدى الثروة التي يمتلكها هو<sup>٥</sup> والتي جنيت من الناس باسم السدين . ( ٣ ) .

ومن خلال مراجعة جدول فرق الكهنة في قاموس الكتاب المقدس يتضح لنا ذلك العدد الهائل الذي كان يوظف طبقة هائلة تعيش على د م<sup>٦</sup> الناس وتتلاعب بعواطفهم واحاسيسهم الدينية لقاء تجارة الخداع والغش .

١ - : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣١٢

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٦

٣ - يقول الحق تبارك وتعالى في معرض مغازي اليهود في اكل اموال الناس بالباطل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَعِندُونَ عِزَّن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) التوبة : ٣٤ قال الواحدي : ( نزلت في المسلم<sup>٧</sup> والقراء من اهل الكتاب كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم وهي المأكلة التي كانوا يصيرونها من عوامهم ) اسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن الواحدي . ت : سيد أحمد صقر ص ٢٤٣ دار القبة للثقافة الاسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٤ م السلطنة العربية السعودية .

وقال ابن كثير ( ذلك لانهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون اموالهم بذلك . كما كان لاحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجبي<sup>٨</sup> اليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم في ان تبقى لهم الرياسات فاطفاها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم الذل والصغار وما<sup>٩</sup> بغضب من الله تعالى ) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٠

ب - الكتبة :

هذه الطبقة يطلق عليها اسم آخر هو " الناموسيون " (١) كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه بالنساخ (٢) وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها فاتخذوا الوعظ وظيفه اخرى لهم بجوار كتابة الشريعة وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتصيد اموال الناس وبخاصة عند طعم الفساد وانحرف الغريسيون (٣) .

وقد تطورت هذه الطبقة واصبح من مهامها :

اولا : درس الناموس وتفسيره واصبح شرحهم مدنيا ودينيا وكانوا يحاولون تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية وقد اصبحت قرارات عظمى الكتبة شريعة شفاهية (٤) تدعسي التقاليد . ولا شك ان التطور كان وليد طألفه الكتبة .

١ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٧

٣ - اليهودية د . شلي ص ٢٣٢

٤ - هكذا تحولت الشريعة من الأصالة الى التحريف على أيدي هؤلاء ، فجاء التحريم والتحليل وفق أهوائهم وهذا تمع على مقام الألوهية والربوبية ، وقد فضح الحق تبارك وتعالى هذه الجريمة بقوله في محكم التنزيل ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالسَّيِّحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) . التوبة : ٣١ قال الامام ابن كثير ، : وهكذا قال حذيفة ابن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير ( اتخذوا احبارهم . . . ) انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وقال السدي : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ( . . . راجع تفسير ابن كثير ٢ : ٣٤٩

وفي شان الذين يكتسبون الكتاب بايديهم وينسبونها لله يقول سبحانه ( فويل للذين يكتسبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ) البقرة : ٧٩ ، يقول الامام ابن كثير : اي فويل لهم مما كتبوا بايديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما اكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ( فويل لهم ) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بايديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون ، يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم ) تفسير ابن كثير ١ : ١١٨

وعن تبديل هؤلاء لكتاب الله جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ( يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتاب وكتايكم الذي انزل على

ثانيا : لدرس الاسفار الالهية بنوع عام وذلك من الوجهة التاريخية والتعليمية .  
 ثالثا : للتعليم ، وكان يلتفت حول كل كاتب مشهور جماعة من الطلاب ينتظرون عليه .  
 رابعا : العناية بحفظ الهيكل والمجامع<sup>(٢)</sup> . اضافة الى ذلك جاءت خطوة ثانية رفعت  
 من شأن الكتبة وأطمت من قدرهم ، وهي أن كل واحد منهم عني بإنشاء مدرسة أصبح  
 هو راعيا لها ومعلما بها . وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ، ومن الناحية  
 النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مريديه وإن كانت الناحية النظرية  
 كثيراً ما أهملت وحصل الكتبة على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل أخرى<sup>(٣)</sup> .

وقد بلغ ( أوج نفوذهم على الشعب في أيام المسيح ) عليه السلام . . ومع  
 أنه وجد بينهم من آمن بتعاليم المسيح . . إلا أن أكثرهم قاموا ضده وتذمروا منه<sup>(٤)</sup> .  
 وقد حمل المسيحيون الكتبة مسؤولية ( جلب المسيح ) كما يزعمون . ولهذا  
 كان الانتقاد شديدا لهم .

وهكذا يتضح دور رجال الدين اليهود وكذلك خطورة السهام الموكلة اليهم .  
 فمن هذا السبيل يمكن اخضاع المجتمع لتوجيهاتهم والزامه بقراراتهم وتقريراتهم العقديّة  
 والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وقد شكلت هذه الفئات العمود الفقري للنحس  
 الفكرى والسلوكى والسياسى اليهودى عبر التاريخ ، فنجد المؤلفات اليهودية تصدر عن  
 آراء هؤلاء كتابة وشرحا وتفسيرا مع الاخذ بعين الاعتبار تصفيه هذه السهام عليهم  
 من قدسية في أمين البسطاء .

وتتبادى هذه الفئات في اغلال الرطاح عن طريق استغلال العواطف واثارة  
 الشاھر وتألبيها بثور روح العداوة والاحتقار لغير اليهود وقد اخترعت ما يسمى بشعار  
 " المعاداة للسامية " كستار لمعاربة كل من يتعدى لآرب اليهود واطماهم التوسعية  
 وعن هذا الطريق استطاعت الصهيونية تنفيذ ما ربتها واغتناب اراضي المسلمين فـسـي  
 فلسطين وهي على الدوام تسمى لمزيد من التوسع كلب ستمت الفرصة بذلك .

= نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله تقروونه لم يشب وقد حدد لكم الله ان أهل  
 الكتاب يدلوا ما كتب الله وخبروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمننا  
 قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن سائلتهم ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم  
 عن الذى أنزل عليكم ) : صحيح البخارى ، باب لا يسأل أهل الشرك عن  
 الشهادة وغيرها ١٦٣/٣

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٩

٢ - يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية . د . احمد حجازى السقا ص ٢٤ دار التراث  
 العربى للطباعة والنشر ط ١ ، مصر ، ١٩٧٨ م

٣ - اليهودية . د . شليمي ص ٢٣٢

٤ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٠

٥ - المرجع السابق .

## الفصل الخامس

### الفرق اليهودية

اسباب انقسام اليهود الى فرق دينية تعود إلى أمور شتى ، ولكن العقائد اليهودية خاصة ما يتعلق بأصول الدين ، وفروعه ، كانت من أبرز أسباب هذه الفرقة وهذا الشعب .

كما أن روح التغرد والأناية التي تصطبغ بها الشخصية اليهودية كان لها تأثير كبير على انقسام المجتمع الديني اليهودي ككل ، وإذا كان لليهود ما يجعلهم يعيشون بعيداً عن الشعوب الأخرى ضمن مجتمعات منفصلة فإن هذه العقولة تنطبق على الوضع الداخلي إذ أن الأحقاد والضغائن تنتشر انتشاراً واسعاً وتشكل باستمرار تهديداً للمجتمع اليهودي ، ومن الناحية التاريخية فإن تفرق اليهود خاصة بعد رجوعهم من السبي البابلي قد ازداد (١) .

ورغم هذا الانقسام وحب التشرد فإن اليهود يحرصون في الظاهر على إعطاء صورة مزيفة لواقعهم السافل ، فهم على الدوام يوجهون الاطلام حول تجمعاتهم والتفافهم حول بعضهم ، إلا أنهم في حقيقة الأمر يعيشون في خداع مستمر وقسود كشف القرآن الكريم هذا الزيف ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى ( لَا يقاتلونكم جميعاً جميعةً إلا في قريةٍ محصنةٍ أو من وراء جدارٍ بأسهم بينهم شديدٌ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلون . ) (٢)

وسوف أحاول في هذه المقالة استعراض أهم الفرق اليهودية المنتشرة إبان العصر الذي وجد فيه القرانيون للتعرف على بعض آراء هذه الفرق ، ومن ثم الوقوف على الفرق بين جماعة وادي قمران وبقيّة أقرانها .

#### أولاً : الصدوقيون

هذه الفرقة تنتسب إلى رجل يقال له صدوق (٣) ، أو صادق (٤) ، وقد كان كبير الكهنة ، وقد ورث الصدوقيون عنه المهنة حتى عام ١٦٢ م (٥) ، وكانت أسرة صادق تقود الشموعون في القرنين الرابع والثالث في العصرين الفارسي واليوناني ( ثم ) أخذت تضع الاعتبار السياسية فوق الدينية (٦) .

- ١ - راجع : الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٣
- ٢ - الحشر : ١٤ - الفصل ، لابن هزم ٢٨/١
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٧ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ٢٤
- ٤ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

وقد تقرب الصدوقيون من حكام اليونان وغيرهم كما تقرب الحكام اليهم ، فكانت القيادة والسياسة في ايدي الصدوقيين في زمان الرومان اليهود وسيين وكان رؤساء الكهنة انذاك منهم (١)

وانحصرت عقائدهم في الاتي :

أ - التزموا تعاليم التوراة ( المحرفة ) ورفضوا الأخذ بالا حاديث الشفوية المنسوبة الى موسى ( عليه السلام ) (٢) . وقالوا : ( إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم ) (٣)

ب - انكروا القيامة والثواب في الجسد ، ذاهبين الى ان النفس تموت مع الجسد (٤) . ويعتقدون ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم (٥) .

ج - انكروا وجود الملائكة والارواح (٦)

د - قالوا بحرية الارادة و ( اننا قادرون على اعمالنا ، واننا سبب الخير واننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا دخل لله في صنعنا الخير أو اعرضنا عن الشر ) (٧) .

(٨)

هـ - كانوا يقولون بان عزيرا ابن الله ( تعالى الله عما يصفون ) وكانت تحصل بينهم وبين الغريسيين مشاحنات وخلافات . ( ٩ ) . وقد عارضوا المسيح عليه السلام في دعوته وكانت لهم محاورات معه سجلها متى ( ٢٣ : ٣ - ٢٣ : ١٦ ) ومتى ( ١٠ : ٤ ) وبنهمهم المسيحيون بالشاركة في المواءمة على السيد المسيح ، كما نسب متى وصف المسيح لهم بأنهم أولاد الأقاعي هم والغريسيون متى ٢٣ : ٧ . وكان باقي اليهود يتفرون من تعاليمهم (١١) وتعتبر هذه الفرقة من الفرق التي اضمحلت مع الزمن (١٢) وأن كانت بعض افكارها لا زالت موجودة بين طوائف اليهود .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ وحياة المسيح للعقاد في المجموعة الكاملة ١١ : ٢٤٥

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ - المصدر السابق ومخطوطات البحر الميت للعابدي " ص ٣٨

٨ - الفصل ، لابن حزم ١ : ٢٨ - يوحنا المعمدان ص ٢٣

١٠ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٠

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٧

١٢ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ و موسوعة المفاهيم ص ٢٤٠



## ثانياً

### الفريسيون :

هذه الكلمة مأخوذة من العبرية ( بيروشم ) أى الضعزلون ، وهذا اللفظ دليل على انفصالهم عن عامة الشعب ولم يختص بالسلوك ، ومع ذلك فهم لم يتجنبوا الناس كلية بل كانت لهم صلات وتعامل ، واختلاط ، وانما كانت هذه التسمية تهكماً وتحقيراً لهم ، كما يطلق عليهم أيضاً اسم الريانيين<sup>(٤)</sup> ، وهم يشكلون إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي تناهض الفشتين الآخرين الصدوقيين والاسانيين ( جماعة وادى قمران ) وكانت أضيقتها رأياً وتعلُّماً<sup>(٥)</sup> ، وهناك خلاف بين العلماء حول أصل نشأتهم<sup>(٦)</sup> ، وقد شكل هؤلاء حزبا سياسيا دينيا أيام المسيح عليه السلام وقد تعرضوا للإبادة في عهد يوحنا هركانس الأول ( ١٣٤-١٠٤ ق م ) فتدفق الفريسيون من اليهودية إلى قمران إتقاءً للظالم أكثر منهم رغبة في الحياة النسكية ، بلغ الفريسيون ذروة اليأس والقنوط ( وازدادت على يد ) الاسكندر بن يوحنا نان ( ١٠٣-٧٦ ق م ) الشبل الكلب على حد التعبير الوارد في تفسير نحوم<sup>(٧)</sup> وناصر عليهم الصدوقيين ، ودام النزاع بين الفريقين ست سنوات باد فيها من الفريسيين خمسون الف رجل على مسا جا<sup>٨</sup> في تاريخ اليهود القديم ليوسيفوس فاستجد هؤلاء بالسلوقيين فتقدم ديمتريوس الثالث أفكابروك ( ٩٤-٨٨ ق م ) من دمشق إلى شكيم ( نابلس ) حيث أوقع بجيش الاسكندر سنة ٩١ ق م ) ولما قفل الطك السلوقي راجعا عاد الاسكندر وانتقم من الفريسيين فعلق على الصليب ثمانمائة من وجهاتهم وقتل نساءهم وأولادهم تحسب أنهم يهازون ، والطك يعاقر الخمر مع محظياته<sup>(٨)</sup> . إلا أنهم استطاعوا الحصول على دعم زوجة الاسكندر الكسندرا ( ٩ ) .

- ١ - موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية ٢٨٣
- ٢ - يوحنا المعمدان ص ٢٣
- ٣ - حياة المسيح ، مجموعة العقائد الكاملة ١١ : ٢٤٤
- ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٦
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس ٤٧٤
- ٦ - راجع هذا الخلاف في : الاسفار المقدسة ص ٥٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤
- ٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ : ٣٧٥-٣٧٦
- ٨ - المرجع السابق ٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

## اهم عقائدهم :

أ - انهم يعترفون بجميع اسفار العهد القديم والا حاديث الشفوية ، المنسوبة ( زيفاً ) الى موسى عليه السلام واسفار التلمود ، ويتضح ان فقهاءهم هم الذين ألفوا التلمود ( ٢ )

ب - يقولون بالقدر ، ويجمعون بينه وبين ارادة الانسان الحرة .  
ج - وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامه الجسد ووجود الارواح ومكافأة الانسان ومعاقبته في الآخرة حسب صلاح حياته الارضية أو فسادها ( ٣ ) .  
ولا شك ان مفهومهم هذا يختلف عن مفهوم الاسلام له ، ان يركب الفريسيون ان الاموات سينتشرون في هذه الارض ليشتركوا في ملك المسيح السبى سياى آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعاً في ديانسة موسى أي أن بعث هو لا سيحصل في الحياة الدنيا ( ٤ )  
( ٥ )  
د - ومن آرائهم ايضاً أن دولة اليهود لابد أن تستعيد مكانتها ( ٥ ) .

وقد شاركوا غيرهم من اليهود في السوقوف بوجه دعوة موسى عليه السلام وكذلك كان الامر بالنسبة لدعوة يحيى عليه السلام ، وكانا طيها السلام يقولان بحسب ما يستعترف به المسيحيون ويناديانهم باولاد الافي هم والصدوقيون .  
كما منح المسيح عليه السلام بشدة رؤسائهم وادعاهم البر كذباً وتحليلهم الناس أثقال العرضيات تآون الاكثراث بجوهر الناموس ( ٦ )  
وقد انقسم الفريسيون في عصر الحيلاد الى فريقين :  
فريق منهط يتبع الحكيم ( هلل ) وهو الفريق السمع الودود في معاملته الا جانب والفريق الاخر يتبع الحكيم ( شلى ) وهو أقرب الى الحرج والتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير اليهود ( ٧ )  
ولا شك بأن الكثير من الأحزاب السياسية والدينية في اسرائيل تأخذ بافكار هذه الفرقة التي ليس لها ذكر في التاريخ الحديث .

١ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٥٥ وكذلك قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

٢ - الاسفار المقدسة ٥٥

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٥

٥ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٢٧

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥ وحياة المسيح ، في مجموعة العقاد ١١ : ٢٤٤

٧ - المسيح ، في مجموعة العقاد ص ١١ : ٢٤٥

### ثالثا : السامريون :

تنسب هذه الفرقة الى مدينة السامرة ، تلك المدينة القديمة التي بنيت نابلس على انقاضها <sup>(١)</sup> ، وقد اشتق اسمها منها <sup>(٢)</sup> ، وسميت بذلك لان عمري بن أخاب ( ٨٧٦-٨٤٢ ق م ) اشترى تولا بوزنتين من فضة من رجل اسمه شامر <sup>(٣)</sup> ، وهم يقولون ان مدينة القدس ( هي نابلس ( شكيم ) ولا يعرفون حرمة بيت المقدس ولا يعظمونه <sup>(٤)</sup> ، ويقول خصوصهم <sup>(٥)</sup> ) انه عند ط غزا سرجون السامرة عام ٧٢٢ ق م سبى من سكانها ٢٧٢٨ شخصا وترك بعض السكان الاصليين وان وجد انهم متسردون دبر خطة يقتل بها وطنيتهم النائرة فنقل شعبا من بابل وحماة والغريبة الى السامرة وصار هؤلاء السامريون ، وظلوا يمارسون عباداتهم التي اعتادوها قبل المجيء الى السامرة <sup>(٦)</sup> ، وقد امتزجوا بالسكان واخططوا بهم <sup>(٧)</sup> وتزوجوا فيما بينهم ، ولما طار اليهود من السبي البابلي رفضوا اشراك السامريين في اعادة بناء الهيكل ، وسنوا القوانين التي تحرم الاختلاط بهم <sup>(٨)</sup> ، وقد قدس السامريون فيما بعد جبل جرزيم <sup>(٩)</sup> .

وما اكثر المنازعات التي قامت بين اليهود العبرانيين والسامريين والتي كان من نتيجتها وجود هوة سحيقة بين الطرفين تعود في مجملها الى خلافات فسيقية العقائد والآراء وكذلك الخلاف حول الكتب التي يقدسها كل فريق <sup>(١٠)</sup> .

١ - وقد هددها القائد " فسياسيان " واقام على انقاضها مدينة اسماها المدينة الجديدة ( نيبوليس او نابلس ، المعروفة اليوم ) راجع : حياة المسيح ، للعقاد ، في المجموعة الكاملة ٢٤٩/١١

٢ - موسوعة الفاهيم ، ص ٢١١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٨ ، راجع مقدمة كتاب التوراة السامرية ، ت : د . ا . احمد حجازي السقا ص ٤-٥

٤ - الفصل لابن حزم ٢٨/١ - تقول التوراة العبرية ما يلي ( واتي ملك اشوري قدس من بابل وكوث وعوا وحماة وسفردايم واسكنهم في مدينة السامرة عوضا عن بني اسرائيل فاملكوا السامرة وسكنوا في مدنها وكان في ابتداء سكنهم هناك انهم لم يتقوا الرب ) ... سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤-٢٥

٦ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٩-٤٥٠ - ٧ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٨:١١

٨ - موسوعة الفاهيم ص ٢١١ - ٩ - قاموس الكتاب المقدس ٤٥٠

١٠ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ، ص ٣٦

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٨

١٢ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د . عبد المنعم الحفني ص ١١٥ ، ط ١ دار السيرة بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ . راجع هذه الخلافات وحول الفروق بين التوراة العبرية والسامرية في مقدمة كتاب التوراة السامرية

## اهم الاراء والعقائد :

أ - يبطل السامريون كل نبوة كانت في بني اسرائيل بعد موسى ( عليه السلام )  
بعد يوشع . . . فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وظاموص  
وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم . ( ١ )

( ٢ )  
ب - يرفضون اسفار الانبيا\* ويؤمنون باسفار موسى الخمسة ، ويضيفون اليها  
احيانا سفر يوشع بن نون وسفر القضاة . ( ٣ ) ( ٤ )

ج - يقصدون جبل جرزيم ويتوجهون اليه في الصلاة والحج ، على عكس اليهود  
المعبريين الذين يقصدون جبل صهيون . ( ٥ ) ( ٦ )

د - يتشددون في حرية يوم السبت ، ولا يرى عندهم نار أو نور .  
هـ - يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود ولكنهم يتشددون فيه فلا يستثنون  
منه حتى الاطفال والرضع . ( ٧ )

( ٨ )  
و - يؤمنون بيوم القيامة ، ووجود ملائكة ، وظهور المسيح في آخر الايام  
لكنهم يزعمون انه سيكون من آل يوسف على حين يعتقد اليهود انه من آل داود . ( ٩ )

وقد افترقت السامرة الى د و ستانية وهم الالفانية والى كوستانية .  
والد و ستانية معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوستانية معناها : الجماعة الصادقة  
و . يقرون بالاخرة والثواب والعقاب فيها . والد و ستانية تزعم أن الثواب والعقاب  
في الدنيا ، وبين الفريقين اختلاف في الاحكام والشرائع . ( ١٠ )

١ - الفصل : لابن حزم ، ٢٨/١ ، والتوراة السامرية ص ٢١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٤

٣ - موسوعة الفاهيم ص ٢١١ ٤ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٥ - حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٤٨/١١ ، وراجع تفاصيل احتفالات السامريين على  
قمة هذا الجبل في كتاب " مخطوطات البحر الميت " للمعابد ص ٣٦-٣٧

٦ - التوراة السامرية ص ١٥

٧ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ٨ - يذكر الاطام ابن حزم في الفصل ٢٨/١

ان السامريين هؤلاء لا يقرون بالبعث ( والخلاف الدائري بين اليهود حول هذه النقطة  
متشعب وطويل ، وما نقله ابن حزم محمول على انهم لا يدينون قطعاً بالبعث كما هو عند  
المسلمين ولا يقرون بها جاء مطابقاً لما في القرآن والسنة النبوية الشريفة . والله اعلم .

٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ١٠ - : الطل والنحل للشهرستاني ٢٧/٣

على هامش الفصل لابن حزم ط ، محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة . ويذكر الشهرستاني  
انه قد ( ظهر رجل في السامرة يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذي بشر به .

ويقول العقاد : ( من المحقق ان هؤلاء السامريين كان لهم شأن  
في تطور الفكرة المسيحية او فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول موعود . )<sup>(١)</sup>

وما ذكره د . احمد السقا ، حول تغير " نظرة اليهود العبرانيين  
اليوم الى السامريين وانهم ينظرون اليهم على انهم اخوة اختلفوا معهم في السراى  
كما اختلف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم الخلاف الى فريسيين وحدوقيين<sup>(٢)</sup> ) ليس  
على اطلاقه ، اذ يرى د . السيرى ان " بعض اليهود ينفي عن السامريين صفة  
الانتساب الى اسرائيل ولا يمان به الى اسرائيل . " <sup>(٣)</sup>

الا انه يمكن الجمع بين الرأيين بان الخلاف بين العبرانيين  
والسامريين ربما أُجْـلَّ بسبب الحروب التي يخوضها اليهود ضد المسلمين  
فليس من المستبعد أن يوءخر هذا الخلاف الى ما بعد ذلك - والا فالنزاع العقائدى  
قائم لا شك .

والسامريون هم أصغر طائفة دينية في العالم ، فعددهم لا يتجاوز  
٢٤٠ شخصا يعيش أغلبهم في نابلس والباقي في اسرائيل بجوار تل ابيب .<sup>(٤)</sup>

---

= موسى وانه هو الكوكب الذى ورد في التوراة وانه يضى " ضوء القمر وكان ظهوره قبل  
المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة ) . راجع الطل والنحل ، للشهرستاني ٢٧/٣

١ - حياة المسيح ، للعقاد ، ص ٢٤٩/١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٥-١٦

٣ - موسوعة السقاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢١١

٤ - المرجع السابق .

### رابعاً : القنائيون (١)

تعتبر هذه الفرقة من الفرق المتطرفة بين اليهود (لأرائها واتجاهاتها فقد اتخذت طابع العنف والعدوان لتحقيق اهدافها ، وكانت وثيقة الصلة بالفريسيين يقول عنها ( *Guignebert* ) ( وكان في فلسطين بين الفرق الاخرى فريق وثيق الصلة بالفريسيين يتفق معهم في اكثر عقائد هم كالقول بالمسيح المنتظر وكسالحماسة الوطنية والميل للعبادة ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التعاطف ، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتهموا بالادينية او بقبول الفضيحة لغير اليهود ، وكان من سياسه هذا الفريق الا ينتظر اتباعه العون من الهتهم بل ان يعطوا بانفسهم ليساعدوا الاله على تحقيق طيريد لشعبه وكانوا بذلك يكونون الجناح اليساري في فريق الفريسيين . (٢)

ومن اقوالهم : ان الله لا يعود الى شعبه الا اذا خلصت الارض للشعب (٣)  
وقد قضى الرومان على ثورتهم التي قاموا بها بقيادة القائد القنائي اليمسازر (٤)  
وهو من الغلاة الذين اطلق عليهم اسم السقارة ( *Sicari* ) من سقرا لارامية والعربية ( بمعنى : قائد على المحارم ، فهم الذين يحطون بشدة على المحارم ، حيث كانوا يغيرون ويسلبون وينهبون . (٥)

- 
- ١ - من الكلمة العبرية قنأ بمعنى : غيور ( موسوعة الفهايم ص ٢٩٤ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧١٠ - والارامية والعربية من قنأ بمعنى : اشتد غضبه فهم الغاضبون ( الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٧٥ . كما ان لهذه الفرقة اسماً اخرى منها : أ - الغيوريون (الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٨ )
  - ب - الجليليون ( موسوعة الفهايم ص ٢٩٤ ) وقد اعتبره . مراد كامل ان الجليليين والفيوريين فرقتان منفصلتان في حين انها فرقة واحدة .
  - ج - المتعصبون ( اليهودية . د . شليبي ص ٢٢٢ )

٢ - اليهودية ص ٢٢٢

٣ - الموسوعة النقدية ص ١٧٥

٤ - موسوعة الفهايم ص ٢٩٤

٥ - الموسوعة النقدية ص ١٧٦

### خامساً : الناظوريون

هذه الفرقة اشار اليها شارل جنيبير ، نقلا عن كتابات احد

المؤلفين المسيحيين من القرن الرابع ويدعى القديس " ابيفان " . ( ١ )

يقول عن اتباع هذه الفرقة :

( انهم لم يعترفوا بمعبد اليهود كمركز لطقوسهم ، ولكنهم ساروا على تقاليدهم  
الاخرى ولم يقبلوا الشريعة اليهودية على انها شريعة الهية متأثرين في ذلك بالتيارات  
الفكرية الخارجية

- ثم انهم يعتبرون انفسهم " قديسين " بالنسبة الى بقية البشر وكان هذا راى  
المسيحيين الاول ايضا في بدو دعوتهم .

ومن ناحية اخرى يمكن ان نفسر الاسم الذى اتخذوه لفرقتهم بالسر جوع الى  
كلمة ناظر العبرية التي ترجمها اليونان بكلمة ( هاجيوس ) اي القديس وينطبق  
هذا التفسير ايضا على اللقب الذى اطلق على عيسى وكان هؤلاء الناظريون فسي  
اغلب الظن شديدي التحمس لفكرة حلول ملكة الله ، ولعلمهم كانوا السابقين الى  
التفكير في ( المسيح المنتظر ) والى القيام بطقوس معينة من اجله على غرار ما كانت  
تقوم به فرق اخرى اكثر اغراقا في الشرق منهم بالنسبة الى الاله المنفذ ، الذى تنهياً  
له متأثرة في ذلك باتجاهات دينية خارجية مخطئة . ( ٢ )

ويضيف جنيبير الى ذلك القول بان وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال

الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقي وبين الاديان الاخرى التي شاركت اليهودية  
في فكرة ترقب او عبادة " منقذ الهى " وان تفاوتت اشكال هذا الترقب وتلك العبادة .  
( ٣ )

طما بان انتشار هذه الفرقة كان على ضفاف نهر الاردن قبل حلول

المسيح عليه السلام ( ٤ )

---

١ - المسيحية ، نشأتها ، وتطورها ، شارل جنيبير ، ص ٦٣-٦٤ ، المكتبة العصرية

ت : د . عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان .

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق .

٤ - المرجع السابق

## الفصل السادس

### عقائد القرائين :

الحديث عن عقائد جماعة وادي قرمان ، أعقد من الحديث عن تاريخ نشأتها وتطورات حياتها ، ذلك لان الباحثين حينما قارنوا عقائد هذه الفرقة بغيرها من الفرق اليهودية الاخرى ، تحدثوا عن جوانب قليلة منها ، دون الخوض في سالكها المتشعبة ، ما تعذر - والحالة هذه - اعطاء حكم نهائي بشأنها .

ومن الصعوبات التي تذكر في هذا الصدد ، ان العلط\* حينما رجعوا الى مخطوطات العهد القديم المكتشفة في المغارات قاموا بمقارنة ما هو مطبوع بين ايدي اهل الكتاب ببعض نصوص منها مغطين بذلك الموازنة الضرورية للكاشفة لاختلاف عقائد القرائين ورافهم . وكل ما قام به العلط\* يحتمل مقارنات لنصوص من سفر اشعيا ونصوص من تفسير حيقوق ، .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

علط بان العلط\* حينما تحدثوا عن المخطوطات المكتشفة اكدوا على وجود عدد كبير من هذه النصوص ، فكان الاجدر بهم عقد مقارنات بين الاسفار الخمسة الاولى للتوراة المخطوطة وبين ما هو مطبوع ، فمن هذا الطريق يمكن لهم التاكيد بشكل واضح من اصول عقائد القرائين خاصة فيما يتعلق بالالوهية والنبوات واليوم الآخر .

وهنا يكون المذر الوحيد امام العلط\* هو عدم استكمال نشر جميع نصوص المخطوطات وهو ما يعيق فعلا عملية البحث والمقارنة .

الا ان الخشية نابعة من مخبة ان تكون هذه المقارنات قد أبعدت عمدا او صرف النظر عن نشرها لما تتضمن من حقائق قد تظهر بطلان عقائد اهل الكتاب المعروفة عن الالوهية والنبوات وابطال مزاعمهم ، أو أن الدائرة اليهودية المولفة للبحث في هذه المخطوطات تستغل المعلومات المستخلصة منها كورقة ضغط على المسيحيين للتنازل والخضوع للمقررات اليهودية .

واذا\* هذه الصعوبات فانه لا يمكن القطع باى فرضية لغياب المخطوطات عن ايدي المسلمين فضلا عن عدم وجود هيئة رسمية علمية اسلامية تتبنى دراستها وتحصيلها وترجمتها لوضعها بين ايدي الباحثين المنصفين لاستخلاص النتائج واصدار

١ - راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت\* للعايدى " ص ٢٥٠-٢٦٥

وكذلك : مخطوطات البحر الميت " لحطادة " ص ٦٢

٢ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدى " ص ٢٤٩-٢٥٣ ، ومخطوطات البحر الميت

لحطادة ص ٦٢



## القرارات المناسبة بشأنها .

ومن يزداد البحث صعوبة ندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الفكر الديني لدى القمريين . ، وجل ما في الامران ما بحث . حتى الآن كان استعراضا للمعومات ، بل بعض هذه الدراسات جاءت محيرة ، بل وغازية .

ومن ذلك ما ذكر بان عقائد هذه الفرقة لم تخرج من عقائد بقيسمة الفرق اليهودية وانه ( لا يختلف مفهوم الاسمين لله والعالم والانسان في الاساس والجوهر عما ورد في العهد العتيق بل يعتمد في مجله على شيء من التفصيل والتاويل ) (١)

وقد عرفنا في الفصول السابقة ما كانت تعتقده الفرق اليهودية من عقائد باطلة وارا\* متشعبة . فهل عقائد جماعة وادي قمران على هذه الشاكلة ، ام انها تختلف عن البقية ، واذا كانت على شاكلتها فما الداعي الى الانعزال والابتعاد عن اقرانها ؟

والاجابة على ذلك تكمن في تحليل الاسباب الدافعة لانعزالهم واستقلالهم عن المجتمع اليهودي فقد بلغت الفروق الى الحد الذي قال عنه بعضهم ( ولولا صلتهم بالهيكل الاسرائيلي لما حسبوا من الاسرائيليين ) (٢) فالخلاقات في مناحي العقيدة لاشك قائمة، وربط يظهر بوضوح اثباتا\* استعراض كافة جوانب الموضوع .

الا انه لا بد من الاشارة الى ان بعض ما كتب عن عقائد هم جاء\* منيها على اساس ما ذكره خصومهم المعاصرون لهم ، وهذا ايضا يلقى ظلا من الشك على بعض النقول لا احتال وجود الدس طيهم او محاولة للطمع بهم .

واظن الظن ان الذين بحثوا في عقائد هذه الفرقة هم من المحدثين في هذا الجانب ، ولم يكونوا من اصحاب الاختصاص في مجال العقائد والاديان . ولهذا نرى اهتمامهم تنصب على الانظمة والقوانين الدينية السني شملت هذه الفرقة اتباعها بها في حياتها النسكية والاسباب التقشف والتعبد .

اما اباحات التخصصين في هذا المجال فقد جاءت كقدمات اولية لا يمكن ظهور نتائجها الا باستكمال نشر بقية المخطوطات وهذا ما لم يتم حتى الان . (٣)

لهذه الاسباب مجتمعة فان البحث يعطي لنفسه العذر ان قصر في تتبع اقوال العلماء وتمحيص ارائهم ، او اقتصر على مراجع دون اخرى لقلة المادة العلمية المطلوبة

١ - موسوعة فؤاد البستاني ١٢ / ٢٨٠

٢ - الديانات والعقائد ، للمطار ٢ / ٣٧٤

٣ - وذلك : كبحاث . علي عبد الواحد وفي ص ٥٨ في الاسفار المقدسة .

## ١- اختلاف الملة\* حول الاسس العقديّة :

هناك انقسام بين الملة\* حول عقائد القمانيين ، ففريق منهم يعتمد جانب الطعن بهم مستندا الى بعض اقوال المؤرخين والكتاب الذين طاصروا هذه الفرقة ، اضافة الى بعض نصوص من كتب القمانيين المخطوطة ككتاب المنظمام واسفار العهد القديم .

وأولى هذه الإتهامات تتحدث عن عبادتهم للشمس ، وإن لاحظ البعض (أن الآسنيين يستعملون لفظة الله ، والشمس ، والقدر ، في السدلول الواحد . فهل هي واحدة ؟ أم في الالفاظ بعض التورية ؟ والفوارق الخفية ؟ ، ومن هنا . . . يبدو أنهم يعبدون الشمس فلا يتلفظون بكلمة دنيوية قبل بزوغها حتى إذا ما أشرقت سجدوا لها ودعواها بتوسلات وصلوات ورتوها عن آباءهم كأنهم يضرعون إليها أن ترسل نورها عليهم ، أليس في ذلك بقايا من تأثير عبادة المصريين للشمس " آمون " ، رع" طقسست في طارسة الالها" وانتقلت الى الآسنيين فجاءت تعاليمهم خليطا من المذهب المصري ومذهب الصابئة ومذهب القدسية مع المحافظة على استحقات الاعمال للمعاقب والشواب يدبنها حاكم مطلق وذلك دون تمييز ودون الاجتهاد في التوفيق بين هذه النظريات التي ظهرت متضاربة متباينة هذا اذا اعتدنا ما نقله يوسفوس (١) .

وهذه المظنرات صوفيل : أن ذلك كان نتيجة تأثرهم بأجواء السبي (البابلي) الى جانب ذلك لاحظ البعض أن أحد أسفار مؤامير الشكر يسي الله تبارك وتعالى " أمير الآلهة وملك السجّلين ورب كل روح وسيد كل عمل (٣) . وهذا اتهام لهم بتعدد الالهة .

ومن جملة الاتهامات ايضا ، انهم كانوا يأخذون بمذهب الغنوصية (٤)

- ١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨١/١٢ وكنز قرمان ، للطران صوفيل ص ٢١٦-٢١٧
- ٢ - كنز قرمان ص ٢١٧
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٢٦١
- ٤ - الغنوصية أو " الغنوسيس " هي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة ، غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او هو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان تلقى في النفس القا\* فلا تستند على الاستدلال او البرهنة العقلية وقد اعتبر الغنوصيون عقائد هم اقدم عقيدة في الوجود وان الغنوصية اقدم ( وحي ) اوحى الله به ، فانتقل من طبقة غنوصية الى طبقة اخرى ، ولا يمكن انتقاله ولا ينتهي . وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية بان دائرته لا تنتهي ابدا ، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان والسحرة وتناقلوه معلنين ان بيدهم ( مفاتيح الاسرار الالهية و " اسرار القدس الاطى " وان بالغنوص الخلاص الابدى ، ذلك الوحي المتجدد والغيبى الذى ينبعث دائما من البلا الاطى ولا نعرف بالدقة اين ظهر . . . هل اتى من فارس أو من الهند ؟ : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام د . علي سمي النشار ١ : ١٨٦

ولاستدلال على ذلك اختلفت بعض النصوص الدالة على ايمانهم بنظرية المعرفة والاسرار الخفية<sup>(١)</sup> الا ان هذه النصوص في راي هذا المصدر لا تكفي لوضع اساس قرابة بين القمانيين والغنوصية ، فهو يقول من ذلك ( فالتشابه بين الغنوصية والقمانيين هنا لا يكفي لوضع اساس قرابه بينهما ولا شك ان المخطوطات تحتوى افكارا ومثلا تشابه تلك التي كان يدعى بها الغنوصيون في نقاط مختلفة ، ومن الممكن ان تكون بينهما حلقة اتصال غير مباشرة وتاريخية غير قابلة للتعريف .

ويضاف الى ذلك القول ( بان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قمران اليهودية فكل منسوب قد اغترف البط\* من نفس المصدر ، فالافكار تتشابه وقد توجد في البلاد المتأثرة بالمجوسية او ديانة بلاد فارس القديمة ، ولهذا يقول " كون " :  
( ان مخطوطات البحر الميت تربط النقطة التي تدفق عليها تيار تأشير الديانة المجوسية . . ( فقد ) جرى في جدول التقليد اليهودي والتقى به . )<sup>(٢)</sup>

كما يذهب البعض الى انهم كانوا يعتقدون بتناقض النور والظلام ونظرية الخير والشر .<sup>(٣)</sup>

اذ لمس الباحثون وجود عبارات " جيوش النور والظلام " وتنازعهم في حيث تتعارض الجبهتان في داخلية كل انسان يتزعم الاطس من جهة ميخائيل امير النور متحدا مع روح النور وروح الحق ، ويقود الثانية من جهة اخرى بليلعل او فلاك الظلام مع جمهرة ارواح الظلام او ارواح الشر المسيطرة على العالم الارضي<sup>(٤)</sup> .

وهتفق المتبحرون على ان هذه النظرية مأخوذة من الفكر الفارسي وعلى الاخص الزرادشتي<sup>(٥)</sup> فحول هذا التأثير يقول النقاسد ( على الرغم من ان طبيعة التقارب بينهما نقول : ان افكار كتاب النظام ايرانية بدلا من ان نسميها غنوصية فالتأثير الايراني يظهر بصورة خاصة في الادب الذي يدور حول الروميا والذي يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتاب اخنوخ غير القانونية .

وقد عثر في كهف قمران على اجزاء من هذه الكتب التي لها اوجه تقارب في نقاط عديدة في هذا النوع من الادب مع المخطوطات وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا ان فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا المنوع من التفكير الغيبي فكتاب دانيال يستعمل كلمة ( سر ) التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر عليها في الكهف تبرهن ان نساك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت ايضا تعابير مشابهة في كتاب اخنوخ<sup>(٦)</sup> .

١ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٥٣ ، ٢٥٦ - المصدر السابق

٣ - كنز قمران ص ٢١٦-٢١٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨١/١٢ وقارن مع : مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٥٩

٥ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨١/١٢ ومخطوطات " المعابد " ص ٢٥٩ وكنز قمران ص ٢١٧

٦ - مخطوطات البحر الميت " المعابد " ص ٢٥٩-٢٦٠ وكنز قمران ٢١٧

ومن الاتهامات المسجلة ضد هم أيضا ما قيل بأنهم كانوا يقدسون بعد الله تبارك وتعالى شخصا آخر يسمى يوسيفوس ( معطينا الشريعة ) وهو موسى عليه السلام ، وأنه كان في أعلى مكان من القداسة والاحترام لدى العهديين . ( ١ )

فكلمة القداسة هنا تحيط حولها الشكوك بعض الشيء ، وذلك لأن أغلب الباحثين لم يلمسوا قدسية موسى في المخطوطات ، وربما تكون الترجمة غير دقيقة أو أن معنى القداسة هنا لا يخرج عن كونه تقديرا واحتراما لا أكثر وهذا ما عبر عنه المطران صموئيل . ( ٢ )

ومن تلك الإتهامات ما نقل أنهم كانوا يعتقدون بالبعث الروحاني دون الجسدي ، جاء ذلك إعتادا على ما تحدث به يوسيفوس بشأن العقيدة الفروضة عليهم و ( القائلة ) ( " بأن الاجسام تغنى وأن الطادة التي عطت منها ليست خالدة لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش الى الابد " وعند ما تتحرر من ربيقتها كأنها موهوبة باجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الاجساد الى الفناء ، وتذهب الارواح الى الخلود ) ( ٣ )

وقد حلل البعض أقوال يوسيفوس هذه بقوله ( اأخذ بالعقاب والثواب ، فنتاج من الاعتقاد بخلود النفس وفناء الجسد ، والا فلا يمكن حصول القيامة والبعث فالنفس تتحرر من ألطف الاثير فتجذبها محاسن الجسد بتشويق طبيعي معين ، فتزلق ، وتلج فيه وتعيش متحدة به كأنها في سجن ، وتتابع حياتها وتقوم باعطائها صالحة أو طالحة على أن السعي لنيل جزاء الصلاح واجب حتى يدرك الجسد الموت والفناء فإذا حان الأجل تتحرر من قيود الجسد تحررا لا فلات من العبودية فان كانت صالحة ، تعيش في النعيم ، في مكان واقع في وسط البحر المحيط حيث لا يكدرها طر ولا تلج ولا حر وحيث يهب عليها النسيم اللطيف وينعشها وان كانت شقية تطرح في مكان مظلم بارد حيث تقاصيها طابا ابديا ) ( ٤ )

على ان هذا التحليل يلقي اعتراضا من قبل باحثين آخرين ، حيث لم يتضح لهم انها ( افكار افريقية وعقيدة فنوصية ) ان ( لم ترد في مخطوطات البحر الميت . وان هذه الاراء فيها ما فيها من تعاليم مدرسة الاسكندرية وقد يكون يوسيفوس اخذ بالفلسفة الاسكندرية فنسبها الى الاسنيين في معرض الكلام عنهم وهو الذي انفصل عن جماعتهم قبل ان يدرك كنه معتقد هم . . . ) ( ٥ )

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعادي " ص ٢٧٧-٢٧٨ ٢ - كنز قرآن ص ٢١٧
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٨١ وراجع كذلك : المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٨ دار الطليعة ط ١ ١٩٧٩ م .
- ٤ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٢/١٢ وكنز قرآن ص ٢١٧ نقلا عن يوسيفوس
- ٥ - مخطوطات البحر الميت " للمعادي " ص ٢٨١

ومن ضمن الطآخذ ط لاحظ ه د . النشار نقلا عن فيلون ، من ان بعض

( ١ )

مقائد هم تدوين ( يذهب يلعب فيه طم الجن والطلافة الدور الكبير ) .

كما وجهت اليهم تهم ترميمهم بانهم اخذوا عن الفرس الفاهيم التنجيمية

فذهبوا الى ان حياة البشر واعطاهم مسيرة على سير الاجرام السماوية وان الانسان

يتأرجح بين تقلبات قوى الخير والشر المتنازعة فيحمل الى هذه أو تلك حسب ربرجه

فلكل برج نسبة حسابية تفرض على مواليد ه في انخراطهم بمعالم أرواح النور أو أرواح الظلام ( ٢ )

كما يذهب البعض الى ان ( من بين المعتقدات التي اشتهت عنهم القول

بانهم ( لم يشكوا اهدا في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار ) ( ٣ )

هذه بعض الانتقادات والانتهاكات التي صدرت من قبل العديد من

العلماء ، وفي المقابل هناك من يذهب الى النقيض من ذلك .

وهذا الفريق يستند الى اراء متفرقة منها ط اعتد على اقوال بيليني ( ٤ )

ومن ذلك قوله ( ويتباهون ويتفانون في تقوى الله ( سبحانه وتعالى ) ولا يسمع لهم صوت

قبل بزوغ الشمس حتى يوموا فريضة الصلاة باتجاه الشمس وكانط هم يتضرعون لتشرق ،

حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم كلا الى طله ( ٥ )

وبعض ذلك قول بعض الباحثين ( انهم كانوا يشعرون بتسام روحي

له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد ) ( ٦ )

كما استدرك بطرس البستاني على يوسفوس حول ذات الموضوع حيث

اوضح ط ذهب اليه يوسفوس بقوله ( انهم يسمون نور الشمس نور الله . . . وراينا انهم

لا يتلفظون بكلمة طمية ( اى د نيبة ) قبل طلوع الشمس وانهم كانوا يحملون لها كل يوم

لكي لا ينقطع نورها عن العالم . . . ( كما ذكر ) يوسفوس ايضا ( انهم كانوا يعتقدون

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ، ١٠ / ٢٦ - ٢٧

٢ - دائرة فوحد البستاني ١٢ / ٢٨١

٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٦١

٤ - بيليني الكبير ( ٢٣ - ٧٣ ) هو مؤلف التاريخ الطبيعي . وقد كتب عن الاسينيين في

كتابه الخامس والفصل السابع عشر . ( راجع كنز قمران ص ٢١١ )

٥ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٣٩ - ٤٠

٦ - صفحات مضيئة من تراث الاسلام ، أنور الجندى ، ص ١١٢ دار الاعتماد ١٩٧٩

ان كل شيء " خاضع لسلطة القدر وان لاشي " يحدث في الناس الا بما امر القدر . .  
 فاذنا اخذنا ظاهر هذه الالفاظ وقربناها - بعضها من بعض - نرى ان الله  
 والشمس والقدر واحد عند هم وانهم كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون القدرة الكلية  
 في القدر فيظهر من يوسفوس ان تعاليمهم اخلاط من مذهب الصابئة ومذهب القدريه  
 وزادوا عليها اعتقاد استحقات الأعمال وابدية العقاب والثواب ووجود حاكم مطلق (١)  
 وقد رد البستاني على ذلك قائلاً ( فلا يخفى ما في التوفيق بين هذه  
 الآراء من عدم السامية ان يصعب تصديق كون جماعة واحدة تعتقد بوجود حاكم  
 مطلق والقدر معاً . . . فالحظنون ان يوسفوس لم يدرك كنه اعتقادهم أو أنه أخطأ  
 في تفسير بعض خرافاتهم وعباراتهم المبهمة ) (٢)

وليس من الغريب ان يسوجه النقد الى اقوال يوسفوس حيث يذكر  
 المؤرخون انه كان قائدا في الحرب مع الجيش الروماني الذي قضى على ساكن اصحاب  
 العهد ( القمانيين ) ووضع حدا للهيكال (٣)  
 ومننتج من ذلك ان ما ينقل عن يوسفوس قد يكون مدسوسا على هذه  
 الجماعة ولهذا يعتري الباحثين شك من اقواله خاصة في مجال العقائد .

وفي زحمة هذه الآراء يأتي راي الدكتور فاروق عمر عبد الله بمنظريه  
 تدعو الى التدبر بأمر هذه الطائفة تدبراً دقيقاً للوقوف على حقائقها حيث تبين له من  
 خلال دراساته الأولية لهذه الفرقة أن عقيدة التوحيد الخالص كانت منتشرة بينهم ، وقد  
 ذهب إلى أن الجماعة قصدت أسسها على النحو التالي :

اولا : كانت جماعة وادي قمران تعتبر نفسها الجماعة الصالحة الوحيدة  
 في بني اسرائيل إلى أيام وجودها . . . واتهمت غيرها من اليهود بتحريف الكتب  
 فقالت مثلا : بان التوراة التي انزلها الله تبارك وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام  
 قد حرفها وشوهها وفسد معانيها المفسرون والمؤولون والمبطلون من بني اسرائيل  
 ولذا فان وظيفة جماعة وادي قمران الأولى والأكبر في اعتقادهم - هي ان يحافظوا  
 على الاصول الصحيحة والتفسير والتأويل الصحيحين لها وبينوها للناس (٤)

١ - : دائرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٥٠٠

٢ - المرجع السابق .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للمبايدى " ص ٢٢٦

٤ - فقرة من معاصرة الدكتور عن " مخطوطات البحر الميت والبحث عن اصول النصرانية الاولى .

ثانيا : اعتقادهم بمجيسى\* المسيح ومجيسى\* رسول اخر الزمان  
( عليه افضل الصلاة والسلام ) والاستعداد لقبولهم ولتعزير رسول اخر الزمان  
خاصة ونصرته ( عليه الصلاة والسلام ) على كفار جميع الامم .

واعتبرت الجماعة القرآنية هذه التعامل من أهم الاسرار التي تحتفظ  
بها والتي لا تستطيع ابحاثها بين عامة اليهود الا (بتعريض ) من أبحاثها للقتل على  
أيدى الفاسقين من بني إسرائيل أهدأ\* الحق وأعوان الشياطين .

وبعد استعراض الخطوط السرية التي كانوا يتداولونها يذهب صاحب  
المحاضرة الى ان ( بعض الكتب الاخرى الخاصة بهم ) كانوا يكتبونها بخط سري خاص  
ومن النصوص المكتوبة بخط معكوس قطاعات من وصف طوبى لولادة رسول عظيم يولد آخر  
الزمان يعينون تاريخ ولادته بذكر منازل المروج ثم يصفونه ويصفون بعض العلامات  
التي تكون على جسده الشريف وصفا دقيقا .

وان الوصف وان كان مجزأ وغير كامل ، يصدق على المصطفى عليه وعلى  
اله واصحابه افضل الصلاة والسلام .

ثالثا : ان نسخة العهد القديم التي بأيدينا اليوم لا تحتوى الا على  
١٥٠ زمورا من مزاهر زبور داود عليه السلام وان نصوص الكتابيين التي بين ايدينا اليوم  
لا تصرح بان داود عليه السلام كان نبيا بل ينكر كثير من النصارى كونه نبيا بسبب مفهومهم  
الخطأ\* للنبوة ولكن مخطوطات وادى قمران تصدق القرآن الكريم في ذلك فتقول بالنصوص  
الصرحة : ان داود عليه السلام كان نبيا وأن جميع ما أوتى من الزبور ما جاءه إلا وحيا  
من لدن العلي العظيم .

رابعا : لم تخف ( الجماعة ) ادواتها للصدوقيين وسائر غدة الهيكل الثاني  
الذين عرفوا بالفسق والانحراف عن الحق . . . وان كتب جماعة وادى قمران تسمي  
الفريسيين بالمرددين والشافقين ومعلي النفاق .

خامسا : كانت هذه الجماعة تقول ( بانه كان دأبا في بني اسرائيل فسي  
كل جيل منذ الزمن الاول بقية قليلة من الصالحين لم يخونوا العهد ووقفوا به وان الله  
تبارك وتعالى لم يرحم بني اسرائيل ولم يهبطهم مع كثرة فسقهم إلا بسبب تلك البقايا  
الصالحة في كل جيل . . . . . وهم يعرفون انفسهم بالغرباء\* فسي قومهم .

وكانت هذه الجماعة تعرف نفسها احيانا بانها هي واتباعها جنود الله  
المرابطين : الذين يقتدون في ذلك بموسى وهوشع بن نون ( عليها السلام ) فيمقون  
على الاستعداد الدائم لمجاهدة في سبيل الله فيطردوا المشركين والكفار من الارض

كلها ، وكانوا يستفتحون في ذلك . . . برسول آخر الأيام الذي ينتصرون به على جميع الأمم ويمسكون أنفسهم بالتطوعين .

وقد استشهد المحاضر بنصوص من سفر اشعيا\* وقارنها بنصوص من انجيل يوحنا وسفر تثنية الاشتراع للدلالة على بشارة التوراء بالرسول صلى الله عليه وسلم واثبت ما حذف من انجيل يوحنا في هذا الصدد وقابله بما للقرآنيين من نصوص تثبت صحبته . موضحا احتمال ان يكون يحيى عليه السلام شاركا في هذه الجماعة بحسب اراء بعض العلماء .

هذا بعد استعراض المواضيع بقرار الباحث ان عقائد القرآنيين حسبما تبين له حتى الان كلها توحيدية توافق الاسلام تماما ثم انهم كانوا حذرين من الشرك ، كان ايمانهم بالقضاء والقدر واضعا جدا ، وكانوا يركزون على الالهية بالرضا بالقضاء والقدر بكل ما أنزل الله تبارك وتعالى على اليهود بحكمته ودله لنكشهم العهد .

وامام ذلك فانه لا يسهل القول سوى ان هذا البحث لا يزال بكرا ولا بد من انتظار بعض الوقت للوقوف على كامل التفاصيل المتعلقة بهذه القضية ، وإلى حين ذلك فلا بد من التأكيد: انه ان ثبت حرص هذه الجماعة على تعاليم موسى عليه السلام وشرعه فهي طائفة مخلصون ومن ربيب ، وان ثبت العكس فهي ضالة منحرفة .

هكذا من الناحية المعقدية ، اما من الناحية السلوكية والتعاليم النسكية فسرى ذلك كله من خلال استعراض الافكار والهادى\* التي التزمت بها الجماعة وذلك للحكم عليها من هذا الجانب .



## الفصل السابع :

=====

### العبادات :

#### ١ - الصلاة :

من الفرائض التي التزم بها القمانيون : القيام الى الصلاة بعد طلوع الشمس وذلك عقب التطهير بالط \* ( ١ )

ومن ضمنها : الصلاة والقراءة عند الساعة الخامسة ، وتكون قبل الاكل . ( ٢ )

- كما انهم يمكنون على قراءة الكتاب ( التوراة ) وتفاسيره ، ويقوم الجمهور

بالسهر معا ثلث الليالي على مدار السنة للقراءة والصلاة الجماعية ( ٣ ) .

ولا جل ذلك فهم يقسمون انفسهم ثلاثة افواج :

الفوج الاول : يحى الثلث الاول من الليل الى السهرة كلها .

الفوج الثاني : يحل محل الاول .

الفوج الثالث : يستمر حتى الصباح ، فيقضي الليل كله ( ٤ ) .

#### ٢ - الصوم :

- كانوا يكثرون من الصيام حتى لقد كانوا لا يتناولون الطعام الا وجبه

واحدة كل ثلاثة ايام او يزيد ( ٥ ) .

#### ٣ - تقديم القرابين :

ومن العبادات ايضا عندهم : تقديم القرابين وذلك في المعابد الخاصة

بهم ( ٦ ) . وقد نهذا الذبائح الدمية في تقديمها ( ٧ ) واقتصروا على النباتية فقط ( ٨ )

واعتبروا التطهير انقى وافضل وتجاهلوا قدسية هيكل اورشليم ، ناهيين

الى ان خلاص اسرائيل لن يتحقق من الخارج بذبح الحيوان بل من الداخل بالتنسك

والصمت والتأمل والصلاة والتقشف حتى بلوغ اسمى درجات الفضيلة والاقتراب من الكمال ( ٩ ) .

وهناك خلاف بينهم حول طريقة تقديم القرابين ، وقد حصل بين من سكن

منهم في وادي قمران وبين من سكن في مصر ( ١٠ )

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢ ، حياة المسيح ، للمقاد ٢٤٧/١١

٢ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٣ - المرجع السابق

٤ - المرجع السابق

٥ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٧ ،

٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٧ - المرجع السابق والاسفار القدسة د . وافي ص ٥٨

٨ - حياة المسيح ، للمقاد ص ٢٤٦/١١

٩ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

١٠ - المرجع السابق ٣٨٣/١٢ - ٣٨٤

(١) وانسجما مع مفهومهم الخاص عن المادة ، فقد حظروا على انفسهم تعاطي التجارة للريح لانها في مذهبهم حرام ، وعلى خبيث (٢) لهذا فسقد كانوا يسزدرون (٣) الفنى ، واعتبروا اموالهم في الجمع والاتفاق واحدة (٤) .  
وفي تعاطيهم الداخلي فانهم التزموا التقايضة فلا يبيعون ولا يشترون شيئا بعضهم من بعض ، بل يعطي كل منهم اخاه ما يحتاج اليه ما عنده وماخذ منه ما يوافق حاجته . (٦)

الا ان ذلك لم يمنع من قيام كل واحد بحرفة خاصة به وغالبا ما يبدأ صاحب الحرفة عمله بعد الصلاة صباحا (٨) . كما انهم اقتصروا على الزراعة والصيد وما يحتاجون اليه ويتصل به (٩) ، كما حرموا استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لم يبعثان في النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح (١٠) . وكانوا يكرهون العبودية كما انكروا التفرقة العنصرية واقروا مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة وحرصوا على التعايش السلمي بين جميع الشعوب (١٢) . كما حرموا الاشتغال بصناعة الاسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم وهي أن يعيش العالم في سلام دائم (١٣) .

- ١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٤/١٢ وكنز قمران ص ٢١٨
- ٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٧ والاسفار المقدسة د . د . وفي ص ٦٠
- ٣ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢ ومخطوطات البحر الميت لحادة ص ٤٦
- ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢
- ٥ - دائرة فؤاد البستاني ٣ ٣٨٤/١٢
- ٦ - المرجع السابق ومخطوطات بحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢
- ٧ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥٠
- ٨ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢
- ٩ - الاسفار المقدسة ، د . د . وفي ص ٦٠
- ١٠ - المرجع السابق
- ١١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٤/١٢ والاسفار المقدسة ، د . د . وفي ص ٥٩ وكنز قمران ص ٢١٨
- ١٢ - الاسفار المقدسة ، د . د . وفي ص ٥٩
- ١٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . د . وفي ص ٢٧١ وكنز قمران ص ٢١٨

### العلــــــــــــــــوم

- هزف القمرانهمــــون عن دراسة المنطق لانهم اعتبروه ترفاً فكرياً<sup>(١)</sup> .
- كما لم يبحثوا في العلم الطبيعي " لان مجاله أوسع من قدرات الانسان<sup>(٢)</sup> واعتبروا المنطق وظم المقولات والطبيعة لا فائدة منها<sup>(٣)</sup> .
- لكنهم كانوا يتفكرون في آثار الله سبحانه بتدبر مخلوقاته والنظر في الكون<sup>(٤)</sup> .
- اهتموا بالقراءة المتعلقة بالاخلاق وفيما يزيد معرفتهم بها ونسبها<sup>(٥)</sup> .
- كانوا يجتمعون يوم السبت في معابد هم وجلسون كل بحسب رتبته ، وكان للقدما منهم في الاخوية المحل الأعلى من المعبد وكان أحد الحاضرين يقرأ ثم إن حضوا آخر مختاراً من اكثرهم طم ومعارف يفسر الجبل الصعبة طى الفهم ، وكانت خطبتهم وكتبهم تتنازع عن غيرها بما يستملونه فيها من التشابه والاستعارات المتنوعة<sup>(٦)</sup> .

---

١ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٢ - المرجع السابق

٣ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٥ - المرجع السابق .

٦ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

## الاخلاق

اسبب الباحثون في وصف السجايما الخلقية التي كانت تلازم القرائين ،  
يمكن حصرها بالاتي :

- التعاون ، ان كان سمة اساسية بين الافراد اضافة الى الاحترام المتبادل  
بينهم . (١)

- اكرام الضيف ، فقد كانوا على فقرهم يحسنون الضيافة ولا سيما مع الاغسوة  
فاذا جاءهم احد من مكان اخر ، وضعوا ما عندهم تحت تصرفه كانه له هدا هو يعمل  
كانه من اهل السكك (٢) . ثم يحل ضيفا على أحد الأخوة السككيين بالاعتناء بالضيافة  
في الاماكن التي ليس فيها اديرة ، فيقدم له الأطعمة واللبسة وسائر اللوازم (٣)  
- الاستئذان قبل التحدث إذا كان الاجتماع يضم عشرة اشخاص ، ويتحاشون  
البصق بحفرة بعضهم (٥)

(٦)  
- لا يتسرب اليهم الغضب ، وإذا غضبوا طكوا انفسهم ، وهم يقدرون الامانة  
- يسعون دافعا وراء السلام (٧) ، يهابون صناعة السلاح (٨)  
- يصدقون كل ما يقولون ولا يحلفون ، والحلف لا يكون الا عند قسم الجماعة  
مرة واحدة لتبيين الامانة والمحافظة على الجماعة (٩)  
- الصبر على تحمل الازعاج والاسقام (١١)  
- يحرصون على الصدق والوفاء (١٢)  
(١٣)  
- اشتهروا بالطاعة والاحترام للشيخ والاذن لقلوبهم والخضوع لرأى الاكثرية  
- يهابون في نظافة الشباب ، ويوثرون ارتداء السبيخ منها (١٤)

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٣٩-٤٢
- ٢ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت " للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
- ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٥ - مخطوطات المرجع السابق
- ٦ - المرجع السابق
- ٧ - المرجع السابق وراجع كذلك قصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ٨ - حيا السبيخ ، للعقاد ٢٤٧/١١ وقصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ٩ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ١٠ - المرجع السابق ودائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
- ١١ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢ وقصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ١٢ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ وقصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ١٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٥/١٢
- ١٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفيص ص ٥٠ ومخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص

## "الاكل والشرب"

- اعتد القمرا نعيمون على النبات في اكلهم ، لانهم "لا يأكلون اللحم" <sup>(١)</sup> .  
كما كانوا يأبون الذبح <sup>(٢)</sup> .

- كانت لهم حجرة طعام خاصة حيث يأخذون مقاعد هم فيها بهيبة ووقار <sup>(٣)</sup> .  
وكانهم يؤمنون هيكل مقدس <sup>(٤)</sup> ، لكل واحد منهم رغيف غير الادم ، . . . . . يبارك الكاهن على الخبز ثم يأكلون وحاشا لاحد هم ان يمد يده الى فمه قبل البركة ، حتى اذا اكلوا عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينثنون الى اعطالهم حتى الغروب <sup>(٥)</sup> .  
وكما تغدوا يتمتعون ومعهم الضيوف بكل هدوء وسكون واذا تكلم أحد هم أنصت الكل اليه ولا يزيدون عن كفاية الشبع <sup>(٦)</sup> .

- وازافة الى نذهم المال استنعوا ايضا عن شرب الخمر كما لم يوجد بينهم من يبيعه <sup>(٨)</sup> . الا ان المطران صموئيل يذهب الى انهم لم يحرموا اكل اللحم وشرب الخمر <sup>(٩)</sup> -  
"الطب والتعريف" :

- اهتم القمرا نيمون بالطب فاذا "اعتري احد الاخوة ( فيهم ) مرض يعتسي به الخبرا" كل الاعتناء ، وقد كان بين الجماعة من يبذل جهدا عظيما في درس مصنفات القداس ، ليتعرفوا منها على خصائص الحشاش ، والعقاقير والسماد والحقارة ، وطرق استعمالها لمعالجة اخوتهم المتألمين . حتى لا يضطروهم الامر الى تركهم تضعضعون ويهربون الى الموت دون مساعدة ونجدة ولثلا يسلبوهم الى اطباء نجسين من فيسسر صفوفهم اضافة الى تعاطيهم لطب الروح <sup>(١٢)</sup> . فقد كانوا "يداوون المرضى بالصلاة والاواراد <sup>(١٣)</sup> والادوية ، وكانوا يعتقدون ان المرض ناشئ من تسلط الارواح الخبيثة على الادميين فكانوا لذلك يحاولون طرد هذه الارواح بالتعاويذ السحرية <sup>(١٤)</sup> .

- ١ - الاسفار القدسة . د . وافي ص ٦١ ، والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٢ - الموسوعة النقدية ص ٥٠ ، والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٣ - مخطوطات البحر الميت ، "للمعابد" ص ٣٩-٤٢
- ٤ - مخطوطات البحر الميت "للمعابد" ص ٤٧
- ٥ - مخطوطات السبحر الميت "للمعابد" ص ٣٩-٤٢ ، ومخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٤٧
- ٦ - المرجع السابق .
- ٧ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧٣/١٢ والاسفار القدسة ص ٦١
- ٨ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٨/٣ ٩ - كنز قرآن ٢١٥
- ١٠ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٥/١٢ ومخطوطات البحر الميت "للمعابد" ص ٤٨ ودائرة بطرس البستاني ٤٩٩/٣
- ١١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٥/١٢ وحياة المسيح "للمعابد" ٢٤٦/١١
- ١٢ - حياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٣ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٣٩-٤٢ وحياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٤ - قصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣

## "الانتظام في الجماعة وشروطه"

- رتب القمرائون انفسهم بحسب الدرجات والرتب والاقدمة .  
 - فقد وجد في هذه النطة ثلاث درجات هي (١) :  
 د درجة التمسدة : ويقبلون فيها الصبيان فيطدون الحطم .  
 د درجة المقسمين : وهم الذين يقسمون اليمن ويقضون سنة في الرياضة  
 والتدريب على العبادة والاطلاع على الاسرار .  
 د درجة الواصلين : يقضي فيها سنتين ، ثم يلبس شعار الطائفة وهو  
 ثوب ازرق وزنار يحمل الغأس في يده كناية عن العمل  
 الشاق . (٢)

ولهم في المرحلة الاولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الاساتذة  
 منها الاغتسال وتلاوة بعض المهدود .

- يقسم احد هم مرة واحدة بين الامانة والمحافظة على الجماعة ولا يباح بسرها  
 ولو اقتيد الى عذاب الموت (٤) يحرم عليه القسم بالحق او الباطل مدى الحياة (٥)  
 - يجوز فصل العضو اذا حث في يمينه ، وافق طائفة من الاخوان على ادانته  
 بل يجوز الحكم عليه بالموت اذا بلغ الحث حد الخيانة والكفر بقواعد الايمان (٦)  
 - يقدر الاقدم فالأقدم من التحقق بهم (٧)  
 - وليس لاحد من القسم الاكبر أن يمس احداً من دونه والا اغتسل (٨)

ومن الشروط الاخرى الموضوعة لهذا الغرض :

- عدم وجود الموانع ، كالمجاهات الجسدية أو الخلقية ، كالإبله ، أو الاحق  
 أو المجنون ، أو الجاهل ، ومن كان ضعيف العينين لا يبصر بها ، والكسح والاعرج  
 أو الاطرش ، أو القاصر .  
 فإذا ثبت وجود احدى هذه الملل لا يدخل الى احضان الجماعة لان الملائكة  
 القدسين تقوم وسطها . (٩)

- الحرص على جميع المعاديات والتقاليد (١٠)

- ١ - حياة المسيح ، للمقاد ١١ / ٢٤٧  
 ٢ - المرجع السابق  
 ٣ - المرجع السابق  
 ٤ - دائرة قوام البستاني ١٢ / ٣٨٠  
 ٥ - حياة المسيح ١١ / ٢٤٧  
 ٦ - المرجع السابق ١١ / ٢٤٧  
 ٧ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ٣٩ - ٤٢  
 ٨ - المرجع السابق  
 ٩ - دائرة قوام البستاني ١٢ / ٣٨٠  
 ١٠ - مخطوطات البحر الميت ص ٣٩ - ٤٢

- الاختبار لمدة سنة ، فإذا نجح رقي لأول درجة ويخمس بالمال الطاهر .  
- ولا يشارك الجميع في الطعام إلا بعد اختبار آخر مدة سنتان وإذا ذاك  
يقبلونه تمام . ( ١ )

- الحلف باليمين المغلظة أن يعبد الله مخلصاً له الدين وأن يسير بالعدل  
والحق مع كل إنسان ولا يميني\* إلى أحد . . . وأن يعرض عن الجاهلين ، ويعاون الأبرار  
وأن يكون أمين الروح مع الناس لا سيما أولى الأمر وأن يتعلق بالحق ويقت الكذب  
ويقاظه .

- أن يكون نقي اليدين من كل سرقة أو ظلم منزهاً عن أضرار السوء . ( ٢ )  
- ويتم اختيار الزعماء والقادة منهم بالانتخاب ولا اقتراع . ( ٣ )

#### المقـــامات :

- فإنه لا يجوز التجديف على الله ، وشترهم أي موسى عليه السلام ، ولا  
حكم عليه بالآل هدام . ( ٤ )  
- والأحكام كانت تفظها بالتصويت بعد التدقيق والتصميم ، هيئة محكمة  
لا يقل عدد أعضائها عن المائة .  
فمن ارتكب إحدى الكبائر ووقع في الخطايا الشائنة بطرد من بين الجماعة  
فيكون مصيره الموت المحتم لأنه لا يتناول ما يجد من الطعام ، أم تباط منه يقسمه  
ويعاداته فيضطر إلى أن يأكل المشب فيضعف جسمه حتى الهلاك . ، وإذا كان  
له من حظ ، أو من شفيح يشفق عليه في الرمي إلا غير فيعاد ثانية إلى الحظيرة  
باعتبار أن ما حل به من بؤس يكفي للكفارة والتوبة الحقيقية . ( ٦ )

١ - مخطوطات البحر الميت\* للمعابد ص ٣٩-٤٢

٢ - المرجع السابق

٣ - قصة الحضارة ٣/٣-١٧٤

٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٥

٥ - المرجع السابق ، وكذلك مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢

٦ - المرجع السابق .

## التبطل و "نظرتهم الى المرأة"

تشدد القمرايون في قهر الجسد للتغلب على الشهوات التي تعتبر في عرقهم منبع الشرور والجريسة<sup>(١)</sup> ، وعلى العموم فان المادة عندهم ، مصدر الشر كله والسرور بهما<sup>(٢)</sup> سرور بالدنس والخيانة<sup>(٣)</sup> ، فكان همهم "كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى<sup>(٤)</sup> ولهذا كانت الرهينة غالبية طيهم فحرموا الزواج واحسبوا التبتل والبعد عن النساء<sup>(٥)</sup> ، وهذا الامتناع فانهم لم يعرفوا للعائلة من معنى ، فاذا ما ارادوا تأمين استمرار الجماعة انتقموا اولاد غيرهم ممن يتوسمون فيهم الخير والصالح فاخذوا يدربونهم على الحياة الفضلى ، في رأيهم .

حتى اذا اشتعلت الفتنة في ايام هركانس الاول ( ١٣٤-١٠٤ ق م ) دخل كثير من الفرق الاخرى كالغريسيين والصدوقيين هربا من الموت وانتظموا مع القمرايين وشاركوهم في مبادئهم وكذلك اثروا في بعض افرادهم خاصة في قضية الزواج . فلما كثر الجمهور وتداخلته افكار جديدة قامت فئة منهم تقر بصوابية الزواج وضرورته لتأمين التسلسل والتناسل بين البشر<sup>(٦)</sup> .

فاذا رغب أحد هم في الزواج طيه أن يحترس من سلوك المرأة لان النساء جميعهن فاسقات ، وليس بينهن واحدة تحافظ على امانتها لرجس<sup>(٧)</sup> واحد ، لذلك يستحسن الخطيب خطيبته ثلاث سنوات فاذا اقتنع بغضيلتها تزوج منها ، ولا يساكنها وهي حامل ، ليبرهن على انه لا يتزوج لاجل اللذة ، بل لاجل التوالد ، وطاش المتزوجون وهم اقلية وحدهم مع عيالهم الا انهم كانوا خاضعين في سائر الامور لغرض الجماعة وقوانينها<sup>(٨)</sup> .

ورشح ان جماعة من النساء دخلسن في صفوف الجماعة فتهين انهن من المخططات للاسينيين او من زوجاتهم او من بناتهم اللواتي يطلبن الزواج ، ولمسم

١ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت ، للمابدي ٣٩-٤٢ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠-٦١

٢ - حياة المسيح ، للمعاد ٢٤٧/١١

٣ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢

٤ - حياة المسيح ، للمعاد ٢٤٦-٢٤٧ و المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٧

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠ ومخطوطات البحر الميت لحادة ص ٦٦ والمسيح في مفهوم معاصر ، ص ١٤٧

٦ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ، ومخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩

٧ - مخطوطات البحر الميت ، لحادة ٤٦

٨ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ٨ - المرجع السابق ٩ - المرجع السابق ومخطوطات البحر الميت ، لحادة ص ٤٦

١٠ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ١١ - المرجع السابق ودائرة بطرس ٣/٤٩٨



توجد فئة من النساء منفردة عن الرجال (١)

أما في حال الاغتسال والوضوء الجماعي ، فكان النساء يتقدم من الاغواض  
لابسات بعض اثوابهن ، والرجال متنطقين باليستهم ايضا . (٢)

أما الذين ابتعدوا عن الزواج ولم يتاثروا بالقاد من عليهم من الفسوق  
اليهودية الاخرى فانهم التزموا الصمت والتفكر والتدبر واعتقدوا ان كل ما يباح من  
السرور هو سرور الروح او سرور الاتصال بعالم الارواح وهو عالم ساوى في الطي  
الاثير يرتفع اليه المؤمن بالعبادة والرياضة والقنوت ، وقد ادت المغالاة الى قيام  
بعضهم بخصاء انفسهم . (٣)

#### التقويم والاعياد السنوية

اهتم القمريون بالتقويم السنوي ، وقد عمنوا من خلاله اعيادهم وايام  
خدمة كهنتهم ، فمن اعيادهم مثلا : الفصح ، والفطير ، والاسباع وغيرها .  
وتخدم كل عيد اسره معينه من اسر الكهنة ، كما كانت لهم اعياد اخرى مثل :  
عيد الحمام ، وعيد الصيف ، وعيد البذار ، وغيرها ، واصل هذا التقويم انه نسخة  
عن التقويم المصري الشمسي المعتمد الى أواخر الالف الخامس قبل الميلاد . (٤)

---

١ - دائرة فواد البستاني ١٢/٢٨٤

٢ - المرجع السابق

٣ - حياة المسيح للعقاد ١١/٢٤٧

٤ - المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥

٥ - راجع بتوسع : دائرة فواد البستاني ١٢/٢٨٦

## الدير الكبير أو " المدينة الاسمية "

بهذه القواعد والانظمة والقوانين عاشت جماعة وادى قمران نسي  
معسكرها الجماعي بل داخل دير كبير حوى جميع المرافق والانشآت الضرورية  
للمعيش الجماعي المشترك المتكافى دون الحاجة الى الاتصال بالعالم الخارجى .  
لقد حوى هذا الدير برجاً ، وجناحاً من طابقين تدور على جانبيه  
فرفته الرئيسية مقام حجرية وقاعة كبرى فيها طاولات من الجص والاجر ينسخ عليها  
النساخ الاسفار المقدسة . عند هم وطبها معابر من المرونز .  
وفي بعض الطاولات فجوات للما " المقدس " يتطهر به الكتاب عند  
الشروع بالعمل . كذلك حوى غرفاً منها :  
المطابخ ، - المغاسل ، - قاعة الاجتماع والملاة والقراءة . وقاعة  
المآدب " المقدسة " المشتركة .  
كذلك ضم الدير الكبير معامل الخزافين ، والحدادين والنحاسين .  
وكذلك الاهرات ( صوامع الغلال ) والطاحن ، والمخازن والمخازن ، كم  
اقامت مقبرة بالقرب منه .  
وقد لوحظ وجود غرف نوم جماعية ولم تر غرف فردية ( ١ )  
ولا شك ان هذا النمط من الابنية سيكون له تأثير كبير في الاديرة المسيحية  
فيما بعد . وهذا ما قسّم به الرهبان الى حد ما .

---

١ - يراجع في هذا الموضع :

قصة الحضارة ، ديورانت ٣/٣ ١٧٥

و يراجع بتوسع دافرة فؤاد البستاني ٣٧٨/١٢

تقديم الجهادي\* الرهينة اليهودية

لم تكن الانظمة والجهادى\* التي سبق الحديث عنها تابعة مسن اصول شريعة موسى عليه السلام ، وذلك لان نوط غربيا قد صاحب هذه التعاليم وصيغها بصيغة تلم يأمر الله تعالى بها .

ومرد ذلك كله يرجع الى طبيعة الانحراف العقدي الذي اصاب بني اسرائيل بصورة عامة والذي أثر بشكل أو بآخر على فهمهم للشريعة ، وقد جرف معهم جماعة وادى قران التي تأثرت بالجهادى\* الدخيلة .

ومع ذلك فانه يجب عدم انكار ان بعضا من التعاليم الاصلية والشريعة قد حافظت على وجودها بين القوم ، ولهذا يلاحظ وجود بعض الجوانب الاخلاقية والجهادى\* السلوكية كالصدق والامانة والاخلاص في العمل وحب الافراد بعضهم لبعض الى غير ذلك مما يتفق مع الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام ، فهذه بقايات من تلك الشريعة التي ذابت وانصبت في لجج وسياحات بني اسرائيل .

اما المؤثرات الخارجية فتتضح جلية من خلال الجهادى\* السلوكية والاراء الفكرية التي تتفق مع الفكر اليوناني القديم المتأثر بالفلسفة الهندية وعلى راسها البوذية والجنينية ، فقد لاحظ بعض الباحثين ان التأثيرات البوذية قد انتقلت الى مصر وغيرها بعد ارسال الملك البوذي اشوكا بمشربه الى تلك الديار (١)

فالحركة الفكرية الدينية الوثنية المعاصرة .... كانت في جوهرها مسالة للرهينة اليهودية ، (فالجماعة بعد ان فقدت ثقافتها بمؤسساتها التي تنتمي اليها اخذت تفكر بالنجاء الروحية الفردية وكان الدين ذو الطقوس الخفية الغامضة قد بعث هذا الامل في صدور الالاف الموهبة من اليونان وفي بلاد الشرق الهيلنستي واطالها ولكن هذا الامل أو الحاجة اليه كان اليهود في انتظاره ، كان الفقراء او المحرومون والمظلومون او المعتقرون في هذه الارض يتطلعون الى الله كي يرسل لهم من ينجيهم ويرفع عنهم نير الذل والمذابح (٢)

١ - هامش : قصة الحضارة ٣/٣ : ٢١٥

وكذلك مخطوطات البحر الميت ، لحادة ص ٤٩

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٨٣

لكل ذلك كانت هذه العبادى\* بحاجة ماسة الى تصحيح في المفاهيم  
والاراء\* الدخيلة على دعوة موسى عليه السلام ، والقمرانيون في زحمة الصراع والنزاع  
كانوا يشكلون احد الامراض المتنوعة التي انتابت بني اسرائيل ، فكان الجو مهيأ  
والحالة هذه لبعث موسى عليه السلام لتصحيح الفساد المستشري .

وسنلاحظ من خلال نقد العبادى\* مدى الانحراف الذى تطادى به  
القوم ، فالنقد سيوجه الى العبادى\* التالية :

- مبدأ تحريم أكل اللحم وذبح الحيوان
- مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان
- مبدأ الالتزام بالاعمال الوثنية
- في بعض الانظمة والقوانين الداخلية
- في التكنم والسرية
- في قساوة العقوبة
- في مبدأ الاغتسال من اللس . أو المصافحة بين الافراد .
- في البعد عن النساء وهدم الزواج
- في اتخاذ الدبر الكبير ، والانحزال عن الناس والمجتمع .

## نقد جديد أهدم أكل اللحوم وذبح الحيوانات

حرم الله تبارك وتعالى على بني اسرائيل بعض الامور واحل لهم امورا اخرى . ومن ذلك قول الحق على لسان عيسى عليه السلام (وَصَدَقَّا لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) (١)

وقد اشار العلماء الى ان ما حرم عليهم هو : لحوم الابل والشرب (٢) والشحوم وفي اشياء من السمك وفي اشياء من الطير . . . فجاء عيسى بالتخفيف منه في الانجيل (٣)

ومن هذا يلاحظ ان التحريم هنا لم يكن على إطلاقه ، فقد ابيح لهم اكل بقية الانعام ، اما رهبان وادي قمران فقد حرموا على انفسهم اللحوم مطلقا واقتصروا على النبات . وهذا الرأي قد مر في الابواب السابقة ، ولوحظ وجوده عند الجينيين والبوذيين ، وقد تأثر به الى حد كبير الفيثاغوريون . وقد اشار العقاد الى تأثر القرانيين بهذا الهدأ فقال :

( وقد نشأت الطائفة ( اى في بدايتها ) على الاغلب . بالاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من انظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كذهب فيثاغورث الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل ) (٤)

١ - ال عمران : ٥٠-٥١

٢ - الشروب ج : الشرب ، وهو شحم قد غشي الكرش والامعاء رقيق : راجع : مختار الصحاح مادة شرب .

٣ - : فتح القدير ، لمحمد بن طي الشوكاني ١ : ٣٤٣ ، مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ط ٢ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

و التسهيل لعلوم التنزيل للامام ابى القاسم محمد بن احمد بن جزى الكبسي الغرناطي ١٩٢/١ ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة حسان ، القاهرة .

٤ - : حياة المسيح ، للعقاد ١١/٢٤٦

## مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان :

تبنى رهبان قمران كما مر مبدأ شيوعية الاملاك والاموال والاشترك الكلي والجماعي في امور العشيرة

وهذا المبدأ ايضا لم يكن نتيجة ردة فعل تجاه اليهودية الجامعة نهمو المادية وحسب ، بل هو بدعة وجدت قبل نشوء هذه الفرقة بزمان بعيد ، فقد تلقفها رهبان قمران واقاموا بها نظاما لهم .

وقد حلل المختصون الاسباب الكامنة وراء اتخاذ القمرانيين لهذا المبدأ وارجعوا السبب المباشر الى الحالة الاقتصادية التي تقلب فيها بنو اسرائيل وبيئوا الفرص التي اتاحت لهم ( للثراء واستثمار الاموال ، وقد افاد من هذه الفرص اكبر افادة بعض طبقات وعض افراد من بني اسرائيل ، فملكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساءهم في الترف والنعيم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر افراد الشعب في مآكلهم ومشربهم مساكنهم وسائر شئون حياتهم . )

وهذا بدوره يؤدى الى الانحدار نحو الظلم والبغي فقد ( استعملوا على غيرهم استعلاء كبيرا وكان لا بد لهم لكي يبقوا على مستواهم المعيشي والاقتصادى ان يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريد ها من كل شئ\* ولم يكونوا ليغشوا من جراء ذلك جزاء ولا حسابا ، فقد كانوا هم الصفوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون . وكانوا قادة الشعب وحكامه بيد هم الحبل والعقد ، وعن طريقهم تناس الامور . ) ( ٢ )

لقد نشأت عن هذا الطغيان مظالم وويلات اخلاقية واجتماعية كثيرة من ذلك انهم كانوا ( لا يتورعون في سبيل الثراء عن الالتجاء الى اخس الوسائل فكانوا ياكلون السحت ويخدون ايديهم للرشوة ويسلبون اموال الضعفاء واليتامس والارامل ويقرضون المعوزين من بني اسرائيل بها فاحش ثم يستولون على اراضيهم سدادا لديونهم او يبيعونهم ويبيعون اولادهم وزوجاتهم ببيع الرقيق ، فاستحالت من جراء ذلك معظم الاراضي الى اقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الافراد

١ - : "بحوث في الاسلام والاجتماع" ، د . علي عبد الواحد وافي ص ٢٦٩

والطبقات ، وتكسب كذلك معظم الثروات الاخرى في ايدي هؤلاء حتى لقد ضاقت  
بها بيوتهم ولم يقو البشر على حراستها فلبجوا الى بيت الاله نفسه ورماه فاستحال  
بذلك المعبد الى ( بنك ) يهودى لحفظ ودائع بني اسرائيل وكان من نتائج ذلك  
ان اختفت الطبقات الصغيرة او كادت ( ١ )

لقد جرت هذه الظالم الى البؤس والشقاء كثيرا من الناس وقصد  
هرأشعيا من هذا الوضع المزرى قائلا ( ول للذين يصلون بيتا بيتا ويرقون  
حقلا بحقل حتى لم يبق موضع ، فصرتم تمكون وحدكم في وسط الارض ) ( ٢ )

ولا شك أن هذا الوضع كان نتيجة حتمية لاختلال ميزان الحق والعدل  
عندهم ولانحراف الكبر الذي شهدته عقيدتهم الزاحفة ، فانعكس ذلك على الوضع  
الاجتماعي الذي ولد بالفعل نقمة طارئة بين الطبقات الدنيا والتي حاولت باسلوهم  
التعبير عن رفضها لهذا النهج بالهروب من هذا الواقع المولم الى حياة جديدة  
تختلف اختلافا كبيرا عن سابقتها فهربت من التطرف الراسالي الى التطرف الشيوعي  
وهذا ما فعلته . الرهينة اليهودية .

ولا بد من الاعتراف هنا ان هذا المبدأ الجديد الذي لجأت اليه الجماعة  
كان معمولاً به منذ عهد ليكورغوس ( Lycourgues ) في القرن التاسع  
قبل الميلاد الذي حاول تطبيق هذا النظام في ( اسبرطة ) .

فقد حقق هذا الاخير ( نظاما شبيها مبتكرا لم يسبق اليه وذلك انه انفى  
نظام الملكية الفردية للارض واعاد تقسيمها لكونها الى ثلاثين الف قطعة  
متساوية القيمة بعدد الاسر الاسبرطية حيثئذ واعطى كل اسرة قطعة منها فاصبحت  
ملكية الارض جماعية واصبح جميع الاسر سواسية . . وجعل للدولة نفسها اى للمجتمع  
العام نصيبا كبيرا من ثمة الارض ودخل الناس في مختلف مظاهر الانتاج .

وفي مقابل ذلك تنفق الدولة على جميع الشؤون العامة واعمال الحرب  
وتأخذ على عاتقها تربية جميع الاولاد الذكور وتنشئهم تنشئة عسكرية على نفقتها  
وفي دورها الخاص ( ٣ ) .

وعلى نمط يقارب هذا النظام تم لجماعة وادى قمران تأسيس هذا المعسكر  
الضخم وتم فيه توزيع ما يحتاجه كل فرد بنسب مقدرة .

الا ان نصيب نظام ليكورغوس كان الاخفاق حتى لقد اضطر هو نفسه الى  
تعديل القوانين هذه واعاد توزيع الارض اكثر من مرة ولم يثبت شيء من هذا النظام  
البلدة مع مرور الزمن ( ٤ ) .

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧٢

٢ - اشعيا ٥ : ٨ - ١٠

٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٧٢

٤ - المرجع السابق .

وهذا النظام هو في جوهره ينطوي على فساد (ذاتي لتعارضه مع اتجاهات النزعات الفردية ومع السنن التي يقوم عليها العمران الانساني ، وتعتمد عليها العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض . )<sup>(١)</sup>

كما ان الغاء الحوافز من اى نظام علمي يؤدى الى التقاعس والتواكل في العمل . والفشل الذى لقيه نظام ( ليكورغوس ) كان من هذا القبيل لهذا احتاج الى تغييره عدة مرات .

وصحيح ان جماعة وادى قمران كانت نهايتها على ايدى الرومان الفاتحين الا ان هذا النظام بعد ذاته ابقى الجماعة في حلقة مفرغة تدور حول نفسها فلا تؤثر في غيرها ولا غيرها يتأثر بها وظلت اعدادها كما هي ودافعها محدوده واهدافها محصورة في نطاق ضيق ، مما أورث الشلل في أركانها . ولهذا كان الفشل ملازما لها .

---

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٦٩



نقد مبدأ الالتزام بالاعباد والتقويم المصري القديم

ان استعمال القمريين للتقويم المصري والاحتفال ببعض الاعباد

المتعلقة بحاصيل الزراعة والثمار وغيرها من الاعباد الوثنية يجعل من هذه الجماعة

مسندة لغيرها في نظمها ومبادئها .

ولا اعتراض من حيث المبدأ على استعمال التقويم من الناحية العلمية

فهذا امر لا بد منه لاستعماله في معرفة المواقيت والازمنة ، انما الذي يعيب

هو ظاهرة التقليد في اتخاذ تقويم للاعباد والاحتفال بها تبعا للنظام

الوثني المصري القديم .

وصحيح ان هذه الجماعة لم تكن تشارك غيرها في الحياة العامة الا انها

كانت تخضع في فترات معينة لتيارات غريبة لا تقدر على ردها نظرا لضعف النشأة

وفقدان الحيلة .

- في الانظمة والقوانين الداخلية للجماعة

تبين من نصوص الجماعة انها تصر على ضرورة خلو المقتضب اليها من

الموانع الخلقية ، وهذا يحتم وجود تفرقة بين الناس وينبئ عن غلبة في قلوب

اصحاب هذا المبدأ ، كما يمنع بالتالي وصول الخير الى الخير .

فالدعوة الخالصة لا تحتاج الى مثل هذا النص ، ان انها لا تفرق بين كبير

وصغير ولا بين قوي وفقير ولا بين قوي وضعيف فالكل اطم الحق سواهم جميعا يشكلون

اطار الجماعة لا فرق بينهم الا بالاحسان ولا فضل الا بالتقوى .

وصحيح أن القوى غير وأحسب . إلا أن الضعيف لا يحرم من الحسب

والعدل والخير ، فلا يجوز طرده من حظيرة الايمان لضعفه الجسدي ان ربط يكون

جهاد ، الطلي مدعى للجهاد بالنفس ومعين له ( يقول الحق تبارك وتعالى :

( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم

(١)

خير لكم ان كنتم تعلمون )

فاتقوا الجماعة على فئة واحدة من الناس او جنس واحد فيه قصر نظر

ويترتب عليه خلل وفروق بين البشر .

## مبدأ التكتيم والسرية :

جرت المفاهيم على ان اى عقيدة دينية جديدة تلقى معارضة قوية في بداية نشأتها ، ولا بد في هذه الحالة من اتخاذ مبدأ السرية والتكتان حفاظا على افكارها وعناصرها من كيد أعدائها ، حتى اذا ما قويت شوكتها واشتد عودها اصبح مسن الضروري لها اعلان الدعوة جهرية دون ابطاء ، والا فانها معرضة للفشل ان استمرت في اتخاذ مثل هذا الطابع . فاستمرار السرية والخفاء في الدعوة قرونان بالخطورة لما يترتب عليه من نمو للنزعات الفردية داخل الجماعة ، النفى الى التهور والتسرع في اصدار الاحكام دون اللجوء الى التعقل والتدبر ، وظالما تكون هذه الاحكام في وسط هذا المجتمع المنغلق المتحجر جائرة ، نظرا لضيق الافق ، ومحدودية التفكير و انعدام الشورى .

فما يحاك في الظلام يخرج ضالما وما يزرع في الضو ينبت ويترعرع ويقوى ويشتد ، في وجه الصعوبات والطبات .

ويمكن الفسفسل في ابقاء الجماعة على سريتها وتكتانها انها لا تستند في دعوتها الى خطة مدروسة ، تقيم فيها مراحل نموها وتطورها . ولهذا فان رهبان قمران رغم تكتئهم من الاستمرار اكثر من ثلاثة قرون او قرنين على اقل تقدير ، الا انهم لم يعلنوا على الملأ ما دهم واراهم ولم يعلنوا على نشرها في الخارج .

والحق ان هذه الفسفرة لم تستطع التمييز بين ما ينبغي عمله في بداية الدعوة وبين ما ينبغي ان تقوم به من خطوات بعدها . فسارت على منهجها دون تغير في اسلوب الدعوة القديمة فظلت جادة مكيلة بنصوص كتبها الجادة وشروط انتسابها الضيقة المتسمة بالعنصرية والفردية من غير ان تعرض بخافتها على الآخرين .

وغير خاف ان مبدأ السرية في التعاليم مبدأ مستورد من المذاهب المعاصرة لتلك الفرقة ، فالفيثاغورية مثلا نادى بالسرية المطلقة حتى انها اعتبرت ان من يفشي سرا دينيا او دينيا يكون عرضة للاعدام (١)

وهذا ما نصت عليه قوانين رهبان قمران الى حد ما ، وقد استنتج د . النشار من ذلك ان هذه الفرقة اليهودية قد فتحت الباب امام فرقة يهودية حديثة تتخذ السرية طابعا لها حيث اوضح قائلا :  
( وكانت لهم مذاهب خاصة سرية ، ويعتبرونها اسراراً لا تفسى إلا لأعضاء

١ - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ٢٠

الجماعة بعد انضمامهم لها بوقت طويل واختيارهم اختياريًا عنيفًا ، هذه هي الصورة الاولى للماسونية<sup>(١)</sup> التي ابتدعها اليهود ايضا في العصور الحديثة وجعلوها وسيلة لنشر كثير من مبادئهم ومبادئهم اقامة هيكل سليمان مرة ثانية<sup>(٢)</sup> .

كما ان هذه الجماعة ( كانت بتعاليمها السرية مهمة لنطة يهودية لاحقة تدعى القبلة<sup>(٣)</sup> ، أو القبالة )<sup>(٤)</sup> .

١ - الماسونية : ( من الكلمة الانجليزية ( ماسون ) اي عامل بناء ، وتعود جذور الحركة الماسونية الى جماعات الحرفيين في العصور الوسطى الاقطاعية ، وهي جماعات كانت منظمة تنظيم صارط شبه ديني لها طقوسها الخاصة ورموزها الخفية وقسمها السري . . . . . والمحتوى الايديولوجي للماسونية . . . عالم رجراج ولذلك فهي تغير لونها وفق ظروفها التاريخية فنجدها حركة تقدمية آنا ورجعية في آن اخر بل انه توجد الان في العالم حركات ماسونية عديدة متصارعة ولكل واحدة طقوسها الخفية السرية . . . . ) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٥٢

ويمكن اعتبارها بشكل عام ( مخطط فكري اجتاعي اقتصادي ، صهيوني الفكر صيق الاهداف كبير الاثر متغير الظاهر ، قاداته هم اساطين الفكر اليهودي العالمي . . . ( وهي ) تحمل اسما مختلفا وتعمل بمسارات متعددة لتخدم اهدافا صهيونية واحدة ، وظهرت في يوم من الايام باهداف انسانية في ظاهرها حاكمة حقا اسود على البشرية كلها في اعطائها ) : شهادات ماسونية ، حسين عمر حمادة ص ٧ ، دار قتيبة ط ١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م وللمزيد يراجع ايضا : الماسونية في العصور وحقيقة الماسونية ، للدكتور : محمد علي الزعبي .

٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، د . النشار ، ٧٦/١

٣ - القبالة : علم التاهيلات الباطنية والصوفية عند اليهود والمعنى الاصلي لكلمة قبالة في اللغة العبرية هي التراث من القبول وكان يقصد بها اصلا التراث الشفوي ، المتناقل لليهودية فيط يعرف باسم الشريعة الشفوية ثم اصبحت من اواخر القرن الثاني عشر الميلادي تعنى الاشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي في اليهودية الى جانب مدلولها الاكثر عموما على كل المذاهب الباطنية في اليهودية منذ بداية العصر المسيحي ومنذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادي . . . . . وينطلق المؤرخون بالقبالة من افتراض ان الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الالهي وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنظم الانسان والخالق حتى يصبح الاله ومخلوقاته هيا نفس الشيء . . . وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم والسيمياء والغرامسة وقراءة الكف وعمل الاحجية و تحضير الارواح . . . وقد انتشر الفكر القبالي بين صفوف يهود اوربا في القرن السادس عشر ثم بين يهود شرق اوربا بالذات في القرن الثامن عشر وذلك بانتشار الحركة الحسيدية ومن اهم المفكرين القباليين في العصر الحديث الحاخام ابراهام كوك الفكر الصهيوني واول حاخام صهيوني استوطن فلسطين . . . ) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٩٠-٢٩١ وكذلك

راجع : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٦٥-١٦٧

٤ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

### تساوة العقوبة في القوانين القرآنية

جاءت الشرائع السماوية لهداية الخلق الى سبيل الحق ، واتخذت وسائل الترغيب والترهيب اسلحتها في مخاطبة البشر .

وعدة هذه الوسائل ، الترغيب يعفو الله تبارك وتعالى ومغفرته لعباده ، وفتح الباب امام العصاة للتوبة والاناة اليه .

والوقوف في وجه هذا النهج هو اغلاق لباب الرجاء والامل ، وسد لابواب المغفرة ، وما قام به رهبان قرمان من وضع قوانين صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة هو من هذا القبيل .

وفي الفصول السابقة لوحظ نفي لا حدى فقرات قوانينهم ان ( من ارتكب احدى الكبائر ، ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت ، المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام فيضعف جسمه حتى السهالك )<sup>(١)</sup> .

هذا النص ان كان المراد منه معاقبة الكفرة والطحدين فهو في موضعه ولا اعتراض عليه ، الا ان النص لم يذكر كفرة او طحدين ، وعليه فان النص يعني الذنبيين والعصاة ، وفي هذه الحالة يمكن معالجتهم بالعقوبات الناجمة والرادعة ، الموصية الى التوبة والندم على فعل الشكر .

والا فالنص يلحق اجحافا كبيرا في حق الذنبيين ، والحق انه يجب التسليم بضرورة معاقبة الذنبيين كل حسب جرمه مع الاخذ بعين الاعتبار ان حد هذه العقوبة يجب ان يكون مكفراً للجرم المرتكب حتى يكون الانصاف تاما وشاملا . وفي المسائل التي لا قتل فيها ولا دماء ك بعض الكبائير غير الكفرة والصغائر فينبغي ابقاء باب التوبة فيها مفتوحا امام الذناب للمودة والرجوع الى الحق والصواب كما ان طرد الذناب او نفيه من الجماعة يزيد من شعوره بالظلم فلا يفكر بالعودة الى الصلاح . بل ينقلب مجرماً لا يتورع عن ارتكاب المزيد من المعاصي والكبائر وفي ذلك خسارة كبيرة لكلا الطرفين .

---

١ - لاحظ صفحة ( ٢٨٤ ) من هذا البحث .

### مبدأ الاغتسال من الصافحة أو اللس

مطالبة هذا المبدأ بأنه ( ليس لأحد من القسم الأكبر في الجماعة ان يمس احدا ممن دونه والا اغتسل )<sup>(١)</sup> يوحى بوجود فوارق طبقية ونزعات عرقية داخل الجماعة الواحدة ، فضلا عن ميزة التعالي والكبر ، وهو ما يتنافى التواضع والتسامح .

وهو في وضعه هذا يتم من تعالي رجال الكهنوت وذلك لتدعيم قوانينهم الخاصة وفرض هيبتهم على الآخرين بغير حق ، كما يوحى باضفا " سمة القداسة طسى هو لا " ، وربط التمسك الطبقات الدنيا من الطبقات العليا البركة والمغفرة ، وهذا ما تجلت صورته فسيط بعد في الرهبانية المسيحية التي اتخذت رهبانها اربابا من دون الله ، وفي الباب القادم ان شاء الله سأعرض لهذا الموضوع .

### في مبدأ " البعد عن النكاح " وتحريم النكاح :

اعتناق هذا المذهب فيه مغايرة اكيدة لذهاب الفرق اليهودية الاخرى التي رأت في مجتها ( ان الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وان من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل حرمة عن القاتل لان كليهما على حد تعبيرهم " يطفئ " نور اللس " وينقص ظله في ارضه ويبعد رحمة عن اسرائيل " بل لقد رأى بعض فقهاءهم انه من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضا " ان يرغمه على الزواج )<sup>(٢)</sup>

ولم يرد نص في كتب اليهود يوحى بضرورة العزوبة والامتناع عن النساء ، ما يعطي دليلا قاطعا على ان هذا المبدأ لم يكن نابعا من البيئية اليهودية بل كان نتيجة اثر خارجي .

ولا شك ان تأثير الرهبان اليونان الذين طاشوا مع الجيل الأول من القمرانيين في الاسكندرية وحول مروط كان كبيرا . .

فسبالاستطاعة هنا تقرير ان هذه الحقبة بالذات تمثل بحق صلة الوصل ما بين رهبنة الديانات الوضعية ورهبانية النصارى وذلك لان طما " التسارخ يقررون ان جماعة وادى قمران لم تنته تما الا بعد ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٧٠ طما تقريبا .

---

١ - راجع صفحة ( ٢٨٣ ) من هذا البحث

٢ - : الاسفار القدسة السابقة للاسلام د . وافي ص ٦٠ وحول ذات الموضوع

راجع : موقف اليهودية والمسيحية والاسلام في العزوبة " مقالة لنفس المؤلف في مجلة الأزهر عدد محرم ١٣٧٩ هـ ص ٣٠ ، القاهرة

ان هذا المبدأ حينئذ يقررته الرهينة اليهودية لم تكن قد اخذت بعين الاعتبار اضراره الخطيرة . .

وصحيح ان العلة لم يتحدثوا عن وجود ما يشير الى حصول جرائم خلقية داخل الجماعة ، الا ان الامر المعلن ان الجماعة كانت تتبنى اولاداً من خارج اطار القمريانيين ، وهذا ان دل على شيء فانط يدل على فشل هذا النظام المبني الاساس ، فما هو الداعي للتبني ما دامت قوانين الجماعة في نظرها مثالية وراقية؟ ان التعالي على الحق جريمة بشعة ودعوة كهذه فيها هدم لركائز المجتمع وتهديد لاستمرار النسل وعساسة الارض .

كما ان نظام التبني لا يمكن ان يقوم بحمل مسؤولية بناء المجتمع ، وكما من الناس من يستطيع التخلي عن قلدة كهذه لمعيش في مجتمع مطلق تكتنفه حياة العزلة والتفوق ،؟ هذا لعمرى بعيد كل البعد عن الواقع .

ومن الواضح ان الجماعة قد بنت نظام رهبنتها وتبنيها طبقاً لرائها المتعلقة بالمرأة فالموقف المعلن من النساء كما توضحه احدى فقرات قوانينهم ( انهن جميعاً فاسقات وليس يهنهن واحدة تحافظ على امانتها لرجل ) ( ١ )

هذا الموقف فيه تجاوز خطير لحقوق المرأة ومكانتها في المجتمع وتعد على سمعتها وكرامتها ، وادخالها في باب الفسق تحقير لقيمتها الانسانية أولاً ومهانة لدورها في المجتمع فضلاً عن انكار الجميل الذي تومر به الامهات في سبيل فلسفات اكبادهن .

ولو وجد في واضح هذا القانون شيء من الحياء والخجل لقصر الفسق على فئة معينة من النساء دون ان يعم حكمه الجميع بالاثام والقذف .

الا ان التقليد الاصح وتتبع خطى الرهينة الجينية والبوذية واليونانية قاد واضعي قوانين رهينة اليهود الى هذا الطأزق الخطر .

( ٢ ) وقد لوحظ في السابق موقف الجينية من المرأة وموقف بوذا منها . وقد وقف القمريانيون نفس الموقف ، فما اشبه هذه بتلك .

ولهذا فان معارضة السنن الالهية في الخلق عطية متعبة نتجها الحتمية الفشل ، ولا ادل على ذلك من ان هذه الجماعة لم تستطع ان تقاوم الضغوط الخارجية فقد استطاعت الجماعات اليهودية الاخرى الولوج الى قلب القمريانيين وكسر نظام الجماعة الى حد ما ، وهذا ما حصل عند اليهوديين من قبل وكان الزمان قد استدار كهيئته مرة اخرى .

١ - راجع صفحة ( ٢٨٥ ) من هذا البحث

٢ - راجع صفحة ( ١٥٧ ) من هذا البحث .

## نظام الديبر الكبير وسائمه

ان انشاء معسكر كبير يضم جميع مستلزمات حياة الرهبان لم يسبق ان اقيم مثله من قبل ، فهذا الابداع كان نمتجة لقرار الجماعة بعدم التعاون والاختلاط مع اليهود الاخرين فضلا عن بقية الطل الاخرى .

ان هذا الوضع يحتم انزال افدح الاضرار بالمجتمع فالعزلة والتفوق داخل دائرة ضيقة يمنع من اكتساب المواهب والقدرة على التلقي السليم لهادى وطوم الحياة المتطورة والنافعة للمجتمع . كما يقلل الابواب امام النابهين ، ويبقى الجماعة تدور في حلقة مفرغة لا جديد فيها ولا تجديد .

والهروب من الشرور لا يكون بالانعزال كلية عن المجتمع ، وصحيح ان نصوص الشريعة الحقة لا تتغير ولا تتبدل الا ان الاحوال التي ترافق الناس تتبدل بصورة مستمرة ، ولا بد والحالة هذه من استنباط احكام تواكب ما يستجد من امور متطورة مع الزمن خاصة اذا لم تكن النصوص قادرة على اعطاء احكام مباشرة او خلست من الوضوح والبيان ، وعندها لا بد من الاجتهاد والاستنباط . .

وبع اقبال هذا الجانب وحصره في دائرة ضيقة تبرز المشقة والحرَج امام الناس في امورهم العادية والمعيشية .

واذا لاحظنا الفترة التي عاشتها جماعة وادى قران لا مكن لنسب التعرف على مدى القصور الذى اعترها ومدى التأخر الذى اكتنف جوانب حياتها ان ظلمت على انعقادها وانعزالها بعيدة عن أي تقدم يذكر .

وما لاشك فيه ان فكرة المستعمرة او الديبر الكبير قد فتحت اهمن اليهود في المصور المتاخرة على انشاء احيا كبرى معزولة كلية عن المجتمعات السكنية الاخرى خاصة في اوربا وقد اتفق على تسميتها بالجيتو<sup>(١)</sup> ، وقد توسع

---

١ - الجيتو : هي هي مقصور على احدى الاقلية الدينية او القومية ولكن الكلمة

( جيتو ) تستخدم بشكل خاص للإشارة الى احيا اليهود في اوربا وقد اقيم اول حي يهودى يطلق عليه كلمة جيتو في البندقية عام ١٥١٦ م ومع انه كانت توجسد داخل الجيتو طبقات مختلفة ( من اليهود ) فكان هناك الغني والفقير والمستغل الا ان الطبقة المنغلقة لهذا البناء الاقتصادي جعلت كل الطبقات تتداخل فكانت الاقلية اليهودية تقوم برعاية مصالح كافة اعضائها بصرف النظر عن انتمائهم الطبقي . . . . وفي الجيتو كان اليهود يهرب من العالم الخارجى لعالم كان يتصور ان كل ما فيه يهودى خالص فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون هرج شم

كثيرا في استعماله ، اذ كان ملهط لاجلام اليهود وتطلعاتهم ، حيث فيه نشوءا . .  
وترعرعوا وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم التوسعية .

---

يحتج من العمل يوم السبت حتى يجعل بعودة السامح المنتظر ليقود شعبه  
لارض السعد ، وحينما كان يحاول اليهودى ان يدرس شيئا فانه كان يذهب  
الى بيت هادراش ، - المدرسة - الطحقة بالمعبد اليهودى أو يذهب الى المدرسة  
الشمودية حيث كان لا يدرس الا التوراء والشمود والمدراش ولا يقترب البتة من تاريخ  
الاخبار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدسة  
لكل هذا كان يعيش اليهودى نفسيا في مكان كان يتصور انه فلسطين وان كان يعيش  
بجسده في احدى جيتوات شرق اورها او وسطها ) : موسوعة المفاهيم  
والمصطلحات والصهيونية ص ١٥٤ ، ١٥٥





ولا شك انه لم يوجد قط في مبادئ الفرق اليهودية القديمة على اختلاف مشاربها وقبل نشوء جماعة وادي قمران من نادى بالرهينة .

فمن المعروف حقا ان اليهود قساة القلوب اصحاب طبيعة مغالطة في الطائفة وتحيل الى الانانية والتكبر والتعالي ، فمن المستغرب ان تظهر بينهم فسقة تنادى بالعزلة والعزوبة . وعليه فلا بد من تقرير حقيقة واقعية وهي ان قيام جماعة يهودية بهذا الامر لابد ان يحصل من جراء تأثيرات خارجية ولا شك ان بعض هذه التأثيرات قد جاء من طريق تلك الجماعات التي خالطها اليهود في ميسوط واخذوا عنها نظم الرهينة ومبادئها .

وهكذا يمكن ربط الحلقات المتعلقة بالرهينة لتصبح الصورة واضحة جنية على اساس ان الرهينة اليهودية هي صلة وصل ما بين رهينة الادمان الوضعية وبين رهانية النصارى التي سوف نرى نشأتها وتطورها في الباب القادم بإذن الله تعالى .

---

١ - لم يكتف د يوارنت بإيراد التأثير اليوناني على الجماعة بل ألمح الى ان هؤلاء لعلمهم تأثروا بأراء البراهمة والبوذيين والمجوس عبدة النار والفيثاغوريين والكلبيسن وهي الآراء التي جاءت الى اورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب اسيا ) .

: قصة الحضارة ٣ / ٣ : ١٢٤

ويضاف اليه ما ذكره الطران صموئيل في هذا الصدد حينما قال انها (أي الجماعة) مزيج من اليهودية - ولا شك - ومن العناصر الشرقية كالفارسية والهندية والوثنية مع اليونانية بدليل وجود آثار لكل من هذه العناصر فيها ، فالاسينية لجأت الى البرارى والكهوف سعيا وراء كمال كل فرد من اعضائها ومع ذلك فما لبثت ان انقرضت سواها كان السبب في ذلك الاضطهادات التي قاستها او نكبات الزمن الاخرى المتعددة فالنتيجة الواقعية هي انها لم تكن تحتوى على مقدار كاف من الحياة ليضمن لها استمرار البقاء وطول الحياة على مرالاجيال )

: كنز قمران ص ٢٤٤

المساب السباع

الاسم العديسة  
للرهبانيسة السحيمة  
والسر طيها

### التمهيد :

بعد الحديث عن الرهينة اليهودية وشاكلها وما انتهت اليه . . . . .  
نصل الى نهاية المطاف والى ما لا يد منه في سلسلة الرهينة ، لنختتمها بالحلقة  
الاخيرة والخطيرة منها وهي الرهينة المسيحية التي طرست جميع ادوار من سبقها  
واقترنت عندهم كثيرا من المفاهيم والبيادى<sup>١</sup> العقديّة والعطية وطبقته واضافت  
اليها الكثير . .

وهنا تتجلى حقيقة البدعة في الرهبانية المسيحية ، هذا اقساما  
لقوله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها  
حق ربايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون )<sup>(١)</sup> .  
فضم عقائد وبيادى<sup>٢</sup> مخترة الى الدين الاصيل ليصبح ديننا محرفا  
بدعة ليس للنصارى انخالها على ما جاء به موسى عليه السلام .  
وللوصول الى ذلك لا بد من استعراض بيان أهم أسس العقائد  
التي استقر رأى الكنيسة عليها، للوقوف على كيفية نشوء الرهبانية وتطورها  
والادوار التي مرت بها والمناهل التي شربت منها .

## الفصل الأول : العقائد وتقدّمها أولاً : أسس العقائد المسيحية ==

لقد مرت المسيحية عبر قرون عدة قبل أن تستقر على عقيدة تبني عليها أصولها ، وقد اجمعت الطوائف المعارضة للتوحيد على القول بالتثليث ووضعت له المصطلحات الخاصة به ، وهي في واقع الأمر تتناقض مع ما تدعيه من القول بالتوحيد التي اضطرت إلى الحنادة به خوفاً من وصفها بالوثنية .

فهي تضع اسم : الاب ، والابن ، والروح القدس ، كأساس لعقيدتها إلا أن الطوائف المتعددة داخل المسيحية نفسها تختلف حول طبيعة كل اقنوم من هذه الاقنوم الثلاثة وانبثاق كل منها عن الآخر .

وقد اقرت عقيدة التثليث عقب مجامع متعددة بعد أن مرت الكنيسة بتطورات كثيرة نظراً لما اعترضها من مشاكل وصعاب فكرية ودينية ، ضباباً هو ناتج من اختلاف دعاتها الأوائل حول مضمون رسالة عيسى عليه السلام وشخصيته وحياته ومنها ما يصرّج إلى أسباب خارجية طارئة أسهت إلى حد كبير في إنحراف الخط السير وتوجيهها نحو طريق لا يرضى عنه المسيح عليه السلام وحواريوه الخلق .

---

١ - تتراجع المسيحية في العصر الحديث عن كثير من الآراء التي تحكمت بها في الماضي فالموسوعة الكاثوليكية الجديدة والمعترف بها رسمياً في أوساط الكنيسة تعترف ( بأن التثليث لم يكن معروفاً للمسيحيين الأولين وأن هذا المبدأ قد تمت صياغته في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي فتقول في هذا الصدد : .

( نجد من الصعب في النصف الثاني من القرن العشرين أن نقدم تفسيراً واضحاً وموضوعياً لأصل سر الثالوث المقدس وتطوره الذهبي وتفسيراته اللاهوتية فمناقشة الثالوث تمثل ظلاً من الغموض غير المستقر سواء كانت على مستوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أو غيرها .

وقد حدث أمران هامان : هناك اعتراف من جانب المفسرين وهلماء الانجيل وهدد كبير من غلاة الكاثوليكية بأنه لا يجب الحديث عن ثالوث العهد الجديد ( الانجيل ) دون أن يكون المتحدث مؤهلاً لذلك وبما يوازنه اعتراف مؤرخي العقيدة ورجال اللاهوت بأن الحديث في ثالوثهم يتحرك بنا من أصول العهد المسيحي الأول إلى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ففي هذا الوقت أصبح الثالوث مبدأ نهائياً ، وتبدأ الفكر المسيحي والحياة المسيحية تطوّر لاستيعاب فكرة الإله الواحد في ذات ثلاث ) : الاسلام والمسيحية ، ألقت عزيز الصد

ص ٥٥-٥٦ الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ٤-١٤ هـ ١٩٨٤ م  
دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان .

وطيه فان ارا الفرق المسيحية المختلطة لم تتفق على صيغة لاعلان المبادئ الرئيسية للديانة المسيحية في القرنين الاول والثاني وذلك بسبب الاحداث الخطيرة التي غيرت معالم الدين الحق .

فبعد تقلبات عديدة وملابسات تاريخية ومجالات عقائدية شهد لها العالم المسيحي آنذاك عقد مجمع نيقية طم ٣٢٥ م ضم ٣١٨ أسقفا تحت رعايته قسطنطين وكان وثيا ولم يتنصر بعد وقد خرج المجمع بقرارات سميت آنذاك بدستور الايمان أعقبه مجمع آخر سنة ٣٨١ م في القسطنطينية تحت رعايته ( تاودوسيوس ) وقد أقرت فيه صيغة أضيفت إلى الاولى كان المؤمنون بحاجة اليها مكملين بذلك النص الذي ألزمت الكنيسة أتباعها باعتناقه وعدم الخروج عنه . ونص دستور الايمان كان طس النحو التالي :

- أومن بالله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى

- وهرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذي به كان كل شيء .

- الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

- وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب .

وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الاب .

- وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات لاننا لملكه ( ١ )

- والروح القدس الرب المعطي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب ،

والابن مسجود له ومجد الناطق بالانبياء .

- وكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية .

- واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

- واترجى قيامة الموتى

- والحياة في الدهر الآتي . آمين ( ٢ )

---

١ - الى هنا النص الذي جاء في المجمع الاول ( راجع في ذلك المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٢٥٠ ط ١ ١٣٨٥-١٩٦٥ دار الكتب الحديثة ، مصر

٢ - راجع نص الصيغتين في كتاب الخلاصة الشبهة في أخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية افلاطون مطران موسكو ص ٦٥-٦٦ ت : الخوري يوحنا حزيون ، طبعة كرم، بيروت ١٩٥٧

(١) وقد حاول صاحب رسالة التثليث والتوحيد تخريج صيغة هذا الدستور من الأناجيل الأربعة ورسائل اعمال الرسل .

الا أن الناظر في العهد الجديد وما احتوته أناجيله من نصوص يظهر لنا بوضوح ان كاتبيها يمتازون بثقافة اصططفت بالوان شتى اكتسبتها من بيئة شعبية بأساطير وقلعفات ومفاهيم وثنية .

وما عرف عن أهل الكتاب من اتخاذ منطق التأويل المغالي لتفسير نصوص كتابهم ليس بغريب عليهم بعدة تخريج أي نص وفق مفهوم العقيدة التي يدعون بها بعد تغلغل الآراء التأليفية الدخيلة على رسالة عيسى عليه السلام .

ولمنا في معرض الحديث عن التطورات التي سبقت انعقاد المجامع والاعتراضات الكثيرة التي أثرت حوله أو الخوض في تأثير الفلسفات الوثنية القديمة على الديانة المسيحية فإن ذلك سوف يكون البحث فيه أثناء الحديث عن الآثار الخارجية على الديانة المسيحية .

وما يهم البحث هنا هو استعراض المفاهيم الرئيسية التي قام عليها دستور الايمان واراها المسيحيين بالنسبة لعقيدة التثليث وما نتج عنها من مبادئ دينية اتخذت كاستند للأسس التي بنت عليها الرهبانية أطرها وتنظيماتها . وقبل ذلك لا بد من استعراض بعض نصوص الأناجيل التي يعتمد عليها المسيحيون في إثبات عقيدة التثليث ومن ذلك :

ما جاء في انجيل متى :

( ٢ ) ( فانهبوا وتلذذوا جميع الأمم وعدوهم باسم الآب والابن والروح القدس )  
- وما جاء في رسالة يوحنا

( ان الذين يشهدون في السبط هم ثلاثة : الاب والكلمة والروح القدس وهو لا الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والسبط والدم والثلاثة هم في الواحد )<sup>(٣)</sup>

- وكذلك ما جاء في انجيل يوحنا :

( ٤ ) ( في السبط كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ) .

١- ليسى منصور ، وقد نقل الاستاذ عبد الكريم الخطيب تخريج هذه الصيغة في كتابه

المسيح في القرآن ... ص ٢٤٩-٢٥٣

٢- متى : ٢٨ : ١٩

٣- رسالة يوحنا (١) ٥ : ٧-٨

٤- انجيل يوحنا ١ : ١

## ثانيا : مدلولات التثليث عند المسيحيين

حاول علماء المسيحية تفسير مدلولات العقيدة وما انطوت عليه من مفاهيم عن الأقانيم الواردة في نص دستور الايمان السابق ذكره ، وما تفتقت عنه عبارات الاناجيل من دعوى التثليث .

وسيسير البحث مع بعض الاصطلاحات للوقوف على مدلولاتها وما ترمي اليه ، وستوضح مدى عمورة هذه التفسيرات .

فلفظ الاب عندهم مترادف لكلمة ( الله ) : (وهو الاله ، خالق جميع الكائنات والحاكم لجميع العوالم والواهب كل السواهب الحسنة ، والله روح غير محدود أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته ، وعدله وجودته وحقه )<sup>(١)</sup> .

في هذا التفسير ولأول وهلة قد تظهر بعض دلائل التنزيه إلا أن ذلك لا يلبث أن يتلاشى أمام بقية المدلولات فيها هم يقولون ( الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر . . . الله الاب والله الابن والله الروح القدس ، فالاب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن . . . والابن هو الذي أتم الغدا<sup>(٢)</sup> وقام به ، والروح القدس هو الذي يطهر القلب والحياة غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معا في الاعمال الالهية على السواء وتطلق الصفات الالهية على كل أقنوم من هذه الأقانيم )<sup>(٣)</sup> .

ومعترف النصارى بأن عقيدة التثليث هذه لا تظهر واضحة فني العهد القديم ( ٣ ) .

- مفهوم ( ابن الله ) :

اطلق هذا اللقب على السبا ( مز ٢: ٧ ) وهو ( ٤٩: ١ ) وهو يدل على العلاقة المكنية ( كما يدعون ) بين الاب السطوى والابن الأزلي ، وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد ط يقرب من ٤٤ مرة عن يسوع المسيح ، والله الاب يحب ابنه ( يوحنا ٣: ٣٥ و ١٧: ١٠ ) الاب هو الذي ارسل الابن ليحمل به ( يوحنا ٣: ١٦ و ١٧ و ٤٢: ٨ ) و ( فلا ٤: ٤ ) و ( عب ١: ٢ ) ويقولون كذلك : والمسيح بط انه ابن الله ( تعالى عا يقولون ) فهو اله بكل الكلمات غير المحدودة والتي للجوهر الالهي والابن حاوله في الطبيعة ( يوحنا ١٧: ٢٥ ) ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو ( ابن الله )<sup>(٤)</sup> .

١ - قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اساتذة اللاهوت ص ١٠٧ - ١٠٨ ط ٢ ١٩٧١

٢ - المصدر السابق

٣ - المصدر السابق

٤ - المصدر السابق .

وقد فند الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار هذه الاقوال وأثبت بالبراهين

أن هذه المفاهيم د خلية على عقيدة المسيح عليه السلام راجع تفسير المنار ١٠ / ٣٩٢



يتضح مما تقدم صعوبة فهم تلك النصوص لما تتطوى عليه من خلط وتناقض يجعلها العقل ، ويرفضها الخلق فضلا عن مخالفتها لواقع وحقيقة العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام النابضة بالتوحيد الخالص .

ولتشابك وتتضاد عقيدة التثليث فقد حاول بعض العلماء حل الرموز

التي تكتنفها والتي تستعصي على الفهم ومن ذلك قول أحد العلماء :

( بقي على المسيحيين أن يجدوا حلا للأمور الآتية :

- ما الطريق للتوفيق بين التوراة التي تقول بالسوحدانية والتي

يقدمها المسيحيون ، وبين التثليث الذي اعتنقه المسيحيون ؟

- كيف يتم فهم ( وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ؟ )

- يقولون الابن مولود غير مخلوق والابن ليس احد من الاب فما معنى

هذا ؟ . . . لقد حاولت جهدي ان اصل الى جواب لهذه الاسئلة عن طريق القراءة

او المعادلة مع المسيحيين ولكنني اقرر انني لم استطع فهم اجاباتهم بل صرح كثير

منهم ان هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم ، فاعتزمت بانها مسائل اساسية وهي

المدخل للدين فكيف لا يفهم ؟ ولكنني لم اطلق جوابا على اعتراض ( ١ ) .

ولم يقتصر عدم فهم هذه العقيدة وصعوبة تصورها على علماء المسلمين

بل ان علماء النصرانية انفسهم يقرون بهذه الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها .

فقرأ صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول :

( قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر

جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات والارض وما في

الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية أي ان عقيدة التثليث لا يمكن ان تتكشف

لنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لهم يوم القيامة وذلك حق فانهم لا يعلمون

حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها ( ٢ ) .

ويقول القس الياس مقار تحت عنوان الايمان بالتالوث في الاله الواحد ( .

( ان الله الواحد الشخص الروح ذوو ثلاثة اقانيم وواضح ان هذه العقيدة ممتسا

تتفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة ان لا سرا

ان صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الاطلاق عقيدة اعتنقها دين او فكر كهذه التي

١ - المسيحية ، د . شلمي ص ١٣٤

٢ - محاضرات في النصرانية ، لابي زهرة ص ١٢٢

يو\*من بها المسيحيون على اننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشي\* من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف اننا اذا\* سر من اعق اسرار الوجود والحياة واذا كان اوغسطينوس وكلفن قد اعترفا بان اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعقما فاننا نقول ما هو اكثر ان نقول ان بي\*ان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها الا اذا امكنه ان يبلغ المستحيل (١).

وهكذا فبلغه المستحيل يريد النصارى اقناع الناس بهذه العقيدة الاسطورية ، ولا عجب بعد ذلك ان يردد المسيحيون قول اوغسطين احد كبار ابا\* الكنيسة لصديقه (لا تحاول ان تفهم لكي تؤمن بل آمن لكي تفهم) (٢).

### السرد على عقيدة التثليث :

هناك أدلة كثيرة تقوض عقيدة التثليث وتثبت بطلانها ، وقد يعجب المرء كيف فات المسيحيين تلك الأدلة الخاصة ما كان منها يتعلق بنصوص أناجيلهم وسوف يتعرض البحث للأدلة النظرية الخاصة بنفي هذه العقيدة ثم يتناول الأدلة العقلية .

### الأدلة العقلية :

أولا : ما جاء\* في انجيل يوحنا قوله ( وهـذ\* الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ) (٣) . وهذا اعلان صريح دال على وحدانية الله الحق ، ونص على أن همس عليه السلام مرسل من عند الله .

ثانيا : ما جاء\* في انجيل مرقس : ( فجاء\* واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه : يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ) (٤).

وهذا نص آخر أوضح في الدلالة على التوحيد ونفي الشرك باللسان تعالى وهو لا ينافي ما جاء\* به موسى عليه السلام وبقية الانبياء\* ، ولكن النصوص الوثنية هي التي أعست أبصار القوم فاضلتهم سوا\* السبيل .

١ - اقايم النصارى ، د . احمد حجازى السقا ص ٧٦-٧٧

٢ - : قصة الحضارة ١ / ٤ : ١٤٢

٣ - يوحنا ١٧ : ٣

٤ - مرقس ١٢ : ٢٨

ثالثا : ما يؤيد بشرية عيسى عليه السلام ما جاء في رسائل اعمال  
الرسول : ( ايها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري  
رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم  
كما انتم ايضا تعلمون ) (١) .

رابعا : وما يدل على بشرية ايضا ما جاء في انجيل مرقس :  
( وما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهط أحد ولا الملائكة الذين في السموات ولا  
الابن الا الاب ) (٢) .

ومعنى ذلك ان طم الغيب منفي عن عيسى فكيف يدعى النصارى  
الوهمية وهو فاقد لصفة من اخص صفات الالهية ؟  
اما صفة الاب والابن فسيأتي الحديث عنها اثنا الكلام عن الملابس  
التي وقع النصارى فيها . ان شاء الله تعالى .

هذه بعض الادلة النقلية من اناجيل النصارى التي تثبت القول  
بالتوحيد ، وتنطبق ببشرية عيسى وتنفي عنه صفة الالهية .

وقد خاطب القرآن الكريم اهل الكتاب ودعا هم الى تصحيح العقيدة  
فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا  
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ  
وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ آتِهَوا غَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ  
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ) (٣) .

واذا ما كبرة اهل الكتاب واصرارهم على عنادهم حكم الله بكفرهم ، قال  
تعالى ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ  
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ) (٤) .

١ - اعمال الرسل ٢ : ٢٢

٢ - مرقس : ١٣ : ٣٢

٣ - النساء : ١٧١

٤ - المائدة : ٧٢

وقوله تعالى ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) (١)

وهكذا كان موقف عيسى عليه السلام الذي امر قومه بعبادة الله تبارك وتعالى وحده ، قال تعالى ( وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَال : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) (٢)

الى غير ذلك من الايات البينات التي نصت على بشرية عيسى عليه السلام ورسالته ، وسيأتي بعضها ان شاء الله فيط بعد .

### الادلة العقلية :

غني عن القول ان نخبة من علماء المسلمين قديما وحديثا جادلوا اهل الكتاب والتي هي احسن اتباعا لقوله تعالى ( وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ سَلِيمُونَ ) (٣)

وقد رد العلماء اقوال النصارى وما آمنوا به من عقيدة التثليث ، فقد جاء في معرض رد الامام ابن تيمية على دستور الايمان قوله : ( وهذا تصريح بالهين ، احدى من الآخر ، وطم الله القائم به او كلامه او حكته القائمة به الذي سميتوه ابنا ، ولم يسم احد من الرسل صفة الله انسا فليس هو اله حق من اله حق ، بل اله واحد ، وهذه صفة الاله ، وصفة الاله ليست باله كما ان قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بآلهة ولأن الاله واحد وصفاته متعددة والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنك سميت الاله جوهرًا وقلت : هو القائم بنفسه ، والصفة ليست جوهرًا قائم بنفسه ، وهم في هذه الامانة ( اي دستور الايمان ) قد جعلوا الله والدا وهو الاب ، ومولودا وهو الابن ، وجعلوه مساويا في الجوهر ، وقد نزه الله نفسه عن الانواع الثلاثة .

(و) قالوا : مولود غير مخلوق مساو لاب في الجوهر ، فصرحوا بانبيه مساو له في الجوهر والمساوى ليس هو المساوى ولا يساوى الاب في الجوهر الا الجوهر فوجب أن يكون الابن جوهرًا ثانيًا والروح القدس جوهرًا ثالثًا . . . وهذا تصريح باثبات

ثلاثة جواهر ، وثلاثة آلهة ، ويقولون مع ذلك : انما تثبت جوهر واحد والها واحدا وهذا جمع بين النقيضين ، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الالهة واحدا وإثبات ثلاثة جواهر ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله ( قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد )<sup>(١)</sup> الاخلاص .

وقد ساق العلماء كثيرا من الادلة العقلية في الرد على هذه العقيدة . كما طالع العلامة الشيخ رحمة الله الهندي هذه المسألة وبين عور سلك النصارى فيها وما اورد في الرد على دعوى الاقانيم قوله : ( لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم مستتارة بامتياز حقيقي كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الوجها - يلزم ان لا يكون الله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتبارا : فان التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء ففسان الحجر الموضوع بجانب الانسان لا يحصل منهط أحدية . ولا افتقار بين الواجبات لانه من خواص السمكات .

فالواجب يفتقر الى الغير ، وكل جزء مفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا في المجموع فاذا لم يفتقر بعض الأجزاء الى بعض الآخر تتألف فيها الذات الاحدية على انه يكون الله في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر الى غيره وكل يفتقر الى غيره ممكن لذاته يلزم ان يكون الله ( تعالى ) ممكنا لذاته وهو باطل .

واذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز ان يكون من صفات الكمال أولا يكون . فعلى الشق الاول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه الاقانيم متصف بجميع صفات الكمال وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

(و) لو كانت الاقانيم الثلاثة متتارة بامتياز حقيقي وجب ان يكون التميز غير الوجوب الذاتي ، لانه مشترك بينهم وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين وكل مركب ممكن لذاته ، فيلزم ان يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته )<sup>(٢)</sup> .

- 
- ١ - : الجواب الصحيح لم يدل دين المسيح ، للإمام ابن تيمية ١١٧/٢ - ١١٨ مراجع في هذا الصدد : رد افتراء المشركين على آيات القرآن الكريم د . محمد جمعة عبد الله ص ٣٧ ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
  - ٢ - راجع في هذا الصدد : الاجوبة الفاخرة للقراني ص ١١١ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية : بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - وكذلك : الاعلام على دين النصارى من الفساد والاهام ، للقرطبي ص ٧١-٧٨ ، ت : د . احمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ص ١٩٨٠ . وكذلك : " طامع الصليان " للخزرجي ، ت : عبد المجيد الشرفي ، ص ٨٤-٨٧ ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، ١٩٧٥ وكذلك : تحفة الارباب في الرد على اهل الصليب ، عبد الله الترجمان الميوزي ، ت : عروفيق الداهوق رسالة ماجستير ص ١٥٥ ، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ وكذلك النصيحة الابطانية في فضيحة الطة النصرانية لابي نصر يحيى بن يحيى الخطيب المهندي ، ت : محمود قدح ، ص ١٢٥-١٤٩ ، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
  - ٣ - : اظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندي ص ٣٣٨ ت : عمر الدسوقي ، دار احياء التراث الاسلامي ، الدوحة ، قطر ١٩٨٣

والقول بالتثليث ، يوقع النصارى في التناقض ، لانهم يجمعون بين النقيضين ولا يفرقون بين الوحدة الحقيقية والوحدة الاعتبارية .

فلوان ( النصارى ) قالوا : ان الاله واحد اعتبارى وهو ثلاثة لاما كان هناك نزاع في هذا المفهوم ويتوجه طيهم ط يتوجه به على الحشركين من الاستدلالات الاخرى . لكنهم يصرون على القول بالوحدة الحقيقية مع التثليث ، واصرارهم هذا نابع من انهم يدركون تماما ان القول بالوحدة الاعتبارية يعني فهمهم الشرك والوثنية وهم ينفرون من هذا المفهوم اشد انفور ، ويتسكون بالتوحيد الحقيقي مع التثليث وهذا جمع للنقيضين ، وهو مرفوض عند الناس جميعا باى المقاييس وتحت اى ظرف من الظروف .

والنصارى يشعرون في قلوبهم بهذا الحرج المنطقي الشديد ويحيلون المشكلة برمتها الى الايمان والوجدان ، ورغم الايمان والوجدان والعاطفة والشعور ظلت القضية بدون حل ( ١ ) .

ثالثا :

==== الملاحظات التي وقع فيها النصارى  
حول مدلول الاله والبنوة

وقع النصارى في ملاحظات حول ط يدعونه من ابوة الله ( تعالى ) مما يصفون ( بنوه المسيح عليه السلام ، وهي في حقيقتها متعددة . منها ط هو مفتعل من قبل اعداء الله تعالى كاليهود الذين دخلوا في المسيحية لافسادها كبولس وغيره او الوثنيين اليونانيين كالفلوطين وفلسفته الوثنية ومنها ط هو لغوى يتعلق باللفاظ والكلمات المترجمة من لغة الى اخرى .

فمن حيث اللفظ ، ( فان الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص وان الاب قد تقع على السيد المالك المدبر . قالوا : وقد قال في التوراة ان اسرائيل ابني ويكرى واولاده ابنائي وعلى دعوى النصارى تجب لهم الالهية وقد قال اشعيا النبي عليه السلام في كتابه ان الله ابو جميع العالم وانتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى في انجيله عن المسيح انه قال : طوبى لكم معشر الصالحين بين الناس فانكم تسمون ابنا الله وقال متى في انجيله ان المسيح قال للناس : ان اباكم السماوى واحد فرد وقالوا ان المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصليها ويعلمها الناس : قلوبا يا ابانا الذى في السموات انت قد وس اسمك عزيز سلطانك نافذ امرك فسي السموات والارض لا يعجزك ط طلبت ولا يستنصع

١ - : الاسفار المقدسة قبل الاسلام . ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧

ط الاولى عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م وهناك ادلة كثيرة حاول استقصاءها الاخ سعيد عقيل سراج في : " رسائل الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٥٥٤ وما بعدها ، رسالة ط جستهر ، جامعة ام القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

منك ما أردت فاعقرلنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار (١).

فينبغي على قول النصارى أن تكون هؤلاء كلها آلهة وأربابا لتعلم أن اسم الأب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك (٢). ولو صرح ادطاوهم لجازان يكون اباهم يعقوب ولجازان يكون جدا لهوسف . . . . . ولجازان يكون عا (٣) وخال (٤) تعالى الله عما يقولون .

ولقد دار حوار بين الشيخ العلي مع أحد القسس وذلك خلال مناظرات الشيخ مع النصارى ، وقد نوه بأن هذا اللفظ له عدة استعمالات فهو يطلق على الوزير الأعظم وعلى الرئيس الديني كما يطلق على " الله " أنه أب لكل إسرائيل وأب لسداود وسليمان والمسيحيين المؤمنين وأب للبتاني وأب لكل عهد ياريفعل شقيقة الله وقد استدلل الشيخ على كل لقب وقد لولاه من هذه الاسماء بفقيرة من فقرات العهد القديم وذلك بما يثبت بطلان ادطا النصارى في هذه المسألة (٤).

كما توسع الشيخ رحمة الله الهندي في إعطاء المفهوم الحقيقي والمجازي لكلمة الأبين وأوضح بأنه ( لا يصح أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي . لان معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال هنا فلا بد من الحل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح . وقد علم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح ) (٥).

كما أورد الشيخ نصوصا جديدة يتضح من خلالها أن كلمة الإبن اطلقت على المسيح واطلقت ايضا على غيره ، ومن ذلك ما جاء في انجيل متى ( واما انا فأقول لكم أحبوا أهداكم باركوا لاهنيكم أحسنوا الى مبغضكم وصلوا لاجل الذين يبغضونكم لكي تكونوا أبناء أبئكم الذي في السموات ) (٦).

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يرفض أي ادطا للنعاري ببنوة المسيح على وجه النسبة واللاحاق فقد قال تعالى ( وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل لسه ما في السموات والأرض كل له قانتون ) (٧).

وقوله تعالى ( مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) (٨).

- ١ - النص في : انجيل متى الاصحاح السادس الفقرات ٤٩ مع اختلاف طفيف لا اختلاف ترجمة الكتاب من زمن لآخر . ٢ - تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ١٢٠/١
- ٣ - المختار في الرد على النصارى ، للجاحظ . ت : محمد عبد الله الشرقاوي ص ١٠٣ ، دار الصحوة القاهرة ط ١ ، ١٤٠٥-١٩٨٤

- ٤ - انظر : سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس ، عبد الله العلي ص ١١١ ط ١ ، ١٣٩٠ هـ . وانظر ما قدمه شارل جنينير من أدلة قوية حول نفس الموضوع في كتابه المسيحية ، نشأتها وتطورها ص ١٠٦ . . . . . وراجع : رسائل اعطال الرسل واثرها في انحراف المسيح
- ٥ - اظهر الحق ص ٣٥١ - وراجع حول ذلك : مرقس ٢٣ : ٤٧ صوحنا ٨ : ٤١
- ٦ - وقارن مع ما جاء في هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٦٢٥

- ٦ - متى : ٥ : ٤٤-٤٥ ٧ - البقرة : ١١٦

- ٨ - مريم : ٣٥ ، وراجع تعليقات الشيخ عبد العزيز آل معمر في : ضحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، ص ١٤٥ ، دار تحف للنشر ، الطائف ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

(١) وقد اعترض الترجمان على النصارى في ادعائهم بالوهية المسيح عليه السلام وفند آراءهم وفق خمسة أوجه من بينها قوله :

( الوجه الخامس : ان تكونوا جعلتموه الها لعجب مولده في كونه من غير أب فان قلتم لعجب مولده وكونه من غير أب ، فليس ذلك باعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم ، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة ولا يسمى شي من الملائكة وآدم الهة وأنتم تمنعون ذلك ( ٢ ) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في قوله تعالى :  
( إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةً اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ ) ( ٣ ) .

وقد جاءت هذه الآية ردا على نصارى نجران وعرفت بأية الباهلة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم الباهلة فابوا لها عرفوا من صدقه فيط يقول فخافوا وتراجعوا ( ٤ ) .

١ - هو عهد الله الترجمان ( ٨٣٢ هـ - ) كان قسيسا نصرانيا يدهى ( انسلم ترميدا ) وقد هداه الله تعالى الى الاسلام فنبذ المسيحية والتحق بهلاد المسلمين وطاش بينهم وكان يعمل ترجمانا للاميرين ابي العباس وابنه احمد الحفصيين بتونس وقد ترقى الى درجات طيا في الجيش الاسلامي وجاهد ضد الافرنج وقد ألف كتابه باسم ( تحفة الارب في الرد على أهل الصليب ) وذلك لطراى من زيف الاعتقاد وقلة الهداية والرشاد عند المسيحيين .

٢ - تحفة الارب في الرد على اهل الصليب ، ص ١٦٨ - ١٦٩

٣ - ال عمران : ٥٩ - ٦١

٤ - ذكر الواحدى من حديث طويل قصة وفد نصارى نجران الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سببا في نزول اية الباهلة ( اى الملائكة ) ومن ذلك ما جاء فيه ( فكلم ) رسول الله صلى الله عليه وسلم السيد والعاقب وهط من كبار القوم فقال : أسلمت فقالا : قد أسلمنا قبلك ، قال : كذبتا منعكما من الاسلام وما وكما لله وليد ا وجاهد تكلم الصليب والكلمة الخنزير ، قال : إلم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعا في عيسى ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وشبه اباء ؟ قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى اتى عليه الغناء ؟ قالوا : بلى . قال : أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل



شئ \* يحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا قال : فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعت له كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم ويشرب ويحسث ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا ، فانزل الله عز وجل فيهم صد سورة عمران الى بضعة وشانين اية منها ( ! )

كتاب اسباب النزول للواحدي ص ٥٣ ط ٢ مصطفى الهادي الحلبي ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م مصطفى . محصر .

وقد روى البخاري حديث وفد نجران عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : جاء العاقب والسيد صاحب نجران النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعنا ( اي للمباهلة ) فقال : احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبتنا من بعدنا . قال : انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الامة .

صحيح الامام البخاري كتاب المغازي ١٢٠ / ٥ ، المكتب الاسلامي استانبول تركيا ط ١٩٧٩ .

وراجع في قصة الملاحة : امتاع الاساطع لتقي الدين المقرئ

١ / ٥٠٢ ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولة قطر ط ٢

وقد توسع الدكتور سيد أحمد السير في كتابه إلزام القرآن للطائفتين والطلين في هذا الصدد انظر ص ١٠٤ منه وطبعها ط ١٣٩٩ هـ دار الطباعة المحمدية ، مصر .

وراجع : تفسير ابن كثير في الملاحة ( ١ : ٣٦٧ وفتح القدير ١ / ٣٤٦

## الفصل الثاني :

### العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية

=====

هذه هي عقيدة التثليث التي يستند اليها المسيحيون فسي  
بناءً اصولهم ، والتي تفرع عنها كثير من العقائد الاخرى كعقيدة الصلب والفداء  
والحلل والاتحاد ، وغيرها .

وهي العقائد التي تبني الرهبانية عليها اسمها وتقيم عليها صرحها .  
وقبل اللوج الى هذه الاسباب لا بد من التعرف على التطورات التي مرت بها العقيدة  
المسيحية والعوامل التي أثرت في انحرافها ، ففي ذلك إيضاح ومكان لمسار التاريخ  
الديني المسيحي وما أنطوى عليه من تقلبات ، وما أدخل عليه من تعديلات كانت  
كقيلة بانحرافه عن الصراط السوي .

فالنظر في التاريخ الديني للكنيسة لن يستغرب مطلقاً تلك الكيفية  
التي توصل المسيحيون اليها لإقرار عقيدة التثليث .

والدخول في تفاصيل هذا التاريخ ليس بالأمر السهّل ، ولهذا فإن  
ما يهم البحث منه هو تلك المراحل التي أدت الى تطور المفاهيم والأسس العقديّة .  
وللوصول الى هذه النقطة يجب التعرف على النقاط التالية :

#### اولا :

العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء المسيحيين حول  
طبيعة السيد المسيح ورسالته .

#### ثانيا :

العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة  
عن سارها الصحيح .

#### ثالثا :

الجهة المستفيدة من هذا التطور ، ونوعية هذه الافادة .

وهذا ما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى :

أولاً : العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف أراء  
المسيحيين حول طبيعة المسيح ورسالته :

لا شك ان شخصية عيسى عليه السلام كانت مثار جدل ونقاش طويلين  
ابان الحقبة المسيحية الاولى ، و ذلك قبل الرفع وحقبه .

فقبل رفعه عليه السلام بدأ الجدل يرتفع اثر مولده من غراب ، وفي ذلك  
يقول الحق تبارك وتعالى ( إِنَّا نَحْنُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهِـ  
إِلَى مَرْيَمَ ) (١) وقوله ( إِنِّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ  
فَهَكَونَ ) لقد أرسله الله تعالى الى بني اسرائيل لتقويم اعوجاجهم وتعديل انحرافهم  
عن جادة الحق وهدايتهم الى سبيل الرشاد ، فقبل بالرفض والتشهير والتشنيع كما  
اظهر القوم حقدا دفيناً في نفوسهم وتحجراً في قلوبهم وقسوة في طباعهم وميلاً الى  
البهوى وحبا للشبهوات . وقد فضح الحق تبارك وتعالى تلك النزعة حيث قال ( وَلَقَدْ  
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقِينَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِقْنَا تَقْتُلُونَ ) (٢)

وقد أحقب هذا الرفض تأييد من الله تعالى لرسوله بالمعجزات قال تعالى :  
( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَطَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ  
بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ طَسَّكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَهْبِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ  
بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ السَّوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَهُمُ الْبَيْتَاتِ  
فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ) (٣)

وقد جاءت هذه المعجزات تدعياً لموقف الرسالة وانذاراً للمعاندين ، وازاء  
ذلك فقد قيلت بالذ هول بعد أن بهرت العيون ، فنهض من آمن به وصدقته وانتسب  
الى حواريه . قال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ  
وَكَفَرَتْ طَافِةٌ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدْوِهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ) .

١ - النساء : ١٦١

٢ - البقرة : ٨٧

٣ - النساء : ١٦١

٤ - الطائفة : ١١٠

٥ - ال عمران : ٥٩

ومن كفر منهم فقد كان رافضا للدعوة ، ومن : . ذهل فقد آمن بالمخلوق ونسي الخالق ، وألحق هذه المعجزات بمن جرت على يديه فخدعه بصره وخذله عقله فسقط في مغالب العقائد الوثنية وجرفه التيار ، وما كان شائعا في تلك الاوساط من أساطير وخرافات أساسها الخيال والوهم وما انتجت قرائح الكهنة .

ومنذ ذلك الوقت بدأت الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام فأخذت نظرية التقديس تسرى بين المخدوعين فادعوا أنه هو الاله وادعى آخرون أنه ابن الله تعالى مما يقولون علوا كبيرا .

وقد رد الله عقالة الذين أشركوا ، حيث يقول سبحانه ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (١)

وقال تعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) (٢)

فهين الحق تعالى أن هذه العقولة مأخوذة عما سبقهم مضاهاة ومحاكاة للشرك القديم .

وعند ما تفاقم حقد اليهود عليه قاموا بتضييق الخناق ووضع العراقيل في طريق الدعوة وحبسوا مؤامرات لفظه إلا أن الله تبارك وتعالى نجاه من كيدهم برفعه، وفوت عليهم فرصة تنفيذ ما ربههم الدنيئة قال تعالى ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا قَدْ آتَيْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَقُلْ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا آلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ فَتَكُونُوا تَوَّابِينَ ) (٣)

كانت دعواته عليه السلام واضحة غاية الوضوح ليس فيها شرك الوثنيين ولا تعقيدات الفلاسفة وخیالهم ولا أوهام الكهنة وترهاتهم ، كانت تدعو إلى التوحيد الخالص ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاسْتَخَفَّ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلُ لَلْأَسَدِ بْنِ كَفَرُوا مِنْ شَهْدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) (٤)

١ - الطائفة : ١٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - آل عمران : ٥٥

٤ - مريم : ٣٤ - ٣٧

هذا التنزيه عن اتخاذ الولد او الشريك وذلك التوحيد كانا لب دعوات الرسل عليهم السلام فكانت دعوتهم حلقة ضمن هذه السلسلة المباركة قال تعالى ( قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) (١)

وجاءت مسألة الرفع لستزيد من حيرة عقول الغافلين المفتونين بالبدع ففسرت الأحداث وفق ما أطلته عليها الالهواء والنزعات وما أشربت من عقائد وثنية .

لقد جاءت عطية الرفع ردا على كيد اليهود لأنهم عزموا على تسليمه للحاكم الروماني وقد هيثوا النفوس وأغروا القوم بتنفيذ العقاب فيه ، ولما نجاه الله تعالى من أيديهم وألقى الشبه على "عمر المسيح" لم يتحقق المفتونون من شخصية المصلوب وقد فند الله تعالى مزاعم القائلين بصلبه قال تعالى ( وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) (٢)

هو لا\* الذين اختطفوا في طبيعته أصبحت الشكوك تنهب افكارهم ان ما لبثوا ان وقعوا في شرك لم ينجوا منه لانهم اتقوا بأنفسهم في أحضان الشيطان فزعموا أن المسيح صلب وقد تحمل اليهود هذه الغربة عبر التاريخ مع أن صليب المسيح لم يتم ولم يقع إطلاقا وقد بان حقد هم الدفين على أنبياء الله حينئذ اصبروا على تحمل هذا الإثم هم وأولادهم من بعدهم ، تقول أناجيل النصارى ( قال لهم بيلاطس فمأذا أفعل ييسوع الذي يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالي : وأي شر هل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب ، أخذ ما\* ، وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِ ، ابصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ) (٣)

١ - البقرة : ١٣٦

٢ - النساء : ١٥٧-١٥٨

٣ - انجيل متى ٢٢ : ٢٢-٢٥

ومع ان نصوص الاناجيل تدعي هو لا\* اليهود وتظهر سوء وليتهم عبر التاريخ إلا أن المضافات اليهودية على الكنيسة في العصر الحديث قد أسفرت عن تبرئة اليهود من هذه الجريمة : راجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٦٥ د . مصطفى خالدي وعمر فروخ حول وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن ذلك الحين أخذت الغربة تكبر حين زعم المختطفون انه دفن وقام من قبره في اليوم الثالث ( ١ ) .

هذا ما كان من أمر القوم قبل الرقع وما أعقبه مباشرة أما التطورات

التي طرأت على عقيدة التثليث فستظهر من خلال الفترة التي غلبت فيها الاصطلاحات الجديدة وأدخلت في العبادة النصرانية .

وقد مر في السابق الحديث عن الحالة الدينية في العصور اليونانية والرومانية وما شهدته المنطقة من عقائد وثنية مختلفة ( ٢ ) .

كما تم استعراض واقع المجتمع الديني اليهودي قبل مجيء عيسى عليه السلام ، والانحراف العقدي لديهم والانشقاقات في الفرق والمذاهب اليهودية .

وتبين ان رسالة عيسى عليه السلام كانت ضرورية لمعالجة الفوضى الدينية التي كانت سائدة آنذاك والتي استشرى لسببها الى حد بعيد .

ولا تمام هذه الصورة لابد من استعراض المراحل الأولى التي سبقت القول بالتثليث ، إذ أن هذه العقيدة لم تكن لتظهر على أرض الواقع لولا المقدسات واللبنيات التي وضع بذورها آباء الفلسفة اليونانية الاوائل .

- تذهب بعض المراجع الى أن القول " باللوغوس " هو المصدر الاساسي للاعتقاد بسيد التثليث وقد ابتدع المصريون القدماء هذه الفكرة أول الأمر " قال بوتيوك ( ) وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شيء صار بواسطتها وانها منبثقة من الله وانها الله ( ٣ ) .

ثم انتقلت هذه البدعة الى اليونان عقب التقائهم بالحضارة المصرية فقال بها أولاً: هيراقليط ثم أخذها الرواقيون ( ٤ ) ، ( ٥ ) كما ( استعان الرواقيون بكلمة هيراقليط وهي ( لوغوس ) ومعناها اللفظي: كلمة. والمعنوي : العقل المنتشر في الكون ( ٦ ) )

١ - راجع في ذلك متى : ٢٧ : ٦٢-٧٠ واعطال الرسل ١ : ٤

٢ - ( انظر ص ( ٢٢٥ ) من هذا البحث

٣ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التميمي ص ٢٧ ط ١٣٣٠ بيروت

٤ - فيلسوف يوناني ولد في افسوس بآسيا الصغرى نبغ حوالي سنة ٥٠٠ ق.م. ولقب بالفيلسوف الباكي لانه كان يبكيه لما يراه من شقاء الناس على العكس من ديمقريطس ويرى النار أساس عنصر الموجودات ( انظر : مبادئ الفلسفة أ. س. رابيهوت ص ٢٢٧

٥ - الرواقيون ( او اصحاب الرواق : احدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلنستية - الرومانية ، اسمها زينون الكيتوى في نهاية القرن الرابع ق م ، وتستمد اسمها من السرواق وهو بهونو اعمده ، حيث كان يعلم في أثينا ) انظر هامش ص ٢٩ من كتاب الوجود الالهي لسانتانا .

٦ - مائسدة افلاطون ، محمد لطفي جمعة ص ١١٨ مكتبة التاليف شارع عبد العزيز بمصر

ولهذا فقد رأى بعض المسيحيين أن ط قاله ( هو أقرب ط يكون السي  
 عقيدة الكلمة أو المسيح ، فيقولون : أن هيروديط كان مسيحياً قبل المسيح ) (١)  
 ثم تلفظ هذه المقولة ( بلاتو وأرسطو<sup>(٢)</sup> وأفلاطون الذي أطلق عليه لقب " أبى البدع "  
 في الوقت الذي قال فيه بعضهم أنه خير مبدء للمسيحية )<sup>(٣)</sup> . إذ قال :  
 ( أن الله أزلي أبدى . . . . وهو منزّه عن الحركة تنزيهاً مطلقاً . . . . وكان معه فسي  
 الازل كائن يدعى الديمورج هو صورة الخير أو الله والنموذج الحي لذاته والحاوي  
 لجميع المثل ) (٤)

كانت هذه المقولات مقدمة ضرورية لبعض فلاسفة اليهود كفيلون الذي  
 استخدم أدوات الفلسفة لتأويل نصوص العهد القديم لما احتوته من تناقضات لا تتفق  
 مع القوانين والنظريات العلمية فضلاً عن الخرافات والأساطير وقد (انتقل التأويل  
 الرمزي إلى اليهودية على يد فيلون اليهودي الذي مزج فلسفته بعقائد عصره  
 وبكل منبت ولا سيما منبت الاغريقية الاسكندرانية<sup>(٥)</sup> . وهو يعتبر من أكبر ممثلي النزعة  
 إلى التأويل في العصر القديم وإن كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب  
 المقدسة في العهد القديم تأويلاً رمزياً وهو نفسه يشير إليها وهو "اليهود السابقون  
 قد فسروا ( ابراهيم - ابراهيم ) بأنه النور ( العقل ) وزوجته سارة بأنها الفضيلة . . .  
 والفصح بأنه ما تطهير الروح أو خلق العالم . . . . لكن فيلون ذرف طيهم بأن جعل  
 من التأويل مذاهباً قائماً برأسه وضججا في الفهم .

وقد دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب الحطة التي قام بها المفكرون  
 اليونانيون على ط في التوراة ( العهد القديم ) من قصص وأساطير ساذجة أو غير  
 معقولة مثل ( برج بابل ، والحية التي اغرت حواء في الجنة . . . . .  
 فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضيع الاسطورية وغير المعقولة  
 الواردة في التوراة تأويلاً بالباطن ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وإن  
 التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص المقدس . . . ( وأنه ) سيؤدي  
 إلى الكفر والاحالة ) (٦)

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الرمزي إلى المسيحية . . . . . فقد  
 أضاف فيلون إلى فلسفة أفلاطون الكثير من المفاهيم الخاصة عند ط جعل

- 
- ١٠ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٩
  - ٢ - راجع في هذا الصدد : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٧
  - ٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٥٨
  - ٤ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل عبد الكريم الخطيب ص ٣٢٠
  - ٥ - : حياة المسيح ، للعقاد ٢٢٥/١١
  - ٦ - مذاهب الاسلايين ، د - عبد الرحمن بدوي ، ١١/٢ - ١٣ ، دار العلم للملايين ط ١  
 ١٩٧٣ ، بيروت .

( المخلوقات التي هي أدنى من الإنسان مصنوعات لله لأنها ليست بذات أخلاق ، والشر هو الشر الخلقى ، ومن الوجهة الروحية طيبة الله مباشرة وغير مباشرة بين الانسان المعاجز والله العلي لا يد من وسطا\* ، فان النفس لا تستطيع الوصول الى الله دفعة واحدة ، فتتدرج في صعودها إليه ، دطا فلا سفة اليونان هو\* الوسطا\* الهة وأبظالا ودعاهم موسى ملائكة اي رسلا فكان أكثر توفيقا اذ انهم يملفون أوامر الله الى ابنائه ( حسب زعمهم ) ويحلون صلوات الانبياء الى الله (١) . وهنا نلاحظ كيف بدأ فيلون يحور مبادئ الفلسفة ليخدم النص التوراتي

ولم يكتف بذلك بل تعدى الامر الى تصنيف هو\* الوسطا\* الى طبقات :

الوسط الاول : هو " اللوغوس " او الكلمة او ابن الله نموذج العالم

وله الحكمة ، فرجل الله ، أو آدم الاول ، فالملائكة ، فنفس الله وأخيرا " القوات " وهي كثيرة من : ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ الأوامر الالهية على ان هناك نصوصا تشير بسان الوسطا\* مأمورا وجهات مختلفة للعلية الالهية وانما يتطهرون في الذهـ

نقط وهرمزون الى آثار الله أو حالات النفس (٢) ثم يقدم فيلون للسيحيين مادة أخرى لاستعمالها في ترويج عقائدهم

فهو يرى ( أن غاية النفس . . . الوصول الى الله والاتحاد به ومعرفتنا لله اربع درجات : معرفة ناقصة جدا تكتسب بالنظر في مصنوعات الله وعند هذه الدرجة يقف الأكثرون .

ومعرفة ترقى سلم الوسطا\* ، وثالثة تدرك اللوغوس الوسيط الأعظم ورابعة تدرك الله

ذاته وهي خاصة بأهل الكمال مثل موسى وانما تسرع النفس في صعود سلم الوسطا\*

حالما تتطهر بالزهد وعلى الأغص بالعبادة الباطنية ويبدأ التطهير والصعود حين يعلم الانسان بطلان المحسوسات وزوالها (٣)

وهي العقائد أن فيلون ( قد أخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات

السرية كعبادة ايزيس وعبد قأوزوريس سرايبس التي تأسست بالاسكندرية وشرعت فسي اثينا ورومي ورومة وبعض الموانى الاسيحية ثم طبق هذا التفسير على رموز التوراة (٤)

وهذا تكون العناصر الجديدة المكونة للفلسفة المسيحية آخذة فسي

الظهور لتبدأ مرحلة أخرى هي مرحلة التلقي عن فيلون ومن ثم مرحلة الالتزام بما قاله وتطويع آرائه وفلسفته .

اذ كان لفيلون ( أثر قوى في القرون الاولى للحيلاد فقد استخدم نعر

من المفكرين المسيحيين كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية وحاكى بعضهم منهجه في شرح الكتب المقدسة وظنه بعض مؤرخيهم مسيحيا وفي العصر الوسيط دخلت قطع عديدة منه المنتخبات التي كانت شائعة (٥)

١ - مذاهب الاسلاميين ١١/٢-١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٠

٣ - المرجع السابق ص ٢٥١-٢٥٢

٤ - حياة المسيح للعقاد ص ٢٧٥/٥١١ - ٥ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥١



ثم تمثلت مرحلة التلقي عن فيلون بظهور اخطر شخصية في تاريخ المسيحية الديني ، هذه الشخصية أسهمت في تأسيس مدرسة كاملة نقلت آراء الفلسفة اليونانية ود مجتها في التعاليم الوثنية القديمة فجاءت نتائجها غريبا ينسطوى على آراء تاليفية جمعت أشتاتا متناقضة وآراء متباينة .

لقد حظي بهذه الشخصية "بولس اليهودي" الذي انتسب زورا الى حواربيي المسيح ، وهو أول من قام بأخذ التأويل الرمزي عن فيلون وأضاف اليه البدع الوثنية التي عاش في كنفها وارتوى من معينها ، وبذلك أرسى بولس قواعد المسيحية الجديدة على مبادئ مخالفة تماما لما جاء به رسالة موسى عليه السلام .

لقد اعتبر كثير من العلماء "بولس" المؤسس الحقيقي للمسيحية المتعارف عليها حتى يومنا الحاضر .

ولن يتعرض البحث لحياة بولس التفصيلية ولا للاحداث التي كتب عنها الكثير فهذا شأن المؤرخين ، الا أن ما يهم البحث هنا هو التعرف على أخطر البدع التي أحدثها بولس والتي فحيت الكثير من معالم الرسالة الاصلية . ولا شك أن عوامل كثيرة قد أسهمت في بناء شخصية بولس ، وتكوين آرائه ، التي أضافت الى ثقافته اليهودية سادة خصبة ساعدته على استعمال الادوات اللازمة لنشر مبادئه .

لقد كان المناخ المحيط بالسيد المسيح عليه السلام غالبا من مصطلحات عقيدة التثليث وكان تلاميذه يستهجنون كل ما يسمى الى عقيدتهم وكانت شريعة موسى عليه السلام هي السائدة في تلك الاوساط وقد جاء المسيح لتعديل ما حرف منها وتقويم ما زيف على يد بني اسرائيل .

والأناجيل الموجودة بين أيدي النصارى تصرح بأن المسيح عليه السلام كان يقول ( لا تظنوا أنني جئت لانقض التوراة والانبياء ) ما جئت لانقض بل لأكمل ( ٢ ) .

ومن ذلك يفهم أن الذين أقروا من بني اسرائيل بدعوة موسى كانوا يؤمنون بان رسالته كانت خاصة بهم وأن غيرهم من الأمم غير معنيين بها وقد وردت نصوص

١ - راجع في هذا الصدد : كتاب الانجيل والصليب ، عبد الاحد داود ص ١٦٠ طبع في مصر ، سنة ١٣٥١ وكذلك معالم تاريخ الانسانية ٢٠٥/٣ وكتاب الاوائل لمايكسل هارث .

الأناجيل نصوص تفضي إلى هذا المفهوم ومن ذلك قولهم ( فأجاب ( يسوع ) وقال :  
لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ) (١).

لهذا فإن أي إنحراف عن هذا الخط يكتفي للدلالة على أن يسوع  
لم يمت بالنصوص وأولتها وفق أهوائها .

لقد تكفل بولس بلعب تلك الورقة إذ أنه متهم بتحريف الشريعة لأتباعه  
اليهودية القاضية بإزالة كل أثر لسيادة عيسى عليه السلام . (٢)

إلى جانب ذلك هناك الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة الهيلينية  
في شخصيته والتي استغلها غلبة استغلال في بث مبادئه .

إن تطور مفاهيم بولس الدينية تشكلت بعد الأثر الذي أحدثته تلك  
الطوائف اليهودية التي نشأت في المهجر إبان تلك العهود وعن ذلك يقول جنينير :  
ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الأصلية الكاملة لعادات وروح أسلافهم  
في الدين من أهل فلسطين فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم  
وعداوتهم للأجنبي في ربوع هذه البلاد التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك وأقاموا  
مواصلات يومية مستمرة بمجتمعات " الكفرة " وتأثروا في قوة وعق بنيتارات الثقافة اليونانية  
التي انغمسوا فيها شيئا فشيئا فأنما تركنا جانباً عقيدتهم الدينية وفروض طقوسهم  
الأساسية وجدنا أن هؤلاء اليهود بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة لا يفرقون نسي  
لغتهم ومظهرهم وثقافتهم العامة عن الأغريق الذين يماثلونهم في الظروف الاجتماعية  
وأظهر الذين ارتقوا منهم إلى أعلى مراتب التعليم إعجاباً عميقاً بأدب اليونان  
وفلسفتهم وامتزج فكرهم بهذه الأدب وهذه الفلسفة إلى حد الشعور بأنه لم يعد في  
استطاعتهم التخلي عنها لارضاء الشريعة الموسوية . (٣)

ولم يكتف يهود المهجر بالتطور الاجتماعي وفق البيئة اليونانية بل  
( راحوا يخلطون باليهودية بعضاً من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين  
بهم في نفس الوقت الذي كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من  
المعتقدات اليهودية الأساسية لامتزجها بأديانها المختلفة ) (٤).

في هذا الجو المتقلب وفي وسط هذه البيئة طاش بولس بين هذه  
العقائد ، إذ ( كان في طرسوس " سقط رأسه ) كما كان في معظم المدن اليونانية  
آنذاك أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه  
قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دس بايمان حق وصحب الدعاة الطقوس

١- متى ١٥ : ٢٤ ٢- راجع المسيحية د . شليبي ص ٨٥ ، وأقائهم النصاري ص ١٣٦

٣ - المسيحية ، جنينير . ص ٥٨ ٤ - المرجع السابق ص ٦١

الصحيحة استجاب وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان .

وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما كانت علوم بني جنسبه من اليهود يتحدث عن ( حياة مسيح ) منتظر ، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة الغتانة الذي لا يتردد الناس في استقبال الموت من أجله ، هو ذلك المسيح المنتظر ؟ فلما أحس في آخر سفره وهو لا يزال ضعيفا وأعمى يهدى يهودى مهتد "رحمتهين" تلسان وجهه وتسكناه "قللوقت وقع من عنقه شيء" كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتد وتناول طعاما فتقوى ( وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها ان هيسس ابن الله ) (١)

هذه المقولة الخطيرة التي أحدثت ضجة كهيرة في الأوساط المسيحية الأولى لم تكن لتصدر إلا عن شخصية ذات ثقافة معينة ، فبولس أتم تعليمه ( على أساتذة من اليهود يهد أنه كان متبحرا بلاهوتيات الإسكندرية الهيلينية وكانت لغته إغريقية . . . وقرر بعض طلبة الأدب الكلاسيكي القديم أن لغته الإغريقية كانت غير مرضية فهو لم يستخدم لغة أثينا بل إغريقية الإسكندرية ، يهد أنه استخدم مهيا بقوة وطلاقة . . . وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهيلينية وبأساليب الرواقيين stoicism ) (٢)

إضافة الى تأثره بلاهوت الاسكندرية المزوج بالفلسفة كان هناك تأثير من نوع آخر . " فمن الراجح ( أنه تأثر بالمثرائية إن هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالمعارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ ( رسائله ) المتنوعة جنبها الى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبد وقط بارزة قوية فيط نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فما يشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الانسانية ، اما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الالهة

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٤٩-٢٥٣

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٣ / ٧٠٥-٧٠٦

وانظر : رسائل اعطال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٣٢٦

كان يسوع في نظره حمل عهد الفصح ، تلك الضحية البشرية الساطرة المبرأة من كل عيب  
( ١ ) ( وندس . )

الا ان الامر الغريب حقا هو تحول بولس من اليهودية فجأة <sup>(٢)</sup> الى  
السيحية التي طالما حاربها ، وهذا ما دعا العلماء الى التشكيك في نوايا بولس  
الاساسية .

اذ يرى البعض انه كان يحمل جزءا من مودة اليهود الذين اجتهدوا  
في ضياع دعوة عيسى عليه السلام ، وسعتهم قوتهم اما بالصلاح واما بالفكر .  
ولما كانوا ( طاجرين عن ضياع الدعوة بالصلاح ضياعا كليا لوقوعهم تحت  
سيطرة الرومان لجسأوا الى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل ويعترفون به  
الكلم من بعض مواضعه ومن مواضعه ) ( ٣ ) .

والمنجيب ان الفاتكان يعترف الى حد بعيد بموقف بولس من المسيحية وعدم  
حرصه عليها ، فقد جاء في كتاب نشره الفاتكان سنة ١٩٦٨ بعنوان " المسيحية عقيدة  
وهي " ما يلي ( كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحد يثي الايمان ان يحتفظوا  
بما كانوا عليه من احوال قبل ايمانهم بيسوع ) ( ٤ ) .

هذه النوايا التي يظهرها بولس تؤكد ما نصوص أعمال الرسل التي تفتح تلمس  
هذه الشخصية وغرابة تكهنها ، فهو يقول مثلا عن نفسه ( انا رجل يهودي ولدت في  
طرسوس كهلبيكية ولكن ربيت في هذه المدينة مودعا عند رجلي غلاطيلى على تحقيق  
الناموس الابوي وكنت فخورا لله كما انتم جميعا ) ( ٥ ) .

ويقول في رسالة أخرى ( فصرت لليهود كيهودي لا ربح اليهود وللذين تحت  
الناموس كاني تحت الناموس لا ربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كاني بلا ناموس  
مع اني بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لا ربح الذين بلا ناموس ) ( ٦ ) .

ومن هنا يظهر بولس سوء طويته وعدم استقراره على مبدأ واضح فهو يتحسث  
بالسنة مختلفة وقبل في دعوت اي شخص يسلم حمل من عقائد ، وهذا بدوره يؤثر  
تأثيرا خطيرا على لب الدعوة لم يسببه من خلط في الاراء والمعتقدات .

١ - معالم تاريخ الانسانية ٧٠٦/٣  
٢ - راجع في ذلك : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ، عبد الشكور محمد امان  
رسالة ماجستير ١٩٧٢ مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣ - اقانيم النصارى ص ٨٥  
٤ - المسيحية . د . شلبي ص ١٢٤ - ١٢٥  
٥ - أعمال الرسل ٣: ٢٢  
٦ - ١ كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢١

ولهذا فقد واجه بولس عددا من الشاكل التي أثارها بسبب اعتراض ورهبسة التلاميذ منه خاصة حينما سمعوا أنه كان يقبل في الدعوة من الأمم دون ختان الداخلين الجدد الأمر الذي أدى إلى تحريض الجميع ضده ، إلا أنه بأسلوبه المرن استطاع التفاوض مع المعارضة ( واتفق الجميع آخر الأمر على ألا يطلب ممن المهتدين الوثنيين أكثر من أن يقلعوا عن الزنى وعن أكل المخنوقة والدم وما ذبح على النصب هيبس وأن بولس يسر الأمر بأن يجد العشيرة المسيحية المعدمة في دمشق بشي \* من المال المطرد الزيادة في كنيسة انطاكيا ) (١)

وهكذا نجد بولس يستعمل المال لاستغلال الفرص السانحة ، فقد وجد مجتمع التلاميذ مجتمعا فقيرا بينما ( كانت كنائس بولس تضم أحيانا بين أتبائها ثروة القوم وكرامهم وكان الحواري غسبريا بأصاليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم ) (٢)

إلا أن إصرار الجماعة على تطبيق الشريعة كاطبة أدى إلى انفصال بولس ( فكتب إلى أهل فلاطية رسالة تفيض بالغضب انفصل بها نهائيا عن المسيحيين المتهودين وأطن فيها أن الناس لا ينجون لاستساكهم بشريعة موسى بل بإيمانهم القوى الفعال بالسيح السنقد ابن الله ) (٣)

وبانفصاله عن الجماعة الأم أخذ ينشر ما يؤمن به من عقائد يهود المهبجر المطونة ، وقد وضع آراءه وط يدين به في رسائله .

وعرض على غير اليهود انجيله من أهل كورنث و دخل كثيرون منهم فسي د بينهم ( و لعل المسيحية قد بدت لهم انها صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدتتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهيلينستي ) (٤)

وهكذا أصبحت مصطلحات بولس تأخذ طريقها إلى الأتباع الجدد :

كـ " مصطلح " ابن الله الاول ، وبكر الخلاق ، وقد انتشرت سرهما لوجـود الارض الخصبة لذلك ، وهكذا الإفتح بولس للمسيحية الباب إلى القول بالتثليث وأصبحت كلمات التي ضمتها رسائله كتابا مقدسا له ما للانجيل من حرمة واحترام فتناولها الشراح والدارسون من طوائف الكنيسة ورجال اللاهوت بكل ما يملكون من طاقات البحث والنظر وخرجوها على كل وجه ممكن أو غير ممكن فكانت منها تلك الفلسفة اللاهوتية التي شغلت العقل المسيحي ولا تزال تشغله بل وتقلقه وتزعجه ) (٥)

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٥٤-٢٥٥ ٢ - المسيحية ، جنينير ص ١٠٤

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٥٩ ٤ - المرجع السابق ٣/٣ : ٢٥٨

٥ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٣١٣

ثانيا : العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن سارها الصحيح .

التأثيرات التي أحدثها بعض أعلام اليهود في المسيحية شكلت اختراقا خطيرا لللب هذه العقيدة . وقد حطمت العالم المسيحي أوزارا ما كان ينبغي أن يتحطمها لولا وجود اللين والضعف من التلاميذ الذين أعقبوا حواربي المسيح فقد رضوا بالذوبان في الموجات القادمة من الخارج ولم يستطيعوا الوقوف في وجهه التيارات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية التي هبت عليهم من كل حدب وصوب .

لقد وجدوا أنفسهم وسط لحج من الظلام لم يستطع العالم المسيحي حتى اليوم الخروج منها ، من هذه التيارات ما كان قادما من مصر الفرعونية ، ومن بلاد فارس ، والهند إضافة إلى ما فرضه الغرب من فلسفة مفرقة في الخيال .

وباستعراض أهم العقائد التي تسربت إلى المسيحية يمكن ملاحظة الأثر الكبير الذي أحدثته البدع والضلالات المختلفة في العقيدة المسيحية .

#### - اثر الديانة المصرية القديمة :

رغم توغل هذه الديانة إلى قلب التاريخ السحيق ، ورغم تعاقب الأمم القديمة التي تربعت على عرش مصر إلا أنها وجدت طريقها عبر هذه الشعوب الخافية حتى وصلت إلى لب العقيدة المسيحية ، فقد استطاعت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحوروس التأثير على العقلية المسيحية التي وجدت في شخصية حوروس ( الذي كان ابنا لسرابيس وهو وفي نفس الوقت شبيها ، مرشدا ، لهم فيما يبذلونه من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القدوس بولس من خفايا وقد كان الانتقال من هذا إلى المطابقة بين شخصية مريم وإيزيس ثم سموها بها مرتبة شبه قدسية وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي الطرائق العظيمة للديانات الشائعة في ذلك الزمان فاتخذت قساوستها طريقة الروموس الحليقة والزي الخاص بالكهنة المصريين لأن ذلك يبدو والطريقة المنطوق لتحييز القسس ، وتتابع البدع واحدة في اثر الأخرى وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم " الثورية " الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تعبت تلك الإضافات المألوفة (١)

والقصد من القول " بالثورية " هو ذلك الرفض الذي أبدته رسالة عيسى عليه السلام لكل انحراف أدخله اليهود على الديانة الصحيحة .

لقد كان للمعابد المصرية أثر أيضا في بقية الطقوس والتقاليد الكهنوتية ( فثياب الطقوس والرمز والصيغة الاصطلاحية التي اتخذتها المسيحية والتي لم يرحل ترتديها الى يومنا هذا في كثير من الاقطار قد نسجت ولا مسسرا في عقائد ومعابد " جوبيتر سراپيس وايزيس " التي انتشرت عند ذلك من الاسكندرية الى كافة أصقاع العالم المتحضر في مصر الشوكرازيا ( اعني اتحاد الالهة ) فسي القرنين الثاني والاول قبل الميلاد ) (١)

ومع خطورة هذه الاقتباسات إلا أنها تصغر اذا لمقيست بعقيدة التثليث التي كسنت منتشرة في مصر .

قال العلامة دوان ( وكان قسييسو هيكل مفييس بمصر يهبرون حسن الثالثو ث القدس للمبتدئين يتعلم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث ومذلك تم الثالثو القدس .

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه أو هل يكون بعده من هو أعظم ؟ فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم وهو : أولا الله ثم الكلمة ومعها روح القدس ولهبولا<sup>(٢)</sup> الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات ومنهم صدرت القوة الابدية فان هب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٦٩

وراجع كذلك : اقاتيم النصارى ص ٨٢-٨٨

٢ - العقائد الوثنية في الديانة المصرية ، ص ٢٦

### اثر الوثنية الهندية في المسيحية :

كما كان للفرعونية نصيب في المسيحية كذلك الحال في الوثنية الهندية فقد كان لها حظ منها. وقد تمثل بعقيدة التجسد التي كان الدرافيديون يأخذون بها ، فقد اعتقد هؤلاء أن ( لكل صفة من صفات الله صفة انسانية وأضفوا عليها صفات أخرى وهذه هي الآلهة عندهم .

كما قالوا : " ان قدرة الله ورحمته وجبروته تجسدت في صورة إله في كل أمة من الأمم مثل البعل عند الساميين وأندرا عند الآريين وجيهتر عند اليونان وقد عرضوا هذه الآلهة في صورقانسان ولكن الداورديين حينما أعجبوا ببعض الشخصيات الأسطورية الغدة أضفوا عليها صفات الألوهية واعتقدوا أن إلههم الأعظم فشنو تجسد فيها لمساعدتهم وشد أزهرهم وانقاذهم من كسل شر ومن هذه الشخصيات رام وكرشنا وانتقلت هذه النظرية الى الرومان من اليونان والهنود والمسيحيين على السواء فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسداً فيه الله سبحانه وتعالى (١) .

كما أن عقيدة التثليث كانت بدورها قد إنتقلت من المصريين الى الهندوس ومن ثم الى المسيحيين . قال العلامة دوان ( اذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث ( أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم ، يدعون هذا التعليم بلفظهم ( ترى مورتى ) وهي جطة مركبة من كستين سنسكريتين . أما ( ترى ) فمعناها ( ثلاثة ) ومورتى معناها ( هيات ) او اقانيم وهي ( برهمة وفيشنو وسيفا ) ومجموع هذه الثلاثة أقانيم الاله واحد ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والسم ويلفظونهم ( ٢ ) ( اوم ) .

اما الفرق الطفيف بين الهندوسية والمسيحية في ذلك أن الأولى تقدر ( ان الاله براهيم كان قبل الوجود وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ثم انبثق منه الاله سيفا كان وهو الاله المدبر الموكل بالخراب والغناء ولو ترك هذا الاله شأنه لغنيت السموات والارض ومن فيهن ولهذا انبثق من براهيم الاله ثالث حافظ مجد وهو الإله فيشنو (٣) كما ان فكرة الخلاص بتقديم الاله نفسه قداسة لتكفير خطيئة أولية مطبسة فيها الانسانية قد انتقلت الى المسيحية من الديانات الهندية كذلك فالبرهمنون يعتقدون أن كرشنا وهو الاله فيشنو ملأوا مقبوس المدين والرجلين وطى قميصه صورة قلب الانسان (٤) .

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٢-١١٣ وكذلك انظر: اقانيم النصارى ص ٨٧  
٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٩ ٣ - الاسفار القدسة د . وافي ص ١١٣  
٤ - المرجع السابق .



## التأثيرات البوذية :

حيث إن البوذية تشكل فلسفة في العمل الطقسي ، فإن أشد ما جذب المسيحيين اليها تلك الصور والأشكال التعبدية التي حفلت بها العقيدة البوذية . وقد نقل البستاني صوراً عن الطقوس والشعائر والممارسات والادوات وكثيراً من الرموز التي انتقلت الى المسيحية فمن ذلك قوله :  
( صور التقسيم السحرية واحداث العواصف والاقامة من الموت وما أشبه ( ذلك ) . . من بقايا المذهب الشاطاني القديم قد دخلت في البوذية عند المغول والكلموك . وصارت المواظبات أيضاً قسماً ضرورياً من أقسام العبادة وكذلك الاحتفال حول الهياكل والمزارات يحمل الذخائر والقرايين من أثمار وأزهار وغسور وما يوهل كل ملأ له فيه واعتراف العوام وتكريس الماء المقدس والتطهيرات المقدسة أو المعمودية في منغوليا والصوم والتسابيح والنشائد والبركات والصلبان ولبس اللامة . حللاً حبرية كحلل اساقفة بعض النصارى ) ( ١ )

ولا شك ان ما يجرى داخل الكنائس المسيحية وخارجها من طقوس وشعائر يتشابه الى حد بعيد مع ما رسمته البوذية من قبل . ولعل التأثير الأكبر الذي إنتقل إلى المسيحية تلك المبادئ التي أسهمت في تدعيم الأسس الرهبانية لدى الرهبان وآباء الكنيسة الأولى ،  
( فالبوذيون يعتقدون كما اعتقد البرهمنيون من قبل في فيشنو حتى أنهم يسمون بوذا " المسيح " والمولود الوحيد وسخلص العالم ويقولون إنه إله كامل تجسد بالناسوت وأنه قد م نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ) ( ٢ ) .

ولقد وجد ليهون تشابهاً عجيباً بين شخصيتي بوذا والمسيح وذلك حينما قارن بين مراحل حياة كل منهما ولا شك أن ما أضيف الى حياة المسيح عليه السلام من خرافات وثرعات على يد المحرفين من اليهود وغيرهم كان مستقى من الأساطير التي نسجتها عقلية البوذيين ( ٣ ) . كما لاحظ ليهون أيضاً الزيادة في أوجه الشبه عند تعدت من الشكل الى المضمون فمن ذلك قوله ( وتزيد أوجه الشبه تلك أهمية عند الوقوف على تشابه دينك الديانتين موضوعاً فضلاً عن الشكل فكلاهما أمرتا بالاحسان والسواة والزهد وكلاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كنما تناط الأعمال وكلاهما ابتدعا الرهبانية ( ٤ )

- ١ - دائرة المعارف بطرس البستاني ٦٧١/٥ ٢ - راجع الصفات المشتركة والحوادث المشابهة لكل من الشخصيتين في كل من : المعاني الوثنية في الديانة النصرانية ومحاضرات في النصرانية وغيرها . وقارن مع : معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٩٠ وكذلك الهند القديمة : حضاراتها وديانها ، ص ٢٢١
- ٣ - راجع : الأسفار المقدسة . وفي ص ١١٤ وراجع بتوسع : أسطورة تجسد الاله عبد الصمد شرف الدين ص ٢٤-٢٥
- ٤ - حضارات الهند غوستاف ليهون ص ٣٤٤-٣٤٥

### أوجه التشابه في التثليث :

كانت البوذية تحل انتفاضة ضد الهندوسية إلا أنها لم تستطع أن تغتلب من قبضة هذه الأخيرة حيث تحكمت من احتوائها والسيطرة على الكثير من مبادئها وتعاليمها ولهذا نرى التأثير الهندوسي في القول بالتثليث ينتقل طوعاً إلى البوذية وهكذا يقال أيضاً بالنسبة للمسيحية . فهناك تشابه في صفات الأقانيم التي يضيفها البوذيون إلى تثليثهم مما يماثل صفات أقانيم النصارى .

قال المسترفابر ( وكما نجد عند السهتود ثالثاً مولغا من برهمه وفشنو وسيفا هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة وكذلك بوذي جينست يقولون عن جيفا إنه مثلث الأقانيم .

قال السيد وليس جونز في تضارعات وتوسلات الزاهد (امورا) هذا نصها ( لك أقدم التعظيم والخشوع يا رب أنت الإله الرحيم يا شافي الآلام والأطعاب يا رب كل شيء أنت برهمة وفشنو وسيفا إني أعبدك تعبدت بأساطيرك الألد وأشكالك المختلفة وشكل بوذا إله الرحمة ) . (١)

### التأثيرات الفارسية القديمة في المسيحية :

كما إدهت المسيحية أن لله تعالى إبناً وأنه مثلث الأقانيم تعالى الله عن قولهم كذلك قالت الديانة الفارسية من قبل .

### يقول دوان في هذا الصدد :

( وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل السهتود توما وهم اورمزد ومتراث واهرمان ، فأورمزد الخلاق ومتراث ابن الله المخلص الوسيط واهرمان المهلك ويوجد في كتابات زوسترساين الشرائع الفارسية هذه الجلة :  
( الثالث اللاهوتي مضي في العالم ورأس هذا الثالث مونا ) وكان الآشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم ) . (٢)

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٢-٢٣

وراجع كذلك الديانات والعقائد ، عبد الغفور عطار ١٥٦/٣

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٠

## أثر الوثنية اليونانية في المسيحية :

هناك عدة عقائد يونانية وثنية أثرت كثيرا في العقائد المسيحية

من بينها فكرة : التثليث ، والبحث ، والغلاص ، والعشاء الرباني المقدس ، والتمسيد ، والاتحاد ، وغيرها .

وملاحظة صورة التثليث عند اليونان يمكن معرفة مدى تشابهها

مع التثليث المسيحي .

فقد ( كان اليونانيون القدماء يقولون : إن الإله مثل الأقانيم

وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبايح يرشون الذبيح بالطقس ثلاث مرات

إشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين حول الذبيح بالطقس ثلاث مرات يأخذون

البخور من البخور ثلاث أصابع ، وعن أورفئوس يقول : وإن :

( كل الأشياء عليها الإله الواحد مثل الأساطير والأقانيم وهذا

التعليم الثالوثي أصله من مصر " وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا :

إن فيثاغورس وهيركليتوس هلاتو طوبا التثليث وقد أخذوا فلسفتهم في التثليث

عن أورفئوس . . . وقال العلامة فسكس : وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون

بالتثليث وهو : أولا ، الله ، ثم الكلمة ، ثم الروح ( ١ ) .

يعترف ديورانت بهذه الحقيقة قائلا : ( إن المسيحية لم تقض

على الوثنية ، بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضرا إلى الحياة

في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها . . . وانتقلت الطقوس اليونانية

الخفية إلى طقوس القديس الخفية الرهبانية ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة

اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ( ٢ ) .

ومما ادعت المسيحية من أنها حاربت الوثنية حربا بلا هوادة فإن

القرايين تثبت عدم صحة هذه القولة فيمجرد النظر إلى الشعائر والطقوس والرموز

التي يقوم بها النصارى في كنائسهم والأصنام التي تعبد معبوداتهم وتطائس

قد يسبهم لا تثبت هذه الدعاوى أن تنهار أمام الواقع ، وقد مرر عن هذه

الظاهرة أحد العلما الغربيين بقوله ( راج كبار الأساقفة الذين عاصروا الطوك

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٩-٣٠

٢ - قصة الحضارة ٢/٣ : ٢٧٥-٢٧٦

داغوير ، أمثال القديس إيلوا ، والقديس إوان ( *OUEN* ) والقديس سوليبس يقومون بزيارات راعوية يهدون خلالها ويطلبون ما تقع عيونهم من آثار الوثنية والصنية ، كما يصادرون مراكز عبادة الأصنام بعد أن يغيروا منها الاسماء والسميات ويضعوها تحت حماية أو شفاة أحد الشهداء القديسين أو على اسم أحد رؤساء الملائكة كما أطلقوا سميات مسيحية على مراكز العبادة ومواقع الحج الوثنية وألبسوا صيغا وأشكالا مسيحية المراسم الطقسية التي كانت تقام في الأرياف ناشريين على هذه الكنيسة الرمز الصوري أو الحرفي على الأقل للديانة المسيحية (١).

### فكرة البحث اليونانية وأثرها في المسيحية :

كان لرفع المسيح عليه السلام أثر في نفوس الأتباع ، كما مر سابقا إلا أن الوثنية اليونانية استطاعت استغلال هذا الحدث الكبير لاحتواء المسيحية والالتفاف حولها ، ولهذا يرى جنير أن أقوال بولس في هذا الصدد هي التي أجبت نيران هذه العقيدة وأيقظتها من مرقد ها ، فقول بولس ( أن لم يكن المسيح قد بعث ، فإيماننا لا سبيل له ) (٢).

فهذه العقيدة تثير الحساسية الوثنية التي كانت سائدة آنذاك ، ( ومن جانب آخر فإن فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير باتباعه نحو حياة الخلود تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني فلم يلبث عيسى أن تحول بها من صيغ يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد والنقذ ابن الله وخليفته على الأرض الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين وتنحنى له الخليقة كلها أكبارا وجلال على حد تعبير القديس بولس ) (٣).

### العشاء الرباني اليوناني وأثره :

فقدرة البحث هذه ارتبطت بشعيرة أخرى يقول بها المسيحيون ضاهية للوثنية اليونانية وهي القران المقدس أو العشاء الرباني . وقد لاحظ ويلز الذي فسر هذا الترابط بقوله ( العلاقة وطيدة ( تلك ) التي تربط البذار في الذهن البشري بالقران والتضحية ، ذلك أن البذار أخذ يصبح أهم الأحداث الاقتصادية فكان من الطبيعي أن يربط الناس أشد ما يخطر ببالهم من الأمور روعة ووقعا وأي شيء أشد روعة من قتل رجل من الناس ) (٤)

- ١- تاريخ الحفارات العام ، القرون الوسطى ٣: ٣٥
- ٢- الرسالة إلى أهل كورنثيا ١٥: ١٧ - المسيحية ، جنير ص ٥٢
- ٣- معالسم تاريخ الانسانية ١٢٣/١

( وقد تتبع ) السيرج . ج فيبرز تطور هذا الترابط وواصل بينه وبين فكرة الأشخاص المخصصين للقربان الذين يقتطون في أوان البذار وفكرة طبقة من الناس مطهرة تطهيرا خاصا يوم هلكها لقتل هؤلاء الضحايا وهي طبقة الكهنة وفكرة ( عشاء مقدس ) أو وليمة طقوسية وتأكل فيها القبيلة أجزاء من جسم الضحية لكي تأخذ نصيبا من القربان من مزايا وتتقصد تلك المزايا أو تقصد من هبته الهداية تطورت الديانات ذات القربان الموسمية التي لا تزال بين ظهرانيها ( ١ )

وقد جاء هذا التحليل تمثيلا للصورة التي يراها المسيحيون يقول متى ( . . . ) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز مبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلًا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي ( ٢ )

فهذه العطية أصبحت من التقاليد المعمول بها في الكنائس المسيحية وهي تعني السر المقدس بين المسيح والمسيحيين و ( بموجبها يعمد المسيحي ويصبح شاركا في حياة المسيح الإله مشاركة متجددة دائمة ولا شك أن هذه الفكرة تعود في أصلها إلى ديانة الألغاز المعروفة عند الأفريق ( ٣ )

#### صلة التعميد بالاتحاد :

لكي يكون المسيحي مسيحيا لا بد له من التعميد بحسب الأصول التي يتبعها القس في الكنائس لهذا الغرض ويكون إما بالتغطيس أو بالرش طقس خلاف بين المذاهب المسيحية ، وهو بمثابة فرض ألزمت الكنيسة أتباعها به والا اعتبر الرافض كافرا ، ويستند المسيحيون بأقوال وأفعال نسبوها إلى يحيى عليه السلام من أنه غطس في نهر الأردن ( ٥ )

ولا شك أن التعميد المزعوم ليس له أصل سوى الأصل الوثني الذي أشاعه بولس في أوساطه فهو يقول ( لأن كلكم الذين غطستم في المسيح لمستم المسيح ) ( ٦ )

١ - معالم تاريخ الانسانية ١٢٣/١

٢ - متى ٢٦: ٢٦-٢٨

٣ - دخل في تاريخ الأديان د . محسن العابد ٣٥-٣٦ دار الكتاب بموسى ١٩٧٣ م

٤ - راجع هذا الخلاف في : قاموس الكتاب المقدس ٦٣٧

٥ - : متى ٣: ١٣-١٦

٦ - غلاطية ٣: ٢٧ ، والأصل في التعميد هو الختان حسب الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى وقد ظل بنو إسرائيل

وقد فسر جينير هذا النص بقوله :  
 ( وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد  
 ونحن في قولنا هذا قد نتجاوز حدود النص الحرفية ، فبولس لم يجزو قط على  
 القول بأن التعميد يجعل من المسيحي " مسيحيا " ملطاً تجعل طقوس التضحية  
 بالثور في عبادة سبيل من المؤمنين بها و ( الها هو أتمس ) إلا أن مفهوم  
 هذا التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي يفسر بها مفهوم التضحية بالثور  
 فبالتميد " يرتد ي المسيحي المسيح كما يرتد ي اللباس القدس النجس ، وهو  
 ينزل رمزيا إلى عالم الأموات يغطسه في النهر أو في إناة التعميد فإذا ما خرج  
 بعد فطسات ثلاث تما كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث أثبت بأنه  
 سوف يمجد يوم أن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح . ( ١ )

إن الربط بين التعميد والاتحاد هنا وثيق العلة ، ولا شك  
 أن المسيحيين ، قد وقموا فريسة في شباك الوثنية اليونانية حينما قد تمت  
 هذه البدعة لهم ، فلم يجدوا خاصا من الاعتراف بها لأن التبار الوثني كان  
 متغلغلا في تلك الاوساط ، وقد تولى بولس مهمة ادخال هذا التقليد المسيحي  
 المسيحية بسهولة .

---

= يقومون بهذه الشعائر إلى أن قام بولس بنشر بدعته ومنها الغارة الختان ،  
 يقول بولس ( ها أنا بولس أقول لكم إنه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا لكسب  
 أشهد ايضا لكل انسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . . . . ) ( وقوله )  
 لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة )  
 : غلاطية ٢: ٥-٦ وراجع تعليق ديورانت على هذا الموضوع في : قصة

الحضارة ٣/٣ : ٣٥٣-٣٥٥

١ - المسيحية ، ص ١١٠

### اثر الفلسفة اليونانية في العقائد المسيحية :

مر في الفصول السابقة التعرف على كيفية دخول الديانات الوثنية المختلطة الى الفكر الديني المسيحي ، وكيف استطاعت تكوين هذا الخليط المعتقد من المبادئ والآراء المتناقضة .

ولم تكن القضية لتقف عند هذا الحد ، فقد تزاوجت الشاكلة على أبواب الكنيسة ، ونامت ظهور الرهبان من حل تبعاتها ، فلباً هؤلاء الى الفلسفة التي كانت رافعة آنذاك مستغِيثين بمبادئها ، لا فنيين بأفكارها نتيجة لوقوعهم في الغوص الدينية التي غسوا أنفسهم في وسطها تافهين فسي لجبها .

واذاً ذلك فقد عمد هؤلاء<sup>١</sup> إلى اتخاذ المصطلحات الفلسفية كمادة لتغذية عقائدهم ، وكأداة لحجب الحقيقة وطمس معالم الحق والنور .

وغير خافط لهذه المبادئ من خطر على النفوس الوضيعة فسي صر ارتفعت فيه أسهم الفلسفة ارتفاعاً كبيراً .

وقد لاحظ العلماء الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة اليونانية بالذات في الفكر الديني المسيحي ، ووقفوا طويلاً عند انبهار رجال الكنيسة ورهبانها بالفلسفة الأولى . وما استمدوه من مبادئ وصيغ مختلفة .

وقد ظهر هذا التأثير جلياً ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد ولا شك ان نوطاً من الصدام قد حصل بينهما مبادئ الأمر ، الا ان الفلسفة قد استطاعت السيطرة على مفاهيم هؤلاء وحورت العقيدة الصحيحة وفق أهملوا الفلاسفة ونزعاتهم .

وقد ضرب العلماء مثلاً لالتقاء صدام الفكر المسيحي بالفلسفة اليونانية وغير شاهد على ذلك شخصية بولس<sup>(١)</sup> وما دار حولها من نقاش .

يعترف الباحثون في هذا الشأن بأن ذلك المجتمع وجد (فيهم) فلاسفة محترفون اضطلعوا بمهمة الوعظ والارشاد ، فكانوا يمحون بلحياتهم وردائهم ينشرون تعاليمهم الخلقية في الاسر والجنطات كل بحسب مذاهبهم

---

١ - راجع في هذا الصدد : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

فيلتقي بهم المسيحيون ويناقشونهم وكان من بين المسيحيين جماعة آمنوا بعد فلسفة فكان طبيعياً أن يصدروا عن ثقافتهم السابقة في تبيان عقيدتهم ونقد الوثنية فيوفق البعض إلى الحق ، ويضل البعض فتتسأ البدع وتقوم المناقشات الكلامية والكتابية لتحديد معالم الدين في فوضى المذاهب والطل ، وهكذا خلقت الفلسفة المسيحية منذ القرن الثاني (١) .

ومن السهل جداً إعطاء نماذج لتأثر عدد من أساطين آباء الكنيسة بالفلسفة ، إذ ( لم يخطر ببال المدافعين عن العقيدة المسيحية يوماً أن يتهربوا من ثقافتهم اليونانية أو اليونانية - اللاتينية بل كانوا يتباهون بها ، ولقد أصبحت لدى آباء القرن الثاني ومعظمهم من المهتدين إلى المسيحية غير اداء في دفاعهم عن إيمانهم الجديد .

فها هو "يوسطينوس" الفيلسوف " واثيناغورس " الآثيني " الفيلسوف المسيحي على ما ورد في كتابه الدفاعي ذاته والقديس "ثيوفيلوس" الأنطاكي الأديب وصاحب الأسلوب الأنيق "مركوس مينوسيوس" فليكس" السامي الروماني الذي اعتبر كتابه ( الاكتافوس بانوارهوس " تحفة من تحف الأدب اللاتيني وغيرهم كثير . . .

وها هوذا مثل آخر يدل على شي من الإفراط وهو التوصية في حق المسيحيين "لاثيناغورس" ورد فيه الكثير من الاشارات إلى أساطير اليونان وكثير من النبذ التي لم تستند من أفلاطون فقط ، بل بجانب أعظم من "هوميروس" و"هيرو" و"أويريد" و"أيزا" . . . لكن الاسكندر حين بسبب الافلاطونية المتغلبة عليهم كانوا مع من يبقوا في مجال نفوذهم بالقليل أو بالكثير هم الذين أبلوا غير البلاء في خدمة هذه الثقافة اليونانية التي أصبحت مسيحية (٢) .

وكما مر في الأبواب السابقة فإن الإمبراطورية اليونانية كانت تدبر بمذاهب فلسفية شتى ( وكانت المذاهب الفلسفية الكبرى ( الشائعة آنذاك ) أربعة - الافلاطونية (٣) ، والرواقية (٤) ، والارسطوطالية (٥) ، والابيقورية (٦) مرتبة حظوتها

#### ١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، لـجـس غريدي ج . قنواي  
ت : د . صبحي الصالح ، الاب فريد جبر ٢ / ٨١ - ٨٢ - ٨٣ ط ٢ ١٩٧٩ دار العلم  
للكتابيين ، بيروت .

٣ - انظر صفحة ( ١٩٨ ) من هذا البحث ٤ - انظر صفحة ( ٣٣٣ )

٥ - نسبة إلى أرسطو : ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م ) الفيلسوف المعروف كان ابناً لطبيب باسطاغرا في شطال اليونان ، ظل لعشرين عاماً يادفة من ٣٦٧ بأكاديمية أفلاطون انظر : الوجود الالهي ص ٢٨ وهو مؤسس المدرسة المشائية ،  
صبيادى الفلسفة ص ٢٠٦ - ٢٠٧

٦ - نسبة إلى أبيقور ( ٣٤١ - ٢٧٠ ق م ) فيلسوف يوناني كان يرى ان لا خير الا اللذة ولا شر الا الالم وان الفضيلة تقصد لها فيها من اللذة والرديلة انما تجتنب لها فيها من الالم



لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد .

أما الأفلاطونية فكانت الذهاب الغفل عند هم ، عرفوها بوقوفهم على  
بعض محاورات أفلاطون ، وعن طريق مختلف الكتاب ، وخاصة فيلسوف الإسكندرية<sup>(١)</sup>

لقد أعجب هؤلاء\* بهذه المذاهب لأنها كانت تعترف " بعالم معقول  
وصانع العالم المحسوس بط فيه من خير وجمال ، ونفس إنسانية روحية هابطة من  
العالم المعقول تائقة العودة إليه ، وبتحقير الجسم والحياة العاجلة والاشغالة  
بالزهد والتطهير والخلود والاتحاد بالله وما زالوا يعتبرون الأفلاطونية اسم  
المذاهب اليونانية وأقربها إلى المسيحية ، حتى إذا طجدتها مدرسة الإسكندرية<sup>(٢)</sup>  
في القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية استغلوا الأفلاطونية الجديدة أيضاً )

هكذا كان تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية على طائفة ورهبان الكنيسة  
الذين أشبعوا عقولهم بها ، ونهلوا من معينها ، وأرتوا حتى الشالصة .  
فكان انتصار الفلسفة على الدين هو الغالب لدى أمة تركت سلاحها واستسلمت  
للتيارات المخططة التي أصرت على تحطيمها وقد كان .

وسأستعرض بعض المدارس الفلسفية التي كان لها أثر في الفكر  
الديني المسيحي .

---

= وليست السعادة عندنا إلا نيل اللذائف ، ولم يقصر\* أببيقور قوله على اللذات  
الجسدية كما فهم بعض الناس من مذهبه بل اعترف باللذة العقلية وفضلها عن غيرها  
راجع : مبادئ الفلسفة ص ٢٠٦ ، وقد أسس\* فيه قليل أنه يدعو إلى الملاذ  
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٣ طعة أببيقور .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - المصدر السابق .

### (١) أثر الاورفيسية :

لعل أبرز المذاهب الفلسفية القديمة التي لها أثر كبير في الوسط  
الفكري اليوناني وبالتالي على الفكر المسيحي تلك المدرسة الأورفية التي كان  
لها حظوة لدى الافلاطونية الحديثة .  
ويتضح هذا الأثر عبر عثور المخطوط على مجموعة كبيرة من الكتابات  
الأورفية التي كانت في حوزة ( رجال الافلاطونية الحديثة بالاسكندرية ، وقسند  
اتخذوها أساسا للاهوتهم وطقوسهم وتصوفهم ، . كذلك أثرت فكرة النار المطهرة  
والجنة وتعارض الجسم والروح والابن القدس الذي قتل ثم ولد من جديد ،  
والعشاء الرباني وهو أكل جسم الاله ودمه وقدسيته ، أثرت هذه كلها من قسرب  
أو من بعد في المسيحية التي كانت هي نفسها ديننا ذا طقوس ومراسم خفية  
فيها الكفارة والأمل والوحدة التصوفية وتحرير الروح ولا تزال الافكار والعبادات ،  
التي تشتمل عليها الديانة الأورفية منتشرة بيننا ( اي بين المسيحيين ) هذه  
الأيام . ( ٢ )

### (٢) أثر الافلاطونية الحديثة :

تبين ما سبق أن التوحيد هو لب الدعوة التي جاء  
بها المسيح عليه السلام ، وأن التثليث هو العقيدة المستحدثة التي طغت فيها  
بعد على معتقدات المسيحيين بعد التحريف والتعديل ، والناظر في أسس  
العقيدة النصرانية يستطيع أن يرى أثر الفلسفة الافلاطونية الحديثة بشكل  
واضح فيها .

هذه الفلسفة ترى أن الحقائق والأقانيم ثلاثة :  
الحقيقة الاولى : الواحد أو الطبيعة العليا ، وتصف هذا  
الواحد بالوحدة المطلقة وعدم التكثر حتى في الوصف .  
الحقيقة الثانية : هي العقل العام ، وهو واحد كالاول ومجرد  
عن المادة مظهره الا ان فيه تكثرا ما وهو صادر عن الاول بطريق  
الفيض لا عن ارادة واختيار .  
الحقيقة الثالثة : هو النفس الكلية وهي مجردة عن المادة ايضا  
ممثل الاولين الا أنها لما بعدت عن الأول أظلمت شيئا مسا

١ - انظر ص ١٨٩-١٩٣ من هذا البحث .  
٢ - قصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧

٣ - هي مذهب قام على اصول افلاطونية وتمثل عناصر من جميع المذاهب ، فلسفية ودينية  
يونانية وشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة ( تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥

ومن النفس الكلية صدرت الموجودات المحسوسة التي فيها الشرور والظلمات .

والافلاطونية الحديثة لا ترى التساوى بين هذه الاقانيم بل ترى ان الأول هو أكملها والثاني أقل منه كمالا والنفس الكلية أقل من الاثنين . . . . . يرى "ليون جوتيه" المستشرق الفرنسي ان اللاهوت المسيحي مقتبس من افكار هذه المدرسة فيقرر ان التشابه كبير بين اللاهوت المسيحي وبين الافلاطونية الحديثة ، حيث انها يتركزان على عقيدة التثليث والثلاثة أقانيم وان اختلفا في بعض التفاصيل . . .

أول هذه الاقانيم هو مصدر كل كمال ، والذي يحوى في وحدته كل الكلمات ، وهو الذى دعاه المسيحيون الأب ، والثاني ، أو الابن هو : الكلمة والثالث ، وهو دافع الروح القدس . . . .

ويجب ان يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الافلاطونية الحديثة) - أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي عند المسيحية متساوية ، فالابن الذى يتولد من الاب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالا ، والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا خطأ من رتبته وكذلك الروح القدس ساو للاب والابن (١) . . . .

واخطأ في هذه الفلسفة ان المرحلة القصوى منها ( يتم احرازها - لا عن طريق التجربة والعقل - بل عن طريق الوجد الصوفي وفي هذه الفلسفة تنحط الثلاثة الى درك التصوف الاشراقي ) (٢) . وهو الامر الذى سيكون سببا غصبة للاسس العقديّة للرهبانية المسيحية .

١ - تراجع في هذا الصدد : الجانب الالهى في الفلسفة الاسلامية ، د . محمد البهي ص ١٥٠ وما بعدها دار الكتاب العربى بصر ط ١٩٦٧

وكذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٨ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٤ نقلا من كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ، ليون جوتيه و قارن مع : الاسفار القدسة د . وافي ص ١١٣

٢ - الموسوعة الفلسفية ، م . روزنتال . ي . يودين ص ٤١ ط ١٩٨٠

تلك هي معالم المزج العجيب التي ظهر اثرها في الفكر الديني المسيحي والتي راح ضحيتها المجتمع المسيحي الذي نهشته حتى البدع وخيمت على جميع مرافقه وكيلته بعد أن هضمت الروح النقية التي دعا اليها المسيح عليه السلام .

لقد ظهرت هذه البدع في شتى أوجه الحياة ، وقد عرده بورانت من هذا الواقع المريع أبلغ تعبير حينما قال :-

( فمدارسنا وجامعاتنا ، ومدارس التدريب الرياضي وملاعبه والمباريات الرياضية والاولمبية كل هذه ترجع اصولها الى بلاد اليونان ونظريته تحسين النسل وفكرة ضبط الشهوة الجنسية والسيطرة على الغرائز والعواطف ومبادئ الصحة والحياة الطبيعية ومذهب اشباع الحواس أكمل اشباع كل هذه وجدت صيغتها التاريخية في بلاد اليونان وقد تفرع الجزء الاكبر من الدين المسيحي والعبادات المسيحية ولغظا ( *theology, christian* ) نفسها لفظان يونانيان من الطقوس الخفية التي كانت منتشرة في بلاد اليونان ومن المراسم اليونانية والاورفية والابزينسية ومن العقيدة اليونانية القاطنة بموت الابن المقدس لتخليص الجنس البشري ثم بعثه من بين الموتى ومن الطقوس اليونانية والمواكب الدينية وحفلات التطهير والتضحية المقدسة والطعام العام المقدس ومن الاراء اليونانية من الجحيم والشياطين والمظهر والغفران والجنة ومن النظريات الرواقية والافلاطونية الجديدة عن الكلمة والخلق ونحن مدِينون بخرافاتنا نفسها لما كان لدى اليونان من افعال وساحرات ولعنات وتفاؤل وتشاؤم وايام منحوسة (١) .

هذا الواقع المريع الذي حور العقيدة والمسيح لباس الضلال والزيف يجعل المرء يوهنك ما اقرب به جنبيير من ان ( الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الايام ) (٢) ويمكن اضافة مقولة اخرى ان مسيحي الشرق المتقبلين لمعاولي التغيير والانحراف هم أيضا لم يكونوا في يوم من الايام مؤمنين برسالة المسيح عليه السلام المنزلة من عند الله تبارك وتعالى بل هم ضحايا الغواية والفساد والضلال الذي مارسه رجال الدين المسيحي ، رهبانا وفلاسفة وقد أتيحت لهم فرصة ذهبية لتعويض ما فاتهم من خير ونفيع لهم يوم جاء الاسلام وهم ربوع الارض لاخراج الناس من الظلمات الى النور فابى اكثرهم الا كفورا .

١ - قصة الحضارة ٢٠٧/٨ - لاحظ ما كتبه د . أسد رستم عن تأثير المسيحيين باليونانيين خاصة فيما يتعلق بالرسوم والتماثيل وذلك في: حرب في الكنائس ، ص ١٩٦٧ ، بيروت

٢ - المسيحية ، ص ٢٠٩

ثالثا : الجبهة المستفيدة من الانحراف :  
=====

بعد الحديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في انحراف القوم عن رسالتهم ، تبقى مسألة الجبهة المستفيدة من هذا الوضع والتي يرجع اليها الفضل في ابقاء باب الانحراف مشرطا ضامنا لصالحها وامتيازاتها ورتبها الدينية التي درت عليها المنافع المادية والمعنوية .

لقد انعكست المنفعة الشخصية على طبقة رجال الدين المسيحي رهبانا ، وطاركة ، وهابوات . ، يمكن هؤلاء من احتلاء الرعايا الدينية لدى العامة استطاعوا ممارسة الطغيان الديني والسياسي والاجتماعي على اوسع نطاق . ،

وقد ظل هذا الطغيان يتفاقم ويتطور الى ان اصبح كابوسا مزعجا يورق فكر البشر ويهدد امته واستقراره ، ويات يعطى بشتى الوسائل لقتل الروح العلمية المتوثبة لدى العلماء<sup>(١)</sup> والمخترعين بصورة بشعة أدت الى كبت كل جديد وطمس كل حديث ، وظلت هذه الطبقات تحارب كل تغيير يفسح المجال للتقدم والرقي الحضاري ، وظلت أوامر الكنيسة في العصور الوسطى وقراراتها سيفها مسلطا على رقاب العلماء وقملة لاهناق الفكر الحر .

لقد حاربت الكنيسة العلم ورجالها ووقفت منه موقفا معاديا وراحت باسم السلطة الباطنية تدخل من تشاء في جناتها وتخرج من تشاء من رحمتها وتنزل اللعنات على من تشاء من معارضيها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الابتزاز احتلال جيوب القسس والرهبان بالمال الحرام وتكدس الذهب والفضة في خزائنهم .  
والفضائح في ذلك كثيرة سوف نراها أثنا الحديث عن الطغيان الكنسي .

---

١ - يراجع في هذا الصدد كل من : موقف الاسلام والكنيسة من العلم ، عبد الله الشوخي ص ١٢١ وطبعها ، مكتبة المنار ، الاردن الزرقاء ط ١ ، ١٤٠٢ -  
١٩٨٢ م - وكذلك : موقف الدين من العلم ، الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب ص ٦ ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان . ط ١ ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢

### الفصل الثالث :

الأسس العقديّة للرهبانية ونقدّها

الأسس العقديّة التي استقتّها الرهبانية المسيحية كثيرة  
الا ان هناك عدّة عقائد أساسية دار عليها محور الفكر الرهباني واستند  
اليها في قوانينه وانظمته ، وطى ضوءها حدّ مسلكه وساره .

وسيقصر البحث هنا على أهم هذه الاسس وضها :

اولا : الصلب والفداء " أو " الخلاص "

ثانيا : الحلـول

ثالثا : الاتحاد

### الأساس الأول :

الصلب والفداء " أو " الخلاص "

تستند المصادر المسيحية الى بعض نصوص الأناجيل لتأييد عطية الصلب  
المزعومة ، تلك النصوص التي وصفت الملائكات السابقة لاعتقال المسيح وتقدّمه  
للمحاكمة واصدار الحكم عليه من قبل بيلاطس الحاكم الروماني بتأليب واصرار من  
اليهود ، وقد تبارت المؤلفات المسيحية في نشر تلك الحوادث مع اخفاء سمات  
الحزن الطيئة بالكآبة والتعاسة ، كما أضافت اليها الشروح والتعليقات اللازمة  
لاظهار الناس عبر بيان الآلام والمعذاب الذي لحق بالمسيح قبل وبعد طهيته  
الصلب كما يزعمون <sup>(١)</sup> .

ولمعظم الغيبة التي لاكتتها الالسنّة وزورتها النصوص المشبوهة فقد  
رد القرآن الكريم ردا واضحا على افتراءات اليهود وط دجوه من مؤامرات وما  
طق بالذهاب النصارى والسنتهم زورا وهبتانا ، يقول الحق تبارك وتعالى :  
( وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ مَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ  
الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) <sup>(٢)</sup> .

كما ينص القرآن الكريم على أخبار الله تعالى لمسيح بنجاته ، قال تعالى  
( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ إِنِّي مَتَوِّفِكُمْ وَأَرَأَيْتُمْ إِلَيَّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاحِلُ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا

١ - راجع في ذلك : انجيل متى ٢٧ : ٢٥-٢٨ و مرقس ١٥ : ٢٤-٢٨ ولوقا ٢٨ :

٢٣ و ٢٤ و ٢٨ يوحنا ١٩ : ١٨-٢٤

٢ - راجع كتاب : المسيح ابن مريم ، جاك جومر وسامي اليافي ، ص ٢٢١ دار الكلمة  
بيروت ١٩٦٦ وكذلك سيرة المسيح وتعاليمه د نيس كلارك ص ٢٣٢ وط بعد هذا

دار ضهل الحياة بيروت ١٩٧٧ ٣ - النساء : ١٥٧-١٥٨

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَفُونَ (١)

وهكذا يختلف موقف الاسلام عن موقف المسيحية ازا\* هذه القضية ، كما ان بعض الآثار تدل على أن الصلوب هو غير عيسى عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه الامام ابن جرير عن ابن عباس قال :

لما أراد الله ان يرفع عيسى الى السما\* خرج الى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من حين في البيت ، ورأسه يقطر ماء\* . قال : ان منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي . قال : ايكم يلقي عليه شئبي فيقتل مكانسي ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من احد شهم منا ، قال ، فقال : أنا . فقال له : اجلس ثم أطاع عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، قال : نعم أنت ذاك . قال : فالتقى عليه شيه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السما\* قال . : وجاء الطلعب من اليهود واخذوا شبيهه فقتلوه وعلبوه وكفروه بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به . ففترقوا ثلاث فرق .

فقال فرقة : كان الله فينا ماء شاء\* ثم صعد الى السما\* ، وهـولاء\* .  
المعقوبة . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ماء شاء\* ثم رفعه اليه . وهـولاء\* .  
النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ماء شاء\* الله ثم رفعه الله اليه وهـولاء\* السلبون .

فتظاهرت الطافتان الكافرتان على السلعة فقتلوهما فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأبانت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة . يسعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى .  
والطائفة التي آمنت في زمن عيسى . فأبدينا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين في اظهار محمد دينهم على دين الكفار فاصبحوا ظاهرين (٢) .

كما ان انجيل برنابا يؤكد حقيقة تخليص الله تعالى لعيسى عليه السلام حيث يقول ( ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع دنسا جمع ظهير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر نيا فلما رأى الله الخطر على هذه امر جبريل وميخائيل ورفائيل وسفرا\* ان ياخذوا يسوع من العالم فجاءوا الطائفة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب

١- ال عمران : ٥٥

٢ - رواه ابن جرير عن ابن السائب قال ثنا ابو معاوية عن الاعشى عن الضبال بن جبير عن ابن عباس ( . . . ) جامع البيان في تفسير القرآن ٦٠ / ٢٨ لابن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

فحطوه ووضعوه في السطاة الثالثة في صحبه الملائكة التي تمسبح الله الى الأبد . (١)

وقد قام الاستاذ عبد العزيز منصور بإثبات حقيقة القا\* الشبه على شخصية أخرى غير عيسى عليه السلام ، وقد استخرج نصوص أدلت من كتب أهل الكتاب (٢).

كما قام الاستاذ احمد عبد الغفور عطار بدراسة مستفيضة ، أثبت خلالها تناقض الانجيل في هذه القضية ، خاصة بين ما جاء في انجيل متى ٢٧: ٣-٥ . ومن لوقا في احوال الرسل ١: ١٥-٢٠ حول هير يهوذا الاسخريوطي .

وقد أثبت بالدليل أن المسيح عليه السلام كان قادرا على التخفي من القوم والظهور في شكل غير شكله العادي مستشهدا ببعض نصوص الانجيل المختلفة كما خرج بنتيجة خاطئة أنه لم يكن بالامكان القبض على المسيح عليه السلام مؤكداً ومستشهدا بانجيل يوحنا ١٨: ٣-٦ من ان الجنود حينما جاؤوا للقبض عليه سقطوا على الارض ، وهذه قرينة على ان الله تبارك وتعالى قد أمدّه بقوة يعجز البشر عن الاساك به . (٣)

كما ان حادثة استجواب القبطى عليه للمحاكمة الواردة في انجيل متى تطغى ظلالة من الشك على ما يدعيه النصارى ، اذ ان المتهم كان يجيب عن كل ما سئل بعبارة واحدة فيقول : ( انت قلت ) (٤) ولم يعترف باى تهمة وجهت اليه .

ومعجب السر\* أشد المعجب من قوم يدهون " صلب الاله " تعالى عما يقولون ويغفلون عن حقيقة واضحة وهي ان وجوده طقتولا وهلكوا يستلزم انه ان يكون طاجزا عن حماية نفسه فضلا عن حماية غيره ، ثم كيف كان الكون يخلو من الله طبر طيلة هذه الفترة ؟ وحول هذا الادعاء يورد أحد الشعراء طيبهم بقوله

أسمعت ان الاله حاجـة      يتناول الشروب والمأكـولا ؟  
وإنام من تعب ، يدهو ربه      يهرو من حر الهجير مقيلا ؟

١ - انجيل برنابا ، ٢١٥: ١-٨ ، تاسيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط١

١٣٩٢هـ

٢ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، منصور عبد العزيز ، ط٢ ،

١٩٧٢م

٣ - الديانات والمعتقدات ٣/ ٥٥٢-٥٥٣ وكذلك ٤٤٠-٤٤١

٤ - راجع متى ٢٦: ٦٣-٦٤ ولوقا ٢٢: ٧٠

٥ - راجع اقانيم النصارى ٧٢-٧٣

٦ - منظومة الامام ابو بصري في الرد على النصارى والميهود ص ٧ مكتبة المدينة المنورة بدمشق



هسته الألم الذي لم يستطع  
يا ليت شعري حين مات بزعهم  
هل كان هذا الكون دهر نفسه  
من كان بالتدبير عنه كفيلا ؟  
من بعده . ؟ أم أثر التعطيل ؟

وحادثة الصلب من وجهة أخرى تتعارض مع المنطق السليم والتفكير  
القوم ، ولهذا كان لابد للسيحية من مخرج يبعدها عن هذا المأزق الخطير  
فرأت أن تستعير من الديانات الوثنية عقيدة تسد هذه الثغرة ، فوجدت مبدأ  
تضحية الاله بنفسه فداء للبشرية وخلصها وهو موجود لدى اليونان ومن قبلهم  
الهندوس والصريين القدماء .

ولا تغيب عن بال أحد فكرة الخطيئة الأولى التي لها ايضاً جذور وثنية  
وقد وجد النصارى فيها  
مادة خصية لاثراء عقيدة الصلب وتبريرا لها وطاملا سبها لفكرة الخلاص والفداء .

ولهذا فان المصادر المسيحية تربط بين الصورة التي رسمها سفر التكوين<sup>(١)</sup>  
عن خطيئة آدم وزوجه وبين عملية الصلب المزعومة التي اوردتها اناجيل النصارى  
ان سلمت الكنيسة بهذا العرض الاسطوري عن الخطيئة الاولى رغم الخسرات  
والاغصائل التي صاحبها .

فالجنس البشري في عرف الكنيسة يتحمل الخطيئة الاولى ويرثها الى مجيئ  
المسيح المخلص حيث ( كان العدل الكامل ) كما يدعون ( يستلزم تكفيراً مناسب  
شرعي عن البشرية تكفيراً تاماً يوازي الاثماسة ، هذا ما تحقق تماماً بالتجسد  
والفداء . ( ان ) جعل الله ابنه يتجسد وهذا التجسد جعله رأس البشرية  
ورأس جسم سري نحن ( اي النصارى ) اعضاءه فيحق ان ان يعطى باسم  
اعضائه ويكفر عنهم باسمهم ، فقد كفر عن خطايا البشر تكفيراً كاملاً )<sup>(٢)</sup>

ويستشهد المسيحيون على هذه العقيدة بنص من انجيل يوحنا القائل :  
( هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن  
به بل تكون له الحياة الابدية )<sup>(٣)</sup>

١ - راجع في هذا الصدد سفر التكوين الاصحاح الثالث .

٢ - خلاصة التصوف المسيحي ادولف تانكرة . ت : يوسف فرج ١ : ٢٢-٢٣

الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٢م

٣ - انجيل يوحنا ٣ : ١٦

وفي هذا يقول بولس ايضا : ( كما أحبنا المسيح ايضا واسلم نفسه لاجلنا قربانا وذبيحة  
لله رائحة مرضية ) (١)  
ويقول ايضا ( وكل شيء تقريبا يتظهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك  
دم لا تحصل مغفرة ) (٢)

بل تذهب تحليلات النصارى عن هذه العملية لتأخذ بعداً أكبر حيث  
تصف هذا الفداء بأنه كان نتيجة لتساور الثالوث الاقدس : فهم يقولون :  
( ان الجميع كانوا في حاجة الى المعونة والفداء ، كما انه ليس في امكان  
ملاك القيام بعمل كهذا يستلزم قوة غير محدودة فلم يبق الا ان يتم الفداء الله  
نفسه جل وعلا . فتقرر في مشورة الثالوث القدوس الكلمة القداسة والفائقة طسسى  
ادراك الملائكة انفسهم ان يقوم ابن الله نفسه بفداء الجنس البشرى ) (٣)

ولقد استغلت الرهبانية هذه الناحية بالذات استغلالا كبيرا ، حينما  
اعتبرت ان الانسان ( يوجد روحيا في حالة السقم والضعف ، فهو شقي  
جدا ومجرم أمام الله ووضعه سي ، يبعث اليأس والقنوط وقد بلغ به اليأس أنه لم  
يعد له رغبة في طلب واسطة أو على الأقل قبولها اذا قدمت له لكي يخرج من  
حالته التعمية ) (٤)

وأول استغلال للرهبانية انطلق من هذا المفهوم ان قضى بضرورة الفرار  
من غضب الله وعقابه وهذا لن يتأتى الا عن طريق الابتعاد عن كل ما يتعلق  
بهذه الحياة وهجر الدنيا وما يقرب اليها والنظر الى المرأة نظرة شك وريبة  
لانها السبب في خروج آدم من الجنة وهدر الشرور والاثام وبشكل ذلك كله  
بالتبتل او الاغصاء وقهر الجسد .

ومن هنا الباب ، استطاعت الرهبانية المسيحية ان تحال وتجنيد  
اعداد هائلة من الرهبان والراهبات الذين انتشروا في الغياض والغفار بينسون  
الاديرة والصوامع ويضعون الانظمة والقوانين الخاصة بهم .  
وعند ما وجدت الرهبانية نفسها محروجة امام الاسطة الموجهة اليها خاصة  
فيما يتعلق بذنوب البشر واثامهم الانية والمستقبلية اضطرت الى اختراع قوانين

١ - افسس ٥ : ٢

٢ - عبرانيين ٩ : ٢٢

٣ - الخلاصة الشبهة ٨٣-٨٤

٤ - المرجع السابق ص ٥٤

أو الاقرار امام الكاهن بجميع الذنوب .  
وكان ذلك بابا لفرض مبدأ الوصاية على البشر ، وممارسة ابشع انسواء  
الطفيان النفسي والمعنوي على الناس .

واذاً ذلك كان لابد من بيان موقف الاسلام من مبدأ الخطيئة الاولى .  
فما قرره الكنيسة من انحطاب خطيئة آدم على ابناءه لتشمل افراد الجنس  
البشري كله يوقع اصحاب هذه العقيدة في الشطط ويصمم بالافراط ، اذ انها  
تعتبر محاولة سقيمة لارهاب الناس من أمر بني على أساس هش واعتقاد وهم .  
فآدم طيه السلام بعد المخالفة التي ارتكبها و زوجته رجع الى ربه  
وذلك أخذاً من قول الباري تعالى ( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة  
وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فازلهما  
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضه وولكم في  
الارض مستقر ومتاع الى حين فطلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو  
التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فإنا بآئنيكم مني هدى فمن تبع هداى  
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار  
هم فيها خالدون ) (١)

يتضح من الآية الكريمة هو الله تعالى ومغفرته لآدم ، وانحطار العذاب  
على الكافرين والكاذبين وازاحة الخوف والحزن عن المهتدين بهدى الله تبارك  
وتعالى .

واختال نصوص العهد القديم لتوبة آدم فتح الباب امام البرهانية  
لاقرار هذه العقيدة ومن ثم قامت تتبنى ايجاد مخرج مخترع لمعضلة متعللة  
لا صلة للسدين القيم بايجادها ومنعها .

وهل الله تعالى لا يقتضي تقديم بشر فدا لاى معصية وانما يتم  
تكفير الاثم بالتوبة النصوح والرجوع عن الذنب والاستغفار . ورحمة الله تعالى  
واسعة يقول الحق تبارك وتعالى ( قل يا حسادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا  
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ) (٢)

١ - البقرة : ٣٥-٣٦

٢ - الزمر : ٥٣

فهو يغفر كل شيء لمن يشاء ما هذا الكفر ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفتى إثمًا عظيمًا ) ( ١ )

والله تعالى خلق الخلق ويعلم مكان نفوسهم وما تسخف صدورهم وما تكنه افئدتهم ويعلم مدى ضعفهم وقوتهم وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة فقال تعالى ( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ) ( ٢ ) .

والعزم في اللغة : توطين النفس على الفعل والتصميم عليه ، والمضي على المعتقد في أي شيء كان ، وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على أن لا يأكل من الشجرة وصم على ذلك فلما وسوس إليه إبليس لانت هركته وفتور هزمه وأدركه ضعف البشر ( ٣ ) .

واصرار الرهبانية على إلحاق التهمة بالبري ظلم وجور وتحكم في رقباب البشر فأى ذنب يلحق إنسانا لم تكن له يد في إقرار أي جرم سبق وجوده على وجه البسيطة ؟ وما ذنب أولئك الأطفال الذين ولدوا على الفطرة دون إحداث ما يوجب العقوبة ؟

وما أقسى قلب " القديس أوغسطين " حينما قرر أن الأطفال غير المعمدين صيرهم أن يحرقوا في نار جهنم خالدين فيها ، وإلى وقت قريب لم يكن مسيحيًا يدفن الأطفال غير المعمدين في القبور المخصصة للكنائس المسيحية لأن الاعتقاد السائد أنهم قد ماتوا على الخطيئة الأولى ( ٤ ) .

وعدل الله تعالى بأبى أنزال الظلم بعباده ( ففي الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية عن ربه أنه قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ) ( ٥ )

١ - النساء : ٤٨

٢ - طه : ١١٥

٣ - فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ٣/ ٣٨٩

٤ - الاسلام والمسيحية ، الفت عزيز الصد ص ٧٥

٥ - رواه الامام مسلم في باب تحريم الظلم ١٦/ ١٣١-١٣٢ وتام الحديث

.. يا عبادي كلکم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدکم ، يا عبادي کلکم جاع الا من أطعته فاستطعموني أطعمکم ، يا عبادي کلکم طار الا من کسوته =

فتحرهم الظلم مبدأ عام يقرره الاسلام ويدرج تحته حكما يتعلق بالمعصية  
وعدم انسحابها على غير مرتكبها قال تعالى :

( أم لم ينأ بها في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ، ألا تزرؤازرة <sup>(١)</sup> فردى )  
أخرى وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء <sup>(٢)</sup> الأوفى )

ويتضح من الآية الكريمة أن هذا الحكم كان على عهد إبراهيم وموسى  
عليهما السلام .

وعدم اعتراف النصارى بهذه الحقيقة معناه وجود تحريف أكيد في شريعتهم  
لأنهم يقولون بأن عيسى عليه السلام لم يأت لنقض التوراة .

مع التأكيد على أن الرهبانية حينئذ اقرت بمبدأ الخطيئة الأولى  
وانسحابها على الجنس البشري لم تستند إلى أساس شرعي يشير إلى هذه العقيدة  
من قريب أو من بعيد .

---

- = فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب  
جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا  
نفعي فتتغموني ، يا عبادي لست بـأن أولكم وآخركم وانسكم وكنتم كانوا على أتقى  
قلب رجل واحد منكم ما زاد في طغي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم  
وكنتم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من طغي شيئا ، يا عبادي لست بـ  
أن أولكم وآخركم وانسكم وكنتم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان  
مسأله ما نقص ذلك من عدى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي  
إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد  
غير ذلك فلا يلمن إلا نفسه ) .

## ثانيًا : الطسول

بسبب اختلاط النصوص الدينية المسيحية ، وحيرة النصارى في التعبير عما يعبدون ، فقد تداخلت مفاهيمهم عن الآتاهم الثلاثة تداخلا كبيرا <sup>(١)</sup> . فالاب والابن والروح القدس في عقيدتهم الله واحد على الرغم من اعتقادهم بان الاب اله والابن الله والروح القدس الله <sup>(٢)</sup> .

الا أن طسول من نصوص الاناجيل على عهد پولس ومن بعده ، وطسول ركز عليه انجيل يوحنا الموضوع لاغراض غيبشة فقد ادعى المسيحيون بان عيسى هو الله وهو المخلص . فمن النصوص التي وردت على لسان پولس قوله :  
( منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح ) <sup>(٣)</sup>  
وطسول جاء في انجيل يوحنا قوله : ( انا والاب واحد ) <sup>(٤)</sup> وكذلك ( الذي رأى فقد رأى الاب ) <sup>(٥)</sup> .

ولا شك ان الالتباس الحاصل كان نتيجة هذه المفاهيم الخاطئة التي ادخلت على النصوص الدينية والتي يرجع سببها الرئيسي الى اعترافهم بعقيدة الحلول الوثنية التي اشاعها پولس بين تلاميذه ضاهاة للمعتقد الهندية واليونانية القديمة . وقد حفلت تلك النصوص بهذه الآراء . فمن ذلك ( فانه فيه يحل كل طسول اللاهوت جسديا ) . وكقوليه ( الله ظهر في الجسد ) <sup>(٦)</sup> وكذلك ( ولهم الاباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهامباركا الى الابد ) <sup>(٧)</sup> .

ولهذا جاء دستور الايمان بعبارة ( الذي جاء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس ) <sup>(٨)</sup> .

وكما اشير في السابق فان الرهبانية قد ربطت هذا المبدأ بعقيدة أخرى وهي ( الاشتراك في " العشاء الرباني " الأخوذ عن متى ) وفيطهم يأكلون اخذ يسوع الخبز مبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال غدا وكلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكسر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثير لمغفرة الخطايا ) <sup>(٩)</sup> .

١ - راجع في ذلك : اسطورة تجسد الاله ، عهد الصد شرف الدين . ص ٤

٢ - راجع : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٧ - ١٠٨

٣ - تيطس ٢ : ١٣ - ٤ - يوحنا ١٠ : ٣٠ - ٥ - ١٤ : ٩ يوحنا (

٦ - كولوسي ١ : ٢ - ٧ - تيموثاوس الاول ٣ : ١٦ - ٨ - رومية ٩ : ٥ وكذلك راجع :

يوحنا ١ : ١٠ - ١٤ - ٩ - الخلاصة الشبهة ٦٥ - ٦٦ - ١٠ - متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٧

وفي انجيل يوحنا ( انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسد يسى السذى أبذله من أجل حياة العالم . ) ( ١ )

من هذه النصوص ومن غيرها أصبح الاعتقاد سائدا في كل قداس يقام في الكنائس ان ما يقدم للحضور من خبز وخمر ان الاول جسد المسيح والثاني دمه حقيقة واصبح الرهبان المسيحيون يتغنون بهذه العقيدة فيقول أحد هم :

( ان الخبز والخمر يتحولان الى جسد الرب المولود من العذراء مريم والذي تألم وقام من بين الاموات منذ اتمام الاستحالة يكون الرب نفسه وبصورة كاملة ودائمة تحت شكلي الخبز والخمر وفي كل جزء ضبط ) ( ٢ )

يقول في موضع آخر ( ان الرب قد أكد لنا باننا سنأكله حقيقة ونشربه حقيقة وليس فقط بالرمز والخيال كما يدعى " البروتستانت . هولس الرسول يثبت ذلك فسي :

١ كو ١١ : ٢٧ ( فإى انسان أكل خبز الرب أو شرب كأسه بدون استحقاق فهو مجرم الى جسد الرب دمه ) ( ٣ )

---

١ - يوحنا ٦ : ٥١ وراجع كذلك يوحنا ٦ : ٥٤

٢ - العبادة المسيحية ص ٩٣

٣ - المصدر السابق ص ٩٢ وراجع في مجال الرد عليهم في هذا الموضوع بالذات ما كتبه " عبد الله الترجمان " في : " تحفة الارب في الرد على اهل الصليب " ص ١٧٨ وما بعدها

## ابطال عقيدة الطول :

حاور العلما المسلمين هذه العقيدة وابطلوها بأدلة وبراهين طيبة وعقلية واضحة . وقد تَسَاءَلْتُ في مجال الرد على عقيدة الطول الهندوسية بعضا من نصوص العلما في هذا المصدد .<sup>(١)</sup>

وجاءت ردود العلما المسلمين على النعاري في هذه العقيدة اوسع وأشمل من حيث تفنيده وابطال المزاعم التي يدعونها . فقد فند الامام الرازي في تفسيره كثيرا من هذه المزاعم . فمن ذلك قوله :

( وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة :

( احدها ) : كون الشيء في غيره - : ككون ماء الورد في الورد . والذهن في السسم . والنار في الفحم .

وأظم ان هذا باطل ، لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم وافقونا على انه ليس بجسم .

( وثانيها ) : حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم . فنقول : المعقول من هذه التبعية حصول الله في ذلك الحيز تمعا لحصول محله فيه . وهذا ايضا انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى .

( ثالثها ) : حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات . فنقول : هذا أيضا باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجا . فكان ممكنا . فكان مختقرا الى المؤثر . وذلك محال . واذا ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الطول بمعنى شخص يمكن اثباته في حق الله ، امتنع اثباته ) .<sup>(٢)</sup>

ومن ادلته ايضا قوله : ( . . . والوجه الثالث : وهو انه - اما أن يقال بان الاله هو هذا الشخص الجساني الشاهد . أو يقال : حل الاله بكليته فيه . أو حل بعض الاله وجزء منه فيه . ولا قسم الام الثلاثة باطلة :

اما الاول : فلان الاله العالم لو كان هو ذلك الجسم . فحين تقطعه اليهود كان ذلك قولا بان اليهود قتلوا الاله العالم . فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير الاله . ثم ان أشد الناس ذلا ودناءة اليهود ، فالاله الذي تقطعه اليهود الاله في غاية العجز .

١ - راجع ص ٥٥ من هذا البحث .

٢ - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي : ٢١٠/٢١ وفيه ادلة أخرى فلتراجع .



وامسا الثاني : وهو ان الاله بكميته حل في هذا الجسم ، فهو ايضا فاسد . لان الاله لم يكن جسما ولا عرضا . فاستنع حلوله في الجسم وان كان جسما ، فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط اجزائه باجزاء ذلك الجسم . وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الاله .

وامسا الثالث : وهو انه حل فيه بعض من أبعاد الاله ، وجزء من اجزائه فذلك ايضا محال لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الالهية . فعند انفصاله عن الاله وجب ان لا يبقى الإله إلهاً . وان لم يكن معتبرا في تحقق الالهية لم يكن جزءاً من الاله ، فثبت فساد هذه الاقسام . فكان قول النصارى باطلاً (١) .

ويرد الامام الجوهري على عقيدة الحلول بقوله :

( ... ونقول لهم : اذا زعمتم أن الكلمة تندرج بالسيح وفسرتموه بالحلول قيل لكم : العلم السبي كلمة ، هل يفارق الجوهر أم لا ؟ فان زعموا انه يفارقه ، لزمهم فيه أن يقولوا : لم يكن للجوهر أقنوم العلم لما كان العلم متدرجا بالسيح وهذا مما يأبونه .

فان زعموا : أن أقنوم العلم لم يفارق الجوهر ، استحال مع ذلك حلوله في جسد السيح عيسى - عليه السلام - مع اختصاصه بالجوهر الاول . فانه يستنع حلول

عرض في جسم مع بقاء ذلك العرض في جسم آخر . فاذا امتنع ذلك في العرض فلان يستنع في ذلك - في الخاصة التي تنزله منزلة صفات النفس - أليس . ولو جاز أن تتحد الكلمة بالسيح لجاز أن يتحد الجوهر بالناسوت . ولا فصل في ذلك . وقد منعوا اتحاد الجوهر بالناسوت (٢) .

وامسا الامام ابن تيمية فقد رد على النصارى في عقيدة الحلول . من ذلك قوله :

( فان الحلول لا يعقل الا اذا كان الحال قائما بالسحل محتاجا اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض في الموصوفات والجواهر . أو أريد به حلول الاعيان . فان كون احد الجسمين محلا للآخر ، كحلول الطاء في الظرف - هو - يوجب افتقاره اليه . . . . .

واذا قالوا : ان الرب حل في السيح كما حل في غيره ، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم ، حيث قالوا : " أنت حل في قلوب القديسين " ، فقد عرف ان

هذا الحلول: الايمان به ومعرفته وهدهاء ونوره والتمثال العلوي . كما يسط في موضع اخر .  
ولهذا يسمى ظهورا . والشعاع الحال على الارض والهوا\* عرض قائم بذلك . وهو مفتقر  
الى الارض والهوا\* ( ١ ) .

ويرد الاسام القرطبي على هذه الدعوى بقوله :

( واما من قال بالحلول . فليس له محصول . ولا معقول . لان حقيقة  
الحلول انما هي : ان يحصل جسم أو متحيز في شي\* . أو على شي\* . فيسمى الحاصل  
حالا . والمحصول فيه : يسمى محلا . وتسمى النسبة بينهما : حلولا . وهو الذي  
يسميه النحوى مصدرا . هذا هو المفهوم من حقيقة الحلول .

وقد يتوسع فيه فيقال : حل العرض في محله . ومعناه صار المحل متصفا  
به وصار العرض قائما به وموجودا فيه .

فان أردت حقيقة الحلول كان محالا . فان العلم ليس بجسم ولا جوهر  
على ما مر . وان أردت الثاني : فهو محال ايضا . لانه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر  
ومقاوئه جاهلا . ويقوم عرض واحد بمحلين . في زمان واحد . ويلزم عليه انتقال الصفة  
من محل الى محل . وحدوثها الى انواع من المحالات . لا يهوى بها طاق . ومنتحلها  
احق جاهل . . . . .

ثم نقول لسبب بعد ذلك في قولهم بالاختلاط ، وانها صارا شيئا واحدا  
: لا يخلو ان حيث اختلطا - : اما ان يبقى العلم موجودا بحاله والجوهر موجودا  
بحاله . أو ينعدم أحدهما أو ينعدم معا . محال ان يبقيا موجودين بحالهما مع  
فرض الاختلاط وكونهما شيئا واحدا .

فان الواحد لا يعود اثنين الا بإضافة غيره اليه . وإذا أضيف غيره اليه  
ارتفعت الوحدة بالضرورة على ما تقدم في التثليث . وكذلك الاثنان لا يعودان واحدا  
الا اذا انعدم أحدهما . فترفع الاثنيتية بالضرورة .

ومحال ان ينعدم . فانه يعود الى عدم القديم . والى عدم ما هو موجود  
في حالة وجوده . فلم يبق الا أن ينعدم أحدهما دون الآخر . وذلك محال فان  
الوجود لا يخالط المعدوم ولا يمازجه . بل يبقى الواحد واحدا . وإذا بطلت هذه  
الاقسام الضعفة بطل الاقتراح والاختلاط وصير الاثنين واحدا على ما قاله

واما من قال : بأن الكلمة انقلبت لحط ود ط . فلقد ارتكب حماقة والتزم عسسى بلزمه عليه جواز عكس مذهبه . وهو ان ينقلب اللحم والدم ط ط . والقديم حادثا والحادث قديم الى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر عن من شد اطرافا من المعقولات . ولولا الحق والتقليدات ، لما وجد مثل هذا القوابح في كلام احد من المخلوقات ) . ( ١ )

وتجدر الاشارة الى ان هذه العقولة قد انتقلت الى الفرق المغالية من الرافضة الحلوية . وغيرهم .

وقد رد الاطام البغدادي على الذين تشرعت اليهم هذه العقيدة بقوله : ( ... وقول الحلوية باطل . لانا قد دللنا على أن الاله ليس من جنس الجواهر والاهراض ولانه قد ثبت عندنا أنه حي بلا روح فيستحيل وصفه بانتقال روح منه الى غيره . ولو كان العانع محدثا لافتقر الى محدث له . ولو كان محدثا ايضا محدثا لافتقر الى محدث ثالث . وهذا يتسلسل لا الى نهاية . وهو محال . وط ادى الى محال فهو محال . وضح باستحالة ذلك ووجوب كون العانع قديما ) ( ٢ )

وهكذا نجد في براهين العلما\* المسلمين ط يكفي لابطال عقيدة الحلول التي يدعيها النصاري .

والناظر في نصوص أهل الكتاب يجد ط يشير الى مناقضة هذه الدعوى التي يلتزم بها النصارى .

ففي رسائل اعطال الرسل . جا\* ط يلي :

ايها الرجال الاسرافيليون : اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وجايب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون ) . ( ٣ )

فهذا النص يثبت بوضوح شخصية عيسى عليه السلام البشرية وانه ليس بهاله بل هو مؤيد بالمعجزات من الله تعالى . اما ادعا\* المسيحيين بان الاله قدس حل فيه فان ذلك لا سهيل الى صحتة طلقا بل هو بهتان .

١ - الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام . ص ١٣٠ - ١٣١ ط دار التراث العربي .

٢ - أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ٧١ - ٧٢ ط ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ وهناك ادلة اخرى كثيرة جمع بعضها الزميل سعيد عقيل ونقل ارا\* العلما\* حول هذا الموضوع اهتماما على شرح المقاصد للتفتازاني . وهاكرا الافكار للادي . والتفسير الكبير للرازي . والشامل للجويني . انظر : رسائل اعطال الرسل واثرها في انحراف المسيحية ٤٦٥/٢ - ٤٧٤ رسائل اعطال الرسل ٢ : ٢٢ - ٣

والقرآن الكريم يعرض شخصية المسيح بوضوح ووضوح على بشرته بجلاء  
وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

( مَا الْمَسِيحُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا  
صِدْقُهُ كَانَسًا بِمَا كَلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) (١)

فهذا الانك هو الذي يعنى أبحار القاطنين على الله ما لا يعلمون من  
البهتان والافتراء وأنه حل بمهمسى ابن مريم .

وما جاء في الكتاب العزيز ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا  
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُنْتُ حَيًّا وَهَرَا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي  
جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ هُمُ ابْنُ مَرْيَمَ  
قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَخْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا  
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) (٢)

هذه كلها اشارات توضح بشرة همسى عليه السلام وأنه يسرى عليه ما  
يسرى على بقية البشر من احكام واعراض يشترك فيها مع غيره . ومن كانت هذه صفاته  
فمن المستحيل حلول الله تعالى فيه او غيره . فهو تعالى خزه عن الحد والكان  
أوالحيز . فليس الكمال المطلق .

١ - الطائفة : ٧٥

٢ - مريم : ٣٠-٣٦

٣ - التوبة : ٣٠

### ثالثا : الاتحاد

يعبر عن هذه العقيدة بمعبارة يردد ها المسيحيون فيقولون : اتحد اللاهوت بالناسوت . اى : اتحاد الذات الالهية بمعى ابن مريم . اما المقصود من هذا الاتحاد فهو يختلف باختلاف الفرق المسيحية المتعددة .

ولا بد من الاشارة الى ان هذه العقيدة قد أقرت في عام ٤٥١م وذلك حينما انعقد مجمع خلقيدونية (إن) أقرت الكنيسة تعبيرها للمعنى " الصحيح " لالهية المسيح . على انه من طبيعة الاب . وانه انسان بالمعنى الصحيح من نفس طبيعتنا نحن البشر . وقد تقرر هذا الاتحاد بين الالهية والانسانية اتحادا لا لبس فيه ولا تجزؤ ولا انقسام <sup>(١)</sup> كما يزعمون .

وتتضمن مذاهب الفرق المسيحية حول اتحاد اللاهوت بالناسوت وذلك على الشكل التالي :

(٢) قالت اليعقوبية : ان ( الاتحاد ) كان كاتحاد الطء يلقى في الخمر فيصيران شيئا واحدا .

(٣) وقالت النسطورية : كاتحاد الطء يلقى في الزيت فكل واحد شبه باق بحسبه

وقالت الطكيكية (٤) : كاتحاد النار في الصفيحة

١ - راجع في هذا الشأن : أسطورة تجسد الاله ص ٣

٢ - ( هم اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لان لباسه كان من خرق برادعي السدواب ( وهم يقولون ) ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين " احداها " طبيعة الناسوت والاخرى طبيعة اللاهوت . وان هاتين الطبيعتين تركبتا فصارا انسانا واحدا وجوهرا واحدا ) هداية الحيارى ص ٦٤١ وقد اطلق عليهم فيما بعد اسم ( الارثوذكس ) انظر اقايم النصارى ص ٦٧

٣ - ( نسبة الى ( نسطور ) أونستور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م . . ( وقد ذهب الى القول : بان مريم العذراء لم تلد الإلاه بل ولدت الانسان فقط . ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا لان الإلاه وهبه النعمة والنعمة فصار بمنزلة الابن . . . غير ان النسطوريين قد انحازوا في صورتهم الاخيرة الى الرأى القائل بانترجاج اللاهوت في الناسوت . اى الى القول بالطبيعتين ) الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١

٤ - ( وهم الروم نسبة الى دين الطك لا الى رجل يدعى لكانيا . ( يقولون ) ان الابن الازلي الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا كمائر اجساد الناس . وانه صار انسانا بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس . والها بجوهر اللاهوت كمثل ابيسه لم يزل . وهو انسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسى وداود . . . . وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين شئكة كاملة فله بلاهوته شئكة مثل الاب . . . وله بناسوته شئكة كشئكة ابراهيم . . ) هداية الحيارى ص ٦٤٠ وقد اطلق عليهم

وسوف استعرض - ان شاء الله تعالى - اقوال العظماء المسلمين في رد هم على هذه الادبآت بعد الاشارة الى ما أضافته الرهبانية المسيحية الى هذه العقيدة من زيادات .

فمما لا شك فيه أن هذا الاساس العقدي في شكله الاجمالي مأخوذ عن الادبائن الوضعية القديمة . وقد سارت الرهبانية في هذا الطريق ضاهاة لها . كما انها اتجهت الى القول بانحساب هذا الفهم على بقية البشر وادعت ان ذلك يتم عن طريق التبتل وفق مبادئ ونظم الرهبان .

فمن عرفهم أن الاشتراك في حياة الاله لن يتأتى الا عبر مراحل نسكية تقشفية أسبوها بالحياة الرهبانية أو الحياة المسيحية بصورة أهم .

وقد اشار عظماء التصوف المسيحي الى هذه العقيدة بقولهم :

( شأنا الجودة الالهية ان تشركنا - لا في حياة النفس الطبيعية فحسب - بل في الحياة فائقة الطبيعة . اى حياة النعمة التي هي اشتراك في الحياة الالهية نفسها . . . . . وما اننا أخذنا هذه الحياة بقوة استحقاقات سيدنا يسوع غير المتناهية أكمل غلاتها المثالية ، دعيت بكل صواب : الحياة المسيحية . . . . . وتكتل الحياة باقترابها من غايتها . فالكمال المطلق هو الحصول على هذه الغاية . وهذا ما لا يبلغ اليه الا في السماء . هناك تتلصق الله بالشاهدة الطماسة والحب النقي . وهناك تبلغ حياتنا من ازدهارها عندئذ نكون فعلا شباها ( اى اشياء ) بالله لاننا نراه كما هو . . . . . لاننا نحن أمثاله . لانا سنعاينه كما هو . اى على الارض فلا نستطيع ان نحصل الا على كمال نسبي باقترابنا دون انقطاع من هذا الاتحاد الداخلي بالله الذي يؤهلنا للشاهدة الطماسة ) . ( ٢ )

وفي هذا ايضا يقول أحد الرهبان :

( لهذا فالادب والفلسفة والعلم لا يمكنها ان تكشف الحقيقة المحجوبة وراء الكلمة الا لذاك الذي اتحد بالله واستنار بنوره ) . ( ٣ )

فيما بعد اسم ( الكاثوليك ) اقانيم النصارى ص ٦٧

وقد انقسمت الكنيسة بسبب هذا الاختلاف الى كنيستين : احدها ( الكنيسة الشرقية اليونانية ) يقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط . وكنيسة الروم الارثوذكسية . . . . . والشايخون لها أكثرهم في الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها .

وثانيهما : الكنيسة الغربية اللاتينية يقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط . وكنيسة روما والكنيسة الكاثوليكية . وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسيكية . . . . . والشايخون لها أكثرهم في الغرب . في بلاد ايطاليا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد اخرى ( الاسفار المقدسة . د . وفي ص ١١٨

١ - الفصل ٤٣-٤٤ ٢ - خلاصة التصوف المسيحي . أدولف تانكر . ت :

يوسف فرج ص ٧/١ ٣ - " نسيكات " اسحق السرياني . ت . اسحق ط الله

ص ١٠ - منشورات النور ببيروت ١٩٨٣ وراجع : الكرمل لألبير أبونا ص ٨ ط ١٩٧٨ بغداد

مقول آخر :

( ترتكز العبادة الالهية بجميع أقسامها على التأمل في الصفات الالهية فمن حيث ان الله هو الخير الاعظم الكلي الكمال . الذي هو أعلى من أن يقاس به شيء ينبغي ان يضطرم قلبنا بنار محبته الكلية الطهارة وان نبذل الجهد للاتحاد معه ) ( ١ )

ولقد سارت هذه العقيدة في عقول الرهبان والراهبات . ولكثرة مسا رددتها ألسنتهم فقد ظن القائلون بها انها حقيقة واقعية . فها هي سانت تيريزا الافيلية تقول :

( عندما كنت على وشك ان أكتب هذا ( لقد ) اتممت للتو . وكنت تحست تجربة هذه الصلاة منها تلك الصلاة التي أكتب عنها الان . كنت أفكر فيما تعطه الروح اثناء ذلك . عندما قال الرب هذه الكلمات لى :

( انها تموت في نفسها كلية - ايها الابنة - لتثبت نفسها أكثر وأكثر معي . انها لم تعد تلك التي كانت تحيا ولكنها أنا . وكما انها لا تستطيع ان تعي ما تفهمه فانها وهي لا يفهم ) ( ٢ )

١ - الخلاصة الشبهة - افلاطون موسكو ص ٤٤

٢ - التصوف طريقا وتجربا ونذها . د . محمد كمال ابراهيم جعفر ص ٢١٥ .

دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠

### \* ابطال عقيدة الاتحاد

تعقب العُلماء المسلمون أقوال الفرق المسيحية حول هذه العقيدة وكشفوا هوارها وناقشوا اصحابها مناقشة طيبة رصينة .  
وقد جاءت ريبودهم المعديدة متفقة فبط بينها - بصورة طامة - . وسوف  
استعرض نسوذا جا من هذه الادلة واطين اراة بقية العُلماة الاخرين في هذا المصاا .

يعترض الاطام القراني على القاظين بالاتحاد فيقول :

( والسؤال طيبهم : ( اى على اليعاقبة ) ان حقيقة اللاهوت والناسوت  
ان بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ، بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة . وان تغيرتا  
عن حالهما فهذه حقيقة أخرى لا "لاهوت" ولا "ناسوت" فلا تصفا المسيح - طيبه  
السلام - بانه إله . ولا انسان .

ويلزمهم ان القديم الاله صار محدثا . والمحدث صار قديما لضرورة  
اتحاد الحقيقة . وأن يصير الخالق مخلوقا . والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقة  
أو نقول : اللاهوت ، والناسوت إن بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان  
قطعا لا حقيقة واحدة . فلا اتحاد . وان ذهبت خصوصية كل واحد منهما بالضرورة  
لان الخصوصية للذات من ألزم اللوازم . فاذا اعدم اللزوم اعدم الطزوم . واذا ادمت  
الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة لان اتحاد الذاتين فرع وجودهما . والعدم نفى محض  
فلا اتحاد معه . فالاتحاد باطل جزما .

اما الرد على النسطورية : ( فالسؤال طيبهم ان : الطبيعتين  
ان كانتا في شخص واحد فذلك باطل . لان الطبيعتين لا تقوآن في محل واحد  
وان كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحسن . فان همس طيبه السلام كان شخصا  
واحدا . فيكون مذهبهم من قبيل السفطة . ومخالف الضروريات . وكفى بذلك بطلانا ) .

اما الطكمية : ( فالسؤال طيبهم ) ان نقول : قولكم  
الحقيقتان لم تتحدا . وانما حصل الاتحاد في الشخص . كلام غير معقول . فان الاتحاد  
ان اريد به الاتزاج فقد صارت الحقيقتان واحدة . وهو مذهب اليعاقبة . فعليك  
ط طيبهم . وان اريد ان الحقيقتين اجتمعا في شكل واحد ، فهذا هو الحلول لا الاتحاد



وهو محال . فان العالم يلزم ان يكون اصغر من جماعة من اليهود . فانه كان في اليهود من هو اعظم هيكلًا من المسيح عليه السلام . وهو كان سياحا قليل الغداة كثير الاسفار ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم . والحال اهدا اصغر من المحل فيكون ذلك اليهودى العميل البدن اعظم من المسيح الذى هو اعظم من الله تعالى وهو لا يقوله عاقل (١) :

هذا نموذج لحوار الملط\* المسلمين مع فرق النصارى المختلفة والقاطنة بالاتحاد .

أما ابطال هذه العقيدة بالصورة الاجالية فقد رد الملط\* على ذلك بادلة كثيرة . من ذلك :

أشار اليه الامام ابن تيمية حيث قال :

( قولهم ) اتحدت الكلمة به اتحادا برها من اختلاط او تغير أو استحالة : كلام متناقض ايضا فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحدا . فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرًا والناسوت جوهرًا آخر .

وان شئت قلت : كان هذا شيئا وهذا شيئا . أو هذا هينا قائمة بنفسها وهذا هينا قائمة بنفسها . فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا . أو صار الاثنان واحدا .

فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد . بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئا واحدا . فان كان هذا الواحد هو احدهما فلا غرر قد حصل وهذا عدم لاحدهما لا اتحاد .

وان كان هذا الذى صار واحدا ليس هو احدهما فلا بد من تغيرهما واستحالتهما . والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيتين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد .

فاذا قيل : اتحد اتحادا برها من اختلاط أو تغير . أو استحالة . كان هذا كلاما متناقضا ينقض نفسه بعضا . فان هذا انما يكون مع التعدد والباينة لا مع الاتحاد .

يوضح ذلك : انه اذا اتحد الم\* واللبن والم\* والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثا ليس م\* محضا ولا لبنا محضا . بل هو نوع ثالث وكل من الم\* واللبن قد استحال وتغير واخطط . واما اتحاد بدون ذلك ففيه عسر

١ - الاجوبة الفاخرة . للامام القرافى ص ١١٠ . وانظر في هذا الشأن ما اورد

الامام ابن حزم في الفصل ٤٢/١ - ٤٣ وكذلك قارن بما اورد الامام الرازى في تفسيره

٢١٠/٢١ وكتاب تهيد الاوائل للباقلاني ص ١٠٧-١٠٨

معقول . ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضوع وكثر اختلافهم وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله . ويقول هو قولا يكون مردودا . فكانت اقوالهم كلها باطلة مردودة . ان كانوا اشتركوا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة . ( ١ )

الاعلام القرطبي فقد ناقش النصارى من زاوية اخرى فهو يقول :

( واما من قال : ان الاتحاد هو ظهور وفيض ومظه بانطباع الصورة في المرأة . فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم صورة محسوسة بالبصر ويكون جسد المسيح صقلا تنطبع فيه صورة المقابلات وكل ذلك معدوم في سألتننا بالضرورة فتخيله فاسد وباطل بالضرورة . فكما لا تتمثل ذات الحياة والادراكات في المرأة كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح ثم ان جاز انطباع علم الله في جسد البشر فلم ينطبع في كل ما شبهه في الجسدية . . . واما التمثيل بنقش الخاتم بمعبود منحفر في الشمع والمنحفر في الخاتم يعود ناتقا في الشمع فذلك لا يتصور الا في الاجسام .

وان جاز في غير الاجسام فيلزم ان يكون كل واحد منهم - اعني - اللاهوت والناسوت يؤثر في الآخر . ويحل فيه ، فيكون الناسوت حل في اللاهوت وذلك محال عند كل فريق .

والامر الثاني : ان النقش في الخاتم يوضع مقلوب الكلمات . ثم تنطبع مستقيمة في الشمع . ولو وضعت في الخاتم مستقيمة لانطبعت في الشمع منعكسة . فيلزم على ساق هذا المثال : ان تنطبع الكلمة في الناسوت . اما بالاستقامة او بالعكس فان انطبعت فيه بالاستقامة فاقنوم الكلمة في الجوهر بالانعكاس .

وان انطبعت فيه بالانعكاس فلم تبقى الكلمة في الناسوت على حقيقتها فسي اللاهوت بل هي منعكسة فلا تبقى حقيقة العلم على ما كانت بل هي ليس بعلم وهذا كله ما يلزم على ارائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة . ( ٢ )

١ - الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/٢٦٧-٢٦٨ . وانظر ما اورده الامام الجويني في : الارشاد ص ٤٨

٢ - الاعلام للامام القرطبي ص ١٣١-١٣٢ - وانظر بقية الادلة في : النصيحة الايطانية ص ١٣٥ . منحة القريب المجيب ص ١٣٤ . أصول الدين للرازي ص ٥٠ والرد الجليل للفرزالي ص ٢٦٨-٢٦٩

أما صورة الاتحاد المزعومة التي أحدثتها الرهبانية عن طريق الادعاء  
ان الاتحاد ينسحب ايضاً على بقية البشر . فهذه المزاعم والتخيلات ان هي  
الا اضغاث احلام لا تمت الى واقع الحقيقة بعمل . بل هي اوهام يلقبها العقول  
الباطن على اولئك الذين أرهقوا انفسهم وارواحهم باعمال مجهدة للعقل والسير  
فتأتي هذه التخيلات وتلك الاوهام لتصور ما يدور في العقل الباطن على أنه حقيقة  
فتتخدع الحواس وتستسلم . لأنها في واقع امرها مرهقة ومتعبة كتعب اصحابها  
وسقمهم وخفة عقولهم .

ولقد تسببت هذه الاضاليل الى ما يمس بالتصوف الفلسفي المزعوم  
في الاسلام . . . ووجدت متسعا عند اصحاب الأهواء والمصالح والنزعات فاعتنقوا  
هذا القول البارد وأظهروه في ثوب قشيب لا تناعهم ومن يريد السير في طريقهم .

وكان فرض القساطين بالاتحاد هو : اسقاط التكاليف الشرعية عنهم وتجاوز  
الحدود طمعاً بمسعة دينية أو منصب كهنوتي يدبر طمهم اموالاً طائلة اوزامة  
فارقة .

وتحت هذا الستار تصبح المحظورات في حقهم مباحة . وعلى غيرهم  
محرمة فضلاً عن دعوى بلوغ القامات المقدسة التي تتم عبر الاتحاد المزعوم والذي من  
شأنه . حسب اعتقادهم . ان يعفيهم من العبادات بحجة انشغالهم به .

وهذا الاعتقاد كما اشرنا اليه من قبل هو ضاهاة للرهبان البراهمة  
فيها هو أحد هم يقول ( في اللحظة التي تتجلى أو تنبعث فيها المعرفة في نفسي  
حيث أصبح متحداً مع براهما لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة ) (١).

( وعند الغنوصيين عموماً : التأمل في الكائن الاطى يجعل الاممال  
الظاهرة سواء . لا نتيجة لها . وهذا هو الاصل في رفض كل الامور الشرعية والنواميس  
الخلقية حتى الوصايا العشر تصبح محقرة لان اتحاد الروح بالوحدانية العظمى ترفعه  
الى ما فوق الاشكال الدينية السعدودة ) (٢).

١ - العقيدة والشرعية في الاسلام : جولد زيهر ص ٣٥٤ ط ٢ - محمد يوسف موسى  
واخرون . دار الكتب الحديثة بمصر . ومكتبة الشئى ببغداد .

٢ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د . عرفان عبد الحميد فتاح . ص ١٨٠-١٨١  
المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٤ هـ

ويتضح من هذه الدعوى أنها مبنية على أساس قيام الحوادث في ( القديم  
تعمالي . وجمع للرب والمعبود في مرتبة واحدة . والفناء للمبتدئة المطلقة  
التي أقامها القرآن الكريم بين عالم الربوبية وعالم الخلق .  
وكل ذلك غرق لحدود الله تعالى وتجاوز على حرمانه وهتك لاستسار  
التنزيه ) . ( ١ )

يقول الامام ابن تيمية في وصف هذه الحالات الشاذة والفرعية  
على العقيدة الاسلامية .

( ولكن هذه الحال - حال الغيبة - تعتري كثيرا من السالكين . يغيب  
احدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات . وقد يسمون هذا فنا اصطلاما . وهذا  
فناء عن شهود تلك المخلوقات . لا أنسبها في نفسها فنيته . ومن هنا دخلت  
طائفة في الاتحاد والخلول . فأحد هم يذكرون الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله  
فيستغرق في ذلك فلا يبقى ذكر شهود لقلبه حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود  
هو الله ) . ( ٢ )

هذا الوهم وذاك الخيال هما من وحي العقائد الرهبانية  
التي تسربت الى تلك الفرق المغالية . والناظر في حقيقة المفاهيم الاسلامية  
وتعاليمها الصحيحة يدرك براءة الاسلام من الحق به زورا وهتانا تحسنت  
ستار الزهد والعبادة .

فالمعابدات الاسلامية كقيلة بما يصل العباد الى ما يرضي الله  
تعالى منهم دون اللجوء الى مبادئ غريبة .

يقول الحق تبارك وتعالى  
( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَرُوا  
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) . ( ٣ )

١ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٨٠-١٨١

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى للامام ابن تيمية ١٤٩/١ - ١٥٠ مكتبة انس بن مالك

١٤٠٠هـ

٣ - الانعام : ١٥٣

## الفصل الرابع :

أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس البشرية والزواج والمرأة  
والرد عليها .

لقد مر الحديث عن الاسس العقدية التي بنت الرهبانية عليها صرحها الفكري والعقلي والاخلاقي ، ومن الواجب القول ان هذا الصرح لم ينجز الا بعد اجيال متعاقبة تخللتها احداث ومنازعات وانقسامات كثيرة فرقت المسيحية الى فرق متعددة تتال كل واحدة من الأخرى للبقاء على عرش السلطة الكنسية .

ولقد استطاعت هذه العقائد الانحراف نحو ضعف خطير ظهر أشهره على السلوك المعطي للحياة المسيحية ككل ، وعلى الرهبانية على وجه الخصوص إذ صبغت هذه الحياة بالسلبية والجفاء ، ودعتها إلى نهد كل ما أياحه الله تعالى لعباده من الزينة والطيبات من الرزق . .

كما تطور الأمر يستكهن مجتمعات رهبانية أفرزت أجيالا من الرهبان ، دعت بأعدادها موقف الكنيسة تجاه خصومها . ، حتى إذا ما تسنى الأمر لهؤلاء بتسليم مقاليد السلطة وارثين بذلك الإمبراطورية الرومانية ، وجدوا زخارف الدنيا قد أعطيت بهم ، فاغترفوا منها ما وسعهم ، فافتروا وظلموا واستبدوا ، وتمت على أيديهم أبشع صور الطغيان الديني والدنيوي .

وقد رضي البابوات أن يسلطوا هذا الدور فكتبوا بذلك تاريخا حافلا بمداد أحمر نتيجة الجرائم البشعة التي ارتكبوها ، وسودوا صحائف أعمالهم بالمخالفات السيئة والمخالفات لتعاليم المسيح عليه السلام الصحيحة .  
كما خرجوا - حتى - عن تعاليم رهبانيتهم المتبعة غروجا تجاوز كل الحدود .

وقد وضمت الرهبانية الأطر العامة لحياتها وسلوكها الخاص وفق الأسس العقدية التي تم تحريرها وتزييفها ، وقد سنت قوانينها الديرية وفق نظرات ثلاث :

اولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية

ثانيا : النظرة الرهبانية الى الزواج

ثالثا : النظرة الرهبانية الى المرأة .

وسوف اتناول كل واحدة على حدة مبينا أثر الانحراف فيها .

أولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية :

عند الكلام على عقيدتي الصلب والفداء ، ظهر بوضوح مدى الارتباط الشديد بينهما وبين فكرة الخطيئة الأولى ، وعليه فإن نظرة الرهبانية الى الحياة تأخذ شكلا يوافق هذا الأساس العقدي .

فما زالت الحياة في نظرهم مليئة بالشور والآثام نتيجة الخطيئة الأولى التي أوحى بها سفر التكوين في الاصحاح الثالث . . . وما زالت مظاهرها الخادعة تعيق الوصول الى الغاية المنشودة : وهي الاتحاد بالسيح ، . . . فينبغي إذًا الإبتعاد عنها والهروب منها ، اتقاءً لشرها وتغاديًا لمواقبها الوخيمة ، وذلك تقربا من السيسح في السموات . . . !!!

وقد استغلت الرهبانية بعض النصوص الواردة في الاناجيل للدلالة على أن ما تختاره من سلوك انسط هو تابع من اساس شرعي لا مربة فيه ، علما بان التحريف الذي تسرب اليه العقيدة السيسحية تابع من تلك الاناجيل المزعومة ، فمن ذلك ما جاء في متى : ( حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فان من أراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لانه : ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ) (١) .

ومن قول بولس ( فان كنتم قد قتم مع السيسح فاطلبوا ما فوق حيث السيسح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض ) (٢) .

وقول متى ( وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو اخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية ) (٣) .

ومن قول لوقا :  
( ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذا ) (٤) .

وان اقسى نص جاء في هذا الصدد مما ورد في لوقا ( ان كان أحد يأتي إلي ولا يهجر أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا ) (٥) .

١ - متى ١٦ : ٢٤-٢٧

٢ - كولوسي ٣ : ١

٣ - متى ١٩ : ٢٩

٤ - لوقا ١٤ : ٢٧

٥ - لوقا ١٤ : ٢٦

واتباطا لما جاء في لوقا آنفساً فقد ضمن الرهبان في معاملة الأهل والأقارب حتى أقرب الناس إليهم ، فهذا اسحق السرياني أحد أبرز الرهبان القديس يقول في نساياته :

( خير لك ان تشرب سوطاً من أن تأكل مع امرأة وأن كانت أمك وأختك خير لك ان تسكن مع اثنين من أن تنام مع شاب حتى لو كان أخاك في الجسد ) (١) .

وهكذا تصبح الحياة في نظر الرهبان تعسة ، وهكذا يجب التخلي عن كل ما يستأثر به الدنيا بعمله ، وترك مشاكلها والانعزال عن الناس وقطع العلة بالأقارب والأهل والإعتكاف واتخاذ حياة التبتل . تقول إحدى فقرات القوانين الديرية :

( ينبغي للمجاهد أن يستبعد عن كل اعتلاء ولو من الخبز والماء وأن يجمع عقله في صلاته ليكمل قربانه الروحاني ويتذكر خطايا دأبه ويحزن عليها وليكن كل ما يعمل به يقوله من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس وأن يتفقد تدهيره دأبه لكي لا تكون سكناه في البرية غير مذنب الرهينة فإنه قد سكن البرية كثير من اللصوص وهي مأوى للوحوش والطيور الموحية أما الراهب فإنه يسكنها هرباً من سجن العالم الذي يشغله عن عبادة الله الثابت ) (٢) .

هذه النظرة القاتمة للحياة نابعة من السنج العام الذي يربط قلوب الرهبان بأسس لم تكن في يوم من الأيام من سنج عيسى عليه السلام ولا من جادى دعوته إذ كان عليه السلام يحارب الإنفاس في الظلام والشهوات التي وقع فيها بنو اسرائيل وعادى فيهم قسوة قلوبهم المتحجرة ، فاستكلمته بالروحانية فكانت أدعى إلى لين القلوب وترقيتها ، لا لكبتها وتزويقها .

أما السنج الذي ارتضته الرهبانية لنفسها فقد بنته على قاعدة تصور سواد الدنيا في حين نازرها ما أدى إلى انعكاس هذا السواد على جميع شاعر الرهبان وسلوكهم وفكرهم وحصرها في هذه الدائرة الضيقة ، وكان الأجدر بها التوسط لا الغلو .

ولا شك أن هذا الغلو قد نتج عنه عواقب وخيمة أظلمت وضعف وهزال بنيت

---

١ - كتاب " نسايات " لاسحق السرياني ص ٤٣

٢ - مستاني الرهبان ، لآباء الكنيسة القبطية ص ١٢٩ ، الطبعة الثانية

تنقيح : لجنة التحرير والنشر ببطرانية بني سويف والبهنما ، مصر

القائمين على مبادئ\* الرهبنة . مما يؤدى في نهاية المطاف الى افاقة كل تقدم بنا\* في ركب الحضارة والرقى .

وهذا ما حصل بالفعل في أوروبا العصور الوسطى . ومن أجل ذلك قامت الثورات فيط بعدد ضد الكنيسة منادية بالاصلاح كمرأ لهذا الجمود والقمشل .

كما ان هذه النظرة تؤدى الى احداث خلل في بنية المجتمع ككل . مما يجعله والحالة هذه في شلل تام فضلا عن تفكك عرى العلاقات بين افراد الامة . لان دعوى الانعزال عن الناس فيها حجب العنصر الايجابى المعطاء\* في النفس البشرية وابقاف الوظيفة التي خلقت من اجلها . الا وهي عارة الارض . وتعطيل هذا السبداً يؤدى الى حرمان المجتمع من ثرة التعاون والتراحم والتآخي الذى وهبه الله تعالى لبني البشر .

كما ان الركود يزيء من مشاكل الحياة وهوومها ويلغها بالحزن والكآبة وسوف يظهر ذلك بوضوح في الفصول القادمة ان شاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : نرى الاسلام يضع تصوره للكون والحياة وفق ضهج متوازن متكامل يتسم بالحكمة والدقة المتناهية في جميع المجالات . ليعطى الانسان دفعة قوية تمكنه من الجمع بين خسرى الدنيا والاخرة وذلك وفق تعاليم ربانية ثابتة لا خلل فيها . فلا افراط ولا تفريط .

فهو يعلمنا ( أن الروح لا تسموعن طريق سحق الجسد ، وان الفرائض الانسانية ليست مفضورة على الشر ، فلا يجب وأد ها . وانما يجب السيطرة عليها بحكمة وضبط سارها وتوظيفها في الافراض التي تجعل حياة المرء ثرية فاضلة . و ( أن ) هذا العالم لم يخلق سدى ( ان ) ان له مغزى وهدفا . ويجب على الانسان ان يحيا حياة طبيعية طيبة في هذا العالم وان يقدر أنعم الله ويستمتع بما اتاه الله . وكذلك يتقرب اليه ويعمل لخدمة أقرانه ويعد نفسه للاخرة ( ١ ) .

والاسلام يحض على الاعتدال في كل الامور ويدعو الى التوسط في كل شئ\* ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) . ( ٢ )

١ - الاسلام والسيحية : ألقت عزيز الصد ص ١٠٨-١٠٩

٢ - البقرة : ١٤٣



وقد طالج الاسلام وظائف الانسان العامة في هذه الحياة بحكمة ودراية  
كما عمل على تربية الروح والعقل والجسد وحدد وظائف كل طاقة منها . وأعطى الجرعات  
المناسبة لغذائها ونشاطها . ( ١ )

ومن النفحات الطيبة التي يشيعها الاسلام في النفس البشرية ط جاء في  
قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَعْتِدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ) ( ٢ )

ويقول تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ  
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفَصِّلُ  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) . ( ٣ )

ويقول ايضا ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَاطْنَاَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ  
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) . ( ٤ )

بهذه الروح المنفتحة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهله تصبح الحياة  
في نظر المؤمنين زاخرة طامرة بكل ما يفيد الانسان ديناً ودنياً وآخره . .

اما دعوى الانعزال بحجة عدم الانشغال بالدنيا فحجة قاصرة . وهي  
نظرة الى الحياة بعين واحدة . وما على اولئك الغافلين الا ان يحاولوا ازالة  
الغشاوة عن الاخرى ليسروا الحياة على حقيقتها كما يعيشها المسلمون العاظمون  
المخلصون لربهم .

١ - راجع في هذا الصدد : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب . ١٩/١ وذلك  
للقوف على خصائص المنهج الاسلامي في تربية الروح والعقل والجسد .

٢ - الطائفة : ٨٧-٨٨

٣ - الاعراف : ٣٢      ٤ - الاسراء : ٧٠

- ثانيا : نظرة الرهبانية الى الزواج :

انطلاقا من المفهوم السابق عن الحياة والنفس البشرية ، فقد التمت

الكنيسة من الاناجيل نصوصا تفضل العزوبة على الزواج ،، فتركت هذه الوظيفة السامة تركا كليا تفرقا لعمل القلب وعدم انشغاله عن المسيح كما يهدي الرهبان .

وربطا كانت نصوص العهد القديم الدائمة الى الزواج والتكاثر والانجاب أدعى لحيرة عقول المسيحيين على اعتبار أن تاريخ اليهود وتعاليمهم هي جذور للتاريخ المسيحي وتعاليمه .

فمن نصوص العهد القديم ما جاء في سفر التكوين قوله :

( فخلق الله الانسان على صورته وعلى صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم مباركهم الله وقال لهم أشعروا واكثروا وملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض )<sup>(١)</sup> .

وقوله ( وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره ) .<sup>(٢)</sup>

ولن يتعرض البحث لقصص العهد القديم وما حفل به من أخبار زواج بني اسرائيل وانبيائهم وتناسلهم عبر التاريخ فهي أكثر من أن تحصى .

ولقد تناسل المسيحيون هذه القضايا في زحمة النصوص التي تصيد لها اصحاب البدع للنيل من التعاليم الحقة التي امر بها المسيح كما تناسلت الكنيسة تحت المسيح على الزواج وأنه قد حضر عرسا في قرية قانا<sup>(٣)</sup> . وأن حضوره هذا دليل عظمي على اعترافه بالزواج والا فإنه مخالف لما أمر به وهو تناقض واضح .

الا أن العامل الحاسم في اقرار المسيحيين للتبطل يعود الى البذور القوية التي وضعها بولس في رسالته ، فالناظر فيها وتحديدًا في رسالته الى أهسسل كورنثوس الاولى يقول ( وأما من جهة الأمور التي كتيبت لي عنها فحسن للرجس ان لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراة ويمكن لكل واحد أن يتركها

وفي موضع آخر يقول :

( ولكن أقول لكم المتزوجين ولا تارمل انه حسن لهم اذا لبثوا كما اننا

١ - سفر التكوين ١ : ٢٧ - ٢٨

٢ - سفر التكوين ٢ : ١٨

٣ - راجع انجيل يوحنا ١ : ٢ وما بعده ، وقانا هذه في الجليل تبعه عن الناصرة  
١٣ كلسو قرا ، راجع في ذلك سيرة المسيح وتعاليمه ، د نيس كلارك ص ٤٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩

ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليمتزوجوا لان التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقت فلتبث غير متزوجة أو لتتصلح رجلها ولا يترك الرجل امرأته .

أما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه السرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للانسان أن يكون هكذا :

أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك ان تزوجت لم تخطئ\* وأن تزوجت العذراء لم تخطئ\* ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد وأما أنا فأني أشفق عليكم فأقول هذا أيها الاخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذي لهم نساء\* كأن ليس لهم ، والذين سيكون كأنهم لا يكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشتركون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول .

فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ط للرب ، كيف يرضي السرب وأما المتزوج فيهتم في ط للعالم كيف يرضي أسرأته .

ان بين الزوجة والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهتم في ط للرب لتكنون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم في ط للعالم كيف ترضي رجلها (١) .

هذا النص المضطرب والمغل ، يجعل القارىء في حيرة من أمر بولس ففي بدايته يقرر أن من الحسن الالتزام بالتبطل ويدعو المسيحيين أن يكونوا مثله دون زواج وفي وسط النص يستدح الزواج ويقر بأنه خير من التحرق . وصحيح أنه فصل الحالات المختلفة وأعطى نصائح الخاصة إزاءها إلا أن التردد بشأن الزواج وعدمه بدا واضحاً على دعوته .

وقد حلل د . شعلان نفسية بولس بعد دراسة مستفيضة حول تردده وما اعتراه من اضطراب في هذا النص وخرج بنتيجة مفادها ان بولس ( دخل في المسيحية لغاية معددة وفكر معين يريد تنفيذه تلك الغاية لكن بذلك وحيلة ، انه لا يريد ان تكون معارضته لما استقر في أذهان الناس من قول المسيح بشأن الزواج معارضة صريحة وقاطعة بل يريد أن يكون متفقاً في بعض الاحيان غير متفق في أحيان كثيرة أخرى حتى لا يتهتم بأنه مبطل لشريعة المسيح . . . ومهما يكن من أمر فان دعوة

بولس هذه بجانب طلب المسيح من أحد أتباعه أن يبيع أملاكه ويتخلص من كل شيء\*  
ويجيئ\* فيتبعه هذه الدعوة كانت فيط بعدد الاساس الأول الذي إحتد عليه معتنقو  
فكرة الرهينة (١).

الا أن الأثر الذي أحدثته دعوة بولس كان لها انعكاس على سائر رجال  
الكنيسة فيط بعدد ، فها هو ترتوليان وهو من كبار رجال الكنيسة المسيحية (١٦٠-  
٢٤٠) م يطلق دعوة بولس ويشرح ما رى اليه من التبطل في نصيحته فيقول :  
( ان الأفضل من حالتين لا يلزم ان يكون خيرا في ذاته ، فلان يفسد  
الانسان حيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتيه منه . ولكن فقد عين واحدة ليس  
من الخير في شيء\* فكذلك الزواج : فهو : لمن لم يتوطى العفة أفضل من ان يحرق  
بنار جهنم ولكن الخير أن يتقى الانسان الأمرين معا : فلا يتزوج ولا يحرق نفسه  
لعذاب النار وان قصارى ما يحققه الزواج انه يحصم الفرد من الخطيئة على حين  
ان التبطل يروض المرء على اعمال القديسين وبذلك له السبيل الى منزلة الاشراق  
ويصح له أن يأتي بالمعجزات (٢).

ومع مرور الوقت بات من الضروري بالنسبة للكنيسة وضع ترتيبات معينة  
لتنظيم أمور القس والرهبان ففي القرون الثلاثة الأولى لم يكن يطلب الى القس  
ان يظل عزبا ( ان ) كان في مقدوره ان يحتفظ بزوجه اذا كان قد تزوج بها قبل  
رسامته ،

ولكنه لم يكن يجوز له أن يتزوج بعد أن يلبس الشياح الكهنوتية  
ولم يكن ( كذلك ) يجوز لرجل تزوج باثنتين أو أرطبة أو طلق زوجته  
أو اتخذ له غليظة أن يصبح قسيسا (٣)

الا ان المكوف على نصوص بولس أدت ببعضهم الى استنتاج أن ( كل  
اتصال بين الجنسين خطيئة ، ولذلك كانوا يعارضون في الزواج بوجه عام ، وتمتلك  
سماحهم من الهلع اذا سمعوا ان قسا تزوج وقد اطن مجلس جنجرا ( Gengra )  
الديني ( حوالي ٣٦٢ ) ان هذه الاراء لا تتفق مع الدين ولكن الكنيسة مع ذلك  
ظلت تطالب قساوستها وتطع عليهم الحاحا متزايدا أن يظلوا بلا زواج (٤)

- ١ - نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام . د . محمود عبد المسيح الشعلان  
١ : ١٧٢ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م
- ٢ - كتاب : بحوث في الاسلام والاجتماع . علي عبد الواحد وآني ص ٢٧١  
ومقاله عن موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبة في مجلة الازهر  
عدد محرم ١٣٧٩ هـ .
- ٣ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ٩٣-٩٤
- ٤ - المصدر السابق .

وطى الرغم من مراقبة الكنيسة لرجالها فان هذه القيود لم تنسح  
من انتشار الزنا والفاحشة بين رجال الكهنوت الذين أمكن لهم استغلال النصوص  
لمصلحتهم وقد أدى ذلك إلى انحطاط مكانة القس في أعين الشعب ، ولهذا  
فان مجمعا مقدسا عقد في عام ٣٨٦ م أشار على رجال الدين بالعفة المطلقة  
وبعد عام من ذلك الوقت أمر البابا سيرسيوس ( *Siricius* ) بتجريد  
كل قس يتزوج أو يبقى مع زوجته التي تزوج بها من قبل وأيد جبروم وأمبروز وأفسطين  
هذا المرسوم بقواتهم الثلاثة (١).

هناك طية فإن الكثير من فقهاء الكنيسة المسيحية ينظر إلى ( هذه الحقائق  
على أنها من الأمور السليسة في الدين بالضرورة أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك  
فيها حتى أن مجمع ( ميولانس *Mediolanense* ) المسيحي قد حكم في  
أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب " جوفينيان *Jo Vemien* ) " بالطرد  
من الكنيسة لأنه طرض المبدأ المسيحي الذى يقرر أن التبطل خير من الزواج (٢)  
وتجد الإشارة إلى أن فرقة ( المارسيونيين *Marcionies* ) وهي  
فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون ( ذهبت ) إلى ما هو أبعد من ذلك فحرمت  
الزواج تحريما باتا على جميع افراد نطقتها كما فعلت فرقة الحسيديين مسن  
اليهود ( الاسينيين ) وأوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور  
والاناث أن يفترق عن زوجه وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .  
ومع أن الفرق المسيحية الباقية إلى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب  
فان نظرة المسيحية إلى التبطل على أنه الحالة المثلى وإلى الزواج على أنه مجرد  
ضرورة قد أدت بالتدريج إلى نظام المعزوة المفروض على الرهبان وطى القسيسين  
في المذهب الكاثوليكي (٣).

الا أن هذا المذهب والجزر وعدم الاستقرار على قانون قاطع أرفم القائلين  
بعدم زواج الرهبان إلى عقد مجمع لهذا الغرض ، ففي ( أوائل القرن الرابع  
الميلادى أصدر مجمع الفيرا *Elvira* ) في اسبانيا قرارا بتحريم الزواج والابتعاد  
عن كل شهوات الجسد على كبار رجال الكنيسة .  
وفي أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجوار السابع أمراً بوجوب

١ - قصة الحضارة ١/ ٤ : ٩٤ ، وكان سيرسيوس هذا أول من وضع قانونا بوجوب  
المعزوة فيما بعد انظر : الزواج ، عمر رضا كحالة ١ : ٣٧ مؤسسة الرسالة ط ٣

١٩٨٤ هـ - ١٤٠٤

٢ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٨٤ ٣ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام  
من المعزوة ص ٣٣-٣٤

المعزوية ، على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسي ، ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية ، فإنه لم يكسب ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاماً مقراً في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة والرهبان والراهبات من النساء<sup>(١)</sup> .

وقد أسفرت هذه القرارات عن اضرار جسيمة ، وظل عميق في مفهوم المسيحيين للزواج وأهدافه . فالتحلل الخلقي والفساد الاجتماعي الذي وقع فيه القسوس والرهبان كان في جانب كبير منه يرجع الى عدم السماح لهم بالزواج وهذا ما دعا مارتن لوتر زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي الى الثورة على الكنيسة ( وكان لوتر قد نذر نفسه لله ولم يتزوج . ولم يكف بأنه عاد فتزوج ، بل تزوج راهبة كانت تاذرة نفسها لله مثله )<sup>(٢)</sup> .

وكان اسم هذه الراهبة كاترينا وقد قال لوتر في ذلك ( قد عزمت على رغم اعدائي ان أتزوج راهبة لعلوا أنهم لم يفلحوا )<sup>(٣)</sup> .

وقد وجهت انتقادات كثيرة الى قرارات حظر الزواج على الرهبان خاصة في الغرب ، كذلك الامر بالنسبة للشرق .

ان تلاشت قرارات البابا سريسيوس جيلاً بعد جيل فكانت حياتها قصيرة الاجل . اما ما جاء بعده من قرارات فقد تبنت البروتستانتيه مقاومتها<sup>(٤)</sup> .

يقول أفلاطون طران موسكو : ان الكنيسة الارثوذكسية لا تفرض البتولية على السومع على الكهنوت ( ف البتولية حاجة متى كانت عن رضى واختيار لا عن الزام واجبار وهذا هو المراد بقول يسوع المسيح ) انه يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات ( متى ١٩ : ١٢ ، لذلك كان فرض عدم الزواج على الكليروس مخالفا لقوانين الكنيسة وطاداتها كما هو ضار للطبيعة الانسانية )<sup>(٥)</sup> .

هذا الاعتراف شاهد على العنت والمعاناة التي شهد لها المجتمع المسيحي من جراء القيود المفروضة عليه والتي انعكست آثارها السلبية على افراد . ليس فقط على الرهبان وحدهم بل على الافراد العاديين وقد رسم الاستاذ محمد قطب بعضاً من هذه المعاناة التي يعيشها المسيحي العادي في مجتمعه وفق الصورة التالية :

- ١ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من المعزوية ص ٢٠٤
- ٢ - محاضرات في النصرانية لابي زهرة ص ٢١٦ - د : نفاق اليهود ، مارتن لوتر . ت : عجاج نوبهض ص ٤٤ دار الفكر : ط ١ ، ١٣٩٤ هـ - ٣٠ - تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر ، للعلامة " ميل دوينيه " . ت : ابراهيم الحوراني ص ٤٧٦ ، منشورات مكتبة الشعل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م .
- ٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ٩٤
- وقد أدان لوتر المعزوية وألف كتاباً عن ابطال الرهبانية ، راجع : تاريخ الإصلاح ص ٣٦٩ و ٢١٠
- ٥ - الخلاصة الشبهية ص ١٣٩

(ولكن بقية الشعب السحبي يتزوج على أي حال ، ولا يأخذ نفسه بالرهينة ولا ينقطع عن شهوات الحياة ، فهل تنتهي المشكلة عند هم بالسرّاج ؟ كلا إن الصبي الذي ينشأ في جو العقيدة السحبية ، ينشأ وفي نفسه عقيد تستنكر الجنس وتستقذره وذلك من وحي الاشعاعات الدينية التي يلقبها اليه رجال الدين والكتب المقدسة ويطلقها من أبيه ومن مدرسه ومن كتب النصائح والتحذيرات فإذا كبر هذا الصبي ووصل الى سن المراهقة فالبلوغ ، فهناك الأزمة العنيفة التي يصطدم بها على غير انتظار . هناك الدفعة الجارفة التي تنادي به أنا ، الليل وأطراف النهار : أن أقبل واستجب ، واستمتع بتلك اللذة العارمة التي تثبت في أطوار جسدك ، وفي الجانب الآخر ذلك السيف الحليست أو ذلك السوط المرتفع في الفضاء يهدد تهديداً لا ينقطع ويكاد يهوى على ظهر ذلك المراهق السكين بل هو يهوى على طيه فعلا بين الحين والحين تسكبه يد خفيه لا تبين ، يتخيل أنسها يد الله أو يد القسيس أو يد الوالد أو المدرس أو من يكون من صور الرادعين والزاجرين عند ذلك يبدأ الصراع ثم لا يكف ابداً .

ندفعة الجسد متجددة لا تنقطع وأبحاث الدين التي تصور الجنس ونساق وقذارة تلك الأبحاث التي ترسبت في نفس الفتى وهو طفل صغير تظلم هي الأخرى متجددة لا تنقطع ومن هذا الصراع تنشأ كما أسلفنا العقد النفسية والاضطرابات العصبية التي تترك أثراً لا يسحوه بعد ذلك أن يتزوج هذا الفتى أو الفتاة في قبال الأيام بل أثبت الطب والتحليل النفسي أن كثيرا من أسباب الشقاء الزوجي يرجع أصله الى عقد الصبا والمراهقة وأن الزواج لم يحلها بل كبرها كما يكبر المجهر النقطة الصغيرة . ( ١ )

هذه هي الصورة المزرية التي يعيش في كنفها الانسان المعادي في الوسط السحبي ، فكيف يعيش الرهبان ، لا شك أن التعاسة والكآبة تأخذ حيزا كبيرا وأضخم ما تأخذ من أي إنسان آخر . ولن أتعرض الآن للصورة المشرقة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهلها فذاك سيكون الحديث عنه بعد استعراض موقف الرهبانية ونظرتها الى المرأة . كي تستكمل الصورة التي يراها الرهبان بالنسبة للنساء .

١- الانسان بين الطادية والاسلام ، محمد قطب ،

### ثالثا : نظرة الرهبانية الى المرأة

الدعوة السحوية التي أطلقها بولس شتتت بها أفكار المسيحيين ، ،  
وانعكست سلبا على أوضاع الرهبان والمسيحيين أجمعين ، إذ أضى الزواج  
في عرقهم بؤرة للسلبية وغشاها للدنس والخطيئة .

وتبعاً لذلك إنعكس الوضع على موقف رجال الكهنوت من المرأة ، التي  
راحت ضحية لتعاليم بولس ومن لف لفه .

لقد صب بولس جام غضبه على المرأة ، طحدا برجال الكهنوت الى أن غند  
كلامه بشي\* من التقديس والإحرام ، فهو يقول بشأنها :

( ولكنني أخاف انه كما خدعت الحية حواء\* بكرها هكذا تفسد اذ هانكم  
(١)

عن البساطة التي في المسيح ) (١) ولكنه لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل

تكون في سكوت لان آدم جبل أولا ثم حواء\* وآدم لم يغو ولكن المرأة أغيبت فحصلت  
(٢)

في التعدي ) .

فاصرار بولس على ترديد تهمة الخطيئة كانت سببا رئيسيا لاهل\* شأن  
البتولية على الزواج في الشريعة المسيحية . (٣)

هذا ما تستقت عنه قريحة بولس وهذا ما بشر به من تعاليم ضد المرأة  
فقد حطها إثم الغواية. وألحق بها جرم التعدي ولهذا نراه فيط بعد يتخذ قرارات  
بشأنها تلزمها بالصمت والخضوع ومن ذلك قوله ( لتصت نساؤكم في الكنائس لأنه  
ليس ما ذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن أن كن يردن  
أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء\* أن تتكلم في الكنيسة )  
(٤)

وقوله في موضع آخر ( أيها النساء\* اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل  
هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع  
الكنيسة للمسيح كذلك النساء\* لرجالهن في كل شي\* ، أيها الرجال احبوا نساؤكم  
كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لجلها . . . )  
(٥)

١ - رسالة بولس الى أهل كورنثوس ١١ : ٣

٢ - ١ تيموثاوس ٢ : ١٢-١٤

٣ - انظر : نظام الزواج في اليهودية والمسيحية د . محمد شكرى سرور ص ٦٦ ، دار  
الفكر العربي بمصر ط ١٩٧٩-٧٨ م وقارن مع : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ص ٢٠٤

٤ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٤-٣٥ ٥ - افسس ٥ : ٢٢-٢٥



ولكن ماذا ينتفع الحب في هذه الحالة بعد أن وصمها بالفجائية وقبول الخداع ، وماذا ينتفع الحب بعد أن وجه اليها تهمة التعدى . وكيف ستكون نظرة الرجل اليها بعد زعزعة الثقة بها .

ولا أدل على ذلك من موقف رجال الكنيسة الذين تتبعوا خطأ بولس فمن ذلك ما قاله القديس يوحنا الدمشقي ( المرأة أخت الخديعة وحارس الجحيم وهدم السلام ، بسببها طرد آدم من الجنة ...

وقال القديس سبريان :

المرأة هي الأداة التي يستخد بها الشيطان للسيطرة على أرواحنا .

وقول القديس أنطون :

المرأة هي منبع سلاح الشيطان وصوتها فصيح الأنقى ( ١ ) وقد بحث مجمع ماكون ٥٨١ م فيما إذا كان للمرأة نفس وهل تعد من البشر ( ٢ )

هذه الأقوال جعلت موقف المرأة يهتز أمام المجتمع المسيحي الذي ظل الى قبل الثورة الصناعية عرضة للطعن والشتم فضلا عن اعتبارها قطعة من اثاث المنزل يحق لزوجها بيعها وشراؤها متى شاء .

اما الاسلام فإنه لم يلجأ الى هذا الموقف المعادى منها ولم يتخذ قرارات ضدها ولم يتعرض لمكانتها ولم يصمها بالفجائية والفساد . ففي قصة آدم طيبه السلام لم يكن اللوم منصبا عليها وحدها ، وفي ذلك يعرض القرآن الكريم موقفه الواضح حيث يقول الحق تبارك وتعالى ( فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظلمون فيها ولا تضغن ، فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومليك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءا فطعنا فبعضنا طعنا من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ( ٣ )

وهكذا يكون الأكل قد وقع منها وان الفجائية لم تحقق بداية بالمرأة كما هي الحال في سفر التكوين ، كما تظهر الفارقة فسي ان الوسوسة كانت لآدم في حين ان العهد القديم يلقي اللوم على المرأة بالفجائية .

وطيبه فان الاسلام قد كرم المرأة واعطاها حقوقها التامة في وقت كانت اوضاعها العزيرة في مقام لا تحمد عليه . وقد حرص الاسلام على صلاحيتها واعتبرها دعامه أساسية في عملية التربية والتوجيه ، وحض على اعتبارها مساهمة للرجل في انسانيتها ومن حيث كونها مخلوقة من نفس واحدة قال تعالى : ( يا ايها

١ - الاسلام والمسيحية ص ١٨ - ١٢٠ ٢ - بعد جدال طويل عنيف كان الجواب ان لها نفسا وانها بشر ولكنه كان بأكثرية قليلة وان كانت الفكرة الخالية طيبهم ان المرأة خالية من الروح الناجية ما هذا السيدة مريم ) : المرأة في الشعر الجاهلي . د . احمد محمد الحوفي ص ٣٤ - ٤٢ ط ٢ دار الفكر العربي مطبعة المدني .

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما  
رجالا كثيرا ونساء ( ١ )

وقد أعطاها حقوقها الطلية وحرية التصرف بطمكيتها الخاصة ولم يفرض  
عليها قيودا تنزل من مكانتها ( ولهن مثل الذي طيهن بالمعروف وللرجال  
عليهن درجة ) ( ٢ ) . وذلك للمساواة الأبتاعية التي يتحفظها الرجال تجاه  
الاتفاق وتدبير الشؤون العامة . ولقوله تعالى ( الرجال قوامون على النساء  
بط فضل الله بعضهم على بعض وما اتفقوا من أموالهم ) ( ٣ )

كل ذلك كان ضمن توجيهات تحمي المرأة من الوقوع في المخاطر . وقد  
حصنها وذلك بترهية نوازع الخير فيها . وهدبها بتعاليمه السمحة ، كطوجه  
الرجال للمحافظة عليها والعناية بأمرها ومعالجتها معاملة قائمة على الود والاحترام  
ودعا الى تعليمها وتثقيفها ثقافة طيق بوضعها كام واخت زوجة وابنة ( ٤ )

وهكذا يتضح الفرق بين نظرة الاسلام إليها وبين نظرة الرهبانية وموقفها  
منها .

بعد فهذه هي الأسس التي بنت عليها الرهبانية نظرتها  
الى الحياة والنفس البشرية والزواج والمرأة .

وماستقرأ الأسباب التي أدت الى اتخاذ مثل هذه المواقف  
يمكن حصرها بالاتي :

- اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها .
- ثانيا : نظرة الرهبان الى حياة المسيح الخاصة
- ثالثا : نظرة الرهبان الى الاضطهادات والحروب التي ألمت بهم .

وسيتتبع البحث كل أثر على حدة للموقف على الزايق التسي  
وقعت فيها الرهبانية .

١ - النساء : ١

٢ - البقرة : ٢٢٨

٣ - النساء : ٣٤

٤ - يراجع في هذا الصدد السور والايات على النحو التالي : النساء : ٣٢

السرور : ٢١ ، التوبة : ٧١ ، النحل : ٩٧ ، الاحزاب : ٣٥

الى غيرها من السور والايات . ولا ننسى الاحاديث الكثيرة الواردة في كتب  
السنة والتي أمرت بتكرهم المرأة ومعالجتها معاملة لائقة .

اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها

ان الاسس العقديّة للرهبانية المسيحية امتازت بقابلية غريبة احتوت واجتذبت بموجبها مبادئ وطرقا شتى يمكن وصفها بالتلون والقدرة على معايشة الآراء التاليفية .

وصحيح أن الرهبانية بدعة نبت وترعرعت داخل الجبظات الأولى التي تلت عهد الحواريين ، إلا أن هذه البدعة لم تكن لتتفاقم لولا المؤثرات الخارجية الأخرى التي باركت هذا النمو وعلت على رباطه ونمائه .

فما إن حل القرن الثالث الميلادي حتى غدت الرهبانية هذه قائمة على سوقها تنهل مبادئها وقوانينها من انظمة الرهينة السابقة عليها .

وقد تعرض البحث في الأبواب السابقة لمبادئ الرهينة البدائية عبر التاريخ المسحق ابتداءً من المصرية مروراً بالهندية ووصولاً الى اليهودية التي كان لها دور بارز في مد الرهبانية بالنظريات والأطر الجاهزة فكانت بحق تمثل صلة الوصل ما بين رهينة الاديان الوضعية ورهبانية النصارى .

وهقر الكتّاب المسيحيون بهذه الصلة التي تربط رهبانهم بالاسينيين رواد وادي قمران فمن ذلك ما قاله بطرس البستاني ( ١ ) ومن أول من اعتزل دنياسا الاسينيون الاسرائيليون فسسى بعض المؤلفين بالاسينيين الذين يضايقون أنفسهم بالصيام والذين ينقطعون بضع ساعات نهاراً وليلاً الى التضارعات والصلوات والذين يبذلون أموالهم وأيامهم في سبيل إطالة الفقر وعيادة المرضى والاعتناء بهم وكان الاسينيون من النصارى يسكنون عادة المدن ويلبسون أثواباً فاخرة اللسونة مخصصة بهم كأثواب الحكما القدام ( ٢ ) .

كما بحث الرهبان المعاصرون قضية ما اذا كان للرهبانية المسيحية بالفعل سوابق في الديانات الوثنية ( ك ) البوذيين مثلاً ولدى الافلاطونية الجديدة في اليونان وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الاسينيين المعاشين على ضفاف البحر الميت ( قمران ) واعترافاً بالواقع الشهود لم ينكر المسيحيون أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه ( ٣ ) .

١ - دائرة معارف بطرس البستاني ٦٨٨/٨

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية الاب البيرابونا ١ : ١٦٧ الطبعة

العصرية ، الموصل العراق .

وقد طُلَّت هذه الظاهرة بانها تابعة ( من طبيعة الانسان بالذات ومن غرائزه الدينية ) ( ف ) تحت كل سطر وفي جميع العصور كانت نفوس اكثر سخاء وأشد تعطشا الى الكمال ، إنها بحثت في المسارسات الدينية والحرمان ، والآلام الارادية عن واسطة للتقرب أكثر فأكثر من الله وصولا الى طهارة أسس ( ١ ) .

وان الانسان ( التواق الى الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه الى هذا الكمال - حسيط - فهيه في الإماتات وضبط النفس وقهر الحواس ( ٢ )

وهذا الكلام وان إستشف منه سوء الهدف ، إلا أن الواقع يؤكد :  
ان الانسان مخطووط على حب التعبد ، وان الطريق الذي يخطه الانسان بنفسه ولعبادته هو غير الصراط الذي وضعه الخالق له عبادة ومنسكاً وطريقاً نحو الكمال وهنا منشأ الضلال الذي يقع فيه الرهبان .

فالا جتهاد الانساني الذي نجده في القوانين الخاصة بالرهبانية هو اجتهاد محدود ألزم الرهبان انفسهم به وصولا الى كمال مزعوم ، ومعنى ذلك أن طريقته لم تكن تابعة من رسالة مساوية موحد بها من عند الله تبارك وتعالى بل هي محض نظريات فردية بنيت على أساس معاناة الانسان وتقصفه وقهر حواسه وصولا الى هدف يظن أنه سام . وما هو الا ابتداع في الدين ، وخروج عن تعاليم النبي المرسل .

وقد يتساءل المرء عن مدى نفع هذه الطرق التشفية لمادامت لا تستند الى عقيدة صحيحة أو شريعة مساوية واضحة .

وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في معرفة أثر الفراغ الروحي الصحيح الناشئ عن البدع الكثيرة واختراع العقائد واحدة تلو الأخرى . فما ان تتجمع واحدة فسي بيئة حتى تظهر لها طبقة كهنوتية تحاول بشتى الطرق المحافظة عليها بينما أنظمت لها جاعة من نفسها وصية على هذا التراث المصنوع وتبقى متمسكة به حفاظا على منصبها ورتبتها الكهنوتية .

ومن هنا تكمن الحاجة الملحة الى ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية لدري هذه الانحرافات كلب تاء البشر في خضم التيارات المختلفة .

١ - التنظيم الرهباني في الكنيسة الطاروتية ، الاب يوسف محفوظ . ت : الاب يوحنا خليفة ص ٣٤ ، المركز الوطني للبحوث العلمسية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ مطابع مؤسسة الارز .

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١٦٧/١

ولا شك ان هذه التأثيرات الخارجية قد انعكست على العبادي<sup>١</sup>  
السلوكية للرهبانية المسيحية كما هو الحال بالنسبة للأسس العقديّة .

وأكثر ما تتضح هذه التأثيرات في كل من :

أولا : النذور الثلاثة

أ - الفقر

ب - العفة

ج - الطاعة لرئيس الدير .

ثانيا : في لباس القس والرهبان

ثالثا : في اتخاذ الأديرة والكهوف للاعتزال

رابعا : في الطقوس الكنسية وغيرها .

وسيتعرض البحث لبعض هذه التأثيرات خلال فصول

قادمة إن شاء الله تعالى .

## ثانيا : نظرتهن إلى حياة المسيح عليه السلام الخاصة

يعتبر الرهبان المسيحيون عيسى عليه السلام هو الراهب الأول ، ولهذا فإن نشوء الرهبانية عند هم يبدأ به ، فهم يزعمون أنه قد شق لهم ( طريق الخلاص والحياة فقراً وعفة ، وطاعة صليب حيا بالله الاب )<sup>(١)</sup> وان الحياة الرهبانية قد انبثقت من تعاليمه ومن حياته المثلى الذى اسسها في جوهرها واضعا لها الجادى الأساسية داعيا النفوس الأكبر سخا الى انتقالها ليتشبهوا به طس اكل وجه مكن )<sup>(٢)</sup> .

يستند هؤلاء الى ط جا\* في لوقا ( وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني )<sup>(٣)</sup> الى غيرها من الأقوال . يقول ترتوليان : ( إن جسم المسيح نفسه قد جا\* من بتول عذرا\* .... والقديس يوحنا المعمدان ( JEAN BAPTISTE ) يحيى بن زكريا طهبط السلام والرسول بولس وجميع اخوانه الحواريين الذين سجلت اسماؤهم في سفر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس طيه . . . . وقد فتح السيد المسيح للخصيان ابواب السط\* لان حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء\* . ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طهورا حصورا ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ولعمرت الجنسية بفضيلة من الطاهرين الخالدين )<sup>(٤)</sup> .

ويظهر هذا الكلام مدى الافتقار طى الله تبارك وتعالى وطى سننه في الخلق ، كما انه تزيّد وسوء أدب مع العزة الإلهية وتقول لم يسبق إليه أحد . وقد عني ترتوليان بقوله ( وقد فتح السيد المسيح للخصيان . . . . ) ط ورد في متى ( لأنه يوجد خصيان خصوصا أنفسهم لأجل طكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل )<sup>(٥)</sup> .

١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة طرجا ورجيوس دير الحرف . ص ١٥ ، مشورات النور

٢ - الرهبانية الباسيلة الشورية . د . أ . حاج ٣٤/١ ، ط ١٩٧٤ ، لبنان

٣ - لوقا ٩ : ٢٣

٤ - راجع لوقا ١٤ : ٢٧ وكذلك كولوسي ٣ : ١-٢

٥ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٨٣

٦ - متى ١٩ : ١٢

وقد مشى أورجيين حسب وصية هذا النص وخصى نفسه ، إلا أنسه  
كان شديد الحرص على صفته كما يعتقد علماء المسيحية ، وإن كان في واقع أمره  
قد تتبع المعنى الحرفي للنص ولم يفقه المعنى الحقيقي الذي يرس إليه لوصحت  
نسبته إلى المسيح عليه السلام .

وإزاء هذا الوضع فإن البحث معني بالتطرق إلى :

حياة كل من عيسى ويحيى عليهما السلام ، وموقف الاسلام من  
الستيل والخصا . وذلك للتوصل إلى نظرة الاسلام إلى الزواج ومكانته .

إن موقف الاسلام من عدم زواج عيسى عليه السلام لا يتفق مع ما يراه  
الرهبان من أنه هو الراهب الأول ، فوضعه الخاص لا يمكن القياس عليه سيما  
وأنه قد واجه أمة منحرفة في دينها عن الصراط المستقيم ، نتيجة الأمراض التي  
اهترتها والأوبئة التي فتكت بها والناجمة عن اشتغالها باكتناز الأموال وهتك  
الأعراض وانحراف كلي في الأخلاق والمعاملات .

ونظرا لقصر زمن رسالة عيسى عليه السلام في قومه وضخامة الجهد  
الذي بذله في التبليغ والانداز ، فقد شغل بهذه القضايا وأعطاهما جل إهتمامه  
فضلا عن المضايقات التي لاقاها في حياته الموعودة من قبل اليهود وغيرهم ، كما  
لا يغنى على المسيحيين وكتاب التاريخ ما كان يقوم به عليه السلام من تنقلات بين  
المدن الفلسطينية وقراها للموعظ والارشاد .

وقد جاء رفعه كما سلف مبكرا وهو لا يعدو سن الكهولة مـلا  
مهما في عدم زواجه ، فلو كتب له البقاء أكثر لما تأخر عن الزواج ، والله اعلم .

ومن مواقفه عليه السلام من المرأة ما يعطي انطبعا عن عطفه  
وحنانه تجاهها ، وقد حفلت الأناجيل التي يعترف بها النصارى بالقصص والروايات  
التي تصور مواقف عديدة للمسيح من المرأة وكلها تتسم بالتقدير والاحترام لها  
وعدم الحساس بمكانتها الاجتماعية .

١ - لاحظ تلك الأحداث التي مرت بالمسيح من خلال الآتي :

أ - حديثه مع المرأة السامرية بالقرب من قرية سوخار وكيف وعظها بلعن ورفق انظر :  
يوحنا ٤ : ٤-٤٢ / ب - حنانه على الأرملة وأقامة ابنها من الموت في قرية  
ناييم ، انظر لوقا ٧ : ١١-١٢ / ج - قبوله الطبيب من المرأة الخاطئة التي دهنه  
به ، انظر : لوقا ٧ : ٣٦-٥٠ / د - شفقتة على ابنه بايرس وشفاؤه للمرأة التي  
نزفت دما في كفرناحوم ، انظر متى ٩ : ١٨-٢٦ / هـ - شفاؤه لابنه المرأة السورية  
الغنيقية في اقليم صور وصيدا انظر : متى ١٥ : ٢١ / و - نزوله في بيت مرثا ومريم  
ونصحه لهما في " بيت عنيا " انظر : لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢ إلى غير ذلك من القصص .

ولم يقتصر الحال على المسيح عليه السلام بل ان التلاميذ قد وقفوا أيضا  
من المرأة بط يتناسب مع تكريم المسيح لها وطفه عليها ، وقصصهم ونة في اناجيلهم<sup>(١)</sup>  
فلم التعامي عن الحق . ٢

ومن جهة ثانية فإن طط\* مقارنة الاديان مدعوون لمطابقة تلك  
الدراسة التي ظهرت حديثا في كتاب " الكاهن والسلالة والكنز " وهي لثلاثية  
باحثين غربيين هم : مايكل بوجنت ، ورتشارد لي ، وهنري لنكولن .<sup>(٢)</sup> الذي  
حاولوا إقامة البراهين تاريخيا على ان قصة صلب المسيح فتملة وان هناك ما يفيد  
انه عاش حتى عام ٤٥ م . وان هذا يدل على احتلالات زواجه من مريم المجدلية  
مستشهادين بعدة قرائن تاريخية معتدة على اناجيل صحت الكنيسة تداولها  
كانجيل "توما" وحكمت بتحريمها الى جانب دلائل اخرى ليست موضوع هذا البحث .

١٠ الحديث عن يحيى عليه السلام :

فان القرآن الكريم قص علينا ما يبين حاله فقد قال الحق تبارك وتعالى  
( هنالك ما ذكرها ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء  
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في السجراب ان الله يبشرك بيحيى صدقا بكلمة  
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ) .<sup>(٣)</sup>

والحضور عند طط\* اللسفة له هذه معان ضها :

- الناقة الضيقة الاحليل .

- الذي لا يأتي النساء .

- الضيق البخل ( ٤ )

وقد نقل أغلب المفسرين معاني هذه الكلمة وبينوا الاراء المتعددة

في تفسير الآية و المقصود من قوله تعالى (سيدا وحصورا ) .

وقد اختار هذا المفسرين والمحققين : ان السراد من ( الحصور هو

الذي لا يأتي النساء لا للمجز بل للعة والزهد وذلك لأن الحصور هو الذي يكتر  
حصر النفس .<sup>(٥)</sup>

١ - راجع في ذلك : اعطال الرسل ١: ١٣-١٤ وكذلك رساله يوحنا الثانية ١: ١٦  
ورسالة يعقوب ١: ٢٧ وغيرها . وراجع تعليقات العقاد حول الموضوع في حياة  
المسيح ١١-٣١٨

٢ - راجع : مجلة المسلمون العدد ٢٢- الى ٣٣ من ١٠ / ٦ / الى ١٤٠٢ / ٨ / ٥ هـ  
عرض وتحليل د . محمد ابراهيم الشوش . السمودية .

٣ - ال عمران : ٣٨-٣٩ ٤ - راجع : تاج اللغة وصحاح المسربة ، للجوهري

ت : احمد عبد الغفور عطار ، طدة حصر . ٥ - : التفسير الكبير للفخر الرازي

٢٧-٣٦ / ٨ ، ط٢ دار الكتب العلمية ، طهران ، وكذلك ارشاد العقل السليم الى  
مزايا الكتاب الكريم لابي السعود ١ / ٤٧٦ ، مطبعة السعادة .



وقد وافق الإمام ابن كثير القاضي عياض في رده على من قال ان يحيى عليه السلام كان "هيها" أولا ذكر له ، بل قد انكر هذا كبار المفسرين والنقاد وقالوا : هذه نقيصة وصيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حضور عنها ، وقيل : مانعا من الشهوات وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها . . . ( ١ )

واتما لهذا القضية الهامة فقد عرض العلماء مسألة كون العزومة افضل أم الزواج ، وفي ذلك تفصيلات كثيرة وارا متعدي .

فمن ذلك ما اوضحه الفخر الرازي حينما فاضل بين العزومة والزواج بقوله ( احتج اصحابنا ( اي الشافعية ) بهذه الآية ( ال عمران ٣٨-٣٩ ) على ان ترك النكاح افضل وذلك لانه تعالى مدحه بترك النكاح وذلك يدل على ان ترك النكاح افضل في تلك الشريعة واذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة افضل وجب أن يكون الامر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول أما النص فبقوله ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) وما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاءه على ما كان والنسخ على خلاف ( الاصل ) ( ٢ )

وهذا الرأي مرجوح . عند الجمهور .

وقد رده الإمام محمد رشيد رضا بقوله ( . . . نقول إن الآية ليست نصا ولا ظاهرة في ذلك واذا سلمنا أنها تدل عليه فلا نسلم أنها تدل على أن ترك الزوج افضل مطلقا . وليس يحيى بأفضل من أبيه ولا من إبراهيم الخليل ومحمد خاتم النبيين والمرسلين وسنة النكاح افضل سنن الفطرة لأنها قوام هذه الحياة الدنيا وسبب بقاء الانسان الذي كرمه الله وخلق في أحسن تقويم وجعله خليفة في الارض السلي ( ٣ ) الأجل السلي في ظم الله ) . وسوف نتضح المسألة أكثر عند الحديث عن محاربة الاسلام للشهوات والخصا . ان شاء الله تعالى .

واتما للقضية يحيى عليه السلام فانه يحسن الاستئناس برأى العقاد في هذه المسألة التي ألع اليها أثناء الحديث عن الشذووين من بني اسرائيل وان يحيى عليه السلام كان طما من أعلاهم المعدودين وفي ذلك يقول :

١ - تفسير ابن كثير ١/٣٦١ :

٢ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٨/٣٦-٣٧ :

٣ - تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار ) محمد رشيد رضا ٣/٢٩٧-٢٩٨ دار المعرفة ط ٢ ، بالافست . وراجع ما ابداه الالموسي في تفسيره : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١/١٤٨ ١٢٩٨ هـ ١٩٧٨ م دار الفكر بيروت .

( ولا يشترط في النذرنا والسندور أن يهجر العالم ويحتزل الناس في الصوامع ولكنه يراض على حياة التنطس فلا يجوز له شرب الخمر ولا أن يدنس جسده بملاسة الموتى ولا اجسام المحرمة ، وطيه أن يرسل شعره ولا يحلقه قبل وفاة نذره ان كان منذورا لأجل مسمى .

وقد ينذر الطفل قبل مولده ويحت نذره طول حياته ويقال حسن السندور انه بخطابة النبي في سن الفتوة . قال النبي طوس بلسان يهوا اله بنسي اسرائيل " وأقمت من بينكم انبياء ومن فتياكم نذريين لكنكم سقيتم النذريين خمرًا وأوصيتم الانبياء ان يدعوا

والنبوة هنا بمعنى الانذار بها سيكون وليس النذريون طائفة موحدة ولكنهم ينتمون الى كل مذهب يوافق حمة الشباب وهذا الذي جعلهم قوة ذات بال في عصر الحيلاد خاصة لانهم جميعا فتيان معمورة قلوبهم بالاطمئنان ومعقودة نياتهم على الاصلاح ، يؤمنون بانهم رواد الدعوة الى المسيح الموعود ويتربون ظهوره للترحيب به والاصفا اليه ولا تحيط بهم طائفة معينة او مذهب محدد . )

ووفق ذلك كله فانه يجب التأكيد على ان يحس طيه السلام باعتبر من وجهة النظر الاسلامية نسيبا جاء لتقويم احوال بني اسرائيل والتبشير بمقدم المسيح طيه السلام .

” نظرة الاسلام الى الزواج ”

==\*\*\*:==

## نظرة الاسلام الى الزواج

بعد استعراض نظرة الرهبان الى حياكل من المسيح وحيى عليهم السلام ، وموقف الاسلام من هذه القضية .

يأتي الحديث عن نظرة الاسلام الى الزواج وأحكامه في الشريعة الاسلامية ومن ثم التحدث عن مكانته .

فقد سن الاسلام الزواج لحكم عظيمة ومقاصد رفيعة وأهداف نبيلة ، وحض الشباب عليه وندب المسلمين اليه ، مبتغيا من وراء ذلك الأمور التالية :

اولا : عطارة الارض ، قال تعالى ( هو أننبشاكم من الأرض واستعمركم فيها ) (١) .

ثانيا : محافظة على النوع الانساني ، قال تعالى ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون ومنعمة الله هم يكفرون ) (٢) .

ثالثا : وقوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسالون به والا رحام ان الله كان عليكم رقيبا ) (٣) .

تحصين المجتمع من الانهيار الخلقي  
قال عليه الصلاة والسلام ( يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فإنه أفض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) (٤) .

رابعا : تسكين النفس البشرية من غواة الشهوة الجنسية وتغليب الحياة  
قال تعالى ( ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) (٥)

١ - هود : ٦١

٢ - النحل : ٧٢

٣ - النساء : ١

٤ - رواه البخارى ١١٢ / ٦ ط ١ استنبول

٥ - الروم : ٢١

( ١ )

وقوله تعالى ( هن لبا من لكم وأنتم لباس لهن ) .

الى غير ذلك من المقاصد الرفيعة كالمحافظة على الانسان وسلامة

المجتمع من الأمراض والتعاون بين الزوجين لبناء الأسرة المسلمة وتأجيح طائفة  
الابوة والأومة ليبقى التراحم صفة المجتمع المسلم ( ٢ )

لكل ذلك حظى الزواج في الاسلام بمكانة رفيعة ، واهتم

العلماء بتوجيه الاحاديث والايات ، واستنبط الفقهاء الاحكام الشرعية من الأدلة  
التفصيلية وبينوها وفق ما أشارت اليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة  
وقد استدلل الفقهاء على مشروعية الزواج من الكتاب والسنة :

١- الكتاب فمن قوله تعالى ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع فمن خفي ما تعدلوا فواحدة او ما طغت ايمنكم ذلك أدنى  
الا تعولوا ) ( ٣ ) وقوله تعالى ( وانكحوا الأيام منكم والصالحين من عبادكم  
واما نكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ) ( ٤ )

٢- السنة فمن قوله صلى الله عليه وسلم ( يا معشر الشباب  
من استطاع منكم الباءة فليتزوج ) ( ٥ )

ومن خلال مطالعة الأحكام الفقهية يلاحظ أن أقوال الفقهاء تستدور

حول توقان النفس الى النكاح وعدمه والقدرة على المؤنة وانتفاها .

ولهذا فالنكاح ترد عليه الاحكام الشرعية التالية :

- الواجب - الحرمة والكراهة - السنة - الندب والاباحة ( ٦ )

أما نوع أو صفة الزواج شرطا بحسب طلب الشارع فيعرف عند الفقهاء

بحسب احوال الناس ومصلحتهم ( ٧ )

فلا خلاف بين العلماء على ان من تأقت نفسه للنكاح وخشي العنت كالخوف

من الوقوع في الزنا يجب في حقه النكاح ( ٨ )

١ - البقرة : ١٨٧ ٢ - راجع ما كتبه المرحوم الشيخ عبد الله ناصح  
طوبان بهذا الخصوص في : تربية الاولاد في الاسلام ٢٩/١ - ٣٢ دار السلام  
للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ م طبع ، بيروت .

٣ - النساء : ٣ ٤ - النور : ٣٢

٥ - رواه البخاري ، وقد تقدم ٦ - الفقه الاسلامي على المذاهب  
الاربعة ، عبد الرحمن الجزيري ٤/٤ ، دار الارشاد والتأليف مصر .

٧ - الفقه الاسلامي وأدلتها ، د . وهبة الزحيلي ٣١/٧ دار الفكر بيروت ط ١  
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٨ - راجع في هذا الصدد : كتاب الافصاح عن معاني  
الصالح لابن هبيرة ١١٠/٢ والمغني لابن قدامة ٤٤٦/٦ ، وفتح القدير

ولا فرق بين الوجوب والغرض عند الجمهور هنا (١) . وقد حدد الفقهاء طة الوجوب أو الغرضية في هذه المسألة بأن التحرز عن الزنا فرض ولا يتوصل اليه الا بالنكاح وما لا يتوصل الى الغرض الا به يكون فرضاً (٢) .

اذا ثبت ان الانسان ظلم المرأة والاضرار بها فيط اذا تزوج فان النكاح يحرم عليه ، بان يكون في حالة المعجز عن تكاليف الزواج او لا يعدل ان تزوج بزوج أخرى لأن ط أدى الى الحرام فهو حرام (٣) .

كما يحرم النكاح عند الحنابلة في دار الحرب الا لضرورة ، فاذا كان أسيراً فانه لا يباح له الزواج على أي حال (٤) .

يكون النكاح مندوباً او مستحباً : وذلك في حال الاعتدال بان يكون الانسان معتدل المزاج بحيث لا يخشى الوقوع في الزنا ان لم يتزوج ولا يخشى ظلم زوجته وحالة الاعتدال هذه غالبية عند أكثر الناس (٥) .

---

= لكامل الدين ابن الهيثم ١٨٧/٣ ط ١ مصطفى البايي الحلبي ١٣٨٩ هـ  
 هداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٢/٢ دار الفكر مكتبة الخانجي  
 وكذلك : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن طي الزيلعي  
 ٩٥/٢ ط ١٣١٣ هـ بولاق ، والنهاية على الهداية ١٢٠٩/٤ ومغني المحتاج  
 ٣ : ١٢٥ لابن زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ

١ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٢ - راجع المبسوط لشمس الدين السرخسي ١٩٣/٢ ط ٢ دار المعرفة

وراجع ط استعراضه بتوسع : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ، د. بدران  
 ابوالمينين بدران ص ٣٦ وما بعدها ط ٣ ١٩٦٤ دار المعارف بمصر .

٣ - الفقه على المذاهب الاربعه ٦-٥ / ٤ والفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٤ - الفقه على المذاهب الاربعه ٧/٤

٥ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٣/٧

كما لا خلاف بين العلماء على ان النكاح من السنة <sup>(١)</sup> .  
 ودليل الجمهور على ذلك قوله عليه السلام م ( يا معشر الشباب من استطاع  
 منكم الباهة فليتزوج <sup>(٢)</sup> ) . . . .

وط جاء في الصحيح : عن انس بن مالك رضي الله عنه ( قال ) جاء ثلاثة  
 رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله  
 عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم  
 ا ما وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وط تأخر قال أحد هم : أ ما أنا فإني أصلي  
 الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل  
 النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم  
 كذا وكذا أ ما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج  
 النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني <sup>(٣)</sup> .

ومع ذلك فقد ذهب الظاهرية كابن حزم وغيره الى القول بفرضية النكاح <sup>(٤)</sup>  
 الا ان الخلاف بين الفقهاء دار حول مسألة ما اذا كان النكاح أفضل أم العبادة  
 في حالة الاعتدال .

فقد ذهب الشافعية الى أن العبادة أفضل من النكاح ، قال الإمام  
 النووي رحمه الله تعالى ( وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة  
 أفضل ولا يقال النكاح مكروه بل تركه أفضل ) <sup>(٥)</sup> .  
 ويستدل الشافعية على ذلك بـ :

١ - قوله تعالى في مدح يحيى عليه السلام ( . . . . وسيدا وحصورا ) <sup>(٦)</sup>  
 والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على اتيانهن فلو كان الزواج أفضل لما  
 مدح بتركه .

٢ - قوله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين " <sup>(٧)</sup> .

١ - راجع : المجموع شرح المذهب ، باب النكاح ص ٢٨٧

وكذلك المبسوط ١٩٣/٢ ، والمغنى لابن قدامة ٣/٣

ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤٠٣/٣

٢ - رواء البخاري وقد تقدم

٣ - صحيح البخاري ١١٦/٦

٤ - المحلى لابن حزم ٤٤٠/٩ ت : احمد شاكر المكتب التجاري بيروت

٥ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٤/٩ المطبعة المصرية ومكتبتها

٦ - ال عمران : ٣٩

٧ - ال عمران : ١٤

كما انهم قاسوا النكاح على السبيع فقالوا : النكاح من الاعمال الدنيوية فهو كالبيع (١).

(ورد السبكي التعليل الاول : بانه ليس المراد بالاية المستطاب وانما المراد الحلال ، لان النساء محرمات باية حرمت عليكم امهاتكم . . . ) (٢)

كما رد الاحناف على استشهاد الشافعية بحالة يحيى عليه السلام فاما قاله الكمال بن الهمام : ( فالأولى في جوابه التمسك بحاله صلى الله عليه وسلم في نفسه ورده على من أراد من أمته التخلي للعبادة فانه صريح في حين التنازع فيه وهو ما في الصحيحين ) وان نفرا من اصحاب النيسبي صلى الله عليه وسلم قد سألوا ازواجه عن حله . . . . (٣) الحديث . فرد هذا الحال ردا مؤكدا حتى تبرأ منه ، وبالجملة فالأفضلية في الاتباع لا فيما يخيل للنفس أنه أفضل نظرا الى ظاهره ، ولم يكن الله عز وجل يرضى لأشرف أنبيائه إلا بأشرف الأحوال وكان حاله الى الوفاة النكاح . فيستحيل أن يقرره على ترك الأفضل مدة حياته وحال يحيى من زكراها طيبها السلام كان أفضل في تلك الشريعة وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ولو تعارضا قدم ( حينئذ ) التمسك بحال النبي صلى الله عليه وسلم ) (٤) .

كما أجاب العميني رحمه الله على ذلك بقوله ( والجواب عنه أن الشافعي يرى شرع من قبلنا شرطا لنا فكيف يحتاج بما لا يراه ؟ ونحن نقول شرع لنا ما لم ينص الله على انكاره . وقال الشافعي : النكاح معاملة فلا فضل لها على العبادة قلنا : هذا نظر الى ظاهره دون معناه وليس له أن ينظر الى الصورة ويترك المعاني فانه ليس عن أصله ذلك ولو كان التخلي للعبادة خيرا من النكاح نظرا الى صورته ما قطع النبي صلى الله عليه وسلم حكم الصورة بالسنة وليس في مدح يحيى طيبه السلام ما يدل على أنه أفضل من النكاح فأن مدح الصفة في ذاتها لا يقتضي ذم غيرها وذلك أن النكاح لم يفضل على التخلي للعبادة بصورته وانما تميز عنه بمعناه في تحصين النفس وبقاء الولد الصالح وتحقيق السنة في النسب والمهر فقضاء الشهوة يعني بحالعه والتيسير بمقاصده وهذا أمر تقطن له أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومن قال بقوله . (٥)

١ - مغني المحتاج ١٢٥/٣ - ٢ : الفقه الاسلامي وادلته ٢٤/٧

٣ - الحديث في البخاري ١١٦/٦

٤ - فتح القدير على الهداية لابن الهمام ١٨٨/٣-١٨٩

٥ - عدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العميني ٦٦/٢٠ دار احيا

التراث العربي بيروت ، لبنان ، طبعة صورة من طبعة ادارة الطبعة المنيرية .



( ١ ) قياس الزواج على البيع فهو قياس مع الفارق ،

اذ أن البيع عقد معاوضة محض والزواج ليس كذلك لان فيه تخصيصاً للنفس وحفظها من الوقوع في الفاحشة وفيه حفظ الدين وتحصيل النسل وتكثير الامة وكلها مصالح لا يشتمل عليها البيع ، مما يجعل فعل الزواج راجحاً على فعل النواقل وهو ما ذهب اليه اكثر الاقمة <sup>(١)</sup> .

ولا شك أن ما ذهب اليه الجمهور أرجح وأصوب ما ذهب اليه الشافعية ذلك لأن (من تأمل فيما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وتوسعة الباطن بالتحمل في معاشرة أبناء النوع وتربية الولد والقيام بمصالح السلم العاجز عن القيام بها والنفقة على الأقارب والمستضعفين وأخفاف الحرم ونفسه ودفع الفتنة عنه ومنهين ودفع التفتير عنهن بحبسهن لكفايتهن مونة سبب الخروج ثم الاشتغال بتأديب نفسه وتأهيله للمعبودية ولتكون هي ايضاً سبباً لتأهيل غيرها وأمرها بالصلاة <sup>(٢)</sup> ) .

ورغم هذا الخلاف الا ان الشافعية يرون أن الزواج في حالة الاعتدال

انط هو مندوباً ومستحب وفي هذا ، اشارة الى الميل المطلق عموماً نحو الزواج وعدم تأييد المعزومة باسم التبتل والمعبادة . والله تعالى اعلم .

---

١ - : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ص ٣٩

٢ - فتح القدير بين الهطام ١٨٩/٣

وراجع في هذا الصدد ايضاً : اعلام السنن ، ظفراحت العثاني

التهانوي ٣-٢/١١

## مكانة الزواج في الاسلام :

من فضائل الاسلام على المجتمع ، اهتمامه بتوجيه المسلمين نحو الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فشرع لهم النكاح وسنه لهم ابتغسا العفة والتحصن من الفحشا ولأسباب اخرى مر ذكرها .

ولم يكن المسلمون ليخالفوا تعاليم دينهم الحنيف ،

ولهذا فانهم سارعوا الى نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم لو كان عليه اخوانه الانبياء عليهم السلام . من سنة النكاح قال تعالى ( ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ) (٢)

قال الامام ابن كثير في تفسير الآية ( وكما أرسلنا يا محمد رسولا بشرها كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرأ يأكلون الطعام ويشون في الأسواق وبأتون الممنزوات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال تعالى لا شرف الرسل وخاتمهم ( قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ) (٣) .  
وروى الامام احمد عن ابي أيوب قال ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والحياء ) (٤)

١ - الجن : ٢٣

٢ - الرعد : ٣٨

٣ - الكهف : ١١٠ ، وراجع تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨-٥١٩

٤ - : سنن الامام احمد ٤٢١/٥ المكتب الاسلامي / دار الفكر ط

بيروت . قال الامام ابن كثير وقد رواه ابو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حفص عن غياث عن الحجاج عن مكحول عن ابي الشمال عن ابي ايوب فذكره ثم قال وهذا اصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال ولفظه ( أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح ) . تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨-٥١٩

وراجع طرزة الاحوذى بشرح صحيح الترمذي ٤ / ٢٩٨-٢٩٩ مكتبة المعارف لبنان وقال الاستاذ الارناؤوط : هذا رواه احمد والترمذي ورواه ابن ابي خيثمة وغيره من حديث طريح عن ابيه عن جده نحوه ورواه الطبراني من حديث ابن عباس ولعل الترمذي حسنه بهذه الشواهد فقال حديث حسن غريب : جامع  
الاصول في احاديث الرسول ٤ : ٢٩٣ في الهامش .

ويقول الحق تبارك وتعالى ( وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم <sup>(١)</sup> وما فلكم ان يكونوا فقرا\* يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ) <sup>(٢)</sup>

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسند ه عن ابن عبد العزيز قال بلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح <sup>(٣)</sup> ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى ( ان يكونوا فقرا\* يغنهم الله من فضله )

وعن ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح : يقول الله تعالى ( ان يكونوا فقرا\* ... ) الآية . <sup>(٤)</sup>

ومن باب الترغيب في الزواج ايضا فقد عمل الاسلام على تسهيل أمره وتيسير سبله ، اخرج الحاكم بسند ه عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة حق على الله أن يعينهم : المجاهد في سبيل الله والناكح يريد ان يستعف والمكاتب يريد الاداء .

قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ( ه )  
وقد درج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على حبس بعضهم البعض على النكاح فمن ذلك ما رواه البخاري بسند ه عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس : هل تزوجت قلت : لا قال : تزوج فان خير هذه الامة كان اكثرهم نسا\* يعني النبي صلى الله عليه وسلم ) . <sup>(٦)</sup>

١ - الايامي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء . الصحاح للجوهري

ما ( ايم

٢ - النور : ٣٢

٣ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٤ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٥ - المستدرک على الصحيحين وذيله التلخيص للمحافظ الذهبي ، وقد

وافق الحاكم ، انظر ٢ : ١٦٠ - ١٦١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر مكتب

المطبوعات الاسلامية حلب .

٦ - اخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ٤ الحديث الثالث ١١٨/٦ ط استانبول

يقول الاطام الحسيني رحمه الله في معنى ( فان خير هذه الامة . . . )  
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اكثر نساء من غيره ، و الامة الجماعة (١)

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه الى اختيار الزوجة صاحبة  
الخلق والدين ، فمن ابى ههنا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال ( تنكح المرأة لاربعة ، لطلبها ، ولحبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر  
بذات الدين تربت يداك ) (٢)

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم صفات اخرى للمرأة المراد الزواج  
بها ، ومن ذلك ما رواه ابو داود عن معقل بن يسار ، قال : جاء رجل الى النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال : اني احببت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تطع  
افسأ تزوجها ؟ قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا السود  
الولود فاني مكاثر بكم الامم (٣)

١ - : حدة القارى شرح صحيح البخارى ، بدر الدين العيني ٢٠ / ٢٠

٢ - صحيح البخارى ٦ / ف ١٢٣

٣ - : مختصر سنن ابى داود ، للحافظ المنذرى ٦ / ٣ ، ت : محمد حامد  
الفتي ، مكتبة السنة المحمدية .

وفيه قال الاطام السخاوى : اخرج ابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم  
من حديث معقل بن يسار مرفوعا : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم .  
ولا احمد وسعيد ابن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي واخره  
من حديث حفص بن عمر اخي انس عن عمه انس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالبائة وينهى عن التبتل نهيا  
شديدا ويقول : تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وصححه  
ابن حبان والحاكم ( . . . . )

ج : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على  
اللسنة ، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ص ١٦٥ ، ت : عبد الله محمد  
الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

نهى الاسلام عن التبتل والخصاء :

في حشد هذه التوجيهات يلاحظ ان الوسيلة النظيفه التي وضعها الاسلام للغايه الساميه ، تعطى الطاقة الكامنه في الانسان الحرية في اداء مهنتها التي انشطت بها ، فلم يعمل على كبتها أو حرمانها من اداء وظيفتها وفق ما أمر الله به ، وذلك حتى لا ينقلب أثرها رأسا على عقب ، فتلحق بصاحبها أفدح الضرر . طوبى ومعنويا .

وصحيح أن الاسلام أتاح لهذه الطاقة حرية العمل ، إلا أنه لم يوسع من دائرتها بل وضع لها ضوابط ، خاصة فيما يتعلق بمرحلة المراهقة .

وقد مر في السابق توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب ، وذلك لسراطة هذا الضابط في حال عدم القدرة على الزواج .

فالصوم هو الضابط الضروري لمعالجة مكان النفس التواقه الى ممارسة الوظيفة الجنسية في هذه الحالة ، ولأنه أنجع الوسائل لدرء مخاطرة فاقة الجسد وهفوان الطاقة .

ولأن الصوم أقدر على ضبط هذه الطاقة من أي وسيلة أخرى ، فقد أختير كوسيلة اضي واضمن من الخصاء والتبتل .

والرهبانية حينما فرضت التبتل أو أقرت بالخصاء فانما تكون بذلك قد حرمت الناس من اداء وظائفهم المنفعة الرهبانية التي وهبها الله تعالى للبشر ، من اجل عماره الارض ولن يكون ذلك الا بالتنازل .

ولهذا نرى الأحاديث الكثيرة تدور حول هذا المفهوم فمن ذلك ما رواه الامام البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أن ناسا لا يختصنا (١) .

و في رواية له عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا يا رسول الله ألا نختصي فنهانا عن ذلك (٢) .

والمراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النساء وترك التزويج أما معنى قوله تعالى ( وتبتل اليه تبتيلا ) فالمراد الانقطاع اليه والتعبد لترك الزواج فإنه لم يؤمر به

١ - صحيح الامام البخاري ١١٨/٦ - ١١٩

٢ - المرجع السابق ١١٩/٦

النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : الخصاء يكسر الخاء وبالمد صدر خصي الفحل اذا سللت خصيته ... (١)

وقد استشهد الامام ابن حجر بـ ما أخرجه الطبراني من حديث عثمان بن مظعون نفسه أنه قال ( يا رسول الله اني رجل يشق على العزوبة فاذن لي فسي الخصاء قال : لا ولكن عليك بالصوم ) الحديث . ومن طريق سعيد بن العاص . ( ان عثمان قال : يا رسول الله اذن لي في الخصاء فقال : ان الله قد اهدانا بالرهبانة الحنيفية السمحة ) (٢)

ويحجب ابن حجر على ذلك بان الحكمة في منعهم من الاختصاص : ( ارادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار والا لو اذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل السلسون بانقطاعه ويكثر الكفار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية ) (٣) ومن الفاسد أيضا : ( تعذيب النفس ، والتشويه مع ادخال الضرر الذي قد يفضي الى الهلاك ، وفيه ابطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر النعمة ، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة ... ) (٤)

هذا ولا ينبغي السماح لدع أن ينال من حث الاسلام على النكاح والستر فيه بدوى أن هذا النهج يؤدى الى الانخفاض في الطقات والفرق في الشهوات التي تسيطر على حياة الانسان ، فتدفعه يخلد الى الدعة والكسل . فهذه الشبهة وغيرها تنتفي (٥) بمجرد معرفة اهداف الاسلام العليا والغرض من وجود الانسان في هذا الحياة ، وكما وضع الاسلام ضوابط لمرحلة ما قبل الزواج

١ - : عدة القارى ٧٣/٢٠

٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر ١٩/١١ ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ

٣ - المصدر السابق .

٤ - : منهج السنة في الزواج . د . محمد الأحمدى ابو النور ص ٤٨ ط ١ دار النصر للطباعة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٥ - انظر الى تلك التربية التي أخرجت نذاج فريدة من الرجال وذلك في محاضرة عبادة بن الصامت في رده على الحقوس الذي أراد اخافة المسلمين حين قال : ( وما منا رجل الا وهو يدع ربه صباحا ومساءً ان يرزقه الشهادة والا يرد به الى بلده ولا الى اهله وولده . وليس لاحد منا هم فيما خلقه ، وقد استودع كل واحد منا ربه

كذلك فعل بالنسبة لط بعده ، وتوجيهاته في هذا الباب كثيرة ومستعدة

والاسلام بخصائص تصوره الغريسة فسر حقيقة هذا الوجود وبين أهمية ارتباط الانسان بط حوله من موجودات كما بين أهمية ارتباطه بخالقه من خلال القرآن الذي أنزله الله تبارك وتعالى دستوراً لهداية الخلق .

فالقرآن الكريم والسنة الطاهرة وضعا الوسائل الناجعة لتحقيق هذه الاهداف ، واوجدا البدائل والحلول للمشاكل الانسانية التي طنت وتعماسي منها البشرية .

والمشكلة التي يدور البحث حولها ، وهي ظاهرة الرهبنة ، قد أوجد الاسلام نهجا وطريقا أفضل منها وأسلم .

وهذا ما يسمي الجأثنا الحديث عن : موقف الاسلام من ابتداء الرهبانية وحكمه عليها ، ان شاء الله تعالى . وذلك بعد استيفاء الحديث عن السجوانسب المتعلقة بالرهبانية وتطوراتها ، وما رافقها من مشاكل . وهو موضوع الفصل القارمة .

---

أهله ولده ، وانط هنا ما أمانا ، وأما ( قولك ) إنا في ضيق من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريد فبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم غصلة نقبلها منكم ) . - : حسن المعاصرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للمحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابوالفضل ابراهيم ، ١ : ١١٢-١١٣ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ط١

هكذا يرى الاسلام أجياله ، وهكذا يعيش المسلمون من أجل دينهم فلا يضيعونه من أجل دنياهم ولو فتحت عليهم زخارفها ، فلا يأخذون منها الا بقدر حاجتهم وما يعينهم فسمي اداء رسالتهم .

## الفصل الخامس

### أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية

واجهت دعوة عيسى عليه السلام كثيرا من المعن والصعوبات ، التي كانت سببا في عدم استمرارها مدة طويلة .  
وتأتي مواقف اليهود المعلنة والسيئة في طليعة المؤامرات التي هيكت لهذا الغرض وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب في الفصول السابقة .

وقد انتقلت المعن والاضطهادات التي نزلت بأتباع عيسى عليه السلام الى يد (الرومان الذين مارسوا أبشع أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، الأمر الذي أثر بشكل خطير على المطرزين من جهة وعلى الذين أعقبوهم ، كما امتد الخطر أيضا الى الانجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام حيث تعرض في زحمة النكبات الى التحريف والتبديل<sup>(٢)</sup> ، مما أدى الى اختلاط التعاليم الصحيحة بالاراء والمعتقدات الوثنية وغيرها .

وبشكل عام كانت المعن ايمان عهد الاباطرة وحتى بداية القرن الرابع الميلادي ( ٣٢٥ م ) بيئة صالحة وأرضا خصبة لزرع مفهوم الرهبانية ونموها وذلك نتيجة لهرب المضطهدين الى البراري والجبال من بطش اعدائهم .

ومن الصور التي ينقلها السحيون عن هذه الاضطهادات ما جاء في كلام الأب البير أبونا حيث يقول ( كانت السحية حتى قبيل مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ تعيش تحت وطأة الاضطهاد وعلى هامش الحياة العامة ، فكان على السحى أن يختار البطولة والتضحية وأن يستعد في كل حين للشهادة ، يدلي بسسها اطم الطوك والولة ويبدل دمه في سبيل الحقيقة فكانت فكرة الاستشهاد ترافق السحى دوما ولا تسمح بان يتعلق قلبه بحطام الدنيا أو مجدها أو مناصبها الرفيعة ، فكان الله هم الوحيد وهو يصوب دوما الى ساعة الجهاد الأخيرة التي فيها يتحرر من قيود الجسد وينضم الى المسيح في المجد ، هكذا قبل أن تتكون الحياة الرهبانية باطارها القانوني كان السحيون يعيشون بحسب روحها وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شي\* وباعطائه ذاته لله حتى الموت<sup>(٣)</sup> .

١ - راجع : ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، د . احمد سوسة ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ط ١٩٧٨

٢ - راجع : محاضرات في النصرانية لابي زهرة عن تاريخ كتابة الاناجيل المزورة واثر الاضطهادات في التحريف والتبديل ، ص ٣٥ وط بسعد ها .

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، البير أبونا ص ١٦٥



وفي هذا اعتراف واضح ان الرهبانية لم تكن موجودة على النمط الذي اتخذته المسيحيون فيما بعد والذي طوروا فيه ديانتهم لتستجبه نحو الابتداء وهو ما سيوضح فيما بعد .

ومن ناحية أخرى فان النظرة الاسلامية الى هذه الاضطهادات كانت في محلها ، حيث يعترف المسلمون بأن النكبات قد وقعت باتباع المسيح عليه السلام<sup>(١)</sup> ، كما وقعت وتقع باصحاب كل دعوة ورسالة سماوية ، وان ذلك من سنن الله تبارك وتعالى ، ( الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين )<sup>(٢)</sup> .

هذا وقد تتبع المؤرخون الأحداث التي راقت عليها التعذيبات وأنواعها ، وما نجم عنها من هرب ونزوح من قبل اتباع المسيح عليه السلام ومن ذلك ما ينقله داوئي حيث يقول :

( وعند ما بدأ ظهور الاضطهاد في القدس ، بعد اعدام استفانوس فر من المدينة كثير من اتباع السيد المسيح وأولوا في سفرهم حتى بلغوا فينقيا وقبرص وانطاكية )<sup>(٣)</sup>

وهو واضح وليس صورة الاتهامات والعقوبات التي كان يلقيها هؤلاء ومن ذلك أن جريمة المعارضين للوثنية ( في عرف الباطرة ) كانت ( بمنزلة الخيانة العظمى وتجازى بالاعدام فان صح انه كان رجلا ذا مرتبة وطم فان تلك الظروف ما كانت لتزيد في جرمه وانما هو يحرق أو قل يشوى على نار بطيئة وانما بجلاده وقد امتلأ وحاسة للانتقام للاهانة الشخصية التي لحقت بالباطرة يفتنون في انزال العذاب ألوانا بالسكين دون أن يستطيعوا لصبره قهرا ، وأن يغيروا من اهتمامه الشبات والزراية التي ظل محتفظا بها على محياه )<sup>(٤)</sup> .

١ - روى الامام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن قصة الراهب والفلام ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ / ١٣٠ ، وهو الحديث الذي يشير الى قصة اصحاب الأخدود وقد بسط المفسرون السلسلون القول في أسباب نزول سورة البروج التي وردت في القرآن الكريم ، راجع في ذلك : التفسير الكبير للغير الرازي ٣١ / ١١٧ وما جاء فيه حول هذا الموضوع ، كما ان الامام ابن كثير أورد احاديث عدة ونقل روايات مختلفة عن الحادثة وقد انتهى الى القول بأن أحداث القصة كانت في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليه السلام مستندا الى ما جاء في رواية ابن اسحق . انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٩٢ وما بعدها .

٢ - السعنكيوت : ١ - ٣

٣ - جم : انطاكية القديمة ، جلانجيل داوئي ، ت : ابراهيم نصحي ص ١٥٨ ط ١٩٦٧ القاهرة

٤ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ٣ / ٧١٥

ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ ( ان السلطات بذلت جهدا كبيرا في تصيد نسخ الكتب المقدسة كما حدث أيضا في أماكن كثيرة هدم فيها معظم الكنائس كما طشت السجون بالاساقفة والقساوسة المسيحيين . . . . وكانت هناك تهمة مدنية عديدة توجه في آن واحد الى المؤمنين لتهويل الأمر عليهم نذكر منها :

الانتساب الى دين غير مشروع

الانتماء لجماعات سرية ، والتآمر على الحاكم

رفض اطاعة الاوامر ، ان كانوا جندا والتهرب من واجبات الحياة العامة

والخاصة بل وممارسة السحر . ( ١ )

( ٢ )  
وينقل ابن العبري أساطير الاباطرة الرومان الذين تقلدوا الحكم من زمن اضطهاد المسيحيين حتى بداية القرن الرابع الميلادي أي الى زمن تولي قسطنطين مقاليد الامبراطورية والتي انتهت على أيدي به أيام التعذيب .

ومن بين هؤلاء الاباطرة :

الاسم : مدة الحكم

١٤	نيرون
١٩	طربانوس
١٨	سوريانس قيصر
٣	مكسيميانوس قيصر
٣	فيليبوس قيصر
٩	ارلارينوس قيصر
٦	اورليانيوس قيصر
٢٠	ديوقليديانوس قيصر

( ٣ )  
الى جانب هؤلاء هناك فليريان وجاليسر وديدكسيان وتراجان ،  
وطيباريوس ( ٤ )

١ - راجع في ذلك ، المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبير ١٦٩

وما نقله عن تعذيب نيرون لهم وايقاد أجسام ضحاياه وجعلها شاطئ للسير على ضوئها ، وذلك في : محاضرات في النصرانية ص ٣٥ وكذلك ، المسيحية د . شلبي ص ٧٠ وما بعدها .

٢ - تاريخ مختصر الدول ، غريغوريوس الطيطي المعروف باسم العبري من ص ٦٩ الى

ص ٧٨ ، ط ٢ - المسيحية ، جنيبير ص ١٦٩ ، ومحاضرات في النصرانية ص ٣٤

وطيه فان الأحداث الدامية لم تكن لتمردون أن تتسرك أثرا  
نفسيا صعبا على المضطهدين ، خاصة بعد انقضاء الفتن واضمحلال المحسن  
ولم تكن عهود السلام اللاحقة لتبشر بتقدم ملموس نحو ديانة قائمة على التوحيد  
الخالص ونبذ كل ما يمت الى العقائد الوثنية والاجنبية بصلة .

فما إن صدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ م ( حتى حل السلام في الكنيسة  
وأصبحت المسيحية ديانة معترفا بها . .

ثم غدت دين الأباطرة الرومان وشعبهم . . . فلم  
يعد المسيحي يلاقي غنا من جراء دينه بل اكراط وجاها ، بيد أن هذه الحالة  
أثارت في فكر المسيحيين تساؤلات كثيرة ، : هل يمكن للمسيحي وهو في العالم  
أن يتبع المسيح بحمل الصليب ؟ وهل يمكنه في وسط العالم أن يحقق خلاص  
نفسه ؟ . وكان جواب كثيرين منهم نفياً (١) .

هذه الاسئلة لم تكن لتطرح لولا الانحراف العقدي الذي تكلمت  
فصول البحث عنه في السابق ، والتي تمت على أيدي بولس ومن سار على نهجه ، ذلك  
النهج الذي ألزم الأتباع بما لا يطاق حتى جاءت الاجابات الكثيرة بعدم القدرة  
على السير وراء المسيح كما يعتقدون .

ومعنى ذلك أن هذه السدود التي وضعت في طريق الدعوة الصحيحة ما  
هي الا حركات مفتعلة للوصول الى حافة الانهيار .

وهذه هي النتيجة التي وصل اليها المسيحيون ، وبعد ما تمخضت  
قرايهم عن البدع التي ابتلوا بها فلماذا حصل يا ترى؟ :

يجيب الأب البير على ذلك فيقول ( واذ تضائل أمام المسيحيين حقل  
الجهاد والكفاح في سبيل دينهم والذود عنه ، شعروا أن ثمة شهادة أغرى  
غير شهادة الدم ، يتحتم عليهم آداؤها ، لاسيما وأنهم لاحظوا أن جموع المؤمنين  
وجماهير الهواة المتفرجين شرعوا يغزون مواضع الصلاة ، ففتشوا عن وسيلة تمكنهم من  
اداء الشهادة للمسيح (٢) .

فالتفتيش هنا هو مريط الفرس في الموضوع ، وهو القضية الرئيسية التي

يجب أخذها بعين الاعتبار لما تنطوي عليه من أدلة تثبت ابتداع المسيحيين للرهبانية

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٦٦

٢ - المرجع السابق .

مصادقاً لقوله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ) (١) .

وسيتعرض البحث لجوانب هذا الابتداع اثناً الحدِيث عن موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها .

فلم يكن تفتيش هؤلاء الهواة عن وسيلة نابعة من اتباع نص شرعي صادر من مصدر سطاوى أو وحي السهي ، ولم يكن هذا التفتيش كذلك معمولاً به قبل هذا الوقت بل كان الجهاد والكفاح حسب ما مر سالفاً هو الدافع بين الاوائل الذين ضحوا وقد موالد ما والأرواح خالصة .

بل يمكن وصف هذه النزعة بما يسمى فورة الشباب المتحمس لاى جديد دون اجتهاد منى على أسس سليمة ، لهذا جاءت نتائج أعطاهم بنا طمسى مقدمات فاسدة . فط الداعي الى سلوك هذا الطريق الوعر دون الرجوع الى المصدر الأساسى للتشريع ، ثم كيف يرجعون الى الشريعة وقد تم تحريف نصوصها وعلى تزيورها؟ ، إنه لسؤال صعب بالفعل ....

ففى غياب النص الشرعي ووجود التحريف والانحراف العقدي الذى جلى الأناجيل والرسائل ، فإن حتمية الابتداع لاشك واقعة ، الأمر الذى ترتب عليه عطية تعطيل الجهاد وايقاف حركة الدعوة .

يقول الأب البير أبونا ( . . . ) وإذا بهم ينفردون فى عزلة عن الناس فى أماكن بعيدة عن ضوضاء العالم ويعكفون على الصوم والصلاة ، وهناك من يقول إن الأمر الذى داه بعض المسيحيين الى اعتزال العالم ليس الاضطهادات ولا الخوف من تسرب روح العالم اليهم إنما هي الرغبة فى تحقيق مثل التنسك العليا ، وفى الكرازة بالقول والحياة ، فبعد ان بشرت الكنيسة المدن ، توجهت الى البرارى برهبانها وكانت فكرة التنسك تراود كل مسيحي يهد امتثال المشورات الانجيلية ، وقد أدت هذه الرغبة ببعض المسيحيين منذ القرن الثالث الى الانفصال عن المجتمع جزئياً أو كلياً فى المعتزلات النائية فى البرارى والجبال (٢) .

وهكذا يتبين كيف نسجت الرهبانية خيوطها ، التى بنت عليها صرحها ، فكان الاساس واهياً ، فلا المسيح أمر أتباعه بالانعزال فى البرارى والجبال . ولم يقل لهم التسوا قوانين عزلتكم ممن جاء قبلكم من الرهبان ولم يقل لهم حرموا

١ - الحديد : ٢٧

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص ١٦٦-١٦٧

ما أردتم أو حللوا ما ترون ، بحسب أهوائكم . .

ولو عرضت أعمالهم عليه لتبرأ منهم ولنفيذ افكارهم وترهاتهم . ويكفسي  
انهم دعوا الى تعطيل الحياة واتخاذ سبيل السلبية طريقا وسلوكا في حين  
أنه عليه السلام لم يهدأ ولم يكل من أجل انقاذ ما أمره الله به .

من هنا يتبين كذلك أن الرهبانية تأسست مسيحية ، وسوف نرى كيف نمت  
وترعرعت بهذا\* وقد اجنبي ، وان هذا الابتداء الداخلي لم يكن ليستمر لولا وجود  
العوامل الخارجية والتيارات الاجنبية التي أمدته بالقوانين والانظمة المرمية لديها .

## الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية : نشأتها ، تطورها اشارها ، ونقدها

لم ينتظم عقد الرهبانية المسيحية كطبقة لها نفوذ واسع وسلطة  
عريضة الا بعد تطورات عديدة شهدتها الكنيسة وأتباعها .  
فقد بدأت حركة الرهبان حركة فردية كحالة منفصلة عن الواقع القائم  
ابان عصر الحوارين الذي اتسم بالجهد والاستشهاد ، وهذه الحركة الفردية لم يكن  
يربطها اى رابط فطري بينها ولا يجمعها اى تنظيم معين ، الا ان سطات الاتصال  
الخارجي بالفكر الغربي تظهر من خلال التطورات التي احدثتها هذه الحركة .  
ويمكن متابعة التسلسل الذي مرت به الرهبانية عبر التعرف على بذورها  
الاولى التي بدأت في مصر . فمن هذه المراحل :

### اولا : أوائل التنظيمات الديرية

يعتبر " انطونيوس " ( ٢٥١-٣٥٦ م ) مفتتح الطريقة النسيكية مع نداء الانبا  
بولس ( ٣٤٧ م ) الذي اختار الصحرا الشرقية في مصر قرا له وسكن مغارة هناك  
مدة تسعين سنة . ( ٢ )  
وطيه فإن الظاهرة قد بدأت في مصر على يد هذا الأخير ، وهناك من يرى أنه  
قبل انطونيوس وجد ( مسيحيون متوارين في ضاحيات منهم منفردين . . . يعيشون  
حياة العزلة ، وانطونيوس نفسه عندما رفض حياة العالم كان على علم بواحد من اولئك  
النسك كان يعيش منذ سنين طويلة في ضاحية : " كيو " ( *Quemau* ) ( ٣ )  
وتتلخص سيرة انطونيوس هذا بأنه ( شاب أمي من أنحا طيبة الدنيا ، وزع أملاكه  
الموروثة وهجر أسرته ووطنه ، ونفذ كفارة الرهبنة في تعصب أصيل جرى ذلك أنه بعد  
أن قض فترة طويلة شاقة في إعداد نفسه للرهبنة بين القيسية ووفي برج

---

١ - ولد سنة ٢٥١ في حضن عائلة مسيحية ثرية في بلدة قمن أو ( قيمان ) من أعمال  
مركز الواسطي التي تقع على بعد نحو ٩٠ كلم جنوبي القاهرة المصرية ولم يكن مصري  
الأصل بل إبن مهاجرين يونان سكنوا مصر وأبواه مسيحيان أثريا من التجارة ( انظر :  
تاريخ الكنيسة الشرقية ١٦٨/١

٢ - المرجع السابق . وراجع كذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ، محمد رفعت واحد  
حسونة ص ١٠٥ ط ٢ ١٩٢٦ ، مصر

٣ - التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ، الأب محفوظ ص ٣٤ . ويحل ديورانت السى  
القول بأن انطونيوس هذا لم يأت تأثر بالمبشرين الذين أرسلهم أشوكا الى الشرق وكذلك  
بالجماعات اليونانية ( السرايين والمنتسطين ) أو الاسينيين اليهود ( انظر : قصة  
الحضارة ٤/١ : ١١٩

غرب مهجور ، تغلف في جرة داخل الصحراء في رحلة ثلاثة أيام الى الشرق من نهر النيل ، حتى اكتشف بقعة منعزلة يتوفر فيها الظل والطم ، ، واستقر أخيراً فوق جبل قلزم الى الغرب من البحر الأحمر ، حيث لا يزال هناك دير قديم يحمل اسم القديس وذكره ، ولحقه السحبيون الى الصحراء (١) .

وقد تكاثر عدد الرهبان وازدادت معهم صوامعهم فوق ( رسال لبيا وطي صخور طيبة وفي مدن وادي النيل والى الجنوب من الاسكندرية استوطن خمسة الاف من النساك جبل النظرون (NITRIA) والصحراء المجاورة ولا يزال في مقدور الجائل أن يطالع خرائب خمسين ديراً أقامها تلاميذ أنطونيوس في تلك التربة الجرداء (٢) .

وقد أوجد هذا الراهب نوعين من النساك الرهباني هما : الحبسا والسباح (٣) .

وهكذا يتضح أن هذا السلك إسم بالنساك الفردى الذى يعيش الراهب فيه عزلة لوحده منفرداً عن غيره .

وقد لاقى هذا النوع انتقادات من قبل بسقية الرهبان الآخرين : وذلك لما ينطوى عليه من خلل واضطراب كبيرين ( وطي كثير من الأخطار كما في الروحانيات ( الروحانيات ) كذلك في البدايات : إن حياة العزلة الثامة ليست طمياً خلاصية إلا لبعض الأنفس المحظوظة الخارقة في التقوى ( طى حد ) تعبيرا الأب محفوظ ) فالناسك في قلايته لم يكن له الفرصة ليطارس فضيلة الطاعة ( كما يسسونها ) أو أن يتم فرض المحبة نحو القريب . فضيلة جوهريه انجيلية

... وهكذا كان هناك متوحدون ( منفردون ) يمارسون تقشقات جسدية في اغراق غريب فيتعرضون للمجيد الباطل ان يعتبرون أنفسهم أكمل من السوى فهذه الخطة انحرفت الرهينة عن خط الكمال الذى رسمه لها الرهبان الاولون (٤) .

وهكذا أيضا تسكون الاعتراضات واردة داخل المجتمع الرهباني السحبي نفسه ألى الصورة التي ينقلها الرهبان عمن أنطونيوس فهي كثيرة جدا ، ويغلب عليها الطابع المغالي (٥) . الا ان النتيجة التي يخرج منها المرء : (ان هؤلاء الذين

١ - " اضحلال الامراطورية الرومانية وسقوطها ، ادوارد جيبون ، ت: لويس

اسكندر ٣١٩/٢ - ٣٢٠ دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر .

٢ - المرجع السابق وانظر كذلك : تاريخ أهل الذمة في العراق ، د. توفيق سلطان اليوزكي ص ٢٧٣-٢٧٩ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣-١٩٨٣ ط١ العراق .

٣ - بستان الرهبان لعدد من آباء الكنيسة ص ٥

٤ - التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٣٦ ٥ - تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣

تنسكوا على طريقة أنطونيوس ظلوا بغير قانون ثابت يجمعهم وانما جمعتهم شخصية معلمهم الذي أمرهم بالطاعة لرئيس الدير والخضوع له وفرض عليهم القيام بتوفير الطعام والكساء بأيديهم ومنع السهرمان من الاشتراك في الحياة العامة والزواج<sup>(١)</sup>.

### الرهبانية الجماعية :

العزلة التامة التي قررها أنطونيوس حرمت الكثيرين من نعم الله تعالى التي انعمها على البشر ، فأورثهم جفوة في القلوب وتحجرا في الطباع لبعدهم عن قرنائهم وأخوانهم في الانسانية مما أدى بالبعض الى مج هذه الطريقة ولفظ هذا الاسلوب ان ( أحس النساك أن كثرة من الدعيين الى هذه الحياة ... لا يسعهم العيش في العزلة التامة ، وأنهم بحاجة الى اخوتهم ليتلقوا منهم العطف والمساعدة لحياتهم الروحية وان بالحياة الرهبانية تخطو خطوة كبيرة على يد ... باخوميوس . ( ٢ )

لقد استطاع هذا الأخير وضع أول قانون رهباني ألزم أتباعه به وهدد أتباعه قائلا ( لن أتسك بكم اذا لم تتقيدوا بجميع التعليمات التي اعطيتكم )<sup>(٣)</sup>.

ان هذا التهديد يوحي ببداية الطغيان الروحي والنفسي الذي مارسه آباء الرهبان الأوائل على أتباعهم ، وهذا ما أدى الى قبول أي قانون أو نظام يصدر عن باخوميوس وأنداده الآخرين . وقد أضاف باخوميوس الى نظامه مبدأ الحياة الجماعية والمساواة في السلوك بين الرهبان ، فمن المقررات التي أرساها : - الطاعة له ولآب الأباتسي وأصبح الأباتي هو الرئيس بالمعنى القانوني للكلمة فسلطته هي الأقوى وما من أمر يتم في الدير بدون اذنه ومنفذ فالراهب الباخومي لن يستطيع تنفيذ أمر على هواه ولا يمكنه أن يترك الدير دون أن يلتصق سبقا الإذن فيحصل عليه من قبل الرئيس وكل تلكه منه عن الإحتطاط العامة دون إذن الرئيس تعرض للشموم الشديد )<sup>(٤)</sup>.

١ - تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٢-٢٧٩  
٢ - كان فلاحا، سرح سنة ٣١٤ م من الجندية وكان ذووه وثنيين يسكنون في ضواحي اسنیه الى الجنوب من طيبة ، واهتدى الى الديانة المسيحية وتلقى العلم على يد فالمون بالقرب من خنيهوسكيون ( قصر السيد اليوم ) راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١ : ١٧٠ وقصة الحضارة ٤/١ ١١٩  
٣ - التنظيم الرهباني ص ٣٧  
٤ - المرجع السابق .



ومن ذلك الحين تبدأ ولادة السلطة الجديدة التي ستظهر فيما بعد كقوة أكبر ولتبنى على أساسها سلطة الكنيسة العليا التي مهدت لظهور الطيفان الكنسي بشتى أنواعه . والتي تمثلت بسلطة البابا في روما .

وفيما بعد، إنضمت إلى القانون الباخومي هذه ديارات انجذبت بفعل الحطس الذي أبداه الاتباع إضافة إلى الأديرة التي أنشأها النساء ( ١ )

وقد منح الرئيس العام للأديرة سلطة المراقبة على حفظ القوانين في الأديرة ، ومهام القبول النهائي في جمعية الرهبان وكذلك فرض العقوبات ( ٢ ) .

وقد كان لإنتشار الأديرة وكثرة عدد الرهبان في المدن والأقاليم المغطاة فرصة كبيرة لولادة المجمع الدينية ، فقد أمر باخوميوس جميع الرواسا وجميع (الأخوة من الرهبان ) أن يجتمعوا مرتين في السنة وفي الثالث عشر من آب ، ليتحققوا من حفظ القوانين في الجمعية كلها ( ٣ ) .

وهكذا تمت في عهد باخوميوس ولادة السلطة الكهنوتية عن طريق تحكم رئيس الدير بالرهبان وتحكم المجمع بالتشريعات والقوانين .

- المجمع بين الطريقة الفردية والجماعية :

وقد تابع سيرة باخوميوس راهبان هما: يقول ( BG-DULL ) وابن أخيه شنودي ( Schemouli ) ٣٨٨ م اللذان إتسمتا طريقتهما بالقسوة . إذ ابتدع شنودي هذا أمراً لم يكن على عهد سابقه فقد فرض على جميع رهبانه منذ توليه السلطة في إدارة الجمعية عهداً بالطاعة خطياً . وبدأ كهذا يعتبر من الأمور الخطيرة (٤) إذ يترتب عليه مسائل تتعلق بقضية الولاة وهو ما سيشار إليه فيما بعد ان شاء الله .

كما جمع هذا الأخير بين العزلة والحياة الجماعية معتبرا الثانية مرحلة لتثقيف بعض النفوس المختارة ( ٥ ) .

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١ :- ١٢٠

٢ - التنظيم الرهباني ص ٣٨

٣ - المرجع السابق ص ٤٠

٤ - المرجع السابق ص ٤١

٥ - المرجع السابق

(١) ومن مصر انتقلت الحياة الرهبانية وقوانينها الى كل من فلسطين وبلاد

الشام والعراق وآسيا الصغرى . (٢)

( وقد أدخل " هيلاريون الغزي الحياة الرهبانية في فلسطين في القرن الرابع وفي القرن الخامس اشتهر أوطيسس (٤٧٣) م كأب للرهبانية في الأرض المقدسة وفي الجبال المجاورة لانطاكية في سورية القريية وفي برية كلبسيس ( طيبة السورية ) نشأت فرق عديدة من النساك . ولديهم قضي يوحنا الذهبي الفم والقديس هيرونيوس ردحا من الزمن .

١٠ في آسيا الصغرى والمناطق المجاورة ( فقد انتشرت الحياة الرهبانية بواسطة اوسطافيس مطران سبسطية في ارمينية نحو ٣٨٠ وبواسطة طيموثا الشهير . باسيليوس مطران قيصرية قبل وقية واليه يعود الفضل في سن قانوني الحياة الرهبانية : القانون الكبير ، والقانون الموجز ، ( وقد ) اصبحا عبادا للقوانين التي وضعها الموسسسون الآخرون في الاجيال اللاحقة ) (٣) .

كما أدخل اثناسيوس فكرة الرهبنة وممارستها في رومة حيث فتح تلاميذ انطونيوس مدرسة لهذه الفلسفة الجديدة حين رافقوا مطرانهم الى أعتاب الفاتيكان وأثار المظهر الهيمجي الغريب لهؤلاء المصريين في أول الأمر فزع الناس واحتقارهم ولكنه دفعهم في النهاية الى استحسانه والتحسن لتقليده وحول أعضاء السنانو والسيدات الثريات بنوع خاص قصورهم وقلايتهم الى بيوت دينية (٤)

وهكذا توسعت الأديرة وازدادت أعداد الرهبان ازداد يساداً مضطرباً في الشرق والغرب وتنوعت القوانين الرهبانية واختلفت من دير الى آخر حسب ما ذهب اليه كل نحلة أو فرقة من الفرق النصرانية . (٥)

وقبل التوسع في دراسة القوانين الديرية ، ينبغي التوقف قليلاً لملاحظة أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد الرهبان .

١ - راجع : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، د . محمود سعيد عمران

ص ١٦٠ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م .

٢ - انظر : تاريخ أهل الذمة في العراق ٢٧٣-٢٧٩

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١٢١/١

٤ - اضحلال الإمبراطورية الرومانية ٣٢٠-٣٢١

٥ - مع الأخذ بعين الاعتبار " البروتستانت انتقدوا انظمة الديرية لما كان يتخللها من فساد خلقي تغشى بين الرهبان نظراً لتحريم الزواج انظر : تاريخ الاصلاح

في القرن السادس عشر ص ٣٦٨

ثانياً :

أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد عدد الرهبان :

قد يتساءل المرء عن الأسباب التي تدفع آلافاً الى اعتناق مبدأ الرهبانية مع ما يرافق تلك الحياة من تقشف وعزلة وصعوبة في العيش ، ولا شك أن هناك دوافع كثيرة ساعدت بشكل أو بآخر على سرعة نمو هذا النمط من الحياة وأسهمت الى حشد بعيد في انتشار هذه الظاهرة التي بدأت فردية وأخذت تتوحد حتى تعددت طرق حياتها وتشعبت صيغها .

وقد توغل جيون في دراسة هذه الظاهرة نظراً لمعرفة وخبرته بخفايا المجتمع المسيحي وخبايا الأوضاع الشاذة التي رافقت تطور المسيحية ، ونموها .

وقد حلل أسباب سرعة انتشار الرهبانية وذيق امرها ، وقد جاء مطابقاً للواقع مجيباً فيه على اسئلة تخفى على الكثير من العلماء فمن ذلك قوله :  
( هؤلاء التماساً الذين اعتزلوا الحياة الاجتماعية كانوا مدفوعين الى حياة الرهينة بدافع من المبغضية الخرافية ، وهي عقيدة مبسطة لا تخبرنا بها وكان همهم المشترك يستند الى السبل الذي ضربه ملايين من الجنسين ، من كل عمر ، ومن كل مرتبة ، وكان كل مهتد من الداخلين الى رحاب الدير ، مقتنعا بأنه عبر الطريق الشائك الوعر الى السعادة الأبدية غير أن فعل هذه الدوافع الدينية كان يحدده بصور مختلفة خلق الناس وضمهم . فالمعقل قد يقهر أثرها والعاطفة قد توقف ذلك الأثر . . .

فهر ان هذه الدوافع الدينية كان لها الأثر في ضعف العقول من النساء والأطفال ، وكانت قوتها تزداد بفعل ندم على خطيئة خفية أو محنة طارئة ومن الجائز أنها كانت تستند بعض المومنين من بعض الاعتبارات الدينية كاعتبارات الغرور او الهلوسة ، وكان من الطبيعي أن يسود الاعتقاد بأن الرهبان الأتقياء المتواضعين الذين نبذوا العالم لكي يخلصوا على خلاص أنفسهم هم أجدر الناس بأن يتولوا حكم المسيحيين حكماً روحياً (١)

هكذا أصبح للراهب مكانته في نفوس الأتباع الجدد الذين كانوا تستيطر عليهم هيبة الكهنة بما تخفي وراءها من الفاز خفية لا تظهر للرعياع ( ومن ثم فان الرهبان ذوى الضمير الذائع الذين ارتبطت سمعتهم

يشهرة طاقتهم ونجاحها علواً جاهدوا على مضاعفة أعداد أتباعهم الأسرى فكانوا يدسون أنفسهم وسط الأسر النبيلة الغنية ويستخدمون فنون الطق والأغراء المنقذة لجذب أولئك المهتدين الذين يمكن أن يقدموا على مهنة الرهبنة من ثرائهم ويضفوا طيعها من مكانتهم ، وكان الوالد الساخط يولول على فقدان ابن ربه كان ابنه الوحيد كما كانت العذراء الساذجة يضلّلها الغرور ويدفعها إلى خرق قوانين الطبيعة وكذلك كانت السيدة الشربة تتطلع إلى الكمال الوهي حين تنبذ ميراث الحياة العائلية) (١)

في هذا الجو الذي أشاعته الرهبانية في الأوساط المسيحية أمكن تعبئة النفوس وشحنها لتقبل هذه الحياة مع شجع الأباطرة والمسيحيين والألمانيين والأغنياء و(جعلهم) يتبارون في بناء الأديرة وإيقاف الأوقاف طيعها وأغداق الهبات إليها . (٢)

وهذه الدوافع الدينية التي كُفّت في نفوس أولئك الفارين من نط الحياة الاجتماعية إلى حياة العزلة كانت هدفاً لشباك الرهبان لاصطياد الطرائد البشرية وما أهون بيع الكلام مقابل شهرة واسعة وجاء عريض . كما أن استغلال تلك الدوافع الدينية والفطر السليمة تعتبر تجارة استحل الرهبان اقتناصها وتحولها لمصلحتهم تحت ضغط الطغيان النفسي الذي مارسوه تخويفاً من إرث طهر أوزلّة طارئة وما أبشع هذا الاستغلال المومي إلى الانحراف عن الصراط السوي .

وما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء المتأجرين بمواطف الناس لم يكونوا من الناحية الدينية والخلقية بأحسن من أي طائفة كانت معصيته . فالأساليب الخادعة ، المبنية على الدجل ، كانت السمة الظاهرة للأغلبية . (٣)

هذا ولا بد من الإشارة إلى بقية الأسباب التي لا يمكن تناسيها

ما دام الحديث يتصل بالأسباب المومية إلى انتشار وزيوع الرهبانية ، فمن الأسباب التي ترد في هذا الشأن ما يعتبر أخطر وأعق ما مر في السابق . أن

١ - اضطهاد الإمبراطورية الرومانية ٣٢٣/٢ - ٣٢٤

٢ - تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٦

٣ - والغريب أن القاضي عبد الجبار قد أورد صوراً من الخدع والاحتيالات التي يتقنها الرهبان ، وقد أظهر بعض المكاشفات التي تدور بين هؤلاء ومن ذلك قوله ( والغفنة من النصاري يقولون : هذه الآيات والمعجزات إنما هي من احتيالات الجبالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويغفر من الكد ، ويسمونهم بلغتهم السريانية ( عازق معنات ) معناه أنه ترهب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكد والرهبان إذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول أحدهم لصاحبه ( النصاري يفضلونك طينا ويمعطونك أكثر مما يعطوننا ومالك من فضل طينا ، كلنا قد فر من العمل وإنما نحن نصلي للنصاري . . . ولهم من المكاشفات ما يطول شرحه . . . وربط جوارح الراهب إلى الجاثيق بمثل هذا لينفق عنده ، فيقول له الجاثيق يا أخي ما ينبغي أن تعمل

( ان الأديرة كانت لمصلحة بجمهور من الدنيا \* المفقورين الحقراء \* ، الذين كانوا يربحون في أديرتهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم ، فالغلاخون والمعبيد والصناع كانوا يهربون من الغاقة والازدراء الى مهنة شريفة يخفف من معنيتها الظاهرة حكم العادة ، واستحسان الناس ، والتراخي الخفي في النظام ، كما أن رعايا روم الذين تعرضت ثرواتهم وأشخاصهم لخراج باهظ غير متكافئ كانوا يهربون من ظلم الحكومة الإمبراطورية الى الشبان الجبناء فقد كانوا يفضلون كفاية حياة الرهينة على أخطار الحياة العسكرية ، وكذلك كان سكان الولايات من كل مرتبة ، هم الذين تملكهم الدهر وعدوا إلى الفوار أطم المتبررين ، كان كل هؤلاء يجدون في الأديرة طوى وفداً ، وهكذا ضمت هذه الأماكن الدينية القدسة بفرق كاملة من هؤلاء الناس (١) .

وبعد قراءة ما بين الأسطر قلن يعجب أحد من إفتخار الرهبان بذكر تاريخ الأديرة ونمو الرهبانية وانتشارها في أصقاع الإمبراطورية والتغنى بأصولها ورسوم جذورها في التاريخ .

ومعرفة هذه الأسباب الدافعة الى ازدياد اعداد الرهبان تتكشف الحقائق ، ويستدل الستار عن الفصول التي لعبتها الرهبانية ترويجاً لبهاقتها .

وبعد ذلك لا بد من التعرض للقوانين الديرية وما تمنحها ممن فرائض واجبات ، ألزمت الرهبانية أتباعها بالسير عليها .

---

معني هذا فأنا أعرق بالمنحة ، هبنا خدعنا غيرنا بعضنا يعرف بعضنا بالمنحة واحدة ، وأننا طارق معناتاً مذك ، فلا تترك .

وبعقب القاضي عبد الجبار على ذلك قال : ومثل هذا يرحمك الله تجد كثيراً من القسيسين والرهبان إذا رأوا راهبا أو جاثيقا أو قسا أو طراناً قد أدعيت له المعجزات ونفق على النصارى يقول بعضهم لبعض : انظروا بسأى شيء نفق هذا على النصارى الجبال ونفذت حيلته فيهم واستوت . انظر : تثبيت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار البغدادي . ت : عبد الكريم عثمان ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ . دار العربية للطباعة والنشر بيروت .

- ١ - اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٥-٣٢٦
- ٢ - راجع ما كتب عن انتشار وتعدد الرهبانيات في كتاب : الرهبانية الباسيلية الشورية ١ / ٣٦-٣٧ . أ . د . حاج ١٩٧٤ الطبعة ٢ وما كتبه بطرس البستاني في دائرة معارفه ٨ / ٦٨٧ .

## ثالثا :

## أمثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها

بعد استعراض أهم الأسباب الموجهة الى اتساع رقعة الرهبانية تجد الإشارة الى ان القوانين الديرية ، اتخذت اشكالا مغايرة فسيط بينها تسعا لتعدد الفرق والمذاهب في المسيحية .

وليس من السهل تعداد الأديرة والرهبانيات التي تأسست في الشرق والغرب ، ولكن تكفي الإشارة الى أنه ما إن يعدد رئيس دير الى تنظيم قوانينه حتى يخلفه تلاميذ ينشئ كل واحد منهم طريقة نسكية وقوانين توافق او تخالف رئيسه السابق ، وهكذا الى ان تجمع في العالم المسيحي ، أديرة وقوانين من الصعب حصرها في مؤلف واحد .

طما بان معظم تلك القوانين قد نسجت على نوال قانون انطونيوس ، واغومبوس واسيلي الذين مر ذكرهم في المباحث السابقة .

وتعداد الأديرة والجمعيات الرهبانية ليس بالامر السهل كما مر ، فهو عمل يحتاج الى وقت وجهد كبيرين ، الا انه تكفي الإشارة الى أهم الرهبانيات التي تأسست ابان المصور الوسطى والتي تحولت جهودها في العصر الحديث الى اعمال التبشير خاصة في العالم الاسلامي ، ودول العالم الثالث بشكل عام .  
وأهم هذه الرهبانيات :

- رهبانية الاباء البندكتيون

- جماعة الفرنسيسكان

- جماعة الدومنيكان

- جماعة اليسوعيين

- الجسسيثوديزم ( النظاميون ) . ( ١ )

الا ان القوانين الديرية الخاصة بالرهبان فانها تختلف كما سبق القول بحسب اختلاف الفرق المسيحية وما يهم البحث هو ما يختص بالفرائض والواجبات المقررة على الرهبان . لذا سيقصر هنا على بعض النماذج من هذه القوانين لمعرفة تلك المقررات .

١ - مراجع - ما نشره الدكتور عبد الجليل شلبي من حلقات في جريدة المسلمون العدد الثامن والتسعين والتاسع والتسعين تاريخ ١٩ / ربيع الآخرة ١٤٠٧ الموافق ٢٠ / ديسمبر ١٩٨٦ حول جماعات التبشير ضمن سلسلة التبشير والاسلام .

### الرهبانيسة السريانية :

تأثرت هذه الرهبانية الى حد كبير بالتقشف الانطوني والنسك الباخوي وكانت العزلة من أهم السلطات التي يلتزم بها الراهب ؛ اضافة الى وجود عدة التزامات يفرضها القانون منها :

- ١ - لا يقبل في الدير أي راهب دون أن يحل كتاباً من رهبته من الرئيس
- ٢ - عدم المساح بمفادرة الدير دون اذن الاسقف المكاني
- ٣ - يمر البتدي\* باختبار يممت الى سنة واحدة على الاقل . ( ١ )

### الرهبانيسة الباسيلية ( ٢ )

- هذه الرهبانية تعتبر صدى للنسك الباخوي ومن أهم مبادئها :
- ١) - رفض نظام العزلة واختيار النسك الجماعي
  - ٢ - استقلالية الأديار عن بعضها بحيث يكون لكل دير الحق بصياغة قوانين جمعياته .
  - ٣ - سلطة الرئيس في الدير مطلقة .
  - ٤ - مدة اختبار البتدي\* تخضع لتجارب قاسية
  - ٥ - تقام حفلة للتدرج طناً وذلك لحفظ العفة ( البتولية ) اسام رؤساء الكنائس .
  - ٦ - على الراهب ان يرتبط بالتمهيد بالقوانين ( فاذا خالفه وهجر الرهبنة مرتداً الى العالم ارتكب في عرف الرهبانية جريمة تدعى ————— القدسيات ( ٣ )

- ١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطرونية ص ٤٥-٤٤
- ٢ - نسبة الى باسيلوس : الذي جاء قانونه الديري بعد باخوميوس . وقد انتشر في الشرق . وكان عقل باسيلوس قد تذوق علم أثينا وبلاغتها . وكان طموحه أكثر من ان يشبعه منصب رئيس اساقفته . . . . . فانسحب الى تيطس حيث عاش في عزلة موحشة وفي فترة من الوقت رأى من المناسب ان يمن القوانين للمستعمرات الروحية التي نشرها بكثرة على طول شاطئ البحر الاسود ( راجع اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٣٢١/٢ ، وكذلك قصة الحضارة ٢: ٢/١ ١٢٤-١٢٥
- ٣ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطرونية ص ٥٧-٦١

## الرهبانيسة الطارونية (١)

تأثرت الرهبانية الطارونية بقوانين عدة منها ، قانون انطونيوس وباسيليوس واغوستينوس ، وهذا الاخير كان ينسب اليه قانون تيناه في القرن الثالث عشر الرهبان الدومنيكان .

وقد شهد القانون الماروني تطورات عدة بعد التزامه بالصيغة البدائية التي كان معمولاً بها قديماً ، وقد حصلت هذه التطورات خلال العصور الوسطى - واهم الالتزامات التي كانت تفرض على الـمبتدئ\* :  
اولا : يمر الـمبتدئ\* بمرحلة تجربة تتراوح بين ٣ سنوات الى ٣ أو ٤ اشهر حسب ارادة الرئيس الذي يستقبل النذور .

ثانيا : ضرورة المواظبة على الصلوات .

ثالثا : ضرورة لباس الاسكيم بعد التجربة

رابعا : ابراز النذور الثلاثة : العفة ، الفقر ، الطاعة .

خامسا : يضاف الى ذلك نذر ، الصوم ، وهو الانقطاع عن أكل اللحم وكان على الفتى المـشرح أن يدخل الكنيسة ويجثو أمام رئيس الدير بحضور جميع الأخوة ويقول ( انا الاخ فلان ) ( أو الاخت فلانة ) انذر واحد الله الضابط الكل والطهارة المـذرا\* مريم والطهارة وجميع القديسين ولك يا اباانا ان امكث كل ( ايام ) حياتي خاضعا للقانون الاول الذي اعطانا اياه الطهارة و انطونيوس و ايلاريون وأثبتته سيدنا البابا انشنيوس ، سأحيا خاضعا للطاعة دون تلك وفي العفة .

وهجيبه الرئيس ( وأنا فلانا اذا حفظت ما طهـدت عليه أهدك بالحياة الأبدية آمين (٢) .

١ - نسبة الى كاهن ناسك اسمه طارون ( ٣٥٠-٤١٠ م ) عاش بجوار اقاميا أي قلعة الضيق اليوم في سوريا ، وهو سبب تأليف هذه الطائفة الى الاختلاف في الرأي بين الخلقيدونيين ( نسبة الى مجمع خلقيدونيا ) وشغور الكرسي الانطاكي على اشراف الفتح العربي فألف أتباع طارون أو بيت طارون عصبة واحدة وكانوا ينتخبون لهم بطريركا خاصا لهم يرجعون اليه في جميع شؤنهم ثابتين على تعاليم المجمع الخلقيدونيسي الذي يعلم أن فـسـي المسيح اقنوا واحدا وطبيعتين كالميتين ، وحضا لمزاعم نسطور أو طيخا الكافرين ( على حد تعبير بطرس فهد ) .

راجع في ذلك : الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، الاباتي بطرس فهد ص ٦٢-٦٣ مطابع الكرم الحديثة جونية ١٩٧٢ م ، وراجع ايضا : طارون ، قديس القورشية اسبيرو جبور ص ٥-٩ ، المنشورات الارثوذكسية ١٩٨٢ مكتبة السائح طرابلس ، لبنان

٢ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ٩٧ الى ١٠٤



ويتضح من هذه الفقرة الأخيرة مدى نفوذ الرئيس ومدى الصلاحيات التي تخوله منح الحياة الابدية لمن حافظ على ما عاهد عليه .  
وستتضح الصورة بشكل أوضح أثناء الحديث عن الطغيان الديني الذي مارسته الرهبانية ، انطلاقاً من مبدأ الوصاية على البشر .

اما العقوبات بالنسبة للرهبانية الطارونية فقد نصت على :

- أن من يهجر الحياة الرهبانية ويرجع الى العالم يرتكب تدنيس القديسات  
واذا اتخذ الراهب الجاحد امرأة فانه يرتكب خطيئة الفسق (١) .

#### الرهبانية النسطورية :

تتنسب هذه الرهبانية الى نسطور (٢) وقانونها يشمل عدداً كبيراً من القيود التي تفرض على الرهبان ، وربط تكون مواد هذا القانون أوسع من غيره ، ومن شروطه :

- ١ - لا يقبل " راهبا " من كان عبداً ، الا باذن مولاه وان كان حراً وله ابناء فبموافقتهم .
- ٢ - يقبل راهبا من قتل خطأ .
- ٣ - ان يستنذر الفقر والعفة والطاعة وكل ما يستعمله طهراً لا من مستلزمات الدير ويتعهد بعدم امتلاك أي شيء . وعدم بيع الاواني التي يستعملها من العثر .
- ٤ - يتعهد بعدم الزواج وأكل اللحم .
- ٥ - ان يقطع طلاقته بأهله ولا يرجع اليهم ( ولا يحاد شهم ولا يلتمس ثيابهم على سبيل البركة - ولا يتعاطى اشغالهم وعند قبوله في سلك الرهبنة لا يحق له ان يأخذ من بيت أبيه شيئاً سواه كان أبوه غنياً أم فقيراً ، حياً أم ميتاً ، فان اعطاه أبوه شيئاً على سبيل البركة او اخوته بعد موت أبيه يكون ذلك في سبيل البركة ، وان مات هذا الراهب ولم يكن قد أخذ من أهله شيئاً وخلف قلاية

١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ١٠٨-١٠٩

٢ - ظهر في زمان المأمون وتصرف في الاناجيل بحكم رأيه وأضافت اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هويات الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملاكية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة أو على بلور او كظهور النقش في الخاتم ) : الطل والنحل ، للشهرستاني ، على هامش الفصل ٣/٣٧

فليس لأقاربه فيها شيئا فكلما أنه لا يرثهم لا يرثونه ، لكن ماله لا خوته الروحانيين  
وإن إلتبس أبواه أو أخوته شيئا طي سبيل البركة يدفع لهم . وإن مات أبوه  
الراهب وله أخت أو أخوات صار الميراث لهن (١)

فإن قبل الرهبان بموجب الشروط السابقة كان عليهم الالتزام بما يلي :

أولا : طي الرهبان أن يعيشوا عيشة طبيعية معتدلة دون إفراط  
في تهديم صحتهم كما فعل الرهبان الأوائل بتعذيب أجسامهم تخلصا  
من العالم الفاني وتقربا من الله لأن الله لا يطلب إلا مبلغ الاستطاعة .

ثانيا : يقوم الرهبان ببعض الأعمال لخدمة الدين فبعضهم يقوم بالطبخ  
وبعض الآخر يزرع المحاصيل والحبوب وإصلاح الأرض . ومقاب  
المخالف فمن يتخلف عن الحصاد مثلا تكون عقوبته التوبيخ . . .

ثالثا : يقسم اليوم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول للعمل ، والثاني  
للقراءة والصلاة والثالث للنفذ والهدوء .

رابعا : ينام الرهبان في بيت واحد طي الأرض هناك . رئيس الدير  
والعرض طي الأسرة ويمنع الراهب من خلع ملابسه عند النوم . ولا  
يحل وسطه ولا ينام إثنان طي مائدة واحدة  
خامسا : يشترط طي كل راهب أن يكون مرتباً في كل أموره ولا يبقى خارج  
عمرة أكثر من ثلاثة أيام ولا يشرب فيها الخمر . (٢)  
الى غير ذلك من الفرائض الأخرى .

١ - : نصارى العراق في العصر العربي ، جاسم صكبان الربيعي .

١١٤-١١٥ ، كلية الآداب جامعة بغداد ، ١٩٧٤م

٢ - ربط أدرك الرهبان هنا مدى خطورة ما ذهب اليه الأوائل من تعذيب الجسم  
فلما رأوا عقم هذا السلك أعرضوا عنه ، لأنه يحلّل الإنسان ما لا يطيق .

وطي الرغم من ذلك فإن التمتع في الالتزام بالواجبات والفرائض  
هادت لتؤكد تمسك الرهبانية تجاه حياة الناس .

٣ - نصارى العراق في العصر العربي ص ١١٥-١١٧

### اديرة النساء وقوانينها

لقد أحدث باخوميوس في المسيحية بدعة لم يسبق اليها ، وهي ادخال النساء الى الدير والالتزام بالترهب فقد شعر هذا الأخير بأن (قلب اخته مريم يسيل نحو حياة التقوى والفضيلة ، لذا ارسل بعضها من اخوانه يبنون لها بيتا فسي قرية تينيسي على مقربة من ديره الأول وأقاموا فيه معبدا صغيرا وبعد قسمل من الزمن أتت نساء كثيرات يضعن أنفسهن تحت ادارة وسلطة مريم ، وهكذا نشأت أديرة كثيرة للنساء ايضا ) . ( ١ )

ان هذا الاجراء لم يكن وليد البيئة التي نشأ فيها الحواريون أتباع المسيح عليه السلام بل هو كما لوحظ وليد الفراغ الذي أحدثه غياب همى طيبه السلام وتعاليمه الصحيحة .

وان استند الرهبان الى نصوص مزيفة تدعى آراءهم بضرورة ترهب الرجال فانهم لن يجدوا مطلقا نصا يؤيد دعواهم بالترزام للنساء في الدير واتخاذ طريق الراهبات .

واظب الظن ان هذا الجدل قد استوحاه باخوميوس من البوذية التي ( ٢ )

أقرت قوانين للراهبات واتخذت لهن أديرة للمعيش فيها .  
يعتبر جيروم من أقدم آباء الكنيسة في الدفاع عن عزية النساء وان خالهن مسلك الراهبات وتعتبر رسالته الى العذراوات من أشد الوصايا حطسا في هذا  
الصدر ( ٣ )

١ - ج . تاريخ الكنيسة الشرقية ١٧٠ / ١

٢ - انظر : ص ( ١٥٧ ) من هذا البحث

٣ - كتب جيروم الى احدى الفتيات يقول لها ( انه لا يعارض في الزواج ولكن الذين يتجنهونه ينجون من سدوم . . . . . ومن الأم الحمل وصراخ الأطفال ، وتسابب البيوت ، وطاب الغيرة ، وهو يعترف بأن طريق العفة شاق أيضا وأن ثمن البكورية هو اليقظة الدائمة . . . ان فكرة واحدة قد تكفي لضياح البكورية . . . فليكن رفاقك هم صفر الوجوه الذين هزلت أجسامهم من الصوم . . . ليكن صورك حدثا يتكرر في كل يوم ، . . اغسل سريرك ورشي مخدعك كل ليلة بالماء . . . ولتكن عزة غرفتك هي حارسك طمس الدوام . . . ودعي الله مريضك هو الذي يلعب معك في داخلها . . . فاذا ظنك النوم وجساك من خلف الجدار ، ود يدك من خلال الباب ، وصح بطنك ، فصحت من النوم وقت واقفة وثاديت " إني أهيم بحبك " فتسمعينه يقول ( إن أختي حبيبتى جنة مغلقة ، ومن ط غير مفتوحة ، ونبوع مختوم . . . وقبول جيروم إنه لما نشر

### بعض القوانين المتعلقة بالراهبات :

وضعت قوانين عدة لادبسة الراهبات ، كما وضعت رئيسات لضبط النظام  
بينهن وحددت الواجبات المخططة بهن .. يمكن اجمل هذه الواجبات بالآتي :

- ١ - على الراهبات ان يقصصن شيئاً من شعورهن على هيئة صليب ،  
وللبس الثياب السود ومعهن عيشة جماعية لا تفضل فيها .
  - ٢ - لا تقتصر واجباتهن على الصلوات بل ترتيل الأناشيد في جنازة  
الموتى يوم دفنهم وكذلك في الايام التالية ، بعد أنه لا يسمح لهن  
بالذهاب الى المقبرة .
  - ٣ - يعهد اليهن واجب الشطاسة ليدهن طالبات المطار والتشييت  
بالزيت بعد أن يكون الكاهن قد دهنهن في جبهتهن .
  - ٤ - يسمح لهن بترتيل المدايرس ( الكتب الدينية ) والأناشيد الروحية  
بينهن وليس في الكنيسة .
  - ٥ - يشترط في رئيسة الدير أن تكون متقدمة في السن وشهود لها  
بحياتها العفيفة ، وكان يتم تعيينها عن طريق الانتخاب .
  - ٦ - يسمح للرئيسة بتوزيع القران على الراهبات والنساء والأولاد .
  - ٧ - على الراهبات أن يتجنبن كثرة الثثرة والمعادنات الطويلة ، وحفظ  
السنتهن من النجاسة . .
- هذا الى جانب قواعد أخرى وارشادات تتعلق بالطعام واللباس  
الخاص بهن ( ١ )

---

هذه الرسالة " حياها الناس بوابل من الحجارة ، ولعل بعض قرائها قد أحسوا  
في هذه النصائح بلوعة سقيمة في رجل بيد وأنه لم يسلم بعد من حرارة الشهوات .  
ولطامت بليل ( BLISLA ) الفتاة الزاهدة - الموجه اليها تلك  
الرسالة - بعد بضعة أشهر من ذلك الوقت ( ٣٨٤ م ) أخذ الكثيرون يتندون  
بالزهد الصارم الذي طمسها إياه جيروم ، وأشار بعض الوثنيين بالقائه هو وجميع  
رهبان روم في نهر " التيسر " لكن جيروم لم يتندم على ما فعل ، ووجه  
الى أمها التلكي ، التي كاد الحزن أن يذهب بعقلها رسالة تعزية وتقريع (

قصة الحضارة ٤ / ١ : ١١٠-١١١

٢ - راجع هذه القوانين في : نصارى العراق في العهد العربي ص ١٢١

## تطور القوانين الديرية في الغرب وأثرها

بقيت أنظمة الدير وقوانينها تتأرجح بين طر وجزر لا يستقر لها قرار ، فهي تزيد أحيانا وتنقص أخرى بحسب فتور الهمة ، أو قوتها ، حتى ظهر (بندكت \* ٤٨٠-٥٤٣) (١) حيث تمكن من وضع نظام حذت حسب وه الدير أوروبا ونالت في أوساطها شهرة كبيرة .

ومن أهم مقرراته :

- ١ - أن من دخل الدير يقسم ويتعهد أن يعيش فقيراً أعزب وأن يطيع رئيسه ط د ا م حيا .
- ٢ - بأن حياة الراهب صارت حياة كد وكدح متواصل في الكنيسة والدير والحقل لكل ساعة من ساعات اليوم عمل خاص فجعلت الدير تقوم بالزراعة ورفضت من شأنها وما عفت في حاصلاتها فضلا عن أنها أرست معاهد للعلم .
- ٣ - ولما كانت الرهبنة تُفسَّرُ أحيانا بالعزلة قاوم (بندكت) هذه الفكرة اشد مقاومة فحتم على اتباعه ان يعيشوا ويناموا معا ويحلبوا معا ويقوموا بكل صغيرة وكبيرة - لا أفراداً - بل بهيئة مجتمع .
- ٤ - وكان كل دير يقوم بجميع شئون نفسه ولا يخضع لأسقف ط سوى البابا شخصيا .
- ٥ - وقد اغفل بندكت في قبول الرهبان كل الفروق الاجتماعية والطبعية والجنسية فظهرت المساواة داخل الدير بين الروماني والشمير والمسيحي والحر (٢) .

١ - بدأ بندكت حياته راهباً متوحداً ومتقشفا متبتلاً في أحد الكهوف بمنطقة تقع في وسط إيطاليا إسمها سيباكا . . وأدرك ط كان يعانيه الرهبان المتوحدون (أي الشمعلون) من مصاعب نتيجة الحياة التي كانوا يحيونها فقام بتأسيس دير الأول في مونت كاسينو حيث إلتف حوله عدد من الرهبان فوضع لهم قانونه المعروف باسمه حوالي سنة ٥٢٩) . طالم العصور الوسطى ج . ج كولستون ص ١٢١ - ١٢٢ . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ مصر الاسكندرية .

٢ - راجع في هذا العدد : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٦

وطى الرغم من الاحتياطات التي راعاها بندقته في قوانينه ومحاولته سد الشغرات التي وجدت في القوانين القديمة إلا أن ذلك لم يمنع طليقاً من تهوور الحياة الرهبانية ، لقيامها أصلاً على مقاومة السنن الإلهية في الخلق . ، إذ أن الفساد طلبت ان اعترى البندكتيين فازدادت الشريرة ، السقوفة طى الدير التابعة لهم وتهوورت اوضاع الرهبان ، هانت الحاجة طاسة للإصلاح فعد " دير كلوني " سنة ٩١٠ م الى تفادى ذوات هذه النحلة وشجع هذا الدير الحرب الغربية ضد المسلمين في اسبانيا كما شجع حركة الحج الى الاراضي المقدسة .

وقد تخرج من هذا الدير الراهب ( هلد برند ) الذى تولى المنصب البابوى باسم غريغورى السابع ( ٥٩٠-٦٠٤ ) . ( ٣ )

١ - من صور الانحلال والتهوور التي تعرضت لها الدير البندكتية : ان اثنين من رهبان فارنا . . قتلوا مقدم الدير سنة ٩٣٦ م وفرضوا سيطرتهم على الدير حيث عاشا عيشة اقرب الى الامراء ، فعار لكل منبهط زوجته واولاده واتباعه الذين ينعمون بخيرات الدير وضياحه . : اوربا العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح طاشور ٢٤٢/٢ مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠

٢ - ظهرت جماعة دير كلوني في فرنسا في بداية القرن العاشر وكان اساس نظامها الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية والاتصال المباشر بالبابوية . . راجع : عالم العصور الوسطى ص ١٢٢-١٢٣

٣ - كان هذا الرجل قد وضع الأساس الثمين الذى بني عليه نفوذ بابوية روما في الأمور الدينية والعلمانية على السواء فكان يسمى الى استقلال الكنيسة الغربية عن زمامتها الشرقية فسي هيمنة في الناحية الدينية كما وضع اللبنة الاولى لاستقلال البابوية من الناحية السياسية ، وقد هيأت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط فرصة طيبة لتحقيق اهداف البابوية في الناحيتين الدينية والدنيوية .

: مقدمة الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، ل. هارتمان

ج . باراكلاف . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ص ٤٧ دار المعارف بمصر ١٩٢٠ م  
وراجع في ذلك ايضا : تاريخ الاصلاح ص ٨

ثم انتعشت الاديرة في القرن الثالث عشر بظهور فرنسيس<sup>(١)</sup> الذي  
اسس جماعة "الاخوان الفرنسيسكان" الذين شرعوا بجوبون البلاد حفاة بملابس  
رثة، إلا أن هذه الجماعة فرط عقد ها لاعتزال مؤسسها ولجؤ أفرادها إلى  
بحبوحة المعيش ووضعت نفسها تحت سلطات البابا<sup>(٢)</sup>

كما عاصرت هذه الفرقة فرقة أخرى دعت باسم جماعة (الدومنيكان)<sup>(٣)</sup>  
التي اعتمد عليها البابا في تنظيم محاكم التفتيش ولما أدرك البابا عظم  
الخدمات التي يؤمن بها هؤلاء الرهبان الشحاذون للكنيسة رفع شأنهم وأباح لهم  
تأدية الواجبات الدينية التي كانت قاصرة على القسوس فنشأ المبدأ بين الطائفتين  
- الرهبان، والقساوسة - وفاز الأولون ونالوا رضا الخاصة والعامة<sup>(٤)</sup>  
وقد أفاض الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي في تفصيل أحوال وأهداف هذه  
الجماعات الرهبانية وشاركتها في العديد من الأنشطة المعادية للإسلام<sup>(٥)</sup>

١ - اسمه الأصلي "جان" وهو من بلدة أسيسي في إيطاليا وقد عاش عيشاً لشحاذين  
(١٢٠٨) وقد تسوكت جماعة في أكسواخ صغيرة، وقد جاء فرنسيس في حلقة  
لهيئ التاسع على دباط من أجل السلام (كما يقال) ولما طرد من فلسطين وجد  
جماعته قد استقرت في دار فاخرة تتم عن المعيش السريح والرفاهية فطردهم .  
: محاكم التفتيش، نشأتها ونشاطها د . اسحق عبيد ص ٣٠ ط ١٩٧٨  
دار المعارف بصر .

٢ - راجع معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨  
٣ - اتباع دوميك الذي ولد في قشتاله بإسبانيا ودخل سلك الكهنوت وكان ضالماً  
في اللاهوت وفي طم الكلام . وشارك في المجمع اللاتيراني سنة ١٢١٥ وقد انصب  
اهتمام الدومنيكان على التبشير : راجع : محاكم التفتيش ص ٣٠  
وراجع كذلك : المعيشة الهنية في الحياة النسكية لأفرايم الديبراني ص ٣٩٢ ،  
الطبعة الادبية بيروت ١٨٩٩ م .

٤ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨-١٠٩  
٥ - راجع : التبشير والإسلام، الطقات ٩٨ ، من جريد المسلمين الاعداد  
٩٧ و ٩٨ من ١٢-١٨ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ و ١٣-١٩-١٩٧٦

رابعا :

### أثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية

إذا كانت الرهبنة الهندية وطى وجه الخصوص الجينية منها تعتبر في نظر العظماء مثلة لأقصى أنواع الرهبنة ، فإن الرهبانية المسيحية تعتبر بحق وتحمل قمة هذه الأنواع ، ، وذلك لما رافق ورافق هذه الحياة من ضروب في تعذيب الجسم وقهر الروح ما يخرج عن الحد المألوف .

وان كانت الجينية قد خفت ضوؤها واضطرت قواها لكثرة انزلاست باتباعها من غنى و غنى ، فإن الرهبانية المسيحية تكاد تطفى نفس الصير ، ولا أدل على ذلك من تلك الصرخة التي أطلقتها مجلة الشرق المتخصصة بالحياة المسيحية ، التي وصفت حالة الرهبانية بعين دامة وقلب منكسر حينما قالت . . . ( ١ ) ما اليوم وقد تغيرت الأحوال ولا مزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مواجه ومقدرته على العمل ، فلا تكلفه من الاشغال ، ولا تفرض عليه من العقوبات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل ، ورفض عن كل هذه التسهيلات نرى الدعوات تقل عن الطافي . . . وربما كان سبب ذلك النقص فتورا في الدين نراه اليوم بعين دامة لينسل في قلوب الكثيرين وهد من فيهم روحا عصرية فاسدة هي روح الكبرياء والاناية . . . ( ١ ) -

تسرى ما الذي جعل الرهبان يتراجعون عن مقاصدهم ؟ وما الذي يدفعهم الى التخلي عن التزاماتهم وقوانينهم الديرية ؟

ان في عرض الصور المغالية للمناسك الرهبانية اجابة شافية على الاسئلة وما على أصحاب الرهبانية الا العدول عن ارائهم والتعصير هو أنفع لهم ولرهبنتهم التي تتقاسم معهم الآثام العريضة ، ،

وسوف استعرض بعضا من صور الخلو الرهباني المتسم بالقسوة والشدة طما بان الوسط المسيحي ينظر الى هؤلاء المغالين بعين الرضا والقبول معتبرين أصحابها قد يسين وشفعا ، وخذ على ذلك امثلة :

اولا : مكاريوس الاسكندري :

" نشأت بين النساك الفرادى منافسة قوية في بطولة النساك يتحدث عنها " دوشين " ( Abbé Dachesne ) بقوله : ان مكاريوس الاسكندري لم يكن يسمح بعمل من أعمال الزهد إلا حاول أن يأتي بأعظم منه " فاذا امتنع



غيره من الرهبان عن أكل الطعام الطيبوخ في الصوم الكبير امتنع هو عن أكله سبع سنين وإذا طالع بعضهم أنفسهم بالإمتناع عن النوم شهود مكارهوس وهو يبذل جهده المستميت لكي يظل مستيقظا عشرين ليلة متتابعة وحدث مرة في صوم كبير أن ظل واقفا طوال هذا الصوم ليلا ونهارا لا يذوق الطعام إلا مرة واحدة في الأسبوع ولم يكن طعامه هذا أكثر من بعض أوراق الكرنب .

ولم ينقطع خلال هذه المدة عن ممارسة صناعته التي اختص بها وهي صناعة السلال ولبت ستة اشهر ينام في مستنقع معرض جسده العريان للذباب العام<sup>(١)</sup> .

#### ثانيا : بيساريون ، سراييون ، وراقهط

ومن الرهبان من أوفوا على الغاية في اعطال العزلة ، من ذلك سراييون الذي كان يعيش في كهف في قاع هامة لم يجروا على النزول اليها الا عدد قليل من الحاجاج ، ولم يصل جبروم هولا الى صومعته هذه وجد فيها رجلا لا يكاد يزيد جسده على بضعة عظام وليس عليه إلا خرقة تستر حقبة ، ويغطي الشعر وجهه وكفيه ولا تكاد صومعته تتسع لغراشه الكون من لوح من الخشب وبعض أوراق الشجر<sup>(٢)</sup> .

ومن النساك من كانوا لا يرقدون قط أثناء نومهم ومنهم من كان يداوم على ذلك أربعين عاما مثل يساريون او عشرين عاما مثل باخوم . ومنهم من تخصصوا في الصمت وظلوا هداة كبيرا من السنين لا تتفرج شفاههم عن كلمة واحدة - ومنهم من كانوا يحلبون معهم اوزانا ثقالا أينما ذهبوا . ومنهم من كانوا يشدون أعضائهم باطواق أو قيود أو سلاسل ومنهم من كانوا يفخرون بعدد السنين التي لم ينظروا فيها الى وجه امرأة ...<sup>(٣)</sup>

#### ثالثا : سمعان المسودي ( ٣٩٠-٤٥٩ )

بنى سمعان لنفسه في عام (٤٢٢م) عمودا عند قلعة سمعان في شطلي سوريا وطاش فوقه ثم رأى أن هذا اعتدال في الحياة يبطله المار فاخذ يزيد من ارتفاع العمود التي يعيش فوقها حتى جعل سكنه الدائم فوق عمود يبلغ ارتفاعه ستين قدما ولم يكن محيطه في أعلاه يزيد على ثلاثة أقدام وكان حول قمته سور ينسج " القديس " من السقوط على الأرض حيث ينام ، وطاش سمعان على هذه

١ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٠

٢ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢١

٣ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢٣

البقرة الصغيرة ثلاثين طما متوالية معرضا للخطر والشمس والبرد ، وكان اتباعه يصعدون اليه بالطعام وينقلون فضلاته على سلم يصل الى اعلى العمود ، وقد شد نفسه على هذا العمود بحبل حيز في جسده ، فتعفن حوله وتتن وكثرت فيه الديدان ، فكان يلتقط الدود الذي يتساقط من جروحه ويبيده اليه ويقول :

"كلي ما اعطاك الله " . وكان يلقي من منبره العالي مواظ على الجطهير التي تحضر لمشاهدته ( ١ ) .

رابعاً : انطيوخوس وانطونيوس :

ليست سيرتهم اقل غرابة فان الأول بنى حائطاً في وسط صخر والاخر انفرس على ذورة جبل عال وكان كل منبط يصرف نهاره منتصباً على قدميه يتأمل سميت شهواته ويكبد جسده عذاب الجوع والعطش .

وكان أكثر أولئك النساك يدفعون الناس بمثل الوسيلة الآتية وهي : انهم يحيطون على اكتافهم خشبة ثقيلة فاذا أثقل النعاس أجفانهم لشدة التعب وطول السهر تسقط الخشبة الى الارض فيهرب النعاس من صوت وقعها ( ٢ ) .

ان هذه الصور المغالية لم تكن الا صدى لما كان الرهبان يطلقونه من رؤسائهم من قوانين وأوامر ، تلك الاوامر التي يجب التقيد بها فلا يجوز مخالفتها ، فهي بمثابة الامر الالهي الذي لا يجوز عصيانه . وقد كانت المطرقات العنيفة بمثابة تدريبات للرهبان .

فمن صور هذه الاوامر ان واحداً من أولئك الرؤسا \* ( امر راهبا جديداً ان يقفز في نار مضطرة فصدع الراهب الجديد بالامر ... ) ( ٣ )

كما ان هذا الرئيس قد أمر راهباً جديداً آخر أن يفرس صاريه في الارض وصقيها حتى تخرج أزهاراً فلبث الراهب عدة سنين يذهب الى نهر النيل على بعد ميلين يحمل فيه الماء ليصبه على العما ، ... ) ( ٤ )

ومن ذلك ما تراءى لجبرائيل الأهدني حيث رأى معلمه يونان وأمره ان ينشر صخرة كانت تعوقه عن توسيع كنيسة دير قزحيا ( ٥ ) .

١ - قصة الحضارة : ٤/١ : ١٢٣ وراجع كذلك في هذا الشأن : معالم تاريخ اورشليم في العصور الوسطى ص ١٦٠ ، وراجع كذلك صرامة التقشف ضمن مقال عن " الحياة

النسكية في لبنان خلال القرن السادس عشر للمغوري بطرس غالب مجلة الشرق ٢٧/٢٦٠ وكذلك راجع : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢/٢٣٦-٢٣٧

٢ - الحياة النسكية ، مجلة الشرق ٢٧/٢٦٠

٣ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢ و اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢٢٧٢

٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢

٥ - الشرق ٢٧/٢٦٠

هذه الأوامر وإن كانت بمثابة تمرين للراهب إلا أنها كانت مصحوة بالعقوبات إن لم يذعن الأمر بالأصباغ والطاعة لرئيس الدير .

إن ( كانت أعمال الراهب ، وكللته ، وحتى أفكاره تحدد لها قواعد صارمة أو يحدد لها رئيس متقلب المزاج ، وإذا ارتكب اتفه الذنوب عوقب بالتشهير المشين أو الحبس أو الصيام غير المعادي أو الجلد القاسي أما العصيان أو التضجر ، أو الساطلة فإنها كانت تعتبر في حداد الخطايا الرهيبة السقوتة . . .

كانت مثلا قاعدة كولسبانوس السائدة في الغرب تقضي بتوقيع عقوبة مائة جلدة كعصا للذنوب التافهة . وقبل عصر شارلمان كان رؤساء الأديرة ، يقطعون أطراف الرهبان ويغلقون عيونهم وهي عقوبة أقل قسوة بكثير من السجون أو القبور المشيدة تحت سطح الأرض والتي ابتكرت بعد ذلك (١)

إن هذه العقوبات كانت بمثابة السيف السلطاني رقاب الرهبان . وهكذا بات من المؤكد أن الراهب يعيش بين فكي كاشة ، واحدة دينية نتيجة التزمت والتعننت في النصوص الدينية التي صاغها بولس ورواد فكره المتطشور والاخرى دينية ممثلة برئيس الدير أو من ينوب عنه .

سيفان سلطسان على رقبة هذا الباغسوس الذي لا ذنب له إلا أنه وقع في أيدي زمرة الرهبان الذين وقعوا مثل من قبل في حيلة هذا الصمير . وازاء ذلك فإن الآثار السيئة التي ترتبت على ظهور هذه الحالات فسي الحياة الرهبانية قد تفاقم أوارها وطأت بالويل والثبور على أصحابها . وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات المقبلة .

خامساً :

## الاثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية

ان التشدد والضيق والعنت المصاحب للحياة الرهبانية ارتدت  
اثاره السيئة على حياة أولئك الرهبان التعساء ، وقد كان هذا الوضع كفيلاً  
بانعكاس اثاره السلبية مرة اخرى على المجتمع المسيحي ككل .  
فعلى صعيد الاديرة لم يكن الحرمان الجنسي والتعذيب الجسدي وكذلك  
النفسي سوى عوامل سوية أدت الى انحراف خطير في لسلوك الرهباني وهدتها مراض  
خطيرة كالجنون وغيره .

ولقد اعترف العلما بهذا الافراط وذاك التفريط واشتوا العجز عن  
تحقيق الحياة الرهبانية ، من ذلك ما قاله ديورانت وغيره :

( لم ترض الكنيسة عن هذا الافراط في التقشف ولعلها كانت تحس بشيء  
من الفخر الوحشي في هذا الانلال النفسي وشيء من الشراهة الروحية في هذا  
الانكار الذاتي وشيء من الشهوانية الخفية في هذا الفرار من النساء ومسكن  
العالم كله وسجلات اولئك الزهاد حافلة بالروايات والاحلام الجنسية ، وصوامعهم  
تتردد فيها أصداً أنينهم وهم يقيمون المفريسات الخيالية والأفكار الفراميسية  
وكانوا يعتقدون أن الهوا الذي يحيط بهم خاص بالشياطين التي لا تنفك تنهاجمهم  
ويهدون وأن الرهبان قد وجدوا ان حياة الفضيلة في العزلة أشق منها لو أنهم عاشوا  
بين جميع مغريات المدن .

وكثيراً ما كان الناسك تخفل موازين عقله فيها هوذا روفنس يحد ثنا عن راهب  
شاب دخلت عليه في صومعته امرأة جميلة فلم يستطع ان يقاوم سحر جمالها  
ثم اختفت من فورها في الهوا كططن هو ، فلما كان من الراهب الا ان خرج هائلاً  
على وجهه الى أقرب قرية له ، وقفز في فرن حطام طام ليطفئ النار المستعرة  
في جسمه ) (١)

ومطهروى في هذا الصدد ايضاً : ( ان فتاة استأذنت في الدخول الى  
صومعة راهب طاعة ان الوحوش تطارد ها فرضي ان يوجهها وقتاً قصيراً ولكن حدث  
في تلك الساعة ان ست جسمه صادقه فاشتعلت نار الشهوة فيه كأن سني التقشف  
الطوال التي مرت به قد انقضت دون ان تحدث فيه أقل أثر .  
وحاول الراهب ان يحسك بها ولكنها اختفت من ذراعيه وعن عينيه

ويقول الرواة ان جماعة من الشياطين اخذت تغني وتهلل طربا وتضحك من سقطته . ويقول روفينس ان الراهب لم يطق حياة الرهبنة بعد تلك الساعة ، فقد عجز كل عجز "بفنوس" في مسرحية تيهيس لأناتول فرانس من أن يبعد عنه رؤيا الجمال التي ابصرها او تخيلها ففاد رصومته وانغمس في حياة المدينة وسارورا هـنـذ ، الروميا حتى أوصلته آخر الأمر الى الجحيم . ( ١ )

وقد صور جيرون تلك الآلام والأحاسيس المحزنة التي كانت تفتاب الرهبان من آونة لاخرى ، : "حتى النوم وهو آخر ملان للبوسا" التعسا ، كان يقاس وحسب في صرامة ، وكانت ساعات الفراغ التي يقضيها الراهب ترفقي بطء دون مسلسل او متعة لهذا كان قبل انتباه كل نهار يتهم الشمن مرارا وتكرارا بالتكوى الذي يثير الطل .

وفي هذه الحالة التعبة السجدة كانت الخرافة تطارد اولئك البوسا المتعلقين بها وتعذبهم ، وراحة البال التي ذهبا الى الدير ينشدونها كانت تزجها فكرة التوبة المتأخرة ، والشكوك الدنسة ، والشهوات الاثمة ، ولا نهم كانوا يعتبرون كل دافع طبيعي خطيئة لا تغتفر فقد كانوا يرتعدون دوط على حافسة هامة ملتزمة لا قرار لها ، وفي بعض الاحيان كان الجنون او الموت ينقذ هؤلاء الضحايا البائسين من كفاهم المولم ضد المرض واليأس .  
( ولهذا ) أقيم في القرن السادس مستشفى في أورشليم لعدد صغير من اولئك التائبين الزاهدين الذين فقدوا صوابهم . ( ٢ )

هذه الامراض كانت تشغل الاطباء ، فيها هو الطبيب العربي ابو الحسن المختار ابن الحسن بن عهدون ، المعروف بابن بطلان البغدادى ، النصراني المتوفى سنة ٤٤٤ ( ١٠٥٢ م ) استعرض الامراض التي تعترى الرهبان في الدير ، ومن بعد من المدينة ، وذلك في كتابه " كناس الدير والرهبان " ( ٣ )

١ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ١٢٤

٢ - اضمحلال الامراطورية الرومانية ٢٣٥ / ٢

٣ - مقدمة كوركيم عواد على كتاب الديارات لابي الحسن الشاهشتي

ص ٤٦-٤٧ ، منشورات مكتبة المتنبي ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦-١٩٦٦  
وراجع كذلك : نوادر المخطوطات ، ت : عبد السلام هارون . المجموعة  
الرابعة ص ٣٤٥-٣٤٦ ، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة

١٣٧٣ هـ - ( ١٩٥٤ م )

سادسا :

النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

نظرا لخطورة القوانين الديرية وما يترتب عليها من آثار سيئة

فقد رأيت من الضروري بيان خطر القوانين المتعلقة بالنذور الثلاثة المقررة على الرهبان ، وتكساد الجمعيات الرهبانية ، الشرقية ، منها والغربية ، تجمع على فرضية هذه النذور ، إلا ما شذ منها بعض الشيء . فهي بشكل عام القاسم المشترك . ولذلك فمن الضروري التوقف عندها لغير أهميتها لدى الرهبان ومن ثم مناقشتها ونقدها وتفنيد حججها .

وردت في نصوص القوانين الديرية نذور يلتزم الرهبان بها ، ومن فيسّر الجائر مطلقا الخروج عليها وهذه النذور هي :

- نذر الفقر - نذر العفة - نذر طاعة رئيس الدير

أولا : نذر الفقر ، على الراهب الالتزام بنذر الفقر المؤبد إلى رفض الاملاك الخارجية ، . . . او الممكن اكتسابها ، وإذا كان النذر احتفاليا فيرفض حق الاختصاص نفسه حتى ان كل ما يقصد من افعال التملك يكون قانونيا غير جائز<sup>(١)</sup>

وطيه فان التملك متنوع في عرف الرهبان وعلى الرغم من اعتراف الشرع بحرمات الرهبان من الطمأنينة والاستقلال إلا أنهم يتحدون في تطبيقه بحجة أنه يقرب من الكمال فهم يقولون مثلا :

يفرض النذر تضحيات شاقة : لأنه يحرم الراهب هذه الطمأنينة ، وذلك الاستقلال اللذين يخلو بهما الاستعمال الحر لآرائه ، فيتحمل أحيانا بعض حرمانات تفرضها الحياة المشتركة . انه لشاق وبذل الالتجاء إلى الرئيس كمن كان الراهب في عوز إلى ضروريات الحياة إن في ذلك اذن أعطى فضيلة يلزمنا النذر بها ، لا يجعلنا نصل إلى الكمال فقط بل تقرّبنا منه<sup>(٢)</sup> .

وقد التزمت جمعيات رهبانية كثيرة حالات الفقر حتى أطلق على أصحابها اسم الرهبان الشحاذين<sup>(٣)</sup> ، كالفرنسيكان والد ونيكان وراهبات الفقراء الصغار وغيرها من الجمعيات التي انتشرت في أوروبا خلال العصور الوسطى<sup>(٤)</sup> ، وقد بقي القليل منها في الوقت الحاضر .

١ - خلاصة التصوف المسيحي ١٤٢/١ ٢ - المصدر السابق .

٢ - راجع : تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧/٧٨ مطبعة التقدم ، مصر ٤ - العيشة الهنية ص ٥٩٥ ومعاليم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨

وقد فلسف بعض الرهبان هذا النذر فلسفة فارغة تتم عن قلة ادب مع  
الله تبارك وتعالى ، ضاهاة لقول اليهود من قبل ومن ذلك قولهم : ( الفقر :  
هو حركة تفكير داخلي وخارجي تتجدد يوما بعد يوم ، هو طفولة متزايدة نصير  
فيها متواضعين أكثر فأكثر وأطفالا أكثر فأكثر على مثال الرب نفسه على مثال الله  
فالله هو الفقير الأبدى ( تعالى عا يقولون ) إنه كل شيء ولكنه لا يريد أن يمتلك  
شيئا بل يبذل كل شيء حتى ابنه الوحيد أي نفسه ) .<sup>(١)</sup>

وكما هو معلوم فقد رد الله تعالى مقالة اليهود الآتية حيث قال تعالى :  
( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاؤُهُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ  
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْخَرْيِقِ ) .<sup>(٢)</sup>

### ثانيا : نذر العفة

يقصد بالعفة هنا التبتل وذلك يكون بالامتناع عن النساء وعدم التزوج  
وهي في عرفهم " انتصار على شهوة الجسد وانعتاق عن مهام وهوم الحياة العائلية  
مستدلين بقول بولس ( ان غير المتزوج مهتم فيط للرب كيف يرضي الرب وأمسك  
المتزوج فيهتم فيط للعالم كيف يرضي إمرأته فهو منقسم )<sup>(٣)</sup> . . . فعلى الراهب  
كي يحفظ طهارته على حياته أن يسهر وعلى ( اي ) ان يهتم حواسه الخارجية  
وفضوله ويكبح زيفان السفيلة والحس )<sup>(٤)</sup>

يستشهد الرهبان أيضا على ذلك بسفر الروميا ومن قوله ( ثم نظرت  
واذا غروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون الفا . . . هؤلاء هم  
الذين لم يتجسوا مع النساء لانهم ابكار )<sup>(٥)</sup> .

### ثالثا : الطاعة لرئيس الدير

لقد نصت القوانين والتوصيات على ان سكن " الراهب " هو الاديبار  
حيث يعيش تحت نهر الطاعة مع اخوته ويعترف الرهبان بأن الطاعة هي الصلحمة  
المشتركة ، يعلنها الرئيس ولكنها تتجاوز الرئيس والبروس معا فعند ما يطبع  
الرهبان يخدعون حياة الكنيسة ونيانها ( ٦ ) .

١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة طرچا ورجيوس د ير الحرف ص ٩٠ ط ١٩٨٤ ،

٢ - ال عمران : ١٨١ ٣ - ١ كو ٧ : ٣٢-٣٣ ٤ - خلاصة التصوف

السيحي ١٤٢/١ ٥ - روميا ١٤ : ١-٥ وانظر الحياة الرهبانية ٩٢-٩٣

٦ - راجع التنظيم الرهباني : ١٠- والحياة الرهبانية ص ٩٥ وقد انتقد البروتستانت  
هذا النذر . راجع تاريخ الاصلاح ص ٢١٨-٢١٩

— مناقشة قوانين النذور الثلاثة والاطار الناجمة عن الالتزام بها :

سرفي الصفحات السالفة رأي الرهبان في النذور الثلاثة ، والغرض من وجوبها على الطرزمين في السلك .

ولرب قائل يورد الاعتراض التالي : ان النذر مشروع عند أهل الكتاب ولا يحق هنا التعرض لحكامه عند هم لخروجه . عن نطاق البحث . . . ؟؟  
وطيه فان الاجابة تكمن في معرفة مضمون المناقشة المطلوبة في هذا الموضوع ، فلا أحد ينكر مدلول الاعتراض لحساسية هذا الجانب ولن نتطرق اليه لهذه الغاية .

الا انه من الحق دراسة الاثار المترتبة على هذه النذور والساوى\* التي تعتبرها ، وفي بيان ذلك عبرة لا على الابصار ، ولعدم الوقوع في نفس الاخطار . ولهذا فانه من الواجب بيان رأى الاسلام في النذور ولا ومن ثم التعرض للاخطار الناجمة عن التزام الرهبان بتذورهاهم .

فمن رحمة الله تبارك وتعالى على عباده انه لم يكلف نفسا الا وسعها وط شدد قوم على أنفسهم إلا شدد الله عليهم لخروجهم عن الوحي والانتقال من باب السعة الى باب الحرج والضيق .

وما لا شك فيه ان صور النذور عند أهل الكتاب لم تأخذ طابع العنف والقسوة ابتداءً ، كما صورته الرهبانية فيما بعد .

فقد أخبرنا القرآن الكريم عن نوع من نذور أهل الكتاب وذلك في قوله تعالى ( إِنَّ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . . . ) (١).

كما جاء لفظ النذر في قوله تعالى ( فَنادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرًّا وَهَئِذَا بِكَ مِنْ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكَلْسِي وَاشْرَبِي وَقَرِّيْ هُنَا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) (٢).

١ - ال عمران : ٣٥

٢ - مريم : ٢٤ - ٢٦



ففي قوله تعالى ( فقلني إني نذرت للرحمن صوما ) أي صمتا عن الكلام وقيل بمعنى الصيام لان من شرطه في شريعتهم الصمت وانما أمرت بالصمت صيانة لها من الكلام مع المتهمين لها ولان محس عليه السلام تكلم عنها فاخبرها بانها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالاشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (١) .

وتعريف النذر في الاسلام هو : لغة : الوعد بخير أو شر .

وشرعا : الوعد بخير خاصة ، وقال بعضهم هو التزام قرينة لم تتعين

وقال الراغب : النذر ان توجب على نفسك ما ليس بواجب ، لحديث (٢) .  
أمر (٣) .

وهو يعتقد بنذر الناذر اذا كان في طاعة الله (٣) . ولا يكون النذر الا في طاعة الله لم يروا البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهِ فَلَا يَعْصِهِ ) (٤) .

واذا كان النذر مشروطا بشيء فإنه يجب بحصول ذلك الشيء ، والا فإنه يحنث وعليه الكفارة وذلك في مسائل مختلفة مبسطة في كتب الفقه باب الأيمان والنذور . وقد وردت عدة أحاديث تفيد النهي عن النذر ، فقد روى الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ( إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَنْذِرُوا فَإِنَّ النَّذَرَ لَا يَغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ) (٥) .

كما روى الامام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النذر قال انه لا يرد شيئا انما يستخرج به من البخل ) (٦) .

ويفسر ابن الاثير النهي عن النذر بقوله ( انما هو تأكيد لامره وتحذيره من التهاون به بعد ايجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان دل ذلك ابطال حكمه واسقاط لزوم الوفاء به ان كان النهي يصير معصية فلا يلزم الوفاء به .

وانما وجه الحديث . انه قد اطمعن ان ذلك امر لا يجزئهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضررا ، ولا يرد قضاء ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء طيكم فاذا فعلتم ذلك

١ - : التسهيل لعلوم التنزيل ٨/٣ ٢ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣/٦٨

٣ - الافصاح ، لابن هبيرة ٢/٣٣٩ ٤ - صحيح البخاري ٧/٢٣٣

٥ - الافصاح ٢/٣٣٩ ٦ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٨

٧ - صحيح الامام البخاري ٧/٢١٣

فاخرجوا عنه بالوفاء ، فان الذي نذرتموه لازم لكم ) ( ١ ) .

وقد أيد الامام النووي ما ذهب اليه الطائري من احتمال ان يكون (سبب النهي عن النذر كون النساذر يصير ملزماً له فيما يأتي به تكلفاً بغير نشاط قال :  
ويحتل أن يكون سبب كونه يأتي بالقرينة التي التزمها في نذره على صورة  
المعاوضة للأمر الذي طلبه فينتقص أجره وشأن العبادة أن تكون متحصنة لله تعالى  
قال القاضي هاض ويحتل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجبهة أن النذر يسرد  
القدر ويمنع حصول القدر فمنهم من خاف من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث يست  
يويد هذا والله اعلم ) .

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير الى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن  
الوفاء بالنذور الشاقة التي لا يحتطبها الانسان والتي ترهق كاهله فمن ذلك :  
ما رواه الامام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا نَفْسِهِ ( لرجل ) وَرَأَى يَحْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ** ( ٢ )

وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( رأى شيخاً يهادي بين  
ابنيه فقال : **مَا بِهَذَا ؟** قالوا : **نَذَرْنَا أَنْ يَحْشِي** ، قَالَ **إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا**  
**نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْكَبَ** ) . ( ٤ )

وفي هذا الحديث إشارة الى عدم جواز نذر ما لا يحتل . ومن ذلك ايضاً  
ما رواه الامام البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يطوف  
بالكعبة يزاد أو غيره فَنَقَطَهُ ( ٥ ) .

وفي رواية ( أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ  
بِإِنْسَانٍ يَقُودُ إِنْسَانًا بِخِزَامَةٍ فِي أَنْفِهِ فَقَطَمَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَيْسِهِ  
ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَقُودَهُ بِيَدِهِ ) ( ٦ ) .

كما تشير أحاديث أخرى بالنهي عن الخلوف في النذور ، وترك ما لا يطاق منها  
فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَافِيلَ نَذَرْنَا أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُسَ**

١ - : جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزري ت : عبد القادر

الاناوط ٥٣٩/١١ ط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ٢ - صحيح مسلم بشرح النووي

١١ / ٩٨ - ٩٩ ٣ - صحيح البخاري ٢٣٤ / ٧ ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٢ / ١١

٥ - صحيح البخاري ٢٣٤ / ٧ ٦ - المرجع السابق .

وَلَا يَسْتَظِلُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ وَصَوْمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً فَلَيْتَكُمْ وَلَيْسْتَظِلُّ ،  
وَلَيْقَعِدَ وَلَيْتُمْ صَوْمَهُ . (١)

كما أوضحت أحاديث أخرى النهي عن نذر ما لا يملك العبد من ذلك ما  
رواه الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين قال ... ( ... ) لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ  
وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ (٢)

والخلاصة أن نذور الرهبانية هي بمثابة الزام وفرض على الرهبان لا يجوز  
تركها عند هم ولا هت خروجاً عن السلك الرهباني .

وقد لوحظ ما تنسم به هذه النذور من مشقة وعنت ، وقد استعرضت نظرة

السلام إلى النذور وأن مفهومه عندنا يختلف عما هو عند المسيحيين ، ذلك لأنه  
لا يقدم خيراً بل يؤخذ من البخل أو الشحيح والمسلم مأثوراً بالبذل والعطاء  
والانفاق في وجوه الخير ، وقد نهى عن البخل والتقتير .

وطيبه فاني سأعرض فيما بعد للاخطار الناجمة عن النذور الثلاثة  
للمعبرة والمعتلة ، ومناقشتها ، وتفنيدها كلا على حدة .

---

١ - صحيح الإمام البخاري ٢٣٤/٧

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٩-١٠١

## الاطار الناجمة عن الالتزام بالنذور الرهبانية :

غني عن القول ان امراضا اجتماعية وخلقية قد تمخضت عن التزام الرهبان  
بنذورهم وتقيدهم بالقوانين المفروضة عليهم .

وسأبدأ بتفنيد كل نذر على حدة :

### اولا : نذر الفقر :

تكفل الله تعالى برزق الناس ، فقد رلهم أقواتهم وهياً لهم سبل معيشتهم  
فهو الخالق الرازق المعطي الطاع المعز الخذل . وليس معنى ذلك أن يرتقي الانسان  
في احضان . التواكل ويستسلم للدعة بل هو مدعو الى الضرب في طاكب الارض قال  
تعالى ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي طَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ  
النشور ) ( ١ )

وذلك تحقيقا لمطارة الارض وتعظيم شرع الله تعالى فيها ، الى جانب  
ذلك فهو مدعو لبراز ابطانه عند الشدائد والمحن بالصبر على سنة التحميص والابتلاء  
قال تعالى ( أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) ( ٢ )

هذا الابتلاء متعدد الأشكال فقد يكون بالفقر أو بالمرض ،  
أو بفقد الأبناء والآباء ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
وَالشَّمَرَاتِ وَبِشْرِ الْعَاكِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ) ( ٣ )  
( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالْعَاكِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ) ( ٤ )

وسنة الابتلاء عامة لجميع الخلق فقد ابتلى الله بني اسرائيل تحميصاً  
واختباراً قال تعالى ( وَقَطَّعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أَمْطًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَهُمْ دُونَ ذَلِكَ  
وَلَوْلَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) ( ٥ )

كما ابتلى الله المسلمين في كثير من المواطن ، كغزوة احد ، وحنين  
وضرها كثير .

واذاً ذلك فط على العبد اطم هذه المحن سوى الصبر والاحتساب ، فهبط  
السبيل لدرء أخطارها ، وتجاوز الابتلاء . ومن العبادى المعينة على ذلك  
الصبر والتواضع لله تعالى والاعتدال في أمور الحياة والترفع عن مباحجها ومغرياتها

١ - تبارك : ١٥      ٢ - المعنكوت : ٢-١      ٣ - البقرة : ١٥٥-١٥٦

٤ - محمد : ٣١      ٥ - الاعراف : ١٦٨

واتباع ما اباحه الله تعالى من النعم دون تقثير او اسراف .  
( وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا  
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) (١) .

هذا التوسط المستنبط من الآية الكريمة هو وسيلة ناجعة لتحقيق الغرض  
المنشود ، اما اختراع حالة الفقر مع القدرة على تحاشيه ورده ، والسلاح باهدار كل  
ما يمت الى الحياة الكريمة بعملة ، وترك ما يقيم الانسان عليه ، واتخاذ التسكع  
وسيلة للكسب (٢) ، فهو انكار لنعم الله تعالى على عباده ، كما انه مبعث للربها  
والسعة ، وهما من الأمور المحيطة للعمل .

فما الداعي الى انكار انعام الله وافضاله ؟ قاله تعالى ( يُحِبُّ  
أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ النَّعْمَةِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ) (٣) .

والاسلام يحض على هذا فقد روى ابو الاحوص عن ابيه قال ( أَتَيْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلَبْتُ ثَوْبًا دُونَ ( بال ) فَقَالَ لِي : أَلَيْكَ مَالٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ  
، قَالَ : مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟ قُلْتُ : مِنْ كُلِّ الْمَالِ ، فَقَدْ أَطْعَمَنِي اللَّهُ : مِنَ الْإِبِلِ  
وَالْبَقَرِ ، وَالنَّخْلِ ، وَالسَّخِيلِ ، وَالرَّقِيقِ ، قَالَ : فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيَسِرْ أَثَرِ نِعْمَةِ  
اللَّهِ عَلَيْكَ وَإِكْرَامِهِ ) (٤) .

والزام الناس بما لا يستطيعون بيورث الكآبة والقنوط من رحمة الله تبارك  
وتعالى ولهذا جاءت الاستعاذة ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذُّكَاةِ  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ) (٥) .

فاذا قصدت الرهبانية من وراء هذا النذر التواضع لله والتذلل له ، فلا  
يكون عن طريق الاستجداء والاستعطاء والتسكع أمام الناس كما فعل رهبان الفرنسيسكان  
والدومنيكان وغيرهم ، فهي أعمال تحط من كرامة الانسان التي منحها الله له  
( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ  
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) (٦) .

اما الطريق الأمثل فهو سبيل التوسط والاعتزان ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً  
إِلَىٰ حُنُوكٍ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ طَوًّا مَحْشُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ) (٧) .

١ - القصص : ٧٧

٢ - راجع ما فعله الرهبان في هذا الخصوص : " تاريخ الحضارة في القرون الوسطى  
والحديثه ، محمد كرد علي ص ٧٧

٣ - أخرجه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بإسناد حسن ، راجع جامع  
الاصول ٦٥٨/١٠

٤ - أخرجه النسائي ، ورواه الاطام احد في السند ٤٧٣/٣ وإسناده صحيح

انظر : جامع الاصول ٦٥٨/١٠ ٥ - رواه ابو داود والنسائي بإسناد حسن  
راجع جامع الاصول ٣٥٦/٤ ٦ - الاسراء : ٧٠ ٧ - الاسراء : ٣٩ - ٣٠

فإذا اخطت هذه الموازين وترك الانسان لهواه أمر التشريع كما فعلت  
الرهبانية بنذر الفقر فإن الحياة تتخذ طابع السلبية وتتحدرنحو الهامية .

ولعل بعض المنظمات الرهبانية أدركت تلك المذلة التي يرتكبها غلاة  
الرهبان ، فسنت قوانين من عندها افترضت على الرهبان القيام بالاعمال اليدوية<sup>(١)</sup>  
تداركا لهذا الموقف المخزي .

وسبب حاولت الرهبانية لتفادي هذه المعضلة الا ان المشكلة الاساسية  
التي تواجهها تبقى دون حل وهي معضلة المتسكنين في القلايا والمحابس الذين  
يعيشون انفسهم في الكهوف والحقارات النائية في اعالي الجبال<sup>(٢)</sup> . واغلب الظن  
ان هذه البدع أخذت تقل تدريجيا في العصر الحديث لأنها تنافي الفطرة الانسانية  
التي فطر الله الناس عليها .

ومن مراقبة حركة التاريخ وما نجم من بدعة نذر الفقر والحرمان يعلم ان  
أنهين الرهبان وامراضهم وحالاتهم المزمنة ادت بشكل او باخر الى ردة فعل  
عكسية في المجتمع الكنسي .

فهذه اكبر سلطة رهبانية تعيش منذ تسلمها مقاليد السلطة وسط مجتمع  
الكرادلة والاساقفة حياة طيبة بالترف والبذخ . وهال السيدة " دايانك مودادى سارا<sup>(٣)</sup>  
واك " ما رأت من أبهة الكرسي البابوي وما يحيط به من مآذل يندى الجبين لها .  
وهكذا يتناسى الرهبان ما طاهدوا عليه من نذر للفقر ضارين قرارات  
مجا معهم عرض الحائط وهذا الفشل نابع من العناد الذى ترتكبه الرهبانية  
بفرض قوانين تعارض الفطرة البشرية وتقتل فيها روح الخير والسعادة .

١ - راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ١٨٤/١

٢ - راجع مجلة الشرق ٦٥٣/٢٧

٣ - هذه السيدة أسلمت وتسمت باسم " غير النساء " دى سارا واك وكتبت كتابها  
بعنوان " من رومة الى مكة " وقد شرحت فيه رحلتها الطويلة قبل اسلامها ومقابلاتها  
للبابا وانتقدت فيه الكنيسة واعمالها وما قالته في هذا الصدد ( وعلى الرغم مما كنت  
اشعر به في بد " زياراتي لرومية لم أتل ذلك نفسي من الدهشة لهذا الظاهر التسي  
لاحتالي كانتا تشبهت بحياة السائح ، واعتراني ألم عيق في نفسي لشاهدة  
العظمة المتجلية في ملكة الغاتيك من الظاهر الطادية وأبهة القصور وثمن الاثاث  
زد على ذلك ما شاهدته من الرزى المدني للكاردينالية مما أثار في كثير من الفصور  
الروحي ، ففكرت أنشد بالسبح وحياته وتقشفه وصبره وقناعاته وكل ما كان يتحلى به من  
شظف العيش . . . رايت البابا الوريث الزمني يتقدم بموكبه الطكي محمولا على الظهر  
جالسا على أريكة تحف بها المجوهرات من كل جنب فيفشى لمعانها الابصار . . . )

راجع ص ٤١ من الكتاب المذكور . ت : رافت شنبور ، طبعة اللوا طرابلس الشام ١٩٣٥  
لبنان . وراجع في قضية الترف والبطر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٤٣/٦  
د . جواد علي . وعن رذائل الكيوس راجع : تاريخ الاصلاح ص ٥٧٤

## ثانيها : نسيذ التبتسل

مر الحديث عن رفض الكنيسة السماح للرهبان والقسس بالزواج. وقد

بينت أحكام النكاح في الاسلام ومكانته . .

ولم يقتصر النقد الموجه الى هذا المبدأ على المسلمين ، فقد وجهت

انتقادات من قبل بعض المسيحيين ايضاً :

يقول صاحب ( ربحانة النفوس ) ان هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس ، وانما دخلت بالتدريج ، لما خافهم من توهم أفضلية البتولية وظنهم أنها أركى من الزواج ، وودح من جاء على أثرهم لها مدحاً بالغاً النهاية في الاطراء فحسبوا من الواجبات الأدبية الطأور بها ، ووضع نظام وقوانينهم لوجوبها في الجيل الثالث ، حتى قاومتها كنائس اخرى ، ورفضت بدعة البتولية وقوانينها ، لمغايرتها للطبيعة ، وضادتها لنص الكتب الالهية واستقرارها أديرة الراهبات بأنها في بعض الاماكن كانت يهوتا للفواحش والفساد<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب البراهين الانجيلية ضد الباطيل البابية ( يقول :

( ان ذم الزهجة خطأ لأنها على الافضل لان الرسول أخبر بان الزواج خير من التوقد بنار الشهوة وأن الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء ، تجول معهم ، ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تفسد الانسان على استيفاء حقها ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاءه حسب الشريعة . ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البتولية .

ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسس والشطاسة لابل من الباباوات

المدمنين للعصاة قد تكرسوا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي .

هذا وان ذات النذر بالاحتناع عن الزواج هو غير طائل ، لتضمنه سلب

حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح باباً واسعاً

لدخول الشيطان .

وكان الراهب ينذر . على نفسه مقاومة أمر الله وعدم وجود ألوف ....

ربما كانت تتولد من ذمته فكانه قد قتلها . وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية

قط . فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح لم يكن له رسم في الكتب المقدسة

ولا في اجيال الكنيسة الاولى ، وهو ضرر على انفس الرهبان وعلى الشعب فمن

يقاومه يقاوم الشيطان . وهو لا الراهبان لا نفع منهم للرعية ، انما هم كالامراء الذين

يتخذون لأنفسهم قصورا خارج العمران ، فيقيمون وحدهم في أديرتهم  
ويسلمون أموال الشعب بالحيل والمخادعات وهم كسالى بطلون ، يعيشون من  
اتعاب غيرهم . خلافا لسلوك رسل المسيح . والعشريين القدام<sup>١</sup> ، الذين لم نسر  
واحدا منهم انفرج عن العالم في مكان نزعت ، واحتال بان يعيش من تعاب الشعب<sup>(١)</sup>

هذه شهادة سيحية على ما يرتكبه الرهبان من اخطا<sup>٢</sup>  
نتيجة تسكهم بهذا الهدأ . (٢)

اضافة الى ذلك فان الغضائح التي تزكم الانوف والتي يرتكبها  
الرهبان والراهبات اكثر من ان تحصى . والمؤرخون اعرف بهذه القضايا .

فعلى الرغم من شدة التعاليم الدينية والدعوة للمحافظة على تطبيقها  
كل ذلك لم يكن الرهبان من قهر الحاجة الجنسية لديهم ، بل عكست غمولها  
لدى وليك المتعبد بين المتبتلين من ذكور واثنا .

( وان الاخبار التي استقيت من حياة الرهبان والمتعبدين تبين الحاجة  
التناسلية وطمها ( فقد ) كانت تحركهم وتدفعهم اليها كما أصبح الاقتاع الجنسي  
على العموم مستحيلا عند رؤساء الكنيسة كما خلا بعضهم ، وهو عدد ضئيل ، فلم  
يثبت الطارئة والكنيسة أمام قوة الضرورة الجنسية .

فقد روى ( MEZERAY ) في القرن الثامن لليلاد أن معظم  
الطارئة والقساوسة في فرنسة الذين لم يتزوجوا ، كانوا يحصلون على نساء ( غليات )  
يشبهن الحظايا ) ما جعل المصلحين في القرن السادس عشر يهاجمون عروسة  
الكنيسة بقوة ) وقسوة ، فقرر مجمع ( Mibam ) بأن يكون للحظايا زى خاص  
بهن وأن يمنعن من ارتداء الفنادق والمؤسسات العامة ، وعصر لهن بعض  
الأحياء ليقمن فيها ،، ووضعت تلك المحال تحت رقابة الطارئة والسلطات المدنية .

ومن العوامل التي ساعدت الكنيسة على ذلك نقصان عدد الرجال بسبب  
سفرهم مع حملات الحروب الصليبية ، فازداد عدد النساء اللاتي يقين بدون زوج  
وحصل في ( WULZBOURG ) في أواخر القرن الخامس  
عشر أن السكان رفضوا أن يسافروا او ينضموا الى تلك الحملات الصليبية لعدم

١ - محاسن التأويل للقاسي مجلد ٩ ج ١ ص ٦٠ وراجع عن ذلك : تاريخ الاصلاح

٢ - راجع كذلك ما كتبه الدكتور الشعلان عن نقد بعض المسيحيين لهذا الهدأ  
وذلك في كتابه : نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام ، ١ : ٢٠٨ وما بعدها



اطحنانهم على نسائهم خوفاً من زيارات الكهنة لهن ، ولطفاً مرض الزهري  
في أوروبا سنة ١٤٩٣ م بواسطة بحارة كولمبس أصاب هذا المرض الساري الفتاك  
أغلب الكهنة تقريباً (١).

وقد أقرد الأستاذ عبد الكريم التتير فعلاً مطولاً عن فحش الباهيات وفسقهم  
وتعرض لحياة العديد من القسوس .

ويمكن إعطاء بعض النماذج عن تلك الفضائح التي لطخت سمعة رجسالة  
الدين المسيحي عبر التاريخ ، طط بأن القصد من وراء هذا العرض ليس التشهير  
إنما هو للتنبيه وأخذ العبرة لعل القاصمين على الرهبانية يبتغيروا رأيهم واسلوهم  
في الحياة والعودة إلى طام الله تبارك وتعالى

أولاً : حياة القديس داماسوس الأول ( ٣٦٦-٣٨٤ )

لقد وجه " أرسنيوس وحزبه " اتهاماً إلى هذا القديس ووصفوه  
بأنه رجل زاني (٢).

ثانياً : القديس سكستوس الثالث ( ٤٣٢-٤٤٠ )

اقبست دعوى ضدّه بتهمة افتخاض بكارة إحدى العذارى ، وقد ألف مجمع  
للحكم على " قداسته " (٣).

ثالثاً : يوحنا الثامن ( ٨٧٢-٨٨٢ )

هذا البابا لم يكن رجلاً بل امرأة ، وإلى نوع من النساء ؟ من النساء  
الزانيات ، وكان الشعب مغشوشاً " بقداسته " ولم يشك أحد في انوثته إلا معارفه  
الذين كانوا يمسسون له أو يبالاخرى ( لها شبهاتها ) ومنما كان هذا البابا ماشياً  
في احتفال في مقدمة الكردينالات والبطارنة محاطاً بالزينة والأنوار علامة على قسوة  
وجلال البابية أثنى ( لقداسته ) المخاض وذلك في أهم شارع من شوارع روما (٤).

١ - كتاب : " الزواج " عرضاً كحالة ٤٠/١

٢ - راجع : " تاريخ الفحشاء " أو تاريخ الآداب العمومية ص ١٦٥-١٧٤ ط في

٢٠ أيلول ١٩١٢ لبنان ، وقد استند المؤلف في بحثه إلى مصادر غربية كثيرة

منها - محافل الباهيات ، لبالي ، و- تاريخ البابية ، لبريدل ، وجرائم النصرانية  
لقوت وهوبكر - و الخوري والمرأة والاعتراف للاب شينكوى إلى جانب العديد  
من المصادر الأخرى راجع ص ١٦٧ وطبعها .

٣ - المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٧ ٤ - المرجع السابق - وراجع كذلك :  
تاريخ الإصلاح ص ٧

اما تاريخ حياته فهو : ابنة أحد المرسلين الانكليز . . . كانت لها علاقة غير شرعية باحد رهبان ( فولده ) لذلك لبست ثيابا كالرجال وهربت مع طاشقها الى اثينا وهناك مات حبيبها بعد مسدة قصيرة بعد وصولها .

بعد موت العاشق رجعت هذه الزانية الى روما وهناك بسبب معارفها المتنازعة صارت غوري فكرديتال ثم ارتقت فصارت بابا وظلت الى أن عرفت أنوثتها وذلك لما ولدت طفلا امام الجمهور وهسي طاشية في مقدمة احد المحافل العظيمة ومنذ هذا الوقت حتى أيام لاون العاشر ( ١٥١٣-١٥٢٢ ) فسي القرن السادس عشر اى لمدة نحو ستة أجيال ونصف كانوا يقيمون في روما احتفالات ( و ) التي لا يمكن وصفها هنا حيث تحدث عند انتخاب كل بابا وذلك للكشف طيه كي يتأكد ما اذا هو ذكرا وانثى ( ١ ) .

#### رابعا : اسكندر السادس ( ١٤٩٢-١٥٠٣ )

ان قداسة هذا البابا كان من الادنيا ولم يكن له أقل سلطة على شهبوات وقد أقام حفلات الرقص والخلاعة والمجون في قصره وقد أثار بأعماله الشنيعة سخط الكثير من الناس فقد أقدم على ارتكاب جريمة الزنا بابنته لوكريسيا بوريجيا التي كانت في الوقت ذاته خلية أخوها ، وكانت ثمة معارك خفية تضطرم في ذلك العريش بين عماد الجبال والبهوى المحرم ، وكان جان سفورزا زوج لوكريسيا أشد الناس تأييدا لهذه التهم ( ٢ ) .

وينقل موركاتر لسحة من لسمات المجتمع الروماني الذي طش فيه هذا البابا فيقول ( وكان يسود ذلك المجتمع الروماني " الرفيع " يوشذ نوع من الفساد الشامل ، وتغلب فيه حياة الفجور والفرح ، وط قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعيمه الروحي . - البابا - أسوأ السبل الأخلاقية في - مصطفى الخليعات جهارا . وينتزع الزوجات من أزواجهن ويقتني فيه شيوخ الدين من كرادلة وأساقفة الخليعات جهارا وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات زوجات الأمراء والكبراء بين أحضان العشاق من مختلف الطبقات ويغمره ظم التهنك والخلاعة وينغل فسي حفلاته وفي مرجه ومجونه كل مظاهر الحشمة والحياة ( ٣ ) .

#### ١ - تاريخ الفحشا ١٦٧-١٦٨

٢ - اسمه الحقيقي رودريجو بوريجيا ثم تحول الى اسكندر السادس ، راجع محاكم التفتيش د . اسحق صيد ص ٣٤ الطبعة ١ ١٩٧٩ دار المعارف بمصر .

٣ - انظري المآسي والصور الغوامض ، محمد عبد الله عناق ص ٢١ طبعة دار الكتب

المصرية ١٩٤٤ م وقارن مع : محاكم التفتيش ص ٣٤-٣٥

٤ - المآسي والصور الغوامض ص ١٧ ، نقلا عن مذكرات ( بيوركات ) ، وربما

كان الاسم الصحيح ( بيوركار ) راجع كذلك محاكم التفتيش ص ٣٥

## خامسا : بيوس التاسع

يتحدث التنوير في العشرينات عن هذا البابا فيقول : اذهب الان الى روما وهناك الروم الكاثوليك يدلونك على البنيتين الجليلتين اللتين ولدتا للبابا بيوس التاسع ( ١٨٤٦-١٨٧٨ ) من صاحبتيه وهنالك يخبرونك عن اسمة خمس صاحبات اخرله - ثلاثة منهن راهبات - وهؤلاء كان يعاحبهن منذ كان خوريها وطرفانا (١).

ومن اضطلع على محاكمة السيولميوتا كسيل وطأ ألفه عن غرام البابا بيوس التاسع تحت عنوان "البابوات الثلاث أو أسرار روما" بجزأيه يعرف تماما مدى صحة ما نقله التنوير فسي كتابه .

تلك الفظائح لم تكن وحدها على هذا المستوى الذي وصلت اليه بل هناك مؤسسات دينية اخرى تطرق إليها هذا الفساد .  
ولرب قائل بان حياة الأباطرة كانت تدعو الى مثل هذه المبادئ وربما كانت الاديرة انظف اخلاقا واشد عفافا من الانطاكية .

الا ان الواقع يكذب هذه العقولة ، فقد ترجم محمد فريد وجدي ما نقلته دائرة معارف لاروس الفرنسية<sup>٢</sup> حالة الاديرة خلال القرون الوسطى ومن ذلك :  
( ما قاله ( دوتتر ) بعد أن زار الاديرة في النمسا وفي السالك الأخرى التابعة للملك فرديناند الاول سنة ١٥٦٣ قال : انه رأى طائفة وعشرين ديرا تحتوى على ٤٣٦ راهبا و ١٦٠ راهبة و ١٩٩ سيرة و ١٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلا .  
وقد كتب هذا الكاتب حينه يقول ( انه يخشى ان يتكلم على راهبات زمانه تفاديا من ان يظن انه تكلم باسباب ومجون عن محلات الفسق والفحشاء والمهرلينات الهوى بدل أن يتكلم عن حفاظ الطهر التي تعيش فيها العذارى الواقفات أنفسهن لعبادة الله لأن الاديرة الدينية لم تكن اليوم هي تلك المعابد المخصصة لعبادة الله بل صارت بيوت فسق ومحلات اجتراح اهل الدائرة من الشباب الذين لا هم لهم الا قضاء شهواتهم المبهمة ) (٣)

ولمست هذه الامور من الشؤون الضعولة ولا الخاصة بزمان دون زمن ففي الازمنة القديمة لام القديسين سيبريان ( والقديس بازيل عذارى زمانه الاتسي

١ - تاريخ الفحشاء ص ١٧٤

٢ - راجع : أسرار روما ، ورواية البابوات الثلاث . ت : طانيوس عبده ، مطبعة الانصاف ، الناشر ، ابراهيم خليل ، بيروت .

٣ - دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، مادة رهب : ط ٣ وعن الفجور والدائرة في الاديرة راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٨

وقفن حياتهن لله على ما ظهر من عدم عفتهم ، ورأى " جان كرهزوستوم " انه لا يكفى قتل الراهبة التي تخون عفتها ، بل رأى ان تقطع او تدفن حية مع شريكها في الاثم (١) هذه شهادة كافية للدلالة على فشل ممارسة الرهبان لنذر التبتل والمعة ، ومن الدلائل الأخرى على ذلك ما ذكره ابو الحسن الشاذلي في وصف لاديرة والرهبان من خلال كتابه " الديارات " وما كان يدور فيها من فسق ومجون ، وما قيل من اشعار الغزل في الرهبان والراهبات . (٢)

هذا ما كان يحصل في العصور القديمة والوسطى ، أما في العصر الحاضر فان هذه الفضائح تفاقمت وتعدت الى ما لا يمكن السكوت عنه .

فالأمراض الفتاكة أصبحت تهدد كيان المجتمع البشرى من جراء ما اكتشف من أمراض ممتدة كالإيدز والهربيس وغيرها . فضلا عن الأمراض المعدية كالزهرى وفهره مما بات يشكل خطراً على حياة الانسان ، وقد كشف الدكتور محمد علي البار حقائق مذهلة عن انتشار الزنا في المجتمعات الغربية خاصة في مجتمعات الرهبان ورجال الكنيسة . . . ( ففي تحقيقات بارقة نشرتها " الديلي ميل " ط ١٩٧٠ ذكرت أن الاحصائيات تدل على أن ما يقرب من ثلثين بالغة من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا . . . وان ما يقرب من أربعين بالغة منهم يمارسون الشذوذ الجنسي ايضاً ، وانتشار الزنا في رجال الكنيسة ورهبانها وراهباتها قديم الا انه لم يكن بمثل هذا الشيوع .

ولا شك ان الكنيسة تتابع تطور المجتمع الغربي وقد أبحاث كثير من الكنائس الغربية الزنا كما أن بعضها قد أباح اللواط . . وفي بعض الكنائس في الولايات المتحدة يتم عقد قران الرجل على الرجل على يد القسيس .

واذا طعنا أن روتشيلو الكاردينال الفرنسي المشهور كان مصاباً بمرض الزهرى أشد الأمراض الجنسية خطورة فاننا لا نستغرب أن تنشر مجلة النيوزبيك في عدد هذا الصادر في ١٩٧٤/٧/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس ، وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كرادلة (٣) .

وتبعاً لهذا التطور فقد انتشر مرض الإيدز بين الرهبان ، ففي رسالة نشرت في جريدة المسلمون تبين ان (ماريو رفشيو وهو راهب اصيب بمرض الإيدز وقد اعتزل حياة الدير لانه اصيب بهذا الداء أثناء وجوده هناك بين ستين راهباً وقد اعترف ان دهر " نيو انجلند " رغم وجود الصمت فيه الا انه لم يمنع قيام علاقة خاصة بين الرجل الستين (٤) .

١ - راجع : مادة رهب في دائرة معارف القرن العشرين ، ط ٣ - ١٩٧١ نقلاً عن دائرة معارف لاروس ٨٩٧/٣

٢ - راجع كتاب " الديارات " لابي الحسن الشاذلي ، ت : كوركيس عواد .

٣ - مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ٢ ربيع الاول ١٤٠٤ ص ٣٦ الكهت

٤ - جريدة المسلمون العدد ١٠٥ السنة ٣ ، ٩ جلد في الاخرة ١٤٠٧ هـ

### ثالثا : طاعة رئيس الدير

هذا المبدأ يعتبر من أهم الثغرات المحدثة في السلك الرهباني وهو بالتالي هدف لأقوى الطاعن السوجهة الى الكنيسة ورجالها .  
فالطاعة الصحيحة الواجبة لولي الأمر بحسب قوله تعالى ( .. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ ) (١) تأخذ طائعا حساسا لدقّة المسؤولية السقاء على الولي ، ولا يمكن بحال من الاحوال ان يكون مفهوم هذه المسؤولية كما يراها الرهبان والقسس .

فالطاعة الحقّة تكون لمن عني بتطبيق شرع الله تبارك وتعالى في الأرض وانزال الناس عند حكم الباري وقضائه ، والاطار العام الذي ينبغي ان يعمل على تنفيذه يتمثل في اقامة الحدود ، والفصل في المنازعات ، والسهر على مصالح الناس ، وتسهيل أمور حياتهم الدينية والدنيوية والدعوة الى الله تبارك وتعالى قولاً وعلاً وجهاً .

ونعني بالأمور الدينية : ارشاد الناس نحو تطبيق أوامر الله تبارك وتعالى التعبدية ، صلاة وزكاة وصيام وحج ، وحشهم وتذكيرهم بها والمحافظة عليها من غير أن يرتبط هذا العمل بأي شعار يوجب تقدّيس ولي الأمر أو رفع مرتبته ونزله وإيصالها الى مرتبة الوسطاء والقدّيسين كما تفعل الرهبانية برؤوساء الأديرة وكبار رجال الكهنوت .

فالسلام يوجب طاعة ولي الأمر فيما لا يتعارض مع طاعة الله تبارك وتعالى ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فان لم تكن هذه الطاعة وفق المنهج القويم فان النظام بأكمله يكون عرضة لخلل دائم يورث الفشل الذي ينتهي الى الاضمحلال لانه يحل المجتمع ممكناً ثقيلًا ، وهذا السحب ناجم عن اتباع الناس لأوامر هؤلاء الرهبان وهم بشر معرضون دائماً للخطأ والزلل .

والانسان اذا احتل حقاقة القيام بمطية التشريع فقد تعدى حدود بشريته طمعا في نيل رتبة المشرع ، وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يشرع للناس بمهمهم من أمور دينهم وفرض عليهم العبادات والطاعات التي يراها لهم .

ولا يمكن بحال من الاحوال قبول دعوى الرهبان بان ط يؤدونه من طاعة لروءس<sup>١</sup> الاديرة انما هو تطبيق لشرع الله وضماجه ، وان صاموا وان صلوا . ذلك لان شرع الله تبارك وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وط يطبقه الرهبان يخرج عن هذا النطاق ، اذ أن السحة البشرية المبتدعة بادية على القوانين والانظمة الديرية ولا مجال لانكار أو اغفال أسسها واضعيتها ، وليس للرهبانية اى مستند شرعي صحيح يثبت ان عيسى عليه السلام قد وضع هذه القوانين وتلك القواعد التي تتحكم بالحياة الديرية .

ومن راقب اناجيلهم يعلم انه عليه السلام لم ينمزل في مغارة عسنة مجتمعة ولم يأو<sup>٢</sup> الى كهف في جبل أو أنه طذب جسده بحل أو حديد أو أرقى نفسه بالاذلال بل نراه يخالط المجتمع ويحط الرجال والنساء على السواء<sup>٣</sup> ويناقش المعاندين من اليهود وغيرهم .

من كل ذلك يتبين لنا أن الانحراف عن السادة التي جا<sup>٤</sup> بها عيسى عليه السلام انما جاءت نتيجة الايحاءات التي بثها بولس وتتبها انطونيوس وباسيليوس ومن لف لفهم فهو<sup>٥</sup> هم الذين ابتدعوا تلك القوانين ثم توالى المبتدعون عبر تاريخ الكنيسة مستوحين قواعدهم من سبقهم من الرهبنة اليهودية وبقية الاديان الوضعية الوثنية .

غير أن أهم ط انطوت عليه هذه الطاعة هو تطور وضعها وتساقم أمرها الى حد أن هدت هذه الشخصيات البشرية من دون الله . ، واقل درجات الشرك عندهم انهم اتخذوها واسطة تقربهم الى الله ولفى ضاهاسة للاديان الوثنية القديمة التي قدست فيسها رجال مارسوا سلطانا روحيا هائلا على الجماهير وحاطوا بهم هالة من الغموض والاسرار واصبحوا هم الوسطا<sup>٦</sup> بين الناس والكهنة التي فكفوا طيها .

وقد كان هذا هو شأن المسيحية المخرقة التي نسجت ادمغة المخيلة الاوروبية القديمة ، لانها دين وضعي وان تصح بالمسيح عيسى بن مريم وبالوحي الرباني وزعم انه من عند الله ومن ثم كانت له كهانه وكان له رجال دين وكان هو<sup>٧</sup> الكهان البابا . على راسهم وسطا<sup>٨</sup> بين الناس وبين الله ( ١ ) .

١ - يتصرف عن : مذاهب فكرية معاصرة الاستاذ محمد قطب ص ٢٧ دار

الشروق ط ١ ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

لقد لفست القرآن الكريم الانتباه الى حقيقة هذا الانحراف العقدي  
فقال تعالى : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالسَّيِّئِ  
ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) (١)  
كما تعرض المفسرون لمعنى ومرمى هذه الآية بالشرح ، فأشاروا الى  
فناجح اليهود والنصارى في قضية هذا الانحراف المفضي الى اطاعة أحبارهم  
ورهبانهم طاعة عمياء أحلوا لهم فيها الحرام وحرموا عليهم الحلال (٢) وعظموههم  
ورفعوهم الى مقام الألوهية والعبادة بالله .

وقد استشهد المفسرون بحديث هدى بن حاتم الطائي رضي الله عنه :  
( قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا  
هدى اطرحه عنك هذا الوثن ، وسمعت يقرأ : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا  
مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا  
لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه (٣) .

١ - التوبة : ٣١

٢ - راجع في هذا العدد كل من : تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ وكذلك : التسهيل  
لعلوم التنزيل ٢/١٣٥ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٥٢

٣ - هذا الحديث رواه الترمذي وفيه ( غطيف بن أعين ) قال في تحفة الاحوذى :  
غطيف بن أعين الشيباني الجزري يقال بالغاد المعجمة : ضعيف من السابعة كذا  
في التقريب . وقال في تهذيب التهذيب في ترجمته : روى له الترمذي حديثاً واحداً  
وقال ليس بمعروف في الحديث . راجع تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي ٨/٤٩٢ ط  
٢ ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧

وقد ذهب بعض الملطاء الى ان هذا الحديث يستقوى بطرواه الطبري  
عن محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن حبيب بن  
ابي ثابت عن ابي البختري عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم  
ارباباً من دون الله أكانوا يعبدونهم قال : لا كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه  
واذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ( راجع : جامع البيان ١٠/٨١ وقال الاستاذ  
الارناؤوط بعد ان ذكر صادر حديث هدى وط ذكره الترمذي من حال غطيف  
بن أعين : لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً أخرجه الطبري رقم ٦٦٣٤ وط يستقوى به )  
هاشمي جامع الاصول ٢/١٦١

وقد نقل الامام الرازي خلاصة الآراء في هذه الآية خاصة في السألة الثانية ما اورد من حائل فقال ( الاكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا فيهم انهم آلهة العالم ، بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم ، نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية ، قال : فقلت : لستنا نعبدكم فقال : ( أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ، فقلت بلي : قال : انهم ربط وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحرار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى ) (١) .

وقد فند الرازي رأى الخوارج في قولهم : انه تعالى لما كفرهم بسبب انهم اطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطبع الشيطان فوجب الحكم بكفره . . . فاجاب بقوله ( ان الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعبه ويستخف به اما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق . . . ) (٢) .

وقد اشار صاحب الظلال رحمه الله الى بعض الحقائق التي تتعلق بضموم هذه الآية فمن ذلك ما قاله ( ان العبادة هي الاتباع في الشرائع ينسب القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الاحبار والرهبان اربابا بمعنى الاعتقاد بالوحييتهم او تقديم الشعائر التعبدية لسيبهم . ومع هذا فقد حكم الله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في آية تاليسة في السياق بمجرد أنهم طفقوا منهم الشرائع فاطاعوها واتبعوها فهذا وحده دون الاعتقاد ، والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله شركا بالله ، الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين . . . .

- ان النص القرآني يحوي في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحرارهم واطاعوه واتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بالوحيية المسيحية اعتقادا وقد موا اليه الشعائر في العبادة ، فهذه كل تلك مساو في اعتبارها فاطعها شركا بالله .

ان الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بالوحيية ولا تقديم الشعائر التعبدية له كما هو واضح من الفقرة السابقة ) (٣) .

- 
- ١ - : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦/٣٦-٣٧ ط ١ الطبعة البهية المصرية ١٣٥٧-١٩٣٨ ٢ - المرجع السابق ١٦/٣٧-٣٨  
٣ - : في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣/١٦٤٢ ، دار الشروق ط ١٠  
١٤٠٢-١٩٨٢ م



وما أفساده به العلق\* قديما وحديثا صحيح ولا شك فسي تفسيره ، لما  
أشار اليه القرآن الكريم من دلالات واضحة . من أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم  
أربابا من دون الله ..

والناظر في حادد العقائد النصرانية يرى هذا الامر بوضوح فمن ذلك  
ما قاله صاحب خلاصة التصوف المسيحي :

( ان القديسين الذين يحفظون بالله في السما\* يعتقدون بتقدسهم  
وساعدونا على النجاح في الفضائل بشفاعتهم القوية واملتئهم الشريعة التي تركوها  
لنا : فعلينا ان نحترمهم وما انفسهم شفعا\* اقويا\* طينا ان نستغيث بهم  
وما انهم امثله لنا طينا ان نفتدى بهم ..  
اذن نكرم في القديسين :

( ١ ) مقام من الثالث الحية الذي تنازل وسكن فيهم وزين نفوسهم .  
بفضائل ومواهب وأثر في قواهم ليجعلنا تصدر عن حرية اعلا استحقاقية ونحبه .  
النعمة علامة الثبات .

( ب ) - ابنا\* الاب بالتبني : أحبهم حبا عجيبا وأحاطهم بعنايته الابوية  
فعرفوا أن يقابلوه على ذلك باقتراحهم شيئا فشيئا من قداسه وكمالاته .  
ج ( اخوة يسوع واعضائه بحب وثبات .

د ( معابد الروح القدس وعطاله الخضع المسلمون قيادهم الى الهاماته  
بدل ان يتبعوا معنى ميل الطبيعة المنشودة ) ( ١ )

ويقول الاب اوليه ( لذلك نستطيعون أن نعبدها باحترام هيق  
حياة الله المنبثة في كل القديسين وتمظنوا يسوع المسيح بقوهم جميعا ومكلمهم  
بروحه الالهي ليكونوا جميعهم واحدا فيه . . . ) ( ٢ )  
ويقول ايضا ( طينا ان نستدعيهم لننال شفاعتهم القوية ومسهولة اكثر  
نحن بحاجة اليه من النعم لا شك أن وساطة يسوع وحدها ضرورية وكافية بذاتها  
لكن بحصر المعنى ، بما ان القديسين هم اعضا\* يسوع القائم من الموت يضمن صلواتهم  
الى صلواته ان كل جسم المخلص السرى يهلي ويغتصب قلب الله اغتصابا عذبا ) ( ٣ )  
وما يضاف الى قولهم ( واننا تنازلنا الامر من ناحية اخرى فلديهم

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٥/١-٦٦

٢ - المرجع السابق ٦٦/١

٣ - المرجع السابق

ايضا عبادة خاصة للقديسين شفعاثنا اذ نرى في اصطفاثنا اياهم  
شفعا\* دلالة على العناية الالهية فعلينا ان نستفيد منها ( ١ )

من هذه النصوص وغيرها نعرف كيف حرقت الديانة الصحيحة ، وكيف  
اصبحت ديانة وضعية .

فمن الواضح ان واضعي هذه العقولات قد جانبوا الصراط السدى  
سار عليه عيسى عليه السلام وحواريوه الخلق .

وهم بذلك يرتكبون جريمة الشرك بالله تعالى وقد ارتضوا بسان يكونوا  
وسطا\* بين الخلق والخالق وان يعبدوا من دون الله تعالى عما يصفون .

كما ان ادعا\*هم بانهم رجال دين اكبر دليل على زيف هذه الديانة  
ذلك لان الدين المنزل من عند الله تبارك وتعالى لا يوجد فيه من يطلق عليهم  
رجال دين (لنا يوجد رجال صالحون من جهة وطا\* وفقها\* في الدين من جهة  
اخرى وليس لهؤلاء\* على الناس سلطان الا سلطان المحبة والتقدير ومكان  
القدوة الصالحة في النفوس ) ( ٢ )

وهكذا فان الدين المنزل من عند الله يفترق في هذا الشأن عن الاديان  
المنوعة على يد البشر في خصلتين اثنتين على اقل تقدير  
( الاولى : ان يكون الذين يعلمون الدين للناس اقرب في سلوكهم الى حقيقة  
هذا الدين ومقتضياته اى اكثر وعيا واكثر اخلاصا واقرب الى الله كما كان المهاجرون  
والانصار بالنسبة للجيل الاول من المسلمين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .  
والثانية : ان يكونوا متفهمين في أمر الدين ليجيبوا الناس على اسئلتهم  
التي تخطر لهم بشأنه سواء في الجانب التعميدى المتمثل بالعقيدة والشعائر  
او الجانب العطي المتمثل بالشرعة . . .

وأمر طبيعي أن يكون لطل هؤلاء الرجال موضع التقدير والاحترام من بقية  
الناس ولكنهم بحكم طبيعة الدين المنزل من عند الله لا يكونون موضع التقدير .  
اولا : لانهم يعلمون الحق والدين الحق يجعل التقدير للمسه  
وحده وليس لاحد من البشر .

ثانيا : لانهم يعلمون الدين بجانبيه ، ما يتعلق منه بالعقيدة والشعائر  
وما يتعلق بتنظيم أمور الشخصية الدنيا بمقتضى الشرع الرباني فيخاطبون فسي

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٢/٠

٢ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦

الناس جانبهم الروحي وجانبهم العقلي والعقلي التطبيقي ، فيظل ارتباط الناس بهم ارتباطا واحدا لا سحر فيه ولا غموض ولا اسرار ، ومن ثم لا يصبحون في حسن الناس وسطا\* بينهم وبين الله وانما وسطا\* بينهم وبين المعرفة وقرق بين الوساطين كبير (١).

هذا هو مفهوم رجال الدين في الرهبانية والكنيسة المسيحية وذلك هو مفهوم العلما\* والفقها\* في الاسلام ، والضاظر في التاريخ الاسلامي المريق يجد اعلا ما وعالقة عظاما من عظم\* الاسلام في شتى المجالات ، كما يجد في التراث الاسلامي ما يبهر العقول لكثرة المؤلفات التي قام هؤلاء الافذاذ بتدوينها ونشرها في سبيل العلم والتعليم ، ولم يكن الغرض من ذلك دعوته الناس الى تقدسهم او انزالهم مرتبة الوسطا\* بين الحق والخلق . انما كان الغرض ابتغا\* وجه الله سبحانه وتعالى بنشر دينه واعزاز كلمته في ربوع الارض . ولو علم اولئك الرهبان ما لمنزلة المعالم في الاسلام ديننا وديننا

لأدركوا بحق انهم يعيشون في خيالات واوهام ، وان الحياة التي ينشدونها ما هي الا سراب ، وخداع ، واوهام لا اساس لها من الصحة ، بل هي حياة زائفة من صنع صناديد الكنيسة التي استطاعت اغراق الرهبانية في زحمة المتاهات ، واستغلالها أبشع استغلال في سبيل تحقيق اغراض بعض اصحاب النفوس المريضة ، الساعية الى الطغيان .

وسوف اتمرض للآثار السلبية المترتبة على هذا الاستغلال في الصفحات التالية . ان شاء الله . تعالى .

## الفصل السابع :

### الاشارة الصليبية المترتبة على استغلال الكنيسة للرهبانية

استطاعت الكنيسة بعد تكوينها وبث جذورها في العالم المسيحي استغلال الرهبان في تدعيم سلطتها ، وتقوية نفوذها ، ونشر دعوتها ففسى مختلف اصقاع العالم المسيحي . وقد ترتبت آثار سيئة على الاستغلال انعكست على المجتمع ككل ، ابرزها ، قيام السلطة الباطنية بايضع جرائم الطفيان هــ تاريخ الكنيسة الطويل والذي يبرز بشكل واضح ابايا العصور الوسطى ، وللوصول الى هذه الحقائق ، كان لا بد من التعرف على النقاط التالية :

- نشأة فكرة الكنيسة وتطورها
- اعداد الرهبانية للكنيسة بجيوش الرهبان لتدعيم السلطة .
- تطور مفهوم الاسقف
- طفيان السلطة الباطنية ، الطادى والمعنوى والاقتصادى والسياسى والدينى .

من خلال هذه النقاط المطروحة يمكن تقييم الاعمال التي قامت بها الرهبانية عبر التاريخ ، ومدى الاثار التي احدثتها ، والنتائج التي آلت اليها ، وذلك للوصول الى اعطاء حكم الاسلام فيها .

أولا :

## نشأة فكرة الكنيسة وتطورها

ما لا شك فيه ان فكرة الكنيسة بمفهومها الحالي لم تكن واردة مطلقا في أذهان الجيل الاول الذي تربع في احضان دعوة عيسى عليه السلام .

وتمجز نصوص الاناجيل عن طلبية رغبات المسيحيين بسند قوى ليونيدس و به دعواهم من ان المسيح عليه السلام قد امر بانشاء كنيسة او دة الى ذلك . حتى مفهوم الاكليروس وطبقة رجال الدين المسيحي لم تكن واردة من قريب او بعيد ابان القرنين الاولين .

وقد وجد الباحثون فموضا يلف الاسباب الداعية الى نشوء الكنيسة ، الا ان التتبع التاريخي لها ، ادى بالبحر الى كشف بعض الجوانب المحيطة بهذا الموضوع ، فقد كان المسيحيون ( يجتمعون في حجراتهم الخاصة أو في معايند صغيرة وقد نظموا أنفسهم على مثال المجامع اليهودية و أطلقوا على كل جماعة منهم اسم (الاكليزيا EKKLESIA) وهو اللفظ اليوناني الذي كان يطلق على الجمعية الشعبية في حكومات البلديات ، وكانوا يرحبون بالعميد كما كان يرحب بهم في عبادات ايزيس وشراس ، ولم تبدل اية جهود لتحريرهم ولكنهم كانوا يؤاسون بان يقال لهم انهم مسيحيون في ملكوت يكون الناس فيه جميعا احرارا ) ( ١ )

هذه الاجتباطات وتلك التجمعات ساعدت كثيرا على ايجاد نوع من الهيئات الدينية البدائية ، وقد تمكنت فيما بعد من دراسة نظم ومناهج فريضة عن كيانها الاساسي فاخذت منها ما تستطيع تطبيقه على شكلها التنظيمي ، وقد كان لتنظيمات " يهود المهجر " واليهود الوثنيين أثر كبير في هذه الهيئة المسيحية الجديدة بالجهد الاساسية لهذا التنظيم ومن ثم كان لابد من احداث وظائف ورتب ادارية وكهنوتية لهذه التجمعات .

وقد فرضت الضرورات انواع الوظائف وسي الموظفون بأسما اخذت من

اللغة الشائعة مثل :

- بريسبيتروس : اي شيخ

- ايمكليس : اي مشرف

- دياكونوس : اي خادم

وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد على التوالي الى :

- قس ، واسقف ، وشطاس .

وقد استطاع منصب الاسقف ان يحظى بتأييد القطاعات الاخرى مما اتاح له فرصة السيطرة على الوظائف الباقية . ( ١ )

وفي تطورات لاحقة : صورت الجطاطات المسيحية هذه نفسها بعد تكوينها على ان كل واحدة منها تعتبر نوطا من ( التلخيص لكنيسة السيد الكبرى ، راسها الشرعي الاسقف الذي يتخذ في ذلك قدوة من المسيح راس كنيسة الله ( الكبرى ) واخيرا قد اصبح الاسقف على اثر نمو الطقوس الدينية رئيسا للعبادات الجطاطية ( ٢ )

كما اصبح مفهوم الاسقف في عرفهم يعستبر ( مثل الله في الكنيسة ولا يصح لاحد أن يأتمر بأمر غيره فيها ومخالفة ذلك رجز من وحي الشيطان ، وكانت الفكرة الضمنية المتعارف عليها بطبيعة الحال : ان الاسقف لا يقوم بعمل الا بالاتفاق مع هيئة ( البريسبيتروس ) ( و الدياكونوس ) ولكن ايجيناس يقول : لتكنن اعينكم معلقة بالاسقف حتى ينظر اليكم الله " ، ويقول : طيكم بتجديد الله والاسقف .

... وقد صار المسيحيون في بداية القرن الثالث او حوالي ذلك يؤمنون طامسة بأن وحدة التنظيم يجب ان تكون موازية لوحدة الايمان وأن لا تقل اهمية عنها . . . .

ومنذ ذلك الحين بدأ العمل في تهيئ الامر الواقع ( ٣ )

وهو تسددهم سلطة الاسقف وهبوط سيتعرض له البحث بعد الحديث عن : اسداد الكنيسة باعداد الرهبان وساعدة الرهبانية نفسها في بسط نفوذها .

١ - راجع : المسيحية ، جنير ص ١٣٥ وراجع : تاريخ الاصلاح ص ٤

٢ - المسيحية : ١٣٧ ٣ - المرجع السابق

## ثانيا : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان

لم يكن بإمكان أى تنظيم مسيحي الوقوف على قدميه دون الاعتداد طبعى عناصر مؤهلة طمعا ودينيا تمكنه من تحقيق أهدافه .

كما لم يكن بوسعهم ايضا الاعتداد على الطبقات الدنيا من المجتمع ان ظل العلم محصورا وحكرا على الرهبان سواء في العصور الاولى للمسيحية او في العصور الوسطى (١) . كما لم تكن الديرية قادرة على ضبط عناصرها الكثيرة المختلفة داخل اطارها الرهباني لفشل الانظمة المبتدعة والمخالفة للسفطرة البشرية التي مر الحديث عن صورها في الفصول السابقة .

فكان لابد امام طبقات معينة من الرهبان الخروج عن نطاق ادبتهما لتأخذ دورها في المجتمع المسيحي الواسع ، والى وقت ذات على كل فرسب خاصة على العالم الخارجي فلم يعد امام هذه الفئات سوى التنازل تدريجيا عن قوانين نذورها الديرية .

وامام هذين العاملين كان من الطبيعي جدا ان نرى المؤسسات المسيحية تنهض على اكتافخرجي الديرية من الرهبان واصبح كل دير حصنا منيعا ونقطة دفاع عن الباطن فيها بعد ، وقد تفاقمت هذه الاعداد تفاقما كبيرا طمعا بان تلك الديرية اسهمت الى حد كبير في عطية التبشير المسيحي التي فرضت نفسها ( عن طريق التسرب اليومي البطيخ الشربط على الصلات بين المدينة والقرى وفي بعض الحالات الاخرى اتسم انتشارها باعمال مفاجئة مثل تبشير قرية باكلها او مجموعة قرى في يوم واحد وكانت في غالب الامر تسير على اسلوب الابدال اى تحول لصالحها من الاساطير والخرافات السائدة معتقدة على هادة القديسين لديها .

تلك العبادة التي يسرت كثيرا من مهبتها التبشيرية : فتقيم تماثيل قديسيها محل الشخصيات الالهية الصغيرة التي اعتادها الفلاحون واحبوها حبا جما لاعتقادهم بانها تؤدى لهم العديد من الخدمات اليومية التي يطلبونها منها وهكذا بدت القرى وكأنها اخذت باهداب المسيحية ، وتقدم العمل التبشيري فيها كثيرا في نهاية القرن الخامس ( ٥ ) .

١ - راجع : عالم العصور الوسطى في النظم والحفارة ص ٩٩

٢ - المرجع السابق ١٧٩ - ١٨١

٣ - المرجع السابق

٤ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١٠

٥ - المسيحية ، جنير ، ص ١٧٩ وقارن مع : تاريخ الحضارات العام ٣٥/٣

على أن اعداد الرهبان قد مكن الكنيسة بالفعل من بناء مؤسساتها الدينية  
والاجتماعية بصورة واسعة .

وهكذا صيغ مبدأ الكنيسة وفق مفاهيم الرهبان أنفسهم وضمن مخططاتهم  
وكذلك عقدت المجامع<sup>(١)</sup> الكثيرة وفق آرائهم وتطلعاتهم . حيث أقروا  
فيها ما رأوه مناسباً لمصالحهم ومكاسبهم وذلك وفقاً للمعاقد التي أطيحت عليهم  
وهي في غالبيتها تحريف للعقيدة الصحيحة .

وعلى هذا النحو بدأت تتشكل عبر الزمن طبقات من رجال الدين  
أسهمت في تكريس نظام الكليروس . كطبقة معترف بها . كما كان من الضروري ان تكون  
شرائعها العالمة من الرهبان أنفسهم وبذلك أمكن للكنيسة مجدداً ايجاد المناصب  
التي مر ذكرها ومنها منصب الاسقف الذي تطور مفهومه تطوراً خطيراً ليصبح فسي

١ - ما كانت الرهبانية لتصل الى تقرير وتمهير عقائد ما وما حورته منها الا عبر مجامع  
عامة استندت اليها ودعت للاعتراف بشرعيتها . وما كانت هذه المجامع لتعقد لولا الغرض  
الدينية التي أصابت المجتمع المسيحي إبان العصور الاولى . على أن أوائل هذه المجامع  
كان معناها باقرار عقيدة التثليث وما تفرع عنها من آراء تأليفية . اضافة لما أقر من قوانين  
وانظمة تتعلق بشؤون الكنيسة . الا ان أخطر مقرراتها تلك التي تعلقت بمقررات الحرمان  
وصحكوك الغفران ومحاكمة كل المعقائد التي تخالف مبدأ التثليث وتعريض أصحاب  
المعقائد الصحيحة للقتل والطرده من رحمة الكنيسة كما حدث لآريوس الذي نادى  
بعقيدة التوحيد .

كما أن أبرز مقررات هذه المجامع وأخطرها : ما تعلق منها بفرض شرعية  
الاناجيل الأربعة ورسائل أعمال الرسل ، لما حوته من عقائد توافق هوى الرهبان ونزعاتهم  
الداعية الى الحلول والاتحاد .

وهكذا صيغت الاناجيل بصبغة القداسة وتم احراق ونهب الكثير  
من الاناجيل الاخرى التي تخالف المعقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

وقد كانت اعداد هذه الاناجيل كثيرة الا ان المجامع المتتالية استطاعت  
ان تحرم قراءة أو تداول اي واحد منها لا تقرأه الكنيسة .

وقد كان انجيل برنابا احد تلك الكتب التي حوربت وحرمت قراءتها  
لما يتضمن من مخالفة عقائد التثليث والصلب ونبوة المسيح والوهيته .

وقد تعددت تلك المجامع . وقد سميت بالمجامع المسكونية وكان أبرزها :



في النهاية نواة لمسي بالكرسي الهاوي أو خليفة عيسى - عليه السلام - وممثل  
الله تعالى - بزعيمهم - في الأرض .  
وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات التالية ان شاء الله تعالى .

---

م ١٢٤٥	- مجمع ليون الاول	م ٣٢٥	- مجمع نيقية
م ١٢٧٤	- مجمع ليون الثاني	م ٣٨١	- مجمع القسطنطينية الاول
م ١٣١١	- مجمع فينسا	م ٤٣١	- مجمع افسسوس
م ١٤١٨-١٤١٤	- مجمع كونستانس	م ٤٥١	- مجمع خلقيدونية
م ١٤٣١	- مجمع بازل ( شتم لسابقه )	م ٥٥٣	- مجمع القسطنطينية الثاني
م ١٤٤٢-١٤٤٨	- مجمع فرازا - فلورنسا	م ٦٨٠	- مجمع القسطنطينية الثالث
م ١٥١٢-١٥١٧	- مجمع اللاتران الخامس	م ٧٨٧	- مجمع نيقية الثاني
م ١٥٤٥-١٥٦٣	- مجمع ترنت	م ٨٦٩	- مجمع القسطنطينية الرابع
م ١٨٧٠	- مجمع الفاتيكان	م ١١٢٣	- مجمع اللاتران الاول
		م ١١٣٩	- مجمع اللاتران الثاني
		م ١١٧٩	- مجمع اللاتران الثالث
		م ١٢١٥	- مجمع اللاتران الرابع

هذه أهم المجامع التي عقدت حتى العصور الوسطى . وقد استغلت الرهبانية تلك  
المجامع كسلاح في وجه خصومها الدينيين والسياسيين وجعلت منها ستارا لتبرير اراءها  
المتعلقة بالعقيدة والشريعة والسلوك ومع تطور الفاهيم الكنسية استطاعت الرهبانية  
استغلال المجمع لابرار قوتها ويطشها وطفخاها على العالم المسيحي . ولهذا فقد  
قامت باصدار القرارات التي تدعم موقف البابا تجاه الامبراطورية وتأيد شروطه التوسعية  
وط نفوذ في المجالين الديني والزماني .

وهكذا جعلت الرهبانية من هذه المجمع أطي سلطة تشريعية لاصدار احكام التحريم  
والتحليل وفق اهوائها ونزقاتها . ناصبة نفسها كبديل عن تشريع الله تعالى وحكمه  
وقد صدق الله تعالى حيث يقول ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) التوبة  
٣١ : . وأحيل القارى الى المصادر والمراجع التي تحدثت باسهاب عن المجمع انفسه  
الذكر والملاهيقات التي دارت حولها ومن ذلك : محاضرات في النصرانية ص ١٤٣ . وكذلك  
المسيحية د . شلبي ص ١٩٤ وأوروبا العصور الوسطى د . عاشور ٢/٢٢٥ . وفلسفة  
الفكر الديني ٢/٢٧٤ . والاسفار المقدسة د . وافي ص ١٣٢-١٣٣ ط ٨٤ وكذلك  
" يا اهل الكتاب " د . رؤوف شلبي ص ٢١٢ .

ثالثا : تطور مفهوم الاسقف :

بعد التوسع في انتشار الجمعيات المسيحية المختلفة وتركيز الكنيسة لجهودها (شاع الاعتقاد بان النظام الاسقفي الطكي انما انشأه الحواريون انفسهم وتقدمت كل كنيسة بقائمة للاساقفة ترجع بها الى الحواري الذي انشأها او ان لم يتيسر لها الاعتماد على حواري فالى تابع من اتباعه او مندوب كنيسة حواريه كان له الفضل الاول في تأسيسها .

واتخذ لسلطة الاسقف رمزا من ذلك الكرسي ( الكathedra ) الذي زعموا انه قد جلس عليه سائر الخلفاء . فاذا قيل مثلا " كرسي بولس " فانما يعني ذلك : " سلطة اسقف روما " . وطية هذه السلطة هي " سنن الحواريين " مثلها في ذلك مثل " شروط الايمان " . ولن يبحث الباحثون عن تبريرات انجيلية للنظام الاسقفي الطكي الا في عهد متأخر ، ولقد وجدوه في انجيل متى (١)

١ - : المسيحية ، جنيف ص ٩ ١٣٧-١٣٩ ، وط وجد في انجيل متى هو  
الاصحاح ١٦ : ١٨-٢٠

وقد زعمت الكنيسة ان المسيح قال لبطرس كبير الحواريين : انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة و ابواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات ، ( وانه قال ( اني اهب سلطاني لكنيسة ) . ورتبت الكنيسة على هذا الزعم ان المكان الذي مات فيه بطرس وهو روما لابد ان يكون مقرا للنفوذ الديني الذي يبسط ذراعه على الارض كلها مثلما في الكنيسة

وان كل ما تقوله الكنيسة وعلى رأسها البابا واجب الطاعة لأنه من أمر الله .

اما القولة التي نسبوها الى المسيح وألجوها على هواهم فهي لاتعني ان تكون هناك كنيسة بالمعنى الذي صار اليه الامر في الكنيسة الاوروبية ولا رجال دين لهم وجود متميز وسلطان على المؤمنين بذلك السدين ، انما هي على فرض صحتها لاتعني اكثر من قول الله عن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) سورة الطفقون : ٨ فهي عزة يمنحها الله للمؤمنين بدينه . يعتزون بها في الارض على الكفار والمنافقين وليست سلطانا ذاتيا يمارسونه على المؤمنين ولكن هذا الفهم الخاطي والتأويل المعوج سارت الامور في المسيحية المعرفة فصار لها كنيسة ورجال دين يرأسهم قداسة البابا ويرسمهم ذلك البابا اي يضعهم في مناصبهم و صار لهم على الناس ذلك السلطان المعروف في التاريخ الاوربي الذي لم يكن سلطانا ماديا وانما وصل الى حد الطغيان المتعدد الألوان )

: مذاهب فسكرية معاصرة ص ٢٧-٣٠ وقارن مع : العلية ، نشاتها وتطورها

وآثارها ، سفر عبد الرحمن الحوالي ص ٨٢-٨٤ دار مكة ط ١٤٢٠-١٩٨٢ م  
وراجع الانتقادات الواردة حول هذا الموضوع في : تاريخ الاصلاح ص ٥

ازاء هذا التطور في توسيع مفهوم ومهام الاسقف كان لابد من الوقوف عند نقطة هامة تظهر مدى خطورة الاقدام على مثل هذا الاجراء .

فمع هذه البداية التي كانت نواة لتشكيل الجهاز الخاص الذي قامت على اساسه سلطة البابا فيما بعد كان مؤشر هذا الانحراف قد بدأ يحل شيئاً فشيئاً نحو اغراق الرهبانسية في مهمة لا تتفق مع شععارات الزهد والتبذل والتشف المرفوعة من قبل القاصدين عليها .

فأمام شهوة الرتب الكهنوتية والناصب البراقة تمكنت طبقات معينة من الرهبان من استغلال الحاجة الى ط \* الناصب ، ففتحت اعينها للجاء العريض واذانها للمسعدة الواسعة المغدقة ، نتيجة للمهام الدينية والاجتماعية التي نيطت بها ، وقد دعي هؤلاء فيما بعد " برجال الدين العلمانيين " تمييزاً لهم عن غيرهم يهبط هؤلاء الاساقفة وقساوسة الكنائس الكبرى وقساوسة كنيسة الابرسيات (١) وينقل جيون صوراً للاستلوب الذي كان يتم فيها تنصيب هؤلاء ومن ذلك قوله ( كان الناسك ينتزع من صومعته على غير رغبة منه ويوضع على العرش الاسقفى وسط تهليل الناس وكانت اديرة مصر وبلاد الفال ( فرنسا ) والششرق مورداً ، منتظماً متصلاً بجيوش من القديسون والاساقفة وسرطان ما اكتشفت الاطماع ذللك الطريق السرى الذى يؤدى الى الحصول على الثروة والوصول الى الناصب ومن ثم فان الرهبان ذوى العصيت السذاج الذين ارتبطت سمعتهم بشهرة طافتهم ونجاها علواً جاهدوا على مضاعفة عدد اترابهم الاسرى (٢) للفرغ من نفسه .

كانت هذه الناصب التي تدرك اسب جمة من الصعب التنازل عنها كما لا يمكن تجاهلها من قبل الرهبان ، وكان لابد من التنازل عن شيء ما . وهكذا فتحت الدنيا امام هؤلاء الذين وجدوا في هذا الفتح الكبير حياة تنسي ألم الجوع المعوى والتحرق والكبت الجنسي على حد سواء . حياة تفنسي عن عيشة الفقر والابتذال والتسكع آلاماً طويلة تحت رحمة رئيس الدير او من ينوب عنه .

لقد كان من الصعب التوفيق بين الحياة الاولى والحياة الجديدة التي ضمنت لهم الرفاهية والمتعة بما هج الحياة على أوسع نطاق ودون غايط . وكسان من الطبيعي ايضاً ان يستجيب هؤلاء لنداء الفرائد الكبوتة ، ففرض هؤلاء بالنذور الرهبانية الثلاثة عرض الحائط وشغلوا من معين الشهوات لذ لهم وطاب دونوازع من دين . وقد اتخذوا المظاهر الدينية البراقة ستاراً لاهلهم .

١ - عالم المعمور الوسطى . ص ١٢٥

٢ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ص ٣٢٤ / ٢

وقد أدت الأوضاع الجديدة الى سن تشريعات تتناسب والظروف الراهنة فكان لا بد من التنازل عن بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في الاسقف .

ولاول مرة اعتبرت شروط انتخاب الاسقف مرنة الى درجة كبيرة فقد (طلب الى المرشح لهذا المنصب ان يقدم دليلا على أخلاقه الطيبة وضمان ذلك أن يكون متزوجا أو أرملًا) - (١)

وهكذا تم بهدوء تجاوز المعضلة التي لا يمكن ان تمر لولا الضغوط الطيحة التي مورست على الاديرة من الداخل والخارج عن الأوضاع الشاذة .

وبدأت سلسلة التنازلات تتوالى واحدة تلو الاخرى اذ لم يلبث ( الصراع على المنصب يأخذ ابعادا خطيرة والسوانا من العراق على الكرسي الديني فهاك التنافس والتآمر للحصول عليها يزداد عن الحد فضلا عن بيع المناصب والرشا التي عرفت باسم السيمونية) (٢)

وقد كانت المسؤولية التي كلف بها الأسقف تتضمن :  
( الادارة الدينية والاخلاقية اضافة الى سلطة التنظيم والعقاب ، وكان له ايضا ان يعزل كل مخطئ يقوم في رأيه بعمل غير لائق فلا يقبله في طقوس القربان ، وينفيه نفيا خارج حدود الجماعة . . وكانت وظيفته تعتمد خاصة على اقامة الطقوس القدسية فهو يعهد ويصح بالربان وتلك هي الصلاحية التي جلبت له من بين كل صلاحياته أكبر قسط من التقدير والنفوذ وأن أهميته في هذه الناحية لسوف تزداد بعد ذلك بتأصيل المفهوم السحري لطقوس الاسرار الفعالة فسي شعائر العبادة ، فاذا اضفنا الى كل ذلك ما فرض على الاسقف من عبادة المرفيس وحث الناس على الصبر وصحت الاطال لديهم لادركنا دوره وجوانب سلطاته المختلفة )

١ - المسيحية جنبيير ، ص ١٣٩ - الا ان مبدأ زواج القسس وعدمه ظل بين مدر وجزر مددا طويلا ، وقد عقدت لاجله المؤتمرات ، وكانت القرارات تدبر هذا الزواج لاحبا في التبتل هذه المرة ، بل خوفا من انتقال أملاك الكنيسة الكثيرة الى ورثة الرهبان ( راجع في ذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٤ - ١٣٤ )

٢ - راجع ما قرره مجمع روما عقب تفشي هذه الجرائم وذلك في : اوربا العصور الوسطى د . سعيد عبد الفتاح عاشور ٧١٣/١ ط ١٨٧ - ١٩٨١ مكتبة الانجلو المصرية .

٣ - المسيحية ، جنبيير ص ١٤٠ - ١٤٥

ولم يكن لهذه السلطات من حدود في الحقيقة سوى استغلال الأسقف لها مآثر أثار بعض ألوان المقاومة لدى صغار الموظفين . . . إلا أن الأسقف انتصر على هؤلاء فجردهم من الصلاحيات .

وبعد انتصاره النهائي انتظم موظفو الكنيسة الآخرون الذين لم يعرفوا بالاكليروس إلا في القرن الثالث ، لقد انتظموا إلى جانبه في ( هيئة ) أو فسي طائفة خاصة متميزة بين جمهور المؤمنين ( المسيحيين ) (١) .

وحتى هذا الوقت ورغم التوسع في التنظيمات المختلطة للكنيسة فقد ظل ولاؤها قائمًا للباطرة ، ويتضح ذلك من خلال ما وجسه ترتليان في عام ١٩٧ م إلى محكمة خيالية وهي معروفة باسم الدفاع أكد فيها للرومان أن المسيحيين ( لا ينقطعون عن الدماء لجميع الباطرة وسلامة الأسرة الحاكمة ويطلبون إلى الله أن يهب البلاد جيوشًا بأسلحة ومجلس شيوخ ، وفيّ ، أمين ، وأن يمن على العالم بالهدوء ) (٢) .

وقد أقامت الكنيسة في عهد قسطنطين كثيرًا سيمًا وأن هذا الأخير قد استفلسها في تثبيت نظام امبراطوريته (بعد أن اقنع الباطرة بضرورة كسب أصوات الجاهليين كما كان اللون الذي ترتديه وكان للمسيحية نصيب كبير بعد أن تناهت قوتها وأصبحت أهدافها صالحة للسلاوة ) (٣) .

وقد اقنع قسطنطين أخيرًا بأنه طاهر من سحقها فآثر التحالف معها (٤) . وقد تحشد المؤمنون عن الانتصار الذي أحرزته الكنيسة تجاه تدعيم سلطاتها ونمو قوتها إزاء الدولة الرومانية .

إلا أن هذا الانتصار لم يكن إلا نكبة في حين العظم فقد هب جنيهر من هذا الواقع بقوله :

( والواقع أن المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار دفعوه ظالمًا بحيث نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بأن مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار لو قد رلهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى ) (٥) .

١ - المسيحية بجنيهر ، ص ١٤٢

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٠٧ وقارن مع تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، هـ.أ .

فيشر ١١/١ ت : محمد مصطفى زهسادة ، السيد البار العربي دار مصر ١٩٦٦

٣ - المسيحية ، جنيهر ص ١٨٢

٤ - عالم العصور الوسطى ص ٤٤

٥ - المسيحية ، جنيهر ص ١٨٢ وذلك يعود لتسلط رعاة الكنيسة على أولئك المؤمنين على حد تعبير " هرل " راجع : تاريخ الإصلاح ص ٤٥٧

والنظرة الأولى الى أحوال المسيحية تكفي ( لان تبين ان الانتصار على أعداء الدولة دفعها الى اتجاه جديد لم يكن من نصيب اتباع المسيح حقيقة . انما كان من نصيب حكامهم "أي الكنيسة" . وان تلك الامتيازات التي تمتع بها المؤمنون عامة في أعقاب الحل الوسط الذي اتخذته قسطنطين لم تأت بهم سوى نتيجة لاتفاق بين قوتين بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولاً وقبل كل شيء عن مصلحتها الخاصة (١) .

وقد اعتبر العلماء ان تحول قسطنطين الى المسيحية أتاح للمسيحية ان تصبح هي الامبراطورية الرومانية في قالب كنسي (٢) .

وهكذا هيى للاكليروس مناخ جديد لانشاء تنظيماته ( خلال القرن الرابع . وكان لاقامة الاساقفة المركزيين والبطاركة أثر ملموس في تنسيق التسلسل الوظيفي بالكنيسة التي اتجهت بذلك شيئاً فشيئاً نحو الطقسية الباطنية .

كما كان لعقد المجالس والمؤتمرات الكنسية المتعددة أثره في تدعيم وتوضيح مفهوم الكاثوليكية للباطن لدى هذا الكليروس وسمح له في نفس الوقت بتوحيده نظمه وتوسيع أبعاده عقائده أكثر فأكثر وسارت تلك الهيئة المسيحية الكبرى بدفعه هائلة من النشاط فهدت وكانها تجذب اليها لتستوعب كل ما احتفظ به العالم الوثني من جوهر حي . وحتى الطقوس والمراسم التي اتشح بها الكليروس وازدان ، نراها تتضخم وتزداد بهيئة فهي قد تبنت كل زخارف العبادات القديمة (٣) .

ومن زاوية أخرى فان الكنيسة وهي ( السلطة للشعب المسيحي كونه بالنسبة الى الدولة كانت تحيل الى تشكيل تنظيماتها الادارية على غرار تنظيمات الدولة نفسها . والى اتخاذ الاطارات الرسمية حدودها لها . بل نلاحظ انها توشك ان تكون واحداً من الفرعين الاساسيين للادارة العامة مع حفظ جريانها وامتيازاتها المكتسبة التي تستطيع الدفاع عند مقتضي الضرورة ذلك . وتنمو روح الحكم فيها كما تنمو الاجهزة الادارية تحت تأثير الطمع الذي لم يكن منه بد . في الوظائف من كل جنس . وكرد فعل ( على ) ما حققته من مكاسب في صفوف

١ - المسيحية ، جنيفير ص ١٨٢

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى فيشر ١٠٦/١

٣ - المسيحية ص ١٨٢ - ١٨٣

## الارستقراطية .

وهذا نزعته الى الانفصال يوط بعد يوم من جمهور المؤمنين البسطاء  
والى التدخل المتزايد في التدبيرات السياسية الا انها باتخاذها هذه الوجهة  
لم تفقد استقلالها فحسب بل تشربت شيئا فشيئا بمشاغل الحياة الدنيا حتى اهتمت  
عليها في بعض الاحيان مفاهيم رسالتها واسباب وجودها ( ١ ) .

هكذا تكون الرهبانية قد تخلت عن مفاهيم العزلة ، ولولا الكبت  
والحرمان وشدة التقشف لما حل بها من انفصام في شخصيتها الامر الذى حولها  
من النقيض الى النقيض . وهاتى الاغراض الدنيوية هي الهدف الذى يسعى  
اليه الرهبان الجدد . ولا بأس ان تكون هناك شعائر وتراويل وطقوس كستار  
وتغطية للاعمال التى تدار في الخفاء .

---

١ - السبحية ص ١٨٣

وتجدد الاشارة الى ان هذا التحول قد أسهم فسيما بعد في أفول نجم  
البابوية راجع في هذا الصدد : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى  
ل . م . هارتمان ص ٥٣ وكذلك تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٦

## رابعاً : الطغيان البابوي والكنسي

كانت هذه مقدمات ضرورية لبروز السلطة البابوية وطيغيانها على المسرح المسيحي . وقد اعتبر العلماء ان ( من اقوى اسباب هيمنة الكنيسة على هذا المجتمع يتمثل في العمل على ادخال العقائد المنادية بان الكنيسة هي الواسطة في غفران الذنوب . ودخول الجنة ، وقد كان الاهتمام بشؤون ما يسمى بالحياة الاخرى شغلهم الشاغل ، ومن شدة خوف الناس من عقاب الاخرة كانوا يعكفون في بيوتهم ويكرسون حياتهم للعبادة يعذبون انفسهم في هذه الحياة كيما يخف عقابهم في الاخرة ، ولما كان رضا الكنيسة ضروريا لغفران الذنوب وكان غضبها متهودى الى غضب الله ودخول النار ، فقد أصبح للكنيسة سلطان قوى على الجميع . )<sup>(١)</sup>

أما الأمر الآخر فهو : ما قامت به الكنيسة من عمل بهدف الاستقلال عن الحكم الامبراطوري الروماني .

فقد بقيت ( الكنيسة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية حين كانت قوية ، فلما ضعفت الحكومة المركزية ودخل البرابرة الأقاليم الرومانية أخذت الكنيسة تتخلص تدريجياً من تدخل الحكومة في شؤونها ورقابتها عليها . وجاهر أحد أساقفة رومة في القرن الخامس ( بأن العالم تحكمه قوتان قوة الكنيسة وقوة الطوك والأولى تفوق الثانية لان الكنيسة سؤولة أمام الله عن أعمال الجميع حتى الطوك انفسهم )<sup>(٢)</sup> .

وما أن التنافس بين الامبراطورية والبابوية أصبح في مرحلة — من المراحل شديداً جداً فقد ظب الطابع الفكري المسيطر على رجال الكنيسة وهذا واضحا تبني الكنيسة لفكرة الامبراطورية التي تهدف الى السيطرة على العالم كله ولو بالقوة اذا اقتضت الضرورة لذلك ، وهكذا احتفظ ( المسيحيون ) بالفكرة الامبراطورية . )<sup>(٣)</sup>

١ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - : عالم العصور الوسطى ص ٥٢



يعتبر المؤرخون ان غارات البرابرة ( كالقوط ، والجرمان وغيرهما ) ،  
 على أرجاء الإمبراطورية الرومانية كانت من أهم العوامل المساعدة التي مكنت  
 البايوية من النهوض واستلام زمام الأمر ، إذ لم يعمل البرابرة على المساس  
 بأمن الكنيسة ورجالها<sup>(١)</sup> ، بل نكسوا فقط بالمؤسسات الرومانية وتوابعها . وكان  
 ذلك يمثل هونا كبيرا للكنيسة إذ عمل على ازاحة السلطة الامبراطورية تدريجيا  
 من طريقها .

وط بهم البحث هسنا معرفة أهم الشخصيات البايوية التي عملت  
 على توسيع نفوذ الكنيسة والتي أسهمت في تسيير الدفة ومن ثم التعرض  
 بايجاز لأهم الأحداث التي رافقت نمو هذه السلطة والاسباب التي أدت الى  
 اضمحلالها والطغيان الذي مارسه على جميع جوانب الحياة المسيحية .

---

١ - يقول كلستون عن ذلك ( وحينما اكتسح البرابرة في أثناء غزواتهم  
 الحكام والقضاة الرومان كانوا يستبقون عادة الأسقف في أسقفيته والقس في مدينته )  
 : عالم العصور الوسطى ص ٥٢ وهامش ص ١٠٣ منه  
 ولا حظ : تاريخ العصور الوسطى ، فيشر ١/١٥١

أهم الشخصيات البابوية وآثارها على الكنيسة :

أولا : البابا هلدبرند ( ١٠٨٥-١٠٧٣ ) م .

( ١ )

من أهم الشخصيات التي برزت على الساحة البابوية : البابا "هلدبرند" ( ١٠٧٣-١٠٨٥ ) الذي أصبح اسمه فيما بعد غريغوري السابع ، ففي بدايته حياته ( حين سكرتيرا للبابا ( ليو التاسع ) وممن ذلك الوقت صار صاحب النفوذ الأكبر في الأمور الدينية وبقي كذلك إلى أن مات سنة ١٠٨٥ وبعد هلدبرند السط الأطل للبابوية وكان ضئيل الجسم ذا عزيمة لا تقبل هيقين لا يتزعزع فسي ان الكنيسة صاحبة السيادة في العالم كله تستند نفوذها من الله مباشرة ، وتمتد هي لحوك الارض وامراؤها بالنفوذ وكان يعتقد ان البابا له مركز فذ فسي العالم فهو الذي يولى الاساقفة ويخلصهم وله الحق في خلع الاباطرة لانفسه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقد بدأ تنفيذ خطته بان جعل انتخاب البابا بواسطة الكردينالات وهم الرؤساء الدينيون في رومة ، وبذلك تخلص من القوة الزمنية التي كانت تسيطر على انتخاب البابا واستحدث البابوات على اجراء الاصلاح في الكنيسة واعلاء شأن البابوية وكلفتها ، وكان مقتنعاً تام الاقتناع بلزوم تفوق البابوية وتوليها رئاسة العالم المسيحي المتحد .

ولما وصل غريغوري السابع الى كرسي البابوية سنة ١٠٧٣ اعلن خطأ النظرية القائلة بان الامبراطورية ظل الله في الارض وقال : ان الامبراطورية لا يمكن ان تكون كذلك لانها تعتمد على القوة الفاشية واما الكنيسة فتعتمد على الفضيلة وهي بهذا معصومة من الخطأ . . . واستنتج ان رئيس الكنيسة يجب ان يسيطر على الناس جميعا .

وراي غريغوري انه يجب ان تكون الكنيسة وحدة متجانسة تخضع لرئيس واحد هو البابا وعلى ذلك حتم على الاساقفة ان ينقسموا يمسكين الولا له وحرهم استقلالهم المحلي وأعلن حق استئناف جميع القضايا المهمة اليه رأسا ثم أعلن أن كلمة البابا هي العليا في الكنيسة وأن ارادته فوق اكبر هيئة دينية وهي المجالس الطلية ، ثم ارسل نوابه الى كل الممالك ، يمثلونه امام الملوك والامراء وينفذون ارادته وكانوا له بمشابهة عميون وسفراء يخبرونه بما يجسرى من الشؤون المختلفة وأخذ يكتب للملوك يذكركهم بتبعية ارضهم للكرسي لول بطرس ويطلب اليهم ارسال الاشارة . ( ٢ )

١ - راجع في ذلك : تاريخ الاصلاح ص ٨

٢ - راجع : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٧

وقارن مع : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ١٤٧/١

### ثانيا : البابا اريان الثاني ( ١٠٨٨-١٠٩٩ )

جند هذا البابا جميع جهودة للسند من المسلمين وهو الذي افتتح عصر التوسع الصليبي ضد العالم الاسلامي في مؤتمر كيرمون الكنسي في أواخر نوفمبر من عام ١٠٩٥ م .

وكانت الخلافات على اشد ها بينه وبين ملوك الغرب فقد اوقع قرار الحرمان في المؤتمر المذكور ضد قسطنطين الاول ملك فرنسا ، كما واصل سياسة سلفه جريجوري في الافتتاح على سلطان الامبراطور ولذلك لم تكن العلاقات طيبة بينه وبين خصمه الامبراطور اللاتيني هنري الرابع ، وكانت بينهما جولات وصولات انتهت بانتصار اريان الذي اصدر قرار الحرمان الكنسي ضد هنري .

ولعل هذا يفسر لنا سبب عدم اشتراك الامبراطور اللاتيني وملوك الغرب في الحملة الصليبية الاولى التي دعا اليها هذا البابا (١) .

### ثالثا : البابا انوسنت ( ١١٩٨-١٢١٦ )

تعلم هذا البابا في مراحله الاولى في جامعتي باريس وبلوني بايطاليا . القانون وصار ضليعا فيه فصيح ادعايات البابوية بصيغة قانونية .

وتتلخص خطة هذا البابا بما يلي :

- ( ١ ) ان يصبح البابا السيد المطلق في ايطاليا وعلى ذلك منزع الامبراطور من تثبيت نفوذه في تلك البلاد .
- ( ٢ ) ان يكون البابا الرقيب الاعلى على ملوك اوربا .
- ( ٣ ) ان يخلص بيت القدس من ايدي المسلمين وان يخضع الكنائس الشرقية وخصوصا الكنيسة الشرقية البيزنطية كنيسة القسطنطينية لسلطة البابا وان يقضي على المسلمين في كل مكان ( ٢ )

وقد استطاعت الكنيسة البابوية تنفيذ خطته ومن جاء بعده تنفيذها تحط باستمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين . الا ان الله تعالى رد كيدهم خائبين .

لقد جعل انوسنت من البابوية المركز الاكثر تمجيدا بالنسبة للمسيحيين

١ - راجع : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ص ٥٠ - ٥١

٢ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٤٣

على وجه الأرض (١) إذ اعتقد اعتقاداً حرفياً أن البابوية خليفة المسيح في الأرض وأن البابا ملك في "أمور الدين والدنيا" (٢).

(١) أما الابرشية المقدسة لروما فهي من وجهة نظره أنها (تجلس في مكان متوسط بين الله والبشر هي أدنى من الله ولكنها أعلى من البشر) (٣).

ويكاد يتفق جميع المؤرخين أن البابوية بلغت أوج عظمتها في عهد انوسنت بعد أن أصبحت الإمبراطورية تحت رحمته ، عهد أن دانت له كفاءة دول الغرب بالولا (٤).

ومن خلال رسائله عرفت قوة شخصيته ، فقد كتب هذا البابا رسالة جاء فيها ( أن الله خلق الشمس والقمر ليتسقى الناس بالشمس ، وليخفف القمر من ظلام الليل وأنه عز وجل خلق في الكنيسة العالمية سلطتين أولاهما سلطة البابوية لتشرف على رعاية أرواح أتباعها ، وثانيهما السلطة لتحكم في الأجساد ، ولكن سلطان الأولى يفوق بكثير سلطان الثانية فكما يستند القمر ضوءه من الشمس كذلك تستند السلطة قوتها من البابوية ، ومن الذي يجروا على وضع الجسد فوق الروح؟ في تلك العصور التي عرفت في التاريخ باسم عصر الايمان والتي هيمنت فيها الكنيسة الكاثوليكية بيد من حديد على حاكم الناس وعلى حياتهم الخاصة والعامة ، حتى أن كل من كان يخرج على تعاليمها وقبورها كان يعرض نفسه لاشد أنواع العقاب ، وما أكثر أسلحة الكنيسة التي كانت ترهب بها معارضتها في ميدان العمل السياسي .

وقد سيطرت هذه الأفكار فبط بعد على البابوية ، ففي القرن الرابع عشر قال البابا بونيفاس الثامن ( ١٢٩٤-١٣٠٣ م ) بأن الخضوع للبابا الروماني شرط ضروري لخلاص جميع البشر ، وقد ورد هذا الرأي في المنشور المقدس المعروف باسم ( *U NANSAMCTAM* ) (٥).

١ - راجع : الحلة الصليبية الرابعة د . اسيت غنيم ص ٤٧ ، دار المجمع العلمي

بجدة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢ - تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، فيشر ٢٣٢:٠

٣ - الحلة الصليبية الرابعة ص ٤٨

٤ - الدولة والإمبراطورية ص ٥٢

٥ - المرجع السابق ص ٦٠-٦١

هذه النماذج هي التي أسهمت في جعل القوانين الكنسية عقيدة متأصلة في أعماق الناس وأذهانهم . وقد تمخض عن هذه العقيدة نظريات عدة نادى بها أنصار البابا . من أهمها :

( ١ ) - نظرية الوحدة : تقوم على أن العالم المسيحي عبارة عن وحدة اجتماعية ودين واحد وعلى مذهب روما الكاثوليكي ( ٢ ) .

( ٢ ) نظرية السيفين : وتنادى : بأن الله تعالى له ملك الدين والدنيا ويبدع سيفان سلوان احدهما يمثل سلطانه على الأرواح والآخر على الأبدان ويعنون بذلك سلطة البابا والسلطة الرضوية العلمانية الا أن سلطة الروح تفوق سلطة الجسد ( ٣ ) .

( ٣ ) هبة قسطنطين : وتقوم على ان قسطنطين الكبير ( ٣٠٥-٣٣٧ ) لما شفى على يد البابا سلفستر الأول كافأه باصدار قانون يبيح للبابا لبس التاج واستعمال الصولجان كالأباطرة ( ٤ ) . وقد أثبت كولتون انها زورت سنة ٧٥٠ م ( ٤ ) .

( ٤ ) نظرية هبة هين القصور : تنادى بأن : بسن هذا قد وهب البابوية بالإضافة الى كيانها الروحي جميع ايطاليا ، وذلك اعترافا بفضلها عليه في تأسيس البيت الكارولنجي . ( ٥ )

( ٥ ) نظرية " مدينة الله " ومصدرها كتاب أغوسطين نفسه الذى ألفه عقب كارتة روما عام ٤١٠ على يد القوط وقد نادى ( انه إذا جاز أن تتحطم مدينة الانسنان المبنية على القوة المادية فإن مدينة الله لا تزال بمخبر وإذا كان بوسع البشر قتل الجسد فان الروح لا قدرة لهم على المساس بها ) ( ٦ ) .

وكانت هذه النظرية من أكثر النظريات قبولا لدى الحزب البابوى .

وعلى هذا الأساس استمر تدفق البابوات خلال القرون الوسطى ، واستمر ارتفاع نفوذ البابوية وهبوطها تبعاً لقوة البابا أو ضعفه .

الا أن السمة الغالبة على تلك العصور هي هيمنة الكنيسة على مرافق الحياة لكن الأمر الذى أرق الكرسي البابوى هو الصراع المتفاحم بين البابا وسلطة الأباطرة .

ولهذا فإن الصدام بينهما لم يهدأ مذهبى المؤرخ " هارولد لامب " الس إطلاق لفظ السنوات السوداء على تلك الفترة المضطربة لما تخللها من أحداث رهيبه اهتز لها كيان العالم الاوربي ( ٧ ) .

١ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤-٥٩ ٢ - المرجع السابق ٣ - المرجع السابق

٤ - راجع : عالم العصور الوسطى ص ٢٤٨ ٥ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤

٦ - المرجع السابق ص ٥٧-٥٨ وقد طق كولتون على هذا الكتاب بقوله ( انه يعتبر كتاب شعوذة قوامه الزيف والمهاترة حتى ان اقل القراء حساسية يمكنهم ان يلمسوا فيه احيانا حرية مطلقة في تفسير الكتاب المقدس ) عالم العصور الوسطى ٢٦٨

٧ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢-٥٣

ولم تأت شهادة "لامب" من فراغ ، فقد سبقه العديد من  
الاوربيين ولى رأسهم بطرس ديميو الفرنسي ( ١٢٥٠-١٣٢١ م ) صاحب الكلمة  
الشهيرة عند طه\* التاريخ والتي قال فيها ( ان الباهوت كثيرا ما اشعلوا نيران  
الحرب بدلا من ان يعملوا على اخذها . ) (١)

كما نادى مارسيليو أوف بادوا المعاصر لسابقه ( بأنه ليس للبساها  
أي ضرورة في المسيحية ) . (٢)

ومع ذلك ( فقد انتصرت الباهية في صراعها العلني ضد الايمراطورية  
والقوى الزمنية الأخرى في الغرب ، ولكن هذا النصر الكبير كان يحل في طياته  
بذور الضعف والخذلان ذلك لان الكنيسة اللاتينية كان قد فشى فيها الفساد  
كما خرجت الباهية عن رسالتها الروحية التي قامت من أجلها مارأثار الشكوك  
في أذهان الناس حول الكنيسة وتعاليمها والباهية وتصرفاتها .

وببدأ ( هنا ) نجم الباهية في الأفول ، وبنفس الناس من حولها  
ويتخلون عنها نتيجة انصرافها عن رسالتها الروحية وانسغالها في العمل على  
بسط سيادتها الزمنية على حساب الحكام والملوك والباطرة الذين ادلتهم  
باسلحتهم بغير حساب . ) (٣)

وقد كانت مؤشرات هذا الأفول ظاهرة للعيان ، وذلك حين لم يعبأ  
الباهوت بأى قانون او سلطة تحد من نفوذهم ، فقد كانوا يشهرون سلاح الحرمان  
بوجه أى معترض على ممارسات الكنيسة وأرائها المخالفة لروح وتعاليم المسيح عليه  
السلام ،

وما اكثر الاسلحة التي حارب الباهوت بها الناس ، ومن خلال  
الجدول التاريخي لاسط\* الباهوت الذين تقلدوا كرسي بطرس في روما ونفسه  
نعلم مدى معاناة الشعوب المسيحية الرازحة تحت حكم القرارات المادية عندهم  
فمنذ نشوء هذا المنصب عام ٣١٤-٣٣٥ في عهد سلفستر الاول ،  
مارك وحتى ١٤٠٦-١٤١٥ م على عهد جريجورى الثاني عشر والعالم  
المسيحي يعيش هذه المأساة الفجعة . فط يقارب الف عام من الزمن وهي ليست  
بالامر الهين من عمر البشر . ظلت هذه الشعوب تدق مرارة قرارات الحرمان  
الباهية .

١ - عالم العصور الوسطى ص ٢٧٥

٢ - الدولة والامبراطورية ص ٦٢-٦٣

٣ - المرجع السابق ص ٥٣

٤ - راجع الجدول المدرج في كتاب : اوربا العصور الوسطى د . سميد طشور

١ : ٦٦٣-٦٦٤ راجع كذلك : ميلاد العصور الوسطى . هـ . سانتال . ب . موس  
ص ٤٢٣-٤٢٤ ت : عهد العزيز جاويد د . سيد الباز العربي عالم الكتب ١٩٦٧ القاهرة

والغريب حقا ان تخضع هذه الشعوب تحت طغيان كهنوتي يمارس سادية  
باساليب مشنوعة تنفيذا لما ربه واشباعا لنهمه .

الا ان الخطوة التي حدثت من هذا الجبروت والتي اعتبرت نقطة تحول  
في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية تلك المبادرة التي أقدم عليها مجمع كونستانس  
عام ١٤١٤م - ١٤١٨م ) الذي أكد تفوق سلطة المجالس العامة على البابوات ، .  
والذي أحال بصفة مؤقتة حكما مطلقا دام مدة قرون الى حكومة دستورية (١)

وقد انعقد هذا المجمع اثر اللفظ الذي حدث بين بابوات الغرب  
حيث تقاسم العالم المسيحي آنذاك ثلاثة ضهم .

وهؤلاء البابوات هم كليمنت السابع وهو فرنسي  
والبابا ارمان السادس مؤيدا من انكلترا وهولندا وايطاليا  
والبابا اسكندر الخامس ومن بعده البابا هنا الثالث والعشرين  
( ١٤١٠-١٤١٥م ) ( ٢ )

وهكذا طاش الغرب مهازل الصراع على كرسي البابوية الأمر الذي دعا  
الى وجود اصوات تنادي بضرورة اجتثاث هذا السرطان الخبيث من الجسم  
المسيحي ولكن الوضع لم يكن بالأمر الهين وذلك للأسلحة التي استعملها  
البابوات في وجه العباد والتي اقضت ضاجع الناس قرونا متعددة .

وسوف نلاحظ الواثنا من هذا الطغيان خلال الصفحات القادمة  
ان شاء الله ، وذلك اثنا الحديث عن الطغيان الروحي ، والعقلي والفكري  
والعلمي والسياسي والطلي .

١ - عالم العصور الوسطى ٢٨٠ ومحاكم التفتيش ص ٨٢

٢ - أوروبا العصور الوسطى ١٤١٤/١ - ٥١٥

## أ - الطغيان الروحي

ان الخداع الديني الذي مارسه رجال الدين المسيحي عبر تعاليمهم وأسرارهم التي لا تحصى ، كان لها أثر كبير في تغيير وجهة العقائد الدينية الأصلية ، ان استطاع الرهبان صرف الناس عن التوجه الى الله تبارك وتعالى وحده مباشرة وحالوا دون رجوعهم الى المصادر الأصلية حتى لا يكشف زيفهم وخداعهم . وعوضا عن ذلك اوجدوا عقائد ومبادئ لا صلة للدين القويم بها واطلقوا شائعات بين الناس تفيد بوجود اسرار خفية لكل عقيدة وقد سميت هذه الاسرار باسم أسرار الكنيسة السبعة . وقد ابطال مارتن لوتر خصمها وأبقى : المعمودية ، والعشاء الرباني . ( ١ )

١- راجع تاريخ الإصلاح ص ٢١٨ - ٢١٩  
و تشمل هذه الأسرار الى جانب أسرار اللاهوت العقائد التالية :

أ - سر المعمودية : ويقصد به العطاء أو التغطيس عند الولادة أو عند الدخول في المسيحية فهو عند هم يمنح النعمة التي تمحو الخطيئة الجديدة والخطايا الأخرى .

ب - سر الهيرون : الهيرون هو الزيت الذي يمسح به المعمد الجديد ( فيقوم المعمد أي القسيس أو الشطاس أو غيره ط ) باستدعاء البركة الإلهية - حسب زعمهم - مع العلم بان الهيرون مقدس من قبل الأساقفة وسلم للكهنة .

ج - سر التوبة : يقولون إن هذا السر هو الذي بواسطته ينال المؤمن من الله نفسه قران خطايا الشخصية التي يعترف بها أمام الكاهن بتوبة وندامة .

د - سر الشكر : وهم يزعمون : انه السر الذي يتناول به المؤمن جسد الرب المقدس ودمه الكريم منه تحت شكل الخبز والخمر .

هـ - سر الكهنوت : هو السر الذي ينال به المؤمن لاقتباله بواسطة وضع الأيدي وصلاة رئيس الكهنة سلطان تعليم كلام الله وتقديس المؤمنين بالاسرار المقدسة والخدم الكنسية وقيامتهم الى الخلاص حسب ما يزعمون .

و - سر الزواج : وهم يدعون انه السر الذي ينال به الزوجان المقتربان بالوعد الحر المتبادل بينهما النعمة الإلهية التي تقوى علاقتها الطبيعية وترقيها محولة اياها الى علاقة ظاهرة الى اتحاد مماثل لاتحاد المسيح والكنيسة .

ز - سر المسحة : هو السر الذي يعطى بصلوات الكاهن ومسحة الزيت المقدس النعمة الإلهية لشفاء الامراض والمعجز الجسدي والنفسي ومغفرة الخطايا وتقوية النفوس في الايمان والرجاء ( راجع في ذلك : العبادة المسيحية ص ٨٨ / ١٠٢ )



هذه الاسرار شكلت بحجبتها ضغطاً معنوياً وروحياً على النفوس وارهقت

كاهل الناس بطغيان من الصعب التقلت من قبضته .

لقد جعل رجال الدين هذه الاسرار امورا مهمة وطفرة ليزداد اعجاب البسطاء بها ، وحاطوها بهالة من التقديس امعانا في التمجيد ، كما جعلوا من انفسهم وسطاء<sup>١</sup> لمحل اسرارها او ليتقرب الخلق بهم الى الخالق فاقبل جعل لهم يختلف بحسب المتقدم .

واصبح من العسير جدا على الناس معرفة دينهم الا عن طريق الكهنة ، ورجال الاكليروس الذين تغننوا في احتكار العلم<sup>(١)</sup> ولم يقف الامر عند هذا الحد ان ان هؤلاء لم يتيحوا للناس الفرصة لتناجاة الله تبارك وتعالى دون واسطة والا اعتبرت صلواتهم وادعيتهم واعمالهم باطلة . وای معترض او مخالف لاراء عقائد الكنيسة اعتبر ( هرطقيا ) اي مبتدع ومخالفا للكنيسة . وحينئذ يسلط على هؤلاء قرارات الحرمان والطرود من رحمة الكنيسة والكهنة وعامل بالشدة .

وقرارات الحرمان هذه سيف سلط على رقاب الناس ، وما ابتدعت الا منعا لاي اساس بمصالح الرهبان والكهنة ان وجد هؤلاء في هذه التجارة فرصة طيبة لاقتناص الشهرة والناصب ، والفرق في لجج الشهوات التي لا تعد ولا تحصى ولقد وجد الاكليروس ضالته فانشأ في سبيل تحقيق هذه الاغراض اداة طيبة سميت فيما بعد باسم " محاكم التفتيش " .

وقد قام على هذه الهيئة رهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يرأسهم مفتش عام يخضع عند تعيينه لموافقة البابا<sup>(٢)</sup> .

فن وصف بالهرطقة فانه يتعرض لفنون شتى في التعذيب الجسدي يصل الى ازهاق الروح<sup>٣</sup> او شنقا او حرقا ،

وقد ملأ المؤرخون صفحات كتبهم بالصور الواقعية للاحداث الدامية التي اقتعلتها محاكم التفتيش وما نجم عنها من جرائم تقشعر لسهولها الأبدان خاصة الجرائم التي ارتكبت بحق غير المسيحيين وعلى الأخص ما نزل بالمسلمين<sup>(٣)</sup> في اسبانيا من ويلات وكوارث أزهقت فيها أرواح لا تعد ولا تحصى .

١ - راجع : ما قاله كولستون في عالم العصور الوسطى ص ١٠١

٢ - محاكم التفتيش ص ١٠٥

٣ - راجع ما كتبه د . عبد الجليل شلبي في العدد ١١١ من جريدة المسلمون ٢١ رجب ١٤٠٧

١٤٠٧ هـ - ٢١ مارس ١٩٨٧ عن هذه الجرائم ضمن سلسلة التبشير والسلام .

كما ان صور العذاب هذه لم تقتصر على غير المسيحيين إذ حتمى  
المسيحيين انفسهم لا قوا من الطغيان الكنيسى لما لا يطاق ، كما لم يفلت من  
قبضة محاكم التفتيش الرهبان الذين ارادوا التحرر من الطغيان .

وقد صور . موس . حالة اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح  
الذين عارضوا اصحاب مذهب الطبيعتين فيقول :

( وطورد رهبان وحدة الطبيعة في سوريا وارمنية واراض الجزيرة  
وحرروا من الطعام وضربوا بالسياط واحرقوا احيا في الاسواق وقبض اغرايم اسقف  
انطاكية على يوحنا التلاسي وأمر باعدامه بالتعذيب البطش<sup>(١)</sup> .

وأخطر من ذلك بكثير تلك الصور المروعة التي تحدثت عن احراق جون  
هيس .

فقد اتهم (جون هيس) بالهرطقة لانه ندد ببيع صكوك الغفران<sup>(٢)</sup> ! للاثم

( لان فردوس النعيم ) لا تورث بالسرشوة والربح الحرام ، وقال . . ( ان دل  
هذا على شي فانط يشير الى افلاس البابية ما ديا بعد ان اقلعت معنوها  
وعند ما التقت الجموع حول هذا المشر الثا عراسك بقرار البابا عن الغفران  
واحرقه بالنار .

وقد حكم على هيس بالاعدام بعد تطفيق تهمة ضده واحراجها بتخاذ  
مواقف ما كان يريد ها ، وقد اقتيد الى بقعة عند اسوار المدينة وتم احرقه  
في ٦ يوليو ١٤١٥ م . (٣)

١ - ميلاد العصور الوسطى . ه . موس ص ١٩٩

٢ - في سنة ١٤١٢ وقع البابا يوحنا الثالث والعشرين في صدام مع لاد زلاس  
ملك نابلي وقررت البابية شن حرب " صليبية " ضد ملكة نابلس . ولكن  
البابية كانت تحتاج الى مال وفير لتمويل هذه الحطة الصليبية ومن ثم فانها  
اقدت على بدعة خطيرة في تاريخ الكنيسة الا وهي بيع ( صكوك الغفران ) لمسح  
كل الخطايا والاثام بالمال واكتطت المهرلة البابية بهذا القرار ) . محاكم  
التفتيش ص ٨٢ وراجع نص صك الغفران في : محاضرات في النصرانية  
للسشيخ ابي زهرة ص ٢٠٦

٣ - محاكم التفتيش ٨٣-٨٤ وراجع كذلك : معالم الحضارة في الاسلام .  
عبد الله ناصح طوان ص ٤٤٤ دار السلام ط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ القاهرة .

ومثل هذا الصيرلاقاء ايضاً سافونا رولا سنة (١٤٩٨م) وهو —  
الذي دعا الى ضرورة السلام الاجتماعي والمعية واحترام حرية الفرد وفكره . كما  
انه يعتبر واحداً من أهم دعاة الاصلاح الديني الذين جاؤوا قبل مارتن لوتر . . .

وكان البابا اسكندر السادس يتحين الفرص للقضاء على سافونا وحزبه  
بسبب هجومهم على فاسده التي قاحت راحتها في كل جنبايات اوربا ، فسراح  
البابا يتهم سافونا وحزبه بالخيانة ضد الوطن وبالتطاول على الكنيسة الأم . ثم  
أرسل أوامره الى فلورنسا بان تمنع سافونا من الوجود بسبب ارائه ( السهرطقية )  
وامثل سافونا للامر . . . الا انه عقب سرحية فتمعله استطاع البابا الايقاع  
به عبر محكمة خرج منها هذا الاخير (سافونا ) خائبا و هجم نفر من  
حزب ارايبا تا على الدبر الذي كان يتوارى فيه سافونا وقبضوا عليه مع اثنين من  
اتباعه المخلصين . . . ثم هب الرطاع يقطنون كل من تقع عليه ايديهم من حزب  
سافونا . . . وبعد ها تم اعدامه حرقا في ٢٣ مايو ١٤٩٨ م مع رفاقه (١) .  
هذه صورة من الاف صور التعذيب والاجرام التي ارتكبتها البابوية بحقوق  
اتباعها .

ولمن اتسعرض لظ فعلته الكنيسة مع كالفن ومارتن لوتر وجون ويكسلف  
فهذه قصص قلط يجهلها الناس وهي شهيرة جدا لتعلقها بالاضطهاد الديني .  
وهكذا نعلم لدى الطغمان الديني الذي وصل وفاق كل تصور .  
والحقيقة التي يجب ان نقال : ان التيلد الحسي لدى البابوات افقد هم القدرة  
على التمييز السليم بين الصحيح والسقيم فاعا هم الطمع وجللت الفشاوة اصنهم  
وسودا قلوبهم واصبحوا كالمجرمين لا يعرفون ما يفعلون سوى اسباغ نهجهم  
الفاسد واشباغ نهجهم من كل محرم .

وقد لخص ويلز هذه الحقيقة بعد افلاس زعما الكنيسة قائلا ( ولم تعد  
لهم بعد رغبة في رؤية ملكة الرب موطدة في قلوب الناس ، فقد نسوا ذلك الامر  
 واصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم . متسلطة على شئون البشر  
 وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة على اتم استعداد للساومة مع اي شيء حتى  
البغض والخوف والشهوات . المستقرة في قلوب البشر ، ونظرا لان كثيرا منهم كانوا  
على الارجح يسيرون الرهبة في سلامة بنسيمان جادتهم الضخم المحكم و سلطته  
ال مطلقة ، لم يسمحوا باية مناقشة فيه ، كانوا لا يحتلون اسئلة ولا يتسامحون

١ - محاكم التفتيش ص ٨٩-٩٢

٢ - اهيل القاري الى : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر حول ما تعرض  
اليه مارتن لوتر من قرارات الحرمان واحراق كتبه : انظر ص ٤٠٢-٤٠٨ من  
المرجع المذكور .

في مخالفة لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم بل لأنهم كانوا غير واثقين  
منها . وكانوا يريدون من حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتعلق بالسياسة  
وقد تجلى في الكنيسة عند ما وفى القرن الثالث عشر ما يساورها من  
قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بنا\* مدعاتها باكله وقد جعله  
اثرا بعد حين .

فلم تكن تستشعر اى اطمئنان نفسي ، وكانت تتصيد الهراطقة في كل  
مكان كما تبحث المجائز الخائفات فيط يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي  
الد والسب قبل الهجوع في فراشهم . ( ١ )

هكذا حذر زعماء الكنيسة على الناس مجرد المناقشة فيط ابتدعوه  
من عقائد وما افعلوه من اسرار ارادوا بها تخليف حقيقة عقائد هم الموثقة التي  
ورثوها عن اسلافهم الرومان واليونان من قبل ، وما اصرارهم على التمسك بها  
وعدم افشائها إلا ان يريدون . الا دليل على استمرارهم لتجارة بيع التعاليم  
الدينية التي تفنن كهنه اريس واوزوريس من قبل في اتقانها وتمثيل ادوارها .  
بل اين هم أولئك الذين يدعون أنهم اصحاب دين سواى من اولئك  
الذين لا دين لهم سوى عبادة الفراعنة والظواهر الطبيعية .  
وها هي أوروبا المعصور الوسطى وما بعد ها للأسف تراث جاهلية  
القرون الأولى وتأبى أن تطرحها حفاظا على مكتسباتها وكأن كهنه دلفسي  
والوسيس قد ظهرت من جديد بصورة الاكليروس المسيحي .

## ب - الطغيان العقلي والفكري

لم تكثف الكنيسة بفرض هيمنتها وطغيانها على الصفا<sup>١</sup> الروحي بل اغلقت جميع المنافذ الموصية الى اضاءة الطريق امام السالكين . وعطلت كل فكر يمس فكرها واسرارها من قريب او بعيد مما احدث هوة عميقة في الحركة الفكرية الانسانية .

فلقد (أصر رجال الاكليروس على هذه الاسرار وعلى الزعم بانها هي الحقيقة تضليلاً بوعي او ضلال منهم بخير وعي - فلم يكن امامهم الا ان يستخدموا سلطانهم الطاغي لمنع المناقشة في هذه الامور لكي لا تنكشف عن وهم لا وجود له الا في اذهان واضعيه او لا وجود له حتى في اذهان واضعيه) . (١)

كما لم تكثف الكنيسة بهذا فقد ( وضعت نفسها في موضع الاله بل افترضت لنفسها على الناس ما لم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يفترضه لنفسه على عباده رحمة بالناس . فالله وحده هو الذي يحق له ان يتعبد عباده بأمر ليس من الضروري ان يدركوا حكمتها ليعلم - سبحانه - من يطيعه بالغيب ولكنه من رحمته - قد جعل ذلك في امور التعبد وليس في امور العقيدة التي جعلها الله سهلة وميسرة ومفتوحة بلا الغاز ولا غموض ليستوعبها كل ( عقل ) ومطعمين اليها كل قلب . اما الكنيسة فجعلت ذلك في أمور العقيدة وجعلت لنفسها حقوقاً اكثر مما افترض الله على العباد ) . (٢)

ومن وجهة النظر الاسلامية فان الاسلام رفض المنحى الذي اتجه اليه رجال الكهنوت في منع وصول العلم والفكر الى الناس وشرح مبادئ الدين بميسر وسهولة ، وقد اشار القرآن الكريم الى الموقف الذي يجب ان يقفه العلماء تجاه القضايا العقيدية . قال تعالى ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) . (٣)

( فهذا النص القرآني نجد فيه إشارة الى المحكم والمتشابه ومجمع المفسرون والعلماء على أن أصول العقيدة وكذلك أحكام الشريعة هي من المحكم

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٣

٢ - المرجع السابق ص ٣٥

٣ - آل عمران : ٧

الذي لا يدخل التشابه فيه وأن الأمور المتشابهة التي تحدث هنا  
الآية والتي اخطف المفسرون في تحديدها والتي طس سبيل المثال الصورة  
المفصلة لا حوال الجنة وحوال النار وصفة العرش وط الى ذلك من الامور ليست  
من الاصول التي يكفر المخطفون في تأويلها .

ثم ان الراسخين في العلم وهم ليسوا فئة محددة كثرة رجسالة  
الكهنوت لا يزعمون أن عندهم تأويلها ، ولا أن تأويلها سر خاص بهم يحتجزونه  
عن الناس ثم يملأونهم بالايان به بلادليل . بل تنص الآية طس أن الله وحده  
هو الذي يعلم تأويلها أي حقيقتها لأنه سبحانه هو العليم الخبير الذي يعلم  
كل شيء طس إطلاقه إنما الراسخون في العلم يعلمون فقط بان الآيات كلها محكمها  
ومتشابهها من عند الله ويعلمون أن علم هذه التشابهات هو عند الله وحده (١) .

وبدل أن يخوض الناس في (مناهات عقلية ليس لهم فيها فائدة تطلب  
أو منفعة تكتسب كالتجسس وضمتها الفلسفة المسيحية في علم الاهوت والفلسفات  
اليونانية القائمة في بحر عقلي لا قرار له . نجد الاسلام يدعو العقل صراحة  
الى التفكير والتدبر في آيات الله التي بشها في الأرض والتي تنطق بوجود الحقيقة  
الكبرى التي لا مراة فيها وذلك ليصل في أمر العقيدة الى اليقين بل نعم طس  
الذين يرفضون التفكير اتباط للهوى أو اتباط لط ورثوه من عقائد الابهة والاجداد ،  
أو اغلاقا للحس والبصيرة ، عن التأمل والتفكير . (٢) .

قال تعالى ( يٰۤاَيُّهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا اَهْوِاْهُمْ بِخَيْرِ طِم ) (٣) .  
وقال ايضا ( وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَا اَلْفَيْنَا  
طِهٖۤ اَبَانَاۤ اُولٰٓئِكَ اَنۡ اٰوَاهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْۤا وَلَا يَهْتَدُوْنَ ) (٤) .

وقد أثنى الله تعالى طس أولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات  
والأرض ليهديهم هذا التفكير الى الإيطان بالله تعالى .  
وقد عنى الإسلام بالترقية العقلية عبر تحديد النظر العقلي (صونسا  
لطاقته من التبدد وراة الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها .  
وهو يعطي الانسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذي يليق حله للمجهول  
ولكنه يكل أمر ذلك الى الروح فهي القادرة طس ذلك . المزودة بوسائل الوصول  
الى العقل فوسيلته الى الله والى معرفة الحق هي ( الروح ) تدبر الظاهر للحس  
والمدرك بالعقل ومن ثم يحدد الاسلام مجاله بهذا النطاق ولا يتركه يفسر  
في التيه الذي غرقت فيه الفلسفة من قبل واللاهوتيان ، فلم تصل الى شيء حقيقي يستحق

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤-٣٥ ٢ - المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

٤ - البقرة : ١٧٠

٣ - الروم : ٢٩

ما بذل فيها من جهد ، ان لم تكن قد غشت مرآة الفكر البشرى وشتتت  
ما ينعكس عليها من أضواء ( ١ )

وقد بين الاسلام مجال التدريب العقلي ، واتخذ في ذلك الامر وسيلتين

الاولى : وضع المنهج الصحيح للنظر ، وذلك عبر تفريغ  
العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين . وانما قامت على مجسّم  
التقليد او الظن فينمي على التقليد الذين يقولون :  
( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ) ( ٢ )  
ثم يأمُر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد ( وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) ( ٣ )

الثانية : فهي تدبر نواحي الكون ، التي تطبع العقل  
بطابع من الدقة والتنظيم .

فالنواحي الكونية تجري في دقة عجيبة ونظام لا يخطئ ، وفوق ما يوجبه  
ذلك للقلب البشرى من تقوى الله الصانع الدبر والتوجه اليه في كل امر فانــــه  
يعود بالعقل على دقة النظر وانضباط الاحكام . ( ٤ )  
( خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ) ( ٥ )

فالسيلتان السابقتان كفيلتان بايصال العقل البشرى الى الحكمة  
المرجوة من هذا الوجود ولذلك نجد الاسلام يوجه الطاقة العقلية أول ( ما يوجهها  
الى التأمل في حكمة الله وتدبيره وهو أقرب ما يكون الى ملكة الروح ....

فالتأمل المطلوب ليس مقصودا لذاته ، وليس مقصودا به أن يصبح فلسفة  
يتعاطل فيها الفلاسفة ويغضون ويهيمون ثم لا ينتهون الى شيء انما غايته  
اصلاح القلب البشرى واقامة الحياة في الارض على أسس من الحق والعدل  
الازليين الكاشين في منسبسة الكون ونية الحياة . ( ٦ )

ان هذه التوجيهات وتلك التنبيهات كفيلة براحة الانسان  
من متاعب تفكيره الذي يضيغ بالهواجس وهي القينة بانزال الطمأنينة والسكنية على  
قلبه لأنها تضعه في مكان أمين من تلاعب وساوس شياطين الانس والجن وحينما  
يلتزم الانسان بأمر الله تعالى ويقف عند حدوده ويعرف كيف يتعامل مع مخلوقات  
الله تبارك وتعالى وفق منهج القرآن الكريم في الهدى والرشاد تصبح حياته

- ١ - : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ١/٩١-٩٢  
٢ - الزخرف : ٢٣ - الاسراء : ٣٦ - ٤ - منهج التربية الاسلامية  
١ : ٩٤-٩٣ ٥ - العنكبوت : ٤٤ ٦ - منهج التربية الاسلامية ١ : ٩٤-٩٥

الارضية ملوؤها الصعادة والحيور وهي مقدمة أساسية للحياة الاخرة ، حياة الجنة ونعيمها التي أعدها الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين :

( إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) (١)

وهكذا يرتبط الانسان في الأرض بعالم الملوحة فلا هو ينقطع عنها ، ولا هو يتشتت في الغارها ، بل بكل أمر هذا التدبر الى روحه التي تسبح خالقها فتعرف من الحقائق ما لا يمكن للعقل ان يدركه ، . كل ذلك بلا واسطة ، بلا كهنوت ، بلا رهبان . بل يصل الى ذلك بالقرآن وحده السوي الى تلك الحقائق التي تغيب عن كثير من الناس . والله الهادي الى سواء الصراط .



## ج - الطغيان العلمي

ط كته العلماء\* والمؤرخون عن الطغيان العلمي والفكرى لدى الكنيسة  
إبان جهود البايوات المظلمة لم يكن من باب الافتراء\* أو التضليل والغداع . بل  
ان القراءة التاريخية المتأنية للحركة العلمية إبان العصور الوسطى تنطق بحقيقة  
واقعية مفادها ان هذه الفترة تعتبر بحق عصوراً قاتمة السواد .

وقد اشار العلماء\* الى ان التحكم الذى انطوى عليه تفكير البايوية  
في مجال الطغيان الروحي والديني قد استشرى للتحكم ايضاً في مجال العقل  
البشرى والتفكير العلمي الغنى والتقني . حيث وجهت الكنيسة جهودها لصبغ  
التعليم العام صبغة كهنوتية وبعاد اى علم لا يخدم مصلحة الكنيسة ومكاسبها .

يقول "موس" عن واقع التعليم آنذاك ( ان الغرض الوحيد من التعليم  
ببلاد الغرب في ذلك العصر هو اعداد الكهنيين للاضطلاع بواجباتهم . فكانت  
المعرفة اللازمة لفهم الصلوات اللاتينية وفي حالة التلاميذ الذين هم أكثر تقدماً  
دراسة المعلومات الضرورية للاحاطة بالأدب المسيحي الجدلي والتفسير وحساب  
عيد القيامة وسائر الأعياد ودراسة نظام الكنيسة القانوني والإداري ) (١) .

هذه السواد التي انصب الاهتمام الكنسي عليها كانت الشغل الشاغل  
للتعليم العام في المعاهد والمؤسسات والأديرة الأوروبية أما باقي المواد العلمية  
فقد أهملت إهملاً كبيراً فضلاً عن سوء التربية التي نفشت بين رجال الدين . فلم  
تراع الكنيسة جانب الرأفة إزاء الطلبة بل أظهرت القسوة في تعليمها (ط جعل  
(الجرمان - الألمان) يظهرون نفوراً قهراً من التعليم ، حتى ان ثيودور - ملك  
ملك القوط الشرقيين حرّم إرسال أبنائه القوط الى المدارس محتجاً بأن الصغار  
الذين يشبهون طس الخوف من عصا المعلم لن تكون لديهم في المستقبل الشجاعة  
الكافية لمواجهة السيوف والحراب ) . (٢)

وليت الأمر قد اقتصر على هذا الحد فبدل ان تعكف الأديرة والمعاهد  
الكنسية على دراسة العقائد المسيحية لتحييها وتبسيطها للناس واستخراج

١ - راجع في هذه الصدد : مذاهب فكرية معاصرة ، للاستاذ محمد قطب ، ص ٤٧٥  
والعلمانية ، لسفرين عبد الرحمن الحوالي ص ١٤٥ وطبعها

٢ - ميلاد العصور الوسطى ، هـ . سانت موس ص ٤٠٣

٣ - أوروبا العصور الوسطى ٢ : ٣٣١ وراجع اعترافات جيورج في ٢/٣٢٩

(١) الصحيح من السقيم والعودة بها الى نقاوة التوحيد ، ان بالرهبان والقسس وبقية  
الاكليروس يفسحون المجال (أمام الخرافات التي وجدت طريقها الى التعاليم الرسمية  
للكنيسة الغربية والتي لقيت التأييد من غريجورى الكبير بط كان له من سلطان ونفوذ  
قوى-وطى الرغم من ادراك اوغسطين لط تنطوى عليه عبادة القديسات والاثار الدينية  
من اخطار فانه اجازها في اشد صورها تطرفا حتى اذا انقطعت المواصلات واضطربت  
ظروف العيش وغلب الارتباك على المعايير والثقافات انتعشت بواعث الاشاعسات  
وسرعة التصديق وقوى الاعتقاد في الأعاجيب والشياطين وفي قوة خمول السحر  
وادواته (٢).

الى جانب هذا أضحت اللغة نفسها وهي عداد كل عالم محاربة من قبل  
البابوات فيها هو (البابا جريجورى ٥٦٠-٦٠٤) اشتهر بكراهيته للأسلوب  
البلاغي الكلاسيكي وتفضيله اللاتينية الدارجة بالإضافة الى اعتقاده الراسخ فسي  
عدم جدوى كافة الدراسات التي لا تساعد في فهم العقيدة المسيحية (٣)

واثر ذلك اختفى من الغرب تماما كل تمكن حقيق واجادة لللسان  
اليوناني (٤) وقد تفاقم الوضع اكثر من ذلك الامر الذى دعا شارلمان الى الشكوى  
من رجال الدين ( فكتب الى رومسا\* الاديرة يشكو من ( جهلهم ) وكثرة الاخطاء  
المتواترة في المخطوطات الدينية بل في الانجيل نفسه وأمرهم بالمعناية بالمدارس  
والتعليم لاصلاح هذه الاوضاع (٥)

هذا الجهل قد تمكن من نفوس رجال الدين على الرغم من وجود عدد  
من كبار رجال الكنيسة التي يفتخرونها المسيحيون كاوغسطين وقد أفضى عهدهم  
الى تنامي العقائد الوثنية في الديانة وبلوغ الشعوذة شأوا كبيرا ( ان لم توفق  
المسيحية الي تغيير الوضع في هذه الناحية فان الدولة الرومانية قد اضفت  
قدرا كبيرا من نظمها وطرائقها على الكنيسة المسيحية الطغرة وكذلك فعلت  
الوثنية في القرون الوسطى حيث نفقت على العقول حراشها وهي تلفظ آخر  
أنفاسها (٦)

١ - لاحظ ما ابتدته \* دايانك مودادى ساراواك في كتابها : من رومة الى مكة ص ٨٠

٢ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٥ و وكذلك : عالم العصور الوسطى ص ١٠٨

٣ - اوربا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٤ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٤

٥ - اوربا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٦ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٦

ويظهر الطغيان العلمي جليا في عدم افساح المجال امام المدارس المستقلة لممارسة دورها التعليمي ، ان لم يسمح لاي فرد ان يفتح مدرسة داخل حدود الاسقفية أو يباشر تدريس الفنون الحرة دون تصريح من الموظف والا تعرض للمحاكمة . ( ١ )

وطى الرغم من ان الكنيسة ضغفت بثقلها من اجل طغيانها العلمية والعقلي الا انها لم تستطع ايقاف المد الحضاري الذي بدأ فجره باليزوغ عبر تلك المدارس والمعاهد التي ( لم تكن للرقابة الكنسية سلطة عليها ما اتساح الفرصة لبروز جامعات اوربية في القرن الثاني عشر في ايطاليا وباريس وغيرها والتي استطاعت بجهود ضخمة ان تصل الى شسبي\* من التحرر والاستقلال عن السلطة البابوية ومع ذلك فقد ظلت الكنيسة متسكة ببعض الشروط خاصة فيما يتعلق بالموافقة على قبول الطلبة حيث اشترطت ان يكون ذلك عن طريق الاسقف . وظل الوضع هكذا الى قيام ثورة الجامعات في اوربا التي اتفقت فيما بينها على ضرورة التحرر من كافة القيود حتى حققت استقلالها عن السلطات الكنسية والعلمانية جميعا ( ٢ )

ولقد احتضنت هذه الجامعات ( العلوم والمعارف الواسعة التي أنتبها النهضة الاوربية في القرن الثاني عشر الذي جعل الجامعات مركزاً لثورة فكرية ضخمة ازادت قوتها منذ القرن الثالث عشر ) ( ٣ )

وغير خاف : ان هذه النهضة العلمية لم تكن لتري النور لولا الاحتكاك الذي شهدته اوربا عبر الثقافتها بالحضارة الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في اثراء عملية التعليم وانكا\* روح التحرر من اى سلطة ارضية غير شرعية ما اعطى العقل الاوربي فرصة عظيمة للانفتاح والوقوف في وجهه جيروت الاكبيروس وطفغيانه .

و قد تنبعت الكنيسة الى هذا الامر الخطير ولهذا فقد عطلت كل ما في وسعها لابعاد هذا الاشعاع الفكريين الوصول الى الناس . لشعورها بالخطر الناجم عن هذه القفزة العلمية التي تهدد كيانتها ،

وقد كان لنظريات وقوانين العلماء المسلمين وكتبهم اثر كبير في دفع الحركة العلمية والفكرية الاوروبية الى الامام ، ولهذا فقد شنت الكنيسة حملاتها السعورية على كل ما يمت الى المسلمين من علوم بصلية وحاربت كتبهم

١ - راجع : اوربا العصور الوسطى ٢ / ٣٤٠

٢ - المصدر السابق ٢ / ٣٥١ وراجع كذلك تاريخ الحضارات العام ٣ / ٢٥٥

٣ - المصدر السابق ٢ / ٣٥٢

وطما\*هم (١)

والدارس لوزائير الحضارة الاسلامية يعجب من ذلك التراث وطسك  
الكنوز العلمية التي اخرجتها تلك الحضارة .  
كما يستطيع ان يقف على تلك الجهود الضنية التي قام بها  
العلماء المسلمون في سبيل تحقيق ازدهار البشرية ورعايتها (٢)

(٣) ومن أمثلة الطفيان العلمي ما تعرض له " بيير أبيلار "   
المعلم الفرنسي الذي تجرأ وطالب بالتحريم من رتبة الكنيسة . فما كان من مجمع  
سنتس عام ١١٤٠م الا ان اصدر حكمه على جسارة أبيلار الذي خارت عزائمه  
فهجر العالم .

كما تعرض جيلبيردي لا بورييه للاكراه فاجبر على التراجع عن  
ارائه امام مجمع رنسس عام ١١٤٨ امام الكنيسة . (٤)

ومن امثلة اضطهاد الكنيسة للعلماء ما تعرض له الطبيب  
( بطرس البانو سنة ١٣١٦م على يد محاكم التفتيش الا ان الشية ادركته  
قبل ان تمت يد المحاكم اليه ثقا\* ما روج من مذهب الانستيبيود ( اي البشر  
الذين يقطنون في الجهة المقابلة للارض ) وغيرها من مذاهب العلم . (٥)

١ - راجع في هذا الصدد : اوربا المعصور الوسطى ٣٥٣/٢ وكذلك : تاريخ

الحضارات العام ٤٢٥/٣

٢ - والسراج في هذا الشأن كثيرة أهمها : حضارة العرب لغوستاف لويون  
وروائع حضارتنا د . مصطفى السباعي . وأسس الحضارة الاسلامية . للشيوخ عبد الرحمن  
حينكة الميداني . ومعالم الحضارة في الاسلام واثرها في النهضة الأوروبية

عبد الله طوان . وشمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه . والاسلام  
والحضارة العربية لمحمد كرد علي . وتراث الاسلام لشاغت وجوزورت . والحضارة الاسلامية  
في القرن الرابع الهجري لادم ميتز . وحضارة الاسلام واثرها في الترقى العالمي  
لجلال ظهر . وحضارة العرب في المعصور الاسلامي الزاهرة . مصطفى الرافعي . وغيرها

٣ - معالم الحضارة الاسلامية ص ٤٤ ٤ - تاريخ الحضارات العام ٣٢٦/٣

٥ - موقف الاسلام والكنيسة من العلم ص ١٢١

كذلك الامر بالنسبة لكوبرنيكوس وما قام به من جهود طسمية لم تكن لتوافق الكنيسة  
كذلك الامر بالنسبة لجاليليو ( ١٥٦٤-١٦٤٢ ) الذي قامت حطة ضده لانه اكتشف  
بمنظاره ان هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة  
عندهم حيث جاء في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الاول ١٩-٢٠ :

فاكتب ما رأيته وما هو كائن وما عتيد ان يكون بعد هذا ســـــر  
السبعة الكواكب التي رأيته على يميني واليسع المنا بالذهبية ( ١ ) .

هكذا كانت العقلية الكنسية تفرض طغيانها على العلم وتنزع  
وصول المعارف الصحيحة الى العقل المستنيرة .

وبذلك سودت الكنيسة صحائف اعمالها بالجرائم المتنوعة  
فكانت بحقوق نكبة للبشرية .

### اثر الصراع بين العقل والرهبانية

من خلال ما تقدم نجد نوط من الصراع العلني بين موقف  
الرهبانية من العلم وموقف العلماء منها .

واذا ما عدنا الى طبيعة هذا الصراع فسوف نجد ان الاولى تتسكك  
بطغيانها لاثبات مدعياتها وارائها التحكيم في رقاب البشر واخضاعهم لتعاليم  
الكنيسة مستندة الى النصوص الدينية والاسرار القدسية المزعومة .

اما القوة العلمانية الحديثة فقد ضجت من تقاسم هذا الطغيان واساليبه  
التمسقية بحق العلم والعلماء .

لهذا فقد قامت من أجل إثبات وجودها إزاء هذا الوضع فبهات نفسها  
لثورة طارئة للتعبير عن نفسها فضلا عن أهمية دورها في المجتمع .  
إلا أنها لم تستطع وزن الأمور بميزان الاعتدال وتمحيص مسائل العقيدة  
تمحيصا يعتد على النزاهة والحياد والبحث عن الدين الاصيل ، بل راحت في  
حملة الصراع مع القوى الكنسية ترفض اي تداءل ديني ينير البصر ويوقظ البصيرة  
وهكذا نجد كلا الطرفين يرتكب الاخطاء دون وعي للاخطار الناجمة  
عن موقفه المتعنن .

وبعد استعراض موقف الاسلام وسط حته ورعاية صدره تجاه العلم  
والعلماء وحضه لهم كان لابد من الوقوف قليلا امام منهج الخصم اللدود للكنيسة وما  
قام به لدرة طغيانها والاسلحة التي شرعها في وجهها .

فمن المعروف عند العلماء ان أوروبا قد غضت عر تاريخها الوسيط  
والحديث تحت سيطرة ما يسمى بسيادة النص والدين ويمنون به خضوعها لتعليم  
الكنيسة. ثم انتقلت الى مرحلة سيادة العقل وهو عصر التنوير لتصل في النهاية  
الى سيادة الحس .

اما مرحلة سيادة العقل :

فقد ظهرت نتيجة للخصومة التي تفجرت بين الدين والعقل في القرن  
الثامن عشر الميلادي فقد اتجه اعداء الكنيسة للعمل نحو اخضاع الدين للعقل  
وقد اطلق على هذا العصر عصر التنوير وكان من رواده \* بلانش وفشت ( ١ )

١ - فيشته ١٧٦٢ - ١٨١٤م) ابن فلاح من سكسونيا كان من رواد فلسفة  
النقيض بعد ان درس اللغة وفقهها والفلسفة ، له ( الهادي الاساسية لنظرية  
المعرفة ١٧٩٧ وايضا ( القانون الطبيعي ) . موقف الاسلام من نظرية ماركس  
للتفسير الهادي للتاريخ ، احمد العوايشة ص ٦١ ط ١ ١٤٠٢ - ١٩٨٢ دار مكة

والضابط الفكري لهذا العصر تميز بالاتي :

اولا : نمو شعور العقل واحساسه بنفسه ومقدرته على ان ياخذ مصير مستقبل الانسانية في يده ، بعد ان يزيل كل عبودية ورثها من قبل وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها ، حتى لا تحجيه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .

ثانيا : الشجاعة والجرأة التي لا تتأرجح في اخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل وكذلك في تكوين الدولة والجماعة والاقتصاد والقانون والديـن والتربية ، تكوينا جديدا ، على الاسس السلبية الصفاة التي لكل واحد منها .

ثالثا : الايمان بتعاون جميع المصالح وبالاخوة الانسانية على اساس من هذه الثقافة وحدها ، المستمرة في التزايد والنمو .

ومعنى ذلك كله : وجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره . وغيره الذي ينازعه السيادة في ذلك الوقت هو ( الدين ) اى المسيحية الكاثوليكية ، اولا وقد تكون معها البروتستنتية كذهب عرف للاصلاح الديني هناك . فللعقل - في نظر اصحاب التنوير - الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين .

والانسانية هي هدف الحياة للجميع وليس الله او المجتمع الضامن او الدولة الخاصة . وكما يسمى هذا العصر بـ " عصر التنوير " يسمى ايضا بالعصر الانساني ( وكذا يسمى بعصر أُل ( *Deism* ) اى عصر الايمان الفلسفي باله ليس له وحي وليس . بخالق للعالم ان كل سميات هذه الاساطير تعتبر من خواصه . ( ١ )

١ - بتصرف عن : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

د . محمد البهي ص ٣٢٢-٣٢٣ - الطبعة الخامسة ١٩٧٠ د

الفكر بيروت . : وللمزيد يراجع كذلك : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٢٠٠

### سيادة الحس

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا وابتدأ عصر آخر من عصور الفكر الأوروبي بظهور فجر القرن التاسع عشر ، وموضوع الصراع العقلي عند الأوروبيين واحد لم يختلف عن ذي قبل هو : الدين ، والعقل ، والطبيعة .

ولكن نحر القرن التاسع عشر بفلسفة معينة ، لان اتجاه التفكير فيه مال الى سيادة ( الطبيعة على الدين والعقل معا ، والى استقلال الواقع كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل .

وقد وضع للمذهب تسمية " المذهب الوضعي " وهذا المذهب في الوقت الذي انكر فيه على الكنيسة دينها ، وضع دينا جديدا بدلا عنه هو : دين الانسانية الكبرى ويقوم هذا الدين على عبادة وطقوس .

اما الاسس التي قام عليها هذا المذهب فهي :

اولا : تقدير الطبيعة وتقييمها وحدها كمصدر للمعرفة ، والطبيعة او الحقيقة او الواقع او الحس كلها تدل على معنى واحد في نظر الوضعيين وتقدر هذه الفلسفة الطبيعية لا كمصدر مستقل فحسب للمعرفة بل كمصدر فريد للمعرفة اليقينية او المعرفة الحققة ومعنى تقديرها للطبيعة على هذا النحو :

ان الطبيعة في نظرها هي التي تنقش الحقيقة في عقل الانسان وهي التي توحى بها وترسم معالمها الواضحة ، هي التي تُكَوِّنُ عقل الانسان .

ثانيا : الانسان لا يلقى عليه من خارج الطبيعة اى لا يلقى عليه ما وراءها كما لا يلقى عليه من ذاته الخاصة اذ ما يأتي من وراء الطبيعة خداع للحقيقة وليس حقيقة . . . وكذا ما يتصوره العقل من نفسه وهم وتخيل وليس حقيقة ايضا . . .

ثالثا : ان عقل الانسان في منطق هذه الفلسفة اى ما فيه من معرفة ولید الطبيعة التي تتسلل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية . . . انه مخلوق ولكن خالقه الوجود الحسي . . . انه يفكر ولكن . عن تفاعل مع الوجود المحيط به . . . انه قيد مجبر وصانع القيد والجبر هو حياته المادية . . . ليس هناك عقل سابق على الوجود المادي . ( ١ )



رابعاً : كما انه ليست هناك معرفة سابقة للانسان عن طريق الوحي  
- فعقل الانسان ومعرفته يوجدان تبعاً للوجود الانساني الطارى وهذا انطباع  
لحياته الحسية الطادية التي يتنفسها .

خامساً : الطبيعة هي التي تنطق عن نفسها ، ويجب على الانسان  
ان يعتمد منطقها اذا اراد ان يعيش فيها ، ومنطقها واحد لا منطق  
( المولاهين ) ولا منطق ( العقليين ) ولا منطق ( أصحاب النظرية السيكلوجية )  
- في معرفة الانسان هو الذي يخط الطريق المستقيم في حياة الانسان . وهو  
الذي يحدد أهدافه .

سادساً : وطريق الانسان في حياته الطبيعية يمتد من الفرد وينتهي  
بالجماعة . وان : الفرد نفسه ليس غاية لحياته التي يعيشها ليست هدفاً  
لسميه انما غايته الاخيرة التي يجب ان يسعى اليها وذهب فيها كما يذهب  
العابد الصوفي صاحب عقيدة ( الاتحاد ) فيط يؤوله معبوده - هي الجماعة  
وطالما كانت الجماعة هي غاية الفرد الاخيرة فهي معبوده وذهب حريته فيها لتبقى  
لها الحرية وتبقى حياته في سبيلها لتبقى لها الحياة الابدية الخالدة ( ١ ) .

هذا هو منطق البهاريين من طغيان الكنيسة وقد بيد ولاول وهلة  
ان هو لا قد فازوا بما ارادوا نتيجة لحقيقة استندوا اليها ( الا ان نظرية  
فاحصة الى هذا التخبُّط في خطواته المتعثرة تكشف للباحث المتثبت  
ان البهاريين من ( الله ) لكي يهربوا من قبضة الكنيسة - لم يصلوا الى اية  
حقيقة مبسطة يصح ان تكون هذا او حجة لمن يريد ان يقول ( انه يلجأ  
الى هذا هرباً من معيات ما وراء الطبيعة .

والا فإى شيء " مبسوط " وصلت اليه الفلسفة العقلية المثالية مثلاً :  
ما هو هذا العقل الذى وكلت اليه أو المعرفة بعيداً عن الله وعن الطبيعة؟  
ماذا نعرف عن ماهية العقل؟ او عن خصائصه؟ ماذا نعرف عن طريقه؟  
وتأثيره وتأثيراته . أين يقع هذا العقل ؟ أين يوجد ؟ ما طبيعته ؟ ما قانونه ؟  
كلها اسئلة لا جواب طمها حتى في القرن العشرين ؟

ثم هذه المقولات التي ابتدعها هذه الفلسفة وجعلتها حتمية ومنت  
طمها قاضياها ... ما هي ؟ ، ما هو مبدأ النقيض الذى قام عليه الذهاب  
والذى اعتد عليه كارل ماركس فيما بعد ما هو ؟ ما قيمته الواقعية ؟ انه ليس  
سوى مقولة عقلية مجردة لا تتعامل مع الواقع في شيء ( ٢ )

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣

و : الذهاب الكبرى في التاريخ ص ٣٢٠

٢ - راجع : خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ص ٧٨ ، وراجع في مجال

هكذا عطلت الكنيسة على ارباب الفكر المشرى وهكذا هرب هذا الفكر الى احضان الالحاد ، ولولا ذلك الموقف المجرم الذى وقفته البابوية من المعلم والعلماء لم تطور هذا الوضع الى ميلاد الفكر الشيوعي في اوربا والذى استفغله اليهود ابشع استفلال لهدم مقومات الاديان والابقاء على تراث " الشعب المختار " تنفيذا للتوسع اليهودى ، وهو الموقف الذى ابقى شعلة الانفصام بين العلم والدين مشتعلة في ربوع اوربا وامريكا وتصديره الى بقية ارجاء العالم . وتظهر بوضوح جريمة الكنيسة فوق التنفير من الدين في فصلها بين نزعيتين فطريتين سويتين متكاملتين .

(١) اولاً : نزعلة التعلم .

ثانياً : نزعلة العبادة

وقد انشأت الكنيسة بينهما هداوة لا وجود لها في اصل الفطرة وصادا لا ينبغي ان يوجد في النفس السوية . فتتزعق النفس الواحدة مزعجاً وتثير في داخلها القلق والاضطراب . ( ١ )

مع ان النظرة الاسلامية الى العلم تراعي هاتين الفطرتين وتغذي بهما على حب التعلم والالطام بكل ما ينفع الانسان في دنياه واخراه وفق ما قرره الاسلام من مبادئ وتشريع فانظر الى ما انزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول ( اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ طَلْقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) ( ٢ )

انها دعوة صريحة للقراءة والعلم وان الله سبحانه . علم الانسان ما خفى عليه وهي تنطق كذلك بان مرد العلم اليه وليس لى مخلوق اخر .

ثم تأتي الايات القرآنية لتوقظ الانسان وتدعوه للارتقاء الى العلم لتعلم درجاته عند الله (.... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) ( ٣ ) كما تطلب منه الرجوع الى البارئ ليزيده علماً ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) ( ٤ ) لان الله تعالى هو العالم ما كان وما سيكون ويعلم ما في السموات وما في الارض . ولا يخفى عليه شيء ويده مخاتيع الامور فهو السميع وهو الرازق واذا اعطى فلا حدود لعطايه

الرد على الهدأ الشيوعي في كتاب : نقض اوهام الطادية الجدلية د . محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٧ وما بعدها وكذلك راجع : موقف الاسلام من نظرية ماركس

للتفسير المادى للتاريخ ص ١٤١

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٠

٢ - العلق : ١

٣ - المجادلة : ١١

٤ - طه : ١١٤

هذه الحقائق لا يعلمها الا العلماء الراسخون في العلم  
الذين يقفون عند حد ود الله فلا يتعدونها لخشيتهم وخوفهم من ربههم ولأن طمسهم  
هو الذي قادهم الى هذه الحقيقة ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ غَفُورٌ ) (١)

وهكذا يرفع الاسلام الغشاوة عن أعين الناس ليروا الحقيقة التي طمسها  
الكهان والرهبان وهزيل كل عقبة تقف في طريق العلم .

فإذا ما تغذت نزعة العلم فنزعة العبادة انطلقت النفس البشرية الى  
الافق الارحب لتعبر عن كيانها ولتتأرد ورها في محيطها الدنيوى حيث  
الاتصال بالخلق وفق منهج الاسلام لعطارة الارض ونشر الحق والعدل .

وحيث الاتصال بالخالق عبر العبادة والتضرع والشكر له وفق ما  
جاء به الاسلام من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، هذا الشكر الذي  
لا يعرفه الا اولو الالباب ( إِنَّمَا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَطَى جُنُوبِهِمْ  
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رِغًا مَا خَلَقَتْ هَذَا بِأَطْلَ سُبْحَانَكَ فَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ) (٢)

بهذا المفهوم تقدم المسلمون خطوات كبيرة في مجال الحضارة  
ولم يحل بين تقدمهم اى طاق حتى وصلوا الى القمة الساقية ، فكانت حضارتهم  
الزاهرة ارقى حضارة وصلت اليها البشرية عبر تاريخها الطويل .

في حين ان الحضارة الغربية لم تصل الى التقدم الذي نشده الا بعد  
ان ازاحت من طريقها سلطة الكنيسة تلك السلطة التي فصلت بين نزعتين العلم  
والعبادة ، كما انها لم تصل الا بعد ثورات جديدة سالت على اعقابها دماء  
غزيرة ، فازهقت النفوس ، وحرقت المدن ، ونهبت البيوت ، وشردت الاسر  
ورسلت النساء ، وهتت الاطفال ، وعم الخراب يسوع العالم المسيحي حتى  
وصلت الثورة الى غايتها وعند ذلك ضربت الكنيسة ورجالها وازاحت عنها كساوس  
الدين الذي كتم انفساسها آمداً طويلاً .

فهل ترجع الى رشد ها وتبحث عن الدين الاصيل ؟

وهل ترموى الرهبانية عن غيها فتقر بالحق وتزيل عنها ما طق بهما  
من أدران ؟ وتتعرف على الدين القويم ، دين الله وصراطه  
الستقيم ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) (٣)

١- فا طر : ٢٨

٢ - ال عمران : ١٩٠

٣ - العمران : ١٩

## هـ - الطفيلان السياسي

في الحديث عن النماذج البابوية تبين كيف استطاعت الكنيسة في عهد جريجوري السابع ( ١٠٧٣ - ١٠٨٥ ) ان تخطو خطوات كبيرة نحو تدعيم سلطتي البابا الدينية والزمنية ، والتي افرزت فيما بعد تسلطاً رهيباً وضغطاً (١) خلال العصور الوسطى طمأن السليحيين على اختلاف نزقاتهم الدينية والذهبية لم يسد ر بخلد هم في يوم من الايام ان يؤسسوا دولة او يستلموا زمام اى سلطة . بل لم يحلوا قط باى قوة عسكرية أو سياسية بل ظل شعارهم ( اعطنا لقيصر لقيصر وما لله لله ) .

كما ظل الولاة للباطرة الوثنيين قائما وكانت الصلوات والدعوات تقام لاجل هذا الغرض .

الا ان الاحداث العسكرية التي عصفت باوروبا خاصة ما نجم عن هجمات المبرابرة من دمار وخراب واكتساح الاجزاء الغربية من هذه القارة اسهم الى حد كبير في ازالة جميع العوائق السياسية والعسكرية أمام الكيروس للتقدم نحو السلطة الزمنية .

وعلى الرغم من توفر تلك العناصر الشجعة لم تجرؤ الكنيسة بادئ الأمر على مثل هذه الخطوة لأنها كما سلف القول لم تضع ذلك في اعتبارها من قبل .

١ - لاحظ مثلاً موقف البابوية البيزنطية الشرقية من الباطرة خاصة في عهد الامبراطور جيستنيان ان سياسته الدينية الخاصة باصراره على ممارسة الاستبداد القيصري البابوي قد اوجدت سابقة من السيادة الدينية العليا للباطرة البيزنطيين التالبيين ( الذين تسكوا بها ) وظلوا يمارسونها حتى نهاية الامبراطورية البيزنطية وظل الامبراطور البيزنطي حتى النهاية رأساً للكنيسة كما هو رأس لدولة وذلك انقضاء خلفاءه من التعرض لمواقف ماثلة لما حدث للباطرة في الغرب مثل هنري الرابع وحادثه كانوسيا وفردريك بربروسا ومقابلة البندقية ) .

المصدر : امبراطورية جيستنيان ، د . استغثيم ص ٩٠ دار

المجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ م .

( لذلك نرى البابا ليو الثالث ٢٩٥-٨١٦ م يدعو شارلمان ( ٨٠٠-٨١٤ م ) لاطاعة تأسيس الامبراطورية الرومانية وبعطيه الولا \* وكذلك الحال بالنسبة للبابا يوحنا الثاني عشر ( ٩٥٥-٩٦٤ ) م الذي عرض التاج على اوتسو الكبير ( ٩٦٢-٩٧٣ ) م والذي جدد الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد ان كان خلفاء شارلمان يودون بها ) . ( ١ )

وكأن البابوية قد أحست بما للامبراطورية من مكاسب سياسية ومبالغ دينية لهذا أقدمت على نفوذ يديها والتتصل من الامبراطورية وذلك في عهد جريجوري السابع الذي استطاع تغيير وجهة العالم الغربي صراع مع الامبراطورية انما لم يلبث ان نادى بـ ( ان العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة لا يحده قانون ولا يزعه وانع وهو الذي يخلع السيفين من الطوك ويحل عروشهم ويقطعهم من رحمة الكنيسة ويحل رحمتهم من طاعتهم ، واعتقادا منه بان الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية نادى جريجوري بمذهب التمثيل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده ، باعتباره خليفة المسيح في الارض واطن استعداد العمل في كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ولو أدى ذلك إلى قسم العسرى المعائلة بين المتزوجين من رجال الدين في الدنيا ) . ( ٢ )

ومن هنا دخل الصراع السياسي بين البابوية وبين الامبراطورية حول مسألة التعيينات .

ولقد ( طانت المسيحية الغربية الأبرين من هذا الكفاح الذي كانت له اسوأ العواقب بالنسبة للكنيسة والبابوية كما أدى في أواخر العصور الوسطى الى انحلال الكنيسة والخروج على سلطانها وتدهور البابوية والقضاء على سلطة البابوات .

وعلى اية حال ففي عام ١٠٧٥ سرعان ما قام النزاع بين جريجوري وهنري حول مسألة التكلد الملطاني . . . عند ما أصدر البابا مرسوما بعدم تدخل الامبراطور في تنصيب رجال الدين في مناصبهم الدينية واقطاعاتهم الدينية وكان من نتيجة ذلك ان قام اساقفة هنري واتباعه الالمان بخلع جريجوري في مجمع ورز عام ١٠٧٦ بايحا من الامبراطور نفسه بينما رد البابا

١ - : الدولة والامبراطورية ص ٤٨-٤٩

٢ - : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ١٤٧/١

على ذلك يحرقان هنرى ورجاله الذين اشتركوا في المجمع المذكور . وكان من أثر ذلك أن قامت الحرب بين الرجلين التي انتهت بفضوح هنرى لطالب البابا وإذلاله في حادثة كانوسا (١)

وانتهى الامر بمعقد اتفاقية ورمز سنة ١١٢٢ بينه وبين البابا كاليكستس الثاني ١١٢٤-١١١٩ التي تم بمقتضاها حل مشكلة التقليد العلماني الذي سبب المتاعب المباشرة بين العاهلين .

ولكن هذا الحال لم يكن يعني باى حال زوال الاسباب الرئيسية الجوهرية للنزاع بينهم . فقد كان كلاهما يتنازع السلطان الأعلى على العالم المسيحي ان سرطانا بدأت المرحلة الثالثة من النزاع بين القوتين بتولي فرديريك الاول ببرباروسا عرش الامبراطورية في ١١٥٢ (٢)

وقد امتد حكم هذا الأخير حتى سنة ١١٩٠ وكان السبب هذه المرة هو التدخل الامبراطوري الالمانى في حكم ايطاليا ، وكان من نتيجة ذلك ان توالى الحملات الامبراطورية على ايطاليا وقد انتهت بهزيمة فرديريك في الحملة الخامسة والاخيرة ( ١١٢٤-١١٢٦ ) امام حلف المدن الليباردية المنحاز الى صف البابا للحصول على استقلالها .

وكما انزل جريجورى السابع الامبراطور هنرى الرابع في كانوسا من قبل كذلك انزل البابا اسكندر الثالث ( ١١٥٩-١١٨١ ) م الامبراطور فريدريك ببرباروسا وان لم يمتن في ذلك كما فعل سلفه ( ٣ )

ولم تقف الامور عند هذا الحد من الصراع ان تطورت في عهد البابا انوسنت الثالث ١١٩٨-١٢١٦ الذى أخذ يمد أنفه في فرنسا ويتدخل في شؤونها الداخلية على عهد ملكها فيليب .... حتى اذا ما اراد هذا الأخير ان يقف موقفا حازما من البابوية ان البابا انوسنت يوقع قرارا يحرم على بلاده سنسنة ١٢٠٠ م وعندئذ تأرب الأسد واضطر الملك فيليب واضطس الى الانحطاط واصلاح أموره مع البابوية . ( ٤ ) .

١ - الدولة والامبراطورية ص ٥٠-٥١

٢ - المرجع السابق ص ٥١

٣ - المرجع السابق ص ٥١-٥٢ وكذلك معالم العصور الوسطى ص ١٣٩-١٤٠

٤ - أوروبا العصور الوسطى ١/١٠٦-١٠٧

وكذلك فعل هذا البابا الشي\* نفسه في انجلترا حيث اصدر قرار  
الحرمان بحق الطك حنا وبلاده سنة ( ١٢٠٨-١٢٠٩ ) م (١)

والاخطر من ذلك موقف هذا البابا من الحلة الصليبية الرابعة  
التي كانت متجهة الى الشرق الاسلامي ثم تحويلها الى القسطنطينية سنة ١٢٠٤م (٢)  
وهكذا نجد أن أخطر الاسلحة التي استعملها البابوات هو سلاح قرار  
الحرمان الذي يعتبر من اولى اسباب الطغيان الكنسي .

واذا\* ما قامت به الكنيسة من اعمال في هذا المجال نجد انها ارتكبت  
في حق دين الله جريمتين :

الاولى : انها عزفت عن تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى (٣)  
واقامت مكانه تشريع الباطرة الرومان فكانت ورثة ذلك التشريع الوثني .

الثانية : انها استخدمت سلطانها الذي حازت من اجل  
الحصول عليه واراقت الدماء في اخضاع الناس جميعا طوكهم ووطعهم لبطاها  
هي وجبروتها فجعلت من رجالها اربابا من دون الله وهدت الناس ليهيم  
من دونه ( سبحانه ) حتى حق عليهم قوله تعالى فيهم ( اتخذوا اعيانهم  
ورهبانهم اربابا من دون الله ) (٤)

فمن ناحية الدين المنزل فقد شوهته بفصل العقيدة عن الشريعة  
وتقديمه للناس عقيدة صرفة بلا تشريع أي مسخا شوهها لا يمثل دين الله  
الحقيقي ثم ادعت للناس أن هذا هو الدين وزرعت في عقول الناس تصورا خاطئا  
بان الدين علاقة خاصة بين العبد والرب مطلبها القلب ولا علاقة له بواقع الحياة  
على الارض فسملت على الشياطين فيط بعد اقتلاع اثاره . . . لانه لم يكن عبق  
الجنور في واقع الحياة . ( ٥ )

ولا شك ان شياطين الانس من اليهود عرفوا كيف توكل الكف فوجدوا  
في سخافة الباطنية خير مطية لتحقيق ما خططوا له من مكائد . وقد استطاعت  
تنفيذ ما رتها عبر محاربة الكنيسة ، بل وايصال من تريد من رجال الكهنوت  
الى سدة الكرسي البابوي لاصدار ما تريد من قرارات وقرارات .

١ - اوروبا العصور الوسطى ٥٠٧/٢

٢ - المصدر السابق وانظر كذلك الحلة الصليبية الرابعة وسوءولة انحرافها ضد  
القسطنطينية . استغنيم ص ٥٠ و ٧٢-٧٣ دارالمجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ

٣ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤

٤ - التبوسة : ٣١ ٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٥

## و - الطفيلان المالسي والاقتصادى

عندما تم الحديث عن النذور الثلاثة التي التزمت الرهبانية بها ، توقف البحث عند نذر الفقر ، وتبين مدى التزام الرهبان بالتقشف ، وكيف اداروا الظاهر للدنيا ،

كما تقرر أن هذا الاجراء كان نطاً غير سوى لأنه يدعو الى السلبية في الحياة ويورث الاتكال فضلاً عن التأخر الذي يضر حياة الإنسان نفسه والمجتمع ككل . كما أن الاعتداد على الهبات والصدقات ولم تجود به أيدي الناس من فضلات الاموال كقيل بفتح الأبواب أمام ضعاف النفوس والضائفة لاقتناص الفرص واستمراء هذه التجارة تحت ستار كشف من الحجج الواهية .

وفي غيا ب العقيدة الصحيحة والغفلة عن مراقبة الله تبارك وتعالى تصبح الطريق سهلة لكل طامث .

كما مر الحديث كذلك عن رهبنة الاديان الوضعية وكيفية استغلال الكهنة لمناصبهم لا مثابان هذه التجارة المسمومة . وتكوين ثروات ضخمة مما حدا باغنائون مصر الى استئصال شأفتهم . وكأن الزمان قد استدرك هيفته الأولى فتكررت المسألة مرة أخرى في العالم على يد الرهبانية التي نجحت في اعادات تشبه دور الكهنة الفراعنة تحت مظلة الجبروت والطفيلان المايوى .

لقد درست تلك المناصب على الاكثيرون اموالاً طائلة وازدادت معها املاك الكنيسة ازدياداً فاحشاً الامر الذي انعكس سلباً على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وأورث القوم خسائر فادحة .

ان جانباً كبيراً من تلك الاموال كانت مخصصة للفقراء والساكين الا أن النذر القليل فقط كان يصل الى هؤلاء المتعساة ويذهب الباقي الى جيوب القسوس والرهبان .

وقد كشف القرآن الكريم هذه الجرائم فمن ذلك قوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا إن كثيراً من الأعيار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكثزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ) (١)

فبدل أن يخفف الرهبان من آلام الفقراء واليواساء راحوا يمارسون أشنع أنواع الاستغلال الديني كما أنهم بدل أن يغيروا من أنظمة الابراطورية



الموروثة ، علسوا على نقل هذه الانظمة بمرمتها اليهم خاصة فيما يتعلق بنظام الاقطاع . وقبلوا لانفسهم اختيار لقب لصوص الارض والطل .

وقد ضرب المورخون جملة من الامثلة على ارتكاب هذه الجرائم من قبل هذه الطغمة الباغية -

وقبل التعرض لأمثلة الطغمان الطلي والاقتصادى تجد ر الاشارة السى ان هذه الاتهامات لم تكن موجهة من أهداء الرهبان أنفسهم بل من سجلات تلك الأديرة الرسمية كالدفاتر الحسابية وتقارير الاساقفة الزائرين وتصرفات البندكتان او الاغوسطينيين او اعضاء جماع الرهبان الذين يعيشون على الصدقة والاحسان<sup>(١)</sup> .

يقول كولتون عن هذا الانحراف :

( ولقد دلت دفاتر الحسابات على ان ايرادات الاديرة الضخمة لم يكن يكفى مصرف عشرينها على الاغراض الخيرية ، وغالبا ما كان الرهبان يفضون على الفقراء فلا يعطونهم المال الذى قرر الواهبون تخصيصه لهم ، والذى لم يكن ملكا للاديرة التي كانت مجرد حارسه عليه . . . )<sup>(٢)</sup>

ويتحدث ديورانت عن دور الكنيسة الاقطاعية والاملاك الضخمة من قصور واديرة ورقيق والتي درت عليها كهدايا وهبات وط الى ذلك حتى " اصبحت اكبر ملاك الاراضي وأكبر السادة الاقطاعيين في أوروبا . . . وكانت املاكها الزمنية أي المادية وحقوقها والتزاماتها الاقطاعية ما يجعل بالعاركل مسيحي مستمسك بدينه وسخرية تلوكها السنة الخارجيين على الدين وهذا للجدل العنيف بين الباطرة والبابوات . وهكذا اصبحت الكنيسة جزءا لا يتجزأ من نظام الاقطاع<sup>(٣)</sup> " .

ان هذه الثروات الضخمة لم تكن لتنمو على هذه الشاكلة لو لم تكن :  
( الادارة البابوية المتراخية الاطراف بحاجة لميزانية ضخمة تسد مطالبها وتفسي بظاهرها وهنا استطاع البابا ان يحصل من الاملاك والاراضي البابوية على نفوس الموائد والرسوم التي حصلت عليها البابوية من الاديرة والكلوك والامراء الذين ينشدون حمايتها في مختلف انحاء أوروبا كذلك اعتادت بعض البلاد الغربية

١ - عالم العصور الوسطى ص ١٢٨-١٢٩

٢ - المرجع السابق ص ١٨٢

٣ - قصة الحضارة ١٤ : ٤٢٨-٤٢٩

ولا حفظ : تهاافت العطلانية ، د . عواد الدين خليل ، ص ٨٦ ، مؤسسة الرسالة

١٣٩٩ هـ - ١٩٦٩ م .

وحكامها ان يدفعوا ضريبة سنوية معينة للبابوية كما ادى ازدياد نشاط المحكمة البابوية الى اضافة مورد مهم نتيجة للرسوم القضائية التي تفرض على المتقاضين ثم جاءت الحروب الصليبية لتهدى\* للبابوية موردا جديدا ضغط .

ان أخذ البابوات في القرن الثالث عشر يفرضون ضريبة ايراد على رجال الكنائس لتمويل الحركة الصليبية (١)

فاذا اضفنا الى كل ذلك صكوك الغفران التي اكرت البابوية من بيعها لطالبي التوبة والمغفرة والرسوم التي كان يتقاضاها البابا عند تقديده رجالات الدين مهام مناصبهم الجديدة اذ ركنا في النهاية ان البابوية لم تعد م وجود مصادر عديدة أسستها بطاحت الى من اموال تفي بظاهرها ومطالبها (٢)

ان هذه المخازن تدل دلالة واضحة على الحضارة التي قد متها الرهبانية ، كما تدل على ما انتجته قرايح الرهبان من ظلم وطغيان ، في الوقت الذي كان الاسلام بسطهته وعدله ينشر الا من والا مان والنور في كل قطر حسل به أو كل مصراوغل فيه . وغذ على ذلك مثلا بسيطا .

ففي الوقت الذي استطاع المسلمون فيه الوصول الى كبرى المدن في اسيا الصغرى على سليمان بن قنطش (٣) على تحرير كثير من عبيد الارض الذي بمن كانوا يفلحون ضياع كبار الملاك الميزنطينيين وبذلك اكتسب ولا\* تلك الفقة التي طالما قاست الكثير من الاستعباد والظلم ، ولعل هذه الحقائق كلها هي التي جعلت من الصعب على ال كوستين وعلى رجال الحملات الصليبية التي اخذت تفد من المغرب منذ او اخر القرن الحادي عشر استرداد اراضي الاناضول من الاتراك (٤)

١ - والجدير بالذكر ان هذه الحملات لم تقتصر فقط على اراضي الخلافة الاسلامية بل تعدت الى الاراضي المجاورة للبابوية . فقد جردت حملات كثيرة ضد المسيحيين ايضا .

٢ - اوربوا العصور الوسطى ١/٥٠٨

٣ - سليمان بن قنطش احد اقارب ملكشاه ( ١٠٧٢-١٠٩٢ ) الذي تمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ارباع اسيا الصغرى تقريبا وقد اعتبر رجلا قويا لوقوفه ضد خطر الصليبيين الذي بات يهدد العالم الاسلامي ( راجع : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية . د . فايد حنا محمد طشور ص ٦٤ ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٤ - الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح طشور ١/٩١ ط ٣ ١٩٧٨ م مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

## الفصل الثامن :

### موقف الكنيسة المعادي للإسلام وآثاره

منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا ظل أهل الكتاب يتخذون موقفا معاديا للإسلام وأهله ، على الرغم من إسلام عدد من كبار زعمائهم ورجال الدين منهم . كعبد الله بن سلام وصهيب الرومي والنجاشي وغيرهم ممن هداهم الله تبارك وتعالى للحق ، .

كذلك دخلت في دين الله تعالى شعوب كثيرة إبان الفتوح الإسلامية الكبرى كما طاعت شعوبهم في كنف الإسلام في أمن وسلام وقد حفظ المسلمون لأهل الذمة حقوقهم دون أن يحسوها بسوء (١)

إلا أن الحقد الدفين لدى أعداء الحق جعلهم يخضون أعينهم عن رسالة الإسلام وهدية فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وذلك كلما عرضت عليهم عقيدة التوحيد الصافية .

وزاد من تعنت هؤلاء سرعة انتشار الإسلام في بقاع الأرض الأمر الذي هدد طغيان الكنيسة وريثانها خاصة حينما زلزل المسلمون أيوان كسرى وقوضوا عرش قيصر .

وقد نجم عن عداوة زعماء الكنيسة وريثانها للإسلام عدة جرائم منها :

#### أولا : الحروب الصليبية :

ولأسباب آنفة الذكر فقد بقي النزاع بين الإسلام والمسيحية قرونا متعددة نتيجة للحملات الصليبية إبان العصور الوسطى (٤٩٠ - ١٠٩٦ م حيث دخل الصراع مرحلة خطيرة إذ أسفرت البابوية عن وجهها الكالح بالدعوة التي وجهتها الرهبانية هيراكيريوق لديها وهو " بطرس الناسك " الذي دق أجراس هذه الحروب استجابة لأمر البابا إريان الثاني (٢) ، ما جعل طوك وأمراء أوروبا يطلقون هذه الدعوة لاجتياح العالم الإسلامي واحتلال بيت المقدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وسرطان ما استجابت الكنائس برهبانها غارية أجراسها لجميع الناس وتهيباتهم لغزو ديار الإسلام واستتصاليه من الأرض .

١ - راجع في ذلك : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

٢ - الحركة الصليبية د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١٢٦/١ - ١٢٧



وبالرجوع الى أهم العوامل التي أسهمت في احيا\* الحملات الصليبية نجد الآتي :

اولا : كانت البابوية في نزاعها مع السلطة الزمنية بحاجة الى منساح يتيح لها تثبيت دعائم نفوذها الجديد في اوربا ، وقد وجد البابا في تقسيم الاسلام وانتشاره بين الناس في الاندلس وآسيا الصغرى مبررا لابعاد خصوم\*ة السياسيين من ملوك وامرا\*ة اوربا عن ساحة النفوذ .

ثانيا : كانت الكنيسة بحاجة ماسة للاموال نتيجة الكساد الذي اصاب اوربا والناجم عن التأخر في شتى المجالات الامر الذي دعا الكنيسة الى جمع\*ه بطرق شيطانية فاصدرت ما يسمى بمكوك الفجران لكل من يشارك في تمويل الحملات الصليبية كما فتحت مغفرتها لكل من شارك بنفسه في تلك الحروب .

ثالثا : حالة الفوضى التي عت اوربا نتيجة التسلط والقهر ما شجع المغامرين والغارين من ربة الكنيسة للاشتراك في الحروب هربا من الحالة المزمنة.اضف الى ذلك حالة الفقر التي ظبت على اهل اوربا ما اسهم في اغراء\* هؤلاء لنهب بلاد المسلمين وخيراتهم . ( ١ )

هذه هي اهم الجوانب التي تخص البحث وهناك عدة اسباب اخرى لا مجال لذكرها .

الا ان النتيجة التي يمكن الخروج منها : ان تلك الحروب هي ممن اولئك الذين لسن يرفضوا عن الاسلام والمسلمين حتى يدخلوا في ملتهم ( ولئن ترضى هناك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ) ( ٢ )

هكذا يريد الحاقدون ، ولله ما اراد ، ولقد فشلت الحملات الصليبية في تحقيق اغراضها وتحطت راياتها على صخرة صمود المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن عقيدتهم وديانهم .

ولئن الرغم ما تكيدته الصليبية وريهانها الا انها عاودت بالتآمر مع اليهودية لمحاربة الاسلام واهله ، فاستطاعت عبر الدس والخداع ازالة معالم

١ - راجع بتوسع : اوربا العصور الوسطى ٤ / ١ ٤٤١

٢ - البقرة : ١٢٠

الخلافة الاسلامية ، وتشتتت وحدة المسلمين وذلك في بداية القرن العشرين ، وقد تلقت البلاد الاسلامية طعنه نجلاء وخسارة فادحة بسقوط الخليفة العثماني المسلم واقتسام الدول الغربية اجزاء الدولة وثبتت دوائهم الاتحاد عبر نشر القوميات واثارة العرقيات والنعرات الاقليمية بين الشعوب الاسلامية الامر الذي ادى الى تفسخ وحدة المسلمين وابقائهم تحت السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار الغربي .

ولم تهدأ ثورة الرهبانية على المسلمين في يوم من الايام فعلى الرغم من الهلالية والشروع التي لحقت بالمسلمين من جراء سقوط خلافتهم ، الا ان الرهبان اظهروا اسلحة متعددة لا تقل خطورة عن السلاح الحربي ذلك هو سلاح التشهير .

وهذا ما سيكون الحديث عنه اشنا استعراض الجريمة الثانية . من الجرائم التي يرتكبها الرهبان ضد الاسلام واهله .

---

١ - تجدر الاشارة الى ان الرهبان قد استعملوا السلاح في الحرب اللبنانية التي لا يزال اوارها مستعرا حتى هذا اليوم ، وقد اسسوا حركة اسمها الحركة الكسروانية سنة ١٩٧٥ مدعوة من رهبان جامعة الروح القدس الكسليك بمزمنة الاباتي شربل قسيس ثم الاباتي بولس نعمان . راجع في ذلك مجلة التضامن العدد الرابع ص ٢٢ تاريخ ١٩٨٣/٥/٧ م - لندن

## ثانيها : التشهير

افاض العظماء والدعاة المسلمون في الحديث عن التشهير وأدواته وآثاره السيئة ، كما كشفوا خططه وأهدافه من خلال مؤلفاتهم وأبحاثهم المتعددة . وقد يكون اقحام الرهبانية في التشهير مدعاة لاعتراض البعض على أساس انه لا صلة للرهبانية بالتشهير والبشريين .

ولا يعدم الجواب من عرف شخصية الواقفين خلف ستار هذه الاداة ، كما لا يخفى دور البابا وحكومة الفاتيكان في عملية تحويل الشاريع ، وكذلك دور مجلس الكنائس العالمي في تدهيم الخطط الراعية الى تنصير المسلمين في أوطانهم وإبعادهم عن دينهم الحنيف استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وقد يعجب المرء من رصد العزانيات الضخمة من أجل تنفيذ هذه الشاريع ، الا ان العجب يزول حينما تتكشف له صلة الرهبانية المستمرة بالسكنة والمحبة بالجمعيات التبشيرية المسيحية .

فمن خلال التعرف على هوية القائمين على هذه العمليات تستطيع ان تعرف انهم غير مسجودين قد تظنوا على أيدي كبار القسوس والرهبان . كما أن دعوتهم تنادي على الدوام الى الامتثال " بالحياة المسيحية الخالصة " وهي في أسس معانيها لديهم تلخص بالالتزام التام بالحياة الرهبانية وقد مرت هذه القولة اثنا الحديث عن مبدأ الاتحاد في المسيحية .<sup>(١)</sup>

وصحيح ان البشريين الجدد لا يدهون ابتداء الى التمسك بالحياة الرهبانية ، الا انهم يمهدون السبيل امام الناس لتقبل هذه الحياة فبعد التدرج في استجلابهم تصبح الطريق معبدة الى بث سمومهم فسي طرائد هم .

الا ان هؤلاء البشريين حينما طموا بفشل تجارتهم الخاسرة وقد اثبتت عبر التجارب ضآلتها ، فقد عمدوا الى تغيير الوسائل ، فباتت خططهم تقضي بتاهيل الاطباء والمعلمين واصحاب المهن الضرورية والقادرين على تنفيذ هذا الدور . لان شخصية الرهبان والقسوس لم تعد مقبولة لدى الناس .

١ - يرصد لدول الخليج وحدها سنويا ١٣ مليون دولار أمريكياً وذلك لسبع

منظمات تبشيرية ، : راجع : التشهير المسيحي في منطقة الخليج ص ٧

٢ - راجع ص ٣٦٠ - ٣٦١ من هذا البحث وخلاصة التصوف المسيحي ٧/١

٣ - راجع بعض هذه المحاولات واخفاؤها في كتاب : وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الاسلامي . د . حسان محمد حسان ص ٤٧ - ٤٨ ، دار الاصفهاني ،

كما ان بعض الشاربع الفاشلة التي ضي بها المشرون في بعض  
الأقطار الاسلامية دعهم الى تغيير الاهداف ايضا ، فبدل ان يكون التبشير  
يستهدف ادغال المسلمين في النصرانية أصبح التبشير يسعى الى زعزعة  
العقيدة الاسلامية على الأقل (١) وادغال أصحابها في التيه الفكرى .

والى ذلك يشير زعم المشرين الطعو " زهير " الراهب حيث يقول :  
( لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع  
عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية وانكم اهدتم  
نفسا في ديار المسلمين لا يعرف العملة بالله ولا يريد ان يعرفها ...  
واخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ  
الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار المسيحي : لا يهتم بالعظام وحسب  
الراحة والكمال ولا يعرف هم في دنياه الا في الشهوات ... فاذا تعلم  
فللشبهات واذا جمع المال فللشبهات وان تبوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات  
يجود بكل شيء ) (٢)

في هذا النص يكشف زهير عن صلة التبشير بالاستعمار وتوافق  
الاهواء لاجتثاث العقيدة من صدور المسلمين .

كما يستدل من ذلك ايضا ان التبشير قد أصبح يمثل اداة في يـد  
الاستعمار يدخل به البلاد الاسلامية بهدف السيطرة الاقتصادية والسياسية  
والعسكرية ، طما بان نظم الدول الاستعمارية الغربية هي التي عطلت من قبل  
على تحطيم النفوذ الكنسي تخلفا من الطغيان البابوى ، وذلك وفقا لما تكشف  
اثناء الحديث عن صراع الكنيسة مع العلم . ولكن الامر عندنا يتعلق بالاسلام  
واهله تصبح القضية محل بحث بل مجال تنفيذ لخطط جهنمية يقع المسلمون  
عن طم او غير طم في براثنها .

وتدلنا اعداد المؤتمرات التبشيرية واهدافها المعلنة وغير المعلنة  
على مدى اهتمام القائمين عليها لتنفيذ هذه الخطط . ويمكن تلخيص بعض  
هذه المؤتمرات كالآتي :

١ - راجع . هذه القضية في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية

ص ٤٦ ، خالدى وفروخ .

٢ - : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي د . علي محمد جريشة

ومحمد شريف الزبيق ص ٦٣ دار الاقصاد ١٩٧٨



( ١ ) - مؤتمر القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ ( ١٩٠٦ م ) المنعقد  
في منزل زعيم الثورة العربية المسلم في باب اللوق تحت سمع  
الحكومة ومصرها

( ٢ ) - مؤتمر انبرج سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م في إنجلترا .

٣ - مؤتمر لكنسو سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م بالهند

٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ ( ١٩٢٤ م )

٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

٦ - مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ( ١ )

٧ - مؤتمر كولوراد وسبرينغ المنعقد سنة ١٩٧٨ م ( ٢ )

الى غير ذلك من المؤتمرات التي يتزعمها كبار القسس والرهبان .

وتجسد ر الاشارة هنا الى نقطة اخيرة تتعلق بموضوع الرهبان وهي

تلك النشاطات المشبوهة التي يمارسها هؤلاء في المحافل الطاسونية ومدّها  
بالا مكانات الطادية والبشرية وهو ما كشفه شاهين مكارهوس<sup>(٣)</sup> . ضمن حديثه عن  
دور الرهبان في تدعيم تلك المحافل .

---

١ - راجع : "أساليب الغزو الفكري" ص ٣٢

٢ - التبشير المسيحي ، أحمد فون دنفر ص ٧

٣ - راجع : تاريخ الطاسونية العطية ص ٩٨-٩٩ شاهين مكارهوس دار مارون عبود

ط ١٩٨٤ م .

## الباب الثامن

أثر الرهننة في البدع الخالية  
والفرق المغالية المنتهية للإسلام

### ثالثا :

#### أسس الرهبانية في الفرق المغالية والبدع الضالة

كان للفتح الاسلامي نتائج عظيمة ايمان . عصور الخلافة الاسلامية المختلفة ، وبرز هذه النتائج تمثل في دخول الناس في دين الله أفواجا . لقد كان لهذا الدين في قلوب أبنائه محبة عظيمة ، واخلاص دائم . وذلك لنقاؤه وتميزه عن بقية الملل والنحل بانه دين الفطرة ، دين الله القويم وصراطه المستقيم ، ولهذا فان اعداء الاسلام ادخلوا بعض عقائد هم الضحرة تشبهها وتحريفها ، والله من وراءهم محيط .

وبالرجوع الى اصول الاسلام وفروعه يمكن وضع قاعدة اساسية لوزن اى فكر دغسبل ، او عقيدة فاسدة دسوسة طيه ، وذلك وفق ميزان لا يأتسسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عرف اركان الاسلام ، و ذلك فيسط رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ( ١ )

كما بين طيه الصلاة والسلام اركان الايمان ، من ذلك ما جاء في الصحيح من مسر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام ( الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . . ( ٢ )

وطيه فان لا سلام ينفرد عن العقائد الشركية والبدعية بالتوحيد الخالص ، فأهل السنة والجماعة يوجبون لله تعالى الكمال في صفاته وأسمائه وأفعاله بحسب ما ورد في القرآن الكريم من آيات ، والسنة الطاهرة من احاديث وذلك بعيدا عن التجسيم والتشبيه والتعطيل ايظانا بقوله تعالى ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) ( ٣ )

١ - صحيح الاطام البخارى ، كتاب الايمان ٨/١

٢ - رواه الاطام مسلم ، انظر صحيح الاطام مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ١٥٧/١

٣ - المشورى : ١١

كما ان توحيد الالهوية والربوبية وتوحيد الاسماء والصفات هي من لسوازم هذا التنزيه . ( ١ )

كما ان العطاء والفقهاء متفقون على ان اصول الدين الاسلامي النابعة من الكتاب والسنة هي المعتمدة عندهم لا غيرها ولا خلاف في شيء ( منها ) . ( ٢ )

كما انهم متفقون على ان الجادى الاخلاقية والسلوكية التي بينها الاسلام ، وفق منهج القرآن والسنة هي السبيل الوحيد لنيل الزهد المقرب الى الله تعالى دون غيره من البدع التي ادخلت عليه زورا .

ذلك هو السبيل الوسط الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فسي سيرته الذاتية والعلمية وتبعه السلف الصالح باعتدال بغية تهذيب النفوس وتقويم الاعوجاج والارتقاء الى القيم السامية النابعة من روح الاسلام العافية ، وهذا يتم ( باخلاص النية لله تعالى في الظاهر والباطن والسر والعلن والارتقاء بها جميعا الى مستوى الاحسان الذى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم : ( هُوَ اَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ) ( ٣ )

و عليه فان ما عرض من عقائد الاديان الوضعية وما تبين من انحرافات اهل الكتاب العقديّة والسلوكية سواء ما تعلق منها بالتجسيم او الطول او الاتحاد او وحدة الوجود ، لا صلة للاسلام بها من قريب او بعيد وان كل ما يتعلق بها او يتفرع عنها لا وجود لـه ولا اصل في عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام .

ذلك هي القاعدة المطلقة لتمييز الغث من الشين ، ووزن اى عقيدة يجب ان يكون وفق هذا الميزان الدقيق .

ووفق هذا المفهوم ايضا فان الزهد الاسلامي النابع من الكتاب والسنة والذى ترمع في مدرسة النبوة لا صلة له اطلاقا بغيره كما يجب التنويه بان هذا الزهد قد استفاد استفلا كبيرا عقب انتشار الد الاسلامي شرقا وغربا ، ودخل الناس في هذا الدين اناح للهداء فرصة الطلوع اليه ، فقد اخطفت شارب الداخلين كل بحسب اختلاف النوايا والغايات ، فمنهم من وجد في الاسلام ما يغنيه عن ضلالت وجور الاديان السحرية ، ومنهم من وجد فيه خطرا على كيانه كالشعوذة والزناقة ، وضرر في اهل الكتاب ، وخاصة رجال الدين منهم الذين سبوا ارادوا التمسك

١ - انظر : دعوة التوحيد ، د . محمد خليل هراس ص ١٤ ، مكتبة الصحابة طنطا

٢ - راجع : التبصير في الدين ، لابي الطاهر الاسفراييني ص ١٨٢ - ١٨٣

٣ - كمال يوسف الحوت ط ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م بيروت .

٣ - انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها د . عرفان عبد الحميد فتاح ص ٥ ، ط ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م المكتبة الاسلامي ، بيروت .

وراجع حديث الاحسان في صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٧

من الاسلام ، وذلك كما فعل " يوحنا الدمشقي " (١) في العهد الاموي ، وكذلك  
سوسن النصراني الذي اسلم ثم تنصر في العهد العباسي وهو أول من نطق  
بالقدر (٢) .

كما سارت تيارات أخرى الى وجود الزندقة ، ودعاة هذا التيار لا ينتمون  
الى دين سواي بل الى مذاهب وثنية عرفت بفارس والهند والجزيرة مثل المجوسية  
والسمنية والمشيبة والمناوية والمابغة (٣) .

وقد استطاعت هذه الفرق ان تشق طريقها الى البيئة الاسلامية عبر  
الدين تارة وتحريف النصوص ووضع الاحاديث تارة اخرى ترومجا لخلالاتها  
وبدعها ، فاستغل الزهد الاسلامي العاصي لهذه الغاية فمزج بهذه التعاليم  
الوافدة مما اتاح الفرصة لطم التصوف الفلسفي أن يأخذ مكانه في المجتمع  
الاسلامي .

وقد كان للمعارف التي حطها أهل الكتاب عن عقائدهم وآرائهم  
وممارساتهم المستقاة اساسا من بتاييع الرهبانية وفلسفاتها في الطمول  
والاتحصان اثر في المنحى الصوفي الفلسفي وقد تمثل هذا بما وجد في كتابات  
محيي الدين بن عربي والحلاج وابن الفارض والسهورودي ومن سار في هذا  
الاتجاه متبعها لما قرروه ، فمن دان بهذه العقائد الوافدة الأمر الذي فكسر  
اجواء المجتمع الاسلامي العاصي .

هذا الوضع استدعى بقاء طمس الاسلام وجهادته في حالة استنفار  
طبي دائم نتيجة لهذه الاخطار المحدقة بالامة .

١ - راجع في ذلك : تاريخ الفرق الاسلامية ، طي مصطفى الغرابي ص ١٢٧ ط ٢  
١٩٨٥ مكتبة الانجلو المصرية .

٢ - راجع : الحياة العلمية في الشام فئسي القرنين الاول والثاني للهجرة  
خليل داود الزرو - ص ١٢٤-١٢٧ دار الافاق الجديدة ط ١ بيروت ١٩٧١

٣ - المصدر السابق ص ١٣١

٤ - لاحظ : كتاب المجددون في الاسلام من القرن الاول الى الرابع عشر ، عبد  
التمال الصعدي ص ٢٥١ ، القاهرة مكتبة الاداب .

٥ - راجع : صرع التصوف ، برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن  
الوكيل ، فصل عن التصوف الفلسفي وصلته بالنصرانية ص ٢٢٤ .

كما يجب الاعتراف بان تلك المبادئ الخاصة بأسس العقيدة الرهبانية منها والسلوكية قد أثرت بشكل خاص في الفرق الباطنية التي وجدت في التشيع فرصة كبيرة وستارا لتحقيق اهدافها في زعزعة الكيان الاسلامي .

وقد ازداد انتشار الفرق الباطنية في عهد الدولة الفاطمية (٢) ازداد اخطارها ، فالى جانب ما تلقفته من تعاليم منحرفة عن الاسلام فقد ارتبطت الباطنية بتيارات ذات اتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة ومنهجه . (١) اخطورتها فترجع : الى كونها تمثل انحرافا عن المجرى التقليدي للامور وظهورها في شكل انقلابات محورية وافتقارها الى ضوابط راسخة أو معايير يمكن التفاهم عليها .

اما عنفها فلأنها لا تستطيع ان تحقق اهدافها بالوسائل الشرعية المقررة ، ولهذا تلجأ الى البطش ان تكنت ، والاستتار المتأمر في دور التمهيد والتقية الفادرة في ظل سلطان الخصوم (٣) .

كما لا بد من تسجيل حقيقة لا خاص من الاعتراف بها وهي ان ضعف دولة الخلافة السنية بان تلك المبادئ دينيا وسياسيا واجتماعيا كان كفيلا بالاسهام في عملية تفريخ هذه الطفيليات .

ولهذا فلا عسرة من وجود اثر الفلسفات اليهودية والسيحية الغنوصية وان يتطور هذا النهج في الفكر الصوفي الفلسفي الذي مثله أصحاب فكرة وحدة الوجود وهو ما يخالف لب العقيدة الاسلامية الصحيحة .

وطيه فان الحكم على هذه التيارات بالكفر والالحاد حكم في محله وانه يجب التبري من هذه البدع والتحذير منها . ووضح نواياها السيئة للاسلام ، وقد استطاع بعض المستشرقين الغربيين توجيه الطعن للاسلام مسن خلال الاستشهاد باراء عقائد هذه الفرق الضالة .

كما تجد الاشارة في هذا العدد الى تلك الصفحات المشرقة التي سجلها طه اهل السنة والجماعة في فضح كل ما يست الى القضية بعلمية سواء على مستوى كشف المتار عن تلك الشخصيات التي وقفت خلف تلك العقائد او على مستوى الرد عليها ورصدها والتصدي لها بحزم ونشر ما كتبوه

- 
- ١ - راجع تلك الفرق الضالة ومقالاتها في كتاب : فضائح الباطنية لابي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت ، حولي .
  - ٢ - راجع ما وجد مسن فرق في : مذاهب الاسلامية د . عبد الرحمن بدوي ٩ / ٢ دار العلم للملايين بيروت ط ١ ١٩٧٣
  - ٣ - المصدر السابق ص ٥ / ٢

قد أسهم كثيرا في إجلال حقيقة الاسلام الصافية وازالة الشبهات التي المقتت  
بهذا الدين زورا وهتانا (١).

ولا شك ان المستشرقين يعرفون تلك الحقائق ولا يمكن ان تغيب عن  
بالهم الا ان الحق الدفين والتعصب الديني الميمودي والصليبي الاعمسى  
قد اقلح في الفاء عقولهم وشل ضاطرهم وجعلهم ابواقا لدعاية فارقة في اسواق  
الضلال والالحاد .

١ - من المؤلفات القديمة في التراث الاسلامي التي يعر العلط في رصد الاراء  
المخالفة لاسلام الحنيف - ؟

- ( ١ ) مقالات الاسلاميين ، لابي الحسن الاشعري ، ت ٤٢٩ - مطبوع
- ( ٢ ) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب  
الرازي ( ٥٤٤-٦٠٦ ) . مطبوع
- ( ٣ ) - الفرق بين الفرق ، لعبد القادر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩ ، مطبوع
- ( ٤ ) الفصل لابن حزم ، والبل والنحل للشهرستاني
- ( ٥ ) فضائح الباطنية للام الغزالي ( ت : ٥٠٥ ) مطبوع
- ( ٦ ) كتاب في الرد على الاسطهلية ، لابي عبد الله بن رزام . راجع : الفهرست  
لابن النديم ص ٢٦٤ ط دار المعرفة .
- ( ٧ ) كتاب في الرد على الطهدين لسعد بن محمد بن ابي حنبل الفسائي  
القيرواني النحوي ( راجع : مقدمة فضائح الباطنية ص ، أ ، ب .
- ( ٨ ) كشف الاسرار وهتك الاستار لابي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ ، راجع  
مقدمة فضائح الباطنية ص ب .
- ( ٩ ) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع لابي الحسن الططبي ت : ٣٧٧ هـ  
طبع سنة ١٩٤٩ - راجع مقدمة فضائح الباطنية ص ج
- ( ١٠ ) كشف الاسرار الباطنية لاسماعيل بن احمد البستي ( مخطوط ، راجع  
مقدمة فضائح الباطنية ص : ب ، ج
- ( ١١ ) - كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة لمحمد بن طالم بن ابي الفضائل  
الحطاي الهطائي طبع في مصر سنة ١٩٤٩ راجع : فضائح الباطنية
- ١٢ - منهاج المصنعة لابن تيمية ت ٧٢٨ مطبوع
- ١٣ - الاعلام بالتوبيخ لم ذم التاريخ : لشمس الدين السخاوي ت ٩٠٢ هـ . مطبوع  
في مصر سنة ١٣٤٩ هـ
- ( ١٤ ) طبيبى الميمس لابن الجوزي مطبوع
- ( ١٥ ) اغانة اللهفان لابن القيم مطبوع

هذا وان دراسة مجتمع الكوفة بشكل خاص في العصور الاولى  
دراسة طمية منهجية كميل بازاحة الستار عن تلك الادوار التي لعبتها الطسلسل  
والنحل المختلفة في عطية تشويه العقائد الاسلامية .

وبماجاز كبير فان مجتمع الكوفة التقى فيه ففلاعن سبلمة الكذاب  
واصحابه ( شذاذ الناس واشرارهم ، مع خيارهم ، واتى الصحابة كما اتسسى  
الناصرى والمهرودى ، واقبلت القبائل العربية كما اقبل السوالي وانتشرت الزندقة  
والسحر والنسهرنجات وكان فيها العشائنة ( اصحاب عنتان رضى الله عنه ) كما  
كان فيها حب طسلى وال البيت ، وانتشرت الطقات المتعارضة والمجامع المتنافرة  
ولط استفحل النزاع بين العلوية والعشائنة اطلت رؤوس المجامع السرية والمراكز  
التغلغلة الخفية وجانب هذا كله هناك النصارى ايضا . ينساون بتجسس  
الالهوية ، كان هؤلاء جميعا يرقبون بعيون بسيطة سهلة يتكفون بها ارض الاكاسرة  
والقياصرة ويقفوا في انتظار الفرصة السانحة لتزيف الجعاعة وتفريق الكمسة  
وكان النزاع بين الهاشميين والابويين فرصتهم السانحة ( ١ ) .

وقد استغل اهل الكتاب حب ال البيت في اشاعة ذهاب الخلو فسى  
الفرق المغالية حتى اذا ما تحقق هذا الامر سهل عليهم تحرير عقائد هم فنجسد  
مثلا غلاة الرافضة يولفون طسلا والائمة من بعده بل يؤمن بعضهم بطول الاله  
ببعض قائلتهم .

يقول الشهرستاني عن الغلاة ( المغالية ) هم الذين ظفوا في حقيق  
المتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فمرط شهبوا  
واحد من الائمة بالاله وربط شهبوا الاله بالخلق وهم طلى طرفى الخلو والتفسير  
وانفسا نشأت شهباتهم من ذاهب الطولية وذاهب التناسخية وذاهب  
اليهود والنصارى ان اليهود شهبوا الخالق بالخلق والنصارى شهبوا الخلق  
بالخالق فسرت هذه الشهبات في ان هان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام  
الهيئة في بعض الائمة . ( ٢ )

وقد احصى العلما<sup>(٣)</sup> كثيرا من الفرق الباطنية المغالية التي تؤمسسن

١ - نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام . . . . . النشار ٢٦٠/٢

٢ - الطل والنحل للشهرستاني بها مش الفصل ١١٥/٢ . . . . .  
طبعة صبيح ، القاهرة .

٣ - فبالاضافة الى كتب التراث الاسلامى القديمة هناك كتب حديثة منها :



التي تؤمن بالחסول وغيره .

=

- ١ - الاسلام بلا مذاهب ، د . مصطفى الشكعة ص ٣٠٦ دار النهضة العربية بيروت ط ١
- ٢ - عقيدة الدرر ، محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقص ، الاردن ط ١ .  
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- ٣ - الحركات الباطنية في الاسلام ، مصطفى ظالب ص ٢٥٥-٢٨٧ ص ١٠٥ دار الكتاب العربي ، بيروت وصاحبه باطني
- ٤ - دور اليهود في الفرق الباطنية ، احمد محمد احمد مغربي ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
- ٥ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوي ، ج ٢ ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٧٣م

ولا أدل على تسرب الأسس العقديّة للرهبنة إلى مبادئ التصوف الفلسفي من تلك  
المبارات التي تنادي بفكرة الحلول . فمن ذلك ما ورد في شعر الحلاج : (١)

انا من أهوى ومن أهوى أنا  
فإذا ابصرتني ابصرتني  
نحن روحان حللنا بدننا  
وإذا ابصرتني ابصرتني

وهذا ما تدعيه النصرانية كما وقد سرينا في الأبواب الخالصة الكلام عن تلك  
العقيدة ، ورأينا ردود العلماة المسلمين عليها .

(٢) كما تتجلى عقيدة وحدة الوجود في عبارات الجليلي حيث يقول :

فمهما ترى من معدن ونبات  
ومهما ترى من أبحر وقفار  
وحيوانه مع إنسه وسجائيه  
ومن شجر أو شاق طال أعلاه  
إلى قوله :

ومهما ترى من عرشه ومحيطه  
فاني ذاك الكل ، والكل شهدي  
وإني رب للأنام وسيد  
وكرسيه أو رفرف عز مجلاه  
أنا التجلي في حقيقته . لا هو  
جميع السورى اسم ، وذاتي سماء

وهذا أيضا ما نادى به العقائد الهندية من قبل .

وقد قارن البيروني بين ما يقوله الهندوس من عقيدة الاتحاد وما يقربه بعض  
التصوفة حيث يقول :

( وإلى طريق " باتنجل " ذهب الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا : ما دست  
تشير فلسفة بيموحد حتى يستولي الحق على اشارتك بافتائها عنك فلا يبقى شير ولا اشارة ،  
ويوجد في كلاهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحد هم عن الحق : وكيف لا أتتق  
من هو " أنا " بالانية و " لا أنا " بالانية . إن هذه العودة فرقت وإن أهبطت فيها لاهمال  
خففت بها الاتحاد ألفت . وكقول أبي بكر الشبلي : اخلع الكل تصل إلينا بالكنية فتكون ولا تكون  
إخبارك هنا وفعلك فعلنا ) (٤)

١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه - رينولد . ١٠ . نيكولسون ص ١٣٤ ، ت : ابو العلا عفيفي

طبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

٢ - انظر ص ٣٥٥ من هذا البحث .

٣ - هذه هي الصوفية عند الرحمن الوكيل . ص ٤٤-٤٥ ، دار الكتب العلمية ، ط ١٣٩٩ هـ

٤ - تحقيق ما للهند ، ص ٦٦ .

وقد تعقب ابن الجوزي تلك الشطحات الواردة في أقوال وأفعال المنتسبين  
والغالبين في التصوف فمن ذلك ما رواه عن ضرة قال ، سمعت رجلا يقول :  
( قد م حطاب بن ابي سليمان البصرة فجاء فرقد السنجي وعليه ثوب صوف فقال لسه  
حطاب : ضع عنك نصرانيتك هذه . ( ١ )

كما ذكر حديث بقرية بن الوليد الذي يقول فيه : سمعت ابراهيم بن أد هــــــ  
يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سيمان . ( ٢ )

وقد أورث الشعرا كثيرا من القصص والروايات الطيبة بتلك الشطحات من ذلك قوله  
: ومنهم : سيدى ابراهيم بن صفيح . . . وكان رضي الله عنه - كثير الشطح وكان أكثر نومه  
في الكنيسة - ويقول : النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين ، وكان  
رضي الله عنه يقول : أنا ما عندي من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الغاني أيام الصوم  
كالنصارى وما المسلمون الذين يأكلون اللحم الغاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي  
باطل ، وكان رضي الله عنه - يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان  
فينقلب عليك بالشر وجرب أنت نفسك . ( ٣ )

ويقول الشعرا من هذا ( وكان يفرش تحته في مخزنه الثبن ليلا ونهارا وقبيل  
ذلك كان يفرش زبل الخيل . . . ) ( ٤ )

ويصل هذا التأثير الى الحد المخرج عن المسئلة ، من ذلك ما جاء في  
الديوان المنسوب الى جلال الدين الرومي قوله :  
نفسى أيتها النور المشرق ، لا تن\* عني لا تن\* عني ، حبي أيتها الشهيد  
السائق ، لا تن\* عني لا تن\* عني . انظر الى المعانة أحكمتها فوق رأسي ، هل انظر  
الى زنار زرادشت حول خصري أحمل الزنار وأحمل المغلاة ، لا بل أحمل النور ، فلا تن\*  
عني ، لا تن\* عني . سلم أنا ولكنى نصراني ، وهرهني وزرادشتي ، توكلت عليك أيتها  
الحق الأمل ، فلا تن\* عني لا تن\* عني ، ليس لي سوى معبد واحد . سجدا أو كنيسة

١ - تبيين ابليس ص ١٩٥

٢ - المرجع السابق ص ١٥٢

٣ - الطبقات الكبرى المصنوعة بلوائح الانوار في طبقات الاخيار لعبد الوهاب الشعراي  
١٤٠ / ٢ ، مصطفى الباوي الحلبي بصر . ط ١ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

٤ - المرجع السابق

## أوبيت اصنام (١)

ولم يقتصر هذا التأثير عند هذا الحد بل تعدى الى مظاهر اخرى . فكما نادت  
الاديان الوضعية باسقاط التكليف الشرعية عن طريق الاعمال بالله كما يزعمون فقد وجدت هذه  
الافكار طريقها الى بعض المنتسبين الى الاسلام ففي نظر هؤلاء ان الشرع ليس له قيمة .  
ذلك لان لسان حاله هو : ( أنه لما دام من الممكن الطاعة عن طريقة تتصل بالله  
مباشرة فلماذا نضيع الوقت بالظواهر والصور والتوسل بالطرق غير المباشرة ؟ ناهيك بأن  
الشرع انما هو وسيلة للوصول الى الحق ولما دام العارف قد بلغ الحق والحقيقة فلم يبق والحالة  
هذه حاجة له بهذه المظاهر وكل توسل وتشبث يعتبر عبثاً ) (٢)

ويظهر اثر الرهينة جلياً في بعض المتصوفة الذين خرجوا عن سنة محمد صلى  
الله عليه وسلم وذلك بنهذ النكاح والاعراض عما أحله الله تعالى لبنى البشر .  
فمن ذلك ما نقله ابن الجوزي عن أحد هم حيث قال : النكاح يوجب الميل الى  
الدنيا ، فروىنا عن أبي سليمان الداراني أنه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر  
في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا ) (٣)

ومن ذلك أيضاً ما نقل عن حذيفة المرهشي الطوسي سنة ٢٠٧ هـ/أنه قال :

( كان ينبغي للرجل لو غير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة في الفتنة  
لاختار ضرب العنق على تزوج امرأة في الفتنة ) (٤)

وقد نقل السراج الطوسي قصة أبي أحمد القلانسي الذي تزوج امرأة بقيت عنده  
ثلاثين سنة وهي بكر ) (٥)

وما نقل عن كشف المحجوب للبهجوري ( أن أول فتنة قدرت على آدم في الجنة  
كان أصلها امرأة وأول فتنة ظهرت في الدنيا ، أي فتنة هابيل وقابيل ، كانت أيضاً بسبب  
امرأة وحين أراد الله تبارك وتعالى أن يعذب اثنين من الملائكة جعل سبب ذلك امرأة  
وهي جميعا الى يوشا هذا سبب جميع الفتن الدينية والدنيوية ) (٦)

- ١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٩٤
- ٢ - تاريخ التصوف في الاسلام . د . قاسم غني ، ت : صادق نشأت ، ص ٢٤٦ ، مكتبة  
النهضة المصرية ط ١٩٧٠
- ٣ - طبين ابلين ص ٢٩٥
- ٤ - التصوف ، المنشأ والمصادر إحسان إلهي ظهير ص ٥٨ ، ادارة ترجمان السنة  
لاهور باكستان ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٥ - اللع لا بهي نصر السراج الطوسي ص ٢٦٤ دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد  
١٣٨٠ - ١٩٦٠ م
- ٦ - التصوف ، المنشأ والمصادر ص ٥٩

وهذا الشعراني هذا من العجائب منهم : ( سيدى عبد الرحمن المجدوب . . .  
( يقول عنه ) ط رأيت قط أحداً من أرباب الأحوال دخل مصر الا ونقص حاله الا الشيخ  
عبد الرحمن المجدوب وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه وكان جالسا على الرمل  
صيفا شتاء وإذا جاع أو عطش يقول اطعموه واسقوه وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت  
وكان يتكلم بالسراني ( ١ ) .

ولا شك أن هذا كله مخالف للشرع وقد مر الحديث عن موقف الاسلام من السكاح  
ومن المرأة وذلك في الابواب السالفة من هذا البحث . وظهر لنا أهمية ذلك ومدى العناية  
الاسلام بالاسرة والمجتمع . ونهيه عن التبتل والخفاء ( ٢ ) .

كما يبرز تأثير الرهينة فيهم من خلال اتخاذ الخطوات وهي تشبه في ضروتها  
خلوات الرهبان في الكهوف والصوامع والاديرة . وأخطر ما ينجم عن تلك البدع تلك الخرافات  
والدعوى الباطلة التي تنطلي على ضعاف العقول والنفوس .

فمن ذلك ما يقال ( اذا صحت الخلوات أفطحت الرهاضة واتت من الثمرات  
فوق ما يتصوره العقل ، منها أن يكشف السرمد عالم الغيب المحجب ، ويدرك أسرار  
الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات وإتيان الخوارق والتصرف في الكون  
بالبهمة . فيمشي على الماء ويظهر في الهواء ويتحكم النهران ويفعل كل ما لا يقوى  
عليه سائر البشر ) ( ٣ ) .

ومما يشبهه الى حد كبير ما يفعله الرهبان الجينيون من العري ، ما ذكره  
الشعراني من أن الشيخ ابراهيم العريمان كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا  
باسماقهم حتى كأنه تربي بينهم - وكان رضي الله عنه - يطلع على الشبر ويخطب عربانا فيقول :  
السلطان ود حياط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين فيحصل  
للناس بسط عظيم . . . ( ٤ ) .

كما سار ( علي البكري ( ٢٠٧ هـ ) طارها في الاسواق يهذى في حديثه  
ويخلط في كلامه ، فيقول الناس هذه بأنه تأهلا بلائم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم واستغل  
أخوه سداجة الناس فمنعه من الخروج الى الشوارع والأسواق مكشوف الرأس والسواتر  
كما كان يفعل في أغلب أحواله ( ٥ ) .

١ - الطبقات الكبرى ١٤١/٢

٢ - انظر ص ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢

٣ - التصوف في صرا بان العصر العثماني د . توفيق الطويل ص ٦٩ ، طبعة الاهواز  
مكتبة الآداب بالجيزة .

٤ - الطبقات الكبرى ٢٤٢/٢

٥ - التصوف في صرا بان العصر العثماني ص ١٣٢

وما يشبهه الى حد بعيد قسوة الرهبان المسيحيين على أنفسهم و تلاميذهم  
ط صرح به السيد محمد البكري ( ١٩١٤ هـ ) ( بأن من واجب العبد - أى المريد - أن  
يذكر أنه بين يدي استاذة في كل نفس من أنفاسه . . . ) (١)

بل أوجب الشيخ على المريد ( أن يستجيب لأوامرهم ولو قضت بعصيانه لله  
وتمرد على قواعد دينه بافطار رمضان أو الاطال في إقامة الصلاة ) (٢) ومثل هذا يقال  
فيما أحياه الشرع وحرمة الشيخ لأن الترقى لا يكون بالاستمتاع بالسباح من اللذات بل  
بالزهد . . ) (٢)

ومن شدتهم على أنفسهم ط جاء في قول الشعراني :  
ان غودة ( غودة ) الشيخ على ابو غودة كانت من الحديد وكان زنتها قنطارا  
وثلثا لم يزل حاطها ليلا ونهارا وكان شيخا أسرقصيرا (٣)

وقوله عن الشيخ ( ابو الخير الكلباتي ) . . . كان من الاولياء المعتقدين وله  
المكاشفات العظيمة مع أهل مصر . . . وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن ، وكانوا  
يقضون حوائج الناس ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته  
رطل لحم وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في حلق الخلا في حياضة جامع الحاكم يدخل  
الجامع بالكلاب . . . ) (٤)

وبعد . . فان هذه الامثلة وغيرها لا تدع مجالا للشك في أن أنطاطا من  
الرهبنة قد سرى في الاوساط الاسلامية سواء عن قصد أو غير قصد . ولا يمكن تعميم هذه  
القاعدة على كل من انتسب الى التصوف لان الرهبنة لها قواعد و أنظمة وشروط ونذور ولا يمكن  
توفر جميع الشروط على جميع المتصوفين بصورة طامة ، الا ان الحالات التي مر ذكرها قد  
وجدت في اولئك الخلا الذين رما أنفسهم في احضان البدعة .

وقد فرق الاطام ابن تيمية بين المعتدلين منهم وبين المغالين فمن ذلك قوله ( وقد  
تنازع الناس في طريقهم : فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقساوا : انهم مبتدعون

١ - التصوف في صراياان العصر المملوكي ص ١٣٥

٢ - المرجع السابق

٣ - الطبقات الكبرى ١٣٥/٢

٤ - المصدر السابق ١٤٣/٢

خارجون عن السنة ، وطائفة ظلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق .

والصواب : انهم يجتهدون في طاعة الله ، فمنهم الذي نسب والتقني .  
وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات ، صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسوم . فاما  
صوفية الحقائق : فهم الذين وصفناهم . واما صوفية الارزاق : فهم الذين وقفت عليهم الخوانق  
والوقوف ، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق ، واما صوفية الرسوم فهم  
المقصودون الحقتصرون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية فهم بمنزلة الذي يقتصر  
على ( زى اهل العلم ) ( ١ )

بهذا التوضيح يصنف الامام ابن تيمية الصوفية والمتصوفة وهو في جميع مؤلفاته  
لا يحيد عن هذا المنهج فتراء يشنع على المغالين المتدينين وعيب عليهم محاكاتهم  
لاهل الكتاب وتشبههم بهم .

هذا . . . ومن انصافه لاهل الحق أنه فرق بين هؤلاء وبين الاولياء فمن ذلك  
قوله ( وكرامات الاولياء حق باتفاق أئمة أهل الاسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها  
القرآن في غير موضع ، والا حاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم  
وانما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجبية ومن تابعهم لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى  
له يكون كذابا أو طموسا عليه .

وأيضاً فإنها لا تدل على عصبة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله بل  
قد تعدد بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بموالاتهم للشياطين ، كما  
ثبت عن الدجال أنه يقول للسلطان طرى فتطير ولأرض انهي فتنتي . وأنه يقتل واحدا  
ثم يحيه وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة .

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء وشى على الماء ، لم  
تثبت له ولاية ، بل ولا اسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله  
صلى الله عليه وسلم ( ٢ ) .

١ - مختصر الفتاوى المصرية ، للامام ابن تيمية ، ص ٥٧١-٥٧٢ - مطبعة السنة

المعدية ط ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م مصر .

٢ - المرجع السابق ص ٦٠٠

الباب التاسع :

/

موقف الاسلام من الرهينة

وحكمه عليها

وفيه فصلان :

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهينة  
الاديان الوضعية

الفصل الثاني :: موقف الاسلام من الرهبانية  
النصرانية



## الفصل الأول : موقف الاسلام من رهبنة الاديان الوضعية

بعد استعراض أصل وأصول الرهبنة الوضعية وما انطوت عليه من عقائد وما مرت به من مراحل ، وبعد الحديث عن رهبانية اهل الكتاب .

لا بد من الوقوف قليلا لتطس حكم الاسلام على الرهبنة عند الاديان الوضعية وذلك انطلاقا للعقيدة .

فقط تقدم يتضح لنا أن الاسلام الحنيف دين الفطرة ، وهو الدين الذي جعله الله تعالى لجميع البشر ، لذا فان تعاليمه تسوا على غيرها ولا يمكن مقارنتها بأي قانون أو شريعة أخرى مهيطة أهدافها وكبرت مراميها .

وحيث يدعو الرهبنة الى تعاليمها ومبادئها تنسى أو تتناسى في زحمة نصوص كتبها أنها تفتقد العنصر الشرعي المستند الى الدين السواوى الموحى به من عند الله تبارك وتعالى .

ولهذا فإننا نراها تتخبط في سارها التاريخي والعقدي والطقوي كلما ظهرت في الافق بسواد التغيير أو التجديد .

فالرهبنة المصرية القديمة التي سرت بين بعض كهان المعابد لم تستطع الانتشار والتعدد واكتساب الاتباع وانتهت على ايدي كهنتها الذين تعرفوا بوحل الرذيلة مما اضطر اخناتون آخر الأمر الى إرغامها على التلاشي والاضمحلال .

أما الرهبنة الهندوسية فقد كاد أوارها ان ينطفىء\* لولا الضياع الذي يعيشه شباب الغرب في هذا القرن والذي بات يعيش على الوهم والخيال نتيجة الطردية التسيب صيغت الحياة الغربية بصورة طامة . لذا فقد وجدت الرهبنة الهندية طريقها الى هـولاء بعد فشلها في المحافظة على كيانها ووجودها في مهدا بعد تحولها الى طريق الشعوذة والالعب السحرية التي تفتن عقول الفضوليين وضعاف النفوس .

وفي المقابل فإننا لا نجد في الاسلام الحنيف وتعاليمه تلك العبادى\* الضالسة والعقائد الضحرفة الداعية الى الشرك واتخاذ الالهة من دون الله كط هو الحال في الرهبنة الوضعية ، بل نجد في الامة الاسلامية حينما كانت منضوية تحت الخلافة الراشدة خليفة ينقاد له الناس جميعا ط دام يقم فيهم شرع الله تعالى المنزل دون تقديم أو تأليه . وليس له عليهم سوى ط طليه أدب الطاعة لولي الامر ، وبالتالي فان هذه الطاعة لم تتحول في يوم من الايام الى عبادة كط هو الحال في الرهبنة حيث اتخذ الناس ( أحبارهم ورهبانهم ) أربابا من دون الله ( بل ان الطاعة في الاسلام انما تكون فيط شرع الله تعالى ( وأطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منكم . ) ( ١ )

كما أننا لن نجد في الاسلام ما يسد عوالى التقليد الاعى كالذى سارت عليه الرهينة  
الوضعية . بشتى صورها ، فالقرآن الكريم ينمى على اولئك المقلدين لما يفضى اليه  
اتباع للهوى :

قال تعالى ( بل قالوا انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ) (١)

كما شنع القرآن الكريم على الذين اتخذوا الاصنام والوثان الهة من دون  
الله . ( ط تعبدون من دونه الا اسما سميتوها أنتم وآباؤكم ط أنزل الله بها من  
سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس  
لا يعلمون ) (٢)

( وتعبدون من دون الله ط لم ينزل به سلطانا وط ليس لهم به علم وط للظالمين  
من نصير ) (٣)

كما ان العقيدة الاسلامية خالية من تلك الخرافات والاساطير التي تستند  
اليها الرهينة الوضعية . فالاسلام يعتد على التوحيد الخالص دون الجنوح  
الى الخيال والتطمس العقائدية البالية الموافقة لاهواء النفس ونزواتها :  
قال تعالى ( ان هي الا اسما سميتوها انتم وآباؤكم ط أنزل الله بها من سلطان  
ان يتبعون الا الظن وط تهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) (٤)

ويقول ( وط لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق  
شيئا ) (٥)

فاتباع الظن في تقرير العقائد انما هو سفسف يجب ان يتنزه البشر عنه .  
كما ان الركوع الى الاهواء كقول بتفضيل الناس والارتباط في أحضان الشرك والالحاد .  
ولا أدل على ذلك من تلك النتائج التي وصلت اليها الرهينة الهندوسية  
بالذات حيث قادتها الاهواء الى الالحاد ونفي وجود الله تعالى ، وهذا ما عبرت  
عنه كتب الاوانيشاس التي صاغها الرهبان الهندوس .

١ - الزخرف : ٢٢

٢ - يوسف : ٤٠

٣ - الحج : ٧١

٤ - النجم : ٢٣

٥ - النجم : ٢٨

ومهما قيل عن الاهداف التي سعت اليها الرهينة الوضعية فان الصورة تبقى ناقصة لعدم اعتماد القوم على وحي منزل من عند الله تبارك وتعالى . فالاخلاق الحميدة لا يمكن ان تتبع الا من وحي مساوي يضمن لها الاستقرار والاستقرار في نفوس العباد ولهذا نرى الاسلام يسعى دائما الى التربية الخلقية وهي هذا الجانب بهفرسه في الفرد والمجتمع . يقول الهادي البشير : ( انما بعثت لاكمم

الاخلاق )<sup>(١)</sup> . وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم :- ( كان خلقه القرآن ) . والقرآن الكريم يحوى من التعاليم الخلقية ما يكفي لتربية البشرية جمعا على حب الفضيلة وترك الرذيلة ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا نهي القريب منهن عن الفحشاء والمنكر

والبغى يعظكم لعظمكم تذكرون )<sup>(٢)</sup> . والنماذج الفريدة التي اخرجها الاسلام للعالم كفضيلة باعطاء الصورة الصحيحة عن الاخلاق الاسلامية التي تصل في ضوئها الى القمة الساقية .

كما ان اعتماد الاسلام على الصحة في النقل وال ضبط كقيل بما يصل شرع الله تبارك وتعالى الى الخلق ، فالنصوص القرآنية محفوظة بحفظ الله تعالى ورعايته ( انّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )<sup>(٣)</sup> . فالله تكفل بهذا الحفاظ دون الكتب السابقة ، كذلك السنة المطهرة الشارحة والخسرة لكتاب الله الكريم والجنة لا حاكمه المبجلة حفظت عن طريق الثقات والعدل وهي مدونة في الكتب الستة المعتمدة من علماء الامة ومحدثيها . وقد انفرد الاسلام عن غيره بهذه الحيزة الفريدة التي جعلت من نصوص الشريعة الفراء سليمة من غش الوضامين وتطبيقات المبتدعين ، وطم رجاء الحديث كقيل بغربة السلام من السقيم وفق منهج طمى رصين قام به جهاذة الامة وطائها عبر تاريخها الطويل . ولم نجد في كتب الرهبان ومدوناتهم ومولفاتهم ما يرقى الى المقام الذي وصلت اليه كتب الشريعة الاسلامية .

على ان الاسلام في موقفه المعارض لأصل وأصول الرهينة يشق صورها الا انه لم يتجه قط الى اسلوب العنف في محاربتها ، بل ان تعاليمه السمحة دعت الى معاملة الرهبان والمنقطعين الى العبادة في الكهوف والصوامع والبيع والكنائس باللين والرأفة وهذا ما نجده جليا في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء

١ - رواه البخاري في الادب المفرد .

٢ - النحل : ٩٠ .

٣ - الحجر : ٩ .

الراشدين من بعده ومن تبعهم باحسان . تلك الوسايا التي كانت اساسا يستند اليه الفقهاء المسلمون والعلما في مؤلفاتهم الفقهية واجتهاداتهم الاصولية ولهذا نجدهم ينفردون الابواب تحت عنوان " معاملة الرهبان والمنقطعين للعبادة " . واطلة التاريخ كثيرة وهي الدالة على تصامح الاسلام والمسلمين .

وتبقى اما لنا مسألة مهمة جدا يجب الوقوف عندها قليلا . وهي مسألة انتشار دعاة الرهبنة الوضعية في الغرب تلك المسألة التي لا يجب اغفالها بحال من الاحوال . فقد استطاعت الرهبنة الهندية بصورها المتعددة وعلى وجه الخصوص اتباع هاري كرشنا وبعض الفرق البوذية من التسلل الى اوساط الشباب الاوربي الفاضح في لسجج الحياة المادية ذلك الشباب الذي أضغى يبحث عن كل جديد حتى ولو كان عبادة البقر والحجر والشجر والبشر .

ومن هنا فان المسؤولية تقع على الدعاة المسلمين ، وهذا ما يدعوه الى التشهير عن ساعد الجد والتحرك بسرعة لا يقاوم هذا الخطر الداهم .

واني اعتقد ان باستطاعة المسلمين المخلصين انقاذ هؤلاء التائهين بجهنم قليل بشرط ان تكون له صفة الاستمرارية والديمومة والطاعة . وما دام الدعاة مسلحين بالمعلم والثقافة التي تؤهلهم من للوقوف في وجه التيارات الجارفة فان النصير

سيكون حلينهم - بان الله تعالى - وما داموا متمسكين بحبله القين . فحجبة الخصم داحضة بالية لا تقف عند البرهان ويكفي للدلالة على ذلك : ان الدعة والكسل المصاحبين للرهبنة لا يزالان الصفة الاساسية التي تصبغ تلك الحياة البائسة ، وليس من تخرج عن تلك الحياة التي يعيشها الرهبان الهنود في ديارهم .

وما عند المسلمين من عقائد كليل بانقاذ الضالعين والضالعين في شبك دعاة الكفر والضلال والجمود .

والعمل الجاد الذي يمكن أن يكون له أثر في هذا الصدد هو الصهر على نشر مبادئ الاسلام السمحة وتعاليمه البسيطة الخالية من الهدع والخرافات الداعية الى عبادة الله تعالى وحده ونهذ الشرك والالحاد . والايان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن دستورا وكتابا . بهذا المفهوم البسيط يمكن للدعوة الاسلامية أن تأخذ مكانها اللائق في بقاع الارض خاصة اذا أخذنا في الاعتبار أن الاسلام دين علي ، يحارب الخيل والكسل ويأمر بالقوة الحسنة .

كما يجب التنبيه هنا على ان الارتجالية في العمل الاسلامي هي من المعوقات التي لا تخدم الصلحة العليا بشيء\* ، كما ان الفردية في العمل لا يمكن أن تكون لها نتائج طيبة لما لم تكن ضمن اطار العمل الجماعي ، وهو الكفيل بتضافر كل الجهود من أجل الدعوة .

وسط يساعد في هذا الاطار: الاتجاه نحو الدراسة المنهجية والجدانية ورصد التحركات المعادية للإسلام وذلك لايجاد المناخ الملائم والظروف الكفيلة بوضع الخطط السفاهة لتلك التحركات .

ولا بد أولاً وآخراً من الاخلاص والصدق في العمل وان يكونا رافدين لأي مشروع في هذا المضمار .

كما لا يفوتني هنا التأكيد على ان الجامعات الاسلامية والمعاهد الشرعية والمؤسسات التعليمية في الدول الاسلامية معنية بايجاد التخصصات المطلوبة في هذا الشأن وتبني الدعاة واعدادهم وتسهيل امورهم وتذليل الصعاب امامهم لاداء ما امرهم الله تعالى به نحو دينهم :

( كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتوفون بالله ) ( ..... ) ( ١ )

## الفصل التاسع:

### موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها

بعد استعراض الاسس العقدية والسلوكية للرهبانية وما انطوت عليه من اراء وعقائد ، وما طرأ عليها من تطورات داخلية وخارجية وما رافقها من فتن ومحن .

كان من ضرورات هذا البحث ، بطل من صلب موضوعه التعرف على موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها من خلال نتائجها .

فالاسلام الحنيف دين الله تعالى القيم وحبله المتين ، نسخ بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشرائع السابقة وهيمن بالقرآن الكريم على الكتب السالفة ، ووجه البشرية الى صراط الله المستقيم ، صراط لا تبدل فيه ولا تغيير ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ) (١)

وقد قص القرآن الكريم اخبار الامم السالفة وما وقعت فيه من انحراف عقدى وسلوكي ، وحذرنا من اتباع سبلهم ، واعطانا البراهين الساطعة والادلة القاطعة على فساد هذه السبل وضلال تلك النحل .

ومن بين ذلك ما تحدث به القرآن الكريم عن الرهبانية التي اعتبرها حالة مبتدعة وطريقة مخترة . ان يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الحديد :

( ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ، وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ) (٢)

اما معنى الرأفة : فهي اشد الرحمة ، ورأف به رأفة أي : اشفق عليه من مكروه يصيبه ، والرأفة من الله : دفع السوء (٣) .

ومعنى الرحمة : يقال رحمه رحمة ومرحمة ورحم : اى رق له قلبه وعطف عليه ، فالرحمة هي الرأفة والتعطف ، ان الله تبارك وتعالى جعلهم : ( متوادين - بعضهم مع بعض - كما وصف اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك )

١ - فعلت : ٤٢

٢ - الحديد : ٢٧

٣ - الصحاح للجوهري ١٣٦٢/٤ مادة رأف وانظر كذلك معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٩٠ نفس المادة .

في قوله تعالى ( ..... رحمة\* بينهم ) (١)

أما كلمة رهبانية : فهي الفعلة النسبية للرهبان وهو الخائف ، وقد  
مر ذكرها اثنا\* الحديث عنها لغة واصطلاحاً . (٢)

( ابتدعوها ) يقال : بدع الشيء\* اخترعه وأنشأه على غير مثال سابق  
وبدع وابتدع اتى بالبدعة ، والبدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال .  
ومعنى ذلك اى : احدثوها من غير ان يشرعها الله . (٣)

( ابتغاه\* ) يقال : ابتغى الشيء\* ابتغاه\* طلبه ، وهو أكثر ما يستعمل  
في الطلب . (٤)

( رضوان ) اى الرضا ورضيت الشيء\* وارتضيته فهو مرضى (٥)

( رهوها ) من رهى : يقال رهى حرته اى حفظها حفظاً . (٦)

( فاسقون ) من فسق ، يقال : فسق كل ذى قشر اى خرج عن قشره  
ويقال : فسقت الرطبة عن قشرها اى خرجت من قشرتها وأصل الفسق في اللغة  
الخروج عن الشيء\* وفسق فلان يفسق : عصى وجاوز حدود الشرع فهو فاسق والفسق  
والفسوق : العصيان (٧)

١ - الفتح : ٢٩ ، وانظر في معناها : معجم الالفاظ ص ١٩٧ والمصاح

١٩٢٩/٥ وتفسير الفخر الرازى ٢٩/٢٤٥

٢ - راجع ص ( ١ - ٢ ) من هذا البحث وانظر الكشف للزمخشري ٦٧/٤

٣ - انظر : معجم الالفاظ ص ٥٩ والمصاح ١١٨٣/١-١١٨٤ والتسهيل  
لعلوم التنزيل لابن جزي ١٨٢/٤

٤ - معجم الالفاظ ص ٧٢ والمصاح ٢٢٨٢/٦

٥ - الصحاح ٢٣٥٧/٦ ومعجم الالفاظ ٢٠٤

٦ - معجم الالفاظ ص ٢٠٥

٧ - معجم الالفاظ ٣٩٨

وقبل الحديث عن المعنى الاجمالي للاية ينبغي التوقف للاشارة  
الى ان الاية الكريمة فيها سألان اعرابتان :

الاولى في قوله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها )

فقد ذهب جمهور المفسرين والمعلماء الى ان كلمة ( رهبانية ) منصوبة  
بفعل مضمر يفسره المذكور اى : ابتدعوها رهبانية ابتدعوها فهي من باب الاشتغال<sup>(١)</sup>

اما السئلة الثانية فهي في قوله تعالى :

( ما كتبتاها عليهم الا ابتغا\* رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ) .

فقد ذهبوا ايضا الى ان الاستثناء هنا منقطع ، وطيه فان معنى الاية<sup>(٢)</sup>

يكونون : ما فرضناها نحن عليهم راسا ، ولكنهم ابتدعوها ابتغا\* رضوان الله  
فد منهم حينئذ بقوله ( فما رعوها حق رعايتها )<sup>(٣)</sup> .

وقد استدلل بعض العلماء على ذلك بما ورد من قراءة عبد الله بن مسعود  
رضي الله عنه ( ما كتبتاها عليهم لكن ابتدعوها )<sup>(٤)</sup> .

١ - راجع في هذا الموضع : فتح القدير للشوكاني ١٧٨/٥ والجامع لاحكام  
القرآن للقرطبي ٢٦٣/١٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٤٨٤ ، والكشاف  
للزمخشري ٦٧/٤ ، والتفسير الكبير للرازي ٢٤٥/٢٩ ، وزاد السير في طم  
التفسير لابن الجوزي ج ٢ م ١٢ ص ١٧٦

٢ - راجع في هذا الموضع : تفسير ابي السمود ٢٨٣/٥ والكشاف ٦٧/٤  
ومحاسن التأويل للقاسمي ٥٦/١٦ مجلد ٩ والجامع لاحكام القرآن ٢٦٣/١٧  
هذا وقد رد الامام ابن القيم ما يخالف هذا الاعراب وقال : فالصواب

انه منصوب على الاستثناء المنقطع اى : لم يفعلوها ولم يبتدعوها الا لطلب  
رضوان الله ( راجع التفسير القيم ٤٨٤-٤٨٥ )

٣ - :

ارشاد العقل السليم لابي السمود ٢٨٣/٥

٤ - : التسهيل لابن جزي ١٨٢/٤



هكذا وأما ما يتعلق بمطلول الآية : ففي قوله تعالى  
( فلما رءوها حق رءايتها ) فقد قيل ان الشارالمهم هم :

( اولا : الذين ابتدعوا الرهبانية ، قاله الجمهور ، ثم في معنى الكلام

ثلاثة اقسام :

احدها : انهم ما رءوها لتبدل دينهم وتغيرهم له قاله  
عطية المعنى .

الثاني : لتقصيرهم فيما الزموا انفسهم .

الثالث : لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم ، ما  
رءوها بسلوك طريق اولهم ، روى هذا المعنى سعيد بن  
جبير عن ابن عباس . ( ١ )

وهكذا يتجسه معنى الآية الى اتهام النصارى بانهم ابتدعوا  
الرهبانية من عند انفسهم وانصبا لم تكتب عليهم أصلا ولم يأمرهم بها محسبي  
عليه السلام بل هم اخترعوها تقربا الى الله ولم يراعوها وقد نسوا أن التقرب  
اليه انما يكون بالمعابدات التي شرعها هولا التي يقرررها البشر .

ولا يمكن قبول دعوى ان الله تبارك وتعالى قد فرضها عليهم  
بعد محسبي وذلك لعدم وجود الدليل وبالتالي : كيف يفرض عليهم أمرا دون وهي  
وقد رفع محسبي من الأرض . ؟

اما الدعوة بانهم طرمون بها لكونهم نذروا انفسهم لها ومن نذر قرره  
فعلية ان يتمها . فليس هذا على اطلاقه لان العبد يمكن ان ينذر قرره يستحيل  
عليه المحافظة عليها او الاستمرار فيها ، او الابتداء بها . فهذا لا يمكن قبوله  
والرهبانية من هذا القبيل فيها نذورا يمكن للانسان ان يحتلها لكونها مخالفة  
للفطرة البشرية السليمة ومن الصعب الاستمرار فيها بل من المستحيل ، وقد  
مر في ثنايا البحث التعرف على كيفية فشل الحياة الرهبانية وانعكاس آثارها

السبب على المجتمع ككل ، والذي اسهم في بروز التناقضات في العالم المسيحي  
وخروجه عن الصراط السوي .

كما تؤكد هذه الحقائق مرة أخرى أن أصل هذا البلاء هو الابتداء  
في الدين وهذه الآفة الخطيرة هي التي جلبت على النصارى وعلى غيرهم الانحراف  
العقدي وقد تعرض المصلحون لبدعة الرهبانية وقد بسطوا الحديث  
عن البدعة الحقيقية ، والبدعة الإضافية (٢) .

#### ١ - البدعة الحقيقية :

هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا  
استدلال معتبر عند اهل العلم ، لا في الجلة ولا في التفصيل ، ولذلك سميت  
بدعة لانها شيء مخترع على غير مثال سابق وان كان المبتدع يأتى ان ينسب  
اليه الخروج من الشرع ، انه هو مدع انه داخل بما استنبط تحت مقتضى الأدلة  
لكن تلك الدعوى غير صحيحة لا في نفس الامر ولا بحسب الظاهر .

#### ٢ - البدعة الإضافية :

هي التي لها شائتان احداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من  
ذلك الجهة بدعة والاخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقية .  
فلما كان العطل الذي له شائتان لم يتخلص لاحد الطرفين وضعنا  
له هذه التسمية وهي ( البدعة الإضافية ) .

كتاب : الاعتصام للامام الشاطبي ٢٨٦/١ - ٢٩٠

دار المعرفة ت: محمد رشيد رضا ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بيروت

وقد تحدث الامام الشاطبي عن ابتداء الرهبانية وقارن ما فيها من بدع ، وما ذهب اليه العلط\* من اقوال ، وقد اجري قاعدتي البدعة الحقيقية والاضافية على الرهبانية وبرز بينها ، وقد اعتبر ما ابتدئته النصرانية بدعة حقيقية مشيرا الى ان ذلك هو قول اكثر العلط\* . ( ١ )

كما ذهب الشيخ طي محفوظ رحمه الله كذلك الى انهـا بدعة حقيقية . ( ٢ )

وطيه فطامت الرهبانية من البدع الحقيقية فهي قربة مخترة على غصير مثال سابق في شريعة موسى طيه السلام ومن ثم فان الاية الكريمة تنهيمهم بعدم أن ألزموا أنفسهم بأنهم لم يراعوها حق رعايتها ( ولقد كان من المتوقع ألا يراعوها حق رعايتها أي لا يصبروا على تكاليفها فهي سباحة ضد التيار تيار الحياة . . وجهد مجهد لا يصبر طيه كثيرون .

اما ان تنقلب وهي الضوطة بالتقوى والزهد والتعفف والارتفاع عن الشهوات الى مائة للقدارة الحسية والمعنوية يتعفف الرجل العادي والفتاة ، العادية ( عنها ) فهذا لا يمكن ان يتوقع على الاطلاق . فاذا كانوا لا يصبرون على تكاليفها فما الذي يجبرهم على الضي فيها وهي تطوع غير مفروض ؟ اما ان يستمروا فيها عنوانا ولافتة ومظهرا خادما ومائة للشـذوذ الجنسي بين الرجال والرجال والنساء والنساء بالاغافة الى ما يحدث من العلاقات السرية بين اديرة الرجال والنساء فهذا امر يشده الحس ويهـمـث

١ - راجع : الاهتمام ، ٢٩١/١

٢ - راجع الابداع في سفر الابداع ص ٥٥-٥٦ ط ٧ دار الاهتمام بمصر .

- ولم يكن هذا الحكم قاصرا على طائفة المسلمين فقط بل ان مؤلفات طـمـا

المسيحية ايضا خاصة بعض المتأخرين منهم يهـم الرهبانية بانها بدعة ، فمن ذلك ما قاله صاحب ( ربحاته النفوس في الباب السابع عشر في الرهبنة : ان الرهبنة قد نشأت من التوهم بان الانفراد عن معاشر الناس واستعمال التقشفات والتأملات الدينية هي ذات شأن عظيم ولكن لا يوجد سند لهذا الوهم فـسـي الكتب المقدسة لان مثال المسيح ومثال رسله يضاف انه باستقامة فانهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد بل كانوا دائما مخططين بالعالم يعملون وينصحبون ، ونحن نقول بكل جرأة ، انه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة ولا يوجد امر من اوامره يلزم بها ، بل العكس فان روح الكتاب : و فـحـوا يضاف كل دعوى مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات

على التقزز والنفور... (١)

على انه من الملاحظ في الآية الكريمة وجود انصاف لفئة آمنت بالحق واتبعته فاتاها الله اجرها . من ذلك قوله تعالى ( فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم ) يعنى الذين امنوا الايمان الخالص من شوائب الشرك ولا يتداع ومن الايمان بمحمد صلوات الله عليه المبشر عندهم . (٢)

ويتضح ايضا ان بعض هؤلاء لهم اجرهم جزاء ما التزموا به تجاه مولا هم الحق دون ان يغيروا في اصول الدين ، فلم يحدثوا فيه ما ليس منه حتى بعثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما عرفوا به آمنوا واتبعوه ولهذا جاء القرآن الكريم بانصاف هؤلاء المؤمنين في آيات اخرى منها قوله تعالى :

( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحَارِي ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَسَمَ بِنَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا مَا كُنْتُمْ مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَشَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْحَسَنِينَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ) (٣)

= ولكن مع ان الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية ، فقد ظهر الميل الشديد اليها في الكنيسة في اواخر الجيل الثاني واول الجيل الثالث ، وايد بعض الباحثين المقاومين لها وقتئذ انها طاعة سر لل مسيحيين من الهنود الوثنيين فان لهم انواعا كثيرة من عبادات تأمر كسبنتها بالبتولية والامتناع عن اكل اللحم وامورا اخرى مقرونة بخرافات . ثم قال ، ومع ان الرهبنة حمل طيها مقاومة من العقلاء ، امتدت وانتشرت في السكونة . . . . . ويقول صاحب كتاب السبراهيم الانجيلية ضد الاباطيل الباطنية : وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية قط فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح . . . . . محاسن التأويل للقاسي مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨-٥٩

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٢

٢ - محاسن التأويل مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨

٣ - الطائفة ٨٢-٨٦ ، وهذه الفئة التي آمنت كانت قليلة لهذا بين الحق السمة الغالبة على اتباع الرهبانية بقوله ( وكثير منهم فاسقون ) خارجون عن الايمان بما امروا به ( فتح القدير ٥/ ١٢٨ ) . ولانهم لم يحافظوا على نذرهم ( الكشف ٤/ ٦٨ ) ذلك النذر الذي كتبوه على انفسهم ولم يستطيعوا الصبر عليه فارهبوا كاهل العباد وطيه فان ابتداعهم اورثهم اثم عظيم وفتح طيهم بابا كبيرا للمعاصي والذنوب وهبهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . . . وهكذا انتهت رهبانيتهم الى ان تصيح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح وان يتخذها الكثيرون مظهرها طارها من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها الا عدد قليل منهم ) : الظلال ٦/ ٣٤٩٥ .

وقد أخرج الواحدى عن ابن الضمير قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى وكتب معه كتابا الى النجاشي ، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه فأرسل العتي الرهبان والقسس وجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم عليها السلام فآمنوا بالقرآن وقاضت أنفسهم من الدمع وهم الذين أنزل فيهم : ( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعَارِي ) الى قوله ( فاكثبنا مع الشاهدين ) . ( ١ )

هذا ويتعلق بالآية أحاديث وأثار توضح موقف السنة النبوية من الرهبانية وتوجه الامة نحو الطريق الاصل . فمن ذلك :

ما رواه الامام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ( كانت طوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة ، قيل لطوكهم نبت نجد شتط أشد من شتم يشتتنا هؤلاء . انهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) وهؤلاء الآيات مع ما يعميونا به في أعطانا في قرايتهم فادعهم فليقرءوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آتينا فدعاهم فجمعهم وهرس عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل ، الا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون منا الى ذلك ؟ دعونا . . .

فكانت طائفة منهم آمنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ، ثم اعطونا شيئا نرفع به طعمانا وشرابنا فلا نرد عليهم . وقالت طائفة منهم : آمنوا لنا دورا في الفياضي ونحترق الابارا ونحترق البقول ، فلا نرد عليهم ولا نمر بهم ، وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم . قال : ففعلوا ذلك فانزل الله عز وجل : ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، والاخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما ساج فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بما يمان الذين اقتدوا بهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدبر من دبره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تبارك وتعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ) أى أجريين بما يمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبما يمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصدقهم وقال : ( يجعل لكم نورا تشون به ) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم ( ٢ )

- ١ - انظر : اسباب نزول القرآن : للواحدى . ت : سيد أحمد صقر ص ١٩٢ .
- ٢ - انظر سنن النسائي ٢٣٣-٢٣١/٨ كتاب اداب القضاة باب ما يهل قوله عز وجل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ( وسند الحديث فيه عطلاء ابن السائب ( وقد اخطط في آخر ) عصره ولكن سفيان الثوري سمع منه قبل

وروى الامام الطبري قال : حدثني بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ( وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة فهاتان مسن الله والرهبانة ابتدئ بها القوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وارادوا رضوان الله فطاعوها حق وطاعتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع (١) )

كما حفلت كتب السنة الطاهرة بالنهي عن الترهيب وامرت بالبعد عن الرهبانية لانها لم تشرع لهذه الامة ولم تكن من تعاليم الاسلام فقد روى الامام احمد بسنده عن عروة رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ امْرَأَةً عِثَانَ بْنِ زَطْعُونٍ أَحْسَبُ اسْمَهَا خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ عَلَى طَافِئَةٍ وَهِيَ بِأَذَى الْبَهِيئَةِ فَسَأَلْتُهَا مَا شَأْنُكَ فَقَالَتْ زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ يَصُومُ النَّهَارَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ طَافِئَةَ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِثَانَ فَقَالَ : يَا عِثَانُ إِنَّ الرِّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ طِينًا أَفَمَا لَكَ فِئْتِي أَسْوَةٌ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحَدِّهِ . (٢)

كما جاء في سنن الدارمي عن نفس القصة . . . فقال يا عِثَانُ إِنِّي لَمَّا أَوَّعْتُ بِالرِّهْبَانِيَّةِ ، أَرْضَيْتَ عَنْ سُنَّتِي ؟ قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِنِّي سُنَّتِي أَنْ أَصْلِيَ وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُطْعِمُ وَأُنْكَحُ وَأُطْلِقُ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي يَا عِثَانُ إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . . . (٣)

= الاختلاط كما تقدم في ترجمة عطاء . وهو متعل حيث قد سمع بعضهم من بعض فعلى هذا يكون اسناد حسن ( تفسير ابن عباس . د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ٨٦٧/٢ بجامعة ام القرى الكتاب الثالث والخسون .

وراجع كذلك جامع الاصول لابن الاثير ٣٧٧/٢-٣٧٨ وجمع الفوائد ١٧٧/٢ والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، مجلد ٨ جز ٢٧/٦٥ ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ١ - جامع البيان للطبري ١٣٨/٢٧

٢ - سند الامام احمد باب النكاح ٣٧/٦ ط : المكتب الاسلامي وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد عن قصة عِثَانَ بْنِ زَطْعُونٍ فقال ( واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق اني اخشاكم اسندها احمد ووصلها المزار برجال ثقات ) مجمع الزوائد ونبع الفوائد للحافظ ابي بكر الهيثمي بتحريه العراقي وابن حجر ٢٠١/٤ ط ٣ دار الكتاب العربي لبنان ١٤٠٢-١٩٨٢

٣ - سنن الدارمي لابي محمد عبد الله الدارمي ١٣٣/٢ دار احياة السنة النبوية .

كما جاء في غريب الحديث لابن قتيبة ( قال ابو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تهتل ولا سياحة في الاسلام ) حديثه اي حديثه محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابي اسحق عن سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاووس ( ١ )

كما روى ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والاثار : حديث ( لا رهبانية في الاسلام )<sup>(٢)</sup> وقد تعقب المعجلوني هذا الحديث فذكر ان ابن حجر قال فيه : لم اراه بهذا اللفظ لكن في حديث سعد ابن ابي وقاص عند البيهقي ( ان الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة )<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نجد الاسلام مثلاً بالقرآن والسنة المطهرة ، ينهى عن أسس الرهبانية ، عقيدة وسلوكا ، وكل ما يمت اليها بصفة ( لانها ضادة لدفع الحياة السوية التي خلقها الله لتعمل لا لتكبت وتحجز عن الحركة والنشاط ، فقد جعل الله الانسان خليفة في الارض وكلفه عمارتها : ( هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ، وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا )<sup>(٤)</sup> ومن اجل القيام بأمر الخلافة اي الهيمنة والاشراف والتكثف ومن اجل القيام بعمار الأرض ، اودع الله الفطرة مجموعة من الدوافع المحركة الى العمل والنشاط )<sup>(٥)</sup> .

فهذه الحوافز التي تعين الانسان على ضبط اموره لن تشكل اي خطر عليه ما دام ملتزماً بمنهج القرآن الكريم للسير في هذا الطريق وقد اتسبح للبشرية تطبيق هذا المنهج في التاريخ الاسلامي فوجد فيه افذاذ استطاعوا التخفيف

١ - : غريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم ١/٤٤٤-٤٤٧ ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ طبعة المعاني بغداد د . عبد الله الجبوري ، وانظر كذلك الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/١٢٢-١٢٣ ومعنى الزمام في الحديث الخيط الذي يشد في البقرة او في الخشاش ثم يشد في طرفه العقود انظر الصحاح ٥/١٩٤٥ والخزام : حلقه من شعر تجعل في وثره انفه يشد فيها الزمام ( الصحاح ٥/١٩١١ )  
٢ - النهاية في غريب الحديث والاثار ، مجد الدين ابي السعادات ، ابن الاثير ٢/٢٨٠-٢٨١ ، ت : محمود محمد الطناحي ، المكتبة الاسلامية ، رياض الشيخ ط ١ ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ ،

٣ - كشف الخفايا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ، اسماعيل المعجلوني ٢/٥١٠ احد القلاش ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤ - هود : ٦١

٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠

من متاع الارض الى اقصى حد دون ان يشغلهم الشعور بالحرمان عن الحركة والنشاط والعمل بايجابية كاملة .

اولئك هم الزهاد على بصيرة وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الزاهدين وهو اكبر طاقة ايجابية حركية عرفت بها البشرية .  
ولكن الرهبانية ليست كذلك انها اعتزال . . . انها ترك للحياة الواقعية بكل ما فيها ، وليان بالاديرة المنقطعة عن تيار الحياة ،

ولقد تربي السراهب على تعود الحرمان حتى لا يعود يحس بلذع الحرمان . . . . نعم ولكنه في الوقت ذاته يفقد ايجابيته الفاعلة في واقع الارض ، ويتخلى عن دوره في عمارتها ، ويلقي طاقات كيانه فلا يتزوج ولا يحمو وجهه الارض بالنسل ولا ينتج الا شاعر ذاتيه في طي الكتان ( ١ ) .

واذا كانت الرهبانية كذلك فالاجدر بالقائمين عليها التخلي عنها والبحث عن الحق ومراجعة حساباتهم بدقة وليعلموا ان الله قد نسخ شريعتهم بشريعة الاسلام الخالية من التحريف والتزوير والابتداع .

وطيحه . . . . فقد تم التعرف على الرهبانية وشاكلتها ، تلك التي يصعب ايجاد الحلول لها الا باتباع الحق والبحث عنه .

واذا كانت الرهبانية في نظراهلها افضل الاعمال ، وهي كما يدعون خشية الخلاص فان أفضل الاعمال في نظر الاسلام هو الجهاد في سبيل الله وهو الحل الوحيد لمن اراد ان يعبد الله حق العبادة فاذا كانت الرهبانية كما يدعون بذل النفس لوجه الله فان هذه النفس بهذا الفهم لا قيمة لها طالما است معطلة عن الحركة ، تدور في ظلك لا قرار له . فان الجهاد في سبيل الله كما يقرره الاسلام هو بذل النفس والطل قولاً وعلاً لا شعاراً ولا فتنة ولهذا جاءت السنة النبوية الطاهرة تحض على ذلك .

فقد اخرج الحاكم بسنده عن معاذ بن جبل قال : كُنَّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ لِي : إِنَّ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعُودِهِ ، وَنِزْوَةِ سِنَانِهِ . قَالَ : قُلْتُ : أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ وَأَمَّا عُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا نِزْوَةُ سِنَانِهِ فَالْجِهَادُ ( ٢ ) .

١ - ١ . يتصرف: مذاهب فكرية معاصرة ص ٦١ - ٦٢

٢ - هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد اقره الذهبي

انظر المستدرک : للحاكم ٢ / ٧٦



كما اخرج الاطام احد بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه  
قال : ان رجلا جاء فقال : اوصني فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من قبلك قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وطيبك بالجهد  
فإنه رهبانية الاسلام وطيبك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك  
في الأرض . ( ١ )

كما اخرج الحاكم بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجب به  
طيبه وحسنه فقال : لو احتزلت الناس وأقيت في هذا الشعب ثم قال لا أفعل  
حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته  
في أهله ستين طمأ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله  
من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة ( ٢ )

وهكذا فان الاسلام قد حكم على الرهبانية حكماً مبرماً ، واعطى  
البشرية علاجاً ناجحاً ، فيه الخلاص والنجاة من عذاب الله يوم القيامة .  
فما على الذين حرقوا وهدلوا وغربوا سوى الرجوع الى الحق وعدم  
التأدي في السفى ، فان الله تبارك وتعالى قد اعطاهم الفرصة للايمان  
فارسل محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً ، وما زالت الفرصة  
الطاهرة مفتوحة وما عليهم الا التخلي عما هم فيه . فمن طاب وطاب وأصلح فان الله  
يستوب عليه وهو التواب الرحيم وأما من اعرض عن الحق فان معيشته ضنكا ومحشر  
يوم القيامة أعمى . . . ائذنا الله تعالى من سوء الخاتمة وثبتنا بالقول الثابت  
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، واليهنا الرشد والاحسان في أمورنا حتى  
نلقاه وهو راض عنا . اللهم آمين صلى الله على سيدنا محمد وعلى  
وصحبه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

١ - : مسند الاطام احد ٨٢/٣ وقد جمع الالباني طرق الحديث وتكلم  
عن رجاله وقال : والحديث بمجموع الطريقين عندى حسن انظر الاحاديث الصحيحة  
٨٧/٢ - ٨٩ ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

٢ - المستدرک للحاکم : ٦٨/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه  
الذهبي .

” الخاتمة ”

وفيها أهم نتائج البحث

\*\*\*\*\*

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فانه ليس من العسير بعد استقراء جوانب هذا الموضوع ان يعثر القارى على أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث .

فمن أهم تلك النتائج : ظهور وحدة التشابه العقدي والسلوكي بين أنظمة الرهينة بشكل عام وقد جمعت هذه الظاهرة في طياتها قواسم مشتركة بين منتحليها . فعلى صعيد الاسس العقدية تظهر وحدة التشابه في قضايا : التثبيث والحلول والاتحاد خاصة عند المصريين القدماء ، والهنديين ، والبوذيين واليونانيين وقد استقرت اخيراً عند المسيحيين . وأن هذا الانتقال كان نتيجة الاحتكاك بين الامم السابقة على الاسلام وتأثر بعضها ببعض ، وأن الرهينة كانت غير وسيلة لانتقال هذه العقائد بين الملل القديمة . كما ظهر انتقال الحلول والاتحاد ووحدة الوجود الى الفرق الغالية المختصة الى الاسلام زوراً . وأن الاسلام رفضها شكلاً وموضوعاً .

اما في الجانب السلوكي فقد ظهر التشابه جلياً في الطقوس والشعائر والتقاليد والانظمة الديرية ، وان وجد الاختلاف فهو في بعض الصور والاشكال ليس الا . اما المضمون فكان واحداً لدى الكل . وأن القواسم المشتركة هذه اتخذت من الاسس العقدية وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها .

وأن النذور الثلاثة : التمتلة : بالفقر والتبذل وطاعة رئيس الديـن هي الرابط الذي يربط بين أنظمة الرهينة لدى الاديان الوضعية واهل الكتاب .

اما النتائج الاخرى فتتخص في الامور التالية :

أولاً :

ان الممارسات التعبدية والشعائر النسكية التي مارستها البشرية بالوان مختلفة وما ترتب عليها من محافظة على الشكل والصورة ان هي الا دليل على حب التعبد لدى الخلق والناجم عن وجود أصل الفطرة السفسضية الى الايمان بوجود الخالق جل وعـز بفض النظر عن الاتجاه العقدي وما هيته . فالملحوظ ان الناس يحملون دأماً الى التوجه نحو المعبود ، الا ان الانحراف الديني يعود الى اولئك الذين وضعوا للناس ما يصرّفهم عن الله الخالق تبارك وتعالى ، واتخاذ أرباب من دون الله .

ثانيا : ان استغلال النزعة الفطرية لدى البشر من قبل فئة من الناس ادى الى بروز طبقات رجال الدين الذين اغتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، وان الممارسات التقشفية التي يقومون بها إنّ هي الا ستار لنيل السعة الحسنة الحظية الى تحصيل اللآرب الشخصية والامتيازات الخاصة . وان القوانين التي وضعوها للخلق تشريعا وضعا جاعا تعتبر تعد على أحكام الله تعالى الذي لسه الأمر والنهي وليس لأحد أن يحكم الناس بما لم ينزل الله تبارك وتعالى .

ثالثا : ان ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية كان ضرورة ملحة لرجاع الناس الى طريق الحق والعدل ولتنج التعدى على حرمة الله ، وارشادهم الى الخير والصالح .

رابعا : ان قد طات الطغيان في المجتمعات الدينية القديمة والحديثة وجدت بانماط متشابهة ، فكانت نتائجها لا تخطف عن بعضها ، فالترف ، والبسوخ والظلم ادى الى الحرب والخراب والدمار .

خامسا : ان الرهينة بشتى انواعها واشكالها ، نزعة ضادة للفطرة الانسانية السليمة وخروج على النوازع الكامنة في النفس البشرية . وان السلبية والكسل المصاحبين للنحى السلوكي ادى الى تأخر كبير في حضار التقدم العلمي والتقني الامر الذي افضى الى الصراع بين العلم والدين . كما ادى الى بروز الكبت الجنسي وما صاحبه ومن امراض خلقية واجتماعية ، افقت الى تدهور القيم والسل العليا .

سادسا : ان الرهينة تتحمل قسما كبيرا من الاثم لكونها سببا مباشرا في بروز الفكر الالهادي قديما وحديثا . وان الالهاد يعتبر خطرا داهيا يهدد الكيان البشري لما يحمل بين طياته من بذور التحلل العقدي والديني .

سابعا : ان صراع رجال الدين من اجل المناصب وحب الجاه والسيطرة ادى الى نشوب الحروب بين شعوب العالم المسيحي الاوربي الذي طاني من الكسوفات الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية .

ثامنا : ان الرهينة اليهودية تعتبر هتزة وصل بين الاديان الوضعية وبين رهبانية النصارى ، وان الرهينة اليونانية كان لها اثر كبير في بروز الرهينة في المجتمع اليهودي القديم .

تاسعا : ان اغلب الاراء المعقدية في الرهبانية المسيحية مبنية على اساس من الفكر الفلسفي اليوناني الوثني وان العبادى السلوكية تعود ظاهيتها الى تأثر الرهينة الهندية .

عاشرا : ان الاسلام وقف من هذه النزعات موقف الرفض فلم يقرها بل حاربها حتى لا يترك مجالا للطغيان المتحكم في رقاب الناس الذي رأيناه اثنا عرض فصول هذا البحث ، وليوجه الناس الى العمل الايجابي البنا الذي ينفذ الفرد والمجتمع بعيدا عن الاستغلال والانحراف مينا طريق العبادة الصحيحة التي تقرب العبد من ربه وتنمي شخصيته القوية على اساس قويم لا زيف فيه ولا ضلال .

احد عشر : ان الجهاد هو السبيل الوحيد لابقاء جذوة الايمان مشتعلة في قلوب الناس ، فهو الرقة التي تتنفس منها الامة وتجدد به خلاياها ، والا فسيان البدع والانحرافات ما تلبث ان تسرى في الجسم حتى تقضي عليه ، كما حصل بالنسبة للنصرانية التي ابتدعت الرهبانية هداقا لقوله تعالى :  
( ... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله — فطردوها حق رمايتها فآتينها الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ) . صدق الله العظيم . فقد عطلت النصرانية جهاد الاعداء واتخذت الرهبانية عوضا عنه ، فكان الابتداع في الدين سببا في الانحراف والضلال .

هذه أبرز النتائج التي وصلت اليها من خلال هذه الدراسة ، راجيا العلي القدير ان ينفعنا بما طمنا وزيدنا طمنا ، وبلغنا السداد في القول والعمل ، وبهين لنا سبيل الرشاد ، انه ولي ذلك والقادر عليه .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه : عروفيق الداعوق

الفهرست



## الصفحة

## - المسورة

## - ال عمران

- ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . . ) ٥٩-٦١ ٣١٧  
 ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا \* ) ١٨١ ٢٣٩-٢٣٢  
 ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . . . ) ١٩٠ ٤٩٦

## - النساء

- ( يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . . . ) ١ ٣٨٣-٣٨٢  
 ( . . . فانكموا ط طاب لكم من النساء \* ) ٣-١ ٣٩٤  
 ( الرجال قوامون على النساء \* . . . ) ٣٤ ٣٨٣  
 ( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . . ) ٤٦ ٢٥٠  
 ( ان الله لا يغفر أن يشرك به . . . ) ٤٨ ٣٥٣  
 ( . . . أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . . ) ٥٩ ٤٥٠  
 ( . . . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . . . ) ١٥٨-١٥٢ ٣٤٧-٣٢٢  
 ( يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ) ١٧١ ٣١٢  
 ( انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم . . . ) ١٧١ ٣٢٠

## - المائدة

- ( فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . . . ) ١٣-١٤ ٢٥٠  
 ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . . . ) ١٧ ٣٢١  
 ( وأتل عليهم نبأ آدم بالحق . . . ) ٢٧-٢٨ ٩  
 ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا . . . ) ٤٤ ٢٤٥  
 ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم . . . ) ٦٤ ٢٣٢  
 ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . . . ) ٧٢ ٣١٢  
 ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . . . ) ٧٣ ٣١٣  
 ( لتجدن أشد الناس هادوا للذين آثوا اليهود . . . ) ٨٢-٨٦ ٥ ٣٦  
 ( يا أيها الذين آثوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم . . . ) ٨٧-٨٨ ٣٧٤  
 ( . . . انه قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك . . . ) ١١٠ ٣٢٠  
 ( وان قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني . . . ) ١١٦-١١٧ ٣١٣

## - الانعام

- ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . . . ) ٣٢ ٣٧٤  
 ( واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ) ١١٦ ١



## الاعـــراف

الصفحة

- ( قالوا يا موسى اجعل لنا الهة ) ١٣٨-١٤٠ ( ٢٣١ )  
 ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا ) ١٤٨ ( ٢٣٢ )  
 ( وقطعتاهم في الأرض أمسا ) ١٦٨ ( ٤٤١ )  
 ( وانأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ) ١٧٢ ( ٩ )

## - التـــوبة :

- ( وقالت اليهود عزير ابن الله ) ٣٠ ( ٣٢١-٣٢٢ )  
 ( .. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) ٣١ ( ٤٥٢-٢٥٧ )  
 ( يا ايها الذين آمنوا ان كثير من الأثبار والرهبان ليأكلون أموال  
 الناس بالباطل ) ٣٤ ( ١-٢٥٦ )  
 ( انفروا خفاة وفتالا وجاهدا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ) ٤١ ( ٢٩٤ )

## - يــــونــــس :

- ( وانذا من الانسان الضال لما لجنته أوقاهدا أوقاظ ) ١٢ ( ١٠ )

## - هــــود :

- ( هو أنشأكم من الأرض واستعبركم فيها ) ٦١ ( ٥٣٩-٣٩٣ )

## - الرـــــعد :

- ( ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ) ٣٨ ( ٣٩٩ )

## - النــــحل :

- ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) ٧٢ ( ٣٩٣ )

## - الــــامــــراة :

- ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ) ٢٩ ( ٤٤٢ )  
 ( ولا تقف ما ليس لك به علم ) ٣٦ ( ٤٨٤ )  
 ( وانذا منكم الضال في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) ٦٧ ( ١٠ )  
 ( ولقد كرنا بني آدم وجعلناهم في البر والبحر ) ٧٠ ( ٤٤٢-٣٧٤ )

مريم :

- ( فناداها من تحتها الا تعزني ( ٢٤-٢٦ ) ٤٣٧  
 ( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يحترقون ( ٣٤-٣٧ ) ٣٢١  
 ( ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ( ٣٥ ) ٣١٦

طه :

- ( وقل رب زدني طمعا ( ١١٤ ) ٤٩٥  
 ( ولقد عهدنا الى آدم من قبل ( ١١٥ ) ٣٥٣  
 ( فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجه ( ١١٢-١٢٢ ) ٣٨٢

الحج :

- ( ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات ( ١٤ ) ٤٨٥

النور :

- ( وانكحوا الايام منكم والصالحين من عبادكم ( ٣٢ ) ٣٩٤ - ٤٠٠  
 - القصص :  
 ( وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ( ٧٧ ) ٤٤٢

العنكبوت :

- ( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ( ٢-١ ) ٤٠٦ - ٤٣٣  
 ( خلق الله السموات والأرض بالحق ( ٤٤ ) ٤٨٤  
 ( ... لا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ( ٤٦-٤٧ ) ٣١٣

البروم :

- ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ( ٢١ ) ٣٩٣  
 ( بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ( ٢١ ) ٤٨٣

فاطر :

- ( انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير ( ٢٤ )  
 ( انما يخشى الله من عباده العلماء ( ٢٨ ) ٤٩٦

الزمر :

- ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ( ٥٣ ) ٣٥٢

- ظافر :

١٦

( وقال رجل مؤمن من آل فرعون ( ٠٠٠ ) ٢٢-٢٣ )

- فصاحت :

٥٣٠

( لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ( ٠٠ ) ٤٢ )

- الشورى :

٥١١

( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ( ١١ )

- الزخرف :

٤٨٤

( انا وجدنا آباءنا على أمة ( ٠٠٠ ) ٢٣ )

- محمد :

٤٤١

( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ( ٠٠ ) ٣١ )

- الرحمن :

٩

( الرحمن طم القرآن خلق الانسان طمه البيان ( ٠٠ ) ٤-١ )

- الحديد :

٥١٨-٤٠٩-٣٠٥-٢

( ورهبانية ابتدوها ( ٢٧ )

- المجادلة :

٤٩٥

( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ( ٠٠ ) ١١ )

- الحشر :

١

( لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ( ٠٠٠ ) ١٣ )

٢٥٩

( لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة ( ٠٠٠ ) ١٤ )

( - المصف :

٣٢٠

( يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ( ٠٠٠ ) ١٤ )

- تبارك :

٤٤١

( هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ( ٠٠٠ ) ١٥ )

- الجـنـن :

( ومن يعص الله ورسوله فان له ثار جهنم خالد فيه أبداً ) ٢٢ ( ٠٠ ) ٣٩٩

- النـبـأ :

( يوم ينظر المرء ما قدمت بسداً ) ٤٠ ( ٠٠٠ ) ٩

- النـازـعات :

( اذهب الى فرعون انه طغى ) ٢٥-١٦ ( ٠٠ ) ١٥-١٤

- العـلـسـق :

( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) ١ ( ٠٠٠٠٠ ) ٤٩٥



- ( .. وأما ذروة سنامه فالجهاد .... ) ٥٤٠
- ( وطبك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام .... ) ٥٤١
- ( يا رسول الله اني رجل يشق علي العزوبة .... ) ٤٠٣
- ( .. يا عبادي اني حرمت الظلم علي نفسي .... ) ٣٥٣
- ( يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا .... ) ٣
- ( يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج .. ) ٣٩٣



## - فهرس نصوص العهد الجديد -

الصفحة	محتوى
٣٢٦	( .. لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس .. ) ١٧: ٥
٣١٦	( واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم ... ) ٤٥-٤٤: ٥
٣٢٧	( فأجاب وقال : لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الخالة .. ) ٢٤: ١٥
٣٧١	( حينئذ قال يسوع لتلاميذه ان اراد احد ان ياتي وراعي .. ) ٢٧-٢٤: ١٦
٣٨٧	( ..... ) ١٢: ١٩
٣٧١	( .. وكل من ترك بيوتا أو اخوة .. ) ٢٩: ١٩
٣٣٨-٣٥٥	( وحيث هم يأكلون اخذ يسوع الخبز .. ) ٢٨-٢٦: ٢٦
٣٢٢	( وقال لهم بيلاطس فلماذا افعل بيسوع .. ) ٢٥-٢٢: ٢٧
٣٠٨	( فانهبوا وتطشوا جميع الامم ..... ) ١٩: ٢٨

## - مرقس :

٣١١	( فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون .. ) ٢٨: ١٢
٣١٢	( واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها احد .. ) ٣٢: ١٣

## - لوقا :

٣٨٧	( وقال للجميع : من اراد احد ان ياتي وراعي .. ) ٢٣: ٩
٣٧١	( ومن لا يحمل صليبه ..... ) ٢٧: ١٤
٣٧١	( ان كان احد ياتي الي ..... ) ٢٦: ١٤

## - يوحنا :

٣٠٨	( في البدء كان الكلمة ..... ) ١: ١
٣٥٠	( هكذا احب الله العالم ..... ) ١٦: ٣
٣٥٩	( انا هو الخبز الحي الذي نزل من السما ..... ) ٥١: ٦
٣٥٥	( انا والاب واحد ..... ) ٣٠: ١٠
٣٥٥	( الذي رأيته فقد رأي الاب ) ٩: ١٤
٣١١	( وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك .. ) ٣: ١٧



" نصوص من رسائل اعطال الرسل "

اعمال الرسل :

- ٣٦٠ ( أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال .. ) ٢٢:٢  
٣٢٩ ( انا رجل يهودي ولدت في طرسوس ) ٢٢:٣

- رومية

- ٣٥٥ ( ولهم الاباء ومنهم المسيح ) ٥:٩  
٣٢٥- ( واط من جهة الامور التي كتبتم لي ) ٢:١-٨-٢٤  
٣٢٩ ( فصرت لليهودي كيهودي لا ربح لليهود ) ١:٢٠-٢١  
٣٨٠ ( لتصمت نساؤكم في الكنائس ) ١٤:٣٤-٣٥

- كورنثوس<sup>٢</sup>

- ٢٨١ ( ولكنني اخاف انه كما خدعت الحية حواء ) ٣:١١

- فلاطية :

- ٢٣٨ ( لان كلكم الذين عدتم في المسيح ) ٣:٢٧

- افسس

- ٣٥١ ( كمنا احبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه ) ٥:٢  
٢٨١ ( ايها النساء اخضعن لرجالكن ) ٥:٢٢-٢٥

- كولوسي :

- ٣٥٥ ( فانه فيه يحل كل مله اللاهوت جسديا ) ٢:٩  
٢٧١ ( فان كنتم قد قتم مع المسيح ) ٣:١

١ تيموثاوس

- ٢٨١ ( ولكن لست آذن للمرأة ان تعلم وتتسلط ) ٢:١٢-١٤  
٣٥٥ ( الله ظهر في الجسد ) ٣:١٦

- تيطس :

- ٣٥٥ ( منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله ) ٢:١٣





## فهرس المصادر والمراجع

## - القرآن الكريم -

- الابداع في ضار الابداع :
- الشيخ :- طي محفوظ ، دار الاعتصام ط ٧ ، صر
- الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة :
- احمد بن ادريس المالكي القرافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ - ١٤٠٦ هـ
- ١٩٨٦ م ، بيروت
- الاحاديث الصحيحة :
- ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام :
- د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس مؤسسة الرسالة - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- احكام الزواج والطلاق في الاسلام :
- د . بدران ابو العنين ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٦٤ - صر .
- اديان العالم :
- حبيب سعيد . دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية ، القاهرة
- الاديان في القرآن :
- د . محمود بن الشريف ، دار عكاظ للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٩٧٩ م
- اديان الهند الكبرى .
- د . أحمد شلبي . ، مكتبة النهضة المصرية ط ٤ ، ١٩٧٦
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم :
- لاهي السعود محمد العطادي الحنفي ، مطبعة السعادة
- عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة
- أساليب الغزو الفكري :
- د . طي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق ، دار الاعتصام ١٩٧٨ م
- اسباب نزول القرآن :
- ابو الحسن طي بن الواحدى . ت : سيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة
- الاسلامية ط ٢ ، ٤٠٤ - ١٩٨٤ المطبعة العربية السعودية .
- وكذلك طبعة : مصطفى الباي الحلي ١٣٨٧ - ١٩٦٨ صر .
- أسرار روما :
- ليوتا كسيل ت : طانيوس عده ، مطبعة الانصاف ، ابراهيم خليل ، بيروت

- اسطورة تجسد الاله
- عبد الصمد شرف الدين ، ط: جامعة الطك عبد العزيز - جدة ١٣٩٨ هـ
- الاسفار المقدسة السابقة للاسلام .
- د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م
- الاسفار المقدسة قبل الاسلام :
- د . ماهر طعيمة ، طلم الكتب ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .
- الاسلام :
- سميد حوى ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م بيروت
- الاسلام بلا مذاهب .
- د . مصطفى الشكعة : دار النهضة العربية ط ١ ، بيروت
- الاسلام بين الاديان :
- د . محمد كمال جعفر ، مكتبة دار العلوم ، مصر
- الاسلام والسيحية :
- ألفت عزيز الصمد . الاتحاد الاسلامي العالي للمنظمات الطلابية دار القرآن
- السكرم ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، بيروت
- اصول الدين
- لابي منصور عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م
- اضحلال الامراطورية الرومانية وسقوطها . :
- ادوارد جيبون ت : ليهن اسكندر ، دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ م
- اضاء توضيحية على تاريخ الطرونية :
- د . زكي النقاش ، دار لبنان ١٩٧٠
- اظهار الحق .
- الشيخ رحمة الله الهندي : ت : عبد الدسوقي ، دار احياء التراث
- الاسلامي - الدوحة قطر ١٩٨٣ م
- الاهتمام :
- للامام الشاطبي ، دار المعرفة ت محمد رشيد رضا ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :
- فخر الدين محمد بن عبد الخطيب الرازي ، ت : طلي سامي النشار ، دار الكتب
- العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعلاء المنن :
- لفراحد العثمني ت : اشرف طلي الشهانوي ، ادارة القرآن والعلوم الاسلامية
- كراتشي باكستان .

- الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام .
- للاعلام القرطبي ت : د . احمد حجازى السقا ، دار التراث العربي ١٩٨٠ ، مظر
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :
- شس الدين محمد بن عبد الرحمن السقاوى : غنى بنشره : القدسي  
مطبعة الترقى ١٣٤٩ هـ .
- اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس
- د . حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨
- اظافة اللهبان
- محمد بن ابي بكر ، ابن القيم الجوزية ، دار المعرفة ت : محمد حامد  
الغني ، بيروت - لبنان .
- الافريسق تاريخهم وحضاراتهم
- سيد احمد طي الناصري ، دار النهضة العربية
- افترقات المبشرين طي آيات القرآن الكريم .
- د . محمد جمعة عبد الله ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- الافصاح عن معاني الصحاح :
- يحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السميدية بالرياض ١٩٨٠
- أقانيم النصارى :
- د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ، القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- الزام القرآن للملادين والطلين :
- د . سيد احمد رمضان السير ، دار الطباعة المحمدية بحمص ط ١ ، ١٣٩٩ هـ
- ١٩٧٩ م
- آلهة في الاسواق :
- د . روف شلبي ، دار القلم ط ٢ الكهت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- امراطورية جستنيان :
- د . اسمت فهم ، دار المجمع العلمي بجد ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م
- الانسان في ظل الاديان :
- د . عاترة نجيب مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م
- امتاع الاسماع :
- تقي الدين القزويني ، ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بد ولسة  
قطر ط ٢
- الانجيسل : ( العهد الجديد )
- جمعية الكتاب المقدس في الشرق الادنى بيروت ١٩٧٠

- انجيل برنابسا :
- ت : سيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١ ١٣٩٢ هـ
- انجيل يوحنا
- ت : هميس سابا ، مكتبة صادر بيروت ط ١٩٥٣
- الانجيل والمصليب :
- عبد الاحد داود ، ط ١٩٥١ مصر
- انطاكية القديمة :
- جلانفيل داوئي ت : ابراهيم نصحي ط ١٩٦٧ ، القاهرة
- الانسان بين الاديان
- د . محمد كمال جعفر ط ١ قطر .
- الانسان بين المادية والاسلام :
- محمد قطب ، ط ٧ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- اوربها المصور الوسطى
- د . سميد عبد الفتاح طشور ، مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠
- بحوث في الاسلام والاجتماع :
- د . طي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ١ القاهرة
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد :
- ابو الوليد محمد بن رشد القرطبي الاندلسي ، دار الفكر مكتبة الخانجي
- من النسخة البولوية
- بستان الرهبان :
- لاباء الكنيسة القبطية ، ط ٢ لجنة التحرير والنشر بطرانية بني سيف البهنسا
- مصر .
- بلادنا فلسطين :
- مصطفى مراد الدباغ ، منشورات دار الطليعة بيروت ط ٢ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- البناية في شرح الهداية ،
- بدر الدين محمود بن احمد العيني ، تصحيح المطوى محمد عمر الشهبندر
- بناصر الاسلام الراجوري . اشرف طي تصحيحه الشيخ زهير كيسي ، ١٤٠٠ هـ
- ١٩٨٠ م .
- بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية .
- د . عبد الشكور محمد اطان العروسي رسالة دكتوراه جامعة ام القرى مكة المكرمة
- ١٤٠٢ هـ

- البوذية :
- هنري ارقون ت : هنري زغيب منشورات العربية ، الطبعة البولسية  
جونية لبنان ١٩٧٥
- تاج المروس من جواهر القاموس :
- محمد مرتضي الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ببيروت ط ، ١٣٠٦ هـ
- تاج اللغة وصحاح العربية : - اسطاعيل بن حطاب الجوهري
- للجوهري ، ت : احمد عبد الخفور عطار ، ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- تاريخ الادب ان وفلسفتها :
- طه الهاشمي دار مكتبة الحياة ببيروت ، ط ١٩٦٣
- تاريخ الاسلام في الهند
- عبد النعم النمر ط ١ - ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م
- تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر
- ميرل د ميناء ، ت : ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة الشعل ببيروت
- اشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الاوسط ط ٣ ببيروت .
- تاريخ أهل الذمة في العراق .
- د . توفيق سلطان اليوزكي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- العراق .
- تاريخ اوربا العصور الوسطى
- هـ . أ . فيشر ، ت : محمد مصطفى زيادة - السيد الباز العربي ، دار مصر
- ١٩٦٦ .
- تاريخ البشرية :
- ارنولد تينيني ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية للنشر ببيروت ١٩٨١
- تاريخ التراث العربي :
- فواد سيزكين ، ت : د . محمود حجازي ، د ادارة الثقافة والنشر ، جامعة
- الامم محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تاريخ الحفارات العام ، القرون الوسطى
- اد واربروي ، موريس كروزيه ، منشورات عهديات ببيروت - لبنان
- تاريخ الحفارات العام :
- اندره ايثار بجانب ايويه ط ١ - ١٩٦٤
- تاريخ الحفارة في القرون الوسطى والحديثة :
- محمد كرد طي ، طبعة التقدم ، مصر .



- تاريخ العالم :
- أ. هارتن ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢
- تاريخ الفحشاء : او تاريخ الاداب العسوية
- عبد الكريم التتير ، ط ١٩١٢ لبنان .
- تاريخ الفرق الاسلامية :
- علي مصطفى الفراهي ، مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ ١٩٨٥
- تاريخ فلسطين القديم
- ظفر الاسلام خان ، دار النفايس بيروت ط ٤ - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م
- تاريخ الفلسفة اليونانية
- يوسف كرم ، دار القلم ، طبعة جديدة بيروت لبنان
- تاريخ الكنيسة الشرقية :
- الاب البيراينا ، الطبعة العصرية ، الموصل ، العراق .
- تاريخ الطائفة العلوية :
- شاهين مكارهوس . دار طارون عبود ط ٤ ١٩٨٤ م
- التبشير المسيحي في منطقة الخليج :
- احمد فون دنفسر
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية :
- د. مصطفى خالدى ود. عرفوخ ، المكتبة العصرية بيروت ، صيدا
- ط ٤ - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- التبشير في الدين :
- لاي الطنفر الاسفراييني ت : كمال يوسف الحوت ط : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق
- فخر الدين بن عثمان بن علي الزيلعي ط ١٣١٣ هـ بولاق .
- تثبيت دلائل النبوة :
- القاضي عبد الجبار الهيداني ، ت : عبد الكريم زيدان ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت
- التحرير في المعجم الكبير :
- لاي سعد عبد الكريم محد السمعاني التميمي ، ت : خير ناجي سالم ، طبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م
- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى
- محد بن عبد الرحمن الحارثي ط ١٣٨٧ - ١٩٦٧

- تحفة الارب في الرد على أهل الصليب :
- عبد الله الترجمان السيوري ت : عروفيق الداوق ، رسالة طجستير ، جامعة  
ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ
- تحفة المريد شرح جوهره التوحيد :
- ابراهيم محمد البيجوري ، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣
- تحفة النظار في غرائب الامار وعجائب الاسفار :
- محمد بن عبد الله الطواتي ( ابن بطوطة ) ت : احمد العوامري بك ، محمد  
احمد جاد السولي بك ط بولاق ١٩٣٩ .
- تحقيق ط للهند من مقولة مستقبولة في العقل او مردولة
- لاهي الريحان المبروني ، دائرة المعارف العشانية بحيدرآباد الدكن الهند  
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م
- تراث الاسلام :
- شاغت وبوزورث ، ت : حسين مؤنس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
الكويت .
- التراث اليهودي الصهيوني :
- صبري جرجس عالم الكتب ط ١ القاهرة ، ١٩٧٠ م
- تربية الاولاد في الاسلام :
- عبد الله ناصح طوان ، دار السلام للطباعة والنشر ٢٤٠١ - ١٩٨١ ط ١ بيروت
- التسهيل لعلوم التنزيل :
- ابو القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلي الفخرناطي :
- ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة  
حسان مصر
- التصوف ، طريقا ، وتجربة ، وذهبا
- د . محمد كمال جعفر ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠
- تطور الفكر الديني في مصر القديمة :
- جيمس هنري برستيد ت : زكي موسى دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع مصر  
١٩٦١
- التعريفات :
- لاهي الحسن طي بن محمد الجرجاني ، دار التونسية للنشر ١٩٧١ تونس
- التفرقة بين الاسلام والزندقة :
- لاهي حامد الغزالي ت : د . سليمان دنيا ط ١ ١٩٨١ - ١٩٦١ دار احيا  
الكتب العربية ، عيسى الباهي الطلي .

- تفسير ابن عباس : ومروياته في التفسير من كتب السنة :
- د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ، جامعة أم القرى ، الكتاب الثالث والخمسون ، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .
- تفسير غريب الحديث ، مرتبا على الحروف
- لا بن حجر العسقلاني ، ت : ذكرها علي يوسف ، مطبعة الاطام - مصر
- تفسير القرآن العظيم
- لا بن كثير ، المكتبة الشعبية
- التفسير القيم
- لا بن القيم ، جمعة محمد ابي الندوى ت : محد حاد الفقي ، لجنة التراث المصري ، بيروت .
- التفسير الكبير :
- فخر الدين الرازى ، المطبعة الميمنية المصرية ، ط ١ ١٤٥٧-١٩٣٨
- وط ٢: دار الكتب العلمية طهران
- تفسير المنار
- محمد رشيد رضا دار المعرفة ط ٢ بالافست
- تفسير الميسر
- لا بن الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨هـ
- تهيد الاوائل وطخيص الدلائل :
- لا بن بكر محمد بن الطيب الباقلائي . ت : طاد الدين احمد حيدر
- مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م
- التنظيم الرهباني في الكنيسة الطارونية
- الاب يوسف محفوظ . ت : الاب يوحنا خليفة ، المركز الوطني للبحوث العلمية
- في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ م مطابع مؤسسة الارز .
- تهافت العلطانية .
- د . طاد الدين خليل . مؤسسة الرسالة . ١٣٩٩هـ - ١٩٦٩ م
- التوراة بين الوثنية والتوحيد :
- سهيل دين ، دار النقايس بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١
- التوراة السامرية
- ت : د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ط ١ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ القاهرة

- جامع الاصول في احاديث الرسول :
- لابن الاثير الجزري . ت : عبد القادر الارناؤوط ، ط ١٣٩٢-١٩٧٢
- جامع البيان في تفسير القرآن :
- لابي جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠
- الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية
- د . محمد البهي ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧
- الجامع لاحكام القرآن :
- للإمام القرطبي ، محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ١٩٥٧ ، وط ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
- جسيم الفوائد ، الجامع لكتب السنة المطهرة
- محمد بن سليمان الورداني المغربي ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :
- للإمام ابن تيمية . مطابع المجد التجارية
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية :
- فايد حاد طشور ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- الحافظ الخطيب البغدادي وآثره في علوم الحديث :
- د . محمود الطحان ، دار القرآن الكريم ط ١ بيروت ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١
- حرب في الكنائس :
- د . أسد رستم ، ط ٢ بيروت ١٩٦٧
- الحركات الباطنية في الاسلام .
- مصطفى طالب ، دار الكتاب العربي بيروت
- الحركة الصليبية :
- د . سعيد عبد الفتاح طشور مكتبة الانجلو المصرية ط ٣ القاهرة ١٩٧٨ م
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :
- للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابوالفضل ابراهيم دار احيا
- الكتب العربية هيبي الباهي الحلبي ط ١ ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧
- حضارات الهند :
- فوستاف ليهون ت ، طادل زعتر دار احيا الكتاب العربي القاهرة ، هيبي
- الباهي الحلبي ط ١ ١٣٦٧ - ١٩٤٨

- حضارة العرب :
- فوستاف ليهون ، طادل زحتر القاهرة طبعة عمى البابي الحلبي ١٩٦٩ ،
- حكمة الاديان الحية :
- جوزيف كايسر ، دار مكتبة الحياة ت : حسين الكيلاني بيروت ١٩٦٤
- الحطة الصليبية الرابعة وسوولية انحرافها ضد القسطنطينية :
- د . است غنيم ، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ
- حياة بوذا :
- أ . فاردينان هارولد ت : طليب عطا الله ، دار الروائع الجديدة ط
- ١٩٧٥
- الحياة الرهبانية
- رهبنة طارجا ورجيوس - دير الحرف - منشورات النور
- الحياة العلمية في الشام : في القرنين الاول والثاني للهجرة :
- خليل داود الزرو ، دار الافاق الجديدة ط ١ بيروت ١٩٧١
- حياة المسيح :
- عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة دار الكتاب اللبنانية بيروت ط ١
- ١٩٧٨
- خصائص التصور الاسلامي وقوماته :
- سيد قطب ، دار الشروق ط ٧ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- خلاصة التصوف السني :
- أدولف تانكر ، ت : يوسف فرج ، الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧
- الخلاصة الشبهة في اخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية :
- افلاطون طران موسكو ، ت : الخوري يوحنا حزمون ، مطبعة كرم بيروت
- ١٩٥٧
- دائرة المعارف ،
- بطرس البستاني دار المعرفة ، تهران ناصر خسرو ياسار مجيدى
- دائرة المعارف :
- فؤاد افرام البستاني : الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٧
- دائرة معارف القرن العشرين :
- محمد فريد وجدى ط ٣ دار المعرفة بيروت - ١٩٧١
- دراسات فلسفية وأخلاقية :
- د . محمد كمال جعفر طبعة حسان ١٩٧٧

- دراسات في العصر الهلنستي  
لطفی عبد الوهاب یحیی ، دار النهضة العربية ، بیروت
- دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية :  
د . عرفان عبد الحمید ، مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .  
موريس بوكای ، دار المعارف بصر .
- دعوة التوحيد :  
د . محمد خليل هراس ، مكتبة الصحابة - طنطا
- دعوة الحق بين الهندوسية والاسلام .  
منصور عبد العزيز ط ٢ ١٩٧٢
- الديارات :  
لاهی الحسن الشاہوشی . ت : کورکس عواد ، منشورات مكتبة المثنی مطبعة  
المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- الديانات القديمة :  
محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي .
- الديانات والعقائد :  
احمد عبد الغفور طار مكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- ديانة قدماء المصريين :  
استيندروف : ت : سليم حسن ، طبعة المعارف بصر ط ١ ١٩٢٣
- الديسن :  
محمد عبد الله دراز ، طبعة السعادة مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ديوان امری القیس  
محمد ابو الغفل ابراهيم دار المعارف بصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩
- دور اليهود في الفرق الباطنية .  
احمد محمد مغربي رسالة ماجستير جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى :  
ل . م هارتمان ج باراكلاف ت : جوزيف نسيم يوسف دار المعارف بصر ١٩٧٠
- الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية  
عبد الشکور محمد امان عبد الکريم ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ( جامعة  
الملك عبد العزيز سابقا ) ١٣٩٦ - ١٩٧٦

- رسائل ابطال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية :
- سميد عقيل سراج ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦-١٤٠٧
- رسالة اليونيسكو :
- د. ٢٦١ سنة ١٩٨٣ القاهرة .
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة .
- السيد محمد بن جعفر الكتاني ، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
- الرهبانية الباسيلية الشهيرة :
- د. ا. حاج ط ١٩٧٤ لبنان .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني
- لاهي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادى ، دار الفكر بيروت
- ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨
- زاد السير في طم التفسير :
- عبد الرحمن بن الجوزى ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ط ١٣٨٧هـ ١٩٦٧
- الزنا ومكانته
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ بيروت
- الزواج :
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس :
- عبد الله الحلبي ، ط ١ ١٣٩٠هـ
- سنن الدارمي
- لاهي محمد عبد الله الدارمي ، دار احياء السنة النبوية .
- سوسيولوجية الحضارات القديمة :
- د. صلاح فوال ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٢
- سيرة المسيح وتعاليمه :
- دنيس كلارك ، دار ضل الحياة بيروت ١٩٧٧
- شجرة الحضارة :
- رالف والتون ، د. احمد فخرى ، مكتبة الانجوال المصرية ١٩٦١
- شرح الكافية الشافية :
- محمد بن عبد الله بن طالك الطائي ت : د. عبد المنعم هبدي ، دار المأمون
- للتراث .

- شرح كتاب الفقه الاكبر :
- الملاطي القاري ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بيروت
- شري ايشهانيشا د
- ١ . س . بكطي فيدانتاسواي برايوياض ، لوس انجلوس لندن يومي ط ١٩٧٤
- راطناري خاش برهطشاري ( رايح يونس ) .
- الشخصية الاسرائيلية :
- د . حسن ظاظا ، دار القلم - دمشق ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- شرح المواقف في علم الكلام :
- للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت : د . احمد المهدي مكتبة الازهر
- دار الحامي للطباعة
- صحيح الاطام البخاري :
- المكتب الاسلامي محمد اوزد مير - استانبول تركيا ١٩٧٩
- صحيح مسلم بشرح النووي :
- الطبعة المصرية ومكتبتها و ط : دار احياء التراث الاسلامي بيروت ط ١٩٧٢
- صفحات مضيئة من تراث الاسلام :
- انور الجندی دار الاعتصام ١٩٧٩
- طبقات الامم
- لاي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ، مطبعة السعادة بمصر
- طبعة في عهد امير حوتب الثالث .
- اليزابيث رايفشتال ت : ابراهيم رزق مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٧
- طارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى
- محمد بن عيسى ، مكتبة المعارف لبنان
- عالم المصور الوسطى
- ج . ج . كولستون ، ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣
- الاسكندرية . مصر
- العبادة الصحيحة :
- الارشند ريت الياس مؤسسة خليفة للطباعة لبنان ١٩٨١
- العرب واليهود في التاريخ :
- د . احمد سوسة ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ١٩٧٥
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية
- محمد طاهر القنبر ط ١٣٣٠ بيروت



- عقيدة الدرر
- محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى الاردن ط ١ ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- العقيدة والشريعة في الاسلام :
- جولد زيهير ط ٢ ت : محمد يوسف موسى وطى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة الشئى ببغداد .
- العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية :
- محمد يوسف النجراي ، دار الفكر بيروت ط ١ ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
- العلمانية نشأتها وتطورها
- سفر عبد الرحمن الحوالي دار مكة ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- طم الاجتطاع الديني :
- د . زبدان عبد الباقي مكتبة غريب القاهرة .
- عدة القارى شرح صحيح البخارى :
- بدر الدين العيني ، دار احياء التراث العربي بيروت
- العودة للتجسد . . :
- د . رؤوف عبيد ، دار الفكر العربي القاهرة .
- المعيشة الهنية في الحياة النسكية :
- لافرام الديراني ، الطبعة الادبية بيروت ١٨٩٩ م
- غريب الحديث :
- لابن قتيبة ، عبد الله بن سلم ط ١ ١٣٩٧ هـ طبعة العاني بغداد ت :
- عبد الله الجبوري .
- الفائق في غريب الحديث :
- محمود بن عمر الزمخشري . ت : طى محمد البيجاوى ، محمد ابو الفضل ابراهيم . عيسى البابي الحلبي - القاهرة
- فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى :
- للحافظ ابن حجر العسقلاني . مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨ هـ
- فتح القدير :
- للاطام الشوكاني ، ط ١ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م
- فتوح القدير على الهداية :
- كمال الدين احمد بن الهمام ، مصطفى البابي الحلبي ط ١ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠
- فجر الضير :
- جيمس هنرى برستيد ت : سليم حسن دار مصر للطباعة

- الفصل في الطل والاهواء والنحل :
- للإمام ابن حزم الظاهري ، مكتبة وطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة
- فضائح الباطنية :
- لأبي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب
- الثقافية ، الكويت
- الفقه الاسلامي على المذاهب الاربعية :
- عبد الرحمن الجزيري ، دار الارشاد والتأليف - مصر
- الفقه الاسلامي وأدلة :
- د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر بيروت ط ١ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- الفكر الاسلامي الحديث وحلته بالاستعمار الغربي :
- د . محمد المهدي ، دار الفكر بيروت ط ٥ ١٩٧٠
- الفكر الفلسفي الهندي :
- سرفبالي راداكشنا ود . شارلز مور ت : ندرة اليازجي دار البقعة العربية
- فلسفات الهند :
- جان فيليوزات ت : علي مقلد المنشورات العربية الطبعة الاولى
- ١٩٧٦
- الفلسفات الهندية :
- د . علي زيمور دار الاندلس ط ١ ١٩٨٠ بيروت
- فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية :
- لجس فريديسه : ج . قنواقي ت : د . صبيح الصالح ، والاب فريد جبر
- دار العلم للملايين ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- الفلسفة في الشرق :
- بول طسون اوريسيل ، ت : محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر
- الفهرست
- محمد بن اسحق محمد بن التميم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
- في ظلال القرآن :
- سيد قطب دار الشروق ط ١٠ ١٤٠٢ - ١٩٨٢
- قاموس الكتاب المقدس :
- نخبة من اساتذة اللاهوت ط ٢ ١٩٧١
- قصة الاديان :
- رفقي زاهر ط ١ دار المطبوعات الدولية مصر ١٤٠٠ - ١٩٨٠

- قصة الحضارة :  
ول ديورانت ت : محد يدران لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية ١٩٦٤ - وط : ٣ - ١٩٧١ وط ٢ طبعة لجنة التأليف والترجمة ت : زكي نجيب محمود سنة ١٩٥٧ .
- القاموس المحيط :  
للغفرور ابادي ، ط ١ الطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠ هـ
- الكتب التاريخية في العهد القديم :  
د . مراد كامل ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨
- الكرمل :  
الاب البهرايون : طبعة الاديب البغدادي ١٩٧٨
- الكشف عن حقائق التنزيل وهيون الأفاضل في وجوه التأويل :  
ابو القاسم جار الله محمود الزمخشري . دار الفكر - بيروت
- كشف الغطاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث طي السنة الناس :  
اسماعيل المجلوني ت : احمد القلاش مؤسس الرسالة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- الكنائس الشرقية عبر التاريخ :  
الاباتي بطرس فهد مطابع الكرم الحديثة - جونية ١٩٧٢
- كنتم خيرة اخرجت للناس :  
خير الله طلفاح دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨٠
- كنز قرآن : مدارج البحر الميت :  
البطران اثنا سيوس يشوع صوفيل ، ت : القس الفونس شوريز - نشر تاوفيلوس جورج صليبا ١٩٨٥ لبنان
- لسان العرب :  
جمال الدين محد بن منظور ، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ
- التآسي والصور الفوامض :  
محد عبد الله عنان ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤
- مائدة أفلاطون :  
محد لطفي جمعة ، مكتبة التأليف - شارع عبد العزيز بصر
- طارون - قديم القورشية :  
البهر جيور ، المنشورات الارثوذكسية مكتبة السافح طرابلس لبنان ١٩٨٥
- مبادئ الفلسفة :  
أ . س ، رابويرت ت : احمد امين ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٩ م

- المبسوط :
- لشمس الدين ، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، ط ٢ دار المعرفة  
المجددون في الاسلام من القرن الأول الى الرابع عشر :
- عبد المتعال الصعدي ، مكتبة الاداب ، القاهرة .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
- أبو بكر الهيثمي بتحريه الحافظ العراقي وابن حجر ط ٣ دار الكتاب العربي  
١٤٠٢-١٩٨٢ بيروت .
- مجموعة الرسائل الكبرى :
- للإمام ابن تيمية ، مكتبة ابن مالك ١٤٠٠ هـ مصر  
المجموع شرح مذهب الشيرازي :
- يحيى بن شرف النووي ت : محمد نجسيب الطيحي ذكرها علي يوسف  
طبعة الامام بمصر .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
- ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي ، ط ١ - ١٣٩٨ هـ .  
مطابع العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- محاسن التأهل " تفسير القاسي "
- محمد جلال الدين القاسي ت : احمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ط ٢  
بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨
- محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة :
- د . محمد جلال شرف مكتبة كريدية اخوان ، بيروت ١٩٨٠
- محاضرات في النصرانية :
- الشيخ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي مصر ط ٥ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- محاكم التفتيش ، نشأتها ، ونشاطها :
- د . اسحق عبيد ، دار المعارف مصر ١٩٧٨
- المصلى :
- للإمام ابن حزم ت : احمد محمد شاكر : المكتب التجاري للطباعة والنشر  
بيروت .
- محيط المحيط :
- بطرس البستاني مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٧
- مختار الصحاح :
- لابي بكر الرازي ، ط دار الفكر ١٣٩٨ هـ
- المختار في الرد على النصارى :
- عمرو بن بحر الجاحظ ، ت : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة  
القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤

- مختصر تاريخ الدول :
- غريغوريوس الططبي المعروف بابن العبري ، ط ٢
- مختصر تاريخ سوريا :
- الطران يوسف الدبس ، ط ٢ لبنان ١٩٨٤
- مختصر سنن ابي داود
- للحافظ السندري ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحدية .
- مخطوطات البحر الميت :
- حسين عمر حمادة دار منارات للنشر عمان الاردن ١٩٨٢
- مخطوطات البحر الميت :
- محمود العابدي ، جمعية عمل الطابع التعاونية عمان ١٩٦٧ م
- مخطوطات البحر الميت والبحث في اصول النصرانية الاولى
- د . فاروق عمر عبد الله ، جامعة الطوك عبد العزيز جدة كلية الاداب
- والدراسات الانسانية محاضرة القايت في ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ
- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية :
- للاب لهيس شيغو نشرته مجلة الشرق اللبناية احمد طبسعبا في
- الطانية ١٩٨٠
- المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب :
- العبيد عبد الرزاق محمد اسود ، دار السيرة ، الدار العربية للموسوعات
- بيروت ١٤٠١-١٩٨١
- مدخل في تاريخ الأديان :
- محسن العابد : دار الكتاب بسوسة ١٩٧٣
- مذاهب الاسلاميين :
- د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للطالبيين ط ١ بيروت ١٩٧٣
- مذاهب فكرية معاصرة :
- محمد قطب ، دار الشروق ط ١ ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- المذاهب الكبرى في التاريخ :
- البان . ج . ود جيري ت : ذوقان قرقوط دار القلم ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- المراءة في الشعر الجاهلي
- د . احمد محمد الحوفي دار الفكر العربي ط ٢ طبعة الطدني
- مسألة المنيوزين في الهند :
- عبد العزيز السعالبي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- السندرك على الصحيحين :
- للحاكم ( محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر
- مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب .

- سند الاطام أحمد بن حنبل :
- المكتب الاسلامي ، دار الفكر ط ، بيروت
- المسيح ابن مريم
- جاك جومر ، وسامي البافي دار الكتب بيروت ١٩٦٦
- المسيح في القرآن والتوراة والانجيل . :
- عبد الكريم الخطيب دار الكتب الحديثة مصر ط ١ ١٣٨٥ - ١٩٦٥
- المسيح في مفهوم معاصر :
- عصام الدين حنفي ناصف . دار الطليعة ط ١ ١٩٧٩ م
- المسيحية :
- د . احمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ٦ ١٩٧٨
- المسيحية نشأتها وتطورها :
- شارل جينبير ، المكتبة المصرية ت : د . عبد الحليم محمود ، صيدا لبنان
- مصرع التصوف :
- برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن الوكيل ، ادارة الطباعة
- الشهرية ١٣٦٨ هـ - دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- مصر القديمة :
- سليم حسن ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٩
- مصر والمغرب واسرائيل في الكتب المقدسة :
- د . محمد احمد محمد حسن ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠
- معالم أصول الدين :
- فخر الدين الرازي ت : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي بيروت
- معالم تاريخ الانسانية :
- هـ . ج . ولز ، عبد العزيز توفيق جاويد ط ٣ لجنة التأليف والترجمة مصر ١٩٦٧
- معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى :
- د . محمود سميد عمران دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م
- معالم تاريخ العصور الوسطى :
- محمد رفعت ، وأحمد حسونة ط ٢ مصر ١٩٢٦
- معالم الحضارة في الاسلام :
- د . عبد الله طوان ، دار السلام القاهرة ط ٢ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية :
- محمد اسطعيل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة

- المعجم المفهرس "تجريد" أسانيد الكتب المشهورة والاجزاء المنشورة : لابن حجر ، ميكروفيلم بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ نسخة صورة عن دار الكتب المصرية .
- معجم المؤلفين :
- عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى دار احياء التراث العربي ، بيروت
- الحفني :
- لابن قدام ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- مفتي المحتاج :
- لابي زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ
- المفردات في غريب القرآن :
- ابو القاسم الراغب الاصفهاني ، ت : احمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٨١-١٩٦١
- الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :
- د . جواد طي دار العلم للملايين ط ٢ ١٩٨٠
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على اللسان
- للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت : عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩
- مقالات الاسلاميين :
- لابي الحسن الاشعري ت : محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية : ط ٢ القاهرة ١٣٨٩-١٩٦٩
- مقام العلبان :
- احمد بن عبد الصمد الخزرجي . ت : عبد المجيد الشرفي ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٩٧٥
- ملاح من التاريخ القديم ليهود العراق
- د . احمد سوسة مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد ط ١٩٧٨
- المطاليك والفرنج :
- د . احمد دراج ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١
- من افلاطون الى ابن سينا :
- د . جميل صليبا دار الاندلس ١٤٠١ ١٩٨١
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ،
- عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر ، دار تحقيق للنشر والتأليف ، الطائف
- المطبعة العربية السعودية ط ٢ ١٣٩٨-١٩٧٨

- من روضة الى مكة :
- خير النساء دى ساراواك ت : رأفت شنيور . مطبعة اللوا طرابلس الشام ١٩٣٥ م لبنان .
- منظومة الامام ابو بصير في الرد على النصارى واليهود :
- محمد بن سعيد بن حطاب ابو بصير ت : أحمد حجازى السقا : مكتبة المدينة المنورة بصر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- منهج التربية الاسلامية
- محمد قطب ط ٢ دار الشروق بيروت
- منهج السنة في الزواج :
- د . محمد الاحمدى ابو النور ط ١ دار النصر للطباعة ١٣٩٢-١٩٧٢ القاهرة
- موسمرتي : " كتاب الهند وس القدس "
- ت : احسان حقي دار اليقظة العربية ط ١
- مباتا قاندى
- رومن رولان ت : عرفا خورى مطبعة طيارة بيروت
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل :
- لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن مكتبة النجاح ، ليبيا
- الموسوعة الاثرية العالمية :
- لمجموعة من العلماء باشراف ليونارد كوتسبريل ت : د . محمد عبد القادر محمد
- د . زكي اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧
- موسوعة التاريخ الاسلامي :
- د . عبد الله ميسر الطرازي عالم المعرفة جدة ط ١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣
- موسوعة تاريخ العالم :
- ولهم لانجر ، ت : د . مصطفى زيادة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤
- الموسوعة المصرية :
- محمد شفيق فرمال ، دار نهضة لبنان
- الموسوعة الفلسطينية :
- العميد عبد الرزاق محمد الاسود ، دار العربية للموسوعات ١٩٧٨
- الموسوعة الفلسطينية :
- م . روزنتال ، دى يودين ت : سمسهر كرم ، دار الطليعة بيروت ط ٢
- ١٩٨٠
- موسوعة الفاهيم والمصطفحات الصهيونية :
- د . عبد الوهاب محمد السيرى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
- بالاهرام ١٩٧٤



- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية :
- د . عبد المنعم الحفني ط ١ دار السيرة ببيروت / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ :
- احمد العوايشة ط ١ دار مكة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- موقف الاسلام والكنيسة من العلم :
- عبد الله المشوخي مكتبة النصار ، الاردن الزرقاء ط ١ ١٤٠٢
- موقف الدين من العلم :
- الشيخ محمد نمر الخطيب ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط ١
- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- ميلاد المعصور الوسطى
- هر. سانتال . ب . موس ، ت : عبد العزيز جابود - سيد الباز العربي
- طالم الكتب القاهرة ١٩٦٧
- نسكيات :
- اسحق السرياني ت : الاب اسحق عطا الله منشورات النور بيروت ١٩٨٣
- نشأة الدين :
- د . طي سامي النشار ، دار نشر الثقافة بالاسكندرية مطابع طهدين ط ١ ١٣٦٨
- ١٩٤٩
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام :
- د . طي سامي النشار دار المعارف ط ٧ ١٩٧٧
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها
- د . عرفان عبد الحميد فتاح الكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٤ - ١٩٧٤
- نصارى العراق في العصر العربي :
- جاسم هكبان الربيعي ، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٤
- النصيحة الايمانية في فضيحة الطة النصرانية
- لنصر بيسسن يحيى بن حمس التطيب المهتدي ت : محمود قدح
- رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام :
- د . محمود عبد السميع الشعلان دار المعلوم والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- نظام الزواج في اليهودية والمسيحية :
- د . محمد شكرى سرور دار الفكر العربي بصر ١٩٧٩
- نفاق اليهود :
- مارتن لوثر : هجاء نهبض دار الفكر ط ١ ١٣٩٤

نقض اوهام الطادية الجدلية :

د . محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط ٢ د شق ١٣٩٩ - ١٩٧٩

نوادر المخطوطات :

عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٣

١٩٥٤

النهاية في غريب الحديث والاثار -

مجد الدين ابي السعادات ابن الاثير ت : د محمد الطناحي مكتبة الاسلامية

ط ١ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣

هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى

لابن قيم الجوزية ، مطابع المدينة - الرياض

هدية العارفين :

اسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة الشئى بغداد ط . بالافست استانبول

استانبول ١٩٥١

الهند القديمة حضاراتها ودياناتها :

د . محمد اسماعيل الندوى ، دار الشعب مصر ١٩٧٠

وثائق دير صهيون بالقدس الشريف :

د . احمد دراج : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨

الوجود الالهي

سانتيلانا . ت : عصام الدين محمد علي ، مؤسسة الخافقين دمشق ط ١

١٩٨١ بيروت

وسائل ومقاومة الغزو الفكر للمعالم الاسلامي .

د . حسان محمد حسان دار الاصفهاني جدة ١٤٠٥

وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه .

د . محمد الزحيلي ، دار القلم ط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

يا أهمل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء :

د . رؤوف شلبي ، دار الاهتمام ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٠ - ١٩٨٠

اليهودية :

د . احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤

اليهود في تاريخ الحضارات الاولى :

د . غوستاف ليهون ت : طادل زحيمر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٩٧٠

اليهود في مصر في عصر البطالمة : د . مصطفى كمال عبد العليم مكتبة القاهرة

الحديثة ١٩٦٨ .

يوحنا المعمدان . د . احمد حجازي السقا دار التراث العربي مصر ١٩٧٨

### ثبت الدوريات :

- جريدة الرياض عدد ٦٠٠٧ السنة ٢١ ١١/٣/١٤٠٥ - ٢/٢ ديسمبر ١٩٨٢ المطبعة العربية السعودية
- جريدة المسلمون العدد ٩٨-٩٩-١٩ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ المطبعة العربية السعودية
- مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩ القاهرة
- مجلة التضامن : الشركة العربية المرسطانية للنشر والتوزيع والاعلام المحدودة عدد ٤ تاريخ ٧/٥/١٩٨٣ لندن
- مجلة ثقافة الهند عدد ٣ سنة ١٩٥١ الهند
- مجلة الحوارات العدد ١٣٠٥ ١٩٨١ ٦ تشرين الثاني نوفمبر لندن .
- مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ربيع الاول ١٤٠٤ الكويت
- مجلة المسلمون العدد ٢٢ سنة ١٤٠٢ - المطبعة العربية السعودية
- مجلة المشرق : تصدر في لبنان ، مجموعة أعيد نشرها عام ١٩٨٠ في الطانية .
- مجلة اليمامة عدد ٨٠٤ ٢٢ شعبان ١٤٠٤ المطبعة العربية السعودية

### المراجع الأجنبية :

- EARLY INDIAN RELIGIONS . P. BANERJEE, NEW DELHI INDIA . 1975
- ENCYCLOPAEDIA BRITANICA . V:10. PRESS.1974
- ENCYCLOPAEDIA OF RELIGION AND ETHICS . EDIT BY JAMES HASTINS. NEW YORK . 1974
- MAN'S RELIGIONS . JOHAN . B . MOSS . MACMILLAN PUBLISHING CO. IMS. NEW YORK. 1980

## "الفهرس"

رقم الصفحة

الموضوع

## المقدمة

التشهير : ويشمل

- ١ أ - الرهينة : لغة واصطلاحاً  
٥ وأهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي  
٧ ب - عوامل الخوف والرغبة في الحياة البشرية  
٨ - النظريات الباحثة في نشأة الدين وأثره  
- النظريات المولدة - النظريات التطورية  
- رأى الاسلام في نشأة الدين .  
١١ الباب الاول : الرهينة المصرية القديمة

## الفصل الاول : العقائد وتطورها

- ١٢ اولا : عبادة الظواهر الطبيعية  
١٣ ثانيا : عبادة الحيوانات  
١٤ ثالثا : تأليه البشر  
١٦ رابعا : الهوم الاغمر  
١٧ خامسا : تناسخ الارواح .

## الفصل الثاني : بوادر نشأة الكهان والرهبان

- ١٩ اولا : بوادر النشأة  
٢٠ ثانيا : الصور الاولى للتبتل .  
٢٠ ثالثا : بدايات الرهينة  
٢١ رابعا : المظاهر التعمدية

## الفصل الثالث : الرهبان ، مبادئهم ، طوبىهم ،

طبقاتهم

- ٢٣ اولا : سلطات واصناف الرهبان  
٢٥ ثانيا : المعارف والعلوم  
٢٦ ثالثا : طبقات الكهنة ومهامهم  
٢٩ رابعا : الامتيازات والمخصصات الكهنوتية  
النتائج : مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة  
٣٠ عن اعمال الرهبان

٣٢	الباب الثاني : الرهينة الهندوسية
٣٣	التعريف : أ - سكان الهند الاصليون
٣٤	- معالم الديانة الهندية القديمة
٣٧	ب - الغزاة الآريون ، آثارهم في الهند - المعبودات الآرية .
٤١	الفصل الأول : العقائد الهندوسية المتصلة بالرهينة ونقد هــ
٤١	أولاً : تعدد الآلهة - التثنية
٤٥	ثانياً : الكارمسا
٤٧	ثالثاً : تناسخ الأرواح
٥١	رابعاً : الاتحاد ، أو الانطلاق
٥٤	خامساً : الطول أو التجسد
٥٦	سادساً : وحدة الوجود
٦٠	الفصل الثاني : الفرق الدينية ، والعباد الهندوسية
٦٠	أولاً : الفرق الدينية
٦٢	ثانياً : الكتب المقدسة
٦٤	أ - الفيدا وأقسامها
٦٩	ب - قوانين مانو
٧٠	الفصل الثالث : نظام الطبقات الهندوسي ونقده
٧٠	أولاً : كيف نشأ نظام الطبقات
٧٣	ثانياً : تقسيم الطبقات
٧٧	ثالثاً : الفوارق الطبقية
٨١	الفصل الرابع : نظام الرهينة الهندوسي ، العبادى <sup>١</sup> والمراحل ، والصور
٨٣	أولاً : العبادى <sup>١</sup> ، والصور
٨٨	ثانياً : المراحل الآريمة
٨٨	ثالثاً : العبادات وصورها
٩٢	الفصل الخامس : النتائج التي آلت إليها الرهينة الهندوسية

١٧	الباب الثالث :	الرهينة الجينية
١٨	التمهيد :	أ - أسباب النشأة
١٩		ب - مؤسس الحركة
١٠٢	الفصل الاول :	المبادئ الجينية ونقدها
١٠٢	اولا :	أهم المقاصد
١٠٤	ثانيا :	الكارما ، وتناسخ الارواح
١٠٥	ثالثا :	النظرية النسبية
١٠٦	رابعا :	فرضية المادة الذرية
١٠٧	خامسا :	الخلاص
١٠٩	الفصل الثاني :	العبادات الموصلة للخلاص
١١٢	اولا :	أهمية اليوغا في الرهينة الجينية
١١٢	ثانيا :	قانون أهسا ، والنقد الموجه اليه
١١٥	ثالثا :	البعد عن النساء
١١٨	رابعا :	تسطور وتبدل الانظمة
١٢٠	الفصل الثالث :	الفرق ، وتطورات الرهينة
١٢٠	اولا :	الفرق الجينية
١٢٢	ثانيا :	أثر التطور في الرهينة
		النتيجة التي آلت اليها الرهينة
١٢٥		الجينية ونقدها

١٢٦ البسباب الرابع : الرهينة البوذية

١٢٨ التمهيد : أ - حاد الفكر البوذي

١٣٠ ب - حياة بوذا

١٣٤ ج - آراء حول شخصيته

١٣٧ الفصل الاول : العقائد البوذية ونقدها

١٣٧ اولا : انكار الالهية

١٤٠ ثانيا : الكارما

١٤١ ثالثا : تناسخ الارواح

١٤٣ رابعا : النيرفانا

١٤٦ خامسا : مبدأ التغيير الدائم

١٤٩ سادسا : الهوغا

١٥٠ الفصل الثاني : أثر التطور في الدين ونشأة الفرق

١٥٢ اولا : تطور الجانب المادي والفكري

١٥٤ ثانيا : ترتيب الكهنسوت

١٥٧ ثالثا : دخول النساء في الرهينة

١٦٠ رابعا : السماع البوذية

١٦٣ خامسا : الفرق البوذية

الفصل الثالث :

١٦٨ النتائج التي وصلت اليها الرهينة البوذية  
ونقدها .

الباب الخامس : الرهينة اليونانية ١٧٤

التمهيد ١٧٥

الفصل الاول : الديانة والعقائد ١٧٧

اولا : الكهنة ١٧٩

ثانيا : بدايات الزهد ١٨٠

ثالثا : بدايات الرهينة ١٨١

الفصل الثاني : العبادات وصورها واثار الرهينة  
في مدارس الزهد والفلسفة . ١٨٢

اولا : الممارسات التعبدية ١٨٢

ثانيا : الطقوس والشعائر ١٨٣

ثالثا : اثر الرهينة في المدارس الزهدية  
والفلسفية ١٨٩

الفصل الثالث : اهم المدارس الزهدية ١٨٩

اولا : نحلة اورفيوس

ثانيا : نحلة فيثاغورس ١٩٤

ثالثا : نحلة ايزيس ، ومثرا ١٩٤

الفصل الرابع : اثر السرهينة في الفلسفة اليونانية ١٩٥



٢٠٢	الباب السادس :	الرهبنة اليهودية
٢٠٣	التشبيد :	هدايات الكشف
٢٠٦	أ - الخلاف حول تسمية اصحاب المخطوطات	
٢٠٨	ب - الاماكن والاثار المكتشفة	
٢٠٩	ج - المخطوطات المكتشفة والملاحظات حولها .	
	محاولات للتعرف على تاريخ القرائين	
٢١١	وهيئتهم	
	الفصل الاول :	الحالتان السياسية والدينية في عهدى اليونان والرومان
٢١٧	اولا :	في عهد اليونان
٢٢١	ثانيا :	في عهد الرومان
٢٣١	الفصل الثاني :	المعتقد اليهودية ونقدها
٢٣١	اولا :	موقف اليهود من الالهية
٢٣٨	ثانيا :	موقفهم من الانبياء* والرسول
٢٤٢	ثالثا :	عقيدة اليوم الاخر
٢٤٤	الفصل الثالث :	اسفار اليهود المقدسة ونقدها
٢٤٥	اولا :	نظرة عامة
٢٤٦	ثانيا :	تقسيم التوراة
٢٤٨	ثالثا :	اللغة وتاريخ التأليف والتدوين
٢٥٤	الفصل الرابع :	رجال الدين اليهود
٢٥٤	أ - الكهنة	
٢٥٧	ب :	الكتبة
٢٥٩	الفصل الخامس :	الفرق اليهودية
	أ - العدوقيون ب - الفريسيون ج - السامريون	
	د - القنانيون هـ - الناطوريون	
٢٦٨	الفصل السادس :	عقائد القرائين
٢٧٧	الفصل السابع :	العبادات
٢٧٨	الفصل الثامن :	الانظمة والعبادات والسيادى*
٢٨٨	الفصل التاسع :	نقد سيادى* وانظمة الرهبنة اليهودية
	الترابط بين رهبنة القرائين ورهبنة	
٣٠٢	المخطوطات اليونانية القديمة	

٣٠٤	الباب السابع : الرهبانية المسيحية
٣٠٥	التصميم
٣٠٦	الفصل الاول : العقائد ونقدها
٣٠٦	اولا : أسس العقائد المسيحية
٣٠٩	ثانيا : مدلولات التلخيص
٣١٥	ثالثا : ملاحظات حول الابوة والبنوة في المسيحية
	الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في انحراف العقائد
٣١٩	النصرانية
٣٢٠	اولا : العوامل الداخلية
٣٣١	ثانيا : العوامل الخارجية
٣٤٦	ثالثا : الجبهة المستفيدة من الانحراف
٣٤٧	الفصل الثالث : الاسس العقدية للرهبانية ونقدها
٣٤٧	اولا : الصلب ، والفداء
٣٥٥	ثانيا : الحبل
٣٦٢	ثالثا : الاتحاد
	الفصل الرابع : اثر الانحراف العقدي على نظرية
	الرهبانية الى : النفس البشرية ، والزواج
٣٧٠	والمرأة - ونقدها
٤٠٥	الفصل الخامس : أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية
	الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية ، تطورها
٤١١	وآثارها ، ونقدها
٤١١	اولا : اوائل التنظيمات الديرية
٤١٦	ثانيا : اسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد اعداد الرهبان
٤١٩	ثالثا : امثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها
٤٢٩	رابعا : اثر القوانين في الصور المغالية للرهبانية
٤٣٣	خامسا : الاثار السيئة المترتبة على الفلوس في الرهبانية
٤٣٥	سادسا : التدور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

٤٥٧ الفصل السابع : أثر استقلال الكنيسة للرهبانية

٤٥٨ اولا : نشأة فكرة الكنيسة وتطورها

٤٦٠ ثانيا : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان

٤٦٣ ثالثا : تطور مفهوم الاسقف

٤٦٩ رابعا : الطغيان البابوي والكنسي

٤٧١ واهم الشخصيات البابوية

٤٧٧ أ : الطغيان الروحي

٤٨٢ ب : الطغيان العقلي والفكري

٤٨٦ ج : الطغيان العلمي

٤٩١ - أثر الصراع بين العقل والرهبانية

٤٩٧ د : الطغيان السياسي

٥٠١ هـ : الطغيان المالي والاقتصادي

٥٠٤ الفصل الثامن : موقف الكنيسة المعادي للاسلام

وأشاره

٥٠٤ اولا : الحروب الصليبية

٥٠٨ ثانيا : التشهير

٥١١ الباب التاسع : أثر الرهبنة في البدع الخالصة والفرق المغالية المنتسبة للاسلام

٥٢٤ الباب العاشر : موقف الاسلام من الرهبنة وحكمه

عليها

٥٢٥ الفصل الاول : موقف الاسلام من رهبنة الاديان الوضعية

٥٣٠ الفصل الثاني : موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية

وحكمه عليها .

٥٤٢ الخاتمة : وفيها نتائج البحث .

٥٤٧	فهرس الايات القرآنية	-
٥٥٣	فهرس الحديث الشريف	-
٥٥٥	فهرس نصوص من العهد القديم	-
٥٥٦	فهرس نصوص من العهد الجديد	-
٥٥٧	فهرس نصوص من رسائل اطفال الرسل	-
٥٥٩	فهرس تراجم الاعلام	-
٥٦٠	فهرس المصادر والمراجع	-
٥١٣	المراجع الاجنبية والدوريات	-